المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي

المجلد الرابع

الهلال الخصيب

طبع على نفقة

الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي

نشرت بمناسبة مرور مائة عام على تاسيس المملكة العربية السعودية

شوال ١٤١٩هـ


الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي
الهلال الخصيب

المحتوى

هيئـــة الإشـــراف

مدير الجامعة

الدكتور محمد بن عبد الله العجلان رئيسًا

وكيل الجامعة للشؤون التعليمية

الدكتور عبد العزيز بن زيد الرومي عضوًا

الأمين العام للجامعة

الدكتور محمد بن سعد السالم عضوًا

عميد البحث العلمي

الدكتور فهد بن عبد الله السماري عضوًا

المشرف العلمي على الموسوعة

الدكتور عبد الستار سليمان خاطر عضوًا

هيئة التحرير

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

تقدم عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المجلد الرابع من « **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي** » ، والخاص بـ « **إقليم الهلال الخصيب** » .

ويضم هذا الإقليم كلا من : « **الجمهورية العراقية ، والمملكة الأردنية الهاشمية ، وفلسطين ، والجمهورية اللبنانية ، والجمهورية العربية السورية** » .

وقد استُهل هذا المجلد بدراسة عامة عن « **إقليم الهلال الخصيب** » ، ثم أُتبعتْ بدراسة جغرافية طبيعية وبشرية مفصلة ، لكل وحدة سياسية من وحدات هذا الإقليم ، وزودت هذه الدراسة بمجموعة من الخرائط والرسوم البيانية والأشكال الإيضاحية . كما أُضيفت قوائم بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية .

وقد قام بإعداد هذا المجلد نخبة من أساتذة الجغرافيا ، مركزين على الدراسة الإقليمية المتبعة في الجغرافيا الطبيعية والبشرية .

وعمادة البحث العلمي بجامعة الإمام تتقدم بالشكر والتقدير للأساتذة الأجلاء ، الذين بذلوا قصارى جهدهم لإخراج عمل علمي موثق . كما تخص بالشكر الأستاذ الدكتور عبد الفتاح محمد وهيبة الذي شارك في الإشراف العلمي على إعداد جزء من بحوث هذا المجلد . كما أن العمادة مدينة بالشكر والعرفان لكل من أسهم في إعداد هذا المجلد وطبعه .

والله نسأل التوفيق والسداد للجميع .

عمادة البحث العلمي

إقليم الهلال الخصيب

أ. د. حسن عبد القادر صالح

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة



الموقع

يقع إقليم الهلال الخصيب بشخصيته الجغرافية المتميزة في الجزء الشمالي من العالم العربي الآسيوي ، ويشمل العراق وسورية ولبنان والأردن وفلسطين . ويمثل هذا الإقليم برزخا يابسًا ، يفصل بين مياه كلٍّ من الخليج في الشرق والبحر المتوسط في الغرب (شكل /١) ، ويمتاز بنوع من الخصب يجعله واحة خضراء متصلة ، بعد جدب الصحاري الممتدة إلى الجنوب وإلى الشمال منه في الجزيرة العربية وبادية الشام على التوالي . ويمكن القول إن نطاق الخصوبة يتخذ شكل هلال يحيط ببادية الشام ، بحيث يشمل سهل العراق ، وأراضي الجزيرة في العراق وسورية ، والأجزاء الشمالية والغربية من سورية والأردن ، وجميع أجزاء لبنان ، ومعظم أجزاء فلسطين ويتوفر لهذه المساحة من الأرض كمية من الأمطار الشتوية تتراوح ما بين ١٠٠ ملم عند حافة الصحراء و ١٠٠٠ ملم على المرتفعات الجبلية في سورية ولبنان . كما أنها تنعم بأنهار دجلة والفرات والأردن والعاصي والليطاني . وإلى جانب هذه المياه السطحية ، فإن إقليم الهلال غني أيضا بمياهه الجوفية المتمثلة في الينابيع والآبار . وقد قامت في هذا الإقليم حضارات عريقة منذ القدم ، لتوافر مياهه وخصوبة تربته واعتدال مناخه وتوسط موقعه ونشاط سكانه . وهو يزخر حاليا بالموارد المستغلة التي تسهم في رخاء سكانه . وازدياد عمرانه وبناء حضارته وتنشيط علاقاته مع العالم .

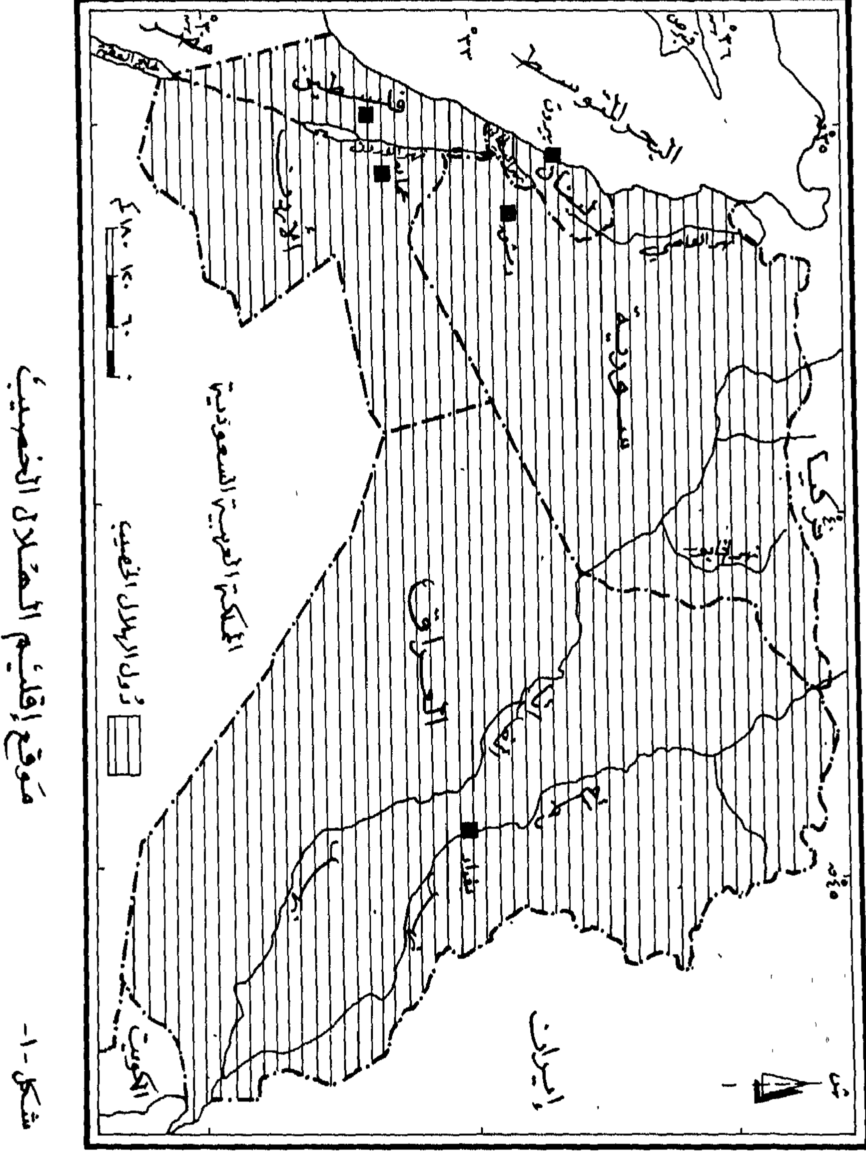
وبالنظر إلى أهمية موقع الهلال الخصيب وتوافر موارده وتنوعها ، فإنه تعرض عبر تاريخه الطويل لأطماع الغزاة للسيطرة عليه ، فتكالبت عليه أمم شتى وبصورة متتابعة . مثل الروم والفرس في العصور القديمة ، والصليبيين والمغول في العصور الوسطى ، والأوروبيين والصهيونيين في العصور الحديثة ، وقد تواطأت الدول الاستعمارية مع الصهيونية العالمية لإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين .

عوامل انتشار الإسلام :

أسهم فتح العراق وبلاد الشام في انتشار الإسلام داخل إقليم الهلال الخصيب فأضاء بنوره القلوب ، ودفع المسلمين إلى مزيد من الفتوحات داخل قارات إفريقية وآسيا وأوربا فيما بعد . وقد ساعدت عوامل عدة على انتشار الإسلام ، يأتي عنصر العقيدة الإسلامية على رأس هذه العوامل التي دفعت المسلمين للجهاد في سبيل الله ورفع راية الإسلام في كل مكان . وكان العامل النفسي المنبثق عن قوة العقيدة لدى المسلمين هو الدافع القوي للانطلاق نحو الجهاد ، إيمانا منهم بأن الجهاد فريضة على المسلمين ، وأنه يوفر لهم أسباب القوة والعزة عندما يتحقق لهم النصر ، كما أنه يكون سببًا في دخولهم الجنة عندما يستشهدون في سبيل الله .

ولذلك انطلق الإسلام من شبه جزيرة العرب التي تمثل قلب العالم القديم ومركزا وسطا فيه . ومن الطبيعي أن ينتشر الإسلام بسهولة من المركز في اتجاهات عديدة حوله . كما حارب المسلمون في معظم معاركهم التي انتصروا فيها على الفرس والروم فوق أرض صحراوية أو شبه صحراوية ليست غريبة عليهم من جهة ، وسهلت عليهم الانطلاق والتحرك بسرعة من جهة ثانية في الوقت الذي وجد أعداؤهم صعوبة في التحرك فوق هذه الأراضي الجافة .

وبالإضافة إلى ذلك عرف كثير من أفراد القبائل العربية الذين أسهموا في الفتوحات الإسلامية معالم المناطق المفتوحة قبل الإسلام عندما كانوا يأتون إليها في قوافل تجارية ، أو يمرون من أطرافها أثناء تجوالهم مع حيواناتهم بحثا عن الكلأ والماء . وقد توافرت للجيوش الإسلامية معظم احتياجاتها التموينية في إقليم الهلال الخصيب أثناء الفتوحات وبعدها . كما ساعدت الغنائم والجزية التي حصل المسلمون عليها أثناء فتوحاتهم في تمويل نفقات حملاتهم العسكرية وتوفير الاحتياجات اللازمة لهم . وشجع انتشار الإسلام في إقليم الهلال الخصيب على استقرار واستيطان كثير من المجاهدين مع عائلاتهم في البلاد المفتوحة ، وذلك لما تتميز به من موارد غنية مقارنة بالموارد المحدودة في شبه جزيرة العرب .



شكل -١- موقع اقليم الهلال الخصيب

آثار انتشار الإسلام :

ترتبت على انتشار الإسلام آثار عديدة منها ما يلي :

١ - **الآثار الاجتماعية** : جعل الإسلام من القبائل العربية ومن سكان المناطق الريفية والحضرية في شبه جزيرة العرب والهلال الخصيب نواة للأمة الإسلامية ، ووحد جميع السكان تحت راية الإسلام بحيث إنهم تركوا العادات السيئة والمحرمات التي نهى عنها الإسلام ، وتمسكوا بقيمه الخالدة مصداقا لقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ .

٢ - **الآثار الاقتصادية** : استقر في الهلال الخصيب كثير من أفراد القبائل العربية الذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية ، وبدأ هؤلاء يعملون في الزراعة والتجارة وغيرها من الحرف التي أسهمت في رفع مستوياتهم المعيشية . وأصبح الهلال الخصيب بموارده الكثيرة يمثل القلب الاقتصادي للدولة العربية الإسلامية ، وازدادت الروابط الاقتصادية بين شبه جزيرة العرب والهلال الخصيب من جهة ، وبين المشرق العربي والمغرب العربي من جهة ثانية .

٣ - **الآثار السياسية** : أعطى الهلال الخصيب للدولة العربية الإسلامية بعدا سياسيا مهما ، لما يتمتع به من أهمية الموقع وغنى الموضع . وترتب على قيام الدولة الإسلامية ظهور قوة جديدة قائمة على أساس روحي قوي ، وتمكنت هذه القوة من الانتصار على قوتين عملاقتين سادتا في المنطقة فترة طويلة .

ولقد انعكست أهمية الموقع على الأحداث التاريخية التي شهدها الإقليم منذ القدم حتى يومنا هذا . وتمثل أرض الهلال الخصيب برزخا يفصل بين مياه الخليج العربي الدفيئة ومياه البحر المتوسط المعتدلة . ولولا هذا الموقع البرزخي الحيوي لكانت بلاد الرافدين والشام أقل وزنا وثراء ، وربما كانت أيضا أكثر عزلة جغرافيًا . ولكن هذا البرزخ يمثل جسر عبور للطرق البرية التي تجعله منفتحا على العالم الخارجي .

وقد اعتادت قوافل التجار وجحافل الجيوش على استخدام هذا البرزخ الحيوي بوصفه

جسر عبور لها ، بين بلاد الرافدين من جهة ، ووادي النيل من جهة ثانية . وكانت القوافل تتحاشى اقتحام بادية الشام المجدبة ، وتفضل أن تتبع نطاق الحشائش شمالا بغرب ، ثم تتجه جنوبا بشرق في حدود منطقة لا يقل ما يهطل عليها من المطر عن ١٠٠ ملم في السنة . لذا نشأت عدة مدن في واحات صغيرة على حافة الصحراء ، موازية لخط الساحل على وجه التقريب ، من الشمال إلى الجنوب ، مثل مدن حلب وحماة وحمص وتدمر ودمشق وعمان والبتراء . وكانت هذه الثغور الصحراوية تستخدم محطات تجارية للقوافل البرية القادمة من الشرق والمحملة بالبضائع في طريقها نحو موانى البحر المتوسط ، حيث يتم نقل البضائع بحرا إلى أوربا .

ولا غرابة إذا علمنا أن معبر الهلال الخصيب كان بمثابة حلقة وصل بين قارات العالم القديم . وليس من قبيل المصادفات أن ينعكس انفتاحه على العالم القديم في التأثير على حياة سكانه الذين كانوا يتمتعون بقسط وافر من الثقافة والمعرفة . وقد جعل هذا الإقليم منهم وسطاء في العالم القديم ، إذ كانوا وسطاء في الحضارة بعامة ، وفي التجارة بخاصة[١] .

غير أن الموقع ، وهو ظاهرة جغرافية متغيرة ، مرّ من الوجهة التجارية ، في عدة مراحل ودورات من الازدهار والركود . ففي العصور القديمة كان دور الموقع موجودا ولكنه كان محدودا . إذ لم يكن محيط العالم المعمور الفعّال قد توسع بعد كثيرا ، ولم يكن الشرق الأقصى قد دخل في دائرة العلاقات المتوترة مع الغرب الأقصى . ومن ناحية أخرى فإن مستوى الحضارة من إمكانات ملاحية ، وحاجات معيشية كان لا يزال قاصرا . ومن هنا كانت أغلب تجارة الهلال الخصيب إقليمية أكثر منها عالمية . وعلى سبيل المثال كانت بابل وآشور من أوائل الإمبراطوريات التي احتكرت التجارة البرية داخل الإقليم بين « الخليج » والبحر المتوسط . وتلتهما الإمبراطوريتان الفارسية والرومانية ، اللتان تقاسمتا مناطق النفوذ في المشرق العربي ، فسيطرت فارس على التجارة البرية في الجناح الشرقي ، بينما سيطرت روما على التجارة البحرية في الجناح الغربي . وقد ازدهرت التجارة في أواخر العهد الروماني وقبيل العهد الإسلامي بفضل طرق المواصلات ، التي كان يستخدمها العرب في تجارتهم الإقليمية بين الهلال الخصيب شمالا واليمن جنوبا .

وبدأ الموقع يمر بمرحلة النضج قبيل العهد الإسلامي ، ووصل إلى ذروة نضج تاريخية رائعة في العهدين الأموي والعباسي . وتحول الهلال الخصيب إلى « خاصرة العالم القديم » تلقائيا ، وكأنها خط الاستواء بين قطبي الإنتاج والسكان في الشرق الأقصى وغرب أوربا . وإذا كان هذا قد جعل الشرق الأوسط وهو الشرق الوسيط في تجارة المرور ، فإن جناحيه في الهلال الخصيب من ناحية ، ومصر من ناحية أخرى ، هما المحوران الأساسيان في ذلك الممر .

وفي هذا الإطار كان طريق الهلال الخصيب أكثر برية ، ومن ثم كانت له الأفضلية المطلقة في التجارة القارية من الصين ووسط آسيا ، كما كان يشارك في التجارة البحرية عن طريق الخليج العربي . وكان طريق مصر أدنى في طبيعته إلى الطريق البحري ، وله الأفضلية في التجارة البحرية من جنوب شرقي آسيا والهند بطريق البحر . وقد كان الطريقان الشامي والمصري يعملان ضمن إطار من العلاقات التوازنية والتنافسية التي تتحكم فيها عوامل طارئة ، كالحروب والسياسة والأمن . وعندما كان يزدهر الطريق الأول (الشامي) ينحدر الثاني (المصري) وبالعكس . وعلى سبيل المثال ازدهر طريق الهلال الخصيب في العهد العباسي ، وانتقلت الأهمية إلى موانئ الخليج العربي وبلاد الشام . ولكن في أواخر القرن التاسع الميلادي أثرت ثورات واضطرابات جنوبي العراق السياسية في الحركة التجارية ، فعادت الأهمية إلى الموانئ المصرية على البحرين الأحمر والمتوسط .

وربما جاز أن نقول إن موقع الهلال الخصيب كان يرجح بعض الشيء موقع مصر – على ثقله الهائل – في هذا الدور ، ذلك أن موقع الهلال الخصيب كان أفضل موقع للتجارة في العصور الوسطى ، لأنه كان يجمع بين طريقين ، أحدهما يربط بين الخليج العربي والبحر المتوسط ، والثاني يصل بين خليج عدن والبحر المتوسط .

وعندما هبت على المشرق العربي في العصور الوسطى رياح الغزو الخارجي ، وأخذ يتعرض لأخطار العدوان القادم من الخارج ، انكمشت الأهمية التجارية لطريق الهلال الخصيب ، واحتكرت مصر طريق التجارة بين الشرق والغرب . وبدأت الحروب

الصليبية بغلق نافذة طريق الهلال الخصيب على البحر المتوسط أولا . ثم أتت أحداث المغول في منتصف القرن الثالث عشر ضربة قاضية ، انتهى بعدها دور العراق التجاري تقريبا . ولتأمين شرايين التجارة من الأخطار ، استطاعت مصر أن تنقلها من الطرق الشمالية الساحلية إلى الطرق الجنوبية الآمنة على البحر الأحمر وفي الصعيد .

وهنا لابد أن ندرك بوعي ، أن مصر قد ورثت موقع الهلال الخصيب الجغرافي ، و لم يكن من الصدفة أن تصل مصر الوسيطة إلى أوج رخائها واقتصادها بعد انهيار الهلال الخصيب مباشرة . غير أن الجزء الغربي من الهلال الخصيب (بلاد الشام) عاد فانتعش تجاريا في العهد المملوكي ، عندما كان موحدا مع مصر في ذلك العهد . وعادت للموقع أهميته التجارية التي حصل عليها في العهد العباسي ، بل ازدادت هذه الأهمية عما كانت عليه ، نتيجة لازدياد حركة التجارة العالمية بين الشرق والغرب . ومن هذا كله يمكن أن ندرك دور التجارة في تمتع مصر وبلاد الشام بعصرهما الذهبي من الناحيتين المادية والحضارية ، كما يتمثل في تكتل الثروة وشيوع الرخاء وانفجار الحركة العمرانية والفنية، مثلما كان عصرا بطوليا من الناحية الإسلامية .

غير أن دور القمة الذي حققه الموقع التجاري في العهد المملوكي لم تطل مدته ، إذ سرعان ما انتهى فجأة بدور انتكاس وانهيار كاملين . فقد جاءت ضربة كشف طريق رأس الرجاء الصالح في أواخر القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر الميلادي على يد البرتغال موجعة لمصر وبلاد الشام . وكانت فترة أواخر العهد المملوكي قد شهدت هبوط قيمة الموقع إلى الحضيض ، وأدى ذلك إلى سقوط الحكم المملوكي وتولي العثمانيين السلطة في إقليم الهلال الخصيب ومصر . وتحولت قيمة الموقع في العهد العثماني إلى أدنى درجة لها ، عندما جفت شرايين التجارة والدخل القومي في الهلال الخصيب ، وبدأت فترة عزلة كانت مرادفةً للتخلف الحضاري . أما مصر فإنها جددت شباب موقعها الحيوي بحفر قناة السويس عام ١٨٦٩ م ، وكانت القناة هدية الموقع إلى مصر ، وهدية مصر إلى العالم[٢] .

وبالرغم من انكماش القيمة التجارية للموقع في العهد العثماني ، إلا أن الهلال الخصيب

استحوذ على اهتمام الأوربيين كموقع استراتيجي له قيمة اقتصادية كبيرة . فالاحتلال الفرنسي لبلاد الشام ، على يد نابليون بونابرت ، كان أحد أهدافه السيطرة على المشرق العربي باعتباره طريقًا حيويًّا للتجارة ، وقطع طريق مواصلات بريطانيا مع مستعمراتها في الشرق . والامتيازات التي حصلت عليها بعض الدول الأوروبية في بلاد الشام في أواخر العهد العثماني ، ما هي إلا دليل على أهمية هذه البلاد بالنسبة لأوربا . وعلى سبيل المثال ، استطاعت ألمانيا بنفوذها أن تحصل على امتياز بمد خط سكة حديد برلين – بغداد ، وسكة حديد الحجاز ، بين دمشق والمدينة المنورة عن طريق عمان .

وفي عام ١٩١٦م تم توقيع اتفاقية « سايكس بيكو » السرّية بين بريطانيا وفرنسا ، وبمقتضى هذه الاتفاقية اقتسمت الدولتان الهلال الخصيب بينهما ، وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى حتى جاءت اتفاقية « سان ريمو » لتنص على انتداب بريطانيا على كل من فلسطين وشرقي الأردن والعراق ، وانتداب فرنسا على كل من سورية ولبنان . وفي عام ١٩١٧ م أعطت بريطانيا للصهيونيين وعد « بلفور » الذي نص على إقامة وطن لليهود في فلسطين . واستهدفت من وراء وعدها ، إقامة قاعدة صهيونية لها في المنطقة للمحافظة على مصالحها من جهة ، ولإحكام نفوذها وسيطرتها على إقليم الهلال الخصيب من جهة ثانية . غير أن الظروف تغيرت بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما حل نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية محل النفوذ البريطاني في المنطقة ، وأدى ذلك إلى قيام الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م .

وإقليم الهلال الخصيب بموقعه الحيوي يستقطب حركة البترول والنقل والتجارة والطيران من الخليج العربي والجزيرة العربية في الوقت الحاضر . وإذا كانت كل من عمان ودمشق وبيروت ترمز بنشاطها العبوري الكثيف المهم إلى هذا الاستقطاب ، فذلك لأن معظم طرق المواصلات الجوية والبحرية والبرية تجتمع في هذه العواصم . إذ إن مركزية موقع القوس الغربي من الهلال الخصيب جعله بمثابة العمود الفقري لحركة المرور الكثيفة بينه وبين قوسه الشرقي من جهة ، وبين منطقة الخليج والجزيرة العربية من جهة ثانية[٣] . وتشتمل حركة المرور على خطوط أنابيب البترول بين العراق وموانئ البحر المتوسط من جهة ، وبين الخليج وهذه الموانئ من جهة ثانية ، وبين خليج العقبة وهذه الموانئ من جهة ثالثة . كما تشتمل حركة المرور على طرق المواصلات البرية ، من طرق معبدة رئيسة وسكك حديدية ، تربط بين الأجزاء الداخلية للهلال الخصيب ، مثلما تربط بين هذا الإقليم وكل من الخليج والجزيرة العربية . وقد ازدادت حركة النقل الجوي

في السنوات الأخيرة على خطوط الطيران التي تربط بين الموانى الجوية داخل المشرق العربي عامة ، والهلال الخصيب بخاصة .

البنية والتركيب الجيولوجي

يمكن تلخيص التاريخ الجيولوجي للهلال الخصيب على النحو التالي[٤] :-

١ - خلال عصر ما قبل الكمبري ، كانت الأطراف الجنوبية لبادية الشام جزءا من قارة جندوانا الصلبة ، في حين تعرضت معظم أجزاء الهلال الخصيب للانغمار تحت بحر تيثس .

٢ - طغت مياة بحر تيثس على الأطرف الجنوبية لأرض الهلال الخصيب خلال الزمن الأول . وكان طغيان مياه البحر خلال ذلك الزمن الطويل تدريجيا ، فتكونت نتيجة ذلك رواسب بحرية فوق صخور القاعدة الأركية . ويبدو أن الأجزاء الجنوبية الغربية من أرض الهلال الخصيب قد تعرضت خلال هذا الزمن لحركات تكتونية ، تمثلت في التواء الرواسب على شكل سلاسل جبلية متوسطة الارتفاع . وقد صاحب هذه الحركات الالتوائية نشاط بركاني ، كما صاحبها تحول في الصخور النارية والرسوبية نتيجة الضغوط التي تعرضت لها التكوينات السابقة . والجدير بالذكر أن هذه المرتفعات تعرضت لعوامل التعرية طوال الأزمنة والعصور الجيولوجية ، الأمر الذي أدى إلى تسويتها وإزالة الكثير من معالمها .

٣ - تعرضت أرض الهلال الخصيب لطغيان مياه البحر خلال الزمن الثاني ، ثم عاد البحر فتراجع في نهاية هذا الزمن ، ونشطت عوامل التعرية الهوائية مكونة رواسب قارية سميكة .

٤ - تعرضت أرض الهلال الخصيب خلال الزمن الثالث إلى تعاقب حركات من الهبوط والارتفاع ، أدت إلى تقدم بحر تيثس وطغيانه على الإقليم ثم تراجعه وانحساره عنه . وقد صاحب هذه الحركات الباطنية خلال عصري الأيوسين والأليجوسين ، حركات التوائية وانكسارية وثورانات بركانية ، تعطي التفسير لكثير من الأشكال الراهنة لسطح الأرض .

أما الحركات الالتوائية فقد أدت إلى ارتفاع جبال كردستان في شمال العراق ، وجبال زاغروس في شرقيه ، وجبال طوروس في شمالي سورية . واستمر هذا الارتفاع طوال العصور اللاحقة . أما الحركات الانكسارية فقد أدت إلى تكوين منخفض البحر الأحمر ووادي الأردن . وأدت الثورانات البركانية إلى اندفاع كميات كبيرة من الصخور البازلتية في أجزاء متفرقة من بلاد الشام . وتكررت خلال عصر الميوسين الحركات الباطنية التي حدثت في عصري الأيوسين والأليجوسين ، إذ تعرض اليابس لحركة هبوط عامة في بداية الميوسين أدت إلى تقدم مياه البحر صوب الشرق من ساحل الشام ، فتكونت نتيجة لذلك مجموعة من الخلجان المتعمقة في الداخل حول بيروت وطرابلس واللاذقية وغزة . وقد تعرض اليابس في نهاية الميوسين لحركة ارتفاع أدت إلى انحسار الماء عنه . وتكررت حركة الانخفاض وطغيان البحر وحركة الارتفاع وانحسار الماء مرة أخرى خلال عصر البلايوسين . وصاحب ارتفاع الأرض في الحالتين ، استمرار الحركات الالتوائية والانكسارية والثورانات البركانية التي بدأت في أوائل الزمن الثالث ، كما صاحبها تكوين جبال لبنان وفلسطين وسورية .

وأدى ازدياد نشاط عوامل التعرية إلى ملء الأحواض الداخلية التي تكونت نتيجة الحركات الباطنية سالفة الذكر ، مثل حوض دمشق وحوض الحولة وحوض طبرية وحوض بيسان وحوض الدجلة والفرات .

٥ – استمر ارتفاع الأرض خلال الزمن الرابع ، فانحسر ماء البحر عن إقليم الهلال الخصيب كليّة ، وبرزت معظم الأراضي التي نعرفها اليوم . واستمرت الحركات الباطنية ، فزاد ارتفاع بلاد الشام . وتعرضت الأجزاء الصحراوية وشبه الصحراوية اليوم لأمطار غزيرة خلال ما عرف بالعصر المطير . ونشطت عوامل التعرية النهرية والهوائية نشاطا كبيرا ، فأخذت الأنهار والرياح تنحت من المرتفعات ، وتنقل كميات ضخمة من الحصى والرمال والطين والغرين ، وتلقي بها في المنخفضات والأحواض والأودية ، مكونة بذلك رواسب عظيمة الأهمية .

وفيما يتعلق بالتركيب الجيولوجي لإقليم الهلال الخصيب[٥] ، يمكن القول إن

تكوينات ما قبل الكمبري ذات الصخور الأركية ، تتركز في مساحات محدودة بين خليج العقبة والبحر الميت . ويعد الجرانيت والرخام أهم صخور التكوينات الأركية من حيث القيمة الاقتصادية . كما يعد النحاس والمنغنيز أهم معادنها في الإقليم .

وتعد تكوينات الزمن الأول – والتي تغطي القاعدة الأركية القديمة – محدودة الانتشار في بلاد الشام ، وتظهر على السطح في الأجزاء الجنوبية من الأردن وفلسطين ، وبخاصة قرب الحدود السعودية .

أما تكوينات الزمن الثاني فإنها تنتشر انتشارا واسعا في بلاد الشام وغربي العراق . وتكوينات هذا الزمن من نوعين : أحدهما بحري من الحجر الجيري والطباشير أساسا ، وتدخل ضمنه صخور الفوسفات الموجودة في الأردن وفلسطين ، والمنتمية لعصر الكريتاسي الأعلى . وثانيهما قاري من الحجر الرملي الذي ينتشر في جنوب الأردن وفلسطين ، مثلما ينتشر في غربي العراق .

ويمكن تقسيم تكوينات الزمن الثالث إلى نوعين هما :–

١ – نوع قديم ينتمي إلى عصري الأيوسين والأليجوسين .

٢ – نوع أحدث وينتمي إلى عصري الميوسين والبلايوسين .

أما النوع الأول فإنه يتألف من الصخور الجيرية وينتشر على شكل شريط ، يبدأ عند الحدود العراقية السورية ويسير بمحاذاة الضفة الغربية لنهر الفرات حتى يدخل أراضي الكويت والسعودية . وتتمثل هذه التكوينات في سورية والأردن في مساحات على هيئة دائرة ، مركزها نقطة التقاء الحدود العراقية السورية الأردنية . أما النوع الثاني ، وهو تكوينات الميوسين والبلايوسين فإنه ينتشر في الأجزاء الساحلية من بلاد الشام على شكل صخور جيرية وطفلية ورملية ، كما أنه ينتشر في أحواض العراق وبلاد الشام ، وبخاصة في أودية الأنهار والمنخفضات الداخلية على شكل رواسب قارية من الحصى والرمال والصلصال والجبس .

وتغطي تكوينات الزمن الرابع مساحات واسعة من أراضي الهلال الخصيب . ويمكن تقسيم هذه التكوينات إلى الأنواع التالية :–

١ – رواسب فيضية تكونت في أودية الأنهار على هيئة حصى ورمال خشنة وصلصال تعلوها تربة الأراضي الزراعية . ومن أمثلتها تكوينات أودية أنهار العراق وبلاد الشام .

٢ – رواسب رملية تملأ الأودية الجافة والمنخفضات الصحراوية، وبخاصة في بادية الشام.

٣ – رواسب الكثبان الرملية على طول سواحل بلاد الشام ، وفي جنوبي الأردن وفلسطين شكل (٢) .

التضاريس

تتفاوت أشكال سطح الأرض داخل إقليم الهلال الخصيب بسبب العوامل الباطنية التي سبق أن أشرنا إليها عند الحديث عن البنية الجيولوجية ، كالحركات الرافعة والخافضة ، وحركات التصدع والحركات الالتوائية ، والثورانات البركانية . كما لعبت العوامل الخارجية دورا مهما في تشكيل سطح الأرض كعوامل التعرية والإرساب بفعل الأمطار والسيول والرياح وغيرها . لذا تتنوع أشكال سطح الأرض من منطقة إلى أخرى ، فهناك المرتفعات الجبلية والهضاب والسهول والأغوار . وإذا كان تفاوت التركيب الجيولوجي يؤدي إلى تفاوت أنواع الصخور ، فإن هذا الأخير يؤدي إلى تفاوت أنواع المعادن والتربة والمياه الجوفية وغيرها . ويؤدي تفاوت أشكال سطح الأرض إلى تفاوت في المناخ والتربة والنباتات الطبيعية والغلات الزراعية . وينعكس هذا التنوع على النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية للسكان ، الأمر الذي يجعل إمكانات الهلال الخصيب كبيرة .

ويمكن أن نقسم الهلال الخصيب إلى ثلاثة أقاليم فزيوغرافية رئيسة هي : (شكل ٣) .

١ – إقليم المرتفعات الجبلية .

٢ – إقليم الهضاب .

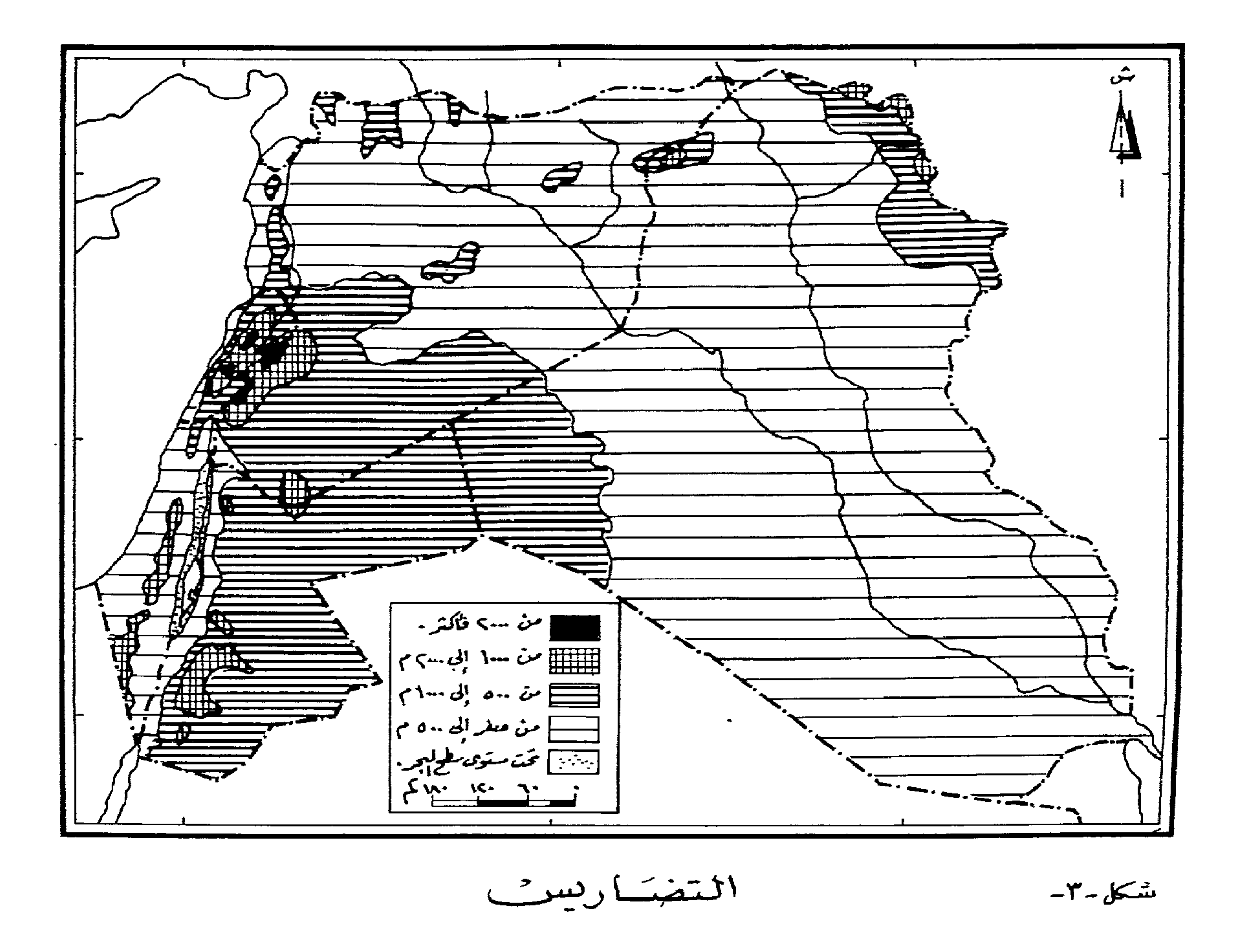
٣ – إقليم السهول والأغوار .

أولا – إقليم المرتفعات الجبلية : يمكن أن نقسم المرتفعات الجبلية إلى مجموعتين : الأولى مجموعة جبال الشام ، والثانية مجموعة جبال كردستان وزاغروس . وتربط بين المجموعتين الغربية والشرقية أقدام جبال طوروس في الأطراف الشمالية من الهلال الخصيب .

أما مجموعة جبال الشام ، فهي تمتد بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر المتوسط على هيئة سلسلتين متوازيتين بين منحدرات جبال طوروس في الشمال حتى خليج العقبة في

الزمن الأول
صخور نارية ومتحولة
حرات بازلتية حديثة
الزمن الرابع
الزمن الثالث
الزمن الثاني
٦٠ ١٢٠ ١٨٠كم
ش

شكل - ٢ - التركيب الجيولوجي



شكل -٣- التضاريس

الجنوب . وتنحصر بين هاتين السلستين حفرة الانهدام الانكسارية التي تعد مكملة لأخدود البحر الأحمر وخليج العقبة . وتسهيلا للدراسة يمكن تقسيم سلسلتي جبال الشام إلى أربع كتل منفصلة ، تتألف كل كتلة من سلسلتين متقابلتين ، تفصل بينهما السهول أو الأودية أو البحيرات . وهذه الكتل هى[٦] :-

أ - **كتلة جبال أمانوس - جبال الأكراد** : تمتد جبال أمانوس (اللكام) على شكل قوس طوله ١٨٠ كم ، وتتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي . ويتكون هذا القوس من ثلاث كتل متميزة هي : جبل كاوور طاغ (جبل الكافر) في الشمال ، وجبال أمانوس في الوسط ، وجبل قزل طاغ (الجبل الأحمر) في الجنوب . ويفصل الأولى عن الثانية ممر بفجه ، ويفصل الثانية عن الثالثة ممر بيلان ، وهذان الممران هما الوحيدان اللذان يقطعان سلسلة الجبال ويصلان بلاد الشام بتركية . وإلى الشرق من ذلك الالتواء ، تمتد سلسلة من الالتواءات تكاد تكون موازية له ، وإن كانت أقل ارتفاعا منه . وتشتمل هذه السلسلة على جبلي الأكراد وسمعان . ويفصل سهل العمق بين جبال أمانوس وجبل الأكراد ، حيث تقع بحيرة العمق ومدينة أنطاكية في قلب السهل .

ب - **كتلة النصيرية - الزاوية** : تتألف من جبال النصيرية (العلويين) في الغرب ، وجال الزاوية في الشرق . وتمتد جبال النصيرية من الشمال إلى الجنوب مسافة ١٥٠ كم بموازاة الساحل ، ويتراوح عرضها بين ٢٠ و٣٥ كم . ويحدها النهر الكبير الشمالي من الشمال والنهر الكبير الجنوبي من الجنوب . وتفصل فتحة حمص الطبيعية بينها وبين جبال لبنان الغربية ، مثلما يفصل سهل الغاب بينها وبين جبال الزاوية . ويرتفع في الشمال الغربي من جبال النصيرية جبل الأقرع (١٧٦٠ م) ذو القمة المخروطية . وبالرغم من قلة ارتفاع جبال النصيرية ، إلا أنها قليلة الممرات ، صعبة المسالك ، ويهبط منها الإنسان بمدرجات نحو الشاطئ في الغرب ، وتقطع حافتها الغربية مجاري الأنهار القصيرة السريعة الجريان . ويقل ارتفاع جبال الزاوية عن جبال النصيرية ويفصل بينهما سهل الغاب ، الذي يجري فيه نهر العاصي . وتمتد جبال الزاوية من الشمال إلى الجنوب موازية للأجزاء الشمالية من جبال النصيرية .

جـ - كتلة جبال لبنان الغربية والشرقية : تعد هذه الكتلة من أهم أجزاء سلاسل جبال الشام ، وتمتد إلى الجنوب من فتحة حمص - طرابلس . وترتفع على هيئة كتل ضخمة ، كالحائط العظيم ، من النهر الكبير الشمالي إلى الحوض الأدنى لنهر الليطاني . ويتجه هذا النظام الجبلي المزدوج من شمال الشمال الشرقي إلى جنوب الجنوب الغربي مسافة ١٧٠ كم تقريبا ، ويتراوح عرض كل من جبال لبنان الغربية والشرقية بين ٥٠,٢٥ كم تقريبا ، ويفصل بينهما سهل البقاع .

ترتفع جبال لبنان الغربية ارتفاعًا مفاجئا إلى الجنوب من فتحة حمص - طرابلس لتصل إلى ٢٢٠٠م ، وتسمى هذه الحافة الشمالية باسم جبل عكار ، ثم تزداد ارتفاعا حتى تصل إلى منطقة الجرد ، أى منطقة القمم الصخرية الجرداء . وهذه القمم ليست قمما مفردة شاهقة، بل هي منطقة متسعة مستطيلة تكاد تكوّن هضبة فى الشمال: هضبة القرنة السوداء على ارتفاع ٣٠٨٩م . وهضبة صنين على ارتفاع ٢٦٢٨م . وتقل ممرات جبال لبنان الغربية ، لذا فهي صعبة المسالك . وأهم ممراتها ممر ظهر البيدر (١٤٠٠م) الذي يعبره الخط الحديدى وطريق السيارات بين بيروت ودمشق .

أما جبال لبنان الشرقية فتبدأ في جنوب حمص متجهة نحو الجنوب الغربي حتى وادي بردي وسهل الزبداني . وهي عبارة عن كتلة مرتفعة مستطيلة ، وتنقسم إلى قسمين رئيسين : القسم الأكبر في الشرق والشمال ، وأعلى قممها حليمة (٢٤٦٤م) ، وطلعة موسى (٢٦٣٦م) وقمة الشقيف (٢٦٧٠م) . أما القسم الغربي فيتكون من كتلة حرمون التي منها جبل الشيخ (٢٨١٤م) ، وهو أعلى قمم هذه السلسلة . وتقل الممرات في جبال لبنان الشرقية ، لذا فهي وعرة المسالك ، وأهم ممراتها ، ممر سرغايا ووادي المقرن ، اللذان يقابلان ممر ظهر البيدر من ناحية جبال لبنان الغربية(٧) .

د - كتلة جبال فلسطين والأردن : تتألف من كتل جبلية متوسطة الارتفاع (٩٠٠م) ، وهي أقرب إلى الهضاب منها إلى الجبال . ويضم القسم الغربي منها سلاسل جبلية متقطعة ، تبدأ من جبال عامل في لبنان ، والجليل في فلسطين ، ثم جبال نابلس وامتدادها الشمالي الغربي في جبل الكرمل المشرف على حيفا ، ثم جبال القدس والخليل

وتلال النقب .

أما القسم الشرقي فيبدأ من جنوب نهر اليرموك وينتهي عند خليج العقبة ، وهو عبارة عن هضبة مرتفعة قطعتها الأودية النهرية التي تشق طريقها نحو وادي الأردن . وتضم هذه الهضبة كتلا جبلية مرتفعة تتخذ شكل المحدبات أحيانا ، كما هو الحال بالنسبة لمحدب عجلون ، وشكل القباب أحيانا أخرى ، كما هو الحال بالنسبة لقبة السلط ، وهناك بعض الطيات الجبلية في منطقة عمان . أما منطقة الكرك فتعرف بهضبة مؤاب التي تنحدر بشدة نحو البحر الميت وببطء نحو البادية الصحراوية ، وإلى الجنوب من الكرك ، تبدأ جبال الطفيلة ثم جبال الشراة في جنوب الأردن ، وهي سلاسل جبلية وعرة المسالك وشديدة الانحدار نحو وادي عربة .

ويختلف هذا العارض الجبلي الشرقي عن جبال فلسطين بتماسكه من الشمال إلى الجنوب ، ويتجاوز ارتفاعاته عنها . وهكذا يختلف الأمر هنا عما هو في جبال لبنان ، فلا تكون المرتفعات الغربية في فلسطين حاجزا للأمطار الآتية من البحر المتوسط عن المرتفعات الشرقية في الأردن .

ثانيا : إقليم الهضاب (بادية الشام) :

يعتبر هذا الإقليم الامتداد الشمالي لإقليم الهضاب في شبه جزيرة العرب ، ويعرف باسم بادية الشام ، التي تمتد بين المرتفعات الجبلية الطوروسية شمالاً وصحراء النفود ، جنوبا ، كما تمتد بين سهول دجلة والفرات شرقا ومنحدرات جبال الشام غربا . ويبلغ متوسط ارتفاع بادية الشام حوالي ٦٠٠م ، فوق سطح البحر ، وتنحدر بصفة عامة من الغرب إلى الشرق ، وهي تدخل ضمن حدود العراق وسورية والأردن .

يتخذ سطح الأرض في هذا الإقليم الهضبي شكلا منبسطا إلى متموج بصفة عامة . ولا يخلو من الصدوع التي أدت إلى هبوط الأرض على طول امتدادها ، حيث لعبت عوامل التعرية الصحراوية فيما بعد ، دورا في تكوين المنخفضات داخل الإقليم . ومن أمثله هذه المنخفضات : منخفض تدمر ، وحوض دمشق في سورية ، ومنخفض الثرثار في العراق ، ومنخفض الأزرق ووادي سرحان في الأردن . وتظهر بعض الكتل الجبلية

البارزة فوق سطح الأرض الهضبية ، مثل جبل سنجار في العراق ، وجبل عبد العزيز وجبل بشرى ، وجبل الدروز في سورية ، وجبال معان قرب الحدود السعودية ، في الأردن . وقد أسهمت الاندفاعات البركانية العنيفة في تكوين بعض هذه الجبال ، كما هو الحال في جبل الدروز ، في حين انتشرت الحرات البازلتية فوق مساحات من أراضي البادية في سورية والأردن . وتكثر الأودية الجافة ذات التصريف الداخلي في بادية الشام ، وهي غنية بالنباتات الطبيعية التي يرد إليها الرعاة بحيواناتهم لرعيها .

ويمكن أن نقسم إقليم الهضاب إلى أقاليم جيومورفولوجية كمايلي(٨) :

أ – **سهول حلب** : تبدأ سهول حلب في الشمال عند الحدود التركية ، بسهول كلسية منبسطة يبلغ عرضها في أطراف حلب ٨٠ كم ، وتضيق تدريجيا نحو الجنوب الغربي محاذية جبال سمعان حتى الحدود الشمالية لجبل الزاوية . وتنتاب هذه السهول حدبات ووهدات عريضة جدا ، حيث تبدو الصخور عارية تقريبا فوق الظهرات ، وتتجمع التربة الحمراء في قاع الوهاد . وتظهر السهول في مناطق الباب ومنبج ، على شكل هضبة ذات مظهر متموج وارتفاع يبلغ ٥٠٠م .

ب – **جبال البلعاس البويضة** : تمثل عارضا جبليا يتجاوز ارتفاعه ١٠٠٠م ، ويمتد من وادي الفرات إلى نقطة تبعد ٤٠ كم للشرق من السلمية . ويتشكل هذا العارض الجبلي من كتلتين : إحداهما جبلية على طول ١٥٠ كم ، وتضم جبال الشومرية والبلعاس والشاعرة والبويضة والأبيض . وثانيتهما كتلة هضابية لا يتجاوز ارتفاعها ٨٠٠م ، وتعرف باسم جبل البشرى .

جـ – **السلاسل التدمرية وهضاب القلمون** : تشكل هذه السلاسل الجبلية ثلاث زمر متتالية تحصر بينها هضابا مقعرة تأخذ بالارتفاع تدريجيا نحو الغرب . وقد ردمت بمواد لحقية ، وظهرت فيها بعض الينابيع ، وتجمعت حولها القرى والحياة البشرية . وتفصل حدود هذه السلاسل الجبلية نحو الشرق المنطقة الصحراوية في الشرق عن المنطقة المعمورة في الغرب . ففي الشرق يسود المناخ الجاف وتنعدم المياه تقريبا ، وهنا ندخل في منطقة الحماد أو السهوب الصحراوية .

د - **هضبة الحماد** : تشكل سهولا صحراوية فسيحة الأرجاء ، وتمتد حتى نهر الفرات شرقا ، وهضبة البادية الأردنية جنوبا . وتأخذ هذه المنطقة المنبسطة في الارتفاع تدريجيا حتى تصل إلى جبل عنزة (١٠٠٠م) على تخوم الهضبة النجدية . وليست هذه الهضبة منبسطة تماما ، فهي أقرب إلى التموج منها إلى الاستواء ، وتغطى محدباتها بأحجار صوانية ، في حين تغطى منخفضاتها الفسيحة بتربتي اللوس والطمي اللتين ترسبتا بفعل الرياح والسيول .

وتهبط من هضبة الحماد أودية جافة عميقة عريضة ، تتجه إلى الشمال الشرقي لتنتهي في الفرات . وتدل هذه الأودية على ماض ماطر لهذه المنطقة ساعد على حفرها وتعميق مجاريها . ويمكن العثور على مياه جوفية قريبة من سطح الأرض في قيعان الأودية والمنخفضات والأحواض التي تنتشر هنا وهناك داخل الهضبة . ويستفيد البدو المتجولون من هذه الأودية كمسالك مفضلة لديهم لإمكان العثور على المياه من جهة ، ولتوافر الرطوبة في التربة ، وما يترتب على ذلك من غنى النباتات الطبيعية من جهة ثانية .

هـ - **الهضاب البركانية** : بينما نرى انبساط الأرض يسيطر في الشرق والجنوب الشرقي من هضبة الحماد ، نجد أن المنطقة الممتدة بين غوطة دمشق والحدود السورية الأردنية الفلسطينية تقدم لنا منظرا فريدا يختلف تمام الاختلاف عما نراه في هضبة الحماد إذ ندخل في منطقة جبل الدروز وحوران والجولان . وهي هضاب يتفاوت سطحها بين منبسط كما هو الحال في هضبة حوران ، ومتموج كما هو الحال في هضبة الجولان ، وجبلي كما هو الحال في جبل الدروز . وقد أسهمت الاندفاعات البركانية القديمة في ظهور الجبال المخروطية والحرّات البازلتية السوداء . وتقدر مساحة هذه الكتلة البركانية بنحو ٣٣(ألف) كم^{٢} ، منها ٢٠ (ألف) كم^{٢} ، في الأراضي السورية ، والباقي في الأراضي الأردنية والفلسطينية . وتظهر هذه الأراضي البركانية في معظمها على شكل هضاب بازلتية قد زال من فوقها أثر المخاريط البركانية ، أو أنها نشأت من اندفاعات تدفقت من صدوع دون أن تترك أثرًا للمخاريط .

إن أعظم كتلة بركانية هي كتلة جبل الدروز التي تتشكل من حمم فوق بعضها ،

ليتجاوز ارتفاعها ١٥٠٠م فوق سطح البحر . وتعلو الطبقات الحممية مخاريط صغيرة بركانية يصل ارتفاعها إلى ١٨٠٠م . وتتساقط سفوح هذه الكتلة الوعرة من القمم نحو الأطراف بمنحدرات مشوشة حتى ارتفاع ١٠٠٠م ، حيث تهدأ الأرض نسبيا ، وعندها ندخل في المناطق المعمورة بالسكان .

وإلى الجنوب الشرقي من جبل الدروز تصبح الأرض منبسطة مغطاة بطبقة من الحجارة المتراصة المحدودة الناعمة السوداء ، وتسمى جميع هذه الأنواع من الأراضي البركانية ذات البازلت (بالحرة) . وتمتد اللجاة على مساحة ١٠٠٠كم^2 نحو الشمال الغربي من كتلة جبل الدروز . وقد تشكلت اللجاة ذات الأرض الوعرة من الحمم البركانية التي تدفقت وسالت على موجات متعاقبة . وإلى الغرب من جبل الدروز تمتد هضبة الجولان ذات السطح المتموج لوجود التلال والأودية ، وتطل هضبة الجولان بحواف شديدة الانحدار على كل من وادي الأردن غربا ووادي اليرموك جنوبا[٩] .

ثالثا : إقليم السهول والأغوار :

يمكن أن نقسم السهول في الهلال الخصيب إلى ثلاثة أنواع هي :

أ — السهول الفيضية ب — السهول الغورية جـ — السهول الساحلية .

أ — **السهول الفيضية** : يقصد بها تلك السهول التي كونتها الأنهار مثل سهول دجلة والفرات ، وسهول الأودية النهرية في بطون مرتفعات الشام . أما عن سهول دجلة والفرات فإنها تشغل نحو خُمس مساحة العراق ، أي ما يساوي نحو ٩٣ (ألف) كم^2 . ويرجع تكوين هذه السهول إلى الإرسابات النهرية التي جلبتها مياه دجلة والفرات وروافدهما ، وملأت بها الالتواء المقعر الكبير الذي تشغله هذه السهول . ويتراوح ارتفاع الأرض بين مستوى سطح البحر و ١٠٠م فوق سطح البحر[١٠] . ومما يسترعي الانتباه أن السهل الرسوبي لم يكتمل إرسابه بعد ، بدليل وجود الأهوار التي هي عبارة عن مستنقعات وبحيرات لا ترتفع كثيرا عن مستوى سطح البحر ، وتغطيها في الوقت الحاضر المياه التي جاءت بها السيول والفيضانات .

ب — **السهول الغورية** : تشتمل على سهول وادي الأردن الممتدة مسافة ٣٦٠ كم

إلى الشمال من خليج العقبة . وتنحدر سهول كل من وادي عربة والغور الأردني نحو البحر الميت ، الذي يقبع في أكثر بقاع الأرض انخفاضا . وفي وسط الغورالأردني تمتد سهول نهر الأردن الفيضية (الأزوار) على طول مجرى نهر الأردن من بحيرة طبرية حتى البحر الميت . وتمتد سلسلة من الأرض الرديئة ، تعرف محليا باسم « الكتار » لتشكل حدا بين مستوى كل من الأراضي الغورية السهلية والأراضي الزورية السهلية ، وذلك على جانبي نهر الأردن الأدنى . ويتراوح الاختلاف في منسوبي أراضي الغور والزور بين ٢٠ و ٤٠م . حيث يرتفع منسوب الغور عن منسوب الزور في مستويين واضحين . ويمتد سهل الحولة في أقصى الطرف الشمالي الشرقي لفلسطين ، حيث يجري نهر الأردن قادما من لبنان وسورية . ويمثل سهل الحولة الجزء الشمالي من وادي الأردن ، غير أنه يرتفع نحو ١٠٠م فوق سطح البحر ، في حين ينخفض مستوى غور الأردن عن مستوى سطح البحر ، ويزداد انخفاض الغور كلما اتجهنا نحو الجنوب ليصل إلى أقصاه في البحر الميت[١١] .

ويمتد سهل البقاع إلى الشمال من سهل الحولة منحصرا بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية . وفي منتصف سهل البقاع ترتفع الأرض نسبيا عن بقية أجزاء البقاع ، فيما يعرف بخط تقسيم المياه عند خط عرض بعلبك . أما الجزء الشمالي من البقاع فإنه ينحدر نحو الشمال ، حيث يجري نهر العاصي ليعبر الحدود اللبنانية السورية في طريقه إلى سهل الغاب في سورية . وأما الجزء الجنوبي من البقاع فإنه ينحدر نحو الجنوب حيث يجري نهر الليطاني في طريقه إلى جنوب لبنان فالبحر المتوسط . ويتراوح اتساع سهل البقاع بين ٥ – ٢٥كم ، ويبلغ طوله نحو ١٢٠كم ، ويبلغ متوسط ارتفاعه نحو ٨٠٠م فوق سطح البحر .

وتفصل فتحة حمص – طرابلس بين سهل البقاع في الجنوب وسهل الغاب في الشمال ، وقد أسهمت هذه الفتحة الطبيعية في تسهيل اتصال السهلين مع كل من بادية الشام وساحل البحر المتوسط . ويمتد سهل الغاب في سورية منحصرا بين جبال الزاوية في الشرق وجبال النصيرية في الغرب . وهو سهل منخفض نسبيا ، ويجري في وسطه

نهر العاصي متجها نحو الشمال . وقد ظهرت بعض الطفوح البركانية على سطح الأرض في قاع الغاب خلال عصر البليوستوسين ، وأسهمت هذه الصخور البازلتية التي كانت بمثابة عتبة أرضية أو سد صخري في إعاقة جريان المياه بصورة طبيعية في نهر العاصي ، الأمر الذي أدى إلى فيضان مياه النهر على الجانبين وتكوين مستنقعات على طول مجرى النهر . وقد قامت سورية بتجفيف هذه المستنقعات واستصلاح أراضيها للزراعة الكثيفة . وإلى الشمال من سهل الغاب ، يمتد سهل العمق الذي ينحصر بين جبال الأمانوس غربا وجبال الأكراد شرقا . وتقع بحيرة العمق ومدينة أنطاكية في قلب السهل . وقد تم تجفيف المستنقعات ، واستصلاح أراضي السهل بعد أن تم تصريف المياه ، وتحولت مساحات واسعة إلى أراض زراعية مروية .

جـ - **السهول الساحلية** : تمتد كشريط متصل من الأراضي المنبسطة بمحاذاة الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط في سورية ولبنان وفلسطين . وتبدأ من منطقة اللاذقية ، حيث تشكل سهول العلويين ، التي تأخذ في الاتساع نحو الجنوب حتى تصبح سهلا فسيحا يفصل بين جبال النصيرية (العلويين) وجبال لبنان الغربية . وتسمى في هذا القسم « سهول عكار » ، وهي سهول خصبة ترويها أنهار كبيرة أهمها النهر الكبير الشمالي والنهر الكبير الجنوبي . وتكاد تنعدم السهول الساحلية بين طرابلس وبيروت بسبب قرب الجبال الساحلية من البحر . غير أنها تأخذ في الاتساع تدريجيا جنوب بيروت ، وتعرف باسم سهول صيدا وصور ، وهي سهول خصبة كثيرة المياه والينابيع .

وفي فلسطين تبدأ السهول الساحلية بسهل عكا الذي يمتد من رأس الناقورة حتى حيفا ، ويتسع هذا السهل قليلا بسبب تراجع جبال الجليل نحو الداخل . ويرتبط مع سهل مرج ابن عامر عن طريق فتحة طبيعية يجري نهر المقطع عبرها قادما من سهل مرج ابن عامر ومخترقا جنوب سهل عكا في طريقه للبحر المتوسط . ويمتد السهل الساحلي لفلسطين بين جبل الكرمل ، الذي تقوم مدينة حيفا على جزء منه شمالا ، والحدود المصرية عند رفح جنوبا . ونظرا لتقدم جبل الكرمل نحو البحر فإن السهل يبدأ ضيقا بحيث لا يتجاوز اتساعه مئات الأمتار ، ثم يأخذ في الاتساع تدريجيا كلما اتجهنا جنوبا ،

حيث تتراجع المرتفعات الجبلية الفلسطينية مبتعدة عن البحر نحو الداخل ، إلى أن يصل أقصى اتساع له (٣٠ كم) بين غزة والفالوجا . ويعرف السهل الساحلي بخصوبة تربته (تربة البحر المتوسط الحمراء) وصلاحيتها لزراعة الأشجار المثمرة عامة والحمضيات بخاصة . وتتوافر المياه فيه من مصادرها السطحية والجوفية . وتفصل بينه وبين شاطئ البحر كثبان رملية تحوّل معظمها إلى أراض زراعية أو معمورة .

المناخ

يتأثر مناخ الهلال الخصيب بموقعه الجغرافي في شرقي البحر المتوسط ، وبتوغل الصحراء (بادية الشام) في وسطه ، وبنظام تضاريسه من حيث ارتفاع الأرض وانخفاضها ، واتجاه محاور السلاسل الجبلية في بلاد الشام ، ووجود بعض الفتحات الطبيعية بين المرتفعات الجبلية ، ويتأثر الهلال الخصيب بظروف المناخ الحار الجاف في نصفه الجنوبي ، في حين يتأثر بالمناخ المعتدل الرطب في نصفه الشمالي . وتؤثر المنخفضات الجوية التي تعبر البحر المتوسط ، على المناخ شتاء ، وتسبب هطول معظم الأمطار على الإقليم ، لهذا كانت الأجزاء الغربية أكثر أمطارا من الأجزاء الشرقية ؛ لأن الأولى تواجه الرياح المطيرة وتستقبلها قبل الثانية . ويتأثر الإقليم أيضا بتركز بعض المنخفضات الجوية المحدودة أحيانا في شمال البحر الأحمر في فصل الربيع ، فتحدث اضطرابات في الجو لاندفاع كتل هوائية نحوها ، وتهطل أمطار في بادية الشام الجنوبية نتيجة ارتفاع الهواء إلى طبقات الجو العليا . كما يتأثر الإقليم أيضا بتركز منخفض جوي شبه دائم في فصل الصيف فوق جزيرة قبرص ، فيجذب نحوه ذيل الرياح الموسمية التي تهب أصلا على الهند قادمة من المحيط الهندي ، وتكون هذه الرياح جافة شرقية بالنسبة لإقليم الهلال الخصيب .

وفيمايلي عرض لعناصر المناخ في إقليم الهلال الخصيب :

الحرارة : تصل أعلى المتوسطات السنوية لدرجات الحرارة إلى ٢٥ درجة مئوية

في بعض مناطق الهلال الخصيب ، كجنوب العراق والبادية الأردنية والبحر الميت ووادي عربة . وتصل أدنى المتوسطات السنوية لدرجات الحرارة إلى ١٠ درجات مئوية ، كما هو الحال في المرتفعات الجبلية لبلاد الشام ، وشمال العراق . وتتمثل أدنى متوسطات درجات الحرارة الصغرى لأبرد شهر في السنة في جبل الدروز (– ٢ْ م) وجبال كردستان (أقل من صفر) . وفي المقابل نجد أن أعلى متوسطات درجات الحرارة العظمى لأحر شهر في السنة تتركز في بادية الشام (٤٤ْم) .

وتصل أدنى درجات الحرارة الصغرى المطلقة في جبال لبنان إلى – ١٩ْم ، وفي شمال سورية تصل إلى – ١٧ْم ، بينما تصل إلى – ١٤ْم في كل من جبل الدروز وبادية الشام ، وتصل إلى – ١٣ْم في كل من سهل البقاع الشمالي ومرتفعات الأردن الجنوبية . أما أعلى درجات الحرارة العظمى المطلقة فإنها تتجاوز ٥٠ْم في غور البحر الميت ، وجنوبي العراق ووسطه ، وتصل إلى ٤٨ْم في بادية الشام .

ويقل المدى الحراري السنوي في المناطق الساحلية من بلاد الشام بحيث يصل إلى ٢٢ْم ، في حين نجده يرتفع إلى ٣٦ْم في المرتفعات الجبلية الغربية لبلاد الشام ، ويصل إلى ٣٨ْم في المرتفعات الجبلية الداخلية ، وبادية الشام ، كما يصل إلى ٤٠ْم في شمال العراق . ويقل مجموع درجات الحرارة المتراكمة فوق ١٠ْم عن ٢٠٠٠ْم في المرتفعات الجبلية للهلال الخصيب(١٢) .

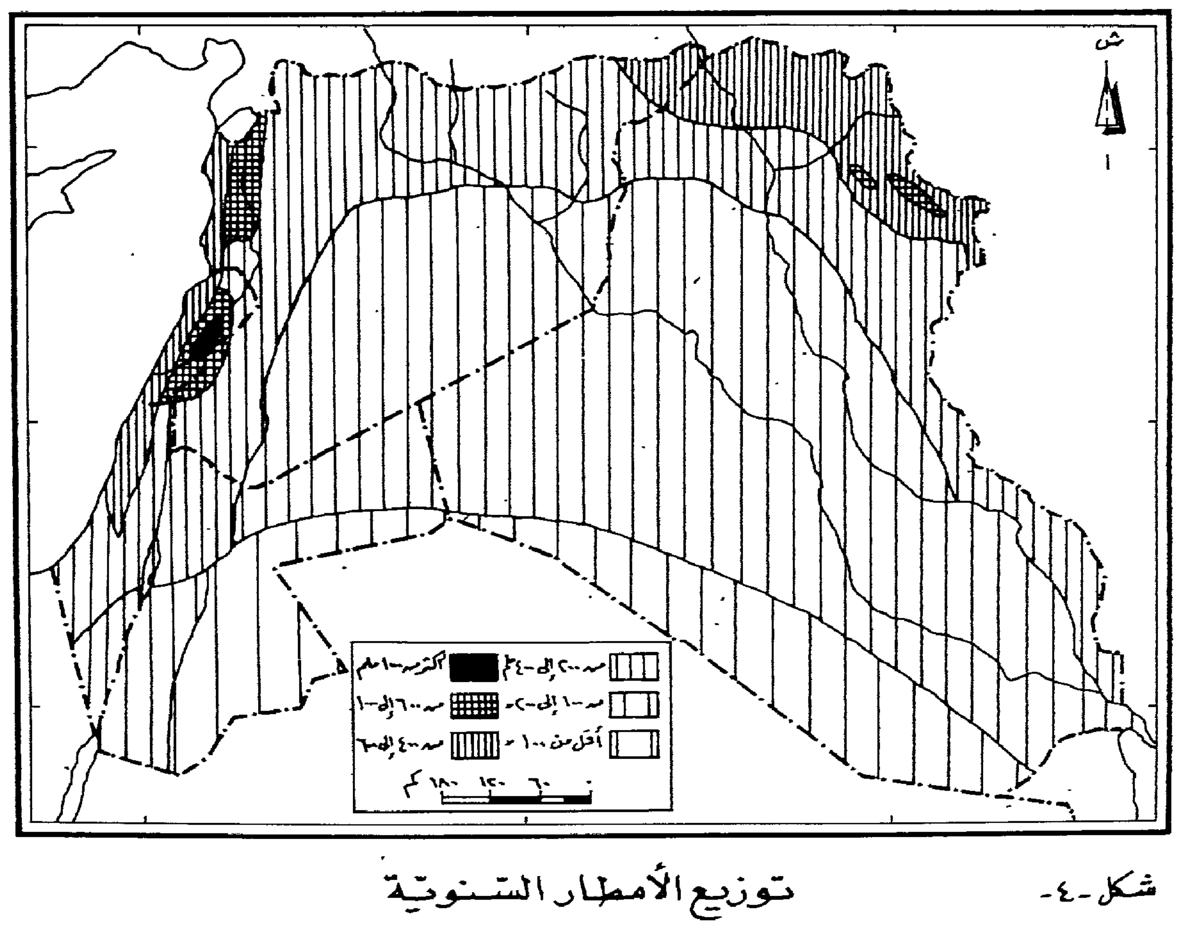
الأمطار : تتمتع المرتفعات الجبلية بحظ وافر من الأمطار . إذ يبلغ معدلها السنوي نحو ١٥٠٠ملم في جبال لبنان الغربية ، ونحو ١٤٠٠ملم في جبال النصيرية ، ونحو ١٢٠٠ملم في جبل الشيخ ، ونحو ١٠٠٠ملم في كل من الأطراف الشمالية من السهول الساحلية وجبال كردستان . وتتناقص كميات الأمطار السنوية من الشمال إلى الجنوب في كل من إقليم المرتفعات الجبلية وإقليم الهضاب وإقليم السهول والأغوار . ففي السهول الساحلية مثلا تتناقص كميات الأمطار تدريجيا من ١٠٠٠ملم في اللاذقية إلى ٢٥٠ملم في غزة . وفي سهول حفرة الانهدام الأخدودي تتناقص من ٨٠٠ملم في سهل الغاب إلى ٤٠٠ملم في سهل البقاع وإلى ٣٠٠ملم في غور الأردن وإلى ١٠٠ملم في غور

البحر الميت وإلى ٥٠ملم في وادي عربة . وفي بادية الشام تتناقص كميات الأمطار من ٢٠٠ملم في البادية السورية إلى أقل من ١٠٠ملم في البادية الأردنية . وفي العراق تتناقص كميات الأمطار من ٤٠٠ملم في منطقة الموصل إلى أقل من ١٠٠ملم في منطقة بغداد وإلى نحو ٥٠ملم في منطقة البصرة .

وفي المرتفعات الغربية لبلاد الشام تتناقص كميات الأمطار السنوية من ١٥٠٠ملم في جبال لبنان الغربية إلى ٧٠٠ملم في جبال الجليل وإلى ٥٠٠ملم في جبال القدس والخليل . كما تتناقص في المرتفعات الشرقية لبلاد الشام من ٦٠٠ملم في جبال لبنان الشرقية إلى ٥٠٠ملم في جبال عجلون وإلى ٣٠٠ملم في جبال الطفيلة .

وإذا تتبعنا توزيع الأمطار عبر قطاع عرضي من أراضي الهلال الخصيب بين قوسه الغربي وقوسه الشرقي ، اتضح لنا أن المنحدرات الغربية للمرتفعات الجبلية في بلاد الشام تستأثر بقسط وافر من الأمطار بسبب ارتفاعها ومواجهتها للرياح المطيرة . وتقل الأمطار في المنحدرات الشرقية لهذه المرتفعات وكذلك في حفرة الانهدام الأخدودي ، لوقوعها في ظل المطر . كما تقل الأمطار بشكل ملحوظ في بادية الشام وفي النصف الجنوبي من العراق ، في حين ترتفع كمية الأمطار نسبيا في أراضي الجزيرة السورية والعراقية ، وكذلك في المنحدرات الغربية لجبال كردستان[١٣] . (شكل ٤) .

تبلغ كمية الأمطار السنوية التي تهطل على إقليم الهلال الخصيب حوالي ١٧٤ بليون م٣ ، أو مانسبته ٧,٨٪ من إجمالي كمية الأمطار السنوية التي تهطل على العالم العربي (٢٢١١ بليون م٣) . ويتفاوت توزيع الأمطار وكثافتها بين قطر وآخر داخل الهلال الخصيب ، فالأردن يتلقى كمية أمطار سنوية تعادل حوالي ٧ بلايين م٣ ، بكثافة أمطار تبلغ ٧٣,١٠٨ م٣/كم٢ . وسورية تتلقى كمية أمطار سنوية تعادل حوالي ٥٣ بليون م٣ ، بكثافة أمطار تبلغ ٢٨٤,٨٠٣ م٣/كم٢ . أما العراق فإنه يتلقى حوالي ١٠٠ بليون م٣ ، بكثافة أمطار تبلغ ٢٢٩,٧٢٠ م٣/كم٢ . وأما فلسطين فإنها تتلقى حوالي ٨ بلايين م٣ ، بكثافة أمطار تبلغ ٣٨٧,٤٨٧ م٣/كم٢ . وأما لبنان فإنها تتلقى حوالي ٧ بلايين م٣ ، بكثافة أمطار تبلغ ٦٥٧,٢١١ م٣/كم٢[١٤] .



شكل -٤- توزيع الأمطار السنوية

الرطوبة النسبية :- ترتفع معدلات الرطوبة النسبية في فصل الشتاء ، وتقل في فصل الصيف . ففي فصل الشتاء تبلغ معدلات الرطوبة النسبية ٧٥٪ في المناطق الساحلية ، وتبلغ نحو ٨٠٪ في المناطق المرتفعة الشمالية ، ونحو ٧٠٪ في المناطق المرتفعة الجنوبية ، ونحو ٦٠٪ في العراق ، ونحو ٥٠٪ في بادية الشام .

وتبلغ معدلات الرطوبة النسبية خلال الصيف نحو ٧٠٪ في المناطق الساحلية وتنخفض إلى ٦٠٪ في المرتفعات الجبلية الشمالية ، و ٥٠٪ في المرتفعات الجبلية الجنوبية ، كما تتدنى إلى ٤٠٪ في العراق وإلى ٣٠٪ في بادية الشام[١٥] .

الثلوج :- تسقط الثلوج فوق المرتفعات الجبلية شتاء ، وتبقى طوال فصل الشتاء وحتى أوائل الصيف فوق سلسلة جبال لبنان الغربية وجبل الشيخ . ويتراوح معدل سقوطها بين يومين أو ثلاثة أيام من كل عام . وتسهم الثلوج عند ذوبانها في فيضان بعض الأنهار التي تنبع من المرتفعات الجبلية العالية في الشام والعراق ، كما أنها تسهم في تغذية الخزانات المائية الجوفية التي تستمد الينابيع والآبار مياهها منها .

الموارد المائية

تشمل هذه الموارد ، المياه الباطنية والمياه الجارية على السطح ، ومصدر كل منهما هو مياه الأمطار وذوبان الثلوج . فعندما تهطل الأمطار يتبخر جزء منها ، ويتسرب جزء آخر إلى التربة وإلى جوف الأرض ، بينما يجري جزء ثالث على شكل مسيلات مائية تشكل أنهارًا تصب في البحار . وتسهم الثلوج عند ذوبانها في فيضان الأنهار ، مثلما تسهم الأمطار الغزيرة في فيضاناتها أيضا . غير أن الأنهار تعتمد فى تصريفها الأساسي على ما تزوده العيون والينابيع من مياه تنبثق من جوف الأرض . وتتغذى المياه الباطنية من ماء المطر وذوبان الثلوج ، سواء أكانت مصادرها محلية قريبة ، أم موجودة في الأقاليم المجاورة . وعليه يمكن القول إن الأمطار والثلوج هما المصدران الحقيقيان والأصليان للمياه في الهلال الخصيب .

وتدل قيم التوازن المائي على أن مناطق الفائض المائي تتركز في المرتفعات الجبلية ، وبخاصة في جبال كردستان وزاغروس في شمال شرقي العراق ، وجبال النصيرية (العلويين) في سورية ، وجبال لبنان الغربية والشرقية . وترتبط مناطق الفائض المائي ارتباطا واضحا بالأنهار دائمة الجريان ، ذلك لأنها تزود هذه الأنهار على مدار العام بكميات المياه المستمدة من الأمطار أو الثلوج أو الينابيع . وتنبع معظم أنهار الإقليم من مناطق الفائض المائي المتركزة فوق القمم الجبلية وعلى منحدراتها أو أقدامها . أما مناطق العجز المائي فإنها ترتبط عادة بالنهيرات الفصلية والأودية الجافة ، ولا يعتمد على مياهها كثيرا إلا إذا تم ضبطها بإقامة السدود عليها .

ومما يسترعي الانتباه أن قسما من الموارد المائية لإقليم الهلال الخصيب ينشأ خارج حدوده . فعلى سبيل المثال تقع ٤٥٪ من مساحة حوض دجلة والفرات خارج حدود الإقليم . كما أن قسما من الموارد المائية الجوفية في الأطراف الشمالية للهلال الخصيب يأتي منسابا مع ميل الطبقات الجيولوجية من الأراضي التركية والإيرانية ، حيث تتراكم الثلوج فوق المرتفعات الجبلية ، وتتسرب مياهها بعد ذوبانها نحوه لتنبثق عنها كثير من الينابيع داخل الإقليم .

أ – **المياه الجوفية** :– تظهر المياه الجوفية إلى سطح الأرض ، إما بصورة طبيعية كالينابيع والعيون أو عن طريق حفر الآبار والكهاريز . وتعتبر المياه الجوفية من الموارد المائية المهمة في الواحات الموجودة عند الحافة الشرقية من الهضبة الصحراوية في العراق ، وفي واحات بادية الشام كمنخفضات تدمر في سورية ، والأزرق ووادي السرحان والجفر في الأردن .

تقدر كمية المياه الجوفية المتاحة التي يمكن استغلالها من جميع الطبقات الحاملة للمياه الجوفية وفي الحدود الاقتصادية بحوالي ٦,٥ بليون م^{٣} موزعة على النحو التالي :–

العراق ٢ بليون م^{٣} ، سوريا ٣ بليون م^{٣} ، لبنان ١ بليون م^{٣} ، الأردن ٠,٥ بليون م^{٣} . وتبلغ كمية المياه الجوفية المستغلة حاليا في أربعة أقطار من بلدان الهلال الخصيب حوالي ٤,٥ بليون م^{٣} ، موزعة على النحو التالي : – العراق ١,٢ بليون م^{٣} ،

سورية ٢,٥ بليون م٣ ، لبنان ٠,٥ بليون م٣ ، الأردن ٠,٢ بليون م٣[١٦] .

وتفتقر المرتفعات الجبلية للمياه الجوفية بصفة عامة ، ذلك لأن مياه الأمطار التي تهطل عليها تتسرب إلى أعماق سحيقة داخل الطبقات الصخرية للجبال ، ثم تنحدر مع ميل هذه الطبقات لتظهر على شكل ينابيع داخل بطون الأودية الجبلية ، وعلى طول أقدام الجبال وأطراف السهول والمنخفضات المحاذية للجبال . وفي المقابل نجد أن السهول والمنخفضات والقيعان وبطون الأودية غنية بالمياه الجوفية ، سواء أكانت ينابيع أم آبارًا . ويشتهر الوادي الأخدودي في بلاد الشام بينابيعه الانكسارية العديدة التي تمتد على طول خطوط الانكسارات الطولية للأخدود في بلاد الشام . إضافة إلى ذلك توجد الينابيع الانكسارية على طول الحواف الانكسارية ، وفي الأودية الجبلية التي تسير على طول الانكسارات .

وتعتبر المرتفعات الجبلية التي تحف بحفرة الانهدام في بلاد الشام مصدرا مهما من مصادر المياه الجوفية . إذ إنها تتكون في معظمها من صخور كلسية مسامية تتسرب خلالها مياه الأمطار التي تتلقاها هذه المرتفعات ، وكذلك مياه الثلوج المذابة . وتتجمع هذه المياه في خزانات جوفية من الصخور الكلسية السينومانية والجوراسية التي تغذي الينابيع والآبار الموجودة في حفرة الانهدام نفسها ، وفي كل من السهول الساحلية غربا وبادية الشام شرقا .

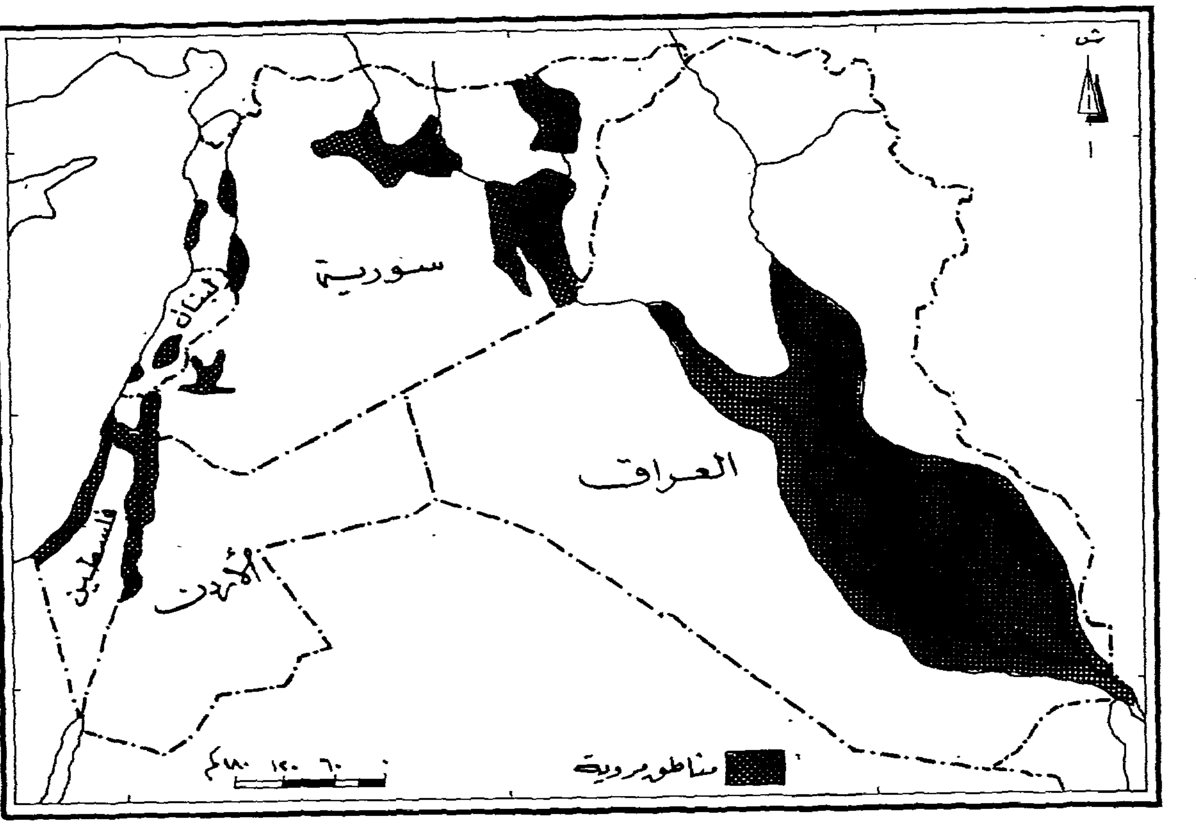
وينطبق الوضع على المنطقة الجبلية في العراق ، حيث تتلقى الجبال ، التي تتألف أساسا من صخور كلسية ، كميات كبيرة نسبيا من مياه الأمطار . وتتسرب المياه التي تتغلغل في مسامات وفجوات وشقوق الصخور خلال الطبقات الجيولوجية الممتدة تحت السطح إلى سهول المنطقة الجبلية وإلى السهل الرسوبي . ولذلك يمكن البحث عن المياه الجوفية في هذه السهول ، غير أن استثمارها بصورة اقتصادية يتوقف على العمق الذي توجد فيه الصخور المسامية الحاوية للمياه . فإذا كانت عميقة جدا كما هو الحال في السهل الرسوبي ، فلا يمكن الاستفادة منها بصورة اقتصادية ، نظرا للتكاليف الباهظة التي تتطلبها أعمال الحفر وضخ المياه إلى السطح ، خاصة وأن الحاجة غير ملحة إلى استثمارها في هذا

السهل الذي تتوافر فيه المياه السطحية . ويمكن الاستفادة من المياه الجوفية في المنطقة شبه الجبلية الممتدة من جبل سنجار باتجاه الموصل وأربيل وكركوك إلى أن تنتهي قرب خانقين . كما أنه يمكن العثور على المياه الجوفية في منطقة الجزيرة الممتدة في الأراضي العراقية والسورية(١٧) .

ب – **المياه السطحية** : يمكن تقسيم المياه السطحية جغرافيا إلى أنهار السهول الساحلية لبلاد الشام ، وأنهار حفرة الانهدام ، وأنهار السهول الداخلية ، وأودية بادية الشام . أما أنهار السهول الساحلية فمعظمها نهيرات أو جداول صغيرة ، قصيرة المجاري وشديدة الانحدار ، لهبوطها من المرتفعات الجبلية المطلة على البحر المتوسط . وتفيض هذه النهيرات بالماء في فصل الشتاء ، ويعتمد بعضها على الينابيع التي تغذيها طوال العام بالمياه . ومن أمثلة أنهار السهول الساحلية يمكن أن نذكر النهر الكبير الشمالي والنهر الكبير الجنوبي ونهر السن في سورية ، وأنهار أبو علي والجوز وإبراهيم والوفا وبيروت والدامور والأولي والقاسمية في لبنان ، وأنهار المقطع والعوجا وروبين في فلسطين .

وأما أنهار حفرة الانهدام فهي أكثر أهمية من أنهار السهول الساحلية ، وذلك لاتساع مساحات أحواضها ، وكبر حجم تصريفها المائيّ . وتنبع معظم هذه الأنهار من الأراضي اللبنانية ، إذ ينبع كل من نهر العاصي ونهر الليطاني من منطقة البقاع اللبناني ، في حين ينبع نهر الأردن من الأراضي اللبنانية والسورية والفلسطينية . وسنتكلم بإيجاز عن كل من هذه الأنهار كما يلي : (شكل ٥) .

نهر العاصي : يجري هذا النهر وروافده في الجزء الأعظم من المنخفض الأوسط المعروف بالبقاع وسهل الغاب ، وتنصرف إليه مياه السفوح الشرقية لجبل الأكراد والسفوح الغربية لجبال أمانوس وقزل طاغ (الجبل الأحمر) ، جارية في رافده الشمالي نهر قره صو الذي يشق منخفض العمق . ويصرف نهر العاصي معظم المياه التي تجري في منخفضات البقاع والغاب والعمق . ويبلغ طوله حوالي ٦٠٠ كم ، أما مساحة حوضه فتبلغ ٢٤ (ألف) كم^2 ، ويصب في البحر المتوسط بعد أن ينحرف مجراه غربا داخل الإسكندرونة.



شكل -٥- الأراضي المروية

أما اتجاه المجرى الرئيس للنهر فهو من الجنوب إلى الشمال . ويختلف مجرى النهر من مكان إلى آخر باختلاف نوع الصخور التي يشق مجراه فيها ، ولذلك كان غائرا عميقا في بعض الأجزاء ، وضحلا متعرجا في بعضها الآخر . وتفيض مياهه في فصل الشتاء ، كما أنه يعتمد في تصريفه الأساسي على مياه الينابيع التي تغذي بعض أجزائه .

وتتوزع مساحة حوض نهر العاصي بين لبنان (١٨٠٠كم^2) وسورية (١٣,٨٠٠ كم^2) ولواء الإسكندرونة في تركية (٨٤٠٠كم^2) . والجدير بالذكر أن ضياع الكثير من مياه نهر العاصي بالتبخر والترشيح والاستعمال البشري يخفض ما يدخل سورية من مياهه إلى ٤٠٠ مليون م^3 في السنة . وتشير أرقام فترة (١٩٣١ - ١٩٧٠) إلى أن الوارد السنوي المتوسط من المياه يبلغ في مركز قطينة ٤٧٠ مليون م^3 ، وفي مركز دركوش ٢٢١١ مليون م^3[١٨] . وقد قام الإنسان بتنظيم مياه نهر العاصي واستغلالها عن طريق بناء السدود وتجفيف المستنقعات التي كانت تفيض على جانبي النهر في سهل الغاب .

نهر الليطاني : ينبع من هضبة بعلبك في البقاع ، ويمتد مجراه في اتجاه شمالي جنوبي عبر مجرى طولي حتى قرية ديرميماس شمالي قرية الطيبة ، ثم ينثني مجرى النهر على شكل زاوية قائمة متجها نحو الغرب ليصب في البحر المتوسط عند بلدة القاسمية . ويعد نهر الليطاني أهم أنهار لبنان ، حيث يسهم بقسط كبير في ري الأراضي الزراعية بسهل البقاع .

يبلغ طول نهر الليطاني من منابعه حتى مصبه نحو ١٧٠كم ، ومساحة حوضه نحو ٢١٦٨كم^2 . ويبلغ حجم تصريفه المائي السنوي نحو ٧٥٠ مليون م^3 عند القاسمية ، قبيل مصبه في البحر المتوسط . ويرتفع التصريف المائي في مجرى النهر خلال الفترة الممتدة من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) إلى شهر إبريل (نيسان) ، أي خلال فصلي الشتاء والربيع . أما أقل الشهور منسوبا بالمياه فهي تلك الممتدة من شهر آيار (مايو) إلى شهر تشرين الأول (أكتوبر) ، أي خلال فصل الصيف الجاف .

وتعتبر مياه حوض نهر الليطاني أهم الموارد المائية في لبنان ، لذا فإن معظم مشروعات الري الأساسية ترتبط باستغلال هذه الموارد . ويهدف مشروع نهر الليطاني إلى خزن

٢٢٠ مليون م^3 من المياه وراء سد القرعون ، إلى جانب توليد طاقة كهرمائية تقدر بنحو ٧٠٠ (ألف مليون) كيلوات ساعة سنويا . وتتلخص فكرة المشروع في الاستفادة من كمية المياه الهائلة التي تنساب من نهر الليطاني إلى البحر المتوسط خلال فصل الشتاء ، وذلك بإقامة سد رئيس يعرف باسم سد القرعون لري الأراضي الزراعية في البقاع الأوسط ، وإقليم الخروب فيما بين المجرى الأدنى لنهر الدامور والمجرى الأدنى لنهر الأولي ، وإقامة سد ثانوي يعرف باسم سد خردلة ، وذلك لري الأراضي الزراعية في جنوبي لبنان[١٩] .

نهر الأردن : ينبع نهر الأردن من جبل الشيخ ويصب في البحر الميت . ويبلغ طوله الحقيقي من منبعه إلى مصبه ٣٢٠كم ، وطوله في خط مستقيم ١٩٢كم . وتزيد مساحة حوضه عن ٤٠ (ألف) كم^2 . ويتجلى عنف نهر الأردن في سرعة تياره ، فهو نهر عظيم الانحدار ، إذ يبلغ مقدار ما يهبطه النهر ٩٢٠م من منبعه الحاصباني (٥٢٢م) حتى مصبه في البحر الميت (– ٣٩٨م) . كما يتجلى عنف النهر في سرعة تقلب تصريف مياهه ، حيث يتدنى هذا التصريف إلى ٥م^3/ثانية في أواخر الصيف ، بينما يرتفع إلى ذروته ليصل إلى ٦٠م^3/ثانية في منتصف الشتاء . وليس من المستبعد أن تتضاعف كمية التصريف ثلاث مرات خلال ٤٨ ساعة نتيجة حدوث فيضانات مفاجئة بفعل الأمطار الغزيرة[٢٠] .

وبالرغم من تقلب صبيب نهر الأردن ، فإن هذا الصبيب ليس كبيرا إذا قورن بالأنهار الأخرى ، فهو فى المتوسط يبلغ ١٢٥ م^3/ثانية ، بينما يرتفع متوسط صبيب نهر النيل إلى ٣ (آلاف) م^3/ثانية ، ويرتفع صبيب نهر الكونغو إلى ٣٥ (ألف) م^3/ثانية . غير أن فعالية نهر الأردن في النحت عظيمة ، وهذا ما تؤكده حمولة النهر ، حيث تبلغ كمية المواد الطينية العالقة بمياهه في حالة الفيضان نحو ٥٥٠٠ جزء في المليون ، وفي الأحوال العادية نحو نصف ذلك القدر ، مقابل ٦٠٠ جزء في المليون لنهر الفرات ، ونحو ٨٠٠ جزء في المليون لنهر دجلة . وتسهم روافد نهر الأردن في تغذيته بهذه الحمولة الضخمة مثلما تسهم في تغذيته بالمياه ، وأهم هذه الروافد أنهار اليرموك والزرقاء في الضفة الشرقية ،

وأنهار جالود والفارعة في الضفة الغربية . ويتراوح متوسط تصريف نهر الأردن قبيل مصبه في البحر الميت خلال الأربعين سنة الماضية بين نهاية عظمى قدرها ١٦٥٠ مليون م^{3} (١٣٦٢ – ١٣٦٣هـ / ١٩٤٢ – ١٩٤٣م) ونهاية صغرى قدرها ٦٤٨ مليون م^{3} (١٣٥٣ – ١٩٥٤هـ / ١٩٣٣ – ١٩٣٤م) . ومنذ أوائل الستينات تمكنت السلطات في فلسطين المحتلة من جر مياه نهر الأردن خارج حوضه لتنفيذ المشروع المركزي لنهر الأردن – النقب .

وإذا انتقلنا إلى أنهار السهول الداخلية إلى الشرق من حفرة الانهدام ، فإن دجلة والفرات يأتيان في المقدمة ، بل إنهما من أهم أنهار إقليم الهلال الخصيب . أما أودية بادية الشام ، فهي أودية جافة ، وتنحدر بشكل عام من الغرب نحو الشرق مخترقة الهضبة الصحراوية في طريقها نحو سهل العراق . وكثير من هذه الأودية ينتهي في منخفضات داخل البادية كمنخفضات تدمر والأزرق والجفر ووادي السرحان وغيرها . وتفيض هذه الأودية إثر هطول الأمطار الفجائية ، وتتحول إلى سيول كاسحة . ويمكن الاستفادة من مياه هذه الأودية إذا تم حجزها وراء السدود ، أو في برك جانبية لأغراض الشرب في البادية . ونظرا لأهمية الدجلة والفرات بالنسبة لكل من سورية والعراق ، فإن من المفيد أن نتحدث بإيجاز عنهما[٢١] :–

نهر دجلة : ينبع نهر دجلة من المرتفعات الواقعة في جنوب شرقي تركية ، ويلتقي بنهر الفرات عند مصب كرمة علي فيكوّنان شط العرب . ويبلغ طول دجلة من منبعه إلى مصبه نحو ١٧١٨ كم ، منها ١٤١٨ كم أي ٨٢٪ من مجموع طوله تقع داخل الأراضي العراقية ، ويقدر متوسط تصريف الدجلة بنحو ٤٤ مليار م^{3} في السنة . وبعد دخول نهر دجلة الأراضي العراقية ترفده من ضفته اليسرى خمسة روافد رئيسة تغذيه بنحو ٦٥,٧٪ من مجموع مياهه السنوية ، وهذه الروافد مرتبة من الشمال إلى الجنوب هي : الخابور والزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم وديالي . وتتفاوت هذه الروافد فيما بينها من حيث أطوالها وكمية مياهها ، فمنها قليل المياه ويجف في فصل الصيف مثل نهر العظيم ، ومنها كثير المياه كالزاب الكبير الذي تعادل كمية مياهه مجموع كمية مياه الروافد

الأربعة الباقية . وقد نفّذ العراق بعض مشروعات الري على نهر دجلة وروافده .

تبلغ مساحة حوض نهر دجلة ٣٤٠,٥٠٠ كم٢ ، ويقع ٤٥,١٪ منها داخل الأراضي العراقية ، و ٤٣٪ داخل الأراضي الإيرانية ، و ١١,٩٪ داخل الأراضي التركية . غير أن نسبة تغذية هذه الأقسام من الحوض لنهر دجلة بالمياه لا تتناسب ومساحتها ، فالقسم الواقع في تركية مثلا ، يغذي النهر بكميات من المياه أكثر مما يتناسب مع مساحته ، نظرا لارتفاع الأراضي وكثرة أمطارها وثلوجها .

نهر الفرات : ينبع من أراض في شرقي تركية يزيد ارتفاعها على ٣ (آلاف) متر ، ويدخل سورية بالقرب من مدينة طرابلس ، ويخرج منها بالقرب من مدينة البوكسال ليدخل الأراضي العراقية ، حيث يلتقي بعدئذ مع نهر دجلة فيما يعرف بشط العرب . ويبلغ طول نهر الفرات من نقطة التقاء رافديه (مراد صو وفرات صو) حتى مصبه في شط العرب عند (كرمة علي) نحو ٢٣٠٠ كم ، منها ١٢٠٠ كم ضمن الحدود العراقية (يقع ثلثها في الهضبة الصحراوية وثلثاها في السهل الرسوبي) ، أما القسم الباقي من نهر الفرات فيقع جزء منه في الأراضي السورية (٦٧٥ كم) ، ويقع جزء آخر منه في الأراضي التركية (٤٥٥ كم) . وترفد نهر الفرات داخل العراق عدة أودية تصرف إليه مياه الأمطار مثل أودية حوران والغدف والأبيض . ويقدر متوسط تصريف نهر الفرات بنحو ٢٦ مليار م٣ سنويا .

تبلغ مساحة حوض نهر الفرات ٤٤٤ (ألف) كم٢ ، يقع أقل من نصفها (٤٦,٣٪) ضمن الحدود العراقية ، والباقي (٥٣,٧٪) يقع خارج حدوده على النحو التالي : هناك ١٠,٣٪ في المملكة السعودية ، وهناك ١٦٪ في سورية ، وهناك ٣٧,٤٪ في تركية . وتنشأ جميع مياه الفرات تقريبا في حوضه الكائن في تركية وسورية حيث تكثر الأمطار والثلوج . أما حوضه في العراق والسعودية فلا يزوده إلا بكميات قليلة جدا من المياه تنشأ على شكل سيول تجري في الأودية في مواسم الأمطار ، ويتبخر قسم منها ، ويتسرب القسم الآخر في جوف الأرض ليعود جزء قليل منه للظهور على شكل عيون وينابيع تصل مياهها لنهر الفرات . وقد نفّذت كل من تركية وسورية والعراق

بعض مشروعات الري للاستفادة من مياه نهر الفرات وروافده .

نهر شط العرب : يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات عند موقع كرمة علي . ويبلغ طوله ١١٠ كم بين كرمة علي ومصبه النهائي في الخليج العربي . وله رافد واحد يصب في ضفته اليسرى هو نهر القارون الذي يجري بكامله في الأراضي الإيرانية . ويجلب نهر القارون لشط العرب رواسب كثيرة ، تعرقل سير الملاحة فيه ما لم تجرف من المجرى ويجري شط العرب في الأراضي العراقية من بدء تكونه حتى نقطة تبعد حوالي ٢١ كم جنوب مدينة البصرة ، وبعدها حتى المصب يشكل حدّا دوليا بين إيران والعراق لمسافة ٨٠ كم .

الموارد المائية المتاحة حاليا والتي يمكن تدبيرها مستقبلا[٢٢] :-

العراق : الموارد المائية السطحية المتاحة ٤٢,٦٠ بليون م٣ موزعة كمايلي : من نهر دجلة ٢٣,١ بليون م٣ ، ومن نهر الفرات ١٧ بليون م٣ ، ومن الأنهر الداخلية ٢,٥ بليون م٣ .

أما الموارد المائية المستعملة حاليا فتبلغ ٤٠,٣٥ بليون م٣ موزعة كمايلي : للزراعة ٣٩,٥٣ بليون م٣ ، وللشرب ٠,٥٨ بليون م٣ ، وللصناعة ٠,٤٥ بليون م٣ ، ولتوليد الطاقة الكهربائية ٢,٧٩ بليون م٣ ، وللثروة السمكية ٠,٠٣ بليون م٣ . ويقدر الفائض المتوفر حاليا بنحو ٠,٢٥ بليون م٣ .

وبالنسبة للحد الأقصى للموارد المائية مستقبلا فتبلغ ٦٧ بليون م٣ موزعة كما يلي : من نهر دجلة وروافده ٤٣ بليون م٣ ، ومن نهر الفرات ١٨ بليون م٣ ، ومن الأنهر الصغيرة ٦ بليون م٣ .

الموارد المائية السطحية المتاحة بعد المشروعات تقدر بنحو ١٤,٦٥ بليون م٣ .

سوريا : الموارد المائية السطحية المتاحة : ٩,٣٥ بليون م٣ موزعة كمايلي : من نهر الفرات ٣,٩٠ بليون م٣ ، ومن الأنهر الداخلية والينابيع ٥,٤٥ بليون م٣ . ويقدر الفائض المتوفر حاليا بنحو ٢,٠٥ بليون م٣ .

ويبلغ الحد الأقصى للموارد المائية مستقبلا ٢٠,٧٠ بليون م٣ موزعة كمايلي : من الأنهر الداخلية والسيول ٧,٧٠ بليون م٣ ، ومن نهر الفرات ١٣ بليون م٣ ، وتبلغ كمية الموارد المائية السطحية المتاحة بعد المشروعات ١٣,٤٠ بليون م .

جمهورية لبنان : الموارد المائية السطحية المتاحة ٣,٨٠ بليون م٣ ، والموارد المائية المستغلة حاليا ٠,٧٤ بليون م٣ موزعة كمايلي : للزراعة ٠,٦٥ بليون م٣ للشرب ٠,٠٩ بليون م٣ويقدر الفائض المتوفر حاليا : ٣,٠٦ بليون م٣ .

ويبلغ الحد الأقصى للموارد المائية مستقبلا ٤,٣٤ بليون م٣ .

الموارد المائية السطحية المتاحة بعد المشروعات ٣,٦٠ بليون م٣ .

المملكة الأردنية الهاشمية : الموارد المائية السطحية المتاحة ٠,٧١٥ بليون م٣ ، والموارد المائية المستغلة حاليا ٠,٤٥١ بليون م٣ ، موزعة كمايلي : للزراعة ٠,٤٥١ بليون م٣ ، وللشرب والصناعة ٠,٠٤٦ بليون م٣ .

أما الفائض المتوفر حاليا فيبلغ ٠,٢٦٤ بليون م٣ ، في حين يبلغ الحد الأقصى للموارد المائية مستقبلا ١٠٠٠ بيلون م٣ وتقدر كمية الموارد المائية السطحية المتاحة بعد المشروعات بنحو ٠,٥٤٩ بليون م٣ .

« التربة والنبات »

يتفق توزيع النباتات الطبيعية والترب مع توزيع الأقاليم المناخية بصفة عامة داخل الإقليم ويمكن أن نقسم الهلال الخصيب إلى الأقاليم النباتية التي تتميز بترب معينة كما يأتي :

١ - نباتات وترب إقليم البحر المتوسط .

٢ - نباتات وترب الإقليم شبه الصحراوي .

٣ - نباتات وترب الإقليم الصحراوي .

٤ - نباتات وترب الإقليم السوداني . (شكل ٦) .

شكل -٦- الأقاليم النباتية

١ – نباتات وترب إقليم البحر المتوسط : تتألف هذه النباتات أساسا من الغابات المعتدلة التي تشمل أشجارا ، بعضها دائم الخضرة وبعضها الآخر نفضي . وتسود في هذا الإقليم تربة البحر المتوسط الحمراء التي تنتشر فوق المرتفعات الجبلية في بلاد الشام والعراق . كما يسود مناخ البحر المتوسط شبه الرطب ، حيث تتراوح كمية الأمطار الشتوية هنا بين ٦٠٠ و ١٠٠٠ ملم ، ويحل الجفاف في فترة تتراوح بين ٣ و ٥ أشهر ، وبخاصة خلال فصل الصيف . وتتفاوت أشجار البحر المتوسط من حيث حجمها وكثافتها من بقعة إلى أخرى نتيجة اختلاف كمية الأمطار ونوع التربة ومقدار درجة الحرارة .

وتنتشر بقايا غابات البلوط والصنوبر والسنديان والسرو والعرعر والأرز على طول المنحدرات الغربية للمرتفعات المطلة على البحر المتوسط ، كما تنتشر أيضا فوق القمم الجبلية والمنحدرات الغربية للمرتفعات الجبلية الداخلية . وتقدر المساحة التي تشغلها الغابات في بلاد الشام بنحو ١٠,٥٤٠ كم٢ ، أو ما نسبته ٣,٦٪ من مساحة الشام . وتتركز الغابات في مناطق عجلون والسلط والشوبك في الأردن ، في حين تتركز في مناطق الجليل ونابلس والقدس والخليل في فلسطين . وتستأثر محافظة اللاذقية بقسم كبير من الغابات في سورية . وتوجد أهم مناطق الغابات في لبنان في الشمال قرب بلدة بشرى ، وفي عكان وأهدن في المنطقة الوسطى من جبل الباروك .

وتنمو الغابات المعتدلة في أقصى شمال وشمال شرق العراق ، داخل نطاق المناطق الجبلية المرتفعة ، وتشغل ما مساحته ١٧,٧٠٠ كم٢ ، أو ما يعادل ٤٪ من مساحة العراق . وتشغل أشجار البلوط نحو ٩٦٪ من مساحة أشجار الغابات في العراق . أما المساحة الباقية فتشغلها أشجار متنوعة من البطم والعرعر والسنديان والزعرور وغيرها . وتوجد بين غابات البلوط مجموعة كبيرة من الأعشاب المعمرة التي تستعمل للرعي في فصل الصيف . وتجفف أوراق البلوط مع بعض الحشائش الأخرى للاستفادة منها علفًا للحيوانات في فصل الشتاء[٢٣] .

وقد تعرضت الغابات منذ القرن الماضي إلى الإهمال والإتلاف ، وبخاصة في بلاد

الشام ، حيث عملت عدة عوامل كالرعي الجائر والتحطيب وقطع الأخشاب والحرائق وغيرها ، على إتلاف الغابات وتدهورها بحيث تحول ما بقي منها إلى شجيرات قصيرة . غير أن حكومات الإقليم بدأت تنفذ سياسة الحماية وإعادة تحريج المناطق الجبلية العارية من الأشجار منذ منتصف القرن الحالي ، وأثمرت هذه السياسة في السنوات الأخيرة عندما أعطت نتائج إيجابية من حيث الاستفادة من الأشجار في السياحة والأخشاب ومنع انجراف التربة وتلطيف المناخ وتنقية الهواء من التلوث .

وإذا انتقلنا إلى ترب إقليم البحر المتوسط ، نجد أنها متنوعة وإن كان أكثرها شيوعا الترب المشتقة من الحجر الكلسي ، وبخاصة التربة الحمراء المعروفة باسم التيرا روسّا . وتفتقر تربة البحر المتوسط الحمراء للمواد العضوية ، في حين تحتوي على نسبة عالية من أكسيد الحديد والألومنيوم والسليكون ولعل الحديد هو الذي أعطاها هذا اللون الأحمر . ويمكن التعويض عن نقص المواد العضوية بإضافة الأسمدة وبالزراعة التي تعمل بقاياها على تخصيب التربة . وترتفع نسبة الطين والصلصال في التربة ، وتنخفض فيها نسبة الرمل والطفل . وتتميز التربة باحتفاظها بالرطوبة ، لذا يمكن أن تزرع بالمحاصيل الصيفية رغم جفاف الصيف . وتحتاج التربة إلى تهوية عن طريق فلاحة الأرض ، كما تحتاج إلى حمايتها من الانجراف ، وبخاصة فوق المنحدرات الجبلية ، وتصلح لزراعتها بالأشجار المثمرة(٢٤) .

٢ – **نباتات وترب الإقليم شبه الصحراوي** : تنمو الحشائش القصيرة في الإقليم شبه الصحراوي ، الذي يضم شمال العراق وبعض أجزاء من كل من أقدام المرتفعات الجبلية وحفرة الانهدام في بلاد الشام . وتتراوح كمية الأمطار التي تهطل على حشائش الإستبس بين ٢٥٠ – ٥٠٠ ملم سنويا . وتسود تربة الإستبس السمراء والبنّية التي تصلح لزراعة الحبوب أيضا(٢٥) .

وتغطي الحشائش القصيرة في إقليم الهلال الخصيب مساحة لا تقل عن ٨٠ ألف كم٢ ، ويوجد معظمها في سورية (٦٢,٦٠٠ كم٢) ، والباقي موزع بين الأردن وفلسطين والعراق ، حيث تشغل الحشائش نحو ٢٪ من جملة مساحة العراق . ويتخذ التوزيع العام

للحشائش القصيرة شكل القوس الذي يبدأ في الشمال ليغطي شمال العراق وشمال سورية ، ولينحني نحو الجنوب ممتدا على طول المنطقة الهامشية التي تفصل بين بادية الشام والمرتفعات الشرقية المطلة على حفرة الانهدام . وتتعرض الحشائش في هذه المنطقة الهامشية إلى تعدي الزراعة عليها ، حيث يقتلعها الإنسان بمحراثه عندما يزرع الأرض في السنوات الرطبة بالحبوب . وفي المناطق التي لا تُزرع بالحبوب تبقى هذه الحشائش أهم مصدر للرعي ، حيث تعتمد عليها الحيوانات في طعامها أثناء فصلي الشتاء والربيع ، وبخاصة الأغنام والماعز .

أما تربة هذه الحشائش فإنها تتميز بلونها البني نتيجة وجود نسبة من المواد العضوية تتراوح بين ٢ و ٣٪ . وتسود التربة السمراء في الأطراف الشمالية من الهلال الخصيب . وترتفع نسبة الطفل والطين في تربة الحشائش ، كما تقل نسبة الكالسيوم في الأفق العلوي من مقطع التربة في حين يتسرب الكالسيوم إلى الآفاق الوسطى والسفلى بفعل الأمطار ، حيث ترتفع نسبة الأملاح الذائبة بصفة عامة ويتركز الجبس بصفة خاصة .

وعندما يختلط الطفل بكربونات الكالسيوم تتكون طبقة صلبة أو قشرة مكونة من الجبس ومركبات الكالسيوم في الأفق السفلي من مقطع التربة . وتستلزم هذه التربة نوعا خاصا من المحاريث يختلف عن المحراث العادي ليتمكن من تكسير هذه الطبقة الصلبة أثناء الحراثة . ولعل هذا يفسر لنا عدم نجاح زراعة الأشجار في مثل هذه التربة ونجاح زراعة الحبوب ذات الجذور القصيرة .

٣ - **نباتات وترب الإقليم الصحراوي** : تتحول الحشائش القصيرة في مناطق السهوب تدريجيا إلى حشائش شوكية كلما اقتربنا من بادية الشام ووادي عربة والصحراء الفلسطينية (النقب) والهضبة الصحراوية غرب العراق ، حتى إذا ما وصلنا هذه المناطق الصحراوية وجدنا أنها تشتمل على حشائش متناثرة هنا وهناك ، أي أنها تتخذ شكل الكتل العشبية المتجمعة في بعض جهات البادية كبطون الأودية وقيعان المنخفضات وأقدام التلال ، حيث تتجمع الرطوبة في هذه الأماكن أكثر من غيرها . ومن الطبيعي أن تتحور أوراق معظم هذه الأعشاب القزمية إلى أشواك فلا يستطيع أكلها سوى الإبل .

وكغيرها من حشائش السهوب نجد أنها تنقسم إلى نوعين رئيسين أحدهما ، نباتات حولية ، وثانيهما نباتات معمرة . غير أن النباتات الصحراوية أقل كثافة وطولا وحجما من نباتات السهوب ، ويعود السبب في ذلك إلى قلة الأمطار التي لا تتجاوز ١٠٠ ملم سنويا .

وأهم النباتات الصحراوية المعمرة الأثل والسنط والشيح والجداء والشوك والغضا والرمث والقيصوم والعرفج ونخيل الدوم والسدر والحنظل . أما النباتات الحولية فكثيرة ، ومن أهمها : الصمعة والخباز والفصفصة والحلبة والبابونج والشويل والشعير البري والخردل[٢٦] .

وتسود التربة الرمادية الصحراوية بادية الشام ، وهي فقيرة بالمواد العضوية غنية نسبيا بالمواد المعدنية . وإذا توافرت لها المياه فإنه يمكن زراعتها بسهولة ، غير أن المياه شحيحة ، وبالتالي فإن التربة تعاني من مشكلات الجفاف ونقص الرطوبة ، والتعرية الهوائية . وترتفع في التربة نسبة الرمل الخشن والحصى والسيليكا ، كما ترتفع بها نسبة الأملاح وبخاصة في الآفاق العلوية ، حيث تتجمع الأملاح المذابة بفعل الخاصية الشعرية قريبا من سطح التربة . وتعمل الأمطار الغزيرة التي تهطل أحيانا بشكل مفاجئ وخلال فترة قصيرة على غسل التربة من الأملاح في الآفاق العلوية ونقلها إلى أعماق التربة ، أو بواسطة السيول بعيدا .

٤ – **نباتات وترب الإقليم السوداني** : تتركز هذه النباتات في الواحات داخل حفرة الانهدام وبادية الشام ، كما تنتشر على طول ضفاف أنهار الأردن والدجلة والفرات ، وتنمو في أهوار العراق أيضا ، وتتألف معظم هذه النباتات المائية من الحلفا والقصيب والدفل والبوص والبردي وغيرها ، حيث تنمو على شكل أدغال كثيفة تمكن الإنسان من اجتثاثها خلال السنوات الماضية ، وبخاصة في سهلي الغاب والحولة ، بعد تجفيف مستنقعاتهما ، وكذلك في أزوار نهر الأردن ، وتحولت المساحات التي كانت مشغولة بها إلى أراض زراعية مروية تشمل بساتين الخضار والفواكه .

وتسود التربة الطميية في هذه الجهات وكذلك التربة العضوية . أما النوع الأول فإنه

ينتشر في أودية الأنهار ، وبخاصة في سهول العراق والسهول الساحلية لبلاد الشام . وتعد التربة الطميية من أكثر أنواع الترب خصوبة ، ومن أفضلها قواما وبناء ، فهي جيدة التهوية والتصريف لاحتوائها على نسب متقاربة من الرمل والطين والطفل ، وهي غنية بالمواد المعدنية ، وتتجدد سنويا بفعل فيضانات الأنهار التي ترسب بعض ما تحمله من طمي على جوانبها .

ومن الطبيعي أن يحرص الإنسان القديم في الهلال الخصيب على استغلال هذه التربة في الزراعة . وغالبا ما تسود الزراعة الكثيفة ، حيث تتوافر المياه لري المحاصيل الزراعية ريا دائما ، الأمر الذي يوفر إمكانات كبيرة أمام هذه التربة للعطاء والإنتاج . وتحتاج التربة الطميية إلى تسميد مستمر لمواجهة عملية الزراعة الكثيفة ، خاصة في المناطق التي عرفت الزراعة منذ القدم . كما تحتاج إلى تطبيق نظام الدورة الزراعية القائم على أساس نمط زراعي سليم . وقد بدأ الإنسان في السنوات الأخيرة يطبق تقنيات الري الحديثة كاتباع أساليب الري بالرشاشات والري بالتنقيط ، وذلك لتمكين التربة من الاستفادة من المياه إلى أقصى حد ممكن . كما اهتم الإنسان أيضا بتصريف مياه الري الزائد لمنع تراكم الأملاح في التربة .

وأما النوع الثاني من الترب ، فهو التربة العضوية التي نشأت في مناطق المستنقعات المجففة ، كسهل الغاب في سورية وسهل الحولة في فلسطين . وتتميز التربة العضوية بغناها بالمواد العضوية ، وبخصوبتها وإنتاجيتها العالية ، وقد نجح الإنسان في استغلالها زراعيا ، حيث تزرع غلات المناطق المدارية كالذرة والقطن والموز والأرز وأنواع الخضار المختلفة .

الموارد الاقتصادية

يعد إقليم الهلال الخصيب من بين أهم الأقاليم التي شيدت صرح الحضارة الإنسانية منذ القدم ، لما حباه الله من نعمة الموارد . واستطاع الإنسان أن يستغل هذا الإقليم بإقامة البنية التحتية أولا ، ثم نجده يستغل الموارد المتنوعة من زراعية ومعدنية وصناعية وغيرها . وكانت حضارة الإقليم مضرب الأمثال في تقدمها منذ العصور القديمة . وجاءت الدولة الإسلامية لتجعل من الهلال الخصيب قلبها النابض سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيا ، ففي العصر الأموي برزت دمشق الشام حاضرة للعالم الإسلامي ، وفي العصر العباسي أصبحت بغداد عاصمة ومقرا للخليفة العباسي ، حيث انبثق منها شعاع الحضارة الذي أضاء ظلمة العالم المحيط بها لذلك لا غرابة إذا علمنا أن أمما عديدة تكالبت على الهلال الخصيب للسيطرة على مقدراته وموارده منذ القدم وحتى الوقت الحاضر .

يشغل إقليم الهلال الخصيب مساحة ٧٥ مليون هكتار أو ٥,٣٪ من المساحة الإجمالية للعالم العربى . وتوجد أكبر مساحة في العراق (٤٣,٧ مليون هكتار) وتليها سوريا (١٨,٥ مليون هكتار) .

وتبلغ المساحة القابلة للزراعة حوالي ٢٠,٥ مليون هكتار أو نسبة ١٠٪ من المساحة الإجمالية القابلة للزراعة في الوطن العربى . وأكثر الأراضي القابلة للزراعة توجد في العراق حيث تبلغ ١١,٥ مليون هكتار ، ثم في سوريا تبلغ ٥,٩ مليون هكتار تليها الأردن ١,٥ مليون هكتار .

وتبلغ مساحة الأراضى المزروعة فعلا في هذا الإقليم ١١,٨٢٠ مليون هكتار أو نسبة ٢٦٪ من المساحة المزروعة الإجمالية في العالم العربي .

وتقع أغلبها في العراق (٥,٧ مليون هكتار) ثم في سوريا (٣,٨ مليون هكتار) .

تبلغ مساحة الغابات في هذا الإقليم حوالي ١,٣ مليون هكتار يقع معظمها في العراق وسورية حيث توجد مساحة حوالي ٠,٥ مليون هكتار في العراق و ٠,٤٥ مليون هكتار في سورية ، وتشكل الغابات في المشرق العربي نسبة ٠,٩٪ من المساحة الإجمالية للغابات في العالم العربي .

وتمثل المراعي مساحة ١٤٤٠٠ مليون هكتار أو نحو ٨٪ من المساحة الإجمالية للعالم العربي[٢٧] . وتقع أغلب هذه الأراضي في سورية (٨,٥ مليون هكتار) يليها العراق (٤ مليون هكتار) .

الناتج المحلي الإجمالي : تشير الأرقام إلى أن هناك اتجاها تصاعديا في الناتج المحلي الإجمالي لأقطار الهلال الخصيب . ففي عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م بلغت قيمة الناتج المحلي الإجمالي بسعر المنتج في الأردن ٢٤٧,٣ مليون دينار ، وارتفعت هذه القيمة إلى ١٤٨٧,٣ مليون دينار في عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . وفي سورية ازدادت هذه القيمة خلال الفترة نفسها من ١٥٩٥١ مليون ليرة إلى ٧٧٥٠٠ مليون ليرة . وفي لبنان بلغت هذه القيمة ٧٥٠٠ مليون ليرة في عام ١٩٧٥م ، ووصلت إلى ١٢٢٧٧ مليون ليرة في عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م . وفي العراق بلغت هذه القيمة ٣٥٢٣ مليون دينار في عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ووصلت إلى ١٢٨٩٨ مليون دينار عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

وتتفاوت إسهامات النشاطات الاقتصادية في الناتج المحلي الإجمالي من بلد عربي إلى آخر ، بل إنها تتفاوت في البلد الواحد من بلدان الهلال الخصيب . وإذا ألقينا نظرة على أرقام الناتج المحلي الإجمالي حسب نوع النشاط الاقتصادي بالأسعار الجارية لعام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢مبالنسبة للعراق) يتضح لنا ما يأتي[٢٨] :

١ – تبوأت قطاعات التعدين والمحاجر والصناعات التحويلية والكهرباء والغاز والماء، المكانة الأولى من حيث إسهاماتها في الناتج المحلي الإجمالي في العراق ويأتي قطاع تجارة الجملة والتجزئة والمطاعم والفنادق في المرتبة الثانية ، يتلوه قطاع المال والتأمين والعقارات وخدمات الأعمال ، ثم قطاع النقل والتخزين والمواصلات ، ثم قطاع البناء والتشييد ، ثم قطاع الزراعة والغابات وصيد البر والبحر .

٢ – بالنسبة لسورية ، كان قطاع تجارة الجملة والتجزئة والمطاعم والفنادق من أكثر القطاعات إسهامًا في الناتج المحلي الإجمالي ، وجاء بعده في الترتيب قطاع الزراعة والغابات والصيد ، ثم قطاع التعدين والصناعات التحويلية والكهرباء والغاز والماء ، ثم قطاع النقل والتخزين والمواصلات .

٣ – وبالنسبة إلى لبنان نجد أن القطاع التجاري ، مثلما هو بالنسبة لسورية ، يعد من أكثر القطاعات إسهامًا في الناتج المحلي الإجمالي . غير أن قطاع التعدين والصناعات التحويلية والكهرباء والغاز والمياه جاء في المرتبة الثانية ، بينما جاء قطاع المال والتأمين والعقارات وخدمات الأعمال في المرتبة الثالثة .

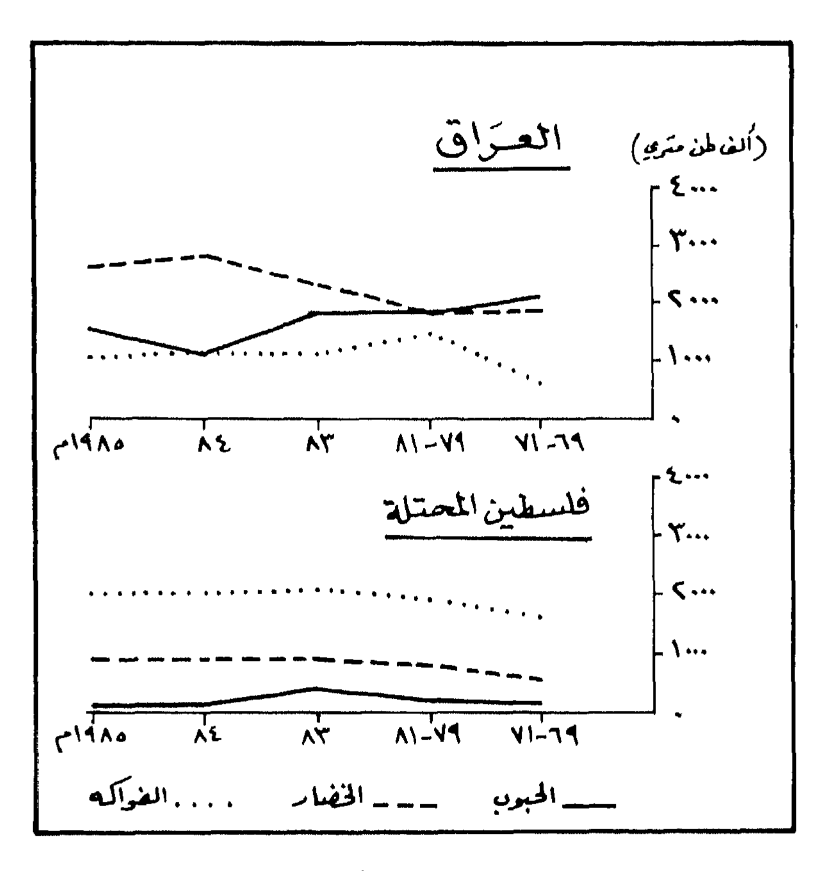
٤ – أما بالنسبة إلى العراق فإن قطاع التعدين والصناعات التحويلية والكهرباء والغاز والماء ، كان من أكثر القطاعات إسهامًا في الناتج المحلي الإجمالي (عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، وشغل قطاع الخدمات الاجتماعية والشخصية المرتبة الثانية ، ثم جاء قطاع البناء والتشييد في المرتبة الثالثة ، وجاء قطاع التجارة في المرتبة الرابعة ، بينما كانت المرتبة الخامسة والمرتبة السادسة لقطاعي الزراعة والنقل على التوالي .

الإنتاج الزراعي :

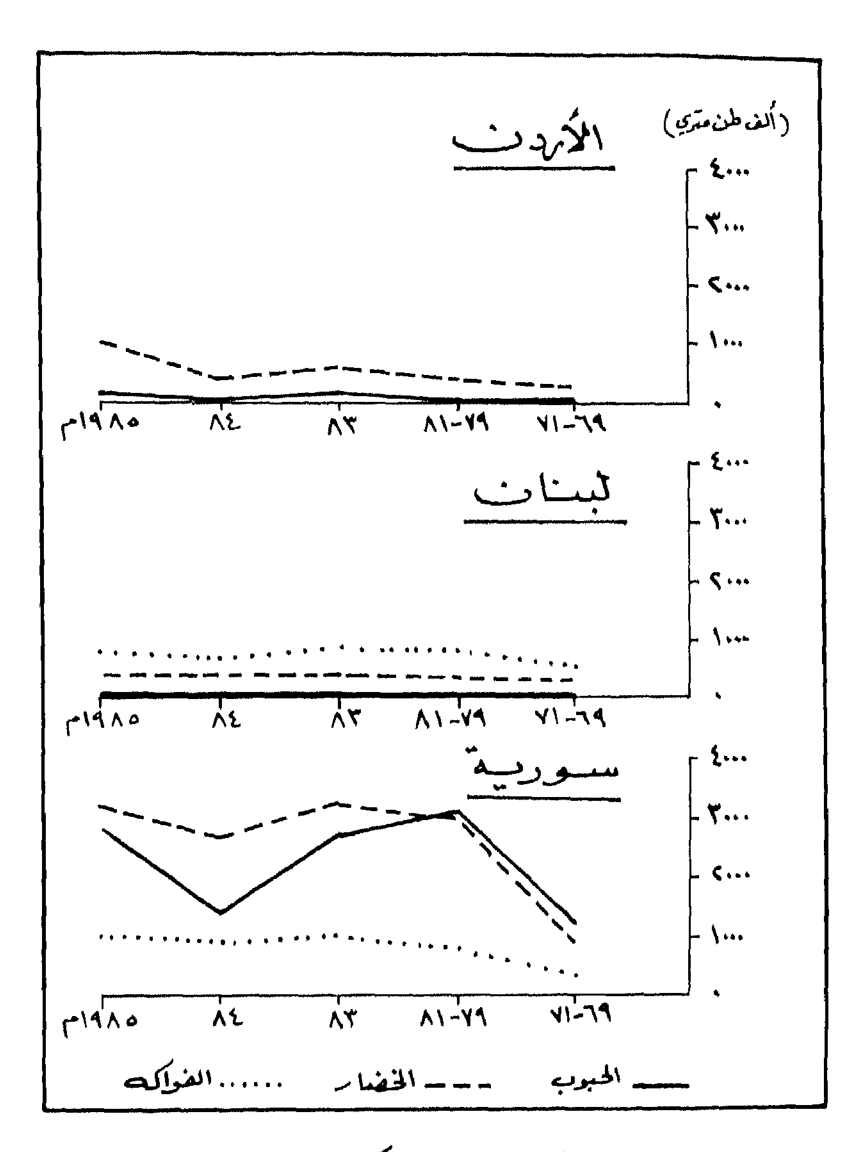
ينتج إقليم الهلال الخصيب منتجات زراعية وغذائية متنوعة ، أهمها الحبوب والخضار والفواكه والمحاصيل الصناعية واللحوم والأسماك ومنتجات الألبان وغيرها . ويعود الفضل في هذا التنوع إلى اتساع رقعة الإقليم وتنوع أشكال سطح الأرض والتربة والمناخ والنبات . وقد اخترنا ثلاث مجموعات رئيسة من الموارد الزراعية والغذائية وهي مجموعات الحبوب والخضار والفواكه لدراسة تطور إنتاجها في دول الإقليم (شكل ٧) .

ويتبين لنا من الجدول رقم (١) ما يأتي :

أولاً : الحبوب : ازداد إنتاج الهلال الخصيب من الحبوب بصفة عامة من حوالي ٣,٦ مليون طن متري في المتوسط للفترة (١٣٨٩ – ١٣٩١هـ / ١٩٦٩ – ١٩٧١م) إلى نحو ٥,٢ مليون طن متري في المتوسط للفترة (١٣٩٩ – ١٤٠١هـ / ١٩٧٩ – ١٩٨١م) غير أن الأرقام تشير إلى تقلب الإنتاج بشكل ملموس خلال الفترة (١٤٠٣- ١٤٠٥هـ / ١٩٨٣ – ١٩٨٥م) على مستوى الإقليم كله . ولكن إذا نظرنا إلى تطور إنتاج الحبوب على المستوى القطري ، نجد أن غالبية الأقطار كالعراق وسورية ولبنان وفلسطين المحتلة تناقص إنتاجها في عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م من الحبوب عن متوسط إنتاجها للفترة (١٣٩٩ – ١٤٠١هـ / ١٩٧٩ – ١٩٨١م) ، في حين نجد أن بعض



شكل -٧- تطور إنتاج الحبوب والخضار والفواكه خلال الفترة (٦٩-١٩٨٥م)



شكل - ٢/٧ - تطور انتاج الحبوب والخضار والفواكه خلال الفترة (٦٩-١٩٨٥م)

جدول (١) : تطور إنتاج الحبوب والخضار والفواكه خلال الفترة
(١٣٨٩ – ١٤٠٥ هـ/ ١٩٦٩ – ١٩٨٥ م)
(بالألف طن متري)

القطر	الحبوب					الخضار					الفواكه				
	١٣٨٩–١٣٩١هـ ١٩٦٩–٧١	١٣٩٩–١٤٠١هـ ٧٩–٨١	١٤٠٣ هـ ١٩٨٣	١٤٠٤ هـ ١٩٨٤	١٤٠٥ هـ ١٩٨٥	١٣٨٩–١٣٩١هـ ١٩٦٩–٧١	١٣٩٩–١٤٠١ ٧٩–٨١	١٤٠٣ هـ ١٩٨٣	١٤٠٤ هـ ١٩٨٤	١٤٠٥ هـ ١٩٨٥	١٣٨٩–١٣٩١هـ ١٩٦٩–٧١	١٣٩٩–١٤٠١هـ ٧٩–٨١	١٤٠٣ هـ ١٩٨٣	١٤٠٤ هـ ١٩٨٤	١٤٠٥ هـ ١٩٨٥
العراق	٢٠٥٨	١٨٠٣	١٨٢٢	١٠٩٧	١٤٩١	١٨٧٦	١٨٨٠	٢٣٣٦	٢٧٦٥	٢٦٤٨	٦٥٣	١٤٠١	١٢٧١	١١٨٠	١٠٥٨
فلسطين المحتلة	٢٠٠	٢٣٩	٤٢٧	١٧١	١٦٧	٦٠٠	٧٦٢	٨٩٦	٩١٨	٩٠٦	١٦١٠	١٩١٣	٢٠٢٥	١٩٩٤	١٩٥٧
الأردن	١٥٢	٩١	١٥١	٦٢	١٣٠	٢٦١	٤٣٧	٥٩٠	٤٥٤	٥٢٥	٥٩	٩٠	١٢٤	٧٨	١١٠
لبنان	٥٠	٤١	٢٧	٢٤	٢١	٢٧٠	٣٤٧	٤٠١	٣٨٥	٣٨٧	٥٦٤	٧٠٤	٧٣٦	٦٩٥	٧٠٨
سورية	١٢٢٩	٣٠٦٩	٢٦٩٦	١٤٤٥	٢٨٢٥	٩١٩	٢٩٧٣	٣٢٩٤	٢٦٨٢	٣٢١٠	٣٧٠	٧٣٣	١٩٩	٨٩٩*	١٠٠٥
المجموع	٣٦٨٩	٥٢٤٣	٥١٢٣	٢٧٩٩	٤٦٣٤	٣٩٢٦	٦٣٩٩	٧٥١٧	٧٢٠٤	٧٦٧٦	٣٢٥٦	٤٨٤١	٤٣٥٥	٤٨٤٦	٤٨٣٨

المصدر : كتاب الإنتاج السنوي للأمم المتحدة عام ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .
كتاب الإنتاج السنوي للأمم المتحدة عام ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

الأقطار كالأردن ازداد إنتاجها خلال الفترة نفسها .

ويمكن أن نعزو تقلب الإنتاج إلى عدة عوامل تتعلق بتذبذب المساحات المخصصة لزراعة الحبوب ، وبتذبذب إنتاجية الوحدة المساحية ، نتيجة لمتغيرات طبيعية واقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وعسكرية ولاشك أن الأقطار التي تعتمد في زراعة الحبوب على الأمطار هي الأقطار التي يتعرض إنتاجها للتقلب أكثر من غيرها . فالأردن مثلا تدنى إنتاجه من الحبوب في عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م الجاف إلى ٢٣ (ألف) طن ، ثم ارتفع في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م الرطب إلى أكثر من ٢٠٠ (ألف) طن ، ثم عاد للانخفاض في عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م إلى ١٣٠ (ألف) طن . وينطبق الحال أيضًا على سوريا التي تدنى إنتاجها من الحبوب إلى ١,٧ مليون طن في عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م وارتفع إلى ٣,٩ مليون طن في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ثم انخفض إلى ٢,٨ مليون طن في عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

وبالنسبة لتوزيع إنتاج الحبوب على بلدان الهلال الخصيب نجد أن سورية أنتجت عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م نحو ٦٠,٩٦٪ من إجمالي إنتاج الحبوب في الإقليم ، ويأتي العراق في المرتبة الثانية عندما أنتج ٣٢,١٧٪ وفلسطين المحتلة (٣,٦٪) ، والأردن (٢,٨٪) ، ولبنان (٠,٤٥٪) . أي أن معظم إنتاج الهلال الخصيب من الحبوب يتركز في سورية والعراق وبخاصة في أراضي الجزيرة . ويتوافق تذبذب المساحة مع تذبذب الأمطار ففي السنوات المطيرة تزداد المساحة المخصصة لزراعة الحبوب ، في حين تنكمش في السنوات الجافة ، الأمر الذي ينعكس على الإنتاجية والإنتاج في النهاية . ففي الأردن وسورية بلغت مساحة الأرض المزروعة بالحبوب في عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م نحو ١٥٧ (ألف) هكتار ونحو ٢,٨ مليون هكتار على التوالي . وانكمشت زراعة الحبوب في عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، في كل من الأردن وسورية ، إلى ١١٦ (ألف) هكتار ونحو ٢,١ مليون هكتار على التوالي وبلغت إنتاجية الهكتار الواحد في كل من القطرين ٩٦١ كغم و ٩٤٨ كغم على التوالي في عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م وانخفضت في كل منهما عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م إلى ٥٣٨ كغم و ٦٦٨ كغم على التوالي .

وفي عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ازدادت مساحة الأرض المزروعة بالحبوب في كل من الأردن وسورية إلى ١٥٠ (ألف) هكتار و ٢,٦ مليون هكتار على التوالي ، وارتفعت إنتاجية الهكتار الواحد في كل من القطرين إلى ٨٧٢ كغم و حوالي ١٠٩٠ كغم على التوالي .

ويختلف الوضع في العراق عنه في بلاد الشام ، ذلك لأن العراق يعتمد في زراعة الحبوب على الري أكثر منه على الأمطار ، غير أنه يمر في مرحلة حرجة تنعكس على الزراعة بسبب حالة الحرب مع إيران . ففي العراق بلغت المساحة المزروعة بالحبوب في عامي ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م و ١٩٨٠م نحو ٢,٦ مليون هكتار ونحو ٢,٧ مليون هكتار على التوالي وبلغت إنتاجية الهكتار في عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م نحو ٧٩٦ كغم. وفي عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م انكمشت مساحة الأرض المزروعة بالحبوب قليلا عندما وصلت إلى ١,٩ مليون هكتار، بسبب استمرار الحرب العراقية الإيرانية، حيث تدنت إنتاجية الهكتار إلى ٧٧٨ كغم[٢٩] .

ثانيًا: الخضار: يتفوق إنتاج الخضار في إقليم الهلال الخصيب على إنتاج الحبوب، ففي الفترة (٨٩ - ١٣٩١ هـ ١٩١٦٩ - ١٩٧١ م) كان متوسط إنتاج الإقليم من الخضار ٣,٩ مليون طن، مقابل ٣,٦ مليون طن من الحبوب. وفي الفترة ١٣٩٩هـ/ ١٤٠١هـ (١٩٧٩ - ١٩٨١ م) أصبح متوسط إنتاج الإقليم من الخضار ٦,٤ مليون طن ، مقابل ٥,٢ مليون طن من الحبوب . وفي عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م أنتج الهلال الخصيب نحو ٧,٧ مليون طن من الخضار ، مقابل ٤,٦ مليون طن من الحبوب . ويمكن أن نفسر الارتفاع النسبي في إنتاج الخضار إلى التوسع في زراعتها خلال السنوات الأخيرة على حساب الأراضي التي كانت مخصصة لزراعة الحبوب ، ذلك لأن الخضار يعد من المحاصيل النقدية التي تدر ربحا أكثر من الربح الذي يجنيه المزارعون من الحبوب . ومن جهة ثانية فإن زراعة الخضار تعتمد على الري أكثر من اعتمادها على الأمطار ، الأمر الذي ينعكس على ارتفاع الإنتاجية والإنتاج ، وعلى استقرارهما أيضًا . وتشير الأرقام إلى أن إنتاج الهلال الخصيب من الخضار يزداد في اتجاه تصاعدي بشكل عام ، وأن درجة تذبذب الإنتاج محدودة . والجدير بالذكر إن إنتاج الخضار يكفي احتياجات السكان الاستهلاكية داخل إقليم الهلال الخصيب ، ويصدر ما يفيض من بعض أنواع الخضار إلى بلدان الخليج العربي .

وفيما يتعلق بتوزيع إنتاج الخضار نجد أن سورية كانت في عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م من أكثر البلدان إنتاجا للخضار ، عندما أنتجت ٤١,٨٪ من إجمالي إنتاج الإقليم ، واحتل العراق المرتبة الثانية ، عندما أنتج في العام نفسه نحو ٣٤,٥٪ من إنتاج الإقليم ، حيث أنتجت فلسطين المحتلة (١١,٨٪) ، وأنتج الأردن (٦,٨٪) ، وأنتج لبنان (٥٪) ، أي أن سورية والعراق أنتجا من الخضار أكثر من ثلاثة أرباع إنتاج الهلال الخصيب . ويمكن أن نفسر تركز إنتاج الخضار في هذين البلدين إلى اتساع مساحة الأراضي المروية فيهما ، وبخاصة أن معظم إنتاج الخضار يأتي من الزراعة المروية .

ثالثًا : الفواكه : ازداد إنتاج الفواكه في إقليم الهلال الخصيب في اتجاه تصاعدي خلال السبعينات وأوائل الثمانينات ، إذ بلغ متوسط إنتاج الإقليم للفترة (١٣٨٩ - ١٣٩١هـ/١٩٦٩-١٩٧١م) نحو ٣,٢ مليون طن من الفواكه ، وارتفع هذا الإنتاج إلى ٤,٨ مليون طن في عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . ويمكن القول إن السكان أخذوا يتوسعون في زراعة الأراضي بأشجار الفواكه ، إما على حساب الأراضي المخصصة لزراعة الحبوب أو نتيجة استصلاح الأراضي الجبلية بزراعة الأشجار المثمرة على منحدراتها ، بعد تسويتها وتجديرها . وبالإضافة إلى المردود الكبير الذي يعود على مزارعي أشجار الفواكه لإنتاجهم محاصيل نقدية ، فإن المسؤولين عن الزراعة يقومون بتشجيع المزارعين على زراعة الأشجار المثمرة بصورة عامة ، وذلك في نطاق مشروعات تجدير المنحدرات الجبلية والمحافظة على التربة .

أما عن التوزيع الجغرافي لإنتاج الفواكه ، فيمكن القول إن فلسطين المحتلة أنتجت من الفواكه عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ما نسبته ٤٠,٥٪ من إجمالي إنتاج إقليم الهلال الخصيب . ويرجع الفضل في هذا الإنتاج الكبير إلى ما تسهم به بيارات الحمضيات العربية المغتصبة من دور مهم ، وبخاصة في السهل الساحلي لفلسطين . ويحتل العراق المرتبة الثانية من حيث إنتاج الفواكه ، إذ كانت نسبته ٢١,٩٪ ، ويتلوه في ذلك سورية (٢٠,٨٪) ، ثم لبنان (١٤,٦٪) . أما نسبة الأردن فهي أقل نسبة بين بلدان الهلال الخصيب (٢,٣٪) .

نماذج من الزراعة في الهلال الخصيب :

الزراعة في الأردن : يعتمد حوالي خمس سكان الأردن على الزراعة في معيشتهم ، وقد ارتفعت قيمة الإنتاج الزراعي بشكل مستمر من حوالي ٢٥ مليون دينار للفترة (١٣٩٣ – ١٣٩٥هـ / ١٩٧٣ – ١٩٧٥م) إلى حوالي ٤٩ مليون دينار للفترة (١٣٩٦ – ١٤٠٠هـ / ١٩٧٦ – ١٩٨٠م) وإلى حوالي ٩١ مليون دينار للفترة (١٤٠١ – ١٤٠٤هـ / ١٩٨١ – ١٩٨٤م) ، وإلى حوالي ١١٢ مليون دينار لعام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م بالأسعار الجارية .

ازدادت قيمة استثمارات القطاع الخاص في الزراعة من حوالي ٥ ملايين دينار خلال الفترة (١٣٩٣ – ١٣٩٥هـ / ١٩٧٣ – ١٩٧٥م) إلى ٤٧ مليون دينار خلال الفترة (١٣٩٦ – ١٤٠٠هـ / ١٩٧٦ – ١٩٨٠م) وإلى حوالي ١٤٠ مليون دينار خلال الفترة (١٤٠١ – ١٤٠٥هـ / ١٩٨١ – ١٩٨٥م) وخلال السنوات الأخيرة تبنت الحكومة سياسة تشجيع إنتاج الحبوب عن طريق شرائها بأسعار تشجيعية وتأمين الأعلاف بأسعار مدعومة لتطوير وزيادة الإنتاج من اللحوم الحمراء ، وعملت على امتصاص فوائض الإنتاج من الخضار عن طريق شرائها بأسعار مناسبة . غير أن القطاع الزراعي تعرض خلال الفترة الأخيرة إلى الفقدان النسبي لبعض أسواقه التقليدية وإلى تراجع مساحة الأراضي المزروعة بالمحاصيل الحقلية .

وتشير إحصاءات الدخل القومي إلى أن صافي الدخل من الزراعة قد ارتفع من ٦٩ مليون دينار في عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م إلى ٩٨ مليون دينار في عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م بالأسعار الثابتة، أي بزيادة إجمالية مقدارها ٤٠,٥٪ ومعدل نمو سنوي مقداره ٧٪، ولاشك أن صافي الدخل يعد انعكاسًا ايجابيًّا لارتفاع الإنتاج الزراعي أوانخفاضه. ففيما يتعلق بالحبوب والمحاصيل الحقلية، بلغ معدل إنتاجها للفترة (١٣٩٦ – ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٦ – ١٩٨٠م) حوالي ١٠٩ آلاف طن، وانخفض إلى ٩٩ ألف طن، للفترة (١٤٠١ – ١٤٠٥هـ/ ١٩٨١ – ١٩٨٥م) أي بتراجع نسبته ٩,٥٪. وخلال الفترتين نفسيهما ازداد معدل إنتاج الخضار والبطيخ والشمام بما نسبته ٨٧,٥٪. وتناقص معدل إنتاج الفواكه من ٤٦ ألف طن إلى ٤١ ألف طن، أي بتراجع نسبته ١١٪. وارتفع معدل إنتاج

الحمضيات من ٢٠ ألف طن إلى ٦٠ ألف طن ، أي بزيادة نسبتها ٢٠٠٪ . وارتفع معدل إنتاج الألبان من ٣٩ ألف طن إلى ٤٩ ألف طن ، أي بزيادة نسبتها ٢٦٪ . وازداد عدد إنتاج البيض من ٢٨٠ مليون بيضة إلى ٤٠٢ مليون بيضة ، أي بزيادة نسبتها ٤٣٪[٣٠] .

الزراعة والثروة الحيوانية في سورية : كانت الزراعة عماد الاقتصاد السوري قبل عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، غير أنه طرأت تغيرات على الأوضاع الاقتصادية بعدئذ ، بحيث أصبحت التجارة والتعدين والصناعة تمثل أعمدة الاقتصاد السوري في مطلع الثمانينات . وقد هبطت إسهامات الزراعة في الإنتاج المحلي الإجمالي من ٣٠٪ في عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م إلى ٢٠٪ في عام ١٩٨٠م . ويعمل حاليا في قطاع الزراعة ما يقرب من ٣٠٪ من القوى العاملة ، بينما كانت نسبتهم ٦٠٪ في عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م ، وذلك قبل حدوث ذلك التيار الكبير من نزوح السكان إلى المناطق الحضرية .

جدول ٢ – استعمال الأرض في سورية في الفترة بين (١٣٩٦هـ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٧٦م ، ١٩٨٠م) (ألف هكتار)

	١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م	١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
المساحات المروية	٥٤٧	٥٣٩
المساحات غير المروية	٣٧٠٢	٣٣٥٤
المساحة المحصولية	٤,٢٤٩	٣,٨٩٣
المساحة البور	١.١٢٩٥	١,٧٩١
مساحة الأرض الزراعية	٥,٥٤٤	٥,٦٨٤
مساحة الأراضي القابلة للزراعة وغير مستغلة زراعيا	٣٣٨	٤٧٠
مساحة الأراضي القابلة للزراعة	٥,٨٨٢	٦,١٥٤
مساحة الأراضي غير القابلة للزراعة	٣,٦٣٠	٣,٥٢٠
مساحة أراضي الغابات	٤٥٧	٤٦٦
مساحة أراضي المراعي	٨,٥٤٩	٨,٣٧٨
المجمــــوع	١٨,٥١٨	١٨,٥١٨

المصدر :– سورية ، الجهاز المركزي للإحصاءات ، النشرة الإحصائية (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

وقد بلغت مساحة الأرض القابلة للزراعة ٦,٢ مليون هكتار عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م منها ٥,٧ مليون هكتار أراض زراعية ، أى ما نسبته ٩٢٪ من الأرض القابلة للزراعة ، أي ٣١٪ من مساحة سورية ويعد السهل الساحلي الضيق بين الحدود التركية شمالا والحدود اللبنانية جنوبا من المناطق الزراعية الرئيسة في البلاد ، وهو ينتج الفواكه والزيتون والتبغ والقطن . وثمة منطقة زراعية أخرى تمتد على شكل شريط بين دمشق جنوبا وحلب شمالا مجتازا حمص وحماه ، وتسود في هذهّ المنطقة زراعة الحبوب . وإلى الشمال الغربي من حماه يمتد سهل الغاب الذي يجري فيه نهر العاصي مارا بمنطقة زراعية تنتج محصولات متنوعة كالحبوب وبنجر السكر والأرز والقطن . وقد جففت مستنقعات الغاب وحل محلها مشروع الغاب للزراعة التي تعتمد على الري وأدى هذا إلى تحسن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لسكان المنطقة . أما منطقة الجزيرة فهي تشهد نهضة زراعية نتيجة مشروعات الري ، فمن شأن سد الفرات مثلا أن يجعل من منطقة الجزيرة أهم مناطق إنتاج القطن والحبوب في سورية فهناك مشروع بناء سد على نهر الخابور جنوبي الحسكة لزيادة مساحة الأرض المروية في منطقة الجزيرة من ٤٦ (ألف) هكتار إلى ١٣١ (ألف) هكتار .

وتعتمد الزراعة الكثيفة وكذلك التوسع في المساحات المزروعة في المناطق سالفة الذكر على الري ونلحظ بالرجوع إلى بيانات الجدول رقم (٢) أن المساحات المروية تبلغ نحو ٥٣٩ ألف هكتار ، أي ما نسبته ٨,٨٪ من مساحة الأرض الزراعية . وهذا يعني أن غالبية الأرض المزروعة في سورية تعتمد على المطر الذي يتذبذب من سنة لأخرى ، كما أن هذا التذبذب ينعكس في النهاية على تقلب الإنتاج الزراعي . ففي سنة ١٣٩٠ ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٠ ، ١٩٧٣م ضرب الجفاف المحاصيل الزراعية وأثر على الإنتاج . وكانت الفترة ١٣٩٤ - ١٣٩٦هـ/١٩٧٤ - ١٩٧٦م حسنة نسبيا من حيث أمطارها ولكن كانت هناك تذبذبات واضحة في كميات الأمطار السنوية خلال الفترة

١٣٧٧ - ١٤٠٠هـ / ١٩٧٧ - ١٩٨٠م ، علما بأن عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م كان مطيرا .

وبالنظر إلى بيانات الجدول (٣) يتبين أن القمح والشعير يشغلان معا نحو ثلثي المساحة المزروعة ولكن القطن هو المحصول النقدي الرئيس . وحتى عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م أسهم القطن بنحو ثلث (٣٣٪) قيمة الصادرات السورية . ومنذ عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م حل البترول محل القطن كأكبر سلعة تصدير سورية ، حيث أسهم بنسبة ٣٠٪ من قيمة الصادرات السورية . ومع تصاعد تصدير البترول تهبط نسبة القطن وينخفض إنتاجه وإنتاجية القطن السوري عالية ، إذ بلغت عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م نحو ٩٢٢ كغم / هكتار . وفي عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م بلغ مردود القطن ٦٦٥ مليون ليرة ، أو نحو ٨٪ من مجموع دخل الصادرات السورية . وفي عام ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ /١٩٨٠ - ١٩٨١م بلغ إنتاج القطن نحو ١١٨ ألف طن ، استهلك منه نحو ٤٥ ألف طن محليا ، وصدر نحو ٧٣ ألف طن . وقد ازداد إنتاج القطن إلى ١٣٠ ألف طن في عام ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ/١٩٨١ - ١٩٨٢م واستهلك منه ٥٥ ألف طن ، وصدر نحو ٧٥ ألف طن .

ولقد تغيرت المساحات المخصصة لزراعة أنواع المحاصيل خلال العشرين سنة الأخيرة . ففيما بين ١٣٨٣ - ١٤٠٠هـ / ١٩٦٣ - ١٩٨٠م هبطت المساحة المخصصة لزراعة القمح من ١,٥٦ مليون هكتار إلى ١,٤٥ مليون هكتار . وازدادت المساحة المخصصة لزراعة بنجر السكر من ٤ آلاف إلى ٢٢ ألف هكتار كما ازدادت المساحة المخصصة لزراعة القطن من ١٣٥,٢٠٠ هكتار في عام ١٣٧٣ - ١٣٧٤هـ / ١٩٥٣ - ١٩٥٤م إلى ٢٩٢ ألف هكتار في عام ١٣٨٢ - ١٣٨٣هـ / ١٩٦٢ - ١٩٦٣م ولكنها انكمشت بعدئذ كثيرا بسبب التكاليف المتزايدة للإنتاج والأحوال الجوية السيئة . ففي عام ١٤٠٠ - ١٤٠١هـ / ١٩٨٠ - ١٩٨١م خصص للقطن نحو ١٤١ ألف هكتار . ومن المحاصيل الرئيسة في سورية أيضا الزيتون والفواكه ، إذ يوجد في سورية ٦٤ مليون شجرة زيتون وفاكهة ، و ٧٤ مليون شجرة عنب ،

ونحو ٤٦٦ (ألف) هكتار من الغابات .

جدول (٣) تطور إنتاج المحاصيل الرئيسة
(١٣٩٤ – ١٤٠٠هـ / ١٩٧٤ – ١٩٨٠م)
(ألف طن)

المحصول	١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م	١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م	١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م	١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
القمح	١٦٣٠	١٧٩٠	١٦٥١	٢٢٢٦
الطماطم	٣٩٦	٥١٧	٥٠٢	٦٤٤
القطن الخام	٣٨٧	٤٠٩	٣٧٧	٣٢٣
الشعير	٦٥٦	١٠٥٩	٧٢٩	١٥٨٧
بنجر السكر	١٣٩	٢٤٢	٢٣٢	٥٠٥
الزيتون	٢١٥	٢٣٣	٣٠٥	٣٩٢

المصدر : البنك المركزي السوري ، نشرة ربعية ، أعداد ١ – ٢ (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

وإذا اعتبرنا عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م سنة قياس = ١٠٠ ، فإن الأرقام القياسية للإنتاج الزراعي السوري تدل على اتجاه تصاعدي لهذا الإنتاج ، إذ كانت الأرقام القياسية على النحو التالي : ١٦٧ في عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، و ٢٠٨ في عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، و ٢١٢ في عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، و ٢٧٨ في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . وإن إلقاء نظرة على الجدول تدل على أن إنتاج المحاصيل الزراعية تضاعف باستثناء إنتاج القطن الذي هبط قليلا .

وقد صدر مرسوم جمهوري عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م نص على تحديد ملكية الأرض في سورية للفرد الواحد بحد أعلى مقداره ٨٠ هكتارًا للأرض المروية ، و ٣٠٠ هكتار للأرض البعلية . وقد أجري تعديل على قانون الملكية الزراعية في مرسوم لاحق صدر عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م . وبموجب التعديل تم الاستيلاء على ١,٣٩ مليون هكتار في

عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م وقد أثر قانون تحديد الملكية الزراعية على حجم الحيازات الزراعية ، فقبل عام ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م كانت الحيازات ، التي تتراوح مساحتها من ٢ – ٢٥ هكتارًا ، تشكل ٣٠٪ من مجموع الأرض الزراعية ، غير أنها شكلت نحو ٩٣٪ في عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م . وتستغل ٧٤٪ من الأراضي الزراعية من قبل القطاع الخاص . وتدير الإدارة المركزية لمزارع الدولة نحو ٢٠ مزرعة تابعة للحكومة حاليا . ويشرف اتحاد الفلاحين عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) على ٣٥٩٦ جمعية تعاونية ، بلغ مجموع أعضائها ٣٢٥,٩١٠ أعضاء . ويساعد بنك التعاونيات الزراعية في تمويل العمليات الزراعية ، حيث قدم تمويلا بمبلغ ٥٠٨ ملايين ليرة لهذا الغرض في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

وتهتم سورية بالمحافظة على ثروتها الحيوانية وتنميتها ، ففي عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م بلغ مجموع مالديها من تلك الثروة ٥٥٧ ألف رأس من الماشية ، و ٦ ملايين رأس من الغنم ، و ٨١٤ ألف رأس من الماعز ونحو ٨,٥ مليون من الدواجن . وقد ازداد حجم الثروة الحيوانية في عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، إذ أصبح لدى سورية ٧٦٨ ألف رأس من الماشية ، و ٩,٣ مليون رأس من الغنم ، ومليون رأس من الماعز ، ونحو ١٧ مليون من الدواجن . وقد أنتجت سورية من الحليب في عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م نحو ٨٢٦ ألف طن ومن البيض نحو ١,٢ مليون بيضة . ويتراوح المتوسط السنوي لصيد الأسماك بين ٣٣٠٠ و ٣٦٠٠ طن[٣١] .

الزراعة والثروة الحيوانية في العراق : تشير التقديرات إلى أن أكثر من نصف مساحة العراق (٢٥٣,٧٣٣ كم٢) قابل للزراعة ، وأن حوالي ٤٪ من مساحة البلاد هي أراض رعوية (١٧,٣٦٠ كم٢) ، وأن ٥,٨٪ من مساحة البلاد هي أراض غابية متركزة في المحافظات الشمالية الأربع (٢٥,٥٠٠ كم٢) . ويستغل أقل من ربع مساحة العراق في الزراعة ، وبالرغم من ذلك فإن نصف المساحة المستغلة في الزراعة يترك بورا للراحة في كل سنة . وهناك ١٧ ألف كم٢ من أراضي الغابات يمكن استغلالها تجاريا ، في حين تتألف المساحات الغابية المتبقية من شجيرات فقيرة . ويعد سهل دجلة – الفرات

الفيضي القلب الزراعي الرئيس في العراق ، بالرغم من أن أطرافه الجنوبية مغطاة بالمستنقعات . وكثير من أنواع الزراعة العراقية يمارس بطرق تقليدية في معظم المناطق .

وتقدر مساحة الأراضي المروية في العراق بنحو ثلاثة ملايين هكتار . والنهران الرئيسان في العراق هما دجلة والفرات . ويبلغ المتوسط السنوي للمياه المتدفقة في الدجلة ٣٨,٨ بليون م٣ وفي الفرات ٢٦,٤ بليون م٣ . وهناك أربعة أنهار تصب في دجلة بين بغداد والموصل ، وهي ديالي والزاب الصغير والزاب الكبير والعظيم . وتعود محاولات السيطرة على هذه الثروة المائية والاستفادة منها إلى الزمن القديم ، بسبب عدم كفاية الأمطار . وقد بدأ العمل الجدي في إعادة تعمير السدود والحواجز للسيطرة على مياه الأنهار واستغلالها في وقت مبكر من القرن الحالي . فبني سد الهندية على الفرات وسد الكوت على دجلة . وتضمنت خطة التنمية (١٣٨٥ - ١٣٨٩هـ / ١٩٦٥ - ١٩٦٩م) إنشاء ثلاثة خزانات جديدة ، وهي سد الموصل على دجلة (سعته ١٣,٥ بليون م٣) وسد الحديثة على الفرات ، وسد حمرين على نهر ديالي لإعادة توزيع المياه القادمة من سد دربندي خان بعد كهربة هذا الأخير .

وأهم مشروعات السدود والنواظم المنجزة هي : مشروع الثرثار (٨٥ بليون م٣) ، ومشروع أبو دبس (٢٥,٥ بليون م٣) ومشروع دوقان (٦,٨ بليون م٣) ، ومشروع بحيرة الحبانية (٣,٢٥ بليون م٣) ، ومشروع دربندي خان (٣ بليون م٣) . ولمنشآت المياه هذه أهداف متعددة ، فهي تنظم تدفق المياه في مجاري الأنهار ، وتلزم لمكافحة الفيضان (كما هو الحال في بحيرة الحبانية ومنخفض أبو دبس) ، وهي تستعمل خزانات لتوزيع المياه بكميات أقرب إلى التساوي على مدار السنة وكذلك فيما بين سنة وأخرى ، وهي تستخدم في توليد الكهرباء . وقد بدأ تنفيذ مشروعات في حمريم وأسكي موصل لتخزين المياه وتوليد الطاقة الكهربائية . كما أعيد بناء سد الموصل على دجلة ، بطاقة تخزينية قدرها (١٠,٧ بليون م٣) ، وأعيد بناء سد الحديثة على الفرات ، بطاقة تخزينية قدرها (٦,٤ بليون م٣) .

ولقد كانت الحيازات الزراعية الكبيرة مألوفة في الجنوب المروي أكثر منها في المناطق البعلية في الموصل والسليمانية وأربيل قبل ثورة ١٣٧٨هـ / يوليو ١٩٥٨م . وكان متوسط الحيازة في العراق ٣١,٧ هكتارا ، مع تفاوت في المساحة بين حيازات تتجاوز ٢٥٠ هكتارًا بنسبة (١,٧٪) من مجموع الحيازات وتمثل ٦٣٪ من مجموع مساحة الأرض ، وحيازات تتراوح بين ١ - ٣٠ هكتارًا ، وتمثل ١٥٪ من مجموع مساحة الأرض . غير أن قانون الإصلاح الزراعي الذي صدر في ٨ / ٩ / ١٩٥٨ أقر الحد الأقصى للملكية الزراعية بألف دونم عراقي (٢٥٠ هكتارًا) من الأرض المروية ، وبألفي دونم (٥٠٠ هكتار) من الأرض البعلية . وقامت الحكومة بالاستيلاء على الأراضي الزائدة بعد أن عوضت أصحابها ، ومن ثم وزعتها على الفلاحين بمعدل ٧,٥ - ١٥ هكتارًا من الأرض المروية ، أو ١٥ - ٣٠ هكتارًا من الأرض البعلية . وفي عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م أنشأت الحكومة مزارع تحت إشرافها تدار على أساس تعاوني أو اشتراكي .

وتشرف الحكومة على بعض المشروعات الزراعية الصناعية التي يجري تنفيذها حاليا كمشروع أبو غريب الذي تطبق فيه تجربة التنمية الريفية المتكاملة من حيث استصلاح الأرض وإقامة شبكات الري والصرف وإنشاء الطرق وإيصال المياه والكهرباء للقرى الجديدة ، فضلا عن تقديم الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية . وتبلغ مساحة مشروع أبو غريب أكثر من ٢٧٠ ألف هكتار ، وتقدر تكاليفه بنحو ١١٥٠ مليون دولار . وهناك مشروعات أصغر يخطط لتنفيذها في محافظة نينوى حيث سيتم ري ما مساحته ١٠٠ ألف هكتار في سهول الجزيرة بواسطة المياه المحجوزة وراء سد الموصل . وهناك مشروع مخمور البالغة مساحته نحو ٤٠ ألف هكتار ، والذي سيروى من مياه نهري الزاب الأصغر والزاب الأكبر . وهناك مشروع سد بكمة الذي سيروي نحو ٨٠ ألف هكتار في محافظة أربيل . ومن المتوقع أن يتم تنفيذ مشروعات كركوك وخالص الأدنى والدلمج خلال الثمانينات[٣٢] .

ويشغل القمح والشعير مساحة مهمة من الأرض الزراعية ، وقد ازداد إنتاج القمح والشعير في عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م من ٩٥٧ ألف طن و ٤٦٢ ألف طن على التوالي ،

إلى ١,٣ (مليون) طن و ٥٧٥ ألف طن على التوالي في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . وتشمل المحاصيل الصيفية الرئيسة الأرز والتمر والتبغ والسمسم ، وهي تعتمد على مياه الري كما هو الحال في المنطقة الشمالية بين الفالوجة وبغداد وديالة . وفي عام ١٩٨٠ بلغ إنتاج الأرز نحو ٢٢٠ ألف طن ، وبلغ إنتاج البلح نحو ٣٩٥ ألف طن ويزرع القطن في مساحات صغيرة من الأرض الزراعية في وسط العراق ، وقد تناقص إنتاجه من ١٥ ألف طن في عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م إلى ٧ آلاف طن في عام ١٩٨٠ . وتزرع الخضر في المناطق المجاورة للمدن لتسويقها محليا . وقد أدخلت الميكنة في عمليات الزراعة ، إذ قدر عدد (التراكتورات) في العراق بنحو ٢٢ ألفًا عام ١٩٧٩ .

وتعتبر الثروة الحيوانية عماد دخل سكان الريف بالرغم من المستويات المتدنية لتربيتها وتغذيتها . وقد نفذ برنامج لتحسين الخدمات الحيوانية في عام ١٩٧٣ ، وبلغ مجموع نفقاته نحو ١٩ مليون دينار . وفي عام ١٩٨٠ قدر عدد الأغنام في العراق بنحو ١١,٥ مليون رأس ، وعدد الماعز بنحو ٣,٦ مليون رأس وعدد الماشية بنحو ٢,٧ مليون رأس[٣٣] . وقد خصصت خطة التنمية (١٣٩٦ – ١٤٠٠هـ/١٩٧٦ – ١٩٨٠م) مبلغ ١١,٥٠٠ مليون دولار للإنفاق على قطاع الزراعة والثروة الحيوانية في مشروعات لإنتاج السكر والدواجن والبيض واللحوم . وبالرغم من صيد الأسماك المحدود ، إلا أن الحكومة تحاول بناء أسطول لصيد الأسماك من الخليج ، مستعملة قوارب مؤجرة من الاتحاد السوفييتي .

ومن المفيد أن نستعرض وضع الأمن الغذائي في إقليم الهلال الخصيب ونحن بصدد دراسة الموارد الزراعية والغذائية . وهناك بعض المؤشرات التي تساعدنا في الحكم على حالة الأمن الغذائي كمايلي :–

ضغط السكان على الموارد الغذائية : يتناول هذا الموضوع العلاقة بين السكان ومساحات الأراضي الزراعية ، وهو ما يعرف بالكثافة الزراعية أو نصيب الفرد من الأرض الزراعية . كما يتناول أيضا علاقة الفرد عامة وعلاقة العامل الزراعي المنتج خاصة بكميات الإنتاج من بعض السلع الغذائية ، وهو مايعبر عنه بنصيب الفرد عامة ، ونصيب

العامل الزراعي خاصة من إنتاج بعض السلع الغذائية الرئيسة .

فيما يتعلق بالكثافة الزراعية يمكن القول إنها تتراوح بين ١٠٠ و ١٩٩ نسمة / كم٢ في العراق وسورية والأردن . كما يتراوح نصيب الفرد من الأرض الزراعية في الأقطار الثلاثة بين نصف وثلاثة أرباع هكتار . أما لبنان وفلسطين المحتلة فإن الكثافة الزراعية تزيد فيهما عن ٥٠٠ نسمة / كم٢ ، ويقل نصيب الفرد فيهما عن ثلث هكتار . ويتدنى نصيب الفرد من الأرض الزراعية المروية في سورية إلى ٠,٦ دونم ، وفي فلسطين المحتلة إلى ٠,٥ دونم ، وفي الأردن إلى ٠,٤ دونم ، وفي لبنان إلى ٠,٢ دونم ، غير أنه يرتفع في العراق إلى ١,٢ دونم .

وتتفاوت بلدان الهلال الخصيب من حيث نصيب الفرد من إنتاج الحبوب ، ففي عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م كان نصيب الفرد في لبنان ٧,٨ كغم من الحبوب ، وفي الأردن كان نصيبه ٣٧,١ كغم ، وفي فلسطين المحتلة ٣٨,٨ كغم ، وفي العراق ٩٣,٨ كغم ، وفي سورية ٢٦٩ كغم ، وتتفاوت هذه البلدان بالنسبة لنصيب الفرد من إنتاج اللحوم الحمراء والبيضاء . ففي عام ١٩٨٥م بلغ نصيب الفرد من هذه المادة الحيوية في الأردن ١٦كغم وفي العراق ١٥,٧كغم وفي سورية ١٩,٧كغم وفي لبنان ٢٩,٣كغم وفي فلسطين ٤٦,٧ كغم أما بالنسبة لنصيب الفرد من إنتاج الحليب فإنه بلغ في عام ١٩٨٥م نحو ١٨ كغم للفرد الأردني ، ونحو ٣٥,٤ كغم للفرد العراقي ، ونحو ٥٣,٧ كغم للفرد اللبناني ، ونحو ١١٣ كغم للفرد السوري ، في حين بلغ نصيب الفرد في فلسطين المحتلة نحو ٢٠٧,٤ كغم . وتعني الأرقام السابقة أن ضغط السكان على الموارد الغذائية كان في سورية والعراق والأردن ولبنان مرتفعا نسبيا . علما بأن نصيب الفرد على المستوى العالمي كان في عام ١٩٨٥ نحو ٣٨٠,٦ كغم بالنسبة للحبوب ، ونحو ٣٠,٦ كغم بالنسبة للحوم ، ونحو ١٠٤,٨كغم بالنسبة للحليب . وإذا استثنينا سورية وفلسطين المحتلة فإن نصيب الفرد في إقليم الهلال الخصيب يقل عن المتوسط العام لنصيب الفرد في العالم من الحليب . وإذا استثنينا أيضا فلسطين المحتلة فإن نصيب الفرد من اللحوم في بلدان الهلال الخصيب يقل عن المتوسط العام العالمي . أما بالنسبة لنصيب الفرد

من الحبوب فإن جميع بلدان الهلال الخصيب يقل فيها نصيب الفرد عن المتوسط العام العالمي .

ومن المفيد أن نربط بين العامل الزراعي وإنتاجه من الحبوب والخضار والفواكه في بلدان الهلال الخصيب عام ١٩٨٥م . فبالنسبة لإنتاج الحبوب بلغ نصيب العامل الزراعي السوري ٤,٤ طن وهو أعلى نصيب في الإقليم ، يتلوه العامل الأردني (٢,٨ طن) والعامل في فلسطين المحتلة (٢,١ طن) والعامل العراقي (١,٥ طن) والعامل اللبناني (٠,٢ طن) . أما نصيب العامل الزراعي من إنتاج الخضر فهو مرتفع في فلسطين المحتلة (١١,٣ طن) والأردن (١١,٢ طن) ، ومتوسط في سورية (٥ طن) ، ولبنان (٤,٢ طن) ، وقليل في العراق ٢,٦ طن . وقد بلغ نصيب العامل الزراعي في فلسطين المحتلة من إنتاج الفواكه ٢٤,٥ الطن ، وفي لبنان (٧,٦ طن) ، غير أن نصيب هذا العامل كان متدنيا في العراق (١ طن) وسورية (١,٦ طن) والأردن (٢,٣ طن) .

إنتاج الغذاء ومدى كفايته : قبل أن نستعرض إنتاج الغذاء ومدى كفايته ، لابد أن نتطرق لتطور نمو كل من السكان والإنتاج الزراعي والغذائي في إقليم الهلال الخصيب خلال السبعينات .

جدول (٤) متوسطات النمو السنوية للسكان والإنتاج الزراعي والغذائي للفترة ١٣٩١ - ١٤٠٠هـ / ١٩٧١ - ١٩٨٠م (بالنسبة المئوية)

القطر	السكان	الإنتاج الزراعي	الإنتاج الغذائي
العراق	٣,٤	١,٨	١,٩
فلسطين المحتلة	٢,٧	٦,٦	٣,٠
الأردن	٣,٣	١,٧	١,٧
لبنان	٢,٥	٠,٤	٠,١
سورية	٣,٣	٧,٧	٩,٠
إقليم الهلال الخصيب	٣	٦	٣,١

المصدر :- خالد تحسين علي ، تطورات مقلقة لأوضاع الغذاء والزراعة العربية . مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣٢) (١٩٨١) ، ص ٣٩ .

ويستفاد من بيانات الجدول رقم (٤) أن صورة الوضع الغذائي في إقليم الهلال الخصيب بصفة عامة تبدو مطمئنة إلى حد ما ، حيث إن معدل النمو في الإنتاج الغذائي خلال السبعينات كان يواكب معدل النمو السكاني . غير أن الصورة تبدو مختلفة عندما ننظر إلى الإقليم على المستويات القطرية ، فباستثناء كل من سورية وفلسطين المحتلة ، نجد أن بقية الأقطار تعاني من مشكلة تفوق معدلات نمو السكان فيها على معدلات نمو الإنتاج الغذائي .

جدول (٥) المتوسطات الإنتاجية والاستهلاكية للحبوب خلال الفترة
(١٣٩٦ - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٦ - ١٩٧٨م)

القطر	الإنتــــاج (ألف طن)	جملة الاحتياجات (ألف طن)	العجز أو الفائض (ألف طن)	نسبة الاكتفاء الذاتي
العراق	١٧٧٧,١	٣١٧١,٤	١٣٩٤,٣	٥٦,٠
الأردن	٧٦,٠	٤٧٩,٨	٤٠٣,٨	١٥,٨
لبنان	٦٢,٣	٦٢٢,٣	٥٦٠,٠	١٠,٠
سورية	٢٣٣٤,٢	٢٦٠١,١	٢٦٦,٩	٨٩,٧

المصدر :- المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، دراسات مستقبل اقتصاد الغذاء وبرامج الأمن الغذائي .

ويستنتج من بيانات الجدول (٥) أن إقليم الهلال الخصيب يعاني من عجز واضح في الحبوب ، إذ يبلغ متوسط درجة الاكتفاء من الحبوب نحو ٤٢,٨٪ ، أي أنه ينتج من الحبوب نحو خمسي ما يستهلك سكانه منها . وتتفاوت درجات الاكتفاء الذاتي من الحبوب داخل الإقليم ، فهي متدنية جدا بالنسبة إلى لبنان (١٠٪) والأردن (١٥,٨٪) ، وهي متوسطة بالنسبة إلى العراق (٥٦٪) وسورية (٨٩,٧٪) . غير أن جميع بلدان الهلال الخصيب تعاني من العجز في الحبوب بلا استثناء . وهذا ينطبق

أيضا على العالم العربي بعامة الذي ينتج حاليا من الحبوب في المتوسط حوالي نصف ما يستهلك سكانه .

جدول (٦) المتوسطات الإنتاجية والاستهلاكية للسكر خلال الفترة
١٣٩٥ - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٥ - ١٩٧٩م
(ألف طن)

القطر	الإنتاج	الاستهلاك	العجز الغذائي	نسبة الاكتفاء الذاتي
العراق	١٢,٦	٤٠٥,٢	٣٩٢,٦	٣,١
الأردن	صفر	—	—	صفر
لبنان	١١,٤	٦٣,٢	٥١,٨	١٨,٠
سورية	٢١,١	٢٠٣,٤	١٨٢,٣	١٠,٤

المصدر :- المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، برامج الأمن الغذائي العربي ، الجزء الخامس ، برنامج إنتاج السكر ، ١٩٨٠ .

وتكشف بيانات الجدول (٦) أن إقليم الهلال الخصيب يفتقر إلى إنتاج السكر كمادة غذائية أساسية ، فالأردن لا ينتج هذه المادة حتى الآن ، ويعتمد في سد احتياجاته على الاستيراد من الخارج . أما العراق فإنه ينتج من السكر كمية تقارب ما ينتجه لبنان ، ولكنه لا يحقق سوى نسبة ضئيلة جدا من الاكتفاء الذاتي (٣,١٪) ، في حين ينتج لبنان أقل قليلا من خمس مجموع استهلاكه لمادة السكر . أما سورية فإنها تنتج حوالي عشر ما تستهلك من السكر . وتجدر الإشارة إلى أن العالم العربي ينتج من السكر ما نسبته ٢٨,٧٪ مما يستهلك . كما أنه ينتج ١,٣٪ من الإنتاج العالمي للسكر ، بينما يستهلك ٤,٧٪ من الاستهلاك العالمي لهذه المادة . غير أن الوضع أفضل على المستوى العالمي ، إذ إن العالم ينتج من السكر ما نسبته ١٠٤٪ مما يستهلك[٣٤] .

جدول (٧) المتوسطات الإنتاجية والاستهلاكية للزيوت الغذائية خلال الفترة من ١٣٩٤ - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٤ - ١٩٧٧م

(ألف طن)

القطـــــــر	الإنتاج	جملة الاحتياجات	العجز الغذائي	نسبة الاكتفاء الذاتي
العــراق	٨	٩١,١٤٨	٨٣,١٤٨	٨,٧٨
الأردن	٠,٠٢٨	١٤,١٥٦	١٤,١٢٨	٠,٢٠
لبنــــان	١,٧٦٠	٥٩,٠٨٤	٤٨,٣٢٤	١٨,٢١
سوريـــة	٩١,٠٤٠	٩٠,٦٦٤	٠,٣٧٦	١٠٠,٤١

المصدر :- المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، دراسات مستقبل اقتصاد الغذاء وبرامج الأمن الغذائي .

ويتضح من بيانات الجدول (٧) أنه باستثناء سورية التي يفيض إنتاجها قليلا عن احتياجات سكانها ، فإن بقية بلدان الهلال الخصيب تعاني من عجز في الاكتفاء الذاتي من الزيوت الغذائية ، وهذا العجز شديد في الأردن والعراق . أما لبنان فإنه ينتج أقل قليلا من خمس استهلاكه من الزيوت الغذائية . ومن المتوقع أن تتعرض كافة بلدان الهلال الخصيب لعجز كبير في إنتاج الزيوت الغذائية عام ٢٠٠٠م . إذ إن نسب الاكتفاء الذاتي ستكون في نهاية القرن الحالي متدنية على وجه العموم . ففي العراق من المتوقع أن تصل النسبة إلى ١٦,٣٪ ، بينما تصل في الأردن إلى ٢٪ وفي لبنان ١٥٪ وفي سورية ٨٦٪[٣٥] .

جدول (٨) المتوسطات الإنتاجية والاستهلاكية للحوم الحمراء والألبان خلال الفترة ١٣٩٤ - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٤ - ١٩٧٧م

(ألف طن)

القطر	اللحوم الحمراء				الألبان			
	الإنتاج	الاحتياجات	العجز أو الفائض	نسبة الاكتفاء	الإنتاج	الاحتياجات	العجز أو الفائض	نسبة الاكتفاء
العراق	١٤٨,٤	١٩٠,٤	٤٢,٠	٧٧,٩	٥٨٥,٦	٦٦١,٥٩	٧٥,٩٩	٨٨,٥
الأردن	٨,٥٨	١٨,١٨	٩,٦	٤٧,٢	٦٩,٣٢	١١٧,٨٧	٤٨,٨٥	٥٨,٦
لبنان	١٢,٠١	٤١,٣٣	٢٩,٣٢	٣٠,٤	١١٥,٠٧	٢٠٣,٣٧	٨٨,٣٠	٥٦,٦
سورية	٦٦,٨٩	٧٥,٤١	٨,٥٢	٨٨,٧	٣٩٢,١٩	٤٦٠,٥١	٦٨,٣٢	٨٥,٢

المصدر : المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، دراسات مستقبل اقتصاد الغذاء ، وبرامج الأمن الغذائي .

وتكشف بيانات الجدول (٨) أن إقليم الهلال الخصيب يعاني من عجز في الاكتفاء الذاتي من كل من اللحوم الحمراء والألبان . ويتفاوت هذا العجز بين عجز متوسط كما هو الحال بالنسبة لسورية والعراق ، وعجز كبير كما هو الحال بالنسبة للأردن ولبنان . ولا شك في أن البلدين الأخيرين يحتاجان إلى تطوير ثروتهما الحيوانية لتوفير مادة البروتين الحيواني لتغذية سكانهما ، وللتخفيف من وطأة العجز الشديد . أما العراق وسورية فإن تطوير ثروتهما الحيوانية من شأنه أن يصل بهما في المستقبل إلى الاكتفاء من اللحوم والألبان . وعلى سبيل المثال بلغ عدد الأغنام في العراق عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م نحو ١١,٥ مليون رأس وفي سورية نحو ٩,٣ ملايين رأس . وفي العام نفسه بلغ عدد الأغنام في الأردن نحو ٩٣٨ ألف رأس ، وفي لبنان نحو ٢٥٥ (ألف) رأس . وتجدر الإشارة إلى أن متوسط نسبة الاكتفاء الذاتي لفترة النصف الثاني من السبعينات بلغ ٧٩٪ بالنسبة لمادة اللحوم الحمراء ، و ٩٢٪ بالنسبة لمادة الألبان في العالم العربي .

جدول (٩) المتوسطات الإنتاجية والاستهلاكية للحوم البيضاء والبيض خلال الفترة ١٣٩٥ - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٥ - ١٩٧٩م

(ألف طن)

القطر	اللحوم البيضاء (بالألف طن)				البيض (بالمليون بيضة)			
	الإنتاج	الاحتياجات	العجز التجاري	نسبة الاكتفاء	الإنتاج	الاحتياجات	العجز التجاري	نسبة الاكتفاء
العراق	٥٢	٦٦	١٤	٧٨,٨	١٠٠٠	١١٣٠	١٣٠	٨٨,٥
الأردن	٢٥,٥٠	٢٨,٣٥٨	٢,٨٥٨	٨٩,٩	٢٩٨,٧	٣٢٠,٧	٢٢	٩٣,١
لبنان	٣٠,٨٩٦	٣٠,٨٩٦	—	١٠٠	٢٨١,٥	٢٨١,٥	—	١٠٠
سورية	٢٣,٦٠٠	٢٤,٠٨٢	٠,٤٨٢	٩٨	٧٣٩	٩٦٧	٢٢٨	٧٨,٩

المصدر :- المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، دراسات مستقبل اقتصاد الغذاء ، وبرامج الأمن الغذائي .

ويوضح الجدول (٩) أنه باستثناء لبنان الذي يكفي نفسه من إنتاجه للحوم البيضاء والبيض ، فإن بقية بلدان الهلال الخصيب تنتج معظم احتياجاتها من هاتين المادتين الغذائيتين ، وتستورد ما ينقصها . غير أن سورية تكاد تكفي نفسها من إنتاج اللحوم البيضاء (٩٨٪) ، في حين يكون عجز الأردن عن الاكتفاء من البيض عجزا طفيفا (٩٣٪) . ومن المتوقع أن تتمكن بلدان الهلال الخصيب من الاكتفاء الذاتي من اللحوم البيضاء والبيض في أواخر الثمانينات . وتجدر الإشارة إلى أن متوسط نسبة الاكتفاء الذاتي في العالم العربي من اللحوم البيضاء والبيض لفترة النصف الثاني من السبعينات بلغ ٧١٪ .

جدول (١٠) المتوسطات الإنتاجية والاستهلاكية للأسماك خلال الفترة ١٣٩٤ - ١٣٩٧هـ / ١٩٧٤ - ١٩٧٧م
(ألف طن)

القطر	الإنتاج	الاحتياجات	العجز الغذائي	نسبة الاكتفاء الذاتي
العراق	٢٤,٠	٢٤,٠	—	١٠٠,٠
الأردن	٠,١٠	١,٢	١,١	٨,٣
لبنان	٣,٥	٥,١٤	٢,٦٤	٤٨,٦
سورية	٢,٥	٧,٦	٥,١	٣٢,٩

المصدر :- المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، دراسات مستقبل الغذاء ، وبرامج الأمن الغذائي .

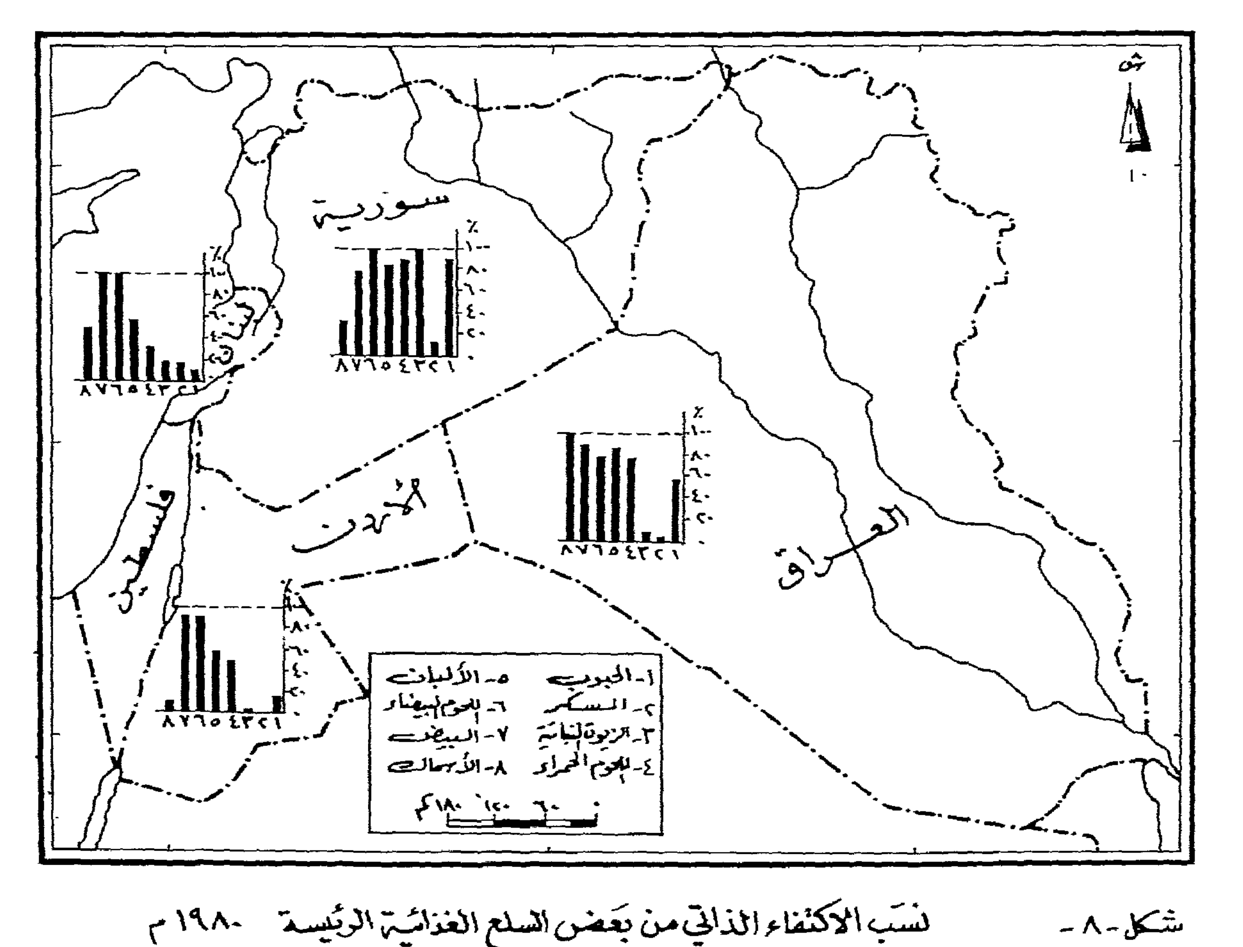
ويتضح من أرقام الجدول (١٠) أنه باستثناء العراق الذي يكفي نفسه من الأسماك ، فإن بقية بلدان الهلال الخصيب تعاني من عجز كبير في الاكتفاء من هذه المادة الغذائية . وأكثر البلدان معاناة للمشكلة هي الأردن (٨,٣٪) . أما سورية فإنها تنتج نحو ثلث إجمالي استهلاكها من الأسماك ، في حين ينتج لبنان نحو نصف احتياجاته من الأسماك . (شكل ٨) .

مشروعات برامج الأمن الغذائي :

تم اختيار كل من العراق وسورية ولبنان نماذج لتوضيح المشروعات المتعلقة بالأمن الغذائي فيها كمايلي[٣٦] :

العراق : تقدر الرقعة الأرضية للعراق بحوالي ٤٣,٧ مليون هكتار ، منها حوالي ١١,٥ مليون هكتار أراض قابلة للزراعة ، ويستغل منها حاليا في الزراعة حوالي ٥,٧ مليون هكتار ، وتشكل الزراعة المروية أكثر من نصف هذه المساحة (حوالي ٥٧٪) . وتقدر مساحة المراعي الطبيعية بحوالي ٤ ملايين هكتار .

ويبلغ عدد المشروعات المقترح تنفيذها في العراق ١٤ مشروعا موزعة بين أربعة برامج ، يخص برنامج القمح والحبوب منها مشروعان ، وبرنامج إنتاج السكر ٨ مشروعات ، وبرنامج الإنتاج الحيواني والداجني ٤ مشروعات . وتقدر الاستثمارات



شكل - ٨ - نسب الاكتفاء الذاتي من بعض السلع الغذائية الرئيسة ١٩٨٠ م

الإجمالية لتنفيذ المشروعات المقترحة بحوالي ٧٣٣٥ مليون دولار ، تشكل حوالي ٢٧,٦٪ من إجمالي الإنفاق الاستثماري المقترح لتنفيذ المشروعات القطرية .

سورية : تقدر الرقعة الأرضية لسورية بحوالي ١٨,٥ مليون هكتار ، يصلح ثلثها تقريبا للزراعة ، ويستغل منها حاليا في الزراعة حوالي ٣,٩ مليون هكتار ، أو ما نسبته ٦٥٪ من المساحة القابلة للزراعة . وتقدر مساحة الأراضي التي تزرع على الري بحوالي نصف مليون هكتار ، أو ما نسبته ١٥٪ من المساحة المستغلة في الزراعة . وهناك حوالي ٨,٥ مليون هكتار من أراضي المراعي .

يبلغ عدد المشروعات المقترح تنفيذها في سورية ٢٢ مشروعا موزعة بين خمسة برامج ، يخص برنامج إنتاج الحبوب والقمح منها ٤ مشروعات ، ومعظمها لبرنامج البذور الزيتية ، ومشروع لإنتاج الأسماك . كما يخص برنامج الإنتاج الحيواني والداجني منها ٧ مشروعات ، وبرنامج إنتاج السكر ٦ مشروعات . ويقدر إجمالي الاستثمارات اللازمة لتنفيذ هذه المشروعات بحوالي ٩٣٩,٢ مليون دولار ، أو ما نسبته حوالي ٣,٥٪ من إجمالي الإنفاق الاستثماري المخصص لمشروعات برامج الأمن الغذائي في جميع الدول العربية .

بلغت نسبة مخصصات مشروعات إنتاج القمح والحبوب حوالي ٣١,١٪ من إجمالي الاستثمارات المخصصة للمشروعات المقرر تنفيذها في سورية . كما بلغت نسبة مخصصات مشروعات إنتاج البذور الزيتية حوالي ٣,٨٪ ، ومشروعات إنتاج الأسماك حوالي ٥,٤٪ ، ومشروعات الإنتاج الحيواني والداجني حوالي ٢١٪ ومشروعات إنتاج السكر حوالي ٣٧,٧٪ .

لبنان : تقدر المساحة الكلية للأراضي اللبنانية بنحو ١,٠٤ مليون هكتار ، يستغل منها حوالي ٣٣,٦٪ في الزراعة . وتبلغ مساحة الأراضي البعلية حوالي ٢٧٥ ألف هكتار ، ومساحة الأراضي المروية حوالي ٧٠ ألف هكتار فقط ، أو مانسبته حوالي ٢٠٪ من إجمالي المساحة القابلة للزراعة . وتقدر مساحة المراعي بحوالي ١٠ آلاف هكتار ، ومساحة الغابات بحوالي ٩٥ ألف هكتار .

وتركز برامج الأمن الغذائي على برنامج إنتاج السكر نظرا لوجود مصنع سكر بنجر في لبنان وإمكانية تطويره وزيادة إنتاجه . ويعتمد البرنامج المقترح لإنتاج السكر في لبنان على تطوير صناعة السكر بالتوسع في مصنع سكر البنجر ، وإنشاء مصنع جديد للسكر في حالة زيادة مساحات البنجر السكري ، وزيادة الإنتاجية للمساحات المزروعة حاليا .

ويستهدف المشروع المقترح لتطوير وزيادة إنتاج السكر ، التوسع رأسيا وأفقيا في زراعة البنجر السكري في سهل البقاع ورفع الإنتاجية إلى ٤٠ طن لكل هكتار ، مع زيادة مساحة الأرض المزروعة بالبنجر حوالي ٩ آلاف هكتار . وينفذ البرنامج في الفترة (١٤٠٦ - ١٤٢٠هـ / ١٩٨٦ - ٢٠٠٠م) ، وخصص لهذا المشروع المقترح استثمارات إجمالية بلغت ٧٠ مليون دولار .

ويقدر حجم الإنتاج الإضافي المتوقع بحوالي ٤٠ (ألف) طن سكر سنويا في مرحلة التشغيل الكامل للطاقات الإنتاجية . كما يؤدي المشروع إلى زيادة نسبة الاكتفاء الذاتي من حوالي ٢٢,٦٪ من إجمالي استهلاك عام ١٩٨٥ - بدون تنفيذ البرنامج - إلى حوالي ٣٣,٣٪ من إجمالي الاستهلاك ، في حالة تنفيذ البرنامج . وترتفع درجة الاكتفاء الذاتي لتصل إلى حوالي ٣٩,٤٪ من إجمالي استهلاك عام ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م مقابل ٢٩,٥٪ من استهلاك العام نفسه في حالة عدم تنفيذ البرنامج المقترح .

الموارد المعدنية والصناعية :

تعتبر الموارد المعدنية بما فيها موارد الطاقة من أهم المقومات الصناعية في إقليم الهلال الخصيب . وسنتطرق بإيجاز إلى موارد الطاقة أولا ، ثم ننتقل بعدئذ للحديث عن المعادن الفلزية وغير الفلزية ، ونختتم هذا الموضوع بدراسة الوضع الصناعي في الإقليم .

موارد الطاقة :

تشتمل موارد الطاقة بصفة عامة على البترول والغاز الطبيعي والكهرباء والفحم . أما البترول فهو المصدر الأول للطاقة في إقليم الهلال الخصيب ، وأما الفحم فإنه لا يسهم بأي دور في الطاقة ، لعدم توافره في الإقليم من جهة ، ولتفضيل مصادر الطاقة الأخرى ، وبخاصة البترول عليه ، من جهة ثانية .

جدول (١١) معدل النمو السنوي لإنتاج واستهلاك الطاقة خلال الفترة (١٣٨٠ – ١٤٠٠هـ / ١٩٦٠ – ١٩٨٠م) (بالنسبة المئوية)

القطر	الإنتاج		الاستهلاك		الاستهلاك الفردي لما يعادل الفحم بالكغم	
	١٣٨٠-١٣٩٤هـ ١٩٦٠-١٩٧٤م	١٣٩٤-١٤٠٠هـ ١٩٧٤-١٩٨٠م	١٣٨٠-١٣٩٤هـ ١٩٦٠-١٩٧٤م	٩٤-١٤٠٠هـ ١٩٧٤-١٩٨٠م	١٣٨٠ – ١٤٠٠هـ ١٩٦٠ – ١٩٨٠م	
العراق	٥,٠	٦,٦	٥,٣	٨,٧	٥٩٨	١٢٢١
فلسطين المحتلة	٤١,٨	٥٢,٩ −	١٠,٩	٢,٥	١٠٠٦	٢٨١٣
الأردن	—	—	٦,٩	١٢,٦	١٨٥	٦٢٧
لبنان	١٢,٧	٠,٥	٨,٠	٣,١ −	٦٦٥	١١٥٣
سورية	٨٦,٢	٤,٠	١١,٤	١١,٩	٢٣٣	٩٦٤

المصدر :– البنك الدولي ، تقرير عن التنمية في العالم ، ١٩٨٣ ، (جدول ٨) .

وإذا نظرنا إلى معدلات النمو السنوي لإنتاج واستهلاك الطاقة خلال الستينات والنصف الأول من السبعينات ، اتضح لنا أن معدلات النمو في استهلاك الطاقة تفوقت على معدلات النمو في إنتاج الطاقة بالنسبة للأردن والعراق ، وحدث العكس بالنسبة لسورية ولبنان وفلسطين المحتلة . وخلال النصف الثاني من السبعينات أصبح معدل النمو في استهلاك الطاقة أقل من معدل النمو في إنتاجها بالنسبة للعراق ولبنان ، وحدث عكس ذلك بالنسبة لسورية والأردن وفلسطين المحتلة . وبالرغم من ارتفاع معدل نمو إنتاج الطاقة في سورية (٧,٥٪) ، إلا أن معدل نمو استهلاك الطاقة فيها (١٥,٢٪) يتفوق على معدل نمو الإنتاج ، الأمر الذي يضطر سورية إلى تغطية العجز عن طريق استيراد الطاقة . ويختلف الوضع بالنسبة للعراق الذي ارتفع معدل نمو إنتاجه خلال الفترة (١٣٩٤ – ١٣٩٩هـ / ١٩٧٤ – ١٩٧٩م) بنسبة ٩,٢٪ ، وارتفع معدل النمو

الاستهلاكي خلال نفس الفترة بنسبة ٢,٦٪ ، الأمر الذي يجعل العراق في وضع أفضل بحيث إنه يصدر ما يفيض عن احتياجاته . أما بالنسبة لكل من الأردن ولبنان فإنهما يعانيان من عجز شديد في الاكتفاء من الطاقة ، ويعتمدان على استيرادها بصورة رئيسة (شكل ٩) .

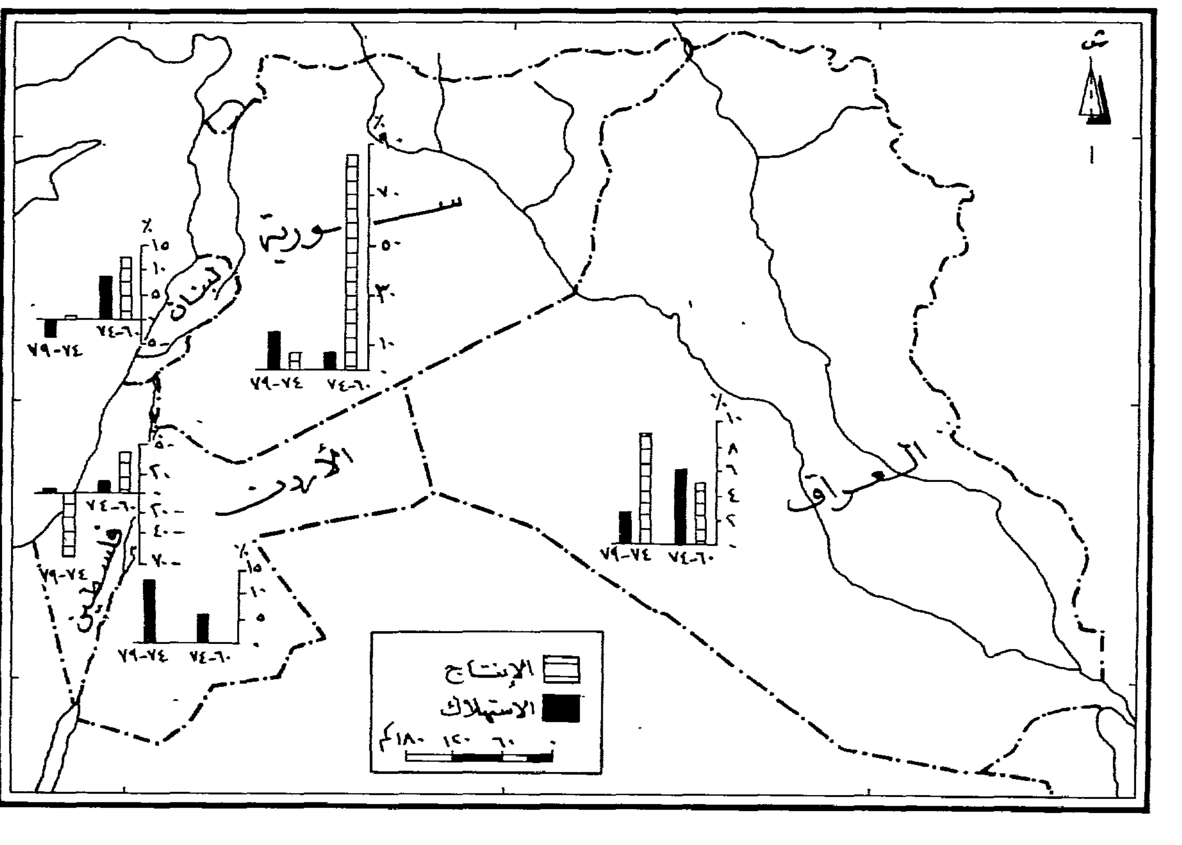
وفيما يتعلق بالاستهلاك الفردي للطاقة ، نجد أن الفرد في فلسطين المحتلة استهلك عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م من الطاقة بما يعادل ٣٦٤٣كغم فحم . وحيث إن إنتاج الطاقة محدود في فلسطين المحتلة ، فإن الاستيراد من الخارج هو الذي يتكفل بتغطية هذا العجز الكبير . وقد استهلك الفرد السوري في عام ١٩٧٩م من الطاقة ما يعادل ٩٧١كغم فحم ، واستهلك الفرد في العراق ما يعادل ٦٩٢ كغم فحم ، واستهلك الفرد في لبنان ما يعادل ١٠٨٣كغم فحم . أما استهلاك الفرد الأردني فإنه كان أقل استهلاك في الإقليم ، إذ استهلك عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ما يعادل ٥٥٢كغم فحم .

جدول (١٢) (تطور إنتاج البترول الخام بالمليون طن)

القطر	١٣٩٠هـ				١٤٠٠هـ			١٤٠٣هـ
	١٩٧٠م	١٩٧٤م	١٩٧٨م	١٩٧٩م	١٩٨٠م	١٩٨١م	١٩٨٢م	١٩٨٣م
العراق	٧٦,٤	٩٦,٨	١٢٥,٦	١٨٢,٨	١٣٠,٥	٤٤,٢	—	—
سورية	٤,٢	٦,٤	٩,٩	٨,٦	٨,٢	٨,٤	٨	٨,٣
فلسطين المحتلة	٠,٥	١,٢	٠,٠٢					

المصدر :– الأمم المتحدة ، الكتاب السنوي للإحصاءات الصناعية . نيويورك (١٩٨٠) .
الأمم المتحدة ، المجموعة الإحصائية لمنطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ١٩٨٣ . بغداد (١٩٨٥) .

ويتضح من بيانات الجدول (١٢) أن العراق يحتل المرتبة الأولى في إنتاج كل من النفط الخام والغاز الطبيعي . وتأتي سورية في المرتبة الثانية من حيث إنتاج هذين المصدرين



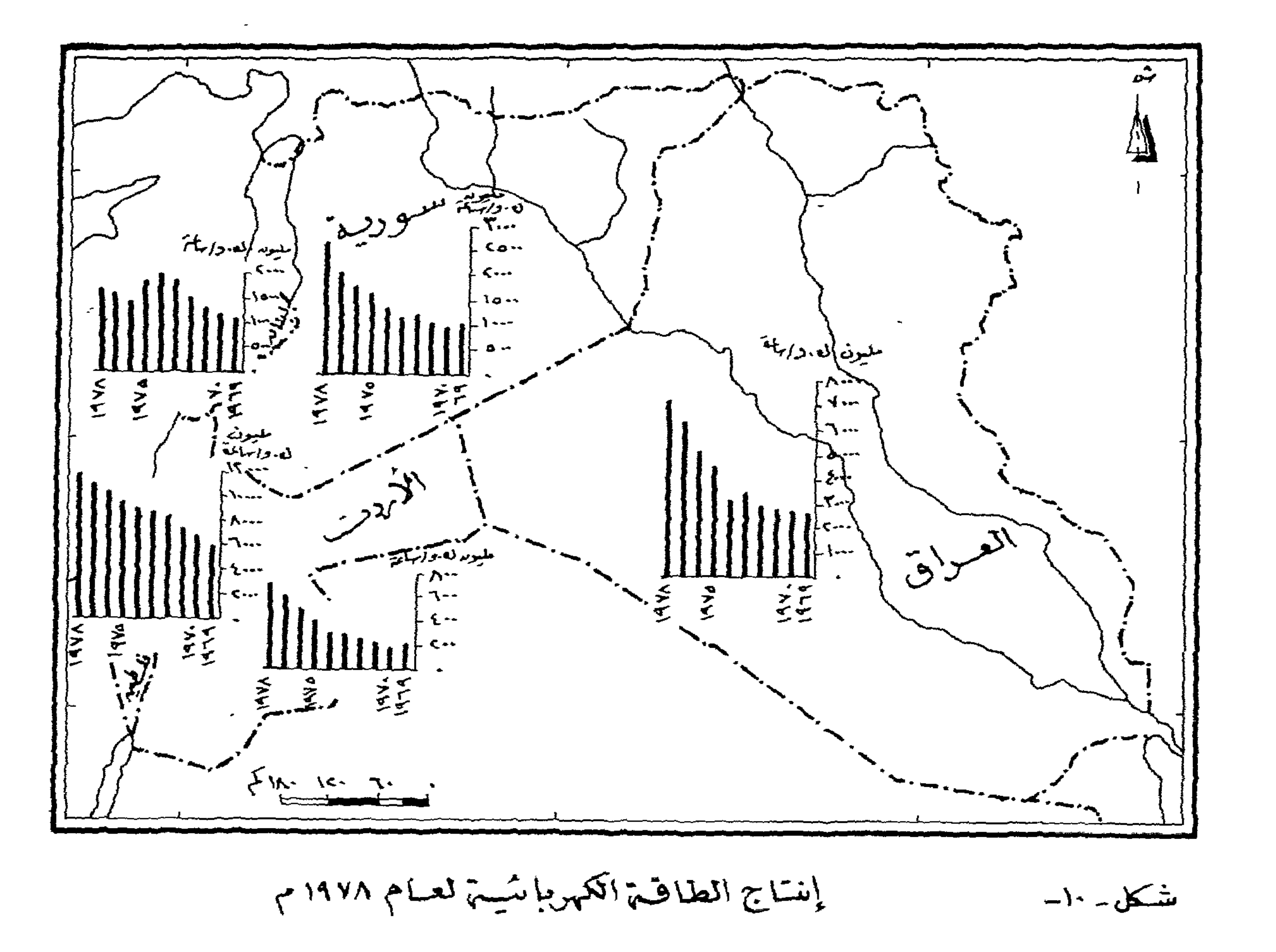
شكل -٩- المعدل السنوي لإنتاج واستهلاك الطاقة خلال الفترة (١٩٦٠ - ١٩٧٩م)

المهمين من مصادر الطاقة . أما فلسطين المحتلة فإنتاجها محدود جدا ، في حين لا ينتج كل من الأردن ولبنان شيئا . وقد بدأ العراق إنتاجه من البترول في عام ١٩٢٧ ، وظل الإنتاج محدودا لا يتجاوز ١١٠ آلاف طن حتى عام ١٩٣٥م ، حينما بلغ ٣,٦ مليون طن . ثم أخذ الإنتاج يتزايد ببطء حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، حيث أدت الحرب إلى هبوط الإنتاج إلى ١,٦ مليون طن في عام ١٩٤١م . وبعد انتهاء الحرب ، أخذ الإنتاج يتزايد بسرعة حتى وصل إلى ٤٩ مليون طن في عام ١٩٦١ ، و ٦٨ مليون طن في عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، و ٧٦,٩ مليون طن في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، و ٩٤,٦ مليون طن في عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، و ١٢٥,٦ مليون طن في عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، و ١٣٠,٥ مليون طن عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م[٣٧] ، ثم إلى ٤٤,٢ مليون طن عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

ويستخرج البترول في العراق من خمس مناطق هي منطقة كركوك ، ومنطقة جنوبي العراق التي تضم حقلي الزبير والرميلة ، ومنطقة شمال العراق التي تضم حقلي عين زالة وبطمة ، ومنطقة خانقين التي تضم حقل نفط خانة قرب الحدود الإيرانية ، ومنطقة غرب الفرات التي تضم حقول قصب وجاوان ونجمة والقيارة . وتعتبر منطقة كركوك الواقعة في الشمال الشرقي من العراق أهم مناطق إنتاج البترول في العراق ، إذ إن حقل كركوك يعد عملاقا في إنتاجه الذي كان يصدر جزء منه عبر الأنابيب إلى ميناء بانياس في سورية وميناء طرابلس في لبنان ، ومنذ عام ١٩٨٢ توقف تصدير البترول العراقي عبر الموانى السورية ، وأخذ العراق يصدر بتروله بواسطة أنبوبين يمران عبر الأراضي التركية إلى موانيها .

أما بترول سورية فإنه يستخرج من حقلين رئيسين بمحافظة الحسكة في شمال شرقي سورية ، وهما حقل كراتشوك وحقل السويدية . ويزود هذان الحقلان سورية بمعظم احتياجاتها من النفط . ويستخرج البترول في فلسطين المحتلة من منطقة برير – حليقات – كوكبا في شمال النقب ، وكانت شركة بترول العراق البريطانية قد اكتشفت هذا الحقل المهم في أواخر فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، إلا أنه لم يستغل إلا بعد قيام الكيان الصهيوني في فلسطين .

وإذا انتقلنا إلى إنتاج الطاقة الكهربائية في إقليم الهلال الخصيب ، نجد أنه يتخذ اتجاها تصاعديا في تزايده . وتعتمد محطات توليد الكهرباء على بعض المساقط المائية للسدود المقامة على الأنهار ، كما تعتمد على مشتقات البترول في إدارتها بصورة رئيسة . (شكل ١٠) .



شكل -١٠- إنتاج الطاقة الكهربائية لعام ١٩٧٨م

جدول (١٣) تطور إنتاج الطاقة الكهربائية (بالمليون كيلو وات / ساعة)

القطر	١٣٨٩هـ ١٩٦٩م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٩٧١م	١٩٧٢م	١٩٧٨م	١٩٧٩م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٩٨١م	١٩٨٢م	١٤٠٣هـ ١٩٨٣م
العراق	٢٦٠٠	٢٧٥٠	٢٨٠٠	٢٩٠٠	٦٩٥٠	٨٠٠٠	١١٤٢٦	١٠٩٧٤	١٣٧٠٨	١٣٧٠٠
فلسطين المحتلة	٦٠٧٩	٦٨٨٥	٧٦٣٩	٨٤٧٨	١١٨٧٤	—	—	—	—	—
الأردن	٢٠٠	١٨٧	٢١٠	٢٤٩	٧٠٤	٩٠١	١٠٧٠	١٢٣٧	١٥١٢	١٩١٨
لبنان	١١٣٩	١٢٣٠	١٣٧٥	١٥٤٥	١٧٠٠	١٨٠٠	١٨٠٠	١٨١٠	١٢٩٠	١٢٢٠
سورية	١٠٣٤	٩٤٧	١٠٤٩	١٢٢٣	٢٧٠٢	٣٣٥٦	٣٨٣٧	٤٥٦٤	٥٧٣٧	٧١١٧

المصدر :– الأمم المتحدة ، الكتاب السنوي للإحصاءات الصناعية . نيويورك (١٩٨٠) . الأمم المتحدة ، المجموعة الإحصائية لمنطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ١٩٨٣ ، العدد (٨) ، بغداد (١٩٨٥) .

تتصدر فلسطين المحتلة بلدان الإقليم من حيث إنتاج الطاقة الكهربائية ، ويتلوها في ذلك العراق ثم سورية والأردن ولبنان . وإذا استثنينا الأردن ، فإن بقية البلدان تولد جزءا من الطاقة الكهربائية من مساقط المياه الناجمة عن إقامة السدود على بعض الأنهار كالدجلة والفرات والعاصي والليطاني وغيرها . وتسهم الطاقة الكهربائية في إدارة المصانع في الإقليم ، كما أنها تسهم أيضا في تسيير محطات ضخ وتوزيع المياه على البيوت في المدن .

الموارد المعدنية :

إضافة لموارد الطاقة سالفة الذكر ، فإن إقليم الهلال الخصيب يضم ثروات معدنية متنوعة . وتسهم المؤسسات والشركات التعدينية في استغلال كثير من المعادن . ففي الأردن مثلا ازداد عدد المؤسسات والشركات العاملة في التعدين من ٧٢ مؤسسة يعمل فيها ٢٤٠٥ عمال عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م إلى ١٠٧ مؤسسات يعمل فيها ٤٣٢٨ عاملًا عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م . وفي سورية ازداد عدد مؤسسات التعدين من ١٠٣ مؤسسات يعمل فيها ٥٣٠٠ عامل عام ١٩٧٣م إلى ١٨٥ مؤسسة يعمل فيها ١٤٣٠٠ عامل عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . وبلغ معدل النمو السنوي لإنتاج المعادن والمحاجر في سورية خلال الفترة (١٣٨٨ – ١٤٠٠هـ / ١٩٦٨ – ١٩٨٠م) نحو ٣٣,٥٪ ، في

حين بلغ هذا المعدل للفترة نفسها في فلسطين المحتلة نحو ٢,٥٪[٣٨] . ويمكن أن نذكر بعض المعادن التي تستخرج حاليا في إقليم الهلال الخصيب كمايلي :-

الفوسفات :- يوجد خام الفوسفات في الصخور الرسوبية على هيئة طبقات قديمة للفوسفات ، ومعظمها رواسب بحرية تراكمت خلال العصر الطباشيري الأعلى والعصر الأيوسيني الأسفل . ولا يؤدي الفوسفات في حالته الطبيعية الغرض المطلوب منه كسماد لأنه لا يذوب بسهولة ، ولذلك يعالج بحامض الكبريتيك فيتحول إلى سوبر فوسفات سهل الذوبان في الماء فيمتصه النبات . ويتركز إنتاج الفوسفات في الأردن وفلسطين المحتلة ، وسورية ، حيث تطور إنتاجه في السنوات الأخيرة تطورا كبيرا .

جدول (١٤) تطور إنتاج الفوسفات الطبيعي
(١٣٨٩ - ١٤٠٣هـ / ١٩٦٩ - ١٩٨٣م)
(ألف طن متري)

القطر	١٣٨٩هـ ١٩٦٩م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٩٧١م	١٩٧٢م	١٩٧٨م	١٩٧٩م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٩٨١م	١٩٨٢م	١٤٠٣هـ ١٩٨٣م
فلسطين المحتلة	٩٩٤	٨٨٠	٧٦٤	٩٣٧	١٧٢٣	—	—	—	—	—
الأردن	١٠٨٩	٩١٣	٦٥١	٧١٤	٢٣٢٠	٢٨٢٥	٣٩١١	٤٢٤٣	٤٣٩٠	٤٧٤٦
سورية	—	—	٢٠	١١٢	٧٤٧	١١٧٠	١٣١٩	١٣١٩	١٤٦١	١٢٣١

المصدر :- الأمم المتحدة ، الكتاب السنوي للإحصاءات الصناعية . نيويورك (١٩٨٠) . الأمم المتحدة ، المجموعة الإحصائية لمنطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ١٩٨٣ . العدد (٨) ، بغداد (١٩٨٥) .

ويحتل الأردن المرتبة الأولى في إنتاج الفوسفات الطبيعي ، ويتلوه في ذلك فلسطين المحتلة وسورية . ويستخرج الفوسفات الأردني من عدة مناجم ، كالرصيفة والحسا والوادي الأبيض ، وبلغ مجموع ما أنتجه الأردن من فوسفات في عام ١٩٨٣م نحو ٤,٧ مليون طن .

وفي فلسطين المحتلة يوالي الكيان الصهيوني استخراج الفوسفات من مناجم أورون في صحراء النقب ، إذ أنتج منه عام ١٩٨٠ نحو ٢,٣ مليون طن ، ويشحن بعض الناتج إلى حيفا حيث يحول إلى سوبر فوسفات للاستهلاك المحلي . أما الفوسفات الأردني فيصدر معظمه للخارج عن طريق ميناء العقبة ويحول الباقي إلى سماد في مصنع الأسمدة الكيماوية بالعقبة .

ويستخرج الفوسفات السوري من مناجم تقع في منطقتي تدمر ودمشق حيث أنتج منه عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م نحو ١,٣ مليون طن . في حين اكتشف الفوسفات العراقي في منطقة الهضبة غربي الفرات بالقرب من الرطبة ، ومن المتوقع أن يبدأ تعدينه واستخراجه بكميات تجارية من مناجم أقشاط . و لم يعثر على الفوسفات في لبنان بعد .

البوتاس : يكاد يقتصر إنتاج البوتاس على فلسطين المحتلة والأردن ، حيث يستخرج هو والأملاح الأخرى من البحر الميت . وقد بدأ إنتاجه في الثلاثينات عندما منحت سلطة الانتداب البريطاني على فلسطين شركة يهودية امتيازا باستخراج الأملاح من البحر الميت . غير أن الإنتاج توقف في أواخر الأربعينات إثر حرب عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م ، وأخذ الكيان الصهيوني منذ عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م في استخراج البوتاس من أسدوم على الطرف الجنوبي الغربي للبحر الميت . وازدادت كميات الإنتاج بصورة تصاعدية من ٥٣٠ ألف طن عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م إلى ٥٦٠ ألف طن عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، وإلى ٦٠٧ آلاف طن عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، وإلى ٦٩١ ألف طن عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م وإلى ١,٣ مليون طن عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . ويصدر جزء كبير من هذا الإنتاج إلى الخارج عن طريق ميناء إيلات على خليج العقبة .

وتشرف شركة البوتاس العربية في الأردن على استخراج البوتاس والأملاح الأخرى من البحر الميت منذ عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، عندما بدأ إنتاجها بقدرة ٢٤٠ ألف طن سنويا . ثم استمر إنتاج الشركة فى الارتفاع تدريجيا حتى بلغ ١,٢ مليون طن سنويا في عام ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م . ومن المتوقع أن يسهم هذا

الإنتاج في الدخل القومي الأردني بما لا يقل عن ٤٠ مليون دينار في السنة . وبالإضافة إلى كلوريد البوتاسيوم فإن المشروع يشتمل على إنتاج ٢٥ ألف طن سنويا من البرومين ومشتقاته ، وعلى إنتاج ١٠ آلاف طن سنويا من أكسيد المغنيسيوم ، وعلى إنتاج ٥ آلاف طن من الطوب الحراري ، إضافة إلى إنتاج ٣٠ ألف طن سنويا من ملح الطعام النقي . ويقع مشروع البوتاس في الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الميت قرب غور الصافي في الأردن ، ويتم تصدير البوتاس للخارج عن طريق ميناء العقبة .

النحاس :- يفتقر إقليم الهلال الخصيب إلى النحاس ، إذا قورن بالأقاليم الأخرى داخل المنطقة العربية ، وبخاصة إقليم المغرب العربي . ويكاد يقتصر استخراج النحاس على فلسطين المحتلة ، حيث يستخرج من مناجم تبنه في النقب الجنوبي ، غير أن إنتاج النحاس تناقص في السنوات الأخيرة نتيجة استنزاف الصهاينة لهذا المعدن ، من جهة ، ونتيجة انسحاب الصهيونيين من سيناء حيث استغلوا مناجم النحاس فيها . وتشير الأرقام إلى أن متوسط الإنتاج السنوي لخام النحاس ، قد بلغ أوائل السبعينات ، نحو عشرة آلاف طن متري في فلسطين المحتلة ، وانخفض الإنتاج إلى ٨ (آلاف) طن في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م إلى ألفي طن في عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م وإلى ٥٠٠ طن في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

ويحتمل أن تبلغ كمية خام النحاس في الأردن نحو بليون طن متري ، ويتركز هذا الخام في مرتفعات جنوب الأردن المطلة علي وادي عربة ، وفي جنوب البحر الميت . وتستهدف خطة التنمية (١٤٠١ - ١٤٠٥هـ / ١٩٨١ - ١٩٨٥م) تنفيذ مشروع لاستخراج النحاس ، ويشتمل المشروع على إقامة مصنع ريادي لاستخراج النحاس بطاقة ٣ آلاف طن في السنة . ويعتمد المشروع على استغلال الخامات التي يثبت أن بالإمكان تعدينها ، والتي تقدر بحوالي خمسة ملايين طن .

الرمل والسيليكا والكوارتز :يشتمل إقليم الهلال الخصيب على خامات الرمل والسيليكا والكوارتز . وتحتل سورية المكانة الأولى في إنتاج هذه الخامات ، إذ ازداد إنتاجها من ١,٨ مليون طن في عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، إلى ٣,٢ مليون طن في عام

١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م وإلى ٦,٥ مليون طن في عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م . وتأتي فلسطين المحتلة في المرتبة الثانية من حيث الإنتاج الذي ازداد من ٥٢ ألف طن في عام ١٩٦٩م إلى ٧٣ ألف طن في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م وإلى ٨٠ ألف طن في عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م . وقد قامت بعض الصناعات على هذه الخامات مثل الخزف والزجاج في بلدان الهلال الخصيب . وتوجد هذه الخامات بكميات محدودة في الأردن ولبنان والعراق ، وتقوم الشركة العربية للتعدين باستخراج الرمل الزجاجي في الأردن .

الملح غير المكرر : تقوم جميع بلدان الهلال الخصيب باستخراج الملح بالرغم من تفاوتها في الإنتاج . ففي عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م أنتجت فلسطين المحتلة من الملح غير المكرر نحو ١٠٠ ألف طن ، بينما أنتج العراق نحو ٦٠ ألف طن ، وأنتجت سورية نحو ٨٨ ألف طن ، وأنتجت لبنان نحو ٣٥ ألف طن ، وأنتج الأردن نحو ٣٤ ألف طن . ويعبأ ملح الطعام بعد تكريره في أكياس تباع في الأسواق للاستهلاك المحلي .

معادن أخرى : هناك معادن أخرى مثل الحديد والمنغنيز والكبريت والرصاص والصلصال والجبس ولكنها توجد بكميات قليلة في بعض بلدان الهلال الخصيب . ففي سورية عثر على خامات الحديد في أربع مناطق هي راجو وكيري وعثمانلي وعلمدار ، وجميعها في الجزء الشمالي الغربي من محافظة حلب . وفي الأردن عثر على الحديد في منطقة السلط – عجلون ، كما عثر على المنغنيز في وادي عربة . وعثر على الصخر الزيتي في منطقة اللجون جنوب الأردن . وفي العراق يستخرج الكبريت بمعدل ٦٠٠ ألف طن في السنة ، كما أثبتت الكشوف وجود الرصاص في منطقة العمارنة الجبلية شمال شرقي العراق ، وفي قرية باطوفة قرب الحدود العراقية التركية . ويستخرج الصلصال والجبس في العراق والأردن وسورية بكميات محدودة . أما الفحم والزنك والقصدير والذهب والفضة والكروم والنيكل والتنجستن والكوبالت فلم يعثر عليها بعد ، ومن المحتمل أن يتم العثور على بعض هذه المعادن في المستقبل .

الموارد الصناعية : نشأت الصناعة في إقليم الهلال الخصيب منذ القدم . ويمكن القول إن الصناعة الحديثة أخذت تتطور وتنمو تدريجيا منذ أوائل الخمسينات حتى أصبح إقليم

الهلال الخصيب يضاهي بقية أقاليم العالم العربي من حيث الإنتاج الصناعي . ومن المفيد أن نختار بعض البلدان مثالًا على تطور الإنتاج الصناعي .

جدول (١٥) الأرقام القياسية للإنتاج الصناعي في الأردن خلال الفترة من ١٣٩٩- ١٤٠٣هـ / ١٩٧٩ - ١٩٨٣م . [١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م = ١٠٠] .

المـــادة	١٣٩٩هـ ١٩٧٩م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٤٠١هـ ١٩٨١م	١٤٠٢هـ ١٩٨٢م	١٤٠٣هـ ١٩٨٣م
المواد الغذائية والمشروبات والأعلاف .	١٠٠	١٠٣	١١٦	١١٣	١٠٣
السجاير والثقاب .	١٠٠	١٢٤	١٤٠	١٤٠	١٢٠
المنسوجات والملابس .	١٠٠	١١٢	٩٤	٨٢	٩٦
الصناعات الكيماوية .	١٠٠	١٢٥	١٣٤	١٣٩	١٣٢
مواد البناء .	١٠٠	١١٩	١٦٤	١٥٣	١٧٦
الكهرباء والبطاريات .	١٠٠	١٢١	١٣٢	١٦٠	١٩٦
الأحذية والجلود .	١٠٠	١٠٠	١٠٣	٩٨	١٠٥
تصفية البترول .	١٠٠	١٠٦	١٢٧	١٤٦	١٤٤
الفوسفات .	١٠٠	١٣٨	١٥٠	١٥٥	١٦٨
الورق والكرتون .	١٠٠	٩٢	١٦٢	١٤٨	١١٢
الرقم القياسي العام للإنتاج الصناعي .	١٠٠	١١٩	١٣٩	١٤٤	١٥١

المصدر :- الأمم المتحدة ، المجموعة الإحصائية لمنطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا في ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م - بغداد ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . ص ٢٣٧ .

جدول (١٦) الأرقام القياسية للإنتاج الصناعي في العراق . خلال الفترة من ١٣٨٨ – ١٣٩٧هـ / ١٩٦٨ – ١٩٧٧م . (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م = ١٠٠) .

المادة	١٣٨٨هـ ١٩٦٨م	١٣٨٩هـ ١٩٦٩م	١٣٩٠هـ ١٩٧٠م	١٣٩١هـ ١٩٧١م	١٣٩٢هـ ١٩٧٢م	١٣٩٣هـ ١٩٧٣م	١٣٩٤هـ ١٩٧٤م	١٣٩٦هـ ١٩٧٦م	١٣٩٧هـ ١٩٧٧م	معدل النمو السنوي ٪
المنتجات الغذائية .	٥٢	٥٦	٥٧	٦٣	٦٥	٧٧	٨١	١٣٣	—	١٢,٥
المنسوجات .	٤٦	٥٤	٦٣	٧٦	٩٨	١٠٨	١٠٥	١١٢	—	١١,٨
المنتجات الكيماوية.	٥٠	٥٥	٦٠	٧١	٧٨	٧٦	٩١	١٠٨	—	١٠,١
تصفية النفط .	٤٧	٥١	٥٢	٥٨	٦٢	٦٢	٦٨	١٢٨	—	١٣,٣
الخزف والزجاج .	٧٠	٧١	٧٢	٨٤	٩٤	٩٩	٩٣	١٢٢	—	٧,٢
صناعات أخرى .	٢٨	٣٦	٤٦	٥٥	٦٢	٧٧	٩٣	١١٥	—	١٩,٣
الرقم القياسي العام للإنتاج الصناعي .	٤٩	٥٤	٥٨	٦٧	٧٣	٧٩	٨٤	١٢٣	—	١٢,٢

المصدر :– الأمم المتحدة ، الكتاب السنوي للإحصاءات الصناعية ، نيويورك (١٩٨٠) .

يتبين من الأرقام القياسية الواردة في الجداول أرقام ١٥ ، ١٦ ، ١٧ مدى التطور الذي شهدته كل من الصناعة العراقية والسورية . فالإنتاج الصناعي يشهد نموا متصاعدا في مختلف فروعه ، وإن كان هناك تفاوت في نسب النمو من مجموعة صناعية لأخرى . وتشير الأرقام إلى أن معدل النمو السنوي للإنتاج الصناعي العام في كل من العراق وسورية خلال الفترة (١٣٨٨ – ١٣٩٧هـ / ١٩٦٨ – ١٩٧٧م) بلغ ١٢,٢٪ و ١٠,٥٪ على التوالي . وبالنسبة للمنتجات الغذائية بلغ متوسط نموها السنوي في كل من العراق وسورية ١٢,٥٪ و ٧,٣٪ على التوالي . وكان متوسط النمو السنوي لإنتاج المنسوجات ١١,٨٪ في العراق و ٥,٨٪ في سورية ، أما المنتجات الكيماوية فبلغ متوسط نموها ١٠,١٪ و ٧,٩٪ على التوالي . وهكذا نجد أن معدلات نمو إنتاج كثير من الصناعات في العراق أكثر ارتفاعا من مثيلاتها في سورية .

جدول (١٧) الأرقام القياسية للإنتاج الصناعي في سورية خلال الفترة ١٣٨٨ - ١٣٩٧هـ / ١٩٦٨ - ١٩٧٧م (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م = ١٠٠)

المادة	١٣٨٨هـ ١٩٦٨م	١٩٦٩م	١٩٧٠م	١٩٧١م	١٣٩٢هـ ١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٦	١٣٩٧هـ ١٩٧٧	معدل النمو السنوي ٪
المنتجات الغذائية .	٥٨	٧١	٧٣	٧٩	٨٢	٩٦	٩٥	١٢٠	١٠٩	٧,٣
المنسوجات .	٦٠	٧٢	٧٤	٧٨	٨١	٨٣	٩٤	١٠٦	١٠٠	٥,٨
المنتجات الكيماوية.	٦٦	٩٢	٦٩	٧٧	٧٨	٨٦	٨٦	١١٠	١٣١	٧,٩
الورق ومنتجاته .	٤٥	٤٩	٦٠	٦٥	٦٩	٧٠	٨٦	١٢٩	١٧٣	١٦,١
المنتجات الخشبية والأثاث .	٦٠	٨١	٧٧	٨٤	٨٨	٨٨	٩٤	١٠٧	١٤٣	١٠,١
المنتجات المطاطية .	٣٢٤	٢٧٩	٢٦٧	١٦٨	١٤٧	١١٣١	١١٢	١١٧	١١٧	١٠,٧
الزجاج ومنتجاته .	٨٢	٨١	٨٥	٨٠	٨٨	٨٣	٩٥	١١٥	١١٤	٣,٧
الحديد والصلب .	٢٨	٣٥	٣٥	٤٦	٧٠	٤٤	٥٩	١١٥	١١٤	١٦,٩
المنتجات المعدنية .	٤١	٢٦	٣٨	٤١	٤٦	٤٣	٥٧	١١٠	١٢١	١٢,٨
الرقم القياسي العام للإنتاج الصناعي .	٤٣	٥٢	٥٨	٦٢	٦٩	٧٣	٨٦	١٠٩	١٠٦	١٠,٥

المصدر : المصدر السابق نفسه .

ارتفعت القيمة المضافة في المنتجات الصناعية العراقية من ٣٢٥ مليون دولار أمريكي عام ١٩٧٠ إلى ٦٥٢ مليون دولار عام ١٩٧٦ . وازداد إجمالي الإنتاج الصناعي للفرد خلال نفس الفترة من ٧٧ دولاراً إلى ١٤٤ دولاراً . وبالنسبة لسورية ، ازدادت القيمة المضافة في المنتجات الصناعية من ٢٣٨ مليون دولار عام ١٩٧٠م إلى ٤٥٨ مليون دولار

عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م . وانخفض إجمالي الإنتاج الصناعي للفرد خلال نفس الفترة من ١١٧ دولارًا إلى ١٠٠ دولار[٣٩] .

ومما يسترعي الانتباه ، ونحن بصدد دراسة تطور الإنتاج الصناعي في إقليم الهلال الخصيب ، أن الأردن شهد خلال فترة تنفيذ الخطة الخمسية الأولى (١٣٩٦-١٤٠٠هـ ١٩٧٦ - ١٩٨٠م) تطورا سريعا في نمو إنتاجه الصناعي . ففي نهاية فترة الخطة الخمسية ازداد الإنتاج الصناعي بنسبة ٢٣,٥٪ من عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م إلى عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . وازداد إنتاج المواد الغذائية خلال نفس الفترة بنسبة ١٧,٣٪ ، وازداد إنتاج المنسوجات والملبوسات بنسبة ١٥,٩٪ ، بينما ازداد إنتاج الصناعات الكيماوية بنسبة ٢٩,٤٪[٤٠] . ويمكن أن نفسر ازدياد إنتاج معظم الصناعات الرئيسة ، كالأسمنت والفوسفات والكهرباء والورق والكرتون والصناعات الكيماوية ، بتحسن فرص التصدير ، وزيادة الطلب المحلي ، وتنفيذ مشروعات جديدة ، وتوسيع المشروعات القائمة . وقد ازداد عدد المؤسسات الصناعية من ٤٥٨٧ مؤسسة ، يعمل فيها ٢٤,٣٦١ عاملًا في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، إلى ٥١٩٧ مؤسسة ، يعمل فيها ٢٦,٧٧٥ عاملا في عام ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م . وفي عام ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م تم تسجيل ٢٦٠ شركة صناعية رأسمالها ١٧ مليون دينار ، في حين تم تسجيل ١٤٩ شركة صناعية أخرى رأسمالها ٨,١ ملايين دينار في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م[٤١] . ويمكن القول إن الإنتاج الصناعي في الأردن وصل إلى القمة في عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ثم أخذ في الانخفاض قليلا نتيجة لحالة الركود الاقتصادي الذي مر فيه الأردن منذ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، غير أنه ظل أكثر مما كان عليه في عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

ويتفاوت إنتاج بلدان الهلال الخصيب من الصناعات ، فهناك صناعات مزدهرة في بلد ما ومعدومة في بلد آخر[٤٢] . وإذا أخذنا بعض الصناعات الغذائية مثالا ، نجد أن إنتاج السكر يقتصر على العراق الذي أنتج عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م نحو ١٥٧ ألف طن ، وسورية التي أنتجت ١١٧ ألف طن ، وفلسطين المحتلة التي أنتجت ٢٨ ألف طن . أما لبنان فإنه يكرر كميات محدودة من السكر المستورد من الخارج ، في حين

لا ينتج الأردن شيئا من السكر . وتعتمد جميع هذه البلدان على استيراد مادة السكر من الخارج .

أما إنتاج زيت الزيتون فإنه يتفاوت من بلد لآخر ، ففي عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م أنتجت سورية نحو ٧٠ ألف طن من زيت الزيتون ، وأنتج لبنان ١٠ آلاف طن ، وأنتج الأردن ٦ آلاف طن ، بينما أنتجت فلسطين المحتلة ألف طن فقط . وتنتج جميع بلدان الهلال الخصيب مادة طحين القمح بلا استثناء وإن تفاوت إنتاجها ، ففي عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م أنتجت سورية ٥٣٠ ألف طن من الطحين ، في حين أنتجت فلسطين المحتلة ٤٥٢ ألف طن ، وأنتج لبنان ٢١٩ ألف طن ، وأنتج الأردن ٦٥ ألف طن . وهناك صناعات غذائية أخرى في جميع بلدان الهلال الخصيب كحفظ الخضر والفواكه والحلويات والبسكويت والسكاكر وغيرها .

وتمثل صناعة الغزل والنسيج إحدى الصناعات القديمة في إقليم الهلال الخصيب . وكانت فيما مضى صناعة يدوية يمارسها السكان في منازلهم ، ولا يزال النول اليدوي قائما حتى الآن في بعض المناطق الريفية والبدوية ، حيث تصنع العباءات والأبسطة والسجاجيد وبيوت الشعر . غير أن المغازل والمناسج الميكانيكية أخذت تحل محل اليدوية ، وغدت هذه الصناعة تحتل مكانا مرموقا في الاقتصاد الصناعي الحديث للهلال الخصيب . ففي سورية تتركز صناعة الغزل والنسيج في مدينتي حلب ودمشق ، وتصدر المنسوجات القطنية والحريرية إلى الخارج بينما تستورد المصنوعات الصوفية لعدم كفاية الإنتاج المحلي . وفي عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م أنتجت سورية من غزل القطن والصوف النقي والممزوج نحو ٢٢٧٠٠ طن و ٢٢٠٠ طن على التوالي . وفي لبنان تتركز صناعة الغزل والنسيج في بيروت وطرابلس ، وتصدر المنسوجات القطنية والحريرية ، بينما لا تكفي المنسوجات الصوفية الاحتياجات المحلية له . وقد أنتج لبنان من غزل القطن ٤ آلاف طن ، ومن غزل الصوف ٩٠٠ طن في عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

وتتركز صناعة الغزل والنسيج العراقية في بغداد والموصل والبصرة وبعض المدن الأخرى . وقد أنتج العراق من غزل القطن نحو ١٤٠٠ طن في عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ،

ومن غزل الصوف نحو ٢٠٠ طن في عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م . وفي فلسطين المحتلة أنتج الكيان الصهيوني من غزل القطن نحو ٢٤,٣٠٠ طن في عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ومن غزل الصوف نحو ٩١٠٠ طن .

وتعتبر صناعة الأسمنت من مواد البناء المهمة التي ينتجها إقليم الهلال الخصيب . ففي عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م احتل العراق المرتبة الأولى في إنتاج الأسمنت (٣,٣ مليون طن) ، وأنتجت فلسطين المحتلة ١,٩ مليون طن ، في حين أنتجت سورية ١,٥ مليون طن ، وأنتج لبنان ١,٢ مليون طن ، وأنتج الأردن ٠,٥ مليون طن . ويعتبر الصابون من الصناعات الكيماوية المهمة في الهلال الخصيب . ففي عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م أنتجت سورية نحو ٣٦ ألف طن من الصابون ، وأنتج العراق نحو ٣٠ ألف طن ، وأنتجت فلسطين المحتلة نحو ٨ آلاف طن ، وأنتج الأردن نحو ٤٢٠٠ طن .

أما صناعة السوبر فوسفات فإنها تتركز في لبنان الذي أنتج منها عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م نحو ٦٢ ألف طن ، وفلسطين المحتلة التي أنتجت ٤٣ ألف طن ، في حين أنتجت سورية ألف طن فقط . أما الأردن فإنه أنشأ مصنعا لإنتاج الأسمدة الكيماوية ومشتقاتها ، وقد بدأ إنتاجه في عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ويشتمل المشروع على إنتاج فوسفات الأمونيوم الأحادي والثنائي بطاقة ٧٠٠ ألف طن في السنة ، وكذلك إنتاج حامض الفوسفوريك بمعدل ٧٠٠ ألف طن في السنة . ويشتمل أيضا على إنتاج فلوريد الألمنيوم بطاقة ٢٠ ألف طن في السنة ، وعلى إنتاج أكسيد اليورانيوم بطاقة ١٠٠ طن في السنة .

وتقوم صناعة تكرير البترول في جميع بلدان الهلال الخصيب ، حيث يتم تكريره في كل من العراق وسورية من إنتاجهما المحلي ، بينما يستورد كل من الأردن ولبنان وفلسطين المحتلة كميات كبيرة من البترول الخام لتكريره محليا ، غير أن الكيان الصهيوني يصدر جزءاً من مشتقات البترول بعد تكريره إلى الخارج . ويكرر البترول الخام في عدة مواقع داخل الهلال الخصيب ، ففي العراق تقع معامل تكريره في بابا كركر قرب كركوك ، وبيجي على الضفة الغربية لنهر دجلة والحديثة على نهر الفرات وخانقين قرب الحدود

الإيرانية والدورة في بغداد وفي البصرة والفاو . وفي بلاد الشام تقع معامل تكرير البترول في حيفا وطرابلس وحمص والزرقاء . وبلغت طاقة تكرير البترول في العراق عام ١٩٧٩ نحو ٢٢٦ ألف برميل يوميا ، وفي سورية نحو ٢٣٧ ألف برميل يوميا ، وفي لبنان ٣٠ ألف برميل يوميا ، وفي الأردن ٢٥ ألف برميل يوميا(٤٣) .

ومما يسترعي الانتباه ، ونحن بصدد دراسة الموارد الصناعية ، ذلك التركز في توزيع الصناعات داخل الهلال الخصيب . فمعظم المناطق الصناعية داخل العراق تتركز في بغداد والبصرة والموصل ، ويتركز معظمها داخل بلاد الشام في دمشق ، وحلب وحمص وبيروت ، وطرابلس ، وحيفا ، وتل أبيب ويافا ، وعمان والزرقاء . ومن جهة ثانية فإن معظم الصناعات تتراوح بين الصناعات الخفيفة والمتوسطة التي تعتمد على المواد الخام المنتجة محليا والمستوردة .

نماذج من التعدين والصناعة في الهلال الخصيب :

تم اختيار كل من الأردن وسوريا والعراق نماذج للتعدين والصناعة في إقليم الهلال الخصيب :-

التعدين والصناعة في الأردن : خصصت الخطة الخمسية (١٤٠١ - ١٤٠٥هـ / ١٩٨١ - ١٩٨٥م) لقطاع الصناعة ما يقارب من ربع الاستثمارات الإجمالية للخطة . وحقق هذا القطاع معدل نمو سنوي خلال فترة الخطة بلغ ٤,٩ سنويا بالأسعار الثابتة لعام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . إذ ارتفع نصيب قطاع الصناعة والتعدين في الدخل من ١٦٧,١ مليون دينار عام ١٩٨٠م إلى ٢١١,٨ مليون دينار عام ١٩٨٥م ، أي بزيادة إجمالية نسبتها ٢٦,٨٪ . وقد أسهم هذا القطاع بنسبة ١٩,٣٪ في الناتج المحلي الإجمالي عام ١٩٨٥م .

جدول (١٨) الأرقام القياسية للإنتاج الصناعي في الأردن خلال الفترة ١٤٠٠ – ١٤٠٥هـ/١٩٨٠ – ١٩٨٥م (١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م = ١٠٠)

المـــادة	١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م	١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م	معدل الزيادة السنوية ٪ ١٤٠٠–١٤٠٥هـ ١٩٨٠–١٩٨٥م
المواد الغذائية والمشروبات	١٠٠	٩٨,٤	٠,٣
الأعــــلاف	١٠٠	٨٧,١	٢,٨
السجاير والثقـــاب	١٠٠	١٤٨,٧	٨,٣
المنسوجات والملابـــس	١٠٠	١٣١,٦	٥,٦
الصناعة الكيمـــاوية	١٠٠	١٦١,٠	١٠,٠
مواد البنـــاء	١٠٠	١٠٨,٨	١,٧
الأحذية والجلــود	١٠٠	١٣٤,٥	٦,١
تصفية البتـــرول	١٠٠	٢١٨,٣	١٦,٩
الورق والكرتـــون	١٠٠	١٥٥,٢	٩,٢
الفوسفـــات	١٠٠	٢١٦,٢	١٦,٧
الكهربــــاء	١٠٠	١٤٥,٣	٧,٨

المصدر :– وزارة التخطيط الأردنية ، خطة التنمية الاقتصادية (١٩٨٦ – ١٩٩٠) ، ص ٥٣٣ .

ويشير الجدول السابق (١٨) إلى أن قطاع الصناعة والتعدين حقق نموا ملموسا في الإنتاج خلال الفترة من ١٤٠٠ – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٠ – ١٩٨٥م . وإذا استثنينا المواد الغذائية والأعلاف فإن كافة المنتجات الصناعية ازدادت بنسب متفاوتة ، إذ احتلت تصفية البترول المرتبة الأولى عندما حققت زيادة في إنتاجها بنسبة ١٦,٩٪ ، وجاءت صناعة الفوسفات في المرتبة الثانية بنسبة ١٦,٧٪ ، ثم الصناعة الكيماوية بنسبة ١٠٪ ، فصناعة الورق والكرتون بنسبة ٩,٢٪ ، وصناعة السجاير والثقاب بنسبة ٨,٣٪ ، ثم صناعة الكهرباء بنسبة ٧,٨٪ .

وقد شهدت بعض الصناعات الرئيسة القائمة توسعا ملموسا في إنتاجها ، إذ ارتفع إنتاج شركة الفوسفات من ٣,٩ مليون طن عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م إلى ٦,١ مليون طن عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م وازداد إنتاج شركة الأسمنت خلال الفترة نفسها من ٩١٣ ألف طن إلى ٢٠٦٧ (ألف) طن ، وذلك نتيجة لبدء تشغيل الفرن السادس في أواخر

عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ودمجها مع شركة أسمنت الجنوب . وارتفع إنتاج مصفاة البترول من ١٧٦٠ (ألف) طن إلى ٢٤٢٤ (ألف) طن . وفي مجال الصناعات الجديدة ، بدأت شركة مصانع الأسمدة إنتاجها عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، حيث بلغ إنتاجها ٤٩٥ (ألف) طن من سماد فوسفات الأمونيوم الثنائي خلال عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، أي ما نسبته حوالي ٦٧٪ من الطاقة الإنتاجية للشركة . كما بدأت شركة البوتاس العربية الإنتاج عام ١٩٨٣م ، وبلغ حجم إنتاجها عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م حوالي ٩٠٨ (آلاف) طن ، أي ما يعادل ٧٥٪ من الطاقة التصميمية للمشروع . وبدأت أيضا شركة الزجاج والبتروكيماويات الوسيطة إنتاجها عام ١٩٨٤م ، بينما بدأت شركة صناعة الكوابل إنتاجها عام ١٩٨٥م . والجدير بالذكر أن ٦٨١ مصنعا جديدا قد حصلت على الترخيص بإقامتها خلال الفترة (١٤٠١ – ١٤٠٥هـ / ١٩٨١ – ١٩٨٥م) وبلغ رأسمال هذه المصانع الجديدة ١٢٥,٤٨٦ مليون دينار .

انعكس نمو الإنتاج الصناعي على أداء قطاع الصناعة والتعدين في مجال التصدير ، إذ ارتفعت قيمة الصادرات الصناعية والتعدينية بالأسعار الجارية من حوالي ٩٧ مليون دينار عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م إلى حوالي ٢١٤ مليون دينار عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، أي بنسبة نمو سنوي مقدارها ١٧,٢٪ .

التعدين والصناعة في سوريا : تابع قطاع التعدين والصناعة نموه خلال السبعينات ، إذ أسهم هذا القطاع بما فيه الكهرباء والغاز والمياه إسهاما كبيرًا في الإنتاج المحلي الإجمالي ، وازدادت إسهاماته (حسب أسعار ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) من ٤١٨٢ (مليون) ليرة عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م إلى ٤٥٥٥ (مليون) ليرة عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، أو ما نسبته ١٦,٦٪ من الإنتاج المحلي الإجمالي عام ١٩٨٠م . ويعد الفوسفات والبترول من أهم المعادن المستغلة في سورية . وقد بدأ إنتاج الفوسفات من مناجمه في منطقة تدمر عام ١٩٧٢ وحقق إنتاجا كبيرا في أواخر السبعينات ، إذ ارتفع إنتاجه من ٠,٧٥ مليون طن عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م إلى ١,٢ مليون طن عام ١٩٧٩م وإلى ١,٣ مليون طن عام ١٩٨٠م ، وإلى ١,٣٥ مليون طن عام ١٩٨١م . وبلغ مردود الفوسفات السوري

المصدر في عام ١٩٨٠م نحو ٨٩ مليون ليرة ، وازداد المردود إلى ١٨١ مليون ليرة في عام ١٩٨١م . وبموجب الخطة الخمسية الخامسة (١٩٨١ - ١٩٨٥م) فإن إنتاج الفوسفات كان من المقرر أن يرتفع إلى ٥ ملايين طن في عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، محققا للبلاد دخلا مقداره ٥٨٠ مليون ليرة من صادراته . وتوجد أهم مناجم الفوسفات في خنيفيس ، ويصدر الفوسفات عن طريق ميناء طرطوس .

جدول (١٩) إنتاج البترول وعائداته في سورية خلال الفترة من
١٣٩٣ - ١٤٠١هـ / ١٩٧٣ - ١٩٨١م

السنة	الإنتاج (بالمليون طن)	قيمة الصادرات (بالمليون ليرة)	٪ من مجموع الصادرات
١٩٧٣م	٥,٥٤٣	٢٩١	٢١,٧
١٩٧٥م	٩,٥٧٢	٢٣٧٧	٦٩,١
١٩٧٧م	٩,١١٧	٢٤٣٦	٥٨,٠
١٩٧٩م	٨,٧٠١	٤٤٤٩	٦٩,٩
١٩٨٠م	٩,٢٠٣	٥٢٣٥	٦٣,٣
١٩٨١م	. .	٤٠٦٢	٤٩,٢

تتركز حقول البترول في شمال شرقي سورية بمنطقتي كراتشوك والسويدية ، وقد أنتجت سورية في عام ١٩٧٥م نحو ٥,٥ مليون طن ، في حين بلغت قيمة صادراتها ٢٩١ مليون ليرة (جدول ١٩) . وقد ازداد الإنتاج في عام ١٩٨٠م إلى ٩,٢ مليون طن ، وازدادت قيمة الصادرات إلى ٥٢٣٥ مليون ليرة ، أو ما نسبته ٦٣٪ من مجموع قيمة الصادرات السورية . وهناك مصفاتان في حمص وبانياس تتزودان بالبترول الخام من مصادر محلية ، بالإضافة إلى ماكان يأتيها من العراق عبر خطوط الأنابيب القادمة من حقول كركوك والمنتهية في طرابلس وبانياس . وفي عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م قررت

سورية الاستغناء عن البترول العراقي وأوقفت ضخ البترول العراقي المار في أراضيها .

وبلغ احتياطي البترول في نهاية عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م نحو ١٢٥٠ مليون طن ، وهو كاف لسد احتياجات سورية في المستقبل وتصدير كميات محدودة منه . وقد ارتفع الاستهلاك المحلي من مشتقات البترول بنسبة ٤٥٪ خلال الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٠م) ، ومن المتوقع أن يرتفع الاستهلاك بنسبة ١٤٠٪ في عام ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م . أما احتياطي الغاز فإنه يبلغ ٤٧٢٠ بليون قدم مكعب ، وقد بلغ الاستهلاك المحلي من الغاز في عام ١٩٨١ نحو ٣٧٥ طنًّا يوميا ، علما بأن مصفاتي حمص وبانياس تنتجان ٤٧٥ طنًّا يوميا منه .

ويوجد في سورية إلى جانب الفوسفات والبترول والغاز الطبيعي كميات من الكرومايت والملح وخام الحديد (١٠٠ مليون طن) واليورانيوم والبتيومين . وهناك مشروع لاستخراج اليورانيوم من الفوسفات ، حيث يوجد بكميات تتراوح بين ٢٠٠ - ٣٠٠ غرام من اليورانيوم لكل طن فوسفات . ويستخرج الأسفلت من محافظتي اللاذقية ودير الزور .

وقد ارتفع إنتاج الكهرباء في سورية من ١١٦ مليون كيلو وات / ساعة في عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م إلى ٤٠٢٠ مليون كيلو وات / ساعة في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . وسوف تتوسع البلاد في إنتاج الطاقة الكهربائية ، وبخاصة في دمشق وحلب وحمص ، ليصبح بالإمكان تزويد معظم الريف بالكهرباء ، وقد وصل الإنتاج في عام ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م إلى ٢٠,٦٢٢ مليون كيلو وات/ ساعة ، وأصبح بالإمكان توصيل الكهرباء إلى ٥٤٠٠ قرية عدد سكان كل منها أكثر من ١٠٠ نسمة .

وترتبط الثروة المعدنية عامة ، والطاقة خاصة بقطاع الصناعة ، الذي أسهم في عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م بنسبة ١٦,٦٪ من الإنتاج المحلي ، فضلا عن استيعابه نحو ١٦٪ من القوى العاملة . وقد طرأ تغير ملموس على الصناعة خلال نموها في الثلاثين سنة الماضية ، فبينما كانت

الصناعة خفيفة في الخمسينات وتقتصر على منتجات استهلاكية كالأغذية والمنسوجات والصابون والزجاج والأسمنت ، فإنها أصبحت ثقيلة منذ السبعينات ، حيث أقيمت صناعات الأسمدة النيتروجينية والفوسفاتية ، إلى جانب الصناعات الكيماوية والهندسية وصناعة الصلب . وتمتلك الحكومة معظم الصناعات الرئيسة كالأغذية والسكر والمنسوجات والكيماويات والهندسيات والأسمنت ومواد البناء . أما القطاع الخاص الذي أسهم بنسبة ١٢٪ من مجمل الاستثمار الصناعي للخطة الخمسية الرابعة (١٣٩٦ - ١٤٠٠هـ / ١٩٧٦ - ١٩٨٠م) فإنه يقوم بإنتاج صناعات معينة كالأغذية والمنسوجات والجلود والورق والكيماويات والأدوات الكهربائية والآلات .

وقد بلغ معدل نمو الإنتاج الصناعي خلال الفترة (١٣٩٠ - ١٤٠٠هـ / ١٩٧٠ - ١٩٨٠م) نحو ٨,٢٪ سنويا . وتستهدف الخطة الخمسية الخامسة (١٤٠١ - ١٤٠٥هـ / ١٩٨١ - ١٩٨٥م) تحقيق معدل نمو في الإنتاج الصناعي يصل إلى ١٥,٣٪ سنويا ، وكان من المتوقع أن تبلغ قيمة الإنتاج الصناعي في عام ١٩٨٥م نحو ١٠,٢ بلايين ليرة .

جدول (٢٠) الأرقام القياسية للإنتاج الصناعي في سورية (١٤٠١ - ١٤٠٣هـ / ١٩٨١ - ١٩٨٣م) (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م = ١٠٠)

المـــادة	١٤٠١هـ / ١٩٨١م	١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م	١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م
المواد الغذائية والمشروبات والتبغ	١٠٥	١٥٤	١٧٨
المنسوجات والحلج والجلود	١٠١	١١٠	١٣٤
الأخشاب والأثـــاث	١١٨	١٢٠	١٢١
الورق والطباعة والتجليد	١١٨	١٩٣	٣١٧
الكيماويات ومنتجاتها	١٣٧	١٥٣	١٥٣
المنتجات غير المعدنية (باستثناء الفحم والبتـــرول)	١١٤	١٣٧	١٦٢
صناعات معدنية أساسيـــة	١٣٣	١٠٥	١٢٨
الأدوات والمنتجات المعدنية	١٠٥	١١٧	١٠٧
الرقم القياسي العـــام	١١٣	١٢٥	١٣٧
الصناعات الاستخراجيـــة	١٠٣	٩٨	١٠٢
الصناعات التحويليـــة	١١٧	١٣٨	١٥١

المصدر :- سورية ، الجهاز المركزي الإحصائي ، النشرة الإحصائية (١٩٨٤) .

ويستنتج من الجدول (٢٠) أن نمو الإنتاج الصناعي تميز باتجاهه التصاعدي ، فعلى سبيل المثال ، ازداد إنتاج الأسمنت من ١,١ مليون طن عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م إلى مليوني طن عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . وينتج الأسمنت من عدة مصانع في دمشق وحلب وطرطوس وحماة وأدرا وغيرها . وازداد إنتاج زيت الزيتون والخضر المحفوظة من ٨٦ ألف طن إلى ١١١ ألف طن . وازداد إنتاج الزجاج من ٢٥ ألف طن إلى ٤٦ ألف طن وازداد إنتاج أجهزة التلفاز من ٥٨ ألف جهاز إلى ٧٢ ألف جهاز . وازداد إنتاج الثلاجات من ٦١ ألف ثلاجة إلى ١٣٩ ألف ثلاجة . وتناقص إنتاج بعض السلع كالسكر من ١٢٦ ألف طن إلى ٩٠ ألف طن ، وغزل الصوف من ١,٤ مليون طن إلى ١,١ مليون طن ، والمنسوجات القطنية والحريرية من ٣٧ ألف طن إلى ٣٥ ألف طن . وقد أنجز مصنع الأمونيا – أوريا عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م في حمص ، بطاقة ١٠٠٠ طن من الأمونيا يوميا ، تستعمل منها ٦٠٠ طن لتصنيع ١٠٥٠ طنًا من الأوريا يوميا . كما بدأ إنتاج مصنع السوبر فوسفات الثلاثي الجديد (الأسمدة) في حمص أيضا ، بطاقة إنتاجية تبلغ ٤٥٠ ألف طن في السنة . وهناك مشروع لإقامة مصنع للصلب في حماة ، وذلك بالقرب من مصنع إنتاج القضبان الحديدية . بالإضافة إلى مشروع إقامة أربعة مصانع جديدة لتكرير السكر في الرقة ودير الزور ومسكنة وسلهب .

وتقوم معظم الصناعات الرئيسة في سورية حول مراكز كبيرة تتمثل في مدن دمشق وحلب وحمص واللاذقية . ففي دمشق مصانع كبيرة للنسيج ومعامل لإنتاج الأسمنت والزجاج والزيوت النباتية والصابون والجلود والأحذية والأغذية المعلبة . وفي حلب صناعات الحلج والنسيج القطني واستخراج الزيوت النباتية وصناعة الصابون والأسمنت . وفي حمص معامل لتكرير السكر والبترول وصباغة المنسوجات ومصانع النسيج والمطاحن . وقد أقيمت مناطق صناعية حرة في دمشق وحلب واللاذقية وطرطوس ، لتشجيع الاستثمارات الأجنبية على تأسيس صناعات خفيفة ومصانع تجميع وغيرها .

التعدين والصناعة في العراق : يعتبر البترول والغاز الطبيعي من أهم الثروات المعدنية في العراق . وقد ازداد إنتاج البترول من مليوني برميل يوميا في عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

إلى (٢,٥ مليون) برميل يوميا عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م وإلى (٢,٦ مليون) برميل عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، لكن الإنتاج تناقص إلى ٠,٩ مليون برميل يوميا عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، بسبب الحرب العراقية الإيرانية . وتبلغ الطاقة الإنتاجية للبترول العراقي ٤ ملايين برميل يوميا . وارتفعت نسبة إنتاج الغاز الطبيعي من ١٥٪ عام ١٩٧٦م إلى ٧٥٪ عام ١٩٨١م . وقد ازداد دخل الحكومة العراقية من تصدير البترول الخام من ٣٦٩ مليون دولار عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م إلى ٥٠٤ ملايين دولار عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، وإلى ٧٥٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٤م وإلى ٩٥٠٥ مليون دولار عام ١٩٧٧م وإلى ٢٦,١٣٦ مليون دولار عام ١٩٨٠م ، وتناقص بسبب الحرب إلى ١٠,٣٨٩٠ دولار عام ١٩٨١ م . وأسهم قطاع البترول بما نسبته ٤٨,٦٪ من الناتج القومي الإجمالي في عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م ، وما نسبته ٦٠٪ في عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، وما نسبته ٥٣٪ في عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م . وكان العراق خامس أكبر منتج للبترول في عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ويملك ثاني أكبر احتياطي بعد المملكة العربية السعودية في الشرق الأوسط . (قدر هذا الاحتياطي في عام ١٩٧٤ بنحو ٤٨٦٤ مليون طن ، وهذه الكمية تعادل ٥,٦٪ من الاحتياطي العالمي) .

وتوجد في شمال العراق بعض الخامات المعدنية كالحديد والنحاس والكرومايت والرصاص والزنك . كما توجد في العراق أيضا ترسبات وفيرة من الجير والجص والدولومايت والفوسفات والكبريت . وقد أنشئت شركة المعادن الوطنية العراقية للتنقيب عن هذه المعادن واستغلالها مع إعطاء الأولوية للكبريت الذي بدأ استغلاله فعلا من مناجم مشراق في شمالي العراق . وينتج العراق من الكبريت بين ٦٠٠ و ٧٠٠ ألف طن سنويا ، ويخطط لزيادة الإنتاج إلى ١,٥ مليون طن سنويا . ويستخرج الفوسفات من أقشاط بواسطة شركة بلجيكية أشرفت على إنشاء مصنع للسوبر فوسفات في قايم . وتسهم بولندا في تنمية صناعة الفوسفات نظير حصولها على المخصبات والبترول الخام من العراق . وينتج العراق ملح الطعام بكميات تجارية .

وقد ازداد عدد المشتغلين في مشروعات الماء والكهرباء من ١٧ (ألف) عامل

في عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م إلى نحو ٢٧ (ألف) عامل في عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
وازداد إنتاج الطاقة الكهربائية خلال نفس الفترة من ٣٢٥٥ مليون كيلو واط / ساعة إلى ٧٢٤٧ مليون كيلو وات / ساعة ، كما ازداد إنتاج الماء الصافي أيضا من ٣٦٧ مليون م٣ إلى ٥١٤ مليون م٣ . وقد تضررت محطات القوى الكهربائية الرئيسة بفعل الحرب مع إيران ، مثل المحطات الكائنة في حرثا ، وقرب البصرة والناصرية ودورا (جنوبي بغداد) ودبس وبيجي والموصل . غير أن الحكومة سارعت بإصلاح هذه المنشآت الحيوية ، كما تعاقدت على شراء محطات قوى صغيرة متنقلة لاستعمالها في حالة وقوع ضرر بالمحطات الرئيسة مرة ثانية .

وبالرغم من حالة الحرب ، إلا أنه يجري تنفيذ بعض المشروعات الحيوية ، مثل مشروع محطة الكرخ لتزويد بغداد بالمياه ، وتستهدف المرحلة الأولى من المشروع تزويد مليوني نسمة بمائتي مليون غالون من مياه الشرب يوميا . وفي كانون الثاني ١٤٠١هـ / ١٩٨١م أحيل عطاء ١٥٠٠ مليون دولار لبناء سد الموصل بواسطة تجمع شركات ألمانية غربية وإيطالية . ويقع هذا السد على نهر دجلة على مسافة ٦٠ كم شمال الموصل ، وسوف يدرأ السد أخطار الفيضانات ، ويخزن المياه للري ، ويولد ١٠٣٤ ميغاواط من الكهرباء[٤٤] .

لم يكن في العراق حتى السبعينات سوى صناعات قليلة ، وذلك إذا استثنينا صناعة البترول ، وكانت الصناعات تشتمل على المنسوجات والسجاير والكيماويات والأثاث والأحذية والجواهر والمواد الغذائية إلى جانب منتجات معدنية متنوعة . وقد تنوعت الصناعة حاليا ، وكبر حجمها (جدول ٢١) . وإذا استثنينا المنشآت الصناعية الخاصة باستخراج البترول ، فإن أرقام الإحصاء الصناعي لعام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م تشير إلى أن عدد المنشآت الصناعية التي تشغل أكثر من عشرة عمال بلغ ١٦٥٤ منشأة ، يعمل فيها ١٥١,٥٠٠ عامل ، بينما بلغ عددها عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م نحو ١٢٤١ منشأة ، يعمل فيها نحو ١٢٤ ألف عامل . أما المنشآت الصناعية الصغيرة التي تشغل أقل من عشرة عمال ، فقد بلغ عددها عام ١٩٧٤م نحو ٢٦,٣٣٢ منشأة ، يشتغل فيها

٢٦,٠١٦ عاملًا بأجر ، ونحو ٣٢,٧٥٥ عاملًا بدون أجر ، ازداد عددها عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م إلى ٤١,٧١٩ منشأة ، يشتغل فيها ٤٤,٨٤٧ عاملًا بأجر و ٥٠,٩٥٥ عاملًا بدون أجر .

جدول (٢١) الأرقام القياسية للإنتاج الصناعي في العراق
(١٣٩٠ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٠ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٦م)
(١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م = ١٠٠)

المـــادة	١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م	١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م	١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م
المواد الغذائية والتبغ والمشروبات	١١٧,٦	٢١٦,٠	٢٨٨,١
المنسوجـــات	١٨٦,٥	٢٥٥,٤	٢٨٦,١
الملبوسات والأحذية	٢٢٧,٧	٣١٣,٦	٣٥٠,٤
تكرير البتـــرول	١٦٣,٣	٣١٥,٧	٤٠٣,٣
الصناعات الكيماوية	٢٣٨,٧	٣٤٢,٧	٣٧١,٩
الأسمنت ومواد البنـــاء	١٣٧,٥	١٩٦,٥	٢٤٠,٢
صناعات أخـــرى	١٨٦,٣	٣٥٣,٧	٤٠٧,١
الرقم القياسي العام	١٥٦,٢	٢٦٣,٣	٣٢٤,٩

المصدر :- وزارة التخطيط العراقية - الجهاز المركزي للإحصاء .

وقد بلغ عدد المشروعات الصناعية ، المسجلة لدى اتحاد الصناعات العراقي عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م نحو ١٧٧٤ مشروعا موزعا على محافظات العراق . واحتلت محافظة بغداد المرتبة الأولى من هذه المشروعات حيث بلغ عددها ٨٦٤ مشروعا ، أو ما نسبته ٤٨٪ من مجموع المشروعات . وكونت الصناعات الاستخراجية والإنشائية والمعدنية نسبة ٣٧٪ من مشروعات العراق حيث بلغ عددها ٣٢١ مشروعا أو ما نسبته ٣١٪ من مجموع مشروعات المحافظة ، أما الصناعات الغذائية فقد بلغ عددها ١٢٢ مشروعا أو ما نسبته ١٤٪ ، تلي ذلك صناعة الخشب ومنتجاته والورق ، حيث بلغ عددها ٩٣ مشروعا أو ما نسبته ١١٪ . وتأتي في المرتبة الأخيرة صناعة الكيماويات ومنتجاتها والمطاط ، حيث بلغ عددها ٦٥ مشروعا .

وتأتي محافظة البصرة في الدرجة الثانية من ناحية المشروعات الصناعية المسجلة ،

حيث بلغ عددها ٣٦٩ مشروعا ، أو ما نسبته ٢١٪ من مجموع المشروعات المسجلة لدى الاتحاد . أما بقية المشروعات المسجلة فموزعة على بقية محافظات العراق بنسب متفاوتة تتراوح بين ١ – ٤٪[٤٥] .

السكان

التكوين السلالي وتعمير الإقليم : هناك مجموعة أساسية يرتكز عليها البنيان السلالي لسكان إقليم الهلال الخصيب ، وتلك المجموعة هي التي يطلق عليها علماء الأجناس اسم « جنس البحر المتوسط » وهو أحد الفروع الرئيسة للمجموعة القوقازية أو السلالة البيضاء . وتتميز هذه المجموعة باستطالة الرأس أو توسطها ، وبالأنف الضيق المستقيم غالبا ، وتميل البشرة إلى السمرة ، كما يميل الشعر إلى الشكل المتموج واللون الأسمر ، أما القامة فمتوسطة أو دون المتوسطة بقليل . وينتظم تحت هذه المجموعة الأساسية الكبرى مجموعتان فرعيتان في الوطن العربي هما : المجموعة السامية التي يغلب وجودها في المشرق العربي ، ومجموعة الحاميين التي يغلب وجودها في شمال إفريقية .

وقد تأثرت المجموعة السامية في الهلال الخصيب بالمجموعة الحامية التي أثرت فيها بواسطة الهجرات . كما تأثر الساميون (العرب) بمؤثرات سلالية مجاورة للإقليم كتأثرهم بالمجموعة الأرمنية ، إحدى فروع المجموعة القوقازية ، والتي تتوزع غالبا في الإقليم الجبلي الذي يطوق الهلال الخصيب من الشمال . وتأثر الساميون أيضا بجماعات الأكراد التي تقطن الإقليم الجبلي شمال العراق ، والتي تعتبر أثرا لموجة ترتبط بالأصول التي ترجع إليها سلالات الجنس النوردي (الشمالي) .

والجدير بالذكر أن الموجات العربية السامية خرجت من شبه جزيرة العرب واتجهت نحول الهلال الخصيب وشمال إفريقية منذ ما قبل الميلاد ، وأسهمت في تعريب العالم العربي عامة وإقليم الهلال الخصيب بخاصة . ففي العراق أنشأ الأكاديون العرب الذين أتوا من شمال الجزيرة العربية مجموعة من المدن ، ونشأت في أكاد أول ولاية عربية في هذا

الجزء امتد سلطانها من الخليج العربي إلى البحر المتوسط . وكان اتحاد الأراضي العراقية في عهد الأكاديين نموذجا فريدا لاتحاد هذه البلاد الذي استمر لبعض الفترات خلال حكم البابليين والأشوريين . وقد ارتبط تاريخ العراق منذ الحضارة الأكادية بالعناصر السامية التي خرجت من الجزيرة العربية . فالحضارة البابلية كانت في جوهرها تجارية لكنها لم تهمل الزراعة ، وكانت الحضارة الأشورية في جوهرها حضارة عسكرية اعتمدت أيضًا على الزراعة .

وفي بلاد الشام نشأت حضارة الحيثيين على حدود العراق والأناضول . أما فيما وراء الصحراء السورية ، وبالقرب من ساحل البحر المتوسط ، فقامت مجموعة من المراكز الحضارية التي أنشأها سكان شرق البحر المتوسط . وكانت الحضارة الفينيقية أهمها وأكثرها ازدهارا ، وتقرب في مستواها الحضاري من مستوى الحضارات العراقية . وقد شهدت بلاد الشام أيضا قيام حضارات أخرى للكنعانيين والعموريين والآراميين والأنباط والتدمريين والعبريين والغساسنة . واعتمدت هذه الحضارات على النشاطات الزراعية والرعوية والتجارية التي ازدهرت وأسهمت في تعمير المنطقة بالمدن والطرق والقنوات وغيرها(٤٦) .

وقد تدفق العرب إلى إقليم الهلال الخصيب بفضل انتشار الإسلام . وقد جاء عدد كبير من المهاجرين العرب فاتحين مع الجيش الإسلامي ، واستقر الكثير منهم بعد أن انتشر الإسلام في هذا الإقليم . كما أن اعتناق الدين الإسلامي من قبل غالبية سكان الهلال الخصيب قد ساعد على تعريب الإقليم . ولم يقتصر الفتح العربي الإسلامي ، كما كان الحال في الهجرات العربية السابقة ، على الوصول إلى مناطق السهول والمياه القريبة بهدف الاستقرار فيها ، بل استمر العرب في فتح منطقة بعد أخرى بصرف النظر عن مواردها الاقتصادية . ولم يحدث استقرار العرب المسلمين في البلاد المفتوحة بصفة دائمة إلا بعد فتحها بزمن طويل . وهذا يؤكد لنا أن السبب الرئيس في الهجرة كان رغبة العرب في نشر الإسلام قبل أن يكون رغبتهم في الاستقرار داخل إقليم الهلال الخصيب ، أو حتى الرغبة في المكسب المادي(٤٧) .

كان اختلاط القبائل العربية بالسكان ، وتعريب الدواوين ، واعتناق الإسلام ، مدعاة إلى انتشار الإسلام في إقليم الهلال الخصيب . أما انتشار الإسلام وحده فيفوق كثيرا انتشار اللغة العربية . وقد لعب عرب جنوب الجزيرة العربية (القحطانيون) دورا كبيرا في تعريب إقليم الهلال الخصيب ، حتى قبل ظهور الإسلام ، لأنهم كانوا أعظم شأنا ، وأكثر عددا من العرب الشماليين . كما أنهم لعبوا دورا كبيرا في الفتوحات الإسلامية ، إذ كان هؤلاء العرب اليمنيون يشكلون أعدادا كبيرة فى الجيوش الإسلامية التي فتحت الهلال الخصيب ، وكان هؤلاء على علم ومعرفة بالإقليم من خلال نشاطاتهم التجارية قبل الإسلام .

وهكذا نجد أن الإسلام أسهم إسهاما كبيرا في تعريب إقليم الهلال الخصيب ، واستطاع المسلمون العرب أن يقيموا أنصع حضارة عربية إسلامية في هذا الإقليم الذي كان يمثل قلب الدولة العربية الإسلامية ، من خلال اتخاذ الأمويين دمشق عاصمة لهم ، واتخاذ العباسيين بغداد عاصمة لهم . وظل الهلال الخصيب يتعرض للغزو الخارجي منذ أن ضعفت الدولة العباسية حتى يومنا هذا . وتأثر سكان الإقليم بالمؤثرات الخارجية كالغزو الصليبي والغزو الصهيوني ، غير أن ارتباطهم بجذور حضارتهم الأصلية كان يضعف من هذه المؤثرات الخارجية ، ويرسخ أقدامهم في أراضيهم .

الخصائص الديموغرافية للسكان :– توضح بيانات الجدول (٢٢) أن عدد سكان إقليم الهلال الخصيب قد بلغ في عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م نحو ٣٥,٧ مليون نسمة[٤٨] ، أو ما نسبته خُمس سكان العالم العربي . وتبلغ مساحة بلدان الهلال الخصيب نحو ٧٤٩,٥٣٠كم٢ ، أو ما نسبته نحو ٥,٨٪ من إجمالي مساحة العالم العربي . وإذا كانت كثافة السكان الحسابية في الهلال الخصيب تبلغ ٤٧,٦ نسمة / كم٢ ، فإنها تبلغ في العالم العربي نحو ١٢ نسمة / كم٢ ، أي أن كثافة السكان في الهلال الخصيب تتفوق على كثافة السكان في العالم العربي بأربع مرات . ويمكن أن نعزو ارتفاع كثافة السكان في الهلال الخصيب إلى متغيرات عديدة منها الطبيعية والاقتصادية والسياسية .

ويعتبر العراق من أكبر بلدان الهلال الخصيب من حيث المساحة وعدد السكان . وإذا استثنينا قطاع غزة ، فإن لبنان يعد من أصغر البلدان مساحة وسكانا ، غير أن كثافة السكان تتفاوت بشكل واضح داخل إقليم الهلال الخصيب ، فهناك كثافات سكانية

جدول (٢٢) مساحة وعدد سكان بلدان الهلال الخصيب عام١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

القطــر	المساحة (بالكم٢)	عدد السكان (بالمليون)	كثافة السكان (للكم٢)
العراق	٤٣٤,٩٢٤	١٤,٥	٣٣,٣
فلسطين المحتلة (١٩٤٨)	٢٠,٧٠٠	٤,١	١٩٨,١
الأردن (مع الضفة الغربية)	٩٨,٠٠٠	٣,٧	٣٧,٨
لبنــان	١٠,٤٠٠	٢,٨	٢٦٩,٢
سورية	١٨٥,١٨٠	١٠,٠	٥٤,٠
قطاع غزة	٣٢٦	٠,٦	١٨٤٠,٥
مجموع بلدان الهلال الخصيب	٧٤٩,٥٣٠	٣٥,٧	٤٧,٦

المصدر :- الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ومؤسسات أخرى ، التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٨٤ ، ص ٣١٧ .

تقل عن ٥٠ نسمة / كم٢ ، كما هو الحال في العراق والأردن (مع الضفة الغربية) . وهناك كثافات سكانية متوسطة تتجاوز ٥٠ نسمة / كم٢ ، كما هو الحال في سوريا . أما الكثافات السكانية المرتفعة فإنها تتركز في قطاع غزة ، الذي يعتبر من أكثر المناطق كثافة (١٨٤٠,٥ نسمة / كم٢) ، كما تتركز في لبنان وفلسطين المحتلة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م) اللذين تبلغ الكثافة فيهما ٢٦٩ نسمة / كم٢ ، ١٩٨ نسمة / كم٢ على التوالي . ويعيش غالبية سكان الهلال الخصيب في العراق وسورية ، حيث يقيم فيهما ٦٨,٦٪ من إجمالي سكان الإقليم . وبالرغم من ذلك فإنهما لا يعانيان من مشكلة الضغط السكاني التي تعاني منها بقية بلدان الهلال الخصيب .

وترتفع كثافة السكان في القسم الشرقي المعمور من العراق ، وبخاصة السهل الرسوبي الذي لا تتعدى مساحته خمس مساحة البلاد ، ويسكن فيه نحو ثلاثة أرباع سكان العراق . ويرتبط توزيع السكان في سورية ارتباطا كبيرا بالمطر ، فكثافة السكان ترتفع في محافظة اللاذقية لكثرة أمطارها ، بينما تقل الكثافة في بادية الشام الصحراوية . وتتبعثر الكثافات السكانية المرتفعة حول بعض المدن السورية ، مثل حلب ودمشق وحمص وحماة ، لتوافر مصادر المياه حول هذه المدن . وفي لبنان ترتفع كثافة السكان في السهل الساحلي الضيق وفوق السفوح الغربية للجبال ، في حين تنخفض الكثافة في سهل البقاع ، وفوق السفوح الشرقية للجبال . وفي الأردن ترتفع كثافة السكان في الجزء الشمالي الغربي من الضفة الشرقية وفي محافظة عمان وفي الضفة الغربية ، في حين تنخفض الكثافة في جنوب الأردن وفي البادية الصحراوية . أما في فلسطين المحتلة ، فترتفع الكثافة بصفة عامة في السهول الساحلية والداخلية ، وتنخفض في صحراء النقب في الجنوب .

يبلغ معدل الزيادة الطبيعية لسكان إقليم الهلال الخصيب خلال الفترة (١٣٨٠ - ١٤٠١هـ / ١٩٦٠ - ١٩٨١م) نحو ٢٧ في الألف ، في حين يبلغ هذا المعدل ٣٠ في الألف لسكان العالم العربي . غير أن معدل الزيادة الطبيعية يرتفع عند سكان سورية (٣٤ في الألف) و الأردن (٣٠ في الألف) والعراق (٣٢ في الألف) . وينخفض هذا المعدل عند سكان فلسطين المحتلة (١٩ في الألف) ولبنان (٢٠ في الألف) ، ويمكن أن ندرك أسباب هذا التفاوت عندما ننظر إلى الأرقام التي تبين معدلات المواليد والوفيات والخصوبة . (جدول رقم ٢٣) .

ويتبين لنا من هذه البيانات أن انخفاضا قليلا طرأ على معدلات المواليد في بلدان الهلال الخصيب باستثناء سوريا التي ظلت معدلات المواليد ثابتة عند ٤٧ بالألف . وبالرغم من هذا الانخفاض في معدلات المواليد ، إلا أن هذه المعدلات لا تزال مرتفعة أما معدلات الوفيات فإنها هبطت بنسبة تلفت النظر بسبب تحسن المستويات الصحية والغذائية للسكان والقضاء على الأمراض والأوبئة وتقدم وسائل الوقاية والعلاج ضد

جدول (٢٣) معدلات المواليد والوفيات والخصوبة
(١٣٨٠ - ١٤٠١هـ / ١٩٦٠ - ١٩٨١م)

القطر	معدل المواليد لكل ألف شخص		معدل الوفيات لكل ألف شخص		تغير النسبة المئوية		معدل الخصوبة الإجمالي
	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠١هـ ١٩٨١م	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠١هـ ١٩٨١م	معدل المواليد ٦٠-٨١	معدل المواليد ٦٠-٨١	١٤٠١هـ ١٩٨١م
العراق	٤٩	٤٧	٢٠	١٢	- ٤,٨	- ٣٨,٩	٧,٠
فلسطين المحتلة	٢٧	٢٥	٦	٧	- ٥,٨	١٣,١	٣,٣
الأردن	٤٧	٤٦	٢٠	٩	- ١,٩	- ٥٥,٠	٧,٣
لبنان	٤٣	٣٠	١٤	٨	٣٠,٨	- ٤٣,٥	٤,٠
سورية	٤٧	٤٧	١٨	٨	١,٠	٥٦,٤	٧,٤

المصدر :- البنك الدولي ، تقرير عن التنمية في العالم (١٩٨٣) ، (جدول ٢٠) .

الأمراض وزيادة الوعي الصحي والاهتمام بالنظافة . ومما يؤكد هذا ارتفاع معدلات سنوات الأجل المرتقب عند الولادة في العراق من ٤٧ سنة عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م إلى ٥٧ سنة عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، وفي فلسطين المحتلة من ٦٩ سنة إلى ٧٥ سنة ، وفي الأردن من ٤٧ سنة إلى ٦٢ سنة ، وفي لبنان من ٥٨ سنة إلى ٦٦ سنة ، وفي سورية من ٥٠ سنة إلى ٦٥ سنة . ومن المتوقع أن يكون معدل الوفيات قد ارتفع قليلا بعد عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م في العراق بسبب الحرب مع إيران ، وفي لبنان بسبب الحرب الأهلية .

ويسهم ارتفاع معدلات الأجل المرتقب عند الولادة في تهيئة فرص الإنجاب المتاحة ، حيث ترتفع معدلات المواليد . كما أن الزواج المبكر وتعدد الزوجات ، وإعادة زواج المطلقات والأرامل ، والميل إلى الإنجاب كجزء من طبيعة المجتمعات في الإقليم ، كلها عوامل تؤدي إلى ارتفاع النسب العامة للخصوبة . وتشير الأرقام إلى أن معدل الخصوبة

الإجمالي بلغ ٧ فأكثر في كل من العراق وسورية والأردن ، وذلك في عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . وكان معدل الخصوبة متدنيا في لبنان (٤) وفلسطين المحتلة (٣,٣)[٤٩] . ولاشك أن الهبوط الكبير الذى طرأ على معدلات الوفيات خلال الفترة (١٣٨٠ – ١٤٠١هـ / ١٩٦٠ – ١٩٨١م) وما صاحبه من هبوط طفيف في معدلات المواليد خلال الفترة نفسها ، من شأنه أن يرفع من معدلات الزيادة الطبيعية للسكان في نهاية الفترة عما كانت عليه في بدايتها .

المؤشرات الاقتصادية للسكان :– إذا استثنينا سكان فلسطين المحتلة ولبنان فإن معدلات نمو سكان بلدان الهلال الخصيب تتميز بارتفاعها ، الأمر الذي ينعكس على التركيب العمري للسكان (جدول رقم ٢٤) وإذا ألقينا نظرة على الهرم السكاني لبلدان الهلال الخصيب نجد أن نسبة الأطفال دون سن الخامسة عشرة مرتفعة نسبيا بين السكان ، فهي تقارب نصف عدد السكان في كل من الأردن (٥٠,٦٪) وسورية (٤٩٪) والعراق (٤٨,٩٪) ، غير أنها تنخفض قليلا في لبنان (٤٤٪) ، وتنخفض كثيرا في فلسطين المحتلة (٣٤,٧٪) .

أما السكان الذين هم في سن العمل (١٥ – ٦٤ سنة) فإن نسبتهم تقل عن نصف إجمالي السكان ، إذ إنها تصل إلى ٤٧٪ من مجموع السكان في كل من العراق والأردن وسورية. وفي المقابل نجد أن نسبتهم تتجاوز نصف السكان في كل من لبنان (٥١٪) وفلسطين المحتلة (٥٩٪) . وتتفاوت نسبة المسنين الذين تزيد أعمارهم عن ٦٤ سنة من بلد لآخر ، فهي متدنية في الأردن (٢,٨٪) وكل من سورية والعراق (٤٪) ، ولكنها مرتفعة نسبيا في لبنان (٥٪) وفي فلسطين المحتلة (٦,٣٪) .

ينعكس التركيب العمري للسكان على مؤشر الإعالة الذي يبلغ ١٠١ في المتوسط بالنسبة لبلدان الهلال الخصيب . وإذا قارنا وضع الإقليم مع الأقاليم الأخرى ، نجد أن مؤشر الإعالة يعد مرتفعا إذا قورن بالأقاليم المتقدمة ، ومنخفضا نسبيا إذا قورن بالأقاليم النامية الأخرى في العالم العربي وخارجه . ويتفاوت مؤشر الإعالة من بلد لآخر داخل إقليم الهلال الخصيب ، فهو مرتفع في الأردن وسورية والعراق ، ومنخفض في لبنان

جدول (٢٤) التركيب العمري لسكان الهلال الخصيب ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

القطـــر	مؤشر الإعالة	النسبة المئوية للأطفال دون سن ١٥ سنة	النسبة المئوية لمن هم في سن العمل ١٥-٦٤ سنة	النسبة المئوية للمسنين أكثر من ٦٤ سنة
العراق	١١٢,٦	٤٨,٩	٤٧,٠	٤,٠
فسلطين المحتلة	٦٩,٥	٣٤,٧	٥٩,٠	٦,٣
الأردن (الضفة الشرقية)	١١٤,٥	٥٠,٦	٤٦,٦	٢,٨
لبنان	٩٦,٠	٤٤,٠	٥١,٠	٥,٠
سورية	١١٢,٧	٤٩,٠	٤٧,٠	٤,٠

المصدر :- الأمم المتحدة / اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ، الوضع السكاني في منطقة غربي آسيا . نشرات متنوعة لعامي ١٩٨٠ و ١٩٨١ .

وفلسطين المحتلة . ويخفف من وطأة ارتفاع مؤشر الإعالة ، ذلك الازدياد في عدد الأيدي العاملة التي تكسب دخلا . وتشير الأرقام إلى أن المعدل السنوي لنمو اليد العاملة ازداد في كل من العراق والأردن من ٢,٨٪ للفترة (١٣٨٠ - ١٣٩٠هـ / ١٩٦٠ - ١٩٧٠م) إلى ٢,٩ ٪ للفترة (١٣٩٠ - ١٤٠٠هـ / ١٩٧٠ - ١٩٨٠م) ، وازداد في كل من لبنان وسورية من ٢,١٪ إلى ٣٪ ، في حين هبط في فلسطين المحتلة من ٣,٥٪ إلى ٢,٤٪ .

ويختلف توزيع القوى البشرية ذات النشاط الاقتصادي على الحرف الرئيسة بين فترة وأخرى (جدول ٢٥) . ففي الماضي كانت ترتفع نسبة العاملين في الزراعة بشكل ملحوظ داخل الهلال الخصيب ، وبالتالي ارتفعت نسبة المعتمدين على الزراعة من سكان الإقليم . وكانت الصفة العامة للحياة الاقتصادية يسودها طابع الزراعة وفي أوائل الستينات كانت نسبة اليد العاملة في الزراعة لاتزال متفوقة على نسب العاملين في كل من الصناعة

والخدمات ، وذلك باستثناء فلسطين المحتلة . وفي أواخر السبعينات تفوقت نسبة العاملين في كل من الصناعة والخدمات على نسبة العاملين في الزراعة في كل من الأردن ولبنان وفلسطين المحتلة . وحافظت نسبة العاملين في الزراعة على تفوقها في كل من سورية والعراق.

جدول (٢٥) التطور النسبي لتوزيع الأيدي العاملة على بعض الحرف الرئيسة
(١٣٨٠ - ١٤٠٠هـ / ١٩٦٠ - ١٩٨٠م)

القطـــر	النسبة المئوية للعاملين في الزراعة		النسبة المئوية للعاملين في الصناعة		النسبة المئوية للعاملين في الخدمات	
	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
العراق	٥٣	٤٢	١٨	٢٦	٢٩	٣٢
فلسطين المحتلة	١٤	٧	٣٥	٣٦	٥١	٥٧
الأردن	٤٤	٢٠	٢٦	٢٠	٣٠	٦٠
لبنان	٣٨	١١	٢٣	٢٧	٣٩	٦٢
سورية	٥٤	٣٣	١٩	٣١	٢٧	٣٦

المصدر :- البنك الدولي ، تقرير عن التنمية في العالم (١٩٨٣) ، جدول (٢١) .

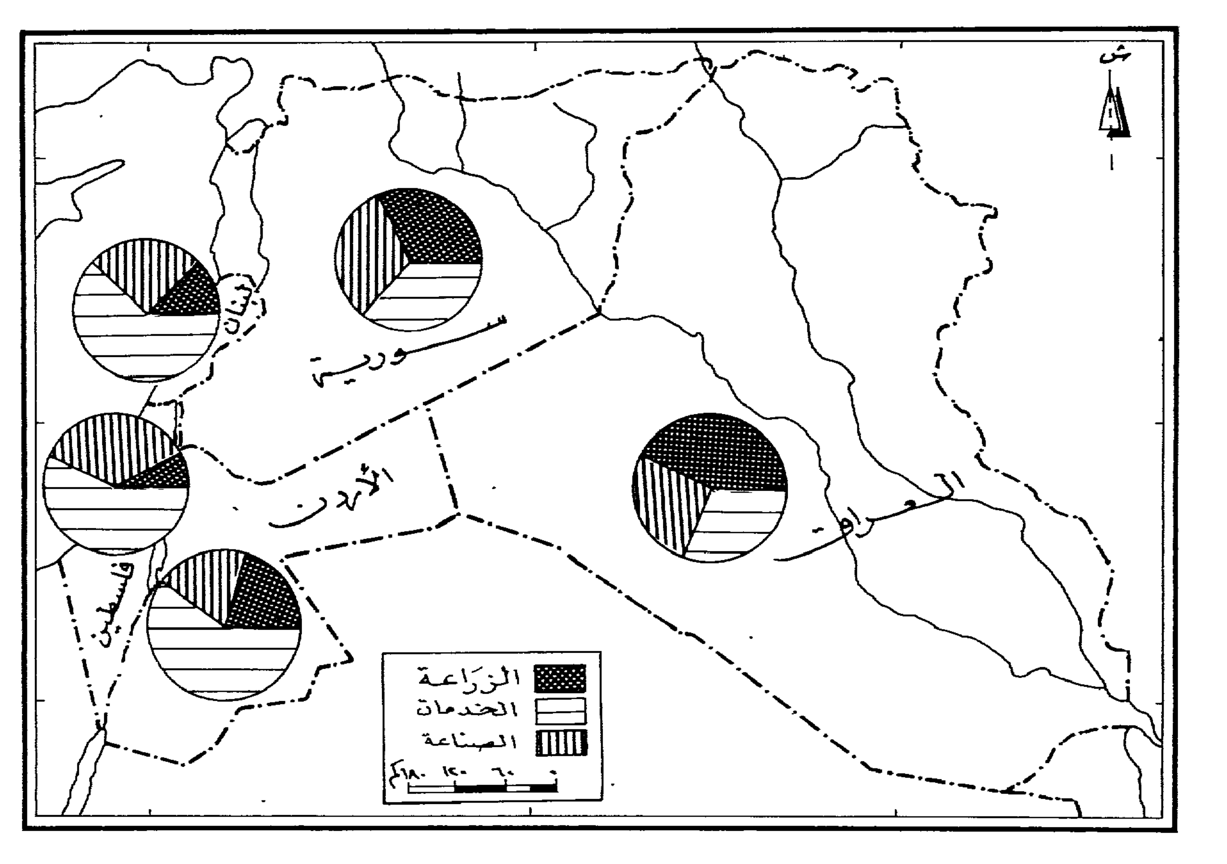
وعلى الرغم من تفوق نسبة العاملين في الزراعة على نسبة العاملين في كل من الصناعة والخدمات في العراق ، إلا أن نسبة العاملين في الزراعة انخفضت في الهلال الخصيب في اتجاه تنازلي خلال السبعينات وأوئل الثمانينات . ففي العراق انخفضت نسبتهم من ٥٣,٢٪ من مجموع السكان ذوي النشاط الاقتصادي عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م إلى ٤٢٪ عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . وفي سورية انخفضت نسبتهم من ٥٤٪ عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م إلى ٣٣٪ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . ويمكن أن نفسر أسباب هذا

الانخفاض بالتحول التدريجي نحو حرف أخرى غير زراعية ، وبخاصة نحو حرفتي الصناعة والخدمات .

وقد انخفضت نسبة العاملين في الزراعة بصورة ملحوظة في كل من الأردن ولبنان وفلسطين المحتلة . ففي الأردن كانت نسبتهم ٤٣,٩٪ من مجموع السكان ذوي النشاط الاقتصادي عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ، ثم هبطت نسبتهم إلى ٢٥٪ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م وإلى ١٠٪ بالنسبة للضفة الشرقية وحدها . وفي لبنان انخفضت نسبتهم من ٥٢,٩٪ عام ١٩٦٠م إلى ٩,٢٪ عام ١٩٨١م . وفي فلسطين المحتلة هبطت نسبتهم من ٩,٧٪ عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م إلى ٦,٦٪ عام ١٩٨١م . وإذا استثنينا لبنان وفلسطين المحتلة اللتين هبط العدد الفعلي لعمال الزراعة فيهما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٨١م ، فإن بلدان الهلال الخصيب شهدت خلال الفترة نفسها ارتفاعا في عدد عمال الزراعة فيها ، على الرغم من الهبوط النسبي الذي أشرنا إليه . ويمكن أن نفسر هذا الارتفاع بنمو عدد السكان الإجمالي من جهة ، وبنمو عدد السكان ذوي النشاط الاقتصادي من جهة ثانية (شكل ١١) .

ويقل دخل العامل الزراعي عن دخل العامل الصناعي أو العامل في الخدمات داخل الهلال الخصيب . كما أن دخل العامل الزراعي يتعرض للتذبذب من سنة لأخرى تبعا لتذبذب الإنتاج الزراعي الناجم عن عدم انتظام هطول الأمطار . ويعاني المزارعون من مشكلة البطالة الموسمية والمقنعة ، الأمر الذي ينعكس على تدني دخول سكان الريف وازدياد الضغط السكاني على الموارد الزراعية . وينتج عن فقر سكان الريف ميلهم للنزوح إلى المدن باحثين عن فرص عمل في مجالات غير زراعية كالتجارة والصناعة والبناء والخدمات وغيرها . وفي المدن يرتفع دخل الفرد غالبا عن نظيره في الريف .

ويتفاوت نصيب الفرد من الناتج القومي داخل الهلال الخصيب . وإذا استثنينا دخل الفرد في فلسطين المحتلة والذي وصل في عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م إلى نحو ٤٥١٠ دولارات أمريكية ، فإن دخل الفرد العراقي يتفوق على غيره في بلدان الهلال الخصيب ، إذ إنه بلغ نحو ٢٤١٠ دولارًا في عام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م . أما دخل الفرد الأردني



شكل - ١١- التوزيع النسبي للأيدي العاملة حسب الحرف الرئيسة (٦٠-١٩٨٠م)

واللبناني فإنه تجاوز ١١٨٠ دولارًا ، في حين بلغ دخل الفرد السوري نحو ١٠٣٠ دولارًا . ويمكن أن نفسر تفاوت الدخل الفردي من بلد لآخر باختلاف التوزيع النسبي للعاملين في القطاعات المختلفة ، إضافة إلى إسهام القطاعات نفسها في الدخل . وقد أسهم البترول العراقي إسهاما كبيرًا في ازدياد الناتج القومي ونصيب الفرد منه . كما أسهمت الصناعة والخدمات في ازدياد نصيب الفرد من الناتج القومي في جميع بلدان الإقليم .

المؤشرات الاجتماعية للسكان: - يتألف سكان إقليم الهلال الخصيب من ثلاث فئات اجتماعية تتفاعل مع بعضها منذ القديم حتى الوقت الحاضر ، وهذه الفئات هي :

(أ) فئة سكان البادية الصحراوية التي تعيش في بادية الشام بامتدادها الشرقي في بادية العراق الغربية ، وامتدادها الجنوبي في صحراء النقب الفلسطينية .

(ب) فئة سكان المناطق الريفية التي تعيش في القرى ، والتي يعتمد غالبيتها على الزراعة في المعيشة . وبالرغم من استقرار هذه الفئة ، إلا أنها تتحرك بصورة مستمرة وبطيئة في النزوح إلى المدن بغرض العمل والاستقرار فيها .

(جـ) فئة سكان المناطق الحضرية التي تستقر في المدن وضواحيها ، والتي تشهد معدلات نمو مرتفعة نسبيا بفعل الزيادة الطبيعية وصافي الهجرة . وينتقل سكان البوادي من حياة البادية إلى حياة الريف وبعدئذ إلى حياة المدن في عملية من الاستقرار الطبيعي . ويحدث أحيانا أن ينتقل بعض البدو من حياة البداوة وشبه البداوة إلى حياة المدن مباشرة دون أن يمروا بمرحلة الانتقال إلى الريف أولا . ولا شك أن عوامل معينة هي التي تجذب فئات السكان المقيمة في البوادي أو في الأرياف للهجرة إلى المدن . وتأتي العوامل الاقتصادية الاجتماعية على رأس العوامل الجاذبة لسكنى المدن ، إذ تتوافر في المدن فرص العمل وكسب المعيشة ، بحيث يحصل الفرد فيها على دخل أكثر ارتفاعا من الدخل الذي يحصل عليه الفرد في البادية أو الريف .

ولقد ارتفعت نسبة سكان المدن والمناطق الحضرية (جدول ٢٦) نتيجة التدفق المستمر للهجرة من الريف إلى المدن ، وشهد عقد الستينات معدل نمو سنوي لسكان المدن بلغ متوسطه ٥,٢٪ بالنسبة لإقليم الهلال الخصيب . وقد انخفض هذا المعدل قليلا

جدول (٢٦)

سكان المدن والمناطق الحضرية فى الهلال الخصيب

(١٣٨٠ – ١٤٠٠هـ/ ١٩٦٠ – ١٩٨٠م)

القطر	نسبة سكان الحضر من مجموع السكان٪		معدل النمو السنوي٪		نسبة السكان في أكبر مدينة٪		نسبة سكان المدن التي يتجاوز عددها نصف مليون نسمة٪		عدد المدن التي تزيد على نصف مليون نسمة	
	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠١هـ ١٩٨١م	١٣٨٠–٩٠هـ ١٩٦٠–٧٠م	١٣٩٠–١٤٠١هـ ١٩٧٠–٨١م	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م	١٣٨٠هـ ١٩٦٠م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
العراق	٤٣	٧٢	٦,٢	٥,٣	٣٥	٥٥	٣٥	٧٠	١	٣
فلسطين المحتلة	٧٧	٨٩	٤,٣	٣,١	٤٦	٣٥	٤٦	٣٥	١	١
الأردن	٤٣	٥٧	٤,٥	٤,٧	٣١	٣٧	صفر	٣٧	صفر	١
لبنان	٤٤	٧٧	٦,٢	٢,٨	٦٤	٧٩	٦٤	٧٩	١	١
سورية	٣٧	٤٩	٤,٨	٤,٦	٣٥	٣٣	٣٥	٥٥	١	٢
الهلال الخصيب	٤٨,٨	٦٨,٨	٥,٢	٤,١	٤٢,٢	٤٧,٨	٣٦	٥٥,٢	٤	٨

المصدر : البنك الدولي ، تقرير عن التنمية في العالم (١٩٨٣) ، جداول الملحق (جدول ٢٢) .

خلال عقد السبعينات عندما بلغ ٤,٥٪ سنويا ، وذلك نتيجة لتنفيذ سياسات ترمي للحد من تيار الهجرة إلى المدن ، وتحفز بعض المهاجرين للعودة إلى الريف . وبالرغم من ذلك ظلت نسبة سكان المدن والمناطق الحضرية في ارتفاع مستمر ، إذ ازدادت من ٤٨,٨٪ عام ١٩٦٠ إلى ٦٨,٦٪ عام ١٩٨٠ ، أي أن أكثر من ثلثي سكان الهلال الخصيب يعيشون في المدن والمناطق الحضرية .

وتعد فلسطين المحتلة من أكثر بلدان الهلال الخصيب تحضرا ، إذ بلغت نسبة سكان المدن والمناطق الحضرية فيها ٨٩٪ من إجمالي السكان في عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . ويمكن أن نفسر هذه الظاهرة بميل اليهود للسكنى في المدن والعمل في الصناعة والتجارة والمصارف والخدمات . ويأتي لبنان في المرتبة الثانية حيث يعيش ٧٧٪ من سكانه في المدن والمناطق الحضرية . ويأتي العراق في المرتبة الثالثة بنسبة ٧٢٪ ، وكانت نسبة الأردن وسورية ٥٧٪ و ٤٩٪ على التوالي .

وتستأثر المدن الكبرى بنسبة عالية من سكان المناطق الحضرية ، إذ ازدادت نسبة سكان أكبر مدينة داخل كل قطر في الهلال الخصيب من ٤٢,٢٪ من إجمالي سكان المناطق الحضرية عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م إلى ٤٧,٨٪ عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م . كما أن نسبة سكان بغداد ارتفعت من ٣٥٪ من إجمالي سكان الحضر عام ١٩٦٠م إلى ٥٥٪ عام ١٩٨٠م ، وارتفعت نسبة سكان عمان من ٣١٪ إلى ٣٧٪ في الأردن ، وارتفعت نسبة سكان بيروت من ٦٤٪ إلى ٧٩٪ في لبنان . غير أن نسبة سكان دمشق انخفضت من ٣٥٪ إلى ٣٣٪ في سورية ، كما انخفضت نسبة سكان تل أبيب إلى ٣٥٪ في فلسطين المحتلة . وفي عام ١٩٦٠م كان ٣٦٪ من سكان الحضر في الهلال الخصيب يعيشون في مدن يتجاوز عدد سكانها نصف المليون نسمة ، وازدادت هذه النسبة إلى ٥٥٪ عام ١٩٨٠م . وإذا استثنينا فلسطين المحتلة فإن بلدان الهلال الخصيب شهدت ازدياد نسبة السكان الذين يعيشون في مدن يتجاوز عدد سكانها نصف المليون ، ففي العراق تضاعفت نسبتهم من ٣٥٪ عام ١٩٦٠م إلى ٧٠٪ عام ١٩٨٠م . وفي الأردن أصبحت

نسبتهم ٣٧٪ بعد أن كانت صفرا ، وفي لبنان ارتفعت نسبتهم من ٦٤٪ إلى ٧٩٪ ، وفي سوريةارتفعت نسبتهم من ٣٥٪ إلى ٥٥٪[٥٠] .

ولقد صاحب هذه الزيادة في نسبة السكان الذين يعيشون في مدن يتجاوز عدد سكانها نصف المليون ، زيادة في عدد المدن نفسها . ففي العراق ازداد عدد هذه المدن من مدينة واحدة عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م إلى ٣ مدن عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م (بغداد ، البصرة ، الموصل) وفي الأردن أصبحت مدينة عمان نصف مليونية إثر حرب ١٣٨٧هـ حزيران / يونية ١٩٦٧م ونزوح أعداد كبيرة من الفلسطينيين إليها . وفي سورية ازداد عدد هذه المدن من مدينة واحدة هي دمشق إلى مدينتين ، هما دمشق وحلب . ويمثل لبنان حالة من التطرف في الهيمنة الحضرية ، ذلك أن بيروت وضواحيها ، كانت قبل ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م تحتوي على ٧٥٪ من مجموع سكان الحضر في البلاد ، وكانت تنمو سنويا بنسبة ٦,٦٪ مقابل ١,٩٪ لسائر المناطق الحضرية الأخرى[٥١].

ومما يسترعي الانتباه في بلدان الهلال الخصيب أن أكبر المدن فيها هي العاصمة . وقد تعاظم دور العاصمة في السنوات الأخيرة حتى أصبحت المدينة المهيمنة هي الدولة في الواقع ، فهي نافذة الدولة على العالم الخارجي ، بل إن هذا العالم يكوّن فكرته الأولى عن الدولة ذاتها بانطباعاته عن العاصمة أو المدينة المهيمنة فيها ، ومظاهرها الثقافية والمادية والحضارية وغيرها . وللوقوف على مظاهر الهيمنة الحضرية للمدن الكبرى يمكن أن نسوق مدينة بيروت مثالًا . فلقد كانت تتجمع في مدينة بيروت وضواحيها قبل عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م معظم الصناعات والخدمات . فتضم نحو ٧٥٪ من مجموع العاملين في الصناعة اللبنانية ، ونحو ٧٥٪ من العاملين في قطاع الخدمات . وقدر أن حوالي ثلثي الهجرة الداخلية في لبنان كانت تتجه إليها ، وتضاعفت المدينة نحو عشر مرات منذ عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، وأصبحت تستوعب بمفردها نحو خمس سكان البلاد وثلاثة أرباع سكان الحضر ، لذا وصل حجمها إلى خمسة أمثال المدينة الثانية (طرابلس) ، في الوقت الذي وصلت فيه طرابلس نفسها إلى ٤ مرات حجم المدينة الثالثة (زحلة) .

وتتجلى مظاهر الهيمنة الحضرية للعاصمة بيروت في ذلك التركز الزائد للمؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها . وتضم بيروت الكبرى جميع الوزارات الحكومية ، ونحو ٧٩ سفارة وقنصلية ، وأكثر من ٩٠٪ من البنوك والمحامين في الدولة ، و ٨٢٪ من المهندسين ، وحوالى ٧٥٪ من الأطباء والممرضين ، وما يقرب من ٦٠٪ من المؤسسات التجارية والصناعية ، وأكثر من ٨٠٪ من الموظفين العاملين في هذه المؤسسات[٥٢] .

ولعل من المفيد أن نتطرق إلى الأوضاع التعليمية والصحية كمؤشرات اجتماعية مهمة لسكان الهلال الخصيب . وفيما يتعلق بالتعليم نجد أنه تقدم تقدما كبيرا في السنوات الأخيرة ، فارتفعت نسبة التعليم عند البالغين في الأردن مثلا من ٣٢٪ عام ١٩٦٠ إلى ٧٠٪ عام ١٩٧٧ ، ويمثل الطلبة الأردنيون في المدارس والجامعات أكثر من ثلث سكان الأردن . كما ارتفعت نسبة التعليم عند البالغين في سورية من ٣٠٪ إلى ٥٣٪ ، وفي فلسطين المحتلة من ٨٤٪ إلى ٨٨٪ .

وقد انكمشت معدلات الأمية بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة ، وإن كانت لاتزال هذه المعدلات مرتفعة نسبيا عند الإناث ، وفي الأرياف بصفة خاصة . ففي عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م كانت نسبة الأمية في العراق ٥٦,٦٪ ، وكانت هذه النسبة حوالي ٣٧,١٪ عند الذكور و ٧٦,٦٪ عند الإناث . وفي الأردن انخفضت نسبة الأمية إلى ٤٢٪ عند إجمالي السكان ، غير أنها تدنت إلى ٣١,١٪ عند الذكور ، وارتفعت إلى ٥٣,٤٪ عند الإناث . وفي سورية بلغت نسبة الأمية ٤٥٪ ، (٢٩,١٪ عند الذكور و ٦١,٥٪ عند الإناث) . وإذا استثنينا فلسطين المحتلة ، فإن وضع الأمية في لبنان يعتبر أفضل الأوضاع في الهلال الخصيب ، ذلك لأن نسبة الأمية فيها تبلغ ٢٣,٥٪ ، عند إجمالي السكان (١٤,٦ ٪ عند الذكور و ٣٢,٣٪ عند الإناث)[٥٣] .

ويعاني إقليم الهلال الخصيب من هجرة الكفاءات العلمية إلى الخارج ، وذلك باستثناء فلسطين المحتلة التي تستقبل كفاءات علمية متنوعة مع المهاجرين اليهود . وقد أشارت بيانات الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، الخاصة بالهجرة الوافدة إليهما عام

١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م إلى هذه القضية ، وأوضحت أن نسبة المهاجرين الوافدين من فئتي المهنيين والإداريين إلى المهاجرين ذوي النشاط الاقتصادي بلغت ٢٢٪ بالنسبة للوافدين من العراق إلى الولايات المتحدة و ٤٢٪ ، و ٢٣٪ بالنسبة للوافدين من الأردن إلى الولايات المتحدة وكندا على التوالي ، و ٤٦٪ و ١٧٪ بالنسبة للوافدين من لبنان إلى الولايات المتحدة وكندا على التوالي ، و ٤٦٪ و ٢٥٪ بالنسبة للوافدين من سورية إلى الولايات المتحدة وكندا على التوالي[٥٤] .

وقد أشارت بيانات وزارة العدل الأمريكية – قسم الهجرة والتجنس – إلى أنه هاجر إلى الولايات المتحدة من الاختصاصيين والعمال الفنيين من إقليم الهلال الخصيب حوالي ٨٦٥٠ مهاجرًا خلال الفترة (١٣٨٢ – ١٣٩٦هـ / ١٩٦٢ – ١٩٧٦م) ، منهم ١٤٥٠ مهاجرًا من العراق ، و ٢١٠٠ مهاجر من الأردن وفلسطين ، و ٣٧٠٠ مهاجر من لبنان ، و ١٤٠٠ مهاجر من سورية . وهاجر خلال الفترة نفسها إلى الولايات المتحدة حوالي ١٢٦٠ مهندسا ، منهم ٢٠٠ مهندس من العراق ، و ٢٦٠ مهندسا من الأردن وفلسطين ، و ٦٠٠ مهندس من لبنان ، و ٢٠٠ مهندس من سورية . وهاجر خلال الفترة نفسها إلى الولايات المتحدة حوالي ٢٨٠٠ طبيب ، منهم ١٧٠ طبيبا من العراق ، و ٢٦٠ طبيبا من الأردن وفلسطين ، و ٨٤٠ طبيبا من لبنان ، و ٥٣٠ طبيبا من سورية . وهاجر خلال الفترة نفسها إلى الولايات المتحدة حوالي ٦٨٠ من الإخصائيين في العلوم الطبيعية ، منهم ٨٠ من العراق ، و ٩٠ من الأردن وفلسطين ، و ٥٠٠ من لبنان ، و ١٠ من سورية[٥٥] .

وإذا استثنينا فلسطين المحتلة التي يفد إليها المهاجرون اليهود من مختلف بقاع العالم للاستيطان فيها ، فإن بقية بلدان الهلال الخصيب تصدر الأيدي العاملة والكفاءات العلمية إلى البلدان العربية الأخرى . وقد تركت هذه الظاهرة بعض الآثار السلبية على بلدان الهلال الخصيب ، كحرمانها من الكفاءات والخبرات والمهارات اللازمة لها لتنفيذ مشروعات التنمية ، الأمر الذي يضطرها لسد النقص باستيراد الأيدي العاملة والخبرات من الخارج ، وبخاصة من مصر . وقد اضطر العراق إلى استدعاء العراقيين العاملين في

الخليج للعودة إلى ديارهم والإسهام في بناء العراق الحديث منذ أواخر الستينات ، كما أنه شجع الأيدي العاملة العربية والخبرات الأجنبية على العمل فيه . ويعتبر العراق والأردن من أكثر بلدان الهلال الخصيب استيرادا للعمال المصريين والأجانب في الوقت الحاضر . وتعتبر التحويلات المالية التي يرسلها العاملون من دول الهلال الخصيب في البلدان العربية البترولية إلى ذويهم على رأس إيجابيات تصدير الموارد البشرية . ومنذ عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م على الأقل ، أصبحت قيمة هذه التحويلات ضخمة ، وعلى سبيل المثال ، قدرت نسبتها في الأردن عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م بنحو ٣٨٪ من مجموع الواردات ، وبنحو ٢٤٪ من مجموع قيمة الناتج القومي الإجمالي[٥٦] .

أما عن الأوضاع الصحية للسكان في الهلال الخصيب فيمكن القول إنها تدعو إلى الاطمئنان ، ذلك لأن بلدان الهلال الخصيب حققت تقدما كبيرا في مجال الرعاية الصحية للمواطنين في السنوات الأخيرة . وانعكس هذا الوضع على انخفاض عدد السكان للطبيب الواحد وللممرضة الواحدة وللسرير الواحد في المستشفى . وعلى سبيل المثال كان نصيب المرض والممرضة والطبيب في عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، من السكان في العراق ، نحو ٢٩٩٠ و ٢١٩٠ نسمة على التوالي ، وفي الأردن نحو ٨٢٠ نسمة عام ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠م على التوالي، وفي سورية نحو ٣٨٩٠ و ٢٥٧٠ نسمة على التوالي . وفي نهاية عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م قدر نصيب الطبيب البشري الواحد في الأردن بنحو ٩٦١ نسمة ، وهي نسبة تقارب نسب الدول المتقدمة ، ونصيب طبيب الأسنان ٤٦٤٥ نسمة ، ونصيب الصيدلاني ٣٤٢٥ نسمة[٥٧] . ومن المتوقع في السنوات القادمة أن تتحسن أوضاع التغذية لتسهم مع تقدم الطب الوقائي والعلاجي في محاربة الأمراض والأوبئة . وتشير أرقام عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م إلى أن المجموع اليومي للسعرات الحرارية للفرد العراقي بلغ ٢١٣٤ سعرا أو ما نسبته ٨٩٪ من الاحتياجات الفسيولوجية لجسمه . كما أن نصيب الفرد الأردني بلغ ٢١٠٧ سعرات ، أو ما نسبته ٨٧٪ من احتياجات جسمه للطاقة الحرارية . أما بقية بلدان الهلال الخصيب فإن الفرد فيها يتناول في غذائه من السعرات أكثر من احتياجات جسمه ، ففي

فلسطين المحتلة كان نصيب الفرد ٣١٤١ سعرا أو ما نسبته ١٢٢٪ من احتياجات جسمه ، وفي لبنان بلغ نصيب الفرد نحو ٢٤٩٥ سعرا أو ما نسبته ١٠١٪ وفي سورية بلغ نصيب الفرد نحو ٢٦٨٤ سعرا أو ما نسبته ١٠٨٪[٥٨] .

طرق النقل

لعبت المسالك والدروب القديمة دورا مهما في الربط بين الأرجاء الداخلية لإقليم الهلال الخصيب من جهة ، والربط بين الإقليم نفسه والأقاليم المجاورة من جهة ثانية . وقد ساعدت تلك المسالك على الأنتقال الداخلي وسهولة الحركة بين مراكز الحضارات العربية القديمة في العراق وبلاد الشام . وكانت الغزوات التي تعرضت لها المنطقة قديما قد استخدمت هذه المسالك التي تربط بين الهلال الخصيب وما حوله من مناطق . إضافة إلى ذلك ، أسهم الرومان في بناء الطرق البرية داخل بلاد الشام ، تلك الطرق التي كانت القوافل التجارية تسلكها بين بلاد الشام وكل من العراق ومصر وشبه جزيرة العرب . وقد استفادت الجيوش الإسلامية من الطرق الرومانية أثناء المد الإسلامي وبعده . وكانت هذه الطرق هي الوسيلة الرئيسة الوحيدة للمواصلات طوال العهود الإسلامية المتتابعة . وفي العصور الوسطى كانت التجارة العالمية بين الشرق الأقصى وأوربا تنقل على هذه الطرق . وفي العصور الحديثة تم بناء كثير من الطرق داخل الهلال الخصيب فوق مواقع الطرق الرومانية القديمة .

العوامل المؤثرة على نشأة الطرق :- تمثل الطرق شرايين مهمة تربط بين مناطق الإنتاج والتسويق من جهة ، وبين التجمعات السكانية والعمرانية من جهة ثانية . كما أنها تربط بين إقليم الهلال الخصيب والأقاليم المجاورة له . وعندما ندرس الطرق فإنما ندرسها لمغزاها قبل مبناها ، ذلك لأن عوامل طبيعية واقتصادية وسياسية وعسكرية واجتماعية توجه بناء الطرق وامتدادها في محاور معينة . وسنتحدث بإيجاز عن أثر هذه العوامل على نشأة الطرق كمايلي :-

العوامل الطبيعية :– تلعب العوامل الطبيعية دورا مهما في نشأة الطرق وامتدادها ، فالأمطار والثلوج تؤثران في بنية الطرق وتجعل من الضروري صيانتها سنويا بترميمها وإضافة الخلطات الأسفلتية فوق الأماكن التي تتعرض للنحر . ولما كانت المرتفعات الجبلية تتألف من الحجارة الكلسية في معظم تركيبها الصخرى ، فإن الطرق في هذه المناطق تتعرض للهبوط والتشققات والانزلاقات من جراء هطول الأمطار الغزيرة .

وفي الأماكن الجبلية الوعرة يتحكم العامل التضاريسي في اتخاذ الطرق البرية والسكك الحديدية أشكالا متعرجة تسير مع خطوط الانحدارات (الكنتور) . وتسير الطرق عادة بمحاذاة أقدام الجبال ، أو على طول الأودية الجافة والفتحات الطبيعية التي تخترق السلاسل الجبلية . وهناك طرق تسير فوق قمم الجبال وأسطح الهضاب متتبعة خطوط تقسيم المياه ، لتتحاشى قدر الإمكان اختراق الأودية لها ، وما ينتج عن ذلك من عقبات طبيعية ، ونفقات إضافية لبناء الجسور .

وفيما يتعلق بالطرق المائية النهرية نجد أنها تقتصر على نهري دجلة والفرات وكذلك شط العرب في العراق . أما بقية الأنهار فإنها لا تصلح للملاحة بسبب تعرج بعضها وشدة انحدار وسرعة تيار بعضها الآخر ، كما هو الحال بالنسبة لأنهار بلاد الشام . وترتبط الطرق المائية البحرية بوجود المواني التي ينتشر معظمها على طول سواحل بلاد الشام . غير أن طبيعة السواحل وأشكالها المستقيمة تقلل من قيمتها الفعلية بالنسبة لقيام مواني طبيعية عليها . وإذا استثنينا مواني حيفا وبيروت واللاذقية على البحر المتوسط ، وميناءي العقبة وإيلات على خليج العقبة ، وهي مواني طبيعية وذات مياه عميقة ومحمية من خطر الأنواء ، فإن بقية المواني تعاني من مشكلة ضحولة مياهها واستقامة سواحلها ، مثل بانياس وطرطوس في سورية ، وطرابلس وجونية وصيدا في لبنان ، وعكا ويافا وأسدود وعسقلان وغزة في فلسطين ، والفاو في جنوب العراق .

وتعتبر الطرق الجوية أهم حلقة في المواصلات الجوية العالمية ، ذلك لأن أجواء الهلال الخصيب بين الشرق والغرب تصلح للطيران على مدار السنة . وقد ترتب على هذا إنشاء عدد من المطارات من الدرجة الأولى في عمان واللد وبيروت ودمشق وبغداد .

العوامل الاقتصادية :– الطرق عنصر مهم من العناصر الاقتصادية التي تدخل في إطار النظام الاقتصادي لبلدان الهلال الخصيب . ومن الطبيعي أن يتم بناء الطرق لكي تستعمل من قبل وسائل المواصلات المختلفة في ربط مناطق الإنتاج بالتسويق . ولن يكتب لأي مشروع اقتصادي النجاح ما لم يرتبط المشروع مع مناطق التسويق الداخلية والخارجية بشبكة طرق كافية . وعلى سبيل المثال ظلت منطقة الجزيرة في شمال شرقي سورية تعاني من مشكلة تسويق منتجاتها الزراعية ، وبخاصة الحبوب ، حتى أوائل السبعينات عندما تم ربطها مع ميناء اللاذقية بطرق برية وسكة حديدية . ولا شك أن الموانى التي لم ترتبط مع ظهيرها القريب والبعيد بطرق صالحة تظل مشلولة الحركة ، لعجزها عن التفاعل مع ظهيرها والتعامل معه .

ومن الضروري أن تنفذ مشروعات الطرق والسكك الحديدية بعد التأكد من ثبوت جدواها الاقتصادية والفنية ، ولا يتحقق ذلك إلا إذا تم تطوير المناطق الواقعة على طرفي الطريق وعلى امتداد طوله . أما إذا كانت المناطق المحيطة بالطرق مهملة وغير مستغلة ، فإن القيمة الفعلية للطرق تصبح متدنية ، وينخفض مردود النقل عليها لضعف فعالياتها . وإذا طبقنا هذه القواعد على بلدان الهلال الخصيب نجد أن جميع الطرق الرئيسة فيها صالحة للاستعمال ، بل إنها تعاني من ضغط المرور الكثيف عليها من قبل السيارات التي تنقل المسافرين ، والشاحنات التي تنقل البضائع . ويقتضي هذا الوضع من الحكومات العربية أن تتعاون على ترميم وتوسيع شبكة الطرق الدولية التي تربط بين دولها ، لتتمكن الطرق من تحمل ضغط كثافات المرور المتزايدة . وقد اهتمت الحكومات عبر خطط التنمية بتطوير الطرق وتحسينها لتتناسب مع الحجم الكبير والسرعة المتزايدة للحركة .

وعلى سبيل المثال قام الأردن بتحسين أوضاع الطرق الزراعية والسياحية ، وتم ربط المناطق الزراعية بشبكة طرق صالحة مع مناطق التسويق الداخلي في المدن الأردنية ، ومع مناطق التسويق الخارجي في العراق ودول الخليج والمملكة العربية السعودية . وقام الأردن أيضا ببناء طريق رئيسة معبدة على طول وادي عربة ، لربط ميناء العقبة بمنطقة البحر الميت والأغوار الجنوبية حيث يوجد مشروع البوتاس ومشروعات زراعية أخرى . كما تعاون

العراق مؤخرا مع الأردن في تنفيذ مشروع بناء طريق صحراوية رئيسة تربط بين ميناء العقبة والعراق مباشرة ، عن طريق معان والأزرق ، وذلك لتقصير المسافة التي يستغرقها النقل عبر طريق العقبة - عمان - بغداد ، ولتخفيف الضغط عن هذه الطريق الحيوية .

العوامل السياسية : تنعكس تقوية الروابط السياسية على تدعيم أواصر التعاون الاقتصادي بين بلدان الهلال الخصيب . وقبل قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ ، كانت الموانئ الفلسطينية ترتبط بظهيرها البعيد نسبيا في شرق الأردن ، حيث اعتمدت الأخيرة في تجارتها الخارجية على هذه الموانئ . وارتبطت بعض هذه الموانئ ، كميناء حيفا ، بسورية عن طريق فرع لخط سكة حديد الحجاز ، كما ارتبطت بالعراق بواسطة طريق حيفا - المفرق - بغداد . وارتبطت حقول البترول العراقية في كركوك مع ميناء حيفا بواسطة خط لأنابيب البترول ، حيث كان البترول الخام العراقي ينقل إلى حيفا لتكريره وتصديره للخارج .

وبعد عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م أغلقت السبل أمام جميع النشاطات الاقتصادية مع الكيان الصهيوني المحتل للأراضي الفلسطينية . وتحولت التجارة الخارجية الأردنية إلى الموانئ اللبنانية والسورية حيث تنقل البضائع (ترانزيت) عبر الأراضي اللبنانية والسورية وفقا لاتفاقيات عقدت لهذه الغاية بين الحكومة الأردنية وحكومة كل من لبنان وسورية . ومنذ أوائل الخمسينات أخذت التجارة الخارجية الأردنية تتحول تدريجيا إلى ميناء العقبة ، حيث يقوم هذا الميناء أيضا ، بعد أن تم توسيعه خلال السنوات الأخيرة ، بخدمة جزء من تجارة العراق وسورية ولبنان مع العالم الخارجي ، وبخاصة مع جنوب شرقي آسيا ، ومع شرقي إفريقية . وقام العراق بعد عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م بإيقاف ضخ بتروله إلى ميناء حيفا ، واستبدل به الموانئ السورية واللبنانية (بانياس وطرابلس) .

وإذا استثنينا فلسطين المحتلة ، فإن بلدان الهلال الخصيب تعتبر أعضاء في مجلس الوحدة الاقتصادية العربية حاليا . ومن الطبيعي أن يتوثق التعاون الاقتصادي بين هذه البلدان ، وأن ينعكس ذلك على ازدياد حجم التبادل التجاري بينها ، وعلى مضاعفة حركة المرور والنقل على الطرق . ومن جهة ثانية فإن التقارب السياسي الأردني مع كل

من سورية في أواخر السبعينات ، والعراق في أوائل الثمانينات ، انعكس بلا شك على مضاعفة الجهود لتدعيم التعاون الاقتصادي وتقويته . وبرز هذا الواقع عمليا بإنشاء الشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية المشتركة بين الأردن وكل من سورية والعراق .

العوامل العسكرية : أسهمت العوامل العسكرية في مد خط سكة حديد القنطرة — رفح — حيفا خلال الحرب العالمية الأولى ، وذلك بغرض نقل الجنود والعتاد والمؤن للحملة البريطانية على فلسطين . كما أسهمت العوامل العسكرية والسياسية معا في بناء خط سكة حديد الحجاز بين دمشق والمدينة المنورة مرورا بدرعا وعمان ومعان ، وذلك كمشروع مشترك بين ألمانيا والدولة العثمانية ، وكان الهدف المعلن لهذا المشروع هو خدمة الحجاج المسلمين القادمين إلى الحجاز ، في حين كان الهدف الحقيقي من وراء تنفيذ المشروع يكمن في مد النفوذ السياسي لألمانيا في المشرق العربي ، إضافة إلى خدمة الأغراض العسكرية للدولة العثمانية في الهلال الخصيب والجزيرة العربية . وقد أسهمت ألمانيا أيضا بالتعاون مع الدولة العثمانية في بناء خط سكة حديد حلب — بغداد ، كجزء من مشروع الخط الدولي المعروف باسم خط حديد برلين — بغداد ، وذلك تنفيذا لأغراض سياسية وعسكرية واقتصادية ، ولتتمكن ألمانيا من الوصول إلى العراق ، ومد نفوذها السياسي إلى الخليج العربي إثر اكتشاف حقول البترول في المنطقة .

وقد قامت سلطة كل من الانتداب البريطاني والانتداب الفرنسي ، بشق بعض الطرق وإنشاء بعض المطارات في إقليم الهلال الخصيب خدمة لأغراضهما العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية . ويسهم الكيان الصهيوني في هذا المجال منذ عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م حتى الوقت الحاضر بعد الطرق والسكك الحديدية وإنشاء المطارات والموانى العسكرية في فلسطين المحتلة . كما يسهم ، منذ عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، بإقامة المستعمرات الجديدة في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ، وربط هذه المستعمرات العسكرية مع داخل فلسطين المحتلة بشبكة جديدة من الطرق . ولم يتورع هذا الكيان أثناء غزوه لبنان ، في ١٤٠٢هـ حزيران ١٩٨٢م ، عن شق الطرق العسكرية الجديدة التي تخدم أهداف الغزو والاحتلال البغيضين .

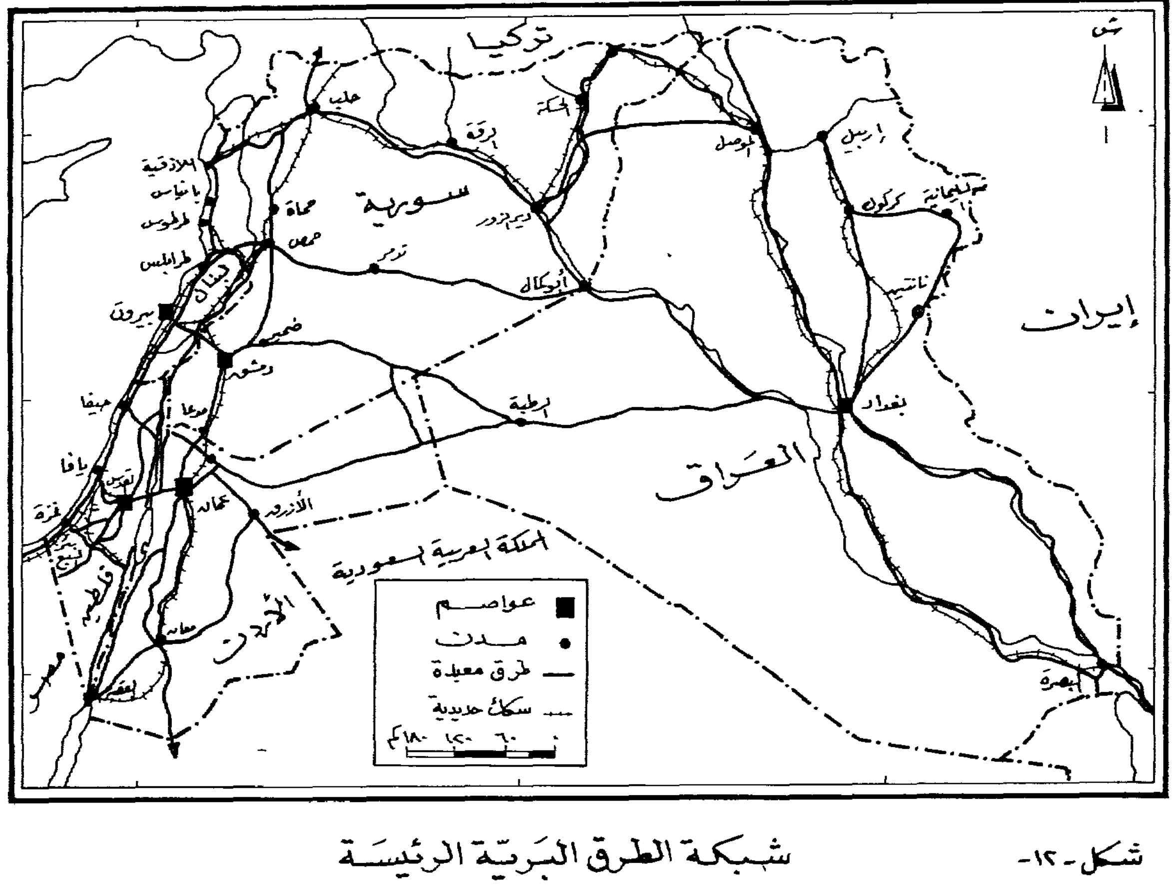
العوامل الاجتماعية : تسهم العوامل الاجتماعية في بناء الطرق البرية لربط المدن والقرى ومضارب البدو ببعضها البعض ، ولتدعيم الروابط الاجتماعية بين التجمعات السكانية في بلدان الهلال الخصيب ، وللمحافظة على الأمن بربط العواصم بالأقاليم المختلفة . وتدخل الطرق ضمن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تنفذها دول الهلال الخصيب ، إيمانا من القائمين على تنفيذ هذه الخطط بأن مشروعات التنمية وإعمار المناطق الجديدة وتطوير الريف ، لا يمكن أن تكون مثمرة ما لم يصاحبها تنفيذ مشروعات الطرق . ولولا الطرق لما تشجع السكان على إقامة القرى والضواحي الجديدة حول مراكز المدن . كما أن الطرق تعتبر وسيلة لنقل الأفكار والثقافات داخل الإقليم ، وهي تقرب المسافات البعيدة ، وتزيد تفاهم السكان واختلاطهم ، وتشجع على قيام وحدة عربية بين دول الإقليم .

وتسهم الطرق في استقرار البدو على جوانبها أو قريبا منها على الأقل ، حيث تقوم مضاربهم وتجمعاتهم في المناطق الهامشية . كما تسهم الطرق في نمو القرى والمدن ، إذ تحولت بعض القرى ذات المواقع المهمة إلى مدن صغيرة نتيجة استقرار السكان فيها ، وتحولت بعض المدن الصغيرة إلى مدن كبيرة نتيجة لهجرة السكان إليها من الأرياف . وقد أسهمت الطرق في إعمار بعض المناطق النائية ، وجعلت بعض المدن التي تمتد بمحاذاتها في محاور متعددة ، وشجعت على إقامة الضواحي الجديدة .

« طرق النقل الرئيسة »

أ – طرق النقل بالسيارت : يحتل النقل بالسيارات في إقليم الهلال الخصيب أهمية كبرى بالنسبة لنقل البضائع والركاب بين وسائل النقل المختلفة . وأهم الطرق الرئيسة الطولية المعبدة في الإقليم من الغرب إلى الشرق مايأتي[٥٩] : (شكل / ١٢) .

١ –**الطريق الساحلية الغربية** :– تمتد هذه الطريق على طول السواحل الغربية لبلاد الشام ، من اللاذقية شمالا حتى رفح جنوبا . وتتابع الطريق سيرها نحو الجنوب مارة



شكل -١٢- شبكة الطرق البرية الرئيسة

بالجزء الشمالي من شبه جزيرة سيناء إلى الإسماعيلية والقاهرة ، بينما تتابع سيرها نحو الشمال مارة بلواء الإسكندرونة إلى داخل تركية . وتربط هذه الطريق الحيوية موانئ ساحل الشام مع بعضها ، كما أنها تربط المشرق العربي بالمغرب العربي عن طريق مصر .

٢ - **الطريق الجبلية الغربية** :- تبدأ من خليج العقبة مخترقة صحراء النقب الفلسطينية ، وتمر بمدينة بئر السبع متجهة نحو الشمال ، لتسير فوق قمم الجبال مارة بالخليل والقدس ونابلس وجنين والناصرة وطبرية وصفد ، ثم تدخل الأراضي اللبنانية مخترقة مرتفعات لبنان الجنوبية ومارة بمدينتي جزين وبيت الدين لتتصل بطريق بيروت دمشق . وتتفرع عن هذه الطريق إلى الشرق من مدينة صفد طريق رئيسة أخرى تتجه إلى القنيطرة ودمشق . وقد استعمل الجيش الإسلامي جزءا من هذه الطريق خلال معركة أجنادين ، وهو الجزء الممتد بين القدس وخليج العقبة .

٣ - **الطريق الغورية الوسطى** :- تبدأ من خليج العقبة مخترقة وادي عربة وغور الأردن وذلك في الجانبين الشرقي والغربي من وادي الأردن . وتواصل سيرها في الجانب الغربي من وادي الأردن نحو الشمال مارة بمدينة طبرية ومخترقة سهل الحولة ، وتعبر الحدود الفلسطينية اللبنانية متجهة نحو سهل البقاع ومارة بمرجعيون وحاصبيا وراشيا ورياق وبعلبك . ثم تعبر الحدود اللبنانية السورية إلى حمص ، حيث تتجه شمالا إلى حماة وحلب . وقد استعمل الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص طريق وادي عربة أثناء هجومه على فلسطين واستعمل جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد طريق الغور الأوسط وغور البحر الميت عندما قدم من الشام استعدادا لمعركة أجنادين .

٤ - **الطريق الجبلية الشرقية** :- تمتد هذه الطريق فوق سطح هضبة شرق الأردن ، وتبدأ من مدينة العقبة جنوبا وتمر بمدن الشوبك والطفيلة والكرك ومأدبا وعمان والسلط وعجلون منتهية بمدينة إربد . وتتفرع عند إربد إلى فرعين ، أحدهما يتجه نحو درعا إلى دمشق ، والثاني يتجه نحو بيسان إلى حيفا . وقد استعملت الجيوش الإسلامية أثناء فتح بلاد الشام هذه الطريق الجبلية وفروعها المنحدرة إلى غور الأردن .

٥ - **طريق الحافة الغربية لبادية الشام** :- تسير هذه الطريق بمحاذاة الحافة الغربية

لبادية الشام . وتبدأ من العقبة جنوبا متجهة نحو الشمال ومارة بمدن معان وعمان وجرش والرثا ودرعا ودمشق وحمص وحماة ، حيث تنتهي في حلب . وقد استعملت الجيوش الإسلامية هذه الطريق أثناء فتح بلاد الشام وذلك عندما تحرك لواء بقيادة عمرو بن العاص على طريق العقبة ثم عبر وادي عربة ، وتحركت ثلاثة ألوية بقيادة يزيد بن أبي سفيان وقيادة شرحبيل بن حسنة وقيادة أبي عبيدة بن الجراح على طريق معان – عمان – دمشق – حمص .

٦ – **طريق نهر دجلة** :- تصل هذه الطريق بين الفاو في جنوب العراق وزاخو في شماله ، وهي أطول طرق العراق (١١٨٦ كم) ، وتسير بمحاذاة نهر دجلة مارة بالبصرة والقرنة وميسان والعمارة وبغداد وسامراء وتكريت والموصل . وتتفرع عن هذه الطريق فروع كثيرة إلى المناطق المجاورة ، كالطرق المتفرعة من مدن العمارة والكوت وبغداد والموصل .

٧ – **طريق نهر الفرات** :- تربط هذه الطريق (١١٣٢ كم) بين الفاو في جنوب العراق والقائم في شماله الغربي . وتسير بمحاذاة نهر الفرات مارة بالبصرة والشعبية وأور والسماوة والرميثة والديوانية والهاشمية والحلة وبغداد والفلوجة والرمادي وهيت وحديثة . وبعد القائم تستمر الطريق في امتدادها عبر الحدود العراقية السورية إلى المدن السورية الواقعة على نهر الفرات . وتجدر الإشارة إلى أن خالد بن الوليد استعمل جزءا من طريقي نهر دجلة ونهر الفرات أثناء فتحه العراق .

وأهم الطرق العرضية الرئيسة المعبدة من الشمال إلى الجنوب ما يأتي :-

١ – **طريق اللاذقية – حلب – دير الزور – أبو كمال** :- تعتبر هذه الطريق العرضية امتدادا لطريق نهر الفرات الطولية سالفة الذكر ، وتسير في معظمها بمحاذاة نهر الفرات في العراق وسورية . وتأتي أهميتها من أنها تربط بين ميناء اللاذقية على البحر المتوسط وأراضي الجزيرة في سورية والعراق ، ذلك لأنه تتفرع منها طريق معبدة رئيسة عند دير الزور متجهة نحو الشمال الشرقي ومارة بشدّادي والحسكة والقامشلي على الحدود السورية التركية . وهناك طريقان يتفرعان من طريق دير الزور – القامشلي ويعبران

الحدود السورية العراقية ، وهما طريق شدّادي – سنجار – الموصل – أربيل – الحدود العراقية الإيرانية ، وطريق القامشلي – الموصل – أربيل – الحدود العراقية الإيرانية . ولطريق نهر الفرات المارة في كل من سورية والعراق أهمية كبيرة لأنها تربط بين ميناء اللاذقية السوري على البحر المتوسط ، وموانى العراق على الخليج العربي .

٢ – طريق طرابلس وطرطوس – حمص – تدمر – أبو كمال :– تربط هذه الطريق العرضية بين كل من ميناء طرطوس السوري وميناء طرابلس اللبناني على البحر المتوسط وتدمر في قلب البادية السورية ، عبر فتحة حمص الطبيعية . كما أنها تتصل بطريق نهر الفرات الطولية في العراق عن طريق أبو كمال على الحدود السورية العراقية . وبذلك تكتسب أهمية خاصة لأنها تربط بين البحر المتوسط والخليج العربي عبر الأراضي السورية والعراقية . كما أن خط أنابيب النفط بين كركوك وبانياس يسير بمحاذاتها . وقد لعبت هذه الطريق دورا مهما أثناء الفتوح الإسلامية لإقليم الهلال الخصيب ، إذ استعمل الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد جزءا منها أثناء فتح بلاد الشام .

٣ – طريق بيروت – دمشق – الضمير – الرطبة – بغداد – خانقين :– تربط هذه الطريق الحيوية بين عواصم ثلاثة بلدان في الهلال الخصيب ، وتخترق عرضيا وسط كل من لبنان والعراق وجنوب شرق سورية الصحراوي ، كما أنها تربط بين إيران وإقليم الهلال الخصيب . وتتفرع عنها طرق تؤدي إلى محافظات كركوك والسليمانية وأربيل في شمال شرقي العراق . وتأتي أهمية هذه الطريق من كونها تربط بين إيران والعراق وسورية ولبنان ، وهي أقصر من الطريق السابقة وتقصر المسافة بين بيروت ودمشق وبغداد وطهران .

٤ – طريق حيفا – المفرق – بغداد :– تربط هذه الطريق بين كل من شمال فلسطين والأردن وبين وسط العراق ، وتمر عبر سهلي مرج ابن عامر وبيسان في فلسطين ، متجهة نحو الشرق ، بعد أن تعبر جسر المجامع فوق نهر الأردن إلى مدينتي إربد والمفرق الأردنيتين ، ثم تعبر الحدود الأردنية العراقية عند بلدة الجفور ، فتمر بمدينة الرطبة العراقية متجهة إلى بغداد . وتسير هذه الطريق بمحاذاة خط أنابيب البترول ،

الذي كان يربط كركوك بحيفا . غير أن الضخ في هذه الأنابيب توقف منذ حرب عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م ، كما توقف اتصال الجانب الفلسطيني من الطريق عن جانبيها الأردني والعراقي .

٥ - **طريق يافا - القدس - عمان - بغداد** :- تصل هذه الطريق بين وسط كل من فلسطين والأردن والعراق . وفي عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م استولى الصهيونيون على جزء من هذه الطريق يربط بين يافا والقدس ، فأغلق كل من ميناء يافا وميناء حيفا في وجه التجارة الخارجية الأردنية ، ولا تزال مغلقة حتى الوقت الحاضر . وتتفرع طريق معبدة رئيسة عن هذه الطريق من عمان إلى الأزرق والعمري وطريف ، متجهة بمحاذاة خط أنابيب التابلاين إلى المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية ومن ثم إلى دول الخليج العربي . .

٦ - **طريق غزة - القدس - عمان - بغداد** :- تصل هذه الطريق بين جنوب فلسطين وكل من الأردن والعراق . وتشترك هذه الطريق مع الطريق السابقة في جزء كبير منها ، وهو الجزء الممتد بين القدس وبغداد . ويصدر جزء من حمضيات قطاع غزة عن هذه الطريق إلى الأردن والعراق في الوقت الحاضر . ويمكن الاستفادة من الطريق الفرعية المارة بالأزرق والمؤدية إلى السعودية والخليج في تقصير المسافة بين الأردن والدول العربية المجاورة ، بالنسبة لنقل المسافرين والبضائع على حد سواء .

٧ - **طريق العقبة - معان - الأزرق - بغداد** :- قرّرت الحكومة الأردنية بالتعاون مع الحكومة العراقية المباشرة بإنشاء هذه الطريق التي تهدف إلى خدمة التجارة الخارجية العراقية عبر ميناء العقبة الأردني . وذلك إثر الحرب العراقية الإيرانية ، ومن المتوقع أن ينتهي العمل من إنشائها في منتصف عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

وتتفاوت بلدان الهلال الخصيب من حيث أطوال الطرق فيها . ففي العراق بلغت ٢٩٣٧٢ كم ، تسير عليها ٥٥٢,١٧٥ سيارة ، وفي سورية بلغت ١٨,٨٤٤ كم ، تعمل عليها ٢٠٦ (آلاف) سيارة . وفي لبنان بلغت ٧١٠٠ كم ، تعمل عليها حوالي ٥٠ ألف سيارة .

ب – طرق النقل بالسكك الحديدية :– لم تستطع السكك الحديدية مجابهة المنافسة الشديدة من الطرق البرية . وبالرغم من ذلك فإنها تقوم بقسط كبير نسبيا من مهمة نقل البضائع والمسافرين داخل إقليم الهلال الخصيب . ويأتي عدم توحيد مقاييس السكك الحديدية على رأس المشكلات التي تعاني منها السكك الحديدية في الإقليم ، فهناك بعض الخطوط التي بنيت على المقياس الاعتيادي (١,٤٣٥م) ، وهناك بعضها الآخر أقيم على المقياس الضيق (١,٠٥م) . ويؤدي وجود خطين حديديين مختلفي العرض إلى الإبطاء بالنقل ، وإلى زيادة التكاليف . وتتألف شبكة السكك الحديدية في إقليم الهلال الخصيب من الخطوط التالية :–

أولا : سكك حديد بلاد الشام :– تشمل الخطوط التالية[٦٠] :–

١ – سكة الحديد السورية الشمالية :– وهي الجزء الممتد في سورية من الخط الدولي المعروف باسم خط حديد برلين – بغداد . ويبدأ الخط السوري في الشمال الشرقي عند تل كوجك إلى القامشلي ، ثم يدخل الأراضي التركية ويسير موازيا للحدود ، ثم ينحرف نحو الجنوب حتى حلب التي تعتبر عقدة للخطوط الحديدية . وقد بني هذا الخط الاعتيادي على المقياس الفرنسي (١,٤٣٥م) بالتعاون بين ألمانيا والدولة العثمانية ، ويربط بين سورية وكل من تركية والعراق .

٢ – سكة حديد اللاذقية – الجزيرة السورية (٧٥٨كم) :– يربط هذا الخط الحيوي الاعتيادي ميناء اللاذقية بأراضي الجزيرة السورية ، منذ أوائل السبعينات ، وذلك لنقل المنتجات الزراعية الفائضة إلى حلب واللاذقية ، حيث يتم تصديرها إلى داخل سورية وخارجها . ويسير الخط الحديدي في منطقة جبلية بين اللاذقية وحلب ، في حين يسير في منطقة منبسطة إلى الشرق من حلب ، وبمحاذاة مجرى نهر الفرات مارا ببلدة الطبقة (الثورة) الواقعة على نهر الفرات . ثم يتجه في أرض الجزيرة نحو الشمال الشرقي إلى القامشلي .

٣ – سكة حديد حلب – رياق (٣٣١كم) :– يمتد معظم هذا الخط الاعتيادي في الأراضي السورية ، ويمتد جزء منه في الأراضي اللبنانية (٩٠كم) . ويربط بين حلب

وحماة وحمص في سورية ، ثم يسير في سهل البقاع اللبناني بعد عبوره الحدود مارا بالبقاع ومتجها نحو بعلبك ورباق ، حيث يلتقي مع خط سكة حديد بيروت - دمشق الضيق . ويتفرع من هذا الخط عند حمص فرعان : أحدهما يربط بين حمص وميناء طرطوس السوري ، وثانيهما يربط بين حمص وميناء طرابلس اللبناني . ويسير الفرعان في منطقة منبسطة نسبيا داخل فتحة حمص - طرابلس الطبيعية .

٤ - **سكة حديد بيروت - دمشق** :- يربط هذا الخط الضيق ميناء بيروت مع دمشق ، حيث يتصل مع خط سكة حديد الحجاز الضيق في دمشق ، ويخدم بصفة أساسية حركة تجارة الترانزيت إلى الأردن . ويبلغ طول هذا الخط نحو ١٤٧ كم بين بيروت ودمشق ، ونظرا لوقوع القسم الأوسط منه في منطقة جبلية وعرة فإنه بني مُسننا لمساعدة حركة القطارات في الصعود والهبوط بأمان .

٥ - **سكة حديد الحجاز** :- أنشئ هذا الخط الضيق لأغراض سياسية وعسكرية بالتعاون بين ألمانيا والدولة العثمانية في أوائل القرن الحالي . وكان يصل دمشق بالمدينة المنورة ، عبر الأردن ، وبطول يبلغ ٣١٥٩ كم ، وتم ربطه بميناء حيفا عن طريق وصلة تمتد من درعا إلى سمخ وبيسان وحيفا . وقد خُرب الجزء الممتد من الخط بين المدينة المنورة ومعان أثناء الحرب العالمية الأولى . لذا فإن تسيير القطارات منذ ذلك الوقت يقتصر على الجزء الممتد بين دمشق ومعان مرورا بدرعا وعمان ، حيث تنتقل البضائع والفوسفات والمسافرون عليه . وفي عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م تم ربط الخط بميناء العقبة لتصدير الفوسفات الأردني بصورة خاصة .

٦ - **سكة حديد السهل الساحلي** :- يرتبط هذا الخط الاعتيادي عند رفح مع خط سكة حديد شمال سيناء الذي يرتبط بدوره مع خط سكة حديد القنطرة - القاهرة . ويمتد الخط على طول السهل الساحلي الفلسطيني من رفح متجها نحو الشمال إلى حيفا ، مارا بمدن خان يونس وغزة والمجدل واللد ويافا . وإلى الشمال من حيفا يسير الخط في سهل عكا ، مارا بعكا ومخترقا الحدود الفلسطينية عند رأس الناقورة ، يمر بعدئذ بمدن صور وصيدا وبيروت ، ولينتهي في طرابلس اللبنانية .

وهناك ثلاثة خطوط للسكك الحديدية تلتقي مع خط سكة حديد السهل الساحلي لفلسطين وهي :

أ – خط سكة حديد الحجاز القادم من درعا في سورية والمار بمدينتي سمخ وبيسان في وادي الأردن ، متجها نحو الغرب ، عبر سهل مرج ابن عامر إلى حيفا .

ب – خط سكة حديد القدس – يافا الذي يبدأ من القدس ويسير في وادي الصرار ، مارا بمدينة اللد في السهل الساحلي ، وهو خط على المقياس الاعتيادي .

جـ – خط سكة حديد بير السبع – المجدل ، الذي يبدأ من بير السبع في صحراء النقب ، متجها نحو الشمال الغربي ، ليلتقي مع خط سكة حديد رفح – حيفا عند مجدل عسقلان .

ثانيا : سكك حديد العراق :– تتألف شبكة سكك حديد العراق من الخطوط التالية :–

١ – سكة حديد بغداد – الموصل – تل كوجك (٥٢٩ كم) : يعتبر هذا الخط امتدادا لخط سكة حديد شمال سورية ، وهما جزء من خط سكة حديد برلين – بغداد . ويربط هذان الخطان الاعتياديان بين بغداد وحلب .

٢ – سكة حديد بغداد البصرة (٥٧٧ كم) :– يسير هذا الخط الضيق في جزء من وادي الفرات ، حيث يكثر الإنتاج الزراعي ، وترتفع كثافة السكان ، وتقل صلاحية هذا الجزء من نهر الفرات للملاحة . لذا تصبح الحاجة ماسة إلى مثل هذا الخط الذي يستخدم في نقل المنتجات الزراعية والبضائع والمسافرين .

٣ – سكة حديد بغداد – كركوك – أربيل (٤٦١ كم) : يربط هذا الخط الضيق وسط العراق بالمناطق الشمالية الشرقية ، التي تعرف بأهميتها من حيث الإنتاج الزراعي وإنتاج البترول وتوافر المواقع السياحية الصالحة للاصطياف .

٤ – سكة حديد بغداد – مقال – أم قصر (٥٨٢ كم) : يربط هذا الخط الاعتيادي ميناء العراق على الخليج بمدينة بغداد . وتبلغ أطوال السكك الحديدية في العراق ٧٢٧ كم،

سافر عليها عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م حوالي ١٣٧٥ مليون مسافر .

وتبلغ أطوالها في سورية ٢٠٢٧ كم ، سافر عليها حوالي ٤٨٦ مليون مسافر / كم ، ونقل عليها من البضائع ٧١٢ مليون طن / كم وفي لبنان تبلغ أطوالها ٤٣٠ كم .

الهوامش

١ – محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ ، بيروت (١٩٦٩) ، ص ٢٤ – ٢٧ .

٢ – جمال حمدان ، شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان . القاهرة (١٩٧٠) ، ص ٢٦٢ – ٢٦٥ .

٣ – المرجع نفسه ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

٤ – (أ) محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون ، الوطن العربي ، أرضه وسكانه وموارده ، القاهرة (١٩٦٨) ، ص ١٦ – ٢٠ .

(ب) صلاح الدين الشامي وفؤاد الصقار ، جغرافية الوطن العربي الكبير ، الإسكندرية (١٩٧٠) .

(جـ) محمد عبد الغني سعودي ، الوطن العربي ، القاهرة (١٩٧٠) ، ص ١٨ – ٢٢ .

5 -(A) Cresser, G., Crossroads, Land and Life in South West Asia, Chicago (1960), pp. 69-81.

(B) Fisher W.B., The Midddle East; A Physial, Social and Reqional Geography. London (1961). 14-26.

6 - (A) Dubertret, L., and Weulersse, J., Maunel de geographie, Syrie Liban et Proche Orirnt. Beyrouth (1940).

(ب) محمد صبحى عبد الحكيم وآخرون ، مرجع سابق ، ص ٤٨ – ٥٠ .

(جـ) عادل عبد السلام ، جغرافية سورية ، دمشق (١٩٧٣) ، ص ٨٤ – ١٠١ .

٧ – (أ) صلاح عمر باشا ، جغرافية سورية الطبيعية . محاضرات ألقيت على طلبة معهد الدراسات العربية (بلا تاريخ) ، ص ٢٢ – ٣٣ .

(ب) حسن أبو العينين ، دراسات في جغرافية لبنان ، بيروت (١٩٦٨) ، ص ١٤٧ – ١٤٩ .

(جـ) محمد السيد غلاب ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ – ١٥٤ .

٨ – صلاح عمر باشا ، مرجع سابق ، ص ٤٣ – ٤٩ .

٩ – المرجع نفسه ، ص ٤٩ – ٥٤ .

١٠ – جاسم الخلف ، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، القاهرة (١٩٦٥) ، ص ٤١ – ٤٥ .

11 - (A) Schattner, I., The Lower Jordan Valley. Jerusalem (1962), p. 25.
(B) Saleh, H., Problems of Water Erosiom in the East Jordan Valley. Fac Arts Jour. Univ. Jor. May (1971), p. 1.
(C) Gluck, K., River Jordan. Jerusalem (1945).

١٢ – المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، المناخ الزراعي في الوطن العربي ، الخرطوم (١٩٧٨) ، ٩٧ – ١٠٢ .

١٣ – المرجع نفسه ، ص ١٠٨ – ١١٠ .

١٤ – المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، برامج الأمن الغذائي العربي ، ج ٢ ، الخرطوم (١٩٨٦) ، ص ١٣ .

١٥ – المناخ الزراعي ، مرجع سابق ، ص ١١٢ – ١١٦ .

١٦ – برامج الأمن الغذائي العربي ، مرجع سابق ، ص ٩٨ – ٩٩ .

١٧ – جاسم الخلف ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ – ١٦٦ .

١٨ – عادل عبد السلام ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩ – ٢٩٢ .

١٩ – حسن أبو العينين ، التصريف المائي ومشروعات الري في لبنان . مجلة البحوث والدراسات العربية . العدد (٨) ، (١٩٧٧) ، ص ٣٩ – ٨٩ .

20 - Schattner, I., Op. Cit, p. 33.

٢١ – جاسم الخلف ، مرجع سابق ، ص ١٧٨ – ١٨٦ .

٢٢ – برامج الأمن الغذائي العربي ، مرجع سابق ، ص ٣٥ – ٣٦ .

٢٣ – جاسم الخلف ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

24 - Reifenberq. A., The Soils of Palestine, Studies in Soil Formation and land utilization in the Mediterranean. London (1947).

25 - Mohary, M., Ecoloqical studies in the veqetation of the Near Easterm Desert. Isr. Exp. Jour. Vol. 2, (1952). pp. 201-215.

26 - Post, O.E., and Dinsmore, J.E., Flora of Syria, Palesrine, and Sinai, Vols. 1 & 2, Beirut (1932-1933).

٢٧ – برامج الأمن الغذائي العربي ، مرجع سابق ، ص ١١ – ١٢ .

٢٨ – الأمم المتحدة ، المجموعة الإحصائية لمنطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ١٩٨٣ . بغداد (١٩٨٥) .

29 - F.A.O., Production Yearbook 1985. Vol. 39, Rome (1986).

٣٠ – وزارة التخطيط الأردنية ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٨٦ – ١٩٩٠) . عمان (١٩٨٦) ، ص ٥١١ – ٥١٧ .

٣١ – فاو ، مصدر سابق ، (١٩٨١) .

32 - (A) Middle East Review 1982. pp. 163-165.

(B) Quarterly Economic Review of Iraq. Annual. Suoolement 1982.

(جـ) يوسف صايغ ، اقتصادات العالم العربي ، بيروت (١٩٨٢) ، ص ٣٣ – ٤٨ .

٣٣ – فاو ، مصدر سابق ، (١٩٨١) .

٣٤ – برامج الأمن الغذائي العربي ، ج ٥ ، إنتاج السكر . الخرطوم (١٩٨٦) ، ص ٧ .

(٣٥) برامج الأمن الغذائي العربي ، ج ٤ ، إنتاج محاصيل البذور الزيتية . الخرطوم (١٩٨٦) ، جدول (٣) ..

٣٦ – برامج الأمن الغذائي العربي ، ج ١ ، استراتيجية الأمن الغذائي . الخرطوم (١٩٨٦) ، ص ٨٥ – ١١٠ .

٣٧ – يوسف صايغ ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

38 - U.N., Yearbook of Industrial Statistics 1980. Vols 1+2, New York, (1981).

٣٩ – البنك الدولي ، تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨١ . واشنطن (١٩٨١) ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

٤٠ – البنك المركزي الأردني ، التقرير السنوي السابع عشر ، عمان (١٩٨٠) ، ص ١١ .

٤١ – (أ) المرجع نفسه ، ص ١٣ .

(ب) الكتاب السنوي للإحصاءات الصناعية ١٩٨٠ ، مرجع سابق (عدة جداول) .

٤٢ – الكتاب السنوي للإحصاءات الصناعية ١٩٨٠ ، مرجع سابق (عدة جداول) .

٤٣ – يوسف صايغ ، مرجع سابق ، ص ٥٢١ .

44 - (A) Quarterly Economic Review of Ieaq 1982.

(B) Middle East Review 1982.

(C) Middle East Economic Surveyy 1982.

٤٥ – اتحاد الصناعات العراقي ، التقرير الإحصائي لمشاريع النشاط الصناعي الخاص في القطر ١٩٨٠ . بغداد (١٩٨١) .

٤٦ – محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١١٥ – ١٢٢ .

٤٧ – صلاح الدين الشامي وفؤاد الصقار ، مرجع سابق ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ .
٤٨ – الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ومؤسسات أخرى ، التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٨٤ ، ص ٣١٧ .
٤٩ – البنك الدولي ١٩٨٣ ، ومرجع سابق ، (الملاحق) .
٥٠ – المرجع نفسه ، (الملاحق) .
٥١ – رياض طبارة ، السكان والموارد البشرية والتنمية في العالم العربي ، النشرة السكانية للجنة الاقتصادية لغربي آسيا . العدد (٢٠) ، حزيران (١٩٨١) ، ص ٥ – ٣٩ .
52 - Abu Aianah, F., Primate Cities in the Arab World Population Bulletin of ECWA. No. (19), (1980), pp. 29-45.
53 - (A) ECWA, The Population Situation in Lebanon, Beiryt (1980).
(B) ECWA, The Population Situation in Syri. Beirut (1980).
(C) ECWA, The Population Situation in Jordan. Beirut (1980).
(D) ECWA, The Population Situation in Iraq. Beirut (1980).
٥٤ – رياض طبارة ، مرجع سابق ، ص ٣٠ – ٣١ .
٥٥ – أنطوان زحلان ، هجرة الكفاءات العربية . في كتاب الايكوا بعنوان « السكان والتنمية في الشرق الأوسط » . بغداد (١٩٨٥) ، ص ٣١٧ – ٣٥٩ .
٥٦ – (أ) حربي البنوي وسليم أبو الشعر ، حوالات العاملين في ضوء واقع هجرة الأردنيين إلى الخارج ، البنك المركزي الأردني ، عمان (١٩٨٢) .
(ب) جواد العناني وتيسير عبد الجابر ، تجربة الأردن وسياساته حول انتقال القوى العاملة . مشروع الثقافة السكانية ، وزراة العمل الأردنية . عمان (١٩٨١) ، ص ١٤٠ .
٥٧ – وزارة الصحة الأردنية ، التقرير السنوي لعام ١٩٨١ ، عمان (١٩٨٢) .
٥٨ – البنك الدولي ، مرجع سابق (الملاحق) .
٥٩ – (أ) محمد محمود الصياد ، النقل في البلاد العربية . معهد الدراسات العربية بالقاهرة (١٩٥٦) .
(B) Noval Intelliqence Handbooks: Palestine Syria Iraq. London (1943).
(جـ) أمين النفوري ، المسالك والدروب التي انتشر عليها الإسلام ، بحث ألقي في المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول . الرياض (١٩٧٩) ، ص ١ – ٣٣ .
٦٠ – (أ) محمد صبحي عبد الحكيم ، حسن أبو العينين ، عادل عبد السلام ، جاسم الخلف ، مراجع سابقة متنوعة .
(B) Boom Era For Middle East Railways. Middle East Review (1982), pp. 84-94.

قائمة المراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

١ - اتحاد الصناعات العراقي ، التقرير الإحصائي لمشاريع النشاط الصناعي الخاص في القطر ١٩٨٠ . بغداد (١٩٨١) .

٢ - أ. أكرم، سيف الله خالد بن الوليد . ترجمة صبحى الجابى ، بيروت (١٩٧٩) ص ٣٣٣ ، ٥١٨ .

٣ - أمين النفوري ، المسالك والدروب التي انتشر عليها الإسلام . بحث ألقى في المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول . الرياض (١٩٧٩) .

٤ - الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ومؤسسات أخرى ، التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٨٤ ، ص ٣١٧ .

٥ - الأمم المتحدة ، المجموعة الإحصائية لمنطقة اللّجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ١٩٨٣ . بغداد (١٩٨٥) .

٦ - أنطوان زحلان ، هجرة الكفاءات العربية ، في كتاب الايكوا بعنوان « السكان والتنمية في الشرق الأوسط » .

٧ - برامج الأمن الغذائي العربي ، ج ٥ ، إنتاج السكر . الخرطوم (١٩٨٦م) ، ص ٧ .

٨ - برامج الأمن الغذائي العربي ، ج ٤ ، إنتاج محاصيل البذور الزيتية ، الخرطوم (١٩٨٦) ، جدول (٣) .

٩ - برامج الأمن الغذائي العربي ، ج ١ ، استراتيجية الأمن الغذائي . الخرطوم (١٩٨٦) ، ص ٨٥ - ١١٠ .

١٠ - البنك الدولي ، تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨١م . واشنطن (١٩٨١) ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

١١ - البنك المركزي الأردني ، التقرير السنوي السابع عشر ، عمان (١٩٨٠) ص ١١ .

١٢ – جاسم الخلف ، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، القاهرة (١٩٦٥) ، ص ٤١ – ٤٥ .
١٣ – جمال حمدان ، شخصية مصر : دراسة في عبقرية المكان . القاهرة (١٩٧٠م) ، ص ٢٦٢ – ٢٦٥ .
١٤ – جواد العناني وتيسير عبد الجابر ، تجربة الأردن وسياساته حول انتقال القوى العاملة ، مشروع الثقافة السكانية ، وزارة العمل الأردنية ، عمان (١٩٨١) ص ١٤٠ .
١٥ – حسن أبو العينين ، التصريف المائي ومشروعات الري في لبنان . مجلة البحوث والدراسات العربية . العدد (٨) ، (١٩٧٧) ، ص ٣٩ – ٨٩ .
١٦ – حسن أبو العينين ، دراسات في جغرافية لبنان ، بيروت (١٩٦٨) .
١٧ – حربي البنوي وسليم أبو الشعر ، حوالات العاملين في ضوء واقع هجرة الأردنيين إلى الخارج ، البنك المركزي الأردني ، عمان (١٩٨٢) .
١٨ – رياض طبارة ، السكان والموارد البشرية والتنمية في العالم العربي ، النشرة السكانية للّجنة الاقتصادية لغربي آسيا . العدد (٢٠) جزيران (١٩٨١) ص ٥ – ٣٩ .
١٩ – صلاح الدين الشامي وفؤاد الصقار ، جغرافية الوطن العربي الكبير ، الإسكندرية (١٩٧٠) .
٢٠ – صلاح عمر باشا ، جغرافية سورية الطبيعية ، محاضرات ألقيت على طلبة معهد الدراسات العربية (بلا تاريخ) ، ص ٢٢ – ٣٣ .
٢١ – عادل عبد السلام ، جغرافية سورية ، دمشق (١٩٧٣) ، ص ٨٤ – ١٠١ .
٢٢ – الكتاب السنوي للإحصاءات الصناعية ١٩٨٠ ، مرجع سابق (عدة جداول) .
٢٣ – محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافية والتاريخ ، بيروت (١٩٦٩) ، ص ٢٤ – ٢٧ .

٢٥ - محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون ، الوطن العربي : أرضه وسكانه وموارده ، القاهرة (١٩٦٨) ، ص ١٦ - ٢٠ .
٢٦ - محمد عبد الغني سعودي ، الوطن العربي ، القاهرة (١٩٧٠) .
٢٧ - محمد محمود الصياد ، النقل في البلاد العربية ، معهد الدراسات العربية بالقاهرة (١٩٥٦) .
٢٨ - المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، برامج الأمن الغذائي العربي ، ج ٢ الخرطوم (١٩٨٦) ، ص ١٣ .
٢٩ - المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، المناخ الزراعي في الوطن العربي ، الخرطوم (١٩٧٨) ص ٩٧ - ١٠٢ .
٣٠ - محمود الذرة ، تاريخ العرب العسكري ، بيروت (١٩٦٤) ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ص ٢٩٩ - ٣٨٨ .
٣١ - وزارة التخطيط الأردنية ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٨٦ - ١٩٩٠) . عمان (١٩٨٦) ، ص ٥١١ ، ٥١٧ .
٣٢ - وزراة الصحة الأردنية ، التقرير السنوي لعام ١٩٨١ ، عمان (١٩٨٢) .
٣٣ - يوسف صايغ ، اقتصادات العالم العربي ، بيروت (١٩٨٢) ، ص ٣٣ - ٤٨ .

ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبية :

1 - Abu Aianah, F., Primate Cities in the Arab World. Population Bulletin of ECWA. No. (19), (1980).

2 - Cressey, PP. 29-45 G., Grossroads, Land Life in South West Asia, Chicago (1960), pp. 69-81.

3 - Dubertret, L., and Weulersse, J., Manuel de Geographie. Syrie, Liban et Proche Orient. Reyrouth (1940).

4 - ECWA, The Population Situation in Lebanon, Beirut (1980).

5 - WCWA, The Population Situation in Syria, Beirut.

6 - ECWA, The Population Situation in Jordan, Beirut (1908).

7 - ECWA, The Population Situation in Iraq. Beirut (1980).

8 - F.A.O. Production Yearbook 1985. Vol. 39. Rome (1968).

9 - Fisher, W.B. The The Middle East, A Physical, Social and Regional Geography. London (1961).

10 - Gluck, N., The River Jordan. Jerusalem (1945).

11 - Middle East Review 1982.

12 - Naval Intelligence Handbooks: Palestine, Syria, Iraq. London (1943).

13 - Post, G., and Dinsmore, J.E., Flora of Syria, Palestine, and sinai, Vols. 1 & 2, Beirut (1932-1933).

14 - Quarterly Economic Review of Iraq, Annual Supplement 1982.

15 - Reifenbera. A., The Soils of Palestine, Studies in Soil Formation and land Utilization in the Mediterranean. London (1947).

16 - Saleh, H., Problems of Water Erosion in the East Jordan Valley. Fac. Arts Jour. Univ. Jor. May (1971), p. 1.

17 - Schattner, I., The Lower Jordan Valley. Jerusalem (1962) P. 25.

18 - U.N. Yearbook of Industrial Statistcs 1980. Vols. 1 & 2. NewYork (1981).

19 - Zohary, M., Ecological Studies in the Vegetation of the Near Eastevn Desert. Ist. Exp. J. Val. 2, 1952.

فهرس الجداول

فهـــرس الأشكال



الجمهورية العراقية

أ. د. محمد رشيد الفيل

فهرس الموضوعات

الموقع الجغرافي وأهميته

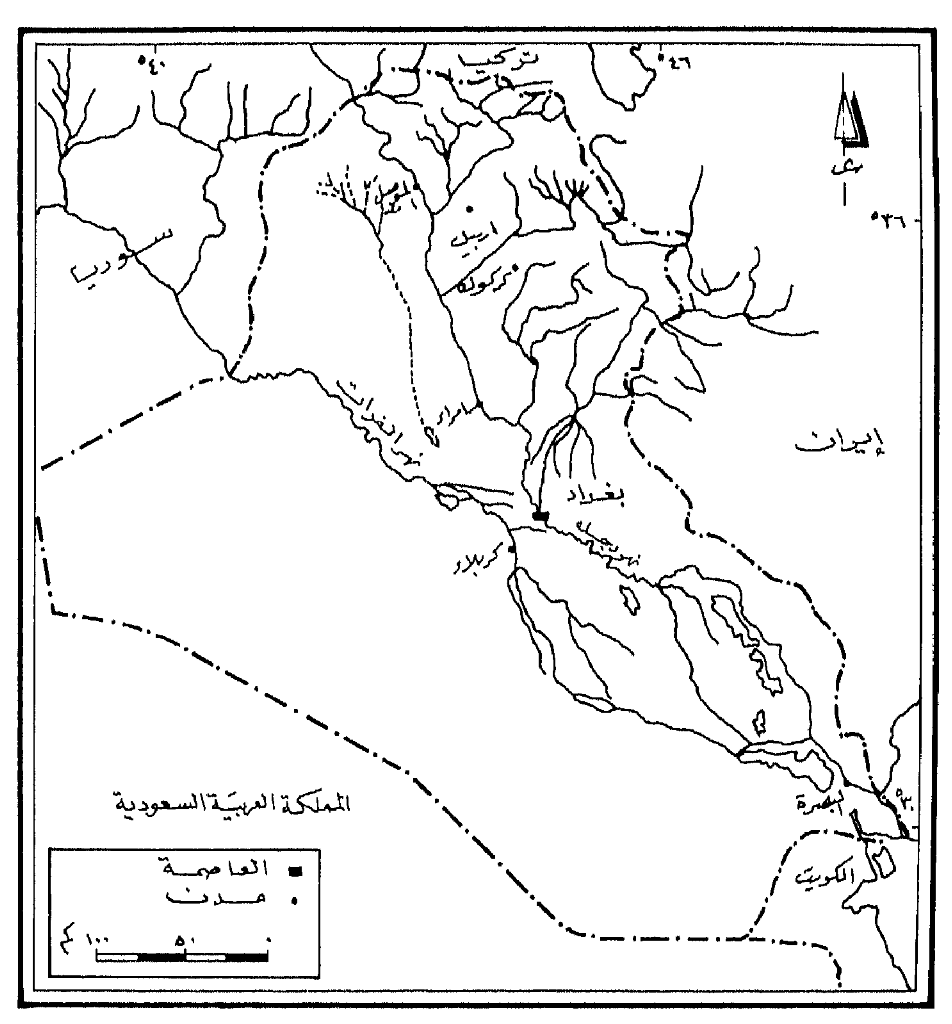
يمتد العراق بين دائرتي عرض ٥٣َ ٢٩ْ و ٢٢َ ٣٧ْ شمالًا وخطى طول ٤٦َ ٣٨ْ و ٤٥َ ٤٨ْ شرقًا[1] . وهذا يوضح أنه يقع ضمن المناطق المدارية الجافة التي تقوم الزراعة فيها على الري وتعيش فيها حيوانات ونباتات تكيفت خلال الزمن مع ظروف المناخ السائدة .

ويقع العراق في جنوب غربي آسيا ، إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب ، مكونًا الجناح الشرقي للهلال الخصيب ، ويحده من الشمال تركيا ، ومن الشرق إيران ، ومن الجنوب الخليج العربي والكويت ، ومن الغرب المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية وسورية (شكل ١) .

ويقع العراق في قلب العالم القديم ، ولذلك فقد غدا جسرا أرضيا يصل بين قارات العالم القديم الثلاث (آسيا ، إفريقيا ، وأوربا) كما أنه يصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط . ولذلك يقع على طريق الدائرة الكبيرة (Great Circle Route) ، الذي يعد أقصر الطرق بين غربي أوروبا وجنوب شرقي آسيا . وتقترب منه مجموعة من البحار الدافئة ذات الأهمية الاستراتيجية الدولية وهي : البحر المتوسط ، والبحر الأسود ، وبحر قزوين والخليج العربي ، والبحر العربي ، والبحر الأحمر .

ويشرف العراق على الخليج العربي ، وبإمكان القادم إلى العراق أن يمر عبر نهر كارون ، ويقطع المنطقة الجبلية ليصل إلى بحر قزوين ، أو يسير عن طريق دجلة والفرات إلى تركيا والبحر الأسود ، أو من الرقة على الفرات ليصل إلى البحر المتوسط ، ومن بغداد إلى النجف ليصل إلى البحر الأحمر .

ومما جعل للعراق تلك الأهمية وقوعه ضمن الجسر الأرضي الذي يصل القارات القديمة الثلاث ويصل في الوقت نفسه بين المحيط الهندي والبحر المتوسط .


تركيا
سوريا
إيران
بغداد
كربلاء
البصرة
الكويت
المملكة العربية السعودية
أربيل
كركوك
الموصل
سامراء
نهر الفرات
نهر دجلة
العاصمة
مدن
١٠٠ كم
٥٠
٠

شكل -١- الموقع

وموقع العراق المزدوج البري البحري ، أدى إلى تنوع نشاطاته الاقتصادية ، فقد جمعت بين النشاطات البرية كالزراعة والصناعة والرعي ، والنشاطات البحرية كالتجارة والصيد ، ومن العراق كانت السفن تنطلق من الأبلة والبصرة في العصور الوسطى إلى ساحل إفريقيا الشرقي أو إلى الهند والصين والجزر اليابانية ، وفي العصور القديمة كانت السفن الصينية والهندية تفد إلى العراق وتصل إلى بابل حاملة منتجات الشرق ، كما كانت تفد في العصر العباسي إلى البصرة وتبحر عبر دجلة حتى بغداد . وكانت السفن تأتي كذلك من الفرات إلى بغداد عن طريق نهر عيسى حاملة تجارة البحر المتوسط ، وهكذا غدت بغداد والبصرة ملتقى تجارات العالم القديم .

وموقع العراق هذا جعل منه معبرًا للجماعات البشرية والجيوش القادمة من أواسط آسيا وشرقها أو بالعكس (من البحر المتوسط) مما ساعد على اختلاط سكانه وتعدد الجماعات البشرية التي استقرت فيه . ويلاحظ ذلك في تكوينه العرقي .

وموقعه هذا جعله منطقة التقاء للحضارات المختلفة ، وبذا أصبح مركز إشعاع للحضارة العالمية في العصور القديمة وفي العصر العباسي .

وقد تأثر العراق بموقعه بين الأراضي الصحراوية والجبلية التي تمتد على كلا جانبيه ، ذلك أنه بما يتمتع به من خصب ومياه جارية كان منطقة جذب للجماعات البشرية التي كانت تعيش في المناطق المجدبة حوله . ولقد أسهم موقعه في منطقة التقاء القارات القديمة الثلاث وخصب أراضيه – منذ القدم – في التطور الحضاري البشري إذ وفد إليه الكثير من الجماعات البشرية التي قدمت بطرق مختلفة ، إما مع حملات عسكرية ، أو هجرات سلمية ، أو للتزود بالمعرفة . لذلك نجد في العراق خليطًا من الأعراق ، لكنه لما كان مفتوحًا نحو شبه جزيرة العرب فإنه كان يتلقى الموجة تلو الأخرى من عرب الجزيرة . وقد أضفت هذه الموجات على العراق طابعه العرقي واللغوي .

والعراق ليس حديث عهد بأهمية موقعه الجغرافي فلقد كانت طرق النقل البرية تمر من العراق إلى أواسط آسيا أو إلى البحر المتوسط ، وكان طريق الحرير العظيم يمر من الساحل الشرقي للبحر المتوسط إلى بغداد ومنها إلى أواسط آسيا وشرقيها حتى بكين ، كما أن لجنوب العراق موقعا مهما بفضل صلاته البحرية الواسعة بجنوب شرقي آسيا . ويتمتع

العراق بثروة هائلة من النفط والمعادن والإمكانات الزراعية التي تزيد أهميته . وتبلغ مساحة العراق ٤٣٨٤٤٦ كم مربعًا[٢] .

البنية والتركيب الجيولوجي

يشغل العراق حوضًا واسعًا يمتد محوره الطولي من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، وينحدر سطحه انحدارًا عاما مع هذا الاتجاه ، وهذا الانحدار هو الذي حدد الخليج العربي مخرجًا طبيعيا للعراق ، وبابا بحريا يتصل عن طريقه بالعالم .

وتتكون أرض العراق من صخور رسوبية متنوعة يتراوح عمرها بين أواخر الزمن الجيولوجي الثاني والعصر الحديث .

ولقد تأثر سطح العراق بالظروف البنيوية التي تحيط به وتكتنفه وهي :

١ – وجود كتلة صلبة إلى الغرب والجنوب الغربي من العراق ، وهي شبه جزيرة العرب ، التي كانت جزءًا من قارة جندوانا ، التي قاومت الحركات الأرضية التي كونت الجبال في المناطق المجاورة .

٢ – وجود بحر تثيس القديم الذي كان يشغل معظم جنوب غربي آسيا ، بما فيها العراق منذ العصر البرمي (أواخر الزمن الأول) .

ولقد حدثت الحركة الألبية التي رفعت سلاسل جبال طوروس وزاجروس في الزمن الجيولوجي الثالث ، وبلغت ذروة نشاطها في عصر الميوسين . ثم حدثت حركات أخرى في عصر البليوسين وأثرت في المرتفعات إلى الشمال من سهل العراق ، وكان اتجاه الحركة من داخل هضبة إيران نحو جنوبها الغربي . واستمرت الحركة الألبية في أوائل البليستوسين وبها اكتمل تكوين جبال العراق .

ولقد قاومت الكتلة القديمة في شبه جزيرة العرب هذه الحركات ، وترتب على ذلك حدوث التواءات في التكوينات الرسوبية عند حافة هضبة إيران ، كما ترتب عليه هبوط سطح العراق وطغيان مياه الخليج العربي على القسم الجنوبي منه .

وكان البحر يغمر العراق وينحسر عنه في العصور المختلفة ، مما ساعد على وجود ترسبات هذه العصور ، فمثلا في العصر الكريتاسي تقدم البحر نحو الشمال وغمر مساحات واسعة في الشرق الأوسط ، وكان العراق من بينها ، ثم انحسر في آخر العصر ، وقد ترسبت في هذا العصر تكوينات كريتاسية سميكة ، ثم تقدم البحر ثانية في عصر الأيوسين الأوسط فترسبت فوق التكوينات الكريتاسية تكوينات الحجر الجيري النيموليتي ، أما عصر الأوليجوسين فإنه لم يترك ترسبات إلا في منطقة قرة جوق لانحسار البحر عن معظم الأراضي . وفي الميوسين الأدنى والأوسط تقدم البحر كثيرًا وغمر أرض العراق وترسبت في أثناء ذلك تكوينات الحجر الجيري التي غطت التكوينات القديمة . وعندما سادت أحوال اليابس في أواخر الميوسين الأوسط ظهرت أرض العراق كلها تقريبًا ، وبدأت تتكون عليها سهول مروجية واسعة وترسبت في المستنقعات المتخلفة تكوينات الفارس السفلي من الجبس والملح ، كما ترسبت تكوينات الفَارسْ العليا من الصلصال الجيري ومن الحجر الرملي . وفي البليوسين ترسبت تكوينات البختياري .

ونتيجة للحركات الأرضية التي كونت جبال العراق هبطت الأقسام الجنوبية من العراق فطغى عليها ماء البحر (منطقة السهل الرسوبي الحالية) ، ولقد لعبت عوامل التعرية والتآكل دورها في العراق وازداد الجرف إلى هذه المنطقة من المصادر التالية :

١ – الإرسابات التي تحملها الأنهار وروافدها وتلقيها في البحر .

٢ – ما تحمله بعض وديان شبه جزيرة العرب وبخاصة في الفترة المطيرة من البليستوسين كوادي الباطن .

٣ – ما يحمله الكارون ونهر الكرخة .

٤ – ما تنقله الرياح .

وبذلك امتلأ معظم الامتداد البحري في داخل العراق وتكون سهل العراق الكبير (السهل الرسوبي) الذي يعود تكوينه إلى أحدث العصور الجيولوجية ، والذي مازال في الواقع في دور التكوين .

التضاريس

تبلغ مساحة العراق ٤٣٨٤٤٦ كيلو متر مربعًا ، وهي تنقسم إلى الأقاليم التضاريسية الآتية : (شكل ٢) .

١ – الإقليم الجبلي وشبه الجبلي إلى الشرق من نهر دجلة .

٢ – إقليم الجزيرة .

٣ – الهضبة الغربية .

٤ – السهل الرسوبي .

أولًا : الإقليم الجبلي وشبه الجبلي إلى الشرق من نهر دجلة :

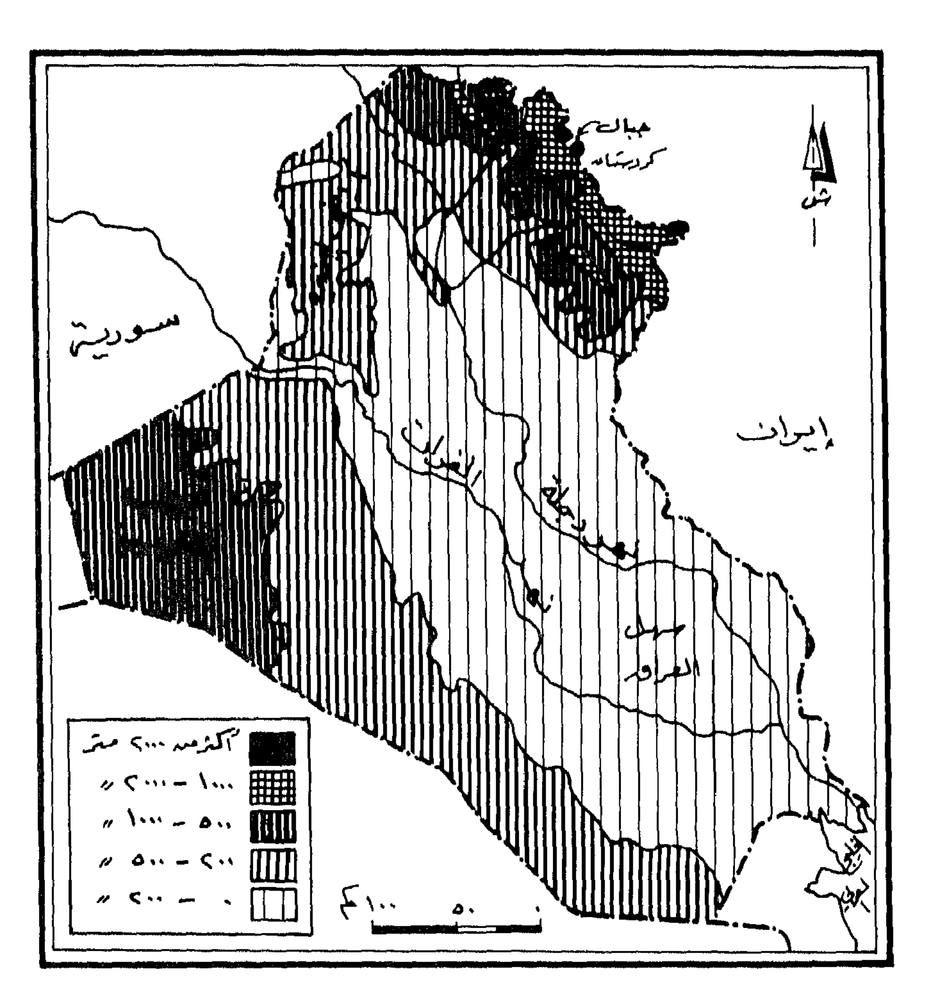
يقع هذا الإقليم إلى الشرق ، من نهر دجلة ويغطي مساحة تقدر بحوالي ٩٢,٠٠٠ كم مربع أي ما نسبته ٢١٪ من المساحة الكلية للعراق[٣] .

وترتفع الأرض في هذا الإقليم ارتفاعًا تدريجيًّا ، وتبدو على هيئة سلم من ثلاث درجات ابتداء من دجلة نحو الشمال الشرقي ، وتحدد كل من درجات هذا السلم حافات بارزة تتجه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي . وتتراوح ارتفاعاتها بين ٢١ م بالقرب من حافة دجلة وحوالي ٣٦٠٠ م على خط الحدود السياسية بين العراق وإيران وتركيا[٤] . وتعتبر هذه الجبال جزءا من النظام الألبي الذي تتجه جباله باتجاه جنوبي شرقي في جبال الألب ثم عبر البلقان وجبال طوروس وجبال زاجروس حتى جبال الهيمالايا[٥] .

ويمكن أن نميز في هذا الإقليم منطقتين متباينتين هما :

١ – المنطقة الجبلية العليا : وتقع بين الحدود العراقية والتركية وتشبه الهلال في شكلها وتتراوح ارتفاعاتها بين (١٠٠٠م و ٣٦٠٠ م) ، وتنقسم إلى قسمين :

(أ) قسم جنوبي بسيط الالتواء ، ويتراوح ارتفاعه بين ١٠٠٠ م و ٢١٠٠ م ، مثل جبل بيخير والجبل الأبيض وجبل شيرمان وجبل عقرة وصلاح الدين .



شكل -٢- التضاريس

(ب) قسم شمالي معقد يتراوح ارتفاعه بين ٢١٠٠م و ٣٦٠٠م مثل جبال مهر نار داغ (٢١٣٣ م) بين الهيزل والخابور ، وجبال سرميدان (٣٥٠٠ م) وهي امتداد لجبال سرساني التركية ، أما أعلى جبال العراق – وهي حصار وست (٣٦٠٠م) وقنديل (٣٤٥١م) – فإنها تقع على الحدود العراقية الإيرانية[٦] .

٢ – المنطقة المتموجة (أو شبه الجبلية) وهي عبارة عن منطقة ذات التواءات محدبة بسيطة تمتد بينها سهول ، وهذه المنطقة ليست من الارتفاع بحيث تجيز لنا اعتبارها أو دمجها مع المنطقة الجبلية ، كما أنها متباينة التضاريس إلى درجة لاتمكن من دمجها مع سهول العراق الرسوبية[٧] .

الأراضي الجبلية في المنطقة المتموجة : إلى الشرق من نهر دجلة نجد أن إقليم الزابين (الزاب الأعلى والزاب الأسفل) والعظيم وديالي (وجميعها روافد دجلة) ذات تربة خصبة تليها مناطق استبس تسودها تكوينات طينية وحصوية تغطيها الأعشاب في فصل الربيع . وإلى الشرق من كركوك وكفرى وأربيل يتحول الإقليم إلى إقليم جبلي ذي مرتفعات صخرية مكونة من صخور رملية بالدرجة الأولى ، وتغطيها الأعشاب الغنية في فصل الربيع . وبين هذا الإقليم والسلاسل العالية لمرتفعات كردستان الجنوبية على الحدود الإيرانية ، التي يتراوح ارتفاعها بين ٣٣٠٠ م و ٣٦٠٠ م – تقع سهول السليمانية .

والأجزاء الجنوبية لهذه المنطقة تقطعها من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي مرتفعات حمرين ذات الصخور الرملية والمجمعات . وتتكون نواة جبل حمرين من سطوح الفَارسْ السفلى (تكوينات من الحجر الجيري) الفراتي ، ومن الجبس . وهي ترجع إلى الميوسين الأسفل ، وتتكون من طبقات صخرية جرداء ، تمتد امتدادًا طوليا وتغطيها طبقة من التربة ، باستثناء بعض المنخفضات ، وتمتد على شكل سلاسل من التلال من منديلي حتى دجلة عند الفتحة ، ويبلغ طولها حوالي (١٦٠ كم) ويصل أعلى ارتفاع لها ٢٥٦ م فوق مستوى سطح البحر في جنوب الفتحة بمسافة ١٥ كم .

ويبلغ أعظم اتساع وارتفاع لمرتفعات حمرين في قسمها الأوسط ، أما نحو الجنوب

الشرقي ونحو الشمال الغربي ، فإن ارتفاعها يقل تدريجيا كما يقل اتساعها . وتمثل هذه المرتفعات حاجزًا بين المنطقة شبه الجبلية والسهل الرسوبي .

ويقطع نهر ديالي طريقه عبر مرتفعات حمرين عند دلى عباس ، والعظيم على بعد ٥٦ كم إلى الشمال الغربي ، ودجلة عند الفتحة . وهكذا تكونت خوانق أو فتحات تمر منها الطرق التي سهلت الانتقال والاتصال من المنطقة الجبلية عبر المنطقة المتموجة إلى المنطقة السهلية وبالعكس . وهذه المرتفعات ذات أهمية اقتصادية لأنها تسهل إنشاء السدود في المناطق التي تقطعها روافد دجلة لرفع مستوى ماء الأنهار لري الأراضي المجاورة . ويوجد سد قديم في المكان الذي يعبر فيها نهر العظيم هذه المرتفعات هو سد دميرقبو[٨] .

السهول الجبلية : تحصر السلاسل الجبلية بينها مجموعة من السهول ذات التربة الخصبة والمياه المتوفرة حتى إنها أصبحت مناطق جذب للسكان وللنشاط الاقتصادي ، وتعتبر منطقة السهول الجبلية هذه إقليمًا اقتصاديا يجتذب الاتصالات في المناطق الجبلية ، كما أنها تعتبر ممرا للانتقال بين منطقة الجبال من داخل الحدود السياسية ومن خارجها وبين منطقة السهول المموجة ووادي دجلة من جهة أخرى .

وأهم هذه السهول ما يلي :

١ – سهل حمرين : ويتكون من التواء مقعر واسع بين التواءين محدبين ، ويتراوح ارتفاعه بين ٢٢٥ م في الشمال عند أقدام مرتفعات قره جوق و ١٨٠ م في الجنوب عند أقدام جبل حمرين[٩] .

٢ – سهل دييكه : وهو التواء مقعر يبلغ عرضه حوالي ١٦ كم وطوله حوالي ٨٠ كم ، ويرتفع سطحه إلى ٢٧٥ م . وتنصرف مياه القسم الشمالي الغربي منه ، والمعروف باسم سهل شمامك ، نحو الزاب الكبير بينما تنصرف مياه القسم الجنوبي منه والمسمى بسهل كنديناوه نحو نهر الزاب الصغير .

٣ – سهل أربيل : وهو سهل مضرس السطح يبدو على شكل مثلث ، وهو التواء مقعر على شكل حوض واسع ، يبلغ طوله بين الجنوب الشرقي والشمال الغربي حوالي ٨٥ كم ، أما عرضه فيبلغ في الاتجاه المقابل نحو ٤٣ كم ، وهو يتكون من صخور رسوبية

حديثة ترتكز على تكوينات أقدم من الرمال والمسطحات والمجمعات . ومركز السهل هو مدينة أربيل التاريخية ، التي تعتبر منطقة جذب للمناطق الرعوية المحيطة بها . وتربطها مواصلات سهلة بكركوك عن طريق وادي جولان وبالموصل عن طريق شمامك ، كما تتصل بوادي دجلة مقابل آثار مدينة آشور خلال ممرات مثل ممر حسين غازي[١٠] .

٤ – سهل السندي (سهل زاخو) : وهو يبدو على شكل مثلث قاعدته تسير بمحاذاة نهر الهيزل عند الحدود العراقية التركية وتمتد نحو الشرق لمسافة ٣٥ كم ويبلغ معدل عرضه ٦ كم ويرتفع سطحه تدريجيا من ٤٠٠ م في الغرب إلى ٦٠٠ م في الشرق ، ويمتد عبر الحدود السياسية ويكون مدخلا إلى العراق من الأراضي التركية . وزاخو هي أهم مدينة فيه ، ويتكون سطح السهل من ترسبات غرينية فوق الصخور البختيارية[١١] .

٥ – سهل رانية : وهو يقع على جانبي الثنية الشمالية لنهر الزاب الصغير ، ويتراوح ارتفاعه بين ٤٨٠ م و ٦٠٠ م ، وتبلغ مساحته حوالي ٨٠٠ كم مربع . ويتكون من قسمين يفصل بينهما نطاق جبلي يبلغ ارتفاعه نحو ١٢٠٠ م ، ويعرف باسم كبوة رش ، وقد شق نهر الزاب الصغير مجراه خلال هذا النطاق بخانق دريند . ويعرف القسم الغربي من سهل رانية باسم سهل بتوين والشرقي باسم سهل بشدر .

٦ – سهل شهزور : هو سهل طولي الشكل يقع بالقرب من الحدود العراقية الإيرانية ويتكون من التواء مقعر يتراوح ارتفاعه بين ٥٤٠ م و ٦٠٠ م ويبلغ طوله حوالي ٤٥ كم ومعدل عرضه ١٥ كم ، ويصل اتساعه في قسمه الشرقي إلى ٢٥ كم ، أما اتساعه في المتوسط فيتراوح بين ١٥ و ٢٠ كم[١٢] . أما أقل ارتفاع له فلا يتجاوز ٦٠٠ م ، وتشرف عليه هنا مدينة حلبجة ، ويضيق اتساعه ويزداد ارتفاعه بالاتجاه نحو مدينة السليمانية حيث يصل إلى مستوى ١٠٠٠ م ، وتنصرف مياه قسمه الجنوبي في نهر طانجرو رافد نهر ديالي ومياه قسمه الشمالي الغربي في نهر تابين رافد الزاب الصغير . وأمام مصب نهر تابين ينفتح سهل أربيل ، وبذلك يسهل الاتصال بين السليمانية وأربيل .

ثانيًا : إقليم الجزيرة :

تكون أرض الجزيرة القسم الشمالي الغربي من حوض العراق ، وترجع تكويناتها

السطحية إلى عصري الميوسين والبليوسين . ولقد سميت بالجزيرة لإحاطتها بالمياه من جميع جهاتها ، فمن الشمال نجد المجاري العليا لنهر دجلة والفرات ، ومن الجنوب جداول عرضية تصل الفرات بنهر دجلة (الصقلاوية وأبو غريب) ، ونهر دجلة والفرات من الشرق والغرب ، ويمثل سطح الجزيرة حوضًا ضحلًا انحداره العام نحو الجنوب ، كما أن له انحدارات جانبية من جهة الشرق والغرب[١٣] .

وتتكون الجزيرة من سهول متموجة ، وتضم كذلك امتدادات من مناطق سهلة منبسطة تقطعها هنا وهناك تلال تسير على شكل سلاسل متصلة من الشرق إلى الغرب ، أو من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ، ومعظمها قليلة الارتفاع ما عدا جبل سنجار وخط آخر من تكوينات بازلتية إلى الغرب من مدينة الموصل .

ويمثل جبل سنجار قوسًا جبليًّا كبيرًا شديد الانحدار ، ويصل ارتفاع قمة جبل ميران Miran حوالي ١٤٤٠ م ، ويبلغ طول القوس ٨٠,٥ كم ويتراوح عرضه بين ٨ كم و ١٣ كم ، ويستمر امتداد القوس الجبلي في سوريا حيث جبل عبد العزيز وهو عبارة عن كتلة بركانية ، ويكاد يكون جبل سنجار وجبل عبد العزيز سلسلة متصلة لولا وجود منخفض واسع بينهما يبلغ طوله حوالي ٢٠٠ كم[١٤] .

وإلى الجنوب من جبل سنجار يوجد جبل مكحول وهو الامتداد الشمالي الغربي لجبل حمرين ، ومكحول عبارة عن سلسلة جبلية منخفضة ذات نواة من الصخور الطباشيرية لايتجاوز ارتفاعها ٩٠ م فوق مستوى المنطقة المحيطة بها .

وتمتد السلاسل الجبلية من جبل سنجار عند الحدود العراقية السورية إلى جبل كولات وامتداد تلعفر ، وجبل زمار ، وجبل إبراهيم ، وجبل عدية ، ثم جبل مكحول . وهذه السلسلة الجبلية قد فصلت المنطقة شبه الجبلية في الشمال عن المناطق الأخرى[١٥] . أما إلى الشمال من جبل سنجار فتظهر سلسلة جبلية متصلة من جزيرة ابن عمر حتى كرجة داغ[١٦] .

وتقطع الجزيرة مجموعة من الوديان أهمها وادي الثرثار الذي تقع عليه مدينة الحضر التاريخية ، ويبدأ من جبل سنجار ، ثم يأخذ الاتجاه الجنوبي لمسافة ٣٠٠ كم ويحاول في

مجراه أن يسير موازيا لنهر دجلة وينتهي بمنخفض واسع بين تلال الاصطبلات على دجلة وهيت على الفرات . وللثرثار ثلاثة منابع هي :

١ - وادي الثرثار ، ٢ - وادي إبره ، ٣ - وادي ثريثير .

ويعتبر حوض الثرثار أوسع منخفض في العراق ، وتعود تكويناته إلى (فارس العليا) المكونة من المارل الناعم والمواد الطينية التي تغطيها بسمك مترين تكوينات الألوفيم القديمة التي تحتوي على نسبة عالية من الجبس . ويبلغ ارتفاع وادي الثرثار عند منابعه في الشمال حوالي ٢٢٥م ، ويبلغ مستوى أدنى نقطة في قاعه حوالي ٣ م تحت مستوى سطح البحر . ويبلغ طول المنخفض حوالي ١٠٠ كم وأقصى عرض له ٤٠ كم ومساحته الكلية ٢٠٥٠ كم مربع وسعته الإجمالية ٦٨ مليار م مكعب من المياه ، ويتألف المنخفض بدوره من منخفضين رئيسين هما :

١ - بحيرة الرفيعي : ويتم تصريف مياه دجلة عن طريقها إلى المنخفض الرئيس .

٢ - المنخفض الثاني : ويقع إلى الجهة الشمالية من بحيرة الرفيعي ويعرف باسم أم الرجال[١٧] .

وتنساب إلى حوض الثرثار وديان تنحدر من الجبال الشمالية من الجزيرة وكذلك من المرتفعات الشرقية التي تمتد على الجانب الأيمن لنهر دجلة ، وهكذا يمكن اعتبار الثرثار وادي التصريف الرئيس لمنطقة الجزيرة .

ووادي الثرثار جاف في الأوقات الحارة إلا أنه في فصل الشتاء تنحدر إليه مياه الأمطار المتسربة من المناطق المجاورة . وتوجد في بعض امتداداته مناطق تتوفر فيها المياه في كل فصول السنة ، وذلك بسبب بعض العيون التي تنصرف مياهها إليه .

وهنالك ظاهرة مهمة في منطقة الجزيرة ، وهي امتداد نطاقات من الكثبان الرملية في منطقة بيجي ومنخفض الثرثار ، وفي بيجي تمتد أشكال متعددة من الكثبان أبرزها القبابية الشكل وغير المنتظمة ، ويمكن تمييز ثلاثة نطاقات من الكثبان الرملية في بيجي وهي ذات آثار سلبية على زراعة المنطقة[١٨] .

ثالثًا : الهضبة الغربية :

تعتبر هذه الهضبة امتدادًا لكتلة شبه الجزيرة العربية وتغطي جميع المنطقة إلى غرب نهر الفرات وجنوبه وتستمر في سوريا والأردن والمملكة العربية السعودية ، وتقدر مساحة الهضبة داخل العراق بحوالي ١٩٠٠٠٠ كم مربع وتمتد بين الشمال والجنوب لمسافة ٨٠٠ كم ، وأقصى اتساع لها بين الشرق والغرب حوالي ٣٠٠ كم ويبلغ ارتفاعها حوالي ١٢٠ م في جهتها الشرقية ويزداد هذا الارتفاع تدريجيا كلما انتقلنا نحو الغرب حتى تصل إلى ارتفاع ٧٠٠ م[١٩] .

والهضبة الغربية هي الجزء الوحيد من العراق الذي يحوي صخورًا قديمة العهد جدًّا ، وهي صخور صلبة متبلورة قديمة مغطاة بطبقة سميكة من حجر الكلس ، الذي يرجع تكوينه إلى الزمنين الجيولوجيين الثاني والثالث .

ولقد أزالت عوامل التعرية هذا الغطاء في الأقسام الغربية من الهضبة ، ولهذا فإننا كلما انتقلنا من الغرب إلى الشرق فإننا ننتقل من صخور قديمة إلى صخور حديثة تجاور نهر الفرات[٢٠] . وتتدرج الصخور في القدم كلما ابتعدنا عن الفرات ، وأحدث التكوينات هي من المجمعات والحجر الرملي الذي يرجع إلى عصري الميوسين الأعلى والبليوسين . وتوجد هذه التكوينات في منطقتين في غرب الفرات . الأولى بين هيت وجنوب الكوفة ، والثانية بين السماوة والطرف الجنوبي الغربي لهور الحمار .

وإلى الغرب من هذه التكوينات تمتد تكوينات من الحجر الجيري والجبس ترجع إلى الميوسين الأدنى ، وتعتبر هذه التكوينات الرملية والجيرية أحسن الخزانات للمياه الجوفية التي يمكن الحصول عليها بحفر آبار إلى أعماق قليلة ، وتتوفر المياه بصورة كبيرة في القسم الجنوبي من الهضبة .

ويمثل هذا الإقليم أرضًا سهلة تكثر فيها الحجارة والحصا ، وتنتشر فيها الامتدادات الرملية بصورة محدودة . ولقد عثر Merrain على فوهة بركانية Crater إلى الجنوب الغربي من الرطبة[٢١] .

وهناك كثير من الوديان الطولية التي تساعد على الانتقال ، أوسعها وادي حران الذي

يبلغ طوله أكثر من ٣٥٠ كم . وهذه الوديان الطولية تعطي الدليل الواضح على العصور المطيرة البليستوسينية . وتمتاز الهضبة في قسمها الجنوبي بأنها أقل تضرسًا وأصغر وديانًا لقلة الأمطار وتكثر فيها الجلاميد ، وتقع هنا الدبدبة وهي مكونة من الحصا والرمال .

ولقد تأثرت الهضبة بالحركات الأرضية ، كما في منطقة الجعارة ، التي كانت في الأصل التواء محدبًا ، كما توجد مناطق أخرى تبدو على شكل قباب قليلة الارتفاع وتجاورها ثنيات مقعرة ، ويرى مثل ذلك في منطقة السلمان ، بينما تبدو على سطح البعض الآخر ظاهرات الانكسار ، كما يرى في منطقة الشبكة . ومن أبرز ظاهرات القباب في البادية جبل سنام ، الذي يقع على بعد يتراوح بين ٤٠ كم و ٤٥ كم ، جنوب غربي البصرة ، وسط تكوينات من المجمعات الصخرية والصخور الرملية ، وهو يبدو كالقبة المستديرة ، ويبلغ ارتفاعه نحوا من ٩٠ م . وقد قطّعته عوامل التعرية وعرّته مياه الأمطار تعرية أخدودية وقسمته بذلك إلى ٧ أو ٨ قمم وهو يقوم منارة للإرشاد على خط الانتقال والاتصال الذي يربط بين جنوب سهل العراق وبين الساحل الغربي للخليج العربي .

وتنتشر في هذا الإقليم الكثبان الرملية وبخاصة في الجزء الجنوبي من الهضبة حيث يبلغ اتساعها حوالي ١٠ كم ، ويتراوح ارتفاعها بين ١٥ و ٣٠ م وهي تمتد قريبًا من ضفة الفرات بين جنوب منطقة النجف وبين السماوة ثم تأخذ تبتعد تدريجيا عن النهر ضاربة في الصحراء نحو الامتداد الأدنى لوادي الباطن . ويعتبر هذا النطاق من الكثبان حديث العهد نسبيا ، إذ المعروف أن المنطقة بينه وبين الفرات عند الناصرية أرض فيضية[٢٢] . كما توجد الكثبان الرملية ، كذلك على الجانب الأيمن لنهر الفرات بين هيت وجنوب غربي هور الحمار .

وتنتشر هنا وهناك الآبار التي تكون مياهها على أحسن ما يكون في فصل الشتاء والربيع بعد سقوط الأمطار . وأشهر هذه الآبار موجود على خط الينابيع الذي يمتد من البو كال شمالًا حتى الزبير جنوبًا ، كما توجد واحة شفاثة التي تتوافر فيها كمية كبيرة من المياه تكفي لري ٥٠٠٠ مشارة إلى جانب بساتين النخيل[٢٣] .

ويوجد وراء وادي الفرات نحو الصحراء نطاق غير متصل الأجزاء من الأرض

السبخة المشبعة بالملح يصعب السير فيه يعرف بالرحاب[٢٤] .

وإلى الغرب من الفرات بين هيت والنجف يوجد منخفض واسع يمتد من بحر النجف في الجنوب ثم بحر الملح وهور أبي دبس غرب كربلاء وفي شمالها الغربي ، وكذلك منخفض الحبانية في جنوب الرمادي . ولقد استغل منخفض الحبانية لخزن مياه الفرات وتنصرف المياه الزائدة من خزان الحبانية إلى هور (أبو دبس) . وتقع جميع هذه المنخفضات في منطقة الانتقال بين تكوينات المجمعات والحجر الجيري .

ويتصل العراق عبر هذه الهضبة بسوريا من جهة الشمال ، وبشرق الأردن من جهة الشمال الغربي ، وبالمملكة العربية السعودية من جهة الغرب ، وبالخليج العربي من جهة الجنوب .

رابعًا – إقليم السهل الرسوبي :

هذا القسم هو أهم الأقاليم الطبيعية في العراق ، سواء من الناحية البشرية أو الناحية الاقتصادية ، وهو أحدثها تكوينًا . وهو أرض السواد عند العرب ، وقد استحق هذا الاسم بسبب خصوبته .

ويمتد السهل الرسوبي في الشمال من دلي عباس على بعد ١٠٠ كم شمال شرق بغداد إلى بلْد على الضفة اليمنى لنهر دجلة على بعد ٣٣ كم جنوب سامراء ، وإلى هيت على نهر الفرات . ويمكن القول بأن دجلة يبدأ بالجريان في السهل الرسوبي بالقرب من بلْد ويسير نهر الفرات في الترسبات الغرينية عند هيت ، وقد جعل هستد حدود السهل الرسوبي الشمالية تبدأ من تكريت على دجلة وهيت على نهر الفرات[٢٥] .

ويتكون هذا السهل الرسوبي من الإرسابات التي يحملها دجلة والفرات والكارون ووادي الباطن والوديان المنحدرة من الجبال الإيرانية إلى جانب الرواسب التي تحملها الرياح . وكانت الأنهار تلقي بكميات أكبر من الترسبات في الماضي ، وذلك لغزارة الأمطار وشدة التعرية من ناحية ، وعدم وجود الأهوار التي يفقد فيها النهران معظم الترسبات في الوقت الحاضر من ناحية أخرى . ويرجع تكوين السهل الرسوبي إلى عصر

البليوستسين عندما كانت الأمطار غزيرة في العصر المطير . وتبلغ كمية الإرسابات التي تحملها إليه مياه دجلة والفرات في الوقت الحاضر حوالي ٢٥٠٠٠,٠٠٠ قدم مكعب سنويًا[٢٦] ، وتبلغ كمية الإرسابات التي يحملها الفرات عند الفلوجة حوالي ١,٢٢ مليون ياردة مكعبة ، ودجلة عند العمارة ١,٥٤ مليون ياردة مكعبة ، وعند بغداد تصل إلى ٢,٢ مليون ياردة مكعبة .

وتتقدم الدلتا في الوقت الحاضر بمعدل يتراوح بين ٢١ م ، ٢٢ م في السنة[٢٧] ، أو بمعدل ١,٦ كم في كل قرن[٢٨] ، ولكن فيشر **Fisher** يعتقد أن تقدم الدلتا يبلغ ١,٦ كم في كل ٥٠ سنة[٢٩] ، بينما قدر ولسون **Wilson** تقدم الدلتا بمعدل ٥٤ م في السنة[٣٠] . ويعتقد البعض أن الترسبات الملقاة في الخليج العربي ، تسبب إضافة أراضٍ جديدة إلى العراق تقدر بحوالي ١,٥ إلى ٤٥ كم في كل قرن[٣١] . ولقد امتد شط العرب في الوقت الحاضر ٥ كم على قاع الخليج العربي ، الذي بدأت جوانبه تظهر من جراء الغرين الذي يترسب حول المصب . وقد امتد خطا الماء الواطئ في الخليج العربي للشاطئ الغربي لشط العرب بما معدله حوالي ١٥٠ م سنويا ، وبما معدله حوالي ١٠٠ م ، للشاطئ الشرقي خلال النصف الأول من كل قرن[٣٢] ، وهناك حاجز غريني يمتد لمسافة تقدر بحوالي ٤٦ كيلومترا في الخليج[٣٣] ، وربما كان تقدم الدلتا أكثر من هذا في الماضي .

ويرجع تكوين السهل الرسوبي إلى نظام فيضان دجلة والفرات وتأثيرات قديمة لحركات المد والجزر ، وكذلك إلى الاختلاف في مقدار انحدار سطح السهل الرسوبي ، فانحدار السهل بطيء ويقدر بنحو ١ : ١٨٠٠٠ ، أما انحداره الجانبي فسريع من جهة إيران ، ومن جهة شبه جزيرة العرب ، إذ يقدر في المتوسط بنحو ١ : ١٠٠٠[٣٤] .

وأهم مظهر تضاريسي طبيعي في السهل الرسوبي هو الأهوار والمستنقعات ، ووجودها يعود إما إلى نظام فيضانات دجلة والفرات وإما إلى تأثير مبكر للمد والجزر . وهذه الأهوار والمستنقعات موزعة على خطوط عرضية هي :

الخط الأول : في الجزء الشمالي من السهل الرسوبي ، ويشمل بحيرة الشارع التي تقع

شرقي نهر دجلة (بين نهري العظيم وديالي) ، وهور عقر قوف (جاف في الوقت الحاضر) بين النهرين (غربي بغداد) وبحيرة الحبانية إلى الغرب من الفرات .

الخط الثاني : يشمل هور الشويجة شرق دجلة وهور دلمج (دلماج) ، وهور عفك بين دجلة والفرات ، وأهوار الفرات الأوسط بين فرع الحلة والصحراء .

الخط الثالث : يشمل هور الحمار وهور الحويزة .

وهذه الأهوار كانت في الماضي تغطي مساحة تقدر بحوالي ٢٠٠٠٠ كم مربع وقد وصفت بأنها أوسع المستنقعات في العالم[٣٥] ، أما في الوقت الحاضر فإن مساحتها تبلغ نحوا من ٧٥٠٠ كم مربع ، ويرجع انكماشها إلى إقامة مشاريع الري المختلفة ، وضبط مياه دجلة والفرات ، وإلى الترسبات التي ألقيت في هذه الأهوار .

وتزداد مساحة الأهوار وتقل تبعًا لكمية المياه المنسابة إليها في الفصول المختلفة . والسبب في وجودها يعود إلى أن دجلة والفرات تمكنا من بناء ضفافهما ، ولم يتمكنا من إتمام بناء السهل الرسوبي في المناطق المجاورة ، وهذا أدى إلى وجود مناطق منخفضة لها قابلية الامتلاء بالماء كلما وجدت المياه إليها سبيلًا . ولقد كتب الجغرافيون العرب أن الأهوار الموجودة في منطقة العمارة تكونت أثناء انسياب نهر دجلة عبر وسط صحراء يطلق عليها صحراء جوفي ووصفت بأنها كثيرة الرمال المتنقلة ، كما رووا أن البطائح التي كانت تشغل حوالي ٣٢٠٠٠ كم مربع وتمتد جنوبي الحلة والديوانية والناصرية وشمالي البصرة ، كانت قبل تكوينها منطقة مزروعة بمختلف المحاصيل الزراعية ، ثم في سنة ٨هـ / ٦٢٩م حدث فيضان لم يشهد العراق مثله من قبل فحدثت شقوق في جوانب مجرى دجلة والفرات وتسربت المياه إلى المناطق المنخفضة المجاورة . وكان الدهاقين (أصحاب الأراضي) في شغل عن إصلاح هذه الشقوق إذ بدأت في هذه الفترة الهجمات العربية الإسلامية لتحرير العراق فاتسعت البطائح[٣٦] .

ويلاحظ في المنطقة السهلية وجود رواب مرتفعة بعضها خصب يقع في شرقي السهل الفيضي ، حيث نجد أن الأنهار التي تأتي من جهة الجبال الإيرانية في الشرق وتهبط إلى السهل الفيضي تقل سرعتها فجأة وترسب معظم ما تحمله من ترسبات فتبني مناطق

رسوبية على شكل دالات مروحية ، كما هو الحال في مندلي وبدره[٣٧] .

أما الروابي القاحلة فتوجد في وادي الفرات ، وهي ترى مُشرفة على ضفته اليمنى مباشرة ، كما ترى في مناطق أخرى مشرفة على ضفته اليسرى في أرض ما بين النهرين ، وعلى الأخص في القسم الشمالي من السهل الفيضي وذلك مثل منطقة الفلوجة وامتدادها على طول الطريق نحو بغداد (خان نقطة) ، وكذلك مثل منطقة ظهر المجسة بين قناة اللطيفية وقناة الإسكندرية .

وهذه الروابي من التكوينات الميوسينية من الحجر الرملي المختلط بالجبس ، ويبلغ ارتفاعها بين ٦ و ٩ أمتار فوق مستوى السهل المجاور[٣٨] . كما يلاحظ في شمال السهل الرسوبي وجود جزر تتكون من الحصى والصخور الكبيرة التي يمكن اعتبارها صخورًا مختلطة أو مجمعات ، كما هي الحال بين التاجي وبلد في غرب دجلة . وقد جاءت الأنهار بهذه الترسبات الكبيرة الحجم وألقتها في هذا المكان لأنها أثقل من الترسبات الأخرى[٣٩] . وتوجد مناطق تعلوها كثبان رملية بين النهرين مثل منطقة الهاشمية وكذلك في جنوبي الحلة[٤٠] .

ونتيجة للتربة الهشة في السهل الرسوبي والانحدار البطيء والكمية الكبيرة من الترسبات التي يحملها دجلة والفرات ، فقد غير النهران مجراهما الأدني عدة مرات ، ففي عهد المسيح عليه السلام كان مجرى الفرات في شط الحلة ، وفي العصور الوسطى حتى سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م كان مجراه في شط الهندية ، ومن سنة ٢٥١ هـ — ١٢١٥ هـ / ٨٦٥ م — ١٨٠٠ م رجع مجراه إلى شط الحلة ثانية ، ثم بدأ شط الهندية يتوسع من جديد . وبعد سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م ، عندما أمر مدحت باشا بسد ترعة الصقلاوية ، زادت مياه الفرات وأصبح شط الحلة الذي ملأته الترسبات غير قادر على تصريف مياه النهر فاتجهت المياه إلى شط الهندية ثانية . وقد حدثت نفس التغيرات في نهر دجلة ، فقبل سنة ٦٣٥ ق . م كان دجلة يسير بمجراه الحالي مارا بمدينة العمارة ، ومن سنة ٦٣٥ ق . م إلى سنة ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م كان يتبع نهر الفرات الحالي ، ويبدو أن نهر دجلة عاد إلى مجراه الحالي عن طريق العمارة في عام ٩٨٨هـ / ١٥٨٠م .

دجلة والفرات : المظهر الأهم من مظاهر السطح في العراق هو مجرى كل من نهري دجلة والفرات (الرافدين) وروافدهما ، وهذان النهران هما أهم مسببات حياة العراق وجذبها البشري والحضاري ، ودجلة والفرات متشابهان في نظامهما لولا أن فيضان الفرات يأتي متأخرا بنحو ثلاثة أسابيع عن فيضان دجلة ، كما أن مياه دجلة أكثر وتياره أسرع . ويوضح الجدول رقم (١) أطوال أنهار العراق (بالكيلومترات) ومعدل كمية المياه التي تصرفها مجاريها (بمليارات الأمتار المكعبة) .

وكلا النهرين وروافدهما تنبع في خارج العراق (عدا العظيم) ، ولهذا كان حوض دجلة والفرات واسعًا جدًّا ، إذ تبلغ مساحته نحوا من ٧٨٤٥٠٠ كم مربع ، منها ٤٤٤٠٠٠ لحوض الفرات و ٣٤٠٥٠٠ كم مربع لحوض دجلة . ويدخل ٣٥٩٣٠٠ كم مربع من هذه المساحة (٤٥,٨٪ منها) داخل العراق ، أما الباقي وتبلغ مساحته ٤٢٥٢٠٠ كم مربع (٥٤,٢٪ منها) فيقع خارج حدود العراق في كل من إيران وتركيا وسوريا والمملكة العربية السعودية[٤١] .

جدول (١) أطوال أنهار العراق وتصريفها

النهـــر	الأطوال بالكيلومترات			معدل كمية المياه	
	ضمن الأراضي العراقية	النسبة المئوية (٪)	مجموع الطول خارج العراق ودجلة	بمليارات الأمتار المكعبة	النسبة المئوية
دجلة إلى كرمة علي	١٤١٨	٨٢,٥	١٧١٨	٤٤,٢٤	١٠٠
الخابــــور	–	–	١٦٠	٠,٩٨	٢,٢١
الــزاب الكـــبير	١٥٠	٣٨,٣	٣٩٢	١٤,٥٥	٣٢,٦٤
الـــزاب الصغير	٢٥٠	٦٢,٥	٤٠٠	٧,٣٩	١٦,٧١
نهر العـــظيم	٢٣٠	١٠	٢٣٠	٠,٧٣	١,٦٤
نهر ديـــال	٣٠٠	٧٧,٧	٣٨٦	٥,٥٦	١٢,٥٧
شط العــــرب	١١٠	١٠٠	١١٠	٣٥,٣	١٠٠
نهر الفرات إلى كرمة علي	١٢١٣	٥٢,٧	٢٣٠٠	٢٩,٤	١٠٠

المصدر : وزارة التخطيط بالجمهورية العراقية المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٧٣ . بغداد .

أما عن الفرات فإنه ينبع في تركيا من أراضٍ جبلية يبلغ ارتفاعها أكثر من ٣٠٠٠ م ، وبعد سيره في تركيا في وادٍ ضيق يدخل الحدود السورية عند مدينة جرابلس وفي سورية يصب فيه رافده البالخ والخابور ، ويدخل الحدود العراقية بعد مروره بمدينة البوكمال ، وبعد عبوره الحدود بمدينة حصيبة (القائم) العراقية .

ويجري الفرات حتى الرمادي عبر الهضبة الصحراوية في واد عميق ، وتظهر في مجراه بعض الجزر كتلك التي عند مدينة « عنة » وفي بعض أجزاء مجراه يكون قاعه صخريا كما هو الحال في منطقة هيت . ويكون النهر في هذه المنطقة قد وصل إلى مرحلة « النضج » ويصل في قسمه الواقع جنوبي الرمادي إلى مرحلة الشيخوخة . ويتميز الفرات بانحداره الشديد بين الحدود السورية وهيت ، إذ يبلغ معدل انحداره ١ : ٢٠٠٠ ولهذا نجد أن تياره سريع ، ومجراه عميق . ويدخل الفرات دلتاه بعد هيت فيقل انحداره ، وتزداد فيه التعرجات والالتواءات ، وعند الفلوجة يقترب مجراه من مجرى نهر دجلة وتصبح المسافة بينهما ٤٠ كم فقط . وعند الفلوجة يكون مجرى الفرات أعلى بحوالي ١٢ مترا عن مجرى نهر دجلة عند مدينة بغداد . وقد أفاد سكان العراق من هذه الظاهرة فحفروا قنوات عريضة تربط الفرات بدجلة . ثم يواصل الفرات مجراه نحو الجنوب حتى جنوبي السيب حيث يتفرع إلى فرعين :

١ – الفرع الغربي ويسمى شط الهندية ويمثل المجرى الرئيس للنهر .

٢ – الفرع الشرقي ويسمى شط الحلة وقد أقيم عليه سد الهندية لتنظيم جريان المياه في كلا الفرعين اللذين يتلاقيان عند مدينة السماوة .

ويتفرع شط الهندية في مساره إلى فرعين : فرع الكوفة الذي تقع عليه مدينة الكوفة والفرع الثاني الشامية ، ويلتقي الفرعان عند الشنافية إلا أنهما ينفصلان ثانية ، ولعل السبب في كثرة التفرعات والتعاريج هو قلة انحدار النهر ١ : ٢٦٠٠٠ وجريانه في السهل الرسوبي الذي يسهل الحفر فيه ، وكثرة الإرسابات التي يحملها ، والتي تسبب تراكم الإرسابات في مجراه مما يسبب اختناقه فلا يتمكن من حمل جميع المياه الجارية فيه فتبحث المياه الزائدة عن مجرى جديد (ولهذا يجب العمل على السيطرة على هذه الأنهار وتنظيف

مجاريها بصورة مستمرة) ويواصل الفرات مجراه بعد ذلك مارًّا بالناصرية وسوق الشيوخ إلى أن يدخل هور الحمار . ولقد شق طريقه عبر هور الحمار بواسطة جدول كرمة علي الذي يصب في شط العرب إلى الشمال من البصرة بحوالي ١٠ كم وأصبح المجرى بين القرنة وكرمة عليّ جزءًا من دجلة .

أما نهر دجلة فإنه ينبع كذلك من المرتفعات التركية في الجنوب الشرقي من تركية ، وله منبعان : شرقي وغربي ، ويتراوح ارتفاع مناطق المنابع بين ١٥٠٠ م و ٢٠٠٠ م في المنبع الغربي وحوالي ٢٠٠٠م و ٤٠٠٠م في المنبع الشرقي . ويدخل دجلة الحدود العراقية عند قرية فيشخابور ويواصل جريانه فى مجرى عميق في أرض متموجة حتى مصب الزاب الكبير ، ويبلغ انحداره عند الموصل ١ : ١٨٠٠ ، ويترك دجلة المنطقة المتموجة والجبلية بعد عبوره مرتفعات حمرين عند الفتحة ، ويدخل دلتاه عند مدينة بلد إلى الجنوب من سامراء ، ويقل انحداره بعد بغداد ، حيث يبلغ مستوى الانحدار ١ : ١٥٠٠٠ . وتصب في دجلة بين الموصل وجنوب بغداد روافده المتمثلة في الزاب الأعلى والزاب الأسفل والعظيم وديالي ، أما إلى الجنوب من بغداد حتى مدينة الكوت فالنهر تكثر فيه المنعطفات والتعرجات وذلك لقلة انحداره الذي يبلغ حوالي ٥ سم لكل كيلومتر ، ويخرج من دجلة عند الكوت فرع هو شط الغراف الذي كان يمثل المجرى الرئيس لنهر دجلة في العهد العباسي ، ولا يبقى في دجلة بعد العمارة من المياه التي تمر بسد الكوت سوى ١٠٪ ، ويصبح انحدار النهر ١ : ٧٦٠٠٠ .

وأخيرًا يلتقى دجلة بالفرات عند كرمة علي ليكونا معًا مجرى شط العرب الذي يتكون من التقاء دجلة والفرات عند كرمة علي والماجدية ، وكانا سابقًا يلتقيان عند القرنة ، إلا أن تحول مجرى الفرات إلى هور الحمار الذي أصبح بدوره يصرف مياهه عن طريق جدول كرمة علي فأصبح النهران يلتقيان عندها بدلا من القرنة . ويسير شط العرب باتجاه جنوبي شرقي لمسافة قدرها ٢٠٤ كم حيث يصب في الخليج العربي ، ويمتد على قاعه لمسافة خمسة كيلومترات أخرى ناقلا مياه دجلة والفرات والسويب والكارون إلى هذا الخليج بتصريف سنوى يبلغ ٣٥,٣ مليون متر مكعب إلى جانب كميات هائلة من الغرين تقدر

بملايين الأطنان من الطمي السنوي ، ويتراوح عرض شط العرب بين حوالي ٤٠٠ م أمام مدينة العشار وحوالي ١٥٠٠ م عند مصبه في الخليج العربي ، أما عمقه فيبلغ حوالي ١٠,٧ م عند الفاو ، أما متوسط عمقه بين البصرة والفاو فيقدر بحوالي ٧ أمتار .

ويتأثر شط العرب بالمد والجزر في الخليج العربي ، اللذين يتكرران مرتين يوميًّا ويصل الفرق بين منسوبيهما ١,٧٠ م ، أما في موسم الفيضان فيبلغ الفرق حوالي ٢٥ سم ، ويعترض مجرى شط العرب مجموعة من الجزر بعضها تابع لإيران وبعضها تابع للعراق .

ولشط العرب رافد هو نهر الكارون الذي ينبع ويجري في الأراضي الإيرانية ، ثم يصب في شط العرب عند المحمرة ، ويفيض عادة قبل فيضان شط العرب ، ويساعد على تجميع الرواسب على شكل جزر لها أثر سيئ على الملاحة ، مثل سد المحمرة جنوبي نقطة اتصال الكارون بشط العرب ، وسد آخر بالقرب من مصب شط العرب هو سد الفاو . وتعمل إدارة الميناء على تنظيف المجرى بين حين وآخر ، وفي المدة بين ١٣٥٣ و ١٣٥٧هـ / ١٩٣٤ و ١٩٣٨م أزيل من المجرى حوالي ٢٠٩,٠٠٠,٠٠٠ طن من الرواسب ، ولولا الحفر المستمر في هذه الترسبات وإزالتها لتعرقلت الملاحة ، وقد تم حفر قناة عبر الحاجز الخارجي (**Outer bar**) يسمى (قنال روكا) ويسمح بمرور البواخر البحرية التي يصل غاطسها إلى نحو عشرة أمتار إلى شط العرب ، وتجري عمليات الحفر في السد الداخلي أيضًا .

ونتيجة لسقوط الأمطار وذوبان الثلوج تحدث الفيضانات في كل من دجلة والفرات ، ويبدأ فيضان دجلة في إبريل والفرات في مايو وعلى ذلك تتفاوت كميات المياه التي تصرفها الأنهار ، أما الفرات فإن تصريفه عند هيت يبلغ ٨٤٠٠ قدم^{3} (٣٪) ثانية في سبتمبر (أيلول) و ٦٤٣٠٠ قدم^{3} (٣٪) ثانية في مايو (أيار) وترتفع مناسيب مياه النهر من جراء الفيضان بحوالي ٣,٣ أمتار عن مستواها العادي . أما نهر دجلة فإن تصريفه عند بغداد يبلغ ١١٩٠٠ قدم^{3} (٣٪) ثانية في شهر سبتمبر (أيلول) و ١٠٦٦٥٠ قدمًا[٣] (٣٪) ثانية في شهر مايو (أيار) ، وترتفع مناسيب مياه النهر من جراء الفيضان نحوا من ٥,٥ أمتار عن مستواها العادي وتتذبذب كمية المياه التي

يصرفها النهران بين سنة وأخرى ، كما يبدو ذلك من الجدول رقم (٢) .

وقد سجل أعلى تصريف للفرات في عام ١٩٦٩ م حيث بلغ ٦٣,٤ مليار متر مكعب في السنة ، وأدنى تسجيل كان ١٢,٥ مليار متر مكعب / سنة . أما نهر دجلة فقد وصل تصريفه إلى (٦٩) مليار متر مكعب / سنة . أما معدل التصريف السنوي فإنه يبلغ في نهر دجلة (٤٢) مليار م٣ / سنة ، وفي نهر الفرات ٢٦ مليار م٣ / سنة .

وأخيرًا لابد من الإشارة إلى أن شط العرب يجري في أراض عراقية حتى نقطة تبعد بنحو ٢١ كم جنوبي مدينة البصرة ، وبعدها حتى المصب يصبح حدًّا دوليا بين إيران والعراق لمسافة تبلغ ٨٠ كم .

جدول (٢) تصريف نهري دجلة والفرات من ١٩٦٠ إلى ١٩٧٣ م

السنة	مليار متر مكعب / سنة	
	نهر دجلة	نهر الفرات
١٩٦٠	٢٦,٠١	٣٠,٨٠
١٩٦٢	٤٢,٦٥	٤٢,٠٧
١٩٦٥	٣٠,٥٨	٢٧,١٩
١٩٧٠	٣٠,٤٥	٢٧,٩٩
١٩٧١	٢٤,٤٧	٣٠,٠٤
١٩٧٢	٣٧,٨٥	٣٠,٤٣
١٩٧٣	٢٦,٧٨	١٥,٢٧

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٧٣ م
ص ١٤٥ .

المناخ

إن دراسة مناخ العراق تكتنفها بعض الصعوبات وأهمها قلة محطات الأرصاد الجوية وتباعدها عن بعضها وحداثتها ، والمحطات الرئيسة توجد في الموصل وبغداد والبصرة وكركوك . وتوجد في الوقت الحاضر حوالي ٨٠ محطة رصد مناخي في جميع أنحاء العراق[٤٢] .

وقد يوصف مناخ العراق بأنه مناخ شبه مداري[٤٣] أو قاري[٤٤] ، إلا أن هستد Husted يرى أنه يجمع بين المناخ شبه المداري ومناخ البحر المتوسط . ورأيه هذا مبني على أساس درجات الحرارة التي تبلغ حوالي ٦٨°ف على مدى ٤ - ١١ شهرا ، وعلى أساس الأمطار التي تسقط شتاء ، تمامًا كإقليم البحر المتوسط[٤٥] .

ويتسم مناخ العراق بما يلي :

(أ) ارتفاع المدىٰ الحراري السنوي واليومي : يتسم المناخ بالصيف الشديد الحرارة والشتاء البارد . فقد سجلت الرطبة ١٤مْ في شهر كانون الثاني / يناير لسنة ١٩٤٢ م ، والموصل ١١مْ ، والديوانية ٩مْ ، وبغداد ٨مْ ، والبصرة ٤مْ . كما سجلت أعلى درجة حرارة في الشعيبة والديوانية حيث بلغت ٥٢مْ ، وفي الموصل ٥١مْ ، وفي الرطبة ٤٦مْ[٤٦] .

ومتوسط الحرارة السنوي في الموصل في شهر كانون الثاني (يناير) ٧مْ ، وفي شهر تموز (يوليو) ٣٢,٥مْ ، أي أن المدى السنوي يبلغ ٢٥,٥ درجة . أما متوسط درجة الحرارة في بغداد فقد بلغ ٨,٨مْ في كانون الثاني (يناير) ، ونحو ٣٤,٤مْ في شهر تموز (يوليو) أي أن مدى الحرارة السنوي يبلغ ٢٥,٦ درجة ، أما في البصرة فيبلغ معدل الحرارة السنوي ١١مْ في شهر كانون الثاني ونحو ٣٥,٥مْ في شهر تموز ، أي أن مدى الحرارة السنوي يبلغ ٢٤,٥ درجة ، أما المدى الحراري اليومي فقد بلغ في شهر تموز ١٦,٦ درجة في البصرة و ١٨ درجة في بغداد ، و ٢٠,٥ درجة في الموصل . وبالنسبة للمدى الحراري اليومي في شهر كانون الثاني بلغ نحو ١١,١ درجة في البصرة و ١١,٣ درجة في بغداد ، و ١٠,٢ درجة في الموصل[٤٧] ، ولعل السبب في ارتفاع هذا المدى يرجع إلى بعد هذه المدن عن المسطحات البحرية ، بالإضافة إلى قلة الغيوم .

(ب) ظهور الفصول الأربعة : إن موقع العراق الفلكي يساعد على ظهور الفصول الأربعة ، إلا أن فصل الصيف طويل ويقصر كلما اتجهنا شمالًا . والشتاء دافئ إلا أن درجات الحرارة قد تهبط إلى ما تحت درجة التجمد وسط العراق وجنوبه في بعض الأحيان ، ويزداد عدد أيام التجمد كلما اتجهنا شمالًا ، وقد يسقط الثلج ، أما فصلا الربيع والخريف فهما فصلان قصيران ، ويطولان كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال ، لذا ففي الموصل مثلا يمكن تمييز فصلي الخريف والربيع ، ولهذا فقد اشتهرت الموصل باسم أم الربيعين .

(جـ) قلة الغيوم والأمطار : تكاد تنعدم الأمطار في العراق لمدة ثمانية أشهر ، كما تخلو السماء خلال معظم هذه الأيام وهذه الأشهر من الغيوم . ويبلغ عدد أيام المطر في الموصل ٦٠ يومًا وفي بغداد ٢٨ يومًا وفي البصرة ٢١ يومًا ، وتبلغ كمية الأمطار الساقطة حوالي ١٣ بوصة في الموصل و ٥,٥ بوصات في بغداد ، و ٥,٧ بوصات في البصرة[٤٨] . ويبلغ معدل عدد ساعات سطوع الشمس في العراق عمومًا حوالي ١٤ ساعة في تموز مقابل عشر ساعات في كانون الثاني (يناير)[٤٩] .

(د) ارتفاع الرطوبة النسبية : الرطوبة النسبية مرتفعة بصورة عامة ، ولكنها في جنوب العراق أعلى منها في شماله ، نتيجة لانتشار الأهوار والمستنقعات ومجاورة الخليج العربي . ويوضح الجدول رقم (٣) معدلات الرطوبة النسبية في بعض المدن العراقية لعدة سنوات .

ونلاحظ من بيانات هذا الجدول أن الرطوبة النسبية تقل في منطقة الرُطبة لوقوعها في الهضبة الغربية من العراق ، كما يلاحظ ارتفاعها في بغداد ، وذلك بسبب وقوعها بالقرب من بحيرة خزان الثرثار .

عناصر المناخ :

أولًا – الحرارة : يتسم فصل الصيف بطوله ، حيث يمتد بين شهر أيار (مايو) وتشرين أول (أكتوبر) وتتراوح درجات الحرارة بين ٣٦°م و ٤٣°م ، وهذا المعدل يعم مناخ وسط العراق وجنوبه ، أما في المنطقة الجبلية فتتراوح درجات الحرارة بين

١٠,٥مْ و ١٣,٢مْ ، وتتعدى درجة الحرارة صيفًا ٣٨مْ ، حيث سجلت الموصل في ٢١ تموز ١٩٣٧م ٥١,١مْ ، والرطوبة ٤٥,٥مْ ، وبغداد ٩,٤مْ[٥٠] .

جدول (٣) معدلات الرطوبة النسبية في بعض المدن العراقية خلال الفترة ١٩٦٠ – ١٩٧٣م

السنة	البصرة (٪)	بغداد (٪)	الموصل (٪)	الرطبة (٪)
١٩٦٠ م	٥٨	٤٢	٥٧	
١٩٦١	٥٥	٤٩	٦١	
١٩٦٢	٥٥	٤٥	٥٧	
١٩٦٣	٦٠	٤٨	٥٧	
١٩٦٤	٥٢	٤٢	٥٠	٣٩
١٩٦٥	٥٥	٤٤	٥٦	٤١
١٩٦٦	٦٠	٤٤	٥١	٤١
١٩٦٧	٦٢	٤٦	٥٦	٤٦
١٩٦٨	٦٤	٤٧	٥٥	٤١
١٩٦٩	٦٥	٤٥	٥٧	٤٢
١٩٧٠	٥٦	٤٤	٤٩	٤٤
١٩٧١	٥٥	٤٤	٤٨	٤٤
١٩٧٢	٦٠	٤٧	٥٥	٤٧
١٩٧٣ م	٥٥	٣٩	٤٨	٣٨

والشتاء دافئ وتنخفض درجات الحرارة كلما اتجهنا شمالًا ، حيث تنخفض إلى ما دون درجة التجمد لعدة أيام في فصل الشتاء ، حيث تتراوح درجات الحرارة اليومية

بين ٦ْم و ١٧ْم .

ويبدأ الشتاء في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، وتتراوح مدته بين ثمانين يومًا ومائة يوم ، ولكنه قد يمتد في المنطقة الجبلية إلى ١٢٠ يومًا ولاتنخفض المعدلات الشهرية لدرجة الحرارة فيه عن خمس درجات مئوية ، ولكن عندما تصل الكتل الهوائية الباردة . فقد تهبط درجة الحرارة إلى حوالي عشر درجات تحت درجة التجمد ، كما حدث في الموصل في ٣ من كانون الثاني ١٩٢٥ م ، حيث انخفضت درجة الحرارة إلى ١١° مئوية تحت الصفر . ويوضح الجدول رقم (٤) المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة ومعدلات النهايات العظمى والصغرى لبعض مدن العراق .

ويلاحظ من هذا الجدول أن معدلات درجات الحرارة ترتفع كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب ، كما أن درجة الحرارة تزيد على ٤٠°م لمدة أربعة أشهر في بغداد وثلاثة أشهر في الموصل والبصرة ، ولاتنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر إلا نادرًا ، ولاشك في أن هذا يساعد على ارتفاع نسبة التبخر في العراق .

ثانيًا – الضغط الجوي : يتأثر مناخ العراق بمناطق الضغط التالية :

١ – في فصل الصيف : يسيطر على القارة الآسيوية الانخفاض الموسمي العظيم بسبب ارتفاع درجة الحرارة ، وهو يؤثر على معظم القارة الآسيوية في هذا الفصل ومنها العراق ، كما يتأثر العراق بالضغط العالي الذي يتكون فوق آسيا الصغرى في هذا الفصل ، ويكون تدرج الضغط شديدًا وتكون خطوط الضغط المتساوية ممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي .

ونتيجة لحركة الرياح حول الضغط المنخفض ضد عقارب الساعة ، فإن الرياح تصبح شمالية غربية (تسمى محليا الشمال) ويسهم في تنشيط هذه الرياح في فصل الصيف وجود مرتفع جوى فوق الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، وهو امتداد للارتفاع الآزوري الذي يتركز فوق المحيط الأطلسي الشمالي . وتهب الرياح الشمالية الغربية بانتظام من شهر أيار (مايو) إلى تشرين الأول (أكتوبر) وتكون حارة مغبرة شديدة الجفاف[٥١] .

جدول (٤) : المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة ومعدلات النهايات العظمى والصغرى في بعض المدن العراقية (بالدرجات المئوية)

الشهور	الموصل			بغداد			الرطبة			البصرة		
	(١) المعدل اليومي	(٢) معدل النهايات العظمى	(٣) معدل النهايات الصغرى	(١)	(٢)	(٣)	(١)	(٢)	(٣)	(١)	(٢)	(٣)
كانون ثاني (يناير)	٧,٠	١٢,٨	٢,٥	١٠,٠	١٥,٨	٤,٣	٧,٤	٣,٨	١,٧	١١,٤	١٨,٦	٧,٠
شباط (فبراير)	٨,٧	١٥,٣	٣,٥	١٢,٣	١٨,٧	٥,٩	٩,٤	١٦,١	٢,٩	١٤,٦	٢١,٠	٨,٧
آذار (مارس)	١٢,٣	١٩,٠	٦,٣	١٦,٣	٢٢,٧	٩,٦	١٣,٠	١٩,٨	٦,٠	١٨,٧	٢٥,٣	٣,٦
نيسان (إبريل)	١٧,٤	٢٥,٤	١٠,٣	٢١,٩	٢٨,٧	٤,٦	١٨,٢	٢٥,٤	١٠,٧	٢٤,١	٣٠,٨	١٠,٠
أيار (مايو)	٢٤,١	٣٢,٩	٧٥,٠	٢٨,٤	٣٥,٨	٢٠,٠	٢٣,٨	٣١,٥	١٥,٨	١٨,٧	٣٦,١	٢٣,٧
حزيران (يونيه)	٣٠,٥	٣٩,٦	١٩,٥	٣٣,٠	٤١,٠	٢٣,٤	٢٨,٤	٣٦,١	١٩,٣	٣٢,٧	٣٨,٨	١٦,٩
تموز (يوليه)	٣٤,٠	٤٣,٤	٢٣,٩	٣٤,٨	٤٣,٤	٢٥,٣	٣٠,٦	٣٨,٥	٢١,٧	٣٤,٠	٤٠,٥	٢٧,٧
آب (أغسطس)	٣٣,٠	٤٣,٠	٢١,٨	٣٤,٤	٤٣,٣	٢٤,٦	٣٠,٣	٣٨,٧	٢١,٤	٣٣,٦	٤١,٣	٣٦,٣
آيلول (سبتمبر)	٢٧,٧	٣٨,٧	١٦,٦	٣٠,٦	٣٩,٨	٢١,٠	٢٦,٧	٣٥,٥	١٧,٦	٣٠,٦	٣٩,٧	٣٣,٦
تشرين أول (أكتوبر)	٢٠,٥	٣١,٢	١٣,٤	٣٤,٦	٢٣,٤	١٦,٢	٣١,٣	٢٩,٦	١٢,٩	٢٥,٩	٣٥,٠	١٨,٣
تشرين ثاني (نوفمبر)	١٣,٥	٢٢,٣	٧,٠	١٧,٠	٣٤,٦	١٠,٣	١٤,٢	٢١,٦	٧,١	١٩,٣	٢٦,٧	١٣,٣
كانون أول (ديسمبر)	٨,٣	١٥,٠	٣,٠	١١,٠	١٧,٧	٥,٢	٨,٩	١٥,٤	٣,٢	١٣,٦	٢٠,٠	٨,٠
المعدل السنوي	١٩,٨	٢٨,٢	١١,٧	٢٢,٩	٣٠,٤	١٥,١	١٩,٣	٢٦,٨	١١,٧	٢٤,١	٣١,٢	١٧,٨

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٧٣ م .

٢ – في فصل الشتاء يستقر الارتفاع الجوي السيبيري فوق القارة الآسيوية بسبب البرودة الشديدة التي تسودها في هذا الفصل . ويكون امتداد خطوط الضغط المتساوي شتاء من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، ونتيجة لهبوب الرياح حول المرتفع الجوي مع عقارب الساعة ، فإن الرياح التي تهب على العراق تكون جنوبية شرقية أو شرقية . والرياح الجنوبية التي تهب على العراق في فصل الشتاء ليست ثابتة مثل الرياح الشمالية الغربية التي تهب في فصل الصيف ، وإنما هي رياح متغيرة ، ويرجع ذلك إلى أن العراق يتأثر في هذا الفصل بسبب الانخفاضات الجوية الآتية من حوض البحر المتوسط الشرقي وبذلك يتغير اتجاه الرياح فتتحول من جنوبية شرقية أو جنوبية إلى شمالية غربية أو شمالية .

٣ – في فصل الربيع يبدأ تلاشي الارتفاع الآسيوي السيبيري ، وترتفع درجة الحرارة في الجزيرة العربية مما يؤدي إلى تكوين انخفاض جوي فوقها ، ويكون هبوب الرياح نحوه ضد عقارب الساعة ، فتكون الرياح جنوبية حارة على العراق .

أما في فصل الخريف فإن قارة آسيا تبدأ بالبرودة ويأخذ الارتفاع الآسيوي في التكوين ، وفي هذا الفصل يتكون ارتفاع محلي فوق هضبة إيران بسبب برودة الجو ، ونتيجة لهبوب الرياح حول هذا الارتفاع في حركة مع عقارب الساعة ، فإنها تكون جنوبية شرقية على العراق ، ويدعم هبوب هذه الرياح من هذا الاتجاه امتداد الانخفاض الجوي المداري في هذا الفصل وتركزه فوق البحر الأحمر إلى الغرب من الجزيرة العربية .

ثالثا : الرياح : نتيجة لظروف الضغط وتباينه في الفصول المختلفة وتأثر العراق بمناطق الضغط المتمركزة على المناطق المجاورة في آسيا وأوربا فإن الرياح تهب من عدة جهات .

١ – الرياح الشمالية : وهي رياح شمالية غربية تهب من المناطق الجبلية وهضبة أرمنيا والأناضول إلى أراضي دجلة والفرات المنخفضة ، وهي رياح جافة ، وتصبح هي الرياح السائدة على العراق من شباط (فبراير) إلى تشرين أول (أكتوبر) وتكون قوية وشديدة من حزيران (يونيه) إلى آب (أغسطس) . و ٧٥٪ من الرياح التي تهب على العراق هي الرياح الشمالية الغربية نتيجة لاتجاه الجبال نحو مناطق الضغط ، ففي فصل الصيف يكون مركز الضغط المنخفض على قارة آسيا مستقرا على شمال غرب الهند ، ولهذا تتجه

الرياح نحوه وتصبح شمالية غربية على العراق ، ويساعد على اتجاهها هذا انخفاض الضغط الجوي على سهول العراق وعلى الأراضي المجاورة من تركيا وإيران ، حيث توجد الجبال والهضاب العليا المغطاة بالثلوج . أما في الخريف والشتاء والربيع فتكون الرياح السائدة شمالية غربية أيضًا لأن الضغط المنخفض في الخليج العربي (جنوب شرق العراق) يساعد على جذب هذه الرياح ويجعلها شمالية غربية ، كما أن منطقة الضغط المرتفع الموجودة فوق جبال العراق والمرتفعات المجاورة (في تركيا وإيران) تكون أكثر وضوحًا في فصول الخريف والشتاء والربيع مما كانت عليه في فصل الصيف الأمر الذي يساعد على استمرار اتجاه الرياح في العراق نحو الجنوب الشرقي ، أي نحو الخليج العربي . أما الرياح الغربية (العكسية) التي تصل العراق شتاء من البحر المتوسط ، فإنها تتجه نحو الجنوب الشرقي بسبب امتداد الجبال باتجاه شمالي غربي جنوبي شرقي ، مما يضطرها لأن تسير بموازاتها وتكون شمالية غربية . وقد تسبب هذه الرياح انخفاضًا في درجات الحرارة واعتدالًا في الجو إذا هبت صيفًا .

٢ – الرياح الجنوبية الشرقية : وهي تهب في مقدمة الانخفاضات الجوية التي تتقدم من الغرب ، وهي في العادة رياح قوية باردة ورطبة نسبيًا . وتسبب رطوبة الجو ، لأنها قادمة من الخليج . وفي الصيف تكون آثارها كآثار رياح الخماسين والسيروكو .

٣ – الرياح الشمالية الشرقية : تهب هذه الرياح على العراق في فصل الشتاء ولكن بنسبة محدودة ، وتكون شديدة البرودة ، لأنها آتية من الجبال ، وتقاسي السهول الشمالية بسببها من موجات برد قارصة .

ونتيجة لاختلاف الضغط تهب رياح محلية فتهب الرشية على منطقة كروستان الجبلية وخاصة السليمانية . وهي رياح حارة مثيرة للغبار صيفًا وشديدة البرودة شتاء ، وفي بعض الأحيان تسبب سقوط الثلج(٥٢) .

وتهب العواصف الرملية والترابية حيث يكون الهواء محملًا بالغبار (جدول ٥) ، وأول إشارة لقدوم العاصفة هي ظهور هالة حول قرص الشمس ، ثم ترى الأتربة والرمال ، ترتفع من الأرض مع انخفاض في درجة الرؤية ، وربما تصبح في الحالات الشديدة أقل من ١٨ مترا . وتعمل زيادة سرعة الهواء على ازدياد رفع الأتربة والرمال وتكون الزوابع الترابية والرملية أعلى كثافة وشدة عند قدوم الجبهات في نهاية

جدول (٥) العواصف الترابية على العراق (مراتبها وتكراراتها)

الشهر	العواصف الترابية		الشهر	العواصف الترابية	
	المرتبة	تكرارها		المرتبة	تكرارها
كانون ٢	١	٨	تموز	١	١٣
—	٢	١١	—	٢	٣٢
(يناير)	٣	١٤	(يوليه)	٣	٥
شباط	١	١٦	آب	١	٣
—	٢	١٤	—	٢	١٧
(فبراير)	٣	٩	(أغسطس)	٣	٤
آذار	١	١٢	أيلول	١	٤
—	٢	١٤	—	٢	٥
(مارس)	٣	٦	(سبتمبر)	٣	٨
نيسان	١	١٣	تشرين	١	٥
—	٢	١٨	أول	٢	٥
(أبريل)	٣	١٢	(أكتوبر)	٣	١٠
آيار	١	١١	تشرين	١	٣
—	٢	٢٠	الثاني	٢	٨
(مايو)	٣	١٤	(نوفمبر)	٣	٨
حزيران	١	٨	كانون	١	٣
—	٢	٢٥	أول	٢	٣
(يونيه)	٣	١٠	(ديسمبر)	٣	٦

المصدر : ماجد السيد ولي . العواصف الترابية في العراق وأحوالها : ص ٧٦ .

المرتبة الأولى : الرياح بين صفر – ١٨ كم / ساعة .

المرتبة الثانية : الرياج بين ٢٠ – ٢٧ كم / ساعة .

المرتبة الثالثة : الرياح ٣٩ كم / ساعة .

شهر أيلول (سبتمبر) وبداية شهر تشرين أول (أكتوبر) .

ويلاحظ أن ٨٠٪ من مساحة العراق الواقعة إلى الجنوب من خط عرض ٣٥° شمالًا تشكل مصادر لغبار العواصف الترابية .

أما الفتالة (Dust Devil) ، فهي تيارات هوائية صاعدة تدور حول نفسها وتترك فراغًا في وسطها وتسحب إليها الغبار ، ويرجع سبب دوران وصعود هذه التيارات إلى التقاء هوائين ليسا في درجة حرارة واحدة وعلى سطح منتظم ، وبذلك تنشأ دورة الهواء وحركته اللولبية .

رابعًا – الأمطار : نظام المطر في العراق هو نظام البحر المتوسط ، الذي يصاحب المنخفضات الجوية القادمة من الغرب . ومن دراسة الأمطار ونظامها يتبين مايلي :

١ – تقل الأمطار من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي .

٢ – يتلقى وسط العراق وجنوبه بين ٢٥٢ و ٣٧٨ ملم بينما يتلقى شماله بين ٣٧٨ و ١٠٨ ملم .

٣ – أن الفرق في كمية الأمطار بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال كبير جدًا ، بحيث يبلغ ٢٠ ضعفًا .

٤ – يبدأ فصل المطر عادة بين تشرين أول (أكتوبر) وآيار (مايو) .

٥ – يبلغ عدد الأيام الممطرة في وسط العراق وجنوبه نحوا من ٢٥ يومًا بينما يبلغ في شماله ٦٠ يومًا .

٦ – الأمطار في العراق ، شأنها شأن أمطار المناطق الجافة ، قد تتقدم أو تتأخر ، وقد تقل أو تزداد ، ولايعتمد عليها كثيرًا .

وأمطار العراق إعصارية في الغالب ناتجة عن المنخفضات الجوية التي تأتي من الغرب . ويقدر عددها في الشهر الواحد خلال فصل الشتاء بين ٣ و ٤ ويقل عددها في فصلي الربيع والخريف . ويبين الجدول رقم (٦) عدد الأعاصير التي مرت على العراق في ثلاث سنوات .

ويستدل على مرور المنخفض الجوي بالآتي :

(أ) ظهور السحاب العالي (السمحاق) Cirrus وتحوله تدريجيًّا إلى سحاب كثيف منتظم ومنخفض .

(ب) تحول الرياح إلى جنوبية شرقية وترتفع عند ذلك درجة الحرارة ونسبة الرطوبة ، وتجلب الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية كمية كبيرة من الغبار لأنها تكون أصلا آتية من المنطقة الصحراوية في غرب العراق ، كما تكون شديدة السرعة في الغالب .

جدول (٦) عدد الأعاصير التي مرت على العراق في ثلاث سنوات (١٩٣٨-١٩٤٠م)

السنة	كانون ثاني (يناير)	شباط (فبراير)	آذار (مارس)	نيسان (إبريل)	آيار (مايو)	تشرين أول (أكتوبر)	تشرين ثاني (نوفمبر)	كانون أول (ديسمبر)	مجموع
١٩٣٨	٦	٦	٥	٦	١	٣	٥	٦	٣٨
١٩٣٩	٤	٦	٣	٤	٣	٤	٤	٥	٣٣
١٩٤٠	٥	٨	٨	٨	٤	٣	٣	٦	٤٥

المصدر : حاسم الحلف : جغرافية العراق ، ص ١٠٦ .

(جـ) يحدث في الغالب هبوب عواصف رملية (عجاج) على وسط العراق مقدمة لمرور منطقة ضغط منخفض عميقة ، وعندما يقترب وسط المنخفض تصبح درجة الحرارة مرهقة ، ويزداد الغبار ويصبح الهواء ثقيلا لزجا ، ثم يأتي بعد ذلك المطر الذي يمتص الغبار ويصفي الجو وينقيه .

أما الأمطار التي تسقط شتاء ، فتتباين في كمياتها تباينًا كبيرًا بين مرة وأخرى . ويعد مصدرًا من مصادر الأمطار التي تسببها الأعاصير ، فعندما يصل إعصار إلى العراق تهب في مقدمته رياح جنوبية شرقية (تسمى محليا شرقي) دافئة ومحملة بالرطوبة ، وترتفع إلى أعلى وتقل درجة حرارتها فيتكاثف ما بها من بخار الماء وينزل مطرًا ، وعندما يبتعد مركز الإعصار تتحول الرياح الجنوبية الشرقية إلى رياح شمالية غربية ، ويعتقد أن امتداد جبال العراق باتجاه شمالي غربي جنوبي شرقي له تأثير على توجيه الرياح .

كما تحدث أمطار تصاعدية ، لكنها قليلة الحدوث ، وتنشأ بسبب تبخر الماء من سطح الأرض وضعوده إلى أعلى وتكاثفه وسقوطه على هيئة مطر على نفس الأماكن التي تبخر منها تقريبًا . ويحدث مثل هذا المطر في الغالب في فصل الربيع وأوائل الصيف عندما تكون درجة الحرارة قد ارتفعت إلى حد يساعد على تبخر الماء بسرعة ، وعندما تكون الأرض قد زادت رطوبتها بسبب أمطار الشتاء والربيع . وتسقط أمطار العراق أحيانًا على شكل برد في معظم أنحاء العراق ، بينما تسقط في الغالب على شكل ثلوج فوق منطقة الجبال العالية ، وأحيانًا على المنطقة شبه الجبلية ، أما على السهول فيندر سقوط الثلج ، ولكن سبق أن سقطت الثلوج في سنة ١٩١١م في بغداد ، وبلغ ارتفاعها ١٠٨ملم .

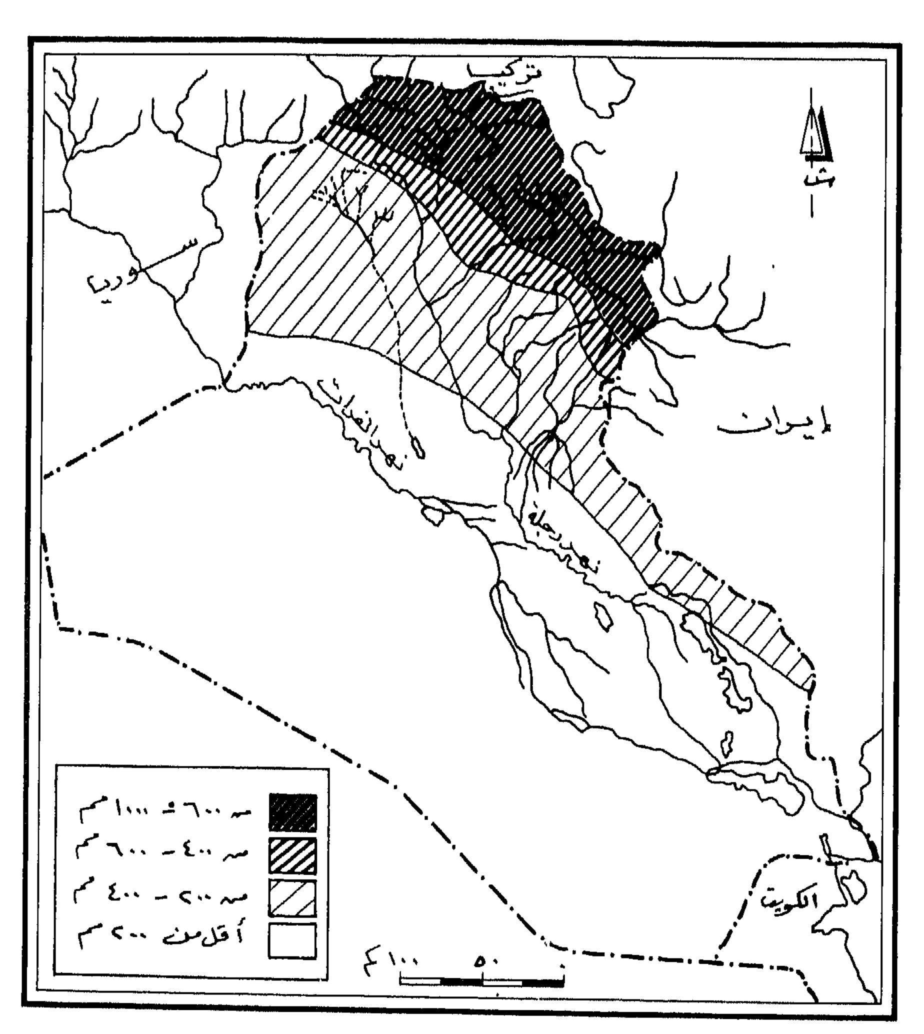
وعندما ينتهي مرور المنخفض الجوي تأخذ السماء في الصفاء وتستعيد الرياح قوتها وتبدأ بالهبوب من الجهة الشمالية جالبة معها جوًّا منعشًا ، وقد تكون هذه الرياح باردة يضطر معها الفلاح إلى وضع حواجز واطئة يعملها من سعف النخيل لحماية الخضروات منها .

أما كمية الأمطار الساقطة ، فإنها تختلف من وقت إلى آخر ومن سنة إلى أخرى ، ويبدو ذلك من الجدول رقم (٧) ، والشكل رقم (٣) .

جدول (٧) كمية الأمطار التي سقطت على بعض مدن العراق (١٩٦٠ — ١٩٧٣)

السنة	المدينة			
	البصرة	بغداد	الموصل	الرُطبة
١٩٦٠ م	١١٣,١	٧٨,٤	٣١٥,٠	
١٩٦١	١٧٤,٤	٢١٣,٣	٣١٧,٤	
١٩٦٢	٩٠,٦	١٧٦,٥	٢٧٠,٣	
١٩٦٣	١٠٠,٢	١٥٥,٠	٦٠٥,٥	
١٩٦٤	٣١,٩	٩٢,٣	٢٧١,٨	٧٩,٣
١٩٦٥ م	٨٥,٠	١٣٦,٤	٣٦١,٨	٦٨,١
١٩٦٦	٩٨,٨	١٢٩,٦	٢٩٤,٩	٧٤,٢
١٩٦٧	١٥٦,٥	١٣٠,٤	٤٧١,١	١٩٧,٤
١٩٦٨	٩٨,٨	٢٥٥,٩	٤٠٨,٦	١١٤,٢
١٩٦٩	١٧٥,٩	١١٩,٦	٥٣١,٧	٧٣,٢
١٩٧٠ م	١٤٨,٤	١٢٦,٩	٢٧٥,٤	٤٩,٦
١٩٧١	١٠٦,٥	١٨٧,٠	٢٩٨,٤	١٨٦,٦
١٩٧٢	١٨١,٨	١٩١,٢	٤٤١,٧	٢٢٧,٤
١٩٧٣	٥١,٧	٩٧,١	٢٢٧,١	٣٢,٢

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٣ م



شكل -٣- معدل الأمطار السنوية

ومن استقراء الجدول رقم (٧) يتبين أن الأمطار تزداد كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال ، وهي غير مضمونة الكمية ، فمثلا في بغداد بلغت كمية الأمطار ٧٨,٤ ملم عام ١٩٦٠ م ، بينما بلغت في عام ١٩٦٨ م ٢٥٥,٩ ملم أي حوالي أربعة أضعاف الكمية التي سقطت عام ١٩٦٠ م . وينطبق نفس الشيء على باقي المناطق ، وتسقط الأمطار بصورة رئيسة في أشهر الشتاء ، كما يتبين من الجدول رقم (٨) .

الأنواع المناخية في العراق :

في ضوء الدراسة المناخية السابقة يمكننا أن نقسم مناخ العراق إلى الأقسام الآتية (شكل ٤) :

١ – مناخ البحر المتوسط ، ويقع في شمال شرق العراق ضمن حدود المنطقة الجبلية تقريبا ، ويمثل حوالي ١٢٪ من مساحة العراق .

٢ – مناخ السهوب (الاستبس) وهو مناخ انتقالي بين مناخ البحر المتوسط والمناخ الصحراوي الحار ، ويقع ضمن حدود المنطقة شبه الجبلية تقريبًا ويمثل حوالي ١٨٪ من مساحة العراق .

٣ – المناخ الصحراوي الحار ، ويقع ضمن حدود السهل الرسوبي والهضبة الصحراوية تقريبًا ، ويمثل حوالي ٧٠٪ من مساحة العراق[٥٣] .

وهناك من يقسم العراق إلى منطقتين رئيستين[٥٤] .

المنطقة الأولى : وتشتمل على إقليمين هما :

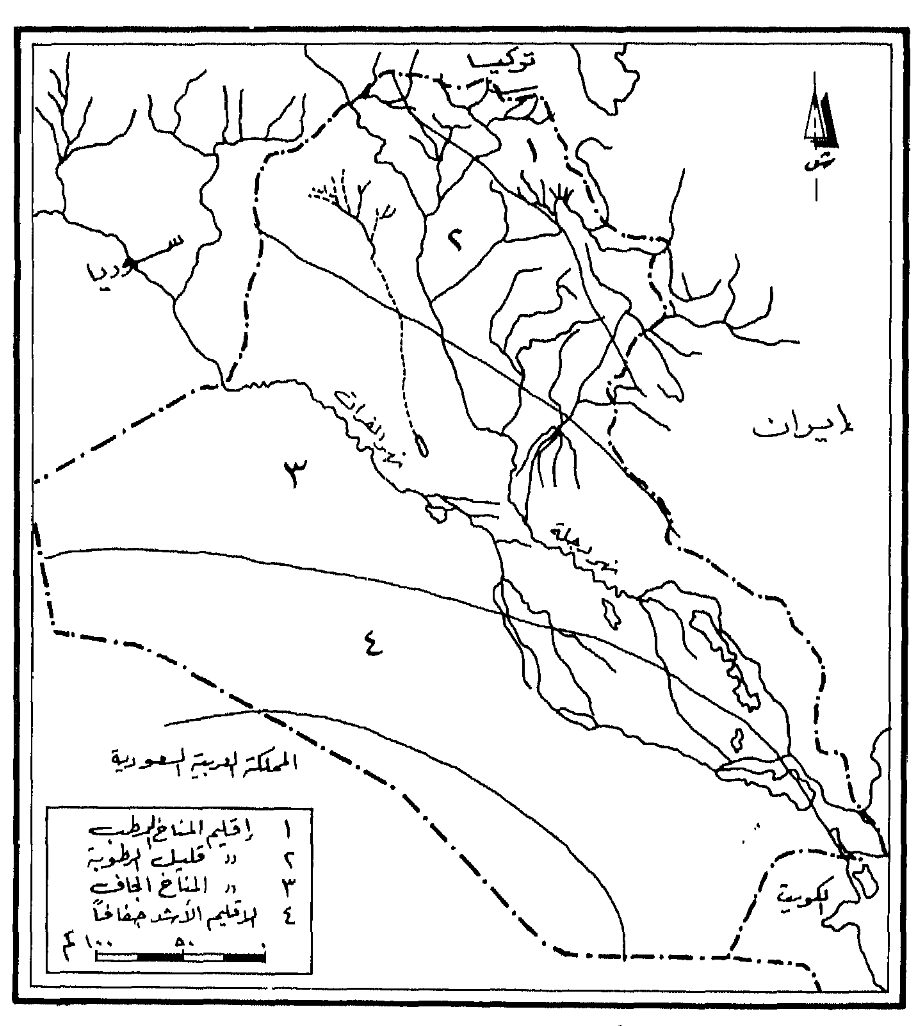
(أ) مناخ رطب يتمثل في الجهات الجبلية العالية .

(ب) مناخ قليل الرطوبة ويتمثل في الجهات شبه الجبلية ومناطق السهوب .

المنطقة الثانية : وتشتمل على إقليمين هما :

(أ) إقليم المناخ الجاف ويتمثل في المناطق شبه الصحراوية في الشمال الذي يتميز بصيف حار وشتاء معتدل .

(ب) الإقليم الأشد جفافًا في الوسط وفي الجهات شبه الصحراوية والصحاري جنوبًا حيث يكون في فصل الصيف شديد الحرارة ، وفي فصل الشتاء معتدلًا دافئًا .



شكل - ٤ - الأقاليم المناخية

المصدر: دكتور فاضل باقر الحسني، الأساليب الحديثة في تصنيف مناخ العراق، ص٤٥

جدول رقم (٨) المعدلات الشهرية لأمطار بعض مدن العراق والكميات الشهرية التي سقطت في سنة ١٩٧٣ م (بالملليمترات)

الشهور	البصرة		الرُّطبة		بغداد		الموصل	
	المعدل العام	١٩٧٣م	المعدل العام	١٩٧٣م	المعدل العام	١٩٧٣م	المعدل العام	١٩٧٣م
كانون أول (ديسمبر)	٣٠,٣	٢٧,٨	١٦,٣	٧,٠	٢٠,٩	٥٣,٧	٦٥,٦	٢٨,٤
كانون ثاني (يناير)	٢٢,٨	١,٨	١٣,٦	TR	٢٥,٣	١,٥	٦٧,٧	٣٢,٧
شباط (فبراير)	١٣,٨	١٩,٣	١٣,٦	١١,٤	٢٤,٤	٣,٥	٦٤,٢	٥٣,٥
آذار (مارس)	٢٠,٢	١,٣	١٥,٤	TR	٢٢,٧	TR	٦٩,٦	٢٢,٦
نيسان (إبريل)	٢٠,٤	١,٣	١٤,٧	٣,٤	٢٢,٣	٤,٨	٥٠,٨	١٦,٠
آيار (مايو)	٧,٨	TR	١٥,٠	TR	٨,١	١٦,٠	٢٤,٧	٥٠,٨
حزيران (يونيه)	–	–	,١	–	٠,١	–	٠,٨	–
تموز (يوليه)	–	–	–	–	–	–	٠,١	–
آب (أغسطس)	–	–	–	–	–	–	–	–
آيلول (سبتمبر)	–	٠,٢	٠,٦	–	٠,٣	–	٠,٧	–
تشرين أول (أكتوبر)	١,١	–	٥,٤	٤,٧	٣,٧	TR	٩,٩	TR
تشرين ثاني (نوفمبر)	٢٢,٨	TR	١٣,٣	٥,٧	١٧,١	١٠,٦	٣٦,١	٢٣,١
المجموع السنوي	١٣٩,٢	٥١,٧	١١٠,٠	٣٢,٢	١٤٤,٩	٩٧,١	٣٩٠,٢	٢٢٧,١

١ – عدد سني المعدل ٣٠ سنة .
٢ – TR تعني قطرات من المطر . (ضئيل) .

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٧٣ م . الجهاز المركزي للإحصاء .

وفيما يلي دراسة مفصلة لكل منطقة من المناطق المناخية الرئيسة :

المنطقة الرئيسة الأولى : وتمتاز بمناخ رطب عمومًا وتضم إقليمين :

الإقليم الأول : ويتمثل في الجبال العالية ، حيث الشتاء طويل نسبيًا ويستمر حوالي ١٢٠ يومًا ، وفيه تنخفض درجات الحرارة إلى ١٠°م أو ١٥°م ، وقد تهبط إلى أدنى من ذلك في الأودية العميقة الواقعة بين الجبال ، ويبدأ فصل انخفاض درجة الحرارة إلى

ما دون الصفر في هذا الإقليم اعتبارًا من أواسط كانون الأول (ديسمبر) ، أما في المناطق المرتفعة جدًا كجبال رايات ، فيحدث قبل شهر من ذلك التاريخ تقريبًا ، وتسقط كمية من الأمطار تتراوح بين ٦٥٠ و ١٠٠٠ ملم ، وأعلى حد للتساقط يكون في شهر كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ، وقد يحدث تساقط ثلجي بغزارة ، وكذلك زيادة في عدد الأيام المصحوبة بالضباب .

ويحل فصل الربيع في شهر نيسان (إبريل) ، وترتفع درجة حرارة الهواء فوق ١٠°م مع قلة المنخفضات الجوية ، ويتراوح معدل الأمطار الساقطة في شهر نيسان (إبريل) بين ١٠٠ و ١٥٠ ملم ، وفي فصل الصيف تسود الإقليم أجواء دافئة وجافة ، حيث لا يزيد معدل درجة الحرارة في هذا الفصل على ٢٧°م ، وذلك على ارتفاع يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر ، ثم تهبط الحرارة تدريجيًّا عند الارتفاع إلى حدود ٢٠٠٠ م ، ٣٠٠٠ م وتكون أقل من المعدل السابق ، ويتميز صيف هذا الإقليم بالجفاف التام تقريبًا ، أما في فصل الخريف فيكون الإقليم دافئًا جافًا ، حيث يبدأ فصل المطر اعتبارًا من النصف الثاني لشهر تشرين الأول (أكتوبر) .

الإقليم الثاني : ويشمل جهات الاستبس والمناطق شبه الجبلية ، وهو يعتبر منطقة انتقال نحو المناخ الجاف . وفصل الشتاء في هذا الإقليم قصير إذ تتراوح مدته بين ٨٠ و ١٠٠ يوم ، وهو معتدل لطيف ، وأبرد شهر لا تنخفض درجة الحرارة فيه عادة عن –٥°م ، ولكن بسبب قدوم الكتل الهوائية الباردة ، فإن درجة الحرارة قد تهبط إلى –٨ م أو –١٢ م ، كما حدث في الموصل في ٣ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٢٥ م ، حيث انخفضت درجة الحرارة إلى (–١١,١° م) ويمكن أن ترتفع درجة الحرارة في شهر كانون الثاني إلى حوالي ٧° م أو ١٢° م .

وتسقط الأمطار في هذا الفصل ، حيث تبلغ نحو ١٧٠ ملم في تلعفر ، و ٢٤١ ملم في سنجار . وقد يسقط الثلج ، ففي مدينة الموصل يبلغ معدل الأيام التي يحدث فيها تساقط ثلجي خلال فصل الشتاء ٠,٩ يوم وكركوك ٠,٨ يوم . وتتميز الفترة الباردة بالضباب ، حيث يبلغ معدل عدد الأيام المصحوبة بالضباب في كانون الأول في مدينة الموصل ٦,١ أيام . وأما أشهر الشتاء ، يتراوح عدد الأيام المصحوبة بالضباب بين ١٠ أيام و ١٥ يومًا تقريبًا .

أما فصل الربيع ، فيستمر بين شهر ونصف وشهرين ، حيث تسود أجواء دافئة ، ولاتزيد درجة الحرارة على ١٨°م أو ٢٠°م . وكذلك النقصان التدريجي في كمية الأمطار الساقطة في آذار ونيسان وآيار ، كما تقل نسبة الرطوبة . أما فصل الصيف فحار جاف ويستمر حوالي خمسة أشهر ، ابتداء من النصف الثاني من شهر آيار ، حتى منتصف آيلول (سبتمبر) ، وتتراوح درجة حرارة تموز بين (٣٣°م – ٣٥°م) وتتراوح كمية التساقط بين (١٠ و ٣٠ ملم) . وأما الرطوبة النسبية فتتراوح بين ٢٠٪ و ٣٠٪ . ويتصف فصل الخريف بالدفء والجفاف ، وهو يبدأ عادة من نهاية أيلول أو بداية تشرين أول ، وتبدأ درجات الحرارة في الانخفاض إلى (٢٥ م و ٢٠ م) وذلك نتيجة لاشتداد فعالية الانخفاضات الجوية ونشاط الأعاصير . أما الأمطار فتسقط في تشرين الثاني ، وتتراوح كميتها بين (٣٠ ملم و ٦٠ ملم) .

المنطقة الرئيسة الثانية : وتمتاز بالمناخ الجاف وتنقسم إلى إقليمين هما :

الإقليم الأول : أو الإقليم الشمالي (3B) : وهو إقليم المناخ الجـاف ، حيث الصيف حار ، والشتاء معتدل .

الإقليم الثاني : أو الإقليم الجنوبي (4B) : وهو إقليم المناخ الجاف ، حيث الصيف شديد الحرارة والشتاء معتدل .

ومناخ المنطقة عمومًا شبيه بالمناخ شبه المداري القاري ، الذي يتميز بصفاته الصحراوية وشبه الصحراوية ، ويشمل الإقليم الأول القسم الشمالي الغربي من منطقة الهضبة ، وكذلك القسم الأوسط والجنوبي الشرقي لوادي الرافدين والقسم الباقي من الهضبة ووادي الرافدين ضمن الإقليم الجنوبي .

وتتشابه الخواص الحرارية لكلا الإقليمين ، فالشتاء دافئ ، وقد تهبط الحرارة فيه إلى أقل من ١٠مْ ، وفي بغداد يصل معدل الحرارة خلال كانون الثاني إلى ٩مْ ، وفي الديوانية ٩,٨°م .

ويبدأ فصل الشتاء عادة في الإقليم الشمالي قبل الجنوبي ، فهو يبدأ في الشمال في بداية كانون الأول ، وهو في الإقليم الجنوبي قصير ، وفي كلا الإقليمين تنشط الانخفاضات

الجوية والأعاصير ، وبزوال تلك الانخفاضات يغزو الإقليمين هواء بارد (الرياح الشمالية الغربية) وتسود أجواء خالية من الغيوم . وتنخفض درجة الحرارة في بعض الأحيان إلى ما تحت الصفر المئوي ، وهذا يرجع إلى هبوب رياح باردة قادمة من الشمال الغربي أو الشمال الشرقي . وقد سجلت بغداد في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٤٢ م ٧,٨°م ، وسجلت محطة السلمان في ٢٩ من كانون الثاني من سنة ١٩٤٠ م ١١,١°م .

وتبلغ نسبة سقوط المطر خلال الفترة الباردة من تشرين الثاني (نوفمبر) حتى شهر مارس نحوا من ٨٠٪ من الكمية السنوية التي تتراوح بين ١٠٠ و ٢٥٠ ملم . ويتكون الضباب نتيجة لارتفاع رطوبة الهواء حيث تصل الرطوبة النسبية في الصباح نحوا من ٧٥٪ أو ٨٠٪ في بغداد . ويبلغ عدد الأيام المصحوبة بالضباب في بغداد نحوا من عشرة أيام في شهري كانون الأول والثاني (ديسمبر ويناير) وفي الديوانية بين ٤ و ٥ أيام .

ويبدأ فصل الربيع في الإقليم الشمالي من بداية شهر آذار (مارس) ، وفي الإقليم الجنوبي من بداية شهر شباط (فبراير) ، وتسقط أمطار الربيع خلال فترات قصيرة وتكون مصحوبة بالرعد والبرق وأحيانًا بالبرد وهي قليلة الفائدة للمحاصيل .

ويبدأ فصل الصيف في المنطقة اعتبارًا من منتصف نيسان (إبريل) وبداية مارس ، ويوصف الصيف بأنه فصل قائظ خال من الأمطار ، وأنه ذو نظام حراري مداري وفيه يبلغ معدل حرارة شهر تموز ٣٣°م و ٣٧°م وهذه الحرارة العالية ترتبط بزيادة حدة الإشعاع الشمسي حيث تكون السماء خالية من الغيوم وبعد توقف أمطار الربيع تنخفض بشكل حاد رطوبة التربة والهواء في كافة أقاليم المنطقة ، ففي خلال شهر حزيران (يونيو) لاتزيد الرطوبة النسبية للهواء أثناء النهار عن ١٥٪ أو ٢٠٪ ، وفي أوج الصيف تصل إلى حدود ١٢٪ - ١٣٪ ، ولاتزيد كمية الأمطار في فصل الصيف عن ٦ ملم أو ٧ ملم في القسم الشمالي وعن ١ ملم و ٥ ملم في القسم الجنوبي .

الحياة النباتية والحيوانية

النبات الطبيعي محصلة لعوامل ثلاثة ، هي : التربة والتضاريس والظروف المناخية السائدة . فالمعروف أنه مع تباين الارتفاعات تتباين النباتات إلى حد ما ، كما أن كمية

الأمطار الساقطة على العراق تختلف من منطقة لأخرى ، فهي تتراوح بين ٥٠ و ١٠٠٠ ملم ، ولذا ننتظر أن تتغير النباتات الطبيعية تبعًا لذلك ، كما أن درجات الحرارة المرتفعة والجفاف في بعض المناطق ساعد على وجود أنواع خاصة من النباتات الطبيعية . وننتظر أن تكون النباتات قد تكيفت للمعيشة في هذه المناطق الجافة ، كأن تخزن الماء في جذورها أو سيقانها ، أو تكون ذات جذور طويلة لتصل إلى المياه الجوفية أو تحتفظ ببذورها إلى أن تجد الظروف المناسبة لإنباتها أو أنها تكون ذات حياة قصيرة ، واستنادًا إلى هذه الظروف الطبيعية المتباينة فقد تباينت النباتات الطبيعية تبعًا لذلك وهي :

١ – نباتات المنطقة الجبلية في شمال العراق ، وفي شماله الشرقي : ويمكن اعتبار هذه المنطقة النباتية ضمن إقليم الغابات ذات الأوراق العريضة إضافة إلى أشجار الفاكهة . ولعل أشهر أنواع الأشجار المنتشرة في هذه المنطقة هي : أشجار البلوط الصغير الحجم ، والبلوط العفصي ، والأشجار الصنوبرية ، وأشجار الاسفندار والجنار وأشجار الجوز ، وإلى جانب ذلك نجد في منطقة الوديان الجبلية شجيرات النعناع وأشجار الدفلة ، أما في الأقسام المرتفعة من الجبال فتسود المروج الألبية . ونتيجة لسوء استعمال شجرة البلوط الصغير لصناعة الفحم فقد تم قطع مساحات كبيرة من هذه الغابات دون تعويضها ، مما أدى إلى جرف التربة في كثير من المناطق ، فغدت عارية عن النباتات الطبيعية . وتشغل هذه المنطقة حوالي ٦٪ من مساحة النباتات الطبيعية في العراق .

٢ – نباتات السهوب : تنتشر ضمن منطقة الحدود شبه الجبلية بين حافة الجبال وخط المطر المتساوي ٢٠ ملم ، ويختلف كثافة النبات فيها حسب فصول السنة ، ففي فصل الصيف تكاد تكون المنطقة صحراوية خالية من النباتات ولكن بعد سقوط الأمطار تنمو الأعشاب الغنية الصالحة للرعي مثل النعناع كما ينبت الكعوب والعاقول والحندوقة والبابونج .

وقد خضعت هذه المنطقة للرعي الجائر ، مما قضى على معظم النباتات الطبيعية وتسبب في جرف التربة . وأشجار العرعر تنمو بالقرب من المجاري المائية وعلى سفوح المرتفعات الداخلية ، وتنمو الأشجار مثل الغرب والصفصاف والعوسج والأثل وعرق

السوس والكافور والنخيل ، كما توجد نباتات بصلية وشوكية ، وتشغل هذه المنطقة حوالي ١٩٪ من مساحة النباتات الطبيعية في العراق .

٣ – النباتات الصحراوية : نباتاتها الطبيعية محدودة بسبب قلة الأمطار ، ومع ذلك تنبت بعض الأعشاب والحشائش التي تصلح لرعي الأغنام والجمال ، كما يوجد العاقول والشوك والقيصوم إلى جانب الصبر والعبل والطرفاء والعرفج والسدر والسنط وبعض هذه النباتات حولي مثل الخباز والبابونج والشعير البري ، وبعضها الآخر معمر ، وهي على قلتها ذات فائدة كبيرة ، إذ تحافظ على التربة من الجرف وتخفف من أثر العواصف الرملية وتشغل أكثر من ٧٠٪ من مساحة النباتات الطبيعية في العراق .

٤ – نباتات الأهوار والمستنقعات : وتشمل البردي والقصب ونبات الكولان والشملان ويعتبر البوص أهمها جميعًا من الناحية الاقتصادية لسكان الأهوار ، وخلال شهري آذار ونيسان (مارس وإبريل) تكتسي صفحات المياه بأزهار صغيرة (تعرف بأزاهير البط) وهي ذات ألوان براقة منها الأصفر والأبيض ، ويوجد فيها حوالي ٣٢ صنفًا من النباتات .

النباتات الطبيعية في العراق ذات أهمية اقتصادية أو طبية وهي :

– **البلوط الصغير** : للوقود وعمل الفحم للتدفئة .

– **البلوط العفصي** : للدباغة .

– **الأسفندار والجنار** : للبناء .

– **أشجار الجوز** : الثمر للأكل ولصناعة بعض الحلويات وأخشابها للبناء .

– **الكعوب** : للأكل البشري .

– **العاقول** : لرعي الأغنام وهو صغير الحجم ، كما تأكله الجمال ويستعمل وقودًا .

– **السفوك** : للوقود .

– **البابنك** : دواء للحمي والانفلونزا .

– **عرق السوس** : منقوعه ذو طعم حلو مع قليل من المرارة يطفئ العطش .

– **البوص** : سيقانه الطرية تكون علفًا مفضلًا للجاموس ، وسيقانه الغليظة لتسيير

قواريهم (مرادي) ولصناعة الحصر (البواري) بعد تهشيمه ، ويشيد سكان الأهوار مساكنهم من البوص ، ويستعملون سيقانه الجافة للوقود والإضاءة .

– **البردي** : يتخذ علفًا للجاموس ، ويشيد السكان معظم مساكنهم على أكوام هائلة منه ، بحيث تصبح مرتفعًا مصطنعًا (الجباشة) ويأكل بعض سكان الأهوار جذوره ، وتجمع نساؤهم رؤوسه المتفتحة خلال موسم الربيع وتصنع منها حلوى صفراء اللون تعرف بالخريط ويستعمل البوص والبردي لصناعة الورق .

– **الكاط** : للأكل وفي طعمه ملوحة وحموضة .

– **أزاهير البط** : (التسمية محلية) : لإطعام الجاموس .

– **وأخيرًا (نخيل التمر)** : وفوائده معروفة .

وللمحافظة على النباتات الطبيعية أصدرت الدولة القانون رقم (١٠٦) لسنة ١٩٦٥ م ، الخاص بحماية المراعي ، وقد جاء في المادة السادسة منه ، أنه للوزير أو من يخوله منع قطع الأشجار والشجيرات وصناعة الدريس للأغراض التجارية أو لممارسة الزراعة وغيرها من الأعمال في المراعي الطبيعية إلا بإجازة ، وله أن يفرض الرسوم على منح هذه الإجازة . وجاء في المادة السابعة ، أنه للوزير أو من يخوله بالاتفاق مع وزارة الداخلية ، أن يحرم الرعي في بعض مناطق المراعي لمدة معينة ، إن وجد ذلك ضروريا للمحافظة على المراعي وتحسينها .

أما عن الحياة الحيوانية ، **فهي** تضم أنواعًا كثيرة من الحيوانات والطيور . إذ تكثر الذئاب والثعالب والخنازير البرية والغزال الجبلي والأرانب والماعز البري . وكانت الأسود كثيرة في الماضي ، ويذكر أن آخر الأسود كان في منطقة العمارة ، وقد قتل عام ١٩١٧ م ، وفي منطقة الأهوار ، توجد الخنازير الهندية وكلاب الماء وقطط الغابات الهندية والسلحفاة ، وأنواع كثيرة من الطيور المحلية أو المهاجرة ، التي تفد من الخارج في فصول معينة ، كما توجد أنواع كثيرة من الثعابين السامة وغير السامة .

السكان

أصولهم العرقية :

تأثر التكوين الأثنوجرافي لسكان العراق بموقعه في قلب العالم القديم ، حيث تمر به أهم طرق النقل والاتصال سواء في القرون الوسطى أو الحديثة ، وبأنه كان مقرًّا للخلافة العباسية التي كانت سببًا في قدوم الكثير من الجماعات البشرية إلى العراق من مختلف أنحاء العالم المعروف آنذاك وجذبت العراق ، لغناها ، أنظار الشعوب المختلفة ، وكان أمل الكثير من الفاتحين تتويج فتوحاتهم بفتح العراق ، كما أن العراق مفتوح من الغرب نحو شبه جزيرة العرب ، وتوجد به المعابر الطبيعية في المرتفعات الشرقية التي سلكت عن طريقها الموجات البشرية والحملات العسكرية من أواسط آسيا إلى البحر المتوسط الشرقي أو بالعكس ، ولهذا ننتظر أن تكون الأغلبية العظمى للسكان عربية ، رغم وجود خليط بشري ، كما يبين في الجدول رقم (٩) .

١ – أما العرب فإنهم يكونون أغلبية سكان العراق ، وهم من سلالة الجنس الأسمر أو جنس البحر المتوسط ، ويمتازون بالبشرة السمراء .

٢ – أما عن الأكراد ، فقد اختلف حول أصولهم كثيرًا فيعتقد البعض بأن الأكراد من الكردوفين الذين ورد ذكرهم على لسان زينفون عند انسحابه مع ١٠,٠٠٠ مقاتل سنة ٤٠١ – ٤٠٠ ق . م ، أما الأستاذ مينورسكي الذي عرض نظريته في المؤتمر الدولي للمستشرقين في بروكسل سنة ١٩٣٨ م والتي بناها على لغة الأكراد وطريقة حياتهم ، فهو يرى أن لغتهم فارسية الأصل ، وأنهم ينحدرون من أصل آري (شمالي) إلا أنهم امتزجوا بعناصر أخرى ، أما (مار) فيرى أن الأكراد شعب أصيل وهم السكان الأصليون لجبال آسيا الصغرى ، وأن هناك قرابة بين الأكراد وبين الشعب الكردوفي : وترجع اللغة الكردية الحالية إلى أصل فارسي . ويرى أن الأكراد قد استعاضوا عن لغتهم الأصلية لغة جديدة ويرى « سيدني سميث » أن اللغة الكردية مِن أقدم اللغات الفارسية القديمة وأن الشعب الكردي ينتمي إلى المجموعة الهندية الأوربية وأنهم قدموا إلى موطنهم الحالي في الوقت الذي قدم فيه الميديون إلى ميديا والإيرانيون إلى إيران ، ويرى الدكتور « سفر ستيان » أن

جدول (٩) الأصول العرقية لسكان العراق في سنوات ١٩١٩ ، ١٩٤٧ ، ١٩٥٧ م

الجماعة	١٩١٩ م		١٩٤٧ م		١٩٥٧ م	
	عدد السكان	٪	عدد السكان	٪	عدد السكان	٪
العرب	٢٢٠٦٠٠٠	٧٦,٧	٣٧٤٦٠٠٠	٨٠,١	٤٩٥٠٠٠٠	٧٨,٢
الأكراد	٥٠٠٠٠٠	١٧,٤	٧٩٣٠٠٠	١٦,٩	١٠٦١٠٠٠	١٦,٧
التركمان	٦١٠٠٠	٢,١	٨٢٠٠٠	١,٧	١٤٢٠٠٠	٢,٢
الآخرون	١١١٠٠٠	٣,٨	٥٦٠٠٠	١,٣	١٨٥٠٠٠	٢,٩
المجموع	٢٨٦٨٠٠٠	١٠٠	٤٦٧٧٠٠٠	١٠٠	٦٣٣٨٠٠٠	١٠٠

المصدر : عبد الرازق الحسيني : العراق قديمًا وحديثًا ، ص ٤٣ .
– فاضل الأنصاري : مشكلة السكان ، ص ٢٢ .

الأكراد اكتسبوا الصفات الآرية أيام الأخمينيين ، ويرى « محمد أمين زكي » أن الشعب الميدي يمثل العشائر الكردية التي تسكن شرقي بلاد آشور ، فهو شعب آري الجنس ، أما لغته فهي من فصيلة اللغات الهندية الأوربية .

أما « هنري فيلد » فقد قدم إلى العراق وأجرى أبحاثه عن سكانه ، وكانت خلاصة بحثه عن الأكراد مايلي[٥٥] :

« أن لون بشرة الأكراد أقل سمرة من لون العرب ، ولكنها ليست ببياض بشرة الأشوريين ، أما الشعر فبني داكن أو أسود ومتموج موجات خفيفة » .

وأثبتت في دراسة علمية جادة مؤسسة على مقاييس الرأس والأنف والشعر ولون البشرة انتاء الأكراد إلى مجموعة البحر المتوسط وأنهم لجأوا إلى المنطقة الجبلية حيث اختلطوا بمجموعات كانت تسكن قبلهم فأخذوا اللغة الكردية التي هي من المجموعة الهندية الأوربية ، ولقد اختلطوا بالأرمن الأمر الذي أكسبهم الأنف البارز والمعقوف والرأس

العريض ، كما اختلطوا بالعرب في العراق ، وهكذا أخذ الأكراد صفات الجماعات التي يعيشون معها . كما أنهم بحكم اختلاطهم دخلت في لغتهم كلمات عربية وتركية ، وهم جميعًا مسلمون ، ولقد ظهرت بين الأكراد عائلات دينية ذات مركز كبير في العالم .

٣ - التركمان ، جماعات تركية قدمت إلى العراق في القرن الخامس عشر مع موجات قبائل القرة قوينلو والآق قوينلو ، ثم قدمت الجماعات التركية التي دخلت في العهد العثماني للعراق (١٥٣٤ و ١٦٣٨م) وآثرت البقاء بعد انسحاب العثمانيين ، وهم ينتشرون في خط يبدأ من تلعفر إلى كركوك ، وحتى مندلي من محافظة ديالي ، وإلى جانب ذلك توجد جماعات محدودة من الأرمن والإيرانيين .

ونتيجة لموقع العراق فقد تأثر سكانه بمؤثرات كثيرة ، فنجد في جنوبي العراق دماء زنجية ، وفي الشمال ملامح أرمنية مثل الأنف الطويل ، كما لاحظ « هنري فيلد » عيونا مغولية ، ربما كانت نتيجة لمؤثرات المغول عندما قدموا إلى العراق عام ١٢٥٨ م (عندما احتل هولاكو بغداد)[٥٦] .

وعلى الرغم من تعدد الأجناس فإن العراق كان دائمًا مفتوحًا نحو شبه جزيرة العرب ، حيث العنصر العربي الذي استمر قدومه إلى العراق . ولقد حمل العراق مشعل الحضارة العربية والإسلامية في العصر العباسي ، وساعد ذلك على انسجام سكانه ، وانصهارهم جميعًا في بوتقة واحدة متجانسة .

التركيب الديني :

الغالبية العظمى من سكان العراق من المسلمين ، ثم يلي ذلك النصارى فاليهود ، كما يبينه الجدول رقم (١٠) .

ومن استقراء هذا الجدول تتبين الحقائق التالية :

١ - زيادة نسبة المسلمين مع تقدم السنين ، والسبب في ذلك يعود إلى ارتفاع نسبة المواليد بين السكان المسلمين ، كما أن العراق كان دائمًا مفتوحًا أمام الهجرات من القبائل العربية القادمة من الجزيرة العربية وجميعها تدين بالإسلام .

٢ – ارتفاع نسبة عدد النصارى على مدى الثلاثين عامًا بمقدار ٣٠٠٪ ، ومع ذلك فقد ظلت نسبتهم إلى أعداد المسلمين ثابتة تقريبًا ، ويرجع السبب في ذلك إلى زيادة أعداد المسلمين بنفس النسبة .

٣ – هبوط نسبة اليهود وأعدادهم بعد عام ١٩٤٧ م ، ويرجع السبب في ذلك إلى هجرة معظمهم إلى فلسطين المحتلة .

جدول (١٠) التركيب الديني لسكان العراق في سنوات ١٩٣٢ ، ١٩٤٧ ، ١٩٥٧ ، ١٩٦٥ م

الديانة	١٩٣٢ م (نسمة)	١٩٤٧ م (نسمة)	١٩٥٧ م (نسمة)	١٩٦٥ م (نسمة)
مسلمون ٪	٢٦٤١٠٠٠ ٪ ٩٢,٧	٤٥٠٩٠٠٠ ٪ ٩٣,٦	٦٠٥٧٠٠٠ ٪ ٩٥,٦	٧,٧٥٦,٠٠٠ ٪ ٩٥,٨
نصارى ٪	٧٩٠٠٠ ٪ ٢,٨	١٥٠٠٠٠ ٪ ٣,١	٢٠٦٠٠٠ ٪ ٣,٢	٢٣٨,٠٠٠ ٪ ٢,٩٣
يهود ٪	٨٨٠٠٠ ٪ ٣,١	١١٨٠٠٠ ٪ ٢,٥	٥٠٠٠ ٪ ٠,٠٨	٣,٠٠٠ ٪ ٠,٠٤
آخرون ٪	٤٢٠٠٠ ٪ ١,٤	٣٩٠٠٠ ٪ ٠,٨	٧١٠٠٠ ٪ ١,١٢	١٠٠,٠٠٠ ٪ ١,٢٣
المجموع ٪	٢٨٥٠٠٠٠ ٪ ١٠٠	٤٨١٦٠٠٠٠ ٪ ١٠٠	٦٣٣٩٠٠٠ ٪ ١٠٠	٨,٠٩٧,٠٠٠ ٪ ١٠٠

المصدر : الإحصاءات السكانية الرسمية .

ويلاحظ بصفة عامة ، أن السكان المسلمين يتركزون غالبًا في المحافظات الوسطى ، وتأتي في مقدمتها بغداد العاصمة ، ثم تأتي المحافظات الشمالية في المرتبة الثانية ثم المحافظات

الجنوبية ، ونجد أن النصارى في أغلبهم يتركزون في المحافظات الشمالية ، وبخاصة في محافظة نينوى (الموصل) . أما من يدينون بغير الأديان السماوية فيتوزعون على المحافظات الجنوبية وعلى الأخص في العمارة والناصرية والبصرة .

أعداد السكان :

حجم السكان له أهمية كبرى في استغلال الموارد الاقتصادية المتاحة ، وانعكاس ذلك على الناحية السياسية . ويبين الجدول رقم (١١) حجم السكان في الفترة من ١٩٣٧ م إلى ١٩٨٠ م في العراق .

ومن استقراء هذا الجدول نتبين الملاحظات التالية :

- « لقد تضاعف عدد السكان حوالي خمس مرات في مدى نصف قرن ، وقد يكون السبب في ذلك هو الخطأ في الإحصاءات السابقة ، أو أنه نتيجة للهجرة الخارجية بالإضافة إلى تحسن الأحوال الصحية وتطور الوعي الصحي ، مما أدى إلى قلة الوفيات وزيادة المواليد وارتفاع الزيادة الطبيعية تبعًا لذلك » .

جدول (١١) أعداد السكان في الإحصاءات
المختلفة خلال الفترة (١٩٢٧ - ١٩٨٠م)

السنة	عدد السكان
١٩٢٧	٢,٩٦٨,٠٥٤
١٩٣٤	٣,٣٨٠,٥٣٣
١٩٤٧	٤,٨١٦,١٨٥
١٩٥٧	٦,٣٣٩,٩٦٠
١٩٦٥	٨,٠٩٧,٢٣٠
١٩٧٠	٩,٤٤٠,٠٩٨
١٩٧٤	١٠,٧٦٥,٤٤٢
١٩٨٠	١٣,٢١٤,٠٨١

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية (سنوات مختلفة)

أما فيما يخص معدل النمو السنوي الطبيعي للسكان ، فإنه يقدر بنحو ٣,٢٪ . ويبين الجدول رقم (١٢) معدلات النمو في الفترة من عام ١٩١٩ م حتى عام ١٩٧٧ م ، موزعة حسب المناطق .

جدول (١٢) المتوسط السنوي والمعدل العام لنمو السكان (١٩١٩ - ١٩٧٧ م) حسب المناطق

المنطقة	١٩١٩-١٩٣٤م		١٩٣٤-١٩٤٧		١٩٤٧-١٩٥٧		١٩٥٧-١٩٦٥		١٩٦٥-١٩٧٧م	
	المتوسط السنوي للنمو ٪	المعدل العام للنمو ٪	المتوسط السنوي للنمو ٪	المعدل العام للنمو ٪	المتوسط السنوي للنمو ٪	المعدل العام للنمو ٪	المتوسط السنوي للنمو ٪	المعدل العام للنمو ٪	المتوسط السنوي للنمو ٪	المعدل العام للنمو ٪
العراق	٥,٠	١,٥٦	٩,٤	٢,٢٣	١٥,١	٢,٧١	٢١,٣	٢,٩٧	٣٢,٩	٣,٢٩
المحافظات الشمالية	٢,٣	٢,٥٨	٢,٤	١,٩٧	٣,٨	٢,٤٥	٤,٩	٢,٥٧	٨١,١	٣,١١
المحافظات الوسطى	٢,٦	١,٨٨	٦,٨	٣,٤١	٨,٥	٢,٩٩	١٤,١	٣,٦٧	٢٥,٣	٣,٦٧
المحافظات الجنوبية	٢,٠	٠,٢٤	٠,٢	٠,٢٤	٢,٥	٢,٠٩	٢,٨	١,٩٨	٤,١	٢,٣٢

المصدر : الإحصاءات الرسمية للسكان .

ويلاحظ من هذا الجدول ، الارتفاع المستمر في نسبة الزيادة الطبيعية للسكان ، ويرجع السبب في ذلك إلى ازدياد الوعي الصحي وتوفر الخدمات الصحية بالمجان ، وارتفاع المستوى الاقتصادي . ولقد بلغ معدل النمو السكاني السنوي ٣,٦٪ عام ١٩٨٦ م .

وفي السنوات الأخيرة ، شجعت الجمهورية العراقية على زيادة النسل ، وذلك بإعطاء إعانات مالية تشجيعية لحاجة العراق إلى السكان ، لتنفيذ الخطط التنموية الطموحة . وتشير التقديرات المستقبلية إلى أن عدد سكان العراق سيصل إلى أكثر من ٢٦ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ م ، وهذا ما يوضحه الجدول رقم (١٣) .

جدول (١٣) تقدير عدد سكان العراق حتى سنة ٢٠٠٠ م

السنة	عدد السكان
١٩٨٦ م	١٦,٢٥٠,٠٠٠
١٩٩٠ م	٢٠,٥٠٠,٠٠٠
٢٠٠٠ م	٢٦,٣٠٠,٠٠٠

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية (سنوات مختلفة)

كثافة السكان :

تبلغ كثافة السكان نحو ٢٥ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد ، حسب إحصاء عام ١٩٧٤م ، وحوالي ٣٧ نسمة حسب إحصاء عام ١٩٨٦ م ،وهي لا تعطي الصورة الصحيحة لتوزيع السكان لأن كثيرًا من المناطق تكاد تكون قليلة السكان أو خالية منهم ، كما يبين الجدول رقم (١٤) .

ويلاحظ من هذا الجدول أن أكثر المحافظات كثافة هي محافظة بغداد العاصمة ، ويرجع ذلك إلى زيادة الهجرة الداخلية إليها ، ثم محافظة بابل التي تعد من أهم المناطق الزراعية ، فضلا عن كونها منطقة أثرية مهمة ، يلي ذلك محافظة التأميم النفطية .

جدول (١٤) توزيع السكان حسب المناطق في عامي ١٩٥٧ ، ١٩٧٦ م

المنطقة	السكان عام ١٩٥٧ م			السكان عام ١٩٧٦ م		
	العدد	٪ النسبة للمجموع	الكثافة كم٢	العدد	٪ النسبة المجموعة	الكثافة كم٢
العـــــــــراق	٦,٢٩٩,٠٠٠	١٠٠	١٤,٥	١١,٥٠٥,٠٠٠	١٠٠	٢٦,٥
المحافظـــات الشماليـــة	١,٧٢٣,٠٠٠	٢٧,٤	١٩,٥	٢,٩٦٦,٠٠٠	٢٥,٨	٣٣,٦
المحافظـــات الوسطـــى	٣٢٨٤٠٠٠	٥٢,١	١١,١	٦٦١٠,٠٠٠	٥٧,٥	٢٢,٣
محافظـــة بغـــداد	١,٣١٣,٠٠٠	٢٠,٨	٦٤,٤	٣,٣٩٢,٠٠٠	٢٩,٥	١٢٨,٧
المحافظـــات الجنوبيـــة	١,٢٩٢,٠٠٠	٢٠,٥	٢٤,٩	١,٩٩٣,٠٠٠	١٧,٣	٣٩,٧

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية (سنوات مختلفة) .

وهذا النوع من الكثافة يعرف بالكثافة الحسابية إلا أن هناك نوعًا آخر من الكثافة يعرف بالكثافة الزراعية (الفزيولوجية) وهو ذو أهمية بالغة في تقدير توزيع السكان . وتقدر الكثافة السكانية بالنسبة للأراضي القابلة للزراعة بـ ١٠٩,١ نسم / كم٢ .

ويلاحظ من الجدول أن المحافظات الجنوبية تمثل أكثر المناطق كثافة وتليها المحافظات الشمالية فالوسطى ، كما يلاحظ أن بغداد وهي من المحافظات الوسطى ترتفع فيها كثافة

السكان بنحو أربعة أضعاف الكثافة في جميع أنحاء العراق ، ويبين الجدول رقم (١٥) كثافة السكان في جميع المحافظات لسنة ١٩٧٦ م .

جدول (١٥) كثافة السكان في المحافظات العراقية المختلفة عام ١٩٧٦م

المحافظة	الكثافة – نسمة / كم٢
نينوى .	٢٨
صلاح الدين .	١٧
التأميم .	٤٧
ديالي .	٣٥
بغداد .	٦٠٤
الأنبار .	٥
بابل .	١٠٣
كربلاء .	٥
النجف .	١٢
القادسية .	١٣
المثنى .	٤
ذي قار .	٤٥
واسط .	٢٣
ميسان .	٢٥
البصرة .	٤٦
دهوك .	٣٤
أربيل .	٣٤
السليمانية .	٤٠

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٦ م .

التركيب النوعي للسكان :

أما بالنسبة للتركيب النوعي ، فالجدول رقم (١٦) يبين عدد السكان ذكورًا وإناثًا ، ونسبة كل منهم في السنواتِ المختلفة .

ويلاحظ أن النسبة تكاد تكون عادية فيما عدا سنة ١٩٤٧ م ، حيث نجد النسبة ٨٩,٠٠ رجل لكل ١٠٠ أنثى ، ولعل هناك خطأ في الإحصاء كما أن الكثير من القبائل العربية وسكان الريف كانوا لايسجلون أولادهم خوفًا وتهربًا من الجندية ، أو أن الرجال قد هاجروا إلى الكويت (حيث بدأ إنتاج النفط) للعمل ، وكانت الهجرة من الرجال دون النساء .

جدول (١٦) التركيب النوعي للسكان في سنوات مختلفة .

السنة	المجموع	إناث	ذكور	نسبة المجموع
١٩٢٧ م	٢,٩٦٨,٠٥٤	١,٤٥٥,٩٧٧	١,٥١٢,٠٧٧	١٠٤,٠٠
١٩٣٤	٣,٣٨٠,٥٣٣	١,٦٩٢,٢٩٤	١,٦٨٨,٢٣٩	٩٨,٥
١٩٤٧	٤,٨١٦,٢٧٥	٢,٥٥٨,٨٤٠	٢,٢٥٧,٤٣٥	٨٩,–
١٩٥٧	٦,٣٣٩,٩٦٠	٣,١٥٤,٨٤٣	٣,١٨٥,١١٧	٩٩,٨
١٩٦٥ م	٨,٠٩٧,٢٣٠	٣,٩٦٤,٠٦٨	٤,١٣٣,١٦٢	١٠٤,٥
١٩٧٠	٩,٤٤٠,٠٨٨	٤,٦٨٥,٨٦٤	٤,٧٥٤,٢٢٤	١٠١,٥
١٩٧٤	١٠,٧٦٥,٤٤٢	٥,٣٤٣,٥١٣	٥,٤٢١,٩٢٩	١٠١,٤
١٩٨٠ م	١٣,٢١٤,٠٨١	٦,٥٥٦,٧٥٢	٦,٦٥٧,٣٢٩	١٠١,٥

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية (سنوات مختلفة) .

توزيع السكان :

سكان العراق موزعون بين المدن والقرى ، وبعبارة أخرى بين الحضر والريف ، شأنهم في ذلك شأن بلاد العالم جميعًا .

إلا أن الملحوظ هو أن سكان الريف أخذوا ينزحون من قراهم مفضلين سكنى المدن ، حيث يجدون فرصًا أحسن للعمل وينعمون بحياة أفضل .

ويوضح الجدول رقم (١٧) توزيع سكان العراق على أقاليمه المختلفة ، في الفترة الممتدة من عام ١٩٤٧ م إلى ١٩٧٧ م ، مبينًا نصيب المدن في كل إقليم ومن استقراء هذا الجدول يتبين لنا ما يلي :

١ – أن نسبة سكان المدن إلى مجموع السكان بلغت سنة ١٩٤٧ م حوالي ٣٦٪ ثم غدت عام ١٩٥٧ م أكثر من ٣٨٪ ونحو ٥١٪ من مجموع السكان عام ١٩٦٥ م ، وفي عام ١٩٧٧ م بلغت نسبة سكان المدن ٦٣,٥٪ من مجموع سكان العراق ، وهذا شيء صحي إذا ما استغلت العمالة الزراعية في مجالات أخرى كالصناعة والخدمات ، وذلك في مقابل التوسع في ميكنة الزراعة لتعويض النقص في اليد العاملة الزراعية .

٢ – أن محافظة بغداد وحدها تمثل ٢٥,٥٪ من مجموع سكان المدن في كافة أنحاء العراق .

٣ – بلغت نسبة سكان المدن في عام ١٩٨٢ م نحو ٦٨٪ من جملة السكان ونحو ٦٩,٨٪ في عام ١٩٨٥ م .

ويستفاد من بيانات الجدول رقم (١٨) ، أن صافي الهجرة من الريف إلى الحضر قد بلغ ٢٢,٧٪ وهذه قضية تثير القلق وتحتاج إلى معالجة سريعة . وللهجرة من الريف إلى المدن أسباب كثيرة قد يكون بعضها :

(أ) الملكية الزراعية ومشاكلها .

(ب) تسويق المنتجات الزراعية والصعوبات التي تواجهه .

(جـ) نظام الري المتبع .

(د) جذب المدينة الكبير ، سواء من الناحية الاقتصادية وتوافر فرص العمل ، أو من ناحية توافر الخدمات الاجتماعية المختلفة كالمدارس والمستشفيات ...

(هـ) تطور تقنيات الزراعة ، مما جعل هناك فائضًا في اليد العاملة الزراعية .

جدول (١٧) توزيع السكان حسب المحافظات والمدن في بعض السنوات

المنطقة	مجموع السكان				سكان المدن			
	١٩٤٧ م	١٩٥٧	١٩٦٥	١٩٧٧ م	١٩٤٧ م	١٩٥٧	١٩٦٥	١٩٧٧ م
العراق	٤,٨٢٦,٠٠٠	٦,٢٩٩,٠٠٠	٨,٠٤٧,٠٠٠	١٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٧٣٤,٠٠٠	٢٤٤٥٠٠٠	٤١١٢,٠٠٠	٧,٦٦٧,٠٠٠
المحافظات الشمالية	١,٣٤٧,٠٠٠	١,٧٢٣,٠٠٠	٢,١١٨٠٠٠	٣,٠٨٤,٠٠٠	٤٨٢,٠٠٠	٥٧٧٠٠٠	٩٠٤,٠٠٠	١,٦٦٨,٠٠٠
المحافظات الوسطى	٢,٤٣١,٠٠٠	٣,٣٨٤,٠٠٠	٤,٤١٥,٠٠٠	٦,٩١٣,٠٠٠	١,١١٣,١١١	١٤٦٣٠٠٠	٢,٥٥٥,٠٠٠	٤,٦٧٧,٠٠٠
محافظة بغداد	٨١٧,٠٠٠	١,٣١٣,٠٠٠	٢,٠٤٥,٠٠٠	٣,٥٥٤,٠٠٠	٤٢٤,٠٠٠	٨٥٦,٠٠٠	١٥٩٧٠٠٠	٣,٠٧٨,٠٠٠
المحافظات الجنوبية	١,٠٤٧,٠٠٠	١,٢٩٢,٠٠٠	١,٥١٤,٠٠٠	٢,٠٠٤,٠٠٠	١٣٩,٠٠٠	٤٠٥,٠٠٠	,٦٥٣	١,٣٠١,٠٠٠

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية

جدول (١٨) الهجرة من الريف إلى المدن بالنسبة المئوية

مؤشرات الهجرة	مواليد سنة ١٩٧٣–١٩٧٤ م		مواليد سنة ١٩٧٤–١٩٧٥ م		متوسط معدلات السنين	
	حضر	ريف	حضر	ريف	حضر	ريف
هجرة داخلية	١٧,١	١٦,٠	١,٦	٨,٠	١٦,٦	١٢,٠
هجرة خارجية	٥,٧	٣٦,٢	٥,١	٣٣,٢	٥,٤	٣٤,٧
صافي الهجرة	١١,٤	٢٠,٢	١٠,٩	٢٥,٢	١١,٢	٢٢,٧

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٧٥ م .

القوة العاملة :

في ١٩٧٢/٥/٣١ م ، بدأ جهاز الإحصاء المركزي في عمل مسح عام لجميع العاملين في أجهزة الدولة ، من موظفين ومستخدمين وعمال . وكانت الغاية من هذا المسح توفير بيانات مفصلة عن المؤهلات والتخصصات العلمية والفنية الموجودة في أجهزة الدولة ، وتوزيعها ضمن الأنشطة المختلفة ، وكذلك التعرف على النقص والزيادة في بعض الاختصاصات ، من أجل العمل على تحسين استخدام الموارد البشرية المتاحة . وقد أظهرت نتائج المسح أن عدد العاملين في ١٩٧٢/٥/٣١ م ، بلغ ٣٨٥,٩٧٨ شخصًا ، يؤلف الذكور منهم ٨٧,٥٪ والإناث ١٢,٥٪ ، كما ظهر أن ١١٥٩٥٩ شخصًا (٣٠,٠٤٪) هم من الموظفين العاملين على الملاك الدائم ، وحوالي ٧٦٣٣٥ شخصًا (١٩,٧٨٪) من الموظفين والمستخدمين العاملين بموجب قوانين خدمة أخرى ، ونحو ١٢٤٥٣٨ شخصًا (٣٢,٢٧٪) هم من العمال بأجرة يومية .

وتهدف الدولة إلى تطوير تشغيل القوى العاملة ، بشكل يضمن حسن استغلالها وإعادة توزيعها على الأنشطة الاقتصادية ، بما يحقق أهداف التنمية ويؤدي إلى رفع كفاءتها

بشكل متواصل . ولقد ارتفع حجم التشغيل لكافة القطاعات الاقتصادية من ٢,٣ مليون مشتغل عام ١٩٦٨ م إلى أكثر من ثلاثة ملايين مشتغل في عام ١٩٧٦ م ، أي بزيادة قدرها ٢٧٪ . وكانت أعلى نسبة للزيادة في التشغيل في قطاعي البناء والتشييد ٨٠٪ ، والصناعة ٥٨٪ .

أما عن التوزيع القطاعي والنسبي للقوى العاملة ، فهو كما يبينه الجدول رقم (١٩) .

جدول (١٩) التوزيع العددي والنسبي للقوة العاملة (١٩٧٦ ، ١٩٨٠م)

قطـاع العمـل	التوزيع العددي		التوزيع النسبي	
	١٩٧٦ م	١٩٨٠ م	١٩٧٦ م	١٩٨٠ م
الزراعة والغابات والصيد	١٥٧١٠٠٠	١٥٧١٠٠٠	٪٥٣,٠٣	٪٤٤,٧٥
المقاطع والتعدين	٢١٤٠٠	٢٨١٠٠		
الصناعات التحويلية	٢٣٢٨٠٠	٤٥٠٠٠٠	٪٩,٢٩	٪١٤,٦٥
الكهرباء والماء والغاز	٢١٠٠٠	٣٦١٠٠		
البناء والتشييد	١١٩٢٠٠	٢٢٣٠٠٠	٪٤,٠٢	٪٦,٣٥
القطاعات السلعية	١٩٦٥٤٠٠	٢٣٠٨٢٠٠	٪٦٦,٣٤	٪٦٥,٧٥
النقل والمواصلات	١٤٦٥٠٠	١٨٤٨٠٠		
تجارة الجملة والمفرد وخدمات الفنادق وغيرها	٢٠١٥٠٠	٢٦٩٣٠٠	٪١٢,١٥	٪١٣,٣٩
البنوك والتأمين	١١٨٠٠	١٥٧٠٠		
الخدمات (بدون ملكية العقارات)	٦٣٧٢٠٠	٧٣٢٠٠٠	٪٢١,٥١	٪٢٠,٨٦
الجملـــة	٤٩٢٧٨٠٠	٥٨١٨٢٠٠	٪١٠٠	٪١٠٠

المصدر : خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٦ - ١٩٨٠ ص ١٣ - ١٤ .

ومن استقراء هذا الجدول نتوصل إلى الحقائق التالية :

١ – ارتفاع أهمية القطاع الزراعي ، حيث يعمل في هذا القطاع حوالي ٥٠٪ من القوة العاملة ، ولكن يلاحظ وجود هبوط في نسبة العمالة بين عام ١٩٧٦ م ، و ١٩٨٠ م ، ويرجع السبب في ذلك إلى جذب القطاعات الأخرى ، وعلى الأخص الصناعات التحويلية ، وبالإمكان تخفيض عدد العاملين في القطاع الزراعي إذا رغبت الحكومة في ذلك ، وخاصة أن هناك حاجة ماسة للأيدي العاملة في القطاعات الاقتصادية الأخرى ولاسيما في القطاع الصناعي .

٢ – ارتفاع نسبة القوة العاملة في القطاعات الأخرى بصورة متوازية مع زيادة السكان واهتمامات الدولة .

أما حجم القوة العاملة بالنسبة لعدد السكان ، فيوضحها الجدول رقم (٢٠) ويتبين من استقراء الجدول ، أن نسبة قوة العمل بالنسبة لعدد السكان متدنية ، بينما تتراوح في

جدول (٢٠) حجم القوة العاملة بالنسبة لعدد السكان (١٩٧٠ – ١٩٨٥م)

السنة	مجموع السكان	مجموع القوة العاملة	حجم القوة العاملة إلى السكان (٪)
١٩٧٠ م	٩,٤٤٠,٠٠٠	٢,٦٦٤,٩٠٠	٪٢٨,٢٣
١٩٧٥	١١,١٢٤,٣٠٠	٣,١٨١,٥٠٠	٪٢٨,٦
١٩٨٠	١٣,٢١٤,٠٨١	٣,٥١٠,٠٠٠	٪٢٦,٥
١٩٨٥ م	١٥,٧٥٠,٠٠٠	٤,٢٥٩,٠٠٠	٪٢٧,٠

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٨٥ م .

الدول المتقدمة بين ٤٥٪ و ٥٦٪ من مجموع السكان ، فهي في اليابان مثلا تصل إلى ٦٨٪ من السكان ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى نفس ما حدث في دول الخليج العربي ، عندما تدفقت عوائد البترول ، ترك كثير من السكان الحرف التقليدية ، وتوجهوا إلى حرف أخرى كالمقاولات . وتشير التوقعات إلى أن حجم القوة العاملة

سيصل إلى ٥,١١٩,٠٠٠ عام ١٩٩٠ م ، وإلى ٧,٦٣٣,٠٠٠ عام ٢٠٠٠ م .

أما عن نسبة المشتغلين في سن العمل في تعداد ١٩٧٧ م فهي كما في الجدول رقم (٢١) .

جدول (٢١) نسبة المشتغلين في قوة العمل (١٩٧٧ م)

السكان	النـــوع	المجمـــوع
مجموع السكان في سن العمل	المجموع	٥,٤٣٤,٠٠٠
١٤ – ٥٩ سنة	ذكـور	٢,٧٨٧,٠٠٠
	إنـاث	٢,٦٤٧,٠٠٠
مجموع المشتغلين في سن العمل في	المجموع	٢,٦٥٣,٠٠٠
جميع القطاعات الاقتصادية	ذكـور	٢,٢٢٢,٠٠٠
	إنـاث	٤٣١,٠٠٠
نسبة المشتغلين إلى مجموع السكان	المجموع	٤٨,٨٪
في سن العمل	ذكـور	٤٠,٩٪
	إنـاث	٧,٩٪

المصدر : فاضل الأنصاري ، مشكلة السكان ، نموذج القطر العراقي ص ٢٩٧ .

ويبدو من هذا الجدول مدى ضآلة نسبة مشاركة الإناث في النشاط الاقتصادي ، حيث كانت غالبية النساء العاملات قبل عام ١٩٦٨ تنتمي إلى فئة النساء المتعلمات ، اللاتي كانت نسبتهن تشكل ٢٦٪ من مجموع العاملين . بينما لم تكن نسبة العاملات غير المتعلمات للعام نفسه تزيد عن ٤,٣٪ من مجموع العاملين غير المتعلمين ، وقد ارتفعت هذه النسبة إلى ١٠٪ عام ١٩٧٦م[٥٧] .

جدول (٢٢) النمو السنوي للقوة العاملة ، ونسبة البطالة والتشغيل (١٩٧٣–١٩٧٥م)

السنة	مجموع القوة العاملة	نسبة النمو السنوي	مجموع التشغيل	نسبة نمو التشغيل	مجموع البطالة	نسبة التشغيل الكلي في القوة العاملة	نسبة البطالة من القوة العاملة
١٩٧٣ م	٢٩٦٢٣٠٠	٣,٦٤٪	٢,٧٦٢,٢٠٠	٣,١٩٪	٢٠٠١٠٠	٩٢,٢٤٪	٧,٧٦٪
١٩٧٤	٢٠٧٠٣٠٠	٣,٦٤٪	٢,٨٥١,٤٠٠	٣,٢٢٪	٢١٨٩٠٠	٩٢,٨٧٪	٧,١٣٪
١٩٧٥ م	٣١٨١٥٠٠	٣,٦٢٪	٢,٩٤١,٤٠	٣,١٥٪	٢٤٠١٠٠	٩٢,٤٥٪	٧,٥٥٪

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٥ م .

ويظهر من بيانات الجدول رقم (٢٢) ارتفاع عدد العاطلين عن العمل ، حيث بلغ حوالي ربع مليون عام ١٩٧٥ م ، وهو ما يعادل ٨٪ من مجموع القوة العاملة . وتبدو الصورة أكثر تشاؤمًا ، حيث نطالع بيانات عام ١٩٧٧ م ، والموضحة في الجدول رقم (٢٣) .

جدول (٢٣) نسبة البطالة والتشغيل عام ١٩٧٧ م

السكان	النوع	المجموع	الحضر	الريف
مجموع السكان في	المجموع	٥٤٣٤	٣٦١٢	١٨٢٢
سن العمل ١٤–٥٩ سنة	الذكور	٢٧٨٧	١٩١٠	٨٧٧
(ألف نسمة)				
	الإناث	٢٦٤٧	١٧٠٢	٩٤٥
مجموع المشتغلين	المجموع	٢٦٥٣	١٦٤٥	١٠٠٨
في سن العمل	الذكور	٢٢٢٢	١٤٧١	٧٥١
في جميع القطاعات	إناث	٤٣١	١٧٤	٢٥٧
الاقتصادية (ألف نسمة)				
نسبة المشتغلين إلى	المجموع	٤٨,٨	٤٥,٥	٥٥,٣
مجموع السكان في سن	الذكور	٤٠,٩	٤٠,٧	٤١,٢
العمل ٪	إناث	٧,٩	٤,٨	١٤,١

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٧ م .

ويستفاد من هذه البيانات ، أن نسبة المشتغلين عام ١٩٧٧ م ، لم تزد على ٤٩٪ من جملة السكان القادرين على العمل ، وهذا يدل على أن ما نسبته ٥١٪ من هؤلاء السكان القادرين على العمل ، هم من المعالين اقتصاديا ، ويظهر ذلك إذا تابعنا تطور القوة العاملة من عام ١٩٦٥ م حتى عام ١٩٧٧ م ، كما يبينه الجدول رقم (٢٤) .

جدول (٢٤) القوة العاملة خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٧٧ م

السكان	السنة		
	١٩٦٥ م	١٩٧٠ م	١٩٧٧ م
مجموع السكان في سن العمل (١٤ - ٥٩ سنة) (١٠٠٠)	٣٧٤٧	٤٣٩٩	٥٤٣٤
مجموع المشتغلين في سن العمل في جميع القطاعات (١٠٠٠)	١٩٨٥	٢٢٥٣	٢٦٥٣
نسبة المشتغلين في سن العمل إلى مجموع السكان فى سن العمل ٪	٥٣,٠٪	٥١,٢٪	٤٨,٨٪

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٧ م .

ويستفاد من بيانات هذا الجدول ما يلي :

١ - أن عدد المشتغلين في سن العمل قد ازداد بمقدار ٦٦٨,٠٠٠ عامل على مدى ١٢ سنة إلا أن نسبتهم إلى مجموع السكان قد هبطت بما يعادل ٤,٢٪ .

٢ - أن نسبة المشتغلين في جميع القطاعات لاتزيد عن ٢٢٪ من المجموع الكلي للسكان عام ١٩٧٧ م ، وهذه النسبة المنخفضة تدل على مدى تزايد الحاجة إلى الأيدي العاملة لاستغلال الإمكانيات الاقتصادية المتاحة .

التنمية البشرية :

أشرنا من قبل إلى أن التنمية البشرية هي القاعدة التي يرتكز عليها أي تقدم تهدف الدول إلى بلوغه ، حتى تنعم شعوبها بحياة هانئة وتعيش آمنة من الخوف والجوع والمرض .

والتنمية البشرية بمعناها الشامل تعني العناية بتربية النشء والنهوض بمستوى فئات الشعب المختلفة في الناحيتين العقلية والصحية . وفيما يلي عرض للجهود التي بذلت في هذا الصدد :

أولًا التعليم : تطور التعليم في العراق تطورًا كبيرًا من حيث الكم والكيف ولاسيما في الفترة (١٩٦٨ – ١٩٨١) (جدول ٢٥) .

جدول (٢٥) عدد الطلبة في مختلف المراحل الدراسية ١٩٦٨ ، ١٩٧٥ ، ١٩٨١

السنة / المرحلة الدراسية	١٩٦٨ م	١٩٧٥ م	١٩٨١ م
رياض الأطفال	١٤٥٠٠	٣٥٣٠٠	٧٦٥٠٠
الابتدائي	١,٠١٠,٠٠٠	١,٧٠٠,٠٠٠	٢,٦٠٠,٠٠٠
الثانوي	٢٨٥,٧٠٠	٤٨٧,٨٠٠	١,٠١٠,٠٠٠
المهني	٨٦٠٠	٢٣٣٠٠	٥٣٢٠٠
الجامعي	٢٨٦٠٠	٧٥٥٠٠	١١٢٤٠٠

المصدر : التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع : ص ٩٤ – ٩٥ .

ويستفاد من بيانات هذا الجدول ، أن عدد الأطفال في الرياض المختلفة قد تضاعف أكثر من خمس مرات في الفترة ١٩٦٨ – ١٩٨١ . وفي نفس هذه الفترة نلاحظ أن عدد الطلبة قد تضاعف مرتين ونصف مرة تقريبًا في المرحلة الابتدائية ، وحوالي أربع مرات في المرحلة الثانوية ، وأكثر من ست مرات في التعليم المهني ونحو أربع مرات في

المرحلة الجامعية .

وتوضح بيانات الجدول رقم (٢٦) تطور عدد رياض الأطفال ، وعدد الأطفال والمعلمات ، إذ إن الإناث هن اللواتي يقمن بالتعليم في هذه الرياض .

ويلاحظ من هذا الجدول ، مدى الزيادة الكبيرة التي طرأت على عدد الأطفال والمعلمات ، وأن نصيب كل معلمة من الأطفال تعد نسبته معقولة . ولقد زادت نسبة الأطفال بنحو ٣٥٪ بين ١٩٧٨ م و ١٩٨١ م ، حيث بلغ عدد منسوبي رياض الأطفال (٧٦٥٠٠) طفل .

جدول (٢٦) عدد رياض الأطفال والمعلمات والأطفال (١٩٧٠ – ١٩٧٧م)

السنــة	عدد الرياض	عدد الأطفال	عدد المعلمات	عدد الأطفال لكل معلمة واحدة
١٩٧٠ – ٧١ م	١٢٤	١٣٤٦٢	٧٦٢	١٧,٦
٧١ – ١٩٧٢	١٣٤	١٤٠٢٤	٦١٤	٢٢,٨
٧٢ – ١٩٧٣	١٣٧	١٥٥٨٣	٦٦٥	٢٣,٤
٧٣ – ١٩٧٤	١٤٩	١٦٨٣١	٨٦٧	١٩,٤
٧٤ – ١٩٧٥	٢٠٢	٣٥٥٥١	١٣٩٧	٢٥,٤
٧٥ – ١٩٧٦	٢٤٠	٤٣١٢٨	١٨٨٦	٢٢,٩
٧٦ – ١٩٧٧	٢٧٦	٥١٨٤٠	٢٢٩١	٢٢,٦
٧٧ – ١٩٧٨ م	٣٠٦	٥٦٣٤٧	٢٦٠٣	٢١,٦

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية (سنوات مختلفة) .

أما فيما يخص عدد المدارس والتلاميذ والمعلمين في المرحلة الابتدائية ، فهذا ما يتضح من الجدول رقم (٢٧) .

ويستفاد من بيانات هذا الجدول ، أن عدد المدارس قد زاد بنسبة ٤٦٪ خلال الفترة ١٩٧١/٧٠ – ١٩٧٨/٧٧ م . وفي هذه الفترة نفسها زاد عدد التلاميذ الذكور بنسبة ٦١٪ بينما زاد عدد الإناث بنسبة ٢٣٤٪ . أما عدد المدرسين فقد زاد بنسبة ٥٨٪ ،

جدول (٢٧) عدد المدارس والتلاميذ والمدرسين في المرحلة الابتدائية (١٩٧٠–١٩٧٧م)

السنة	عدد المدارس	عـــدد التلامـــيذ				المجموع	عدد المدرسين	عدد الطلبة لكل مدرس
		ذكور	٪	إناث	٪			
١٩٧٠ – ١٩٧١ م	٥٦١٧	٧٩٤٧٦١	٧٠,٩	٣٢٥٤٥٢	٢٩,١	١١٢٠٢١٣	٤٩٥٦٥	٢٢,٦
١٩٧١ – ١٩٧٢	٥٩١٨	٨٥٢٦٥٢	٧١,١	٣٤٧٣٩٢	٢٨,٩	١٢٠٠٠٤٤	٥٤٠١٦	٢٢,٢
١٩٧٢ – ١٩٧٣	٦٢٦٩	٩١٦٦٢٠	٧٠,٩	٣٨١١٣٦	٢٩,٤	١٢٩٧٧٥٦	٥٤٩٧٩	٢٣,٦
١٩٧٣ – ١٩٧٤	٦٧٣١	٩٨٣٣١١	٦٩,٨	٤٢٤٥٠٨	٣٠,١	١٤٠٧٨١٩	٥٨٤٣٠	٢٤,٠
١٩٧٤ – ١٩٧٥	٦١٧٠	١٠٣٠٣٨٧	٦٧,٧	٤٩١٢١٧	٣٢,٢	١٥٢١٦٠٤	٥٧٤٩٠	٢٦,٤
١٩٧٥ – ١٩٧٦	٧٦٠٢	١١٧٨٠٤٨	٦٦,٦	٥٨٩٥٣٧	٣٣,٣	١٧٦٧٥٨٥	٦٩٢٢٤	٢٥,٥
١٩٧٦ – ١٩٧٧	٨١٥٦	١٢٥٩٩٦٢	٦٤,٧	٦٨٧٢٢٠	٣٥,٣	١٩٤٧١٨٢	٧٠٧٩٩	٢٧,٥
١٩٧٧ – ١٩٧٨ م	٨٣٨٧	١٢٨٣٤٩٤	٦٢,٦	٧٦٥٠٧٢	٣٧,٤	٢٠٤٨٥٦٦	٧٨٠٦٠	٢٦,٢

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٧ م .

وإن كانت هذه الزيادة لم تواكب الزيادة المطردة في عدد التلاميذ ، بدليل ارتفاع نصيب المدرس الواحد من ٢٢,٦ تلميذًا في عام ١٩٧١/٧٠ م إلى ٢٦,٢ تلميذًا في عام ١٩٧٨/٧٧ م .

ويوضح الجدول رقم (٢٨) عدد المدارس والطلبة والمدرسين في المرحلة الثانوية . ومن استقراء هذا الجدول نتبين الحقائق التالية :

١ – ارتفاع عدد المدارس بنسبة تقدر بأكثر من ٥٠٪ خلال الفترة ١٩٧١/٧٠ – ١٩٧٨/٧٧ م .

٢ – أن عدد الطلبة الذكور قد تضاعف وبلغت نسبة الزيادة ٢١٧٪ وكذلك الطالبات ، حيث بلغت زيادتهن أكثر من ٢٢١٪ .

٣ – أن عدد المدرسين ارتفع تبعًا لذلك بنسبة ٦٤٪ وبلغ عدد الطلبة لكل مدرس حوالي ٣١ طالبًا ، وهي نسبة معقولة . وهنا لابد من الإشارة إلى أن التعليم الثانوي منقسم إلى أدبي وعلمي وتجاري .

هذا وقد هدفت خطط تطوير التعليم إلى توجيه الطلبة نحو التعليم الفني أو المهني لتلبية احتياجات مخططات التنمية الطموحة .

ويبين الجدول رقم ٢٩ تطور التعليم الفني في الفترة ١٩٨٠/٧٩ – ١٩٨٤/٨٣ . ويستفاد من بيانات هذا الجدول ، أن عدد الطلاب قد تضاعف مرة ونصف مرة خلال هذه الفترة ، بينما زاد عدد المدارس عن الفترة نفسها بنسبة ٣٥٪ تقريبًا .

ويلاحظ أن التعليم الصناعي يستوعب أكبر عدد من طلبة التعليم الفني ، حيث بلغت نسبة عدد الطلاب المنتسبين فيه حوالي ٥٢٪ من مجموع طلبة التعليم الفني عام ١٩٨٤/٨٣ م ، وعلى العكس من ذلك نلاحظ أن التعليم الصحي يستوعب أقل عدد من طلبة التعليم الفني ، إذ لا يستوعب سوى ٦,٥٪ من إجمالي هؤلاء الطلبة كما أنشئت معاهد لإعداد معلمي المراحل الابتدائية . ولقد بلغ مجموع عدد الطلبة في معاهد إعداد المعلمين نحو ١٧٣٣٧ طالبًا عام ٧٧ – ١٩٧٨ ، بينما بلغ عدد تلك المعاهد في السنة نفسها ٣٢ معهدًا .

جدول (٢٨) عدد المدارس والطلبة والمدرسين في المرحلة الثانوية (١٩٧٠-١٩٧٧م).

السنة	عدد المدارس	عـــدد التلامـــيذ				المجموع	عدد المدرسين	عدد الطلبة لكل مدرس
		ذكور	٪	إناث	٪			
١٩٧٠ – ١٩٧١ م	٩٢١	٢١٥٦٤٥	٧٠,٩	٨٨٥٩٥	٢٩,١	٣٠٤٢٤٠	١٢٣٠٩	٢٤,٧
١٩٧١ – ١٩٧٢	٩٩٥	٢٢٤٥٣٣	٧٠,٨	٩٣٥٧٣	٢٩,٢	٣١٨١٠٦	١٣٧٦٢	٢٣,٠
١٩٧٢ – ١٩٧٣	١٠٣٣	٢٥٠٠٨٣	٧٠,٨	١٠٣٠٣١	٢٩,٢	٣٥٣١١٤	١٤٣٣٨	٢٤,٦
١٩٧٣ – ١٩٧٤	١٠٦٤	٢٧١٣٣٧	٧٠,٤	١١٣٨٠٦	٢٩,٦	٣٨٥١٤٣	١٤٩٩٢	٢٥,٧
١٩٧٤ – ١٩٧٥	١٠٩٩	٣٢٠٩٤٧	٧٠,٨	١٣١٩٦٤	٢٩,٢	٤٥٢٩١١	١٦٦٤٢	٢٧,٢
١٩٧٥ – ١٩٧٦	١٢٢١	٣٥٢١٨٤	٧١,٤	١٤١٢٧٣	٢٨,٦	٤٩٣٤٥٧	١٨٤٧٢	٢٦,٧
١٩٧٦ – ١٩٧٧	١٣٢٠	٣٩١٣٨٣	٧٠,٤	١٦٣٨٠١	٢٩,٦	٥٥٥١٨٤	١٩٥٧٣	٢٨,٤
١٩٧٧ – ١٩٧٨ م	١٣٨٤	٤٦٨١٦٤	٧٠,٤	١٩٦١٣٣	٢٩,٦	٦٦٤٢٩٧	٢١٢٥٦	٣١,٣

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٨ م .

جدول (٢٩) عدد الطلبة والمدارس في التعليم الثانوي الفني خلال الفترة
٧٩/١٩٨٠ – ٨٣/١٩٨٤ م

التخصصات	الصناعي		التجاري		الزراعي		الصحي		المجموع	
السنوات الدراسية	عدد المدارس	عدد الطلبة	عدد المدارس	عدد الطلبة	عدد المدارس	عدد الطلبة	عدد المدارس	عدد الطلبة	عدد المدارس	عدد الطلبة
٧٩ / ١٩٨٠ م	٥٠	٣٠٩٦٨	٤٨	١٤٥٦٩	٢٨	٨٤٨٩	٢١	١٠٠٤	١٤٧	٥٥٠٣٠
٨٠ / ١٩٨١	٦٣	٣١١٨٢	٥٠	١٦٦٤٣	٣٠	٩٠١٠	٢٢	١٩٣٦	١٦٥	٥٨٧٧١
٨١ / ١٩٨٢	٦٧	٢٨٢٠٥	٥١	١٧٠٣٦	٣٠	٧٩٦٢	٢٢	٢٧٨٠	١٧٠	٥٥٩٨٣
٨٢ / ١٩٨٣	٦٩	٣٢٢٤٩	٥٧	٢٠٦٢٠	٣١	٥٨١٤	٢٢	٣٠٩٦	١٧٩	٦٤٤٧٩
٨٣ / ١٩٨٤ م	٨١	٤٣٥٠٣	٦٥	٢٥٢٢٦	٣٠	٨٧٠٤	٢٢	٥٤٠٩	١٩٨	٨٢٨٤٢

المصدر : طارق على العاني : التعليم المهني في الوطن العربي ص ١٤٥ ، تونس ، ١٩٨٤ م .

أما فيما يخص التعليم العالي والجامعي ، فقد تطور كثيرًا في عدد الطلبة وفي تنوع الدراسات بالإضافة إلى الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) . والجدول رقم (٣٠) يبين عدد الطلبة في الجامعات والكليات والمعاهد الفنية العليا .

ويلاحظ من هذا الجدول مدى الزيادة الكبيرة التي طرأت على عدد الطلبة ومدى تنوع الدراسات في مرحلة التعليم الجامعي . كما يلاحظ أن نصيب عضو الهيئة التدريسية ١٩ طالبا ، وهي نسبة عالية في مرحلة التعليم الجامعي . وفي عام ١٩٨٢/١٩٨٣ م بلغ عدد الطلبة في التعليم العالي نحو ١١٨١٥٥ منهم نحو ٣٥٨٩٣ من الإناث ، أي ما يعادل ٣٠,٤٪ من مجموع الطلبة .

أما من فاتهم قطار التعليم من الكبار فقد استفاد كثيرٌ منهم من مخططات محو الأمية الطموحة التي بلغ عدد المراكز المشرفة على تنفيذها ٢٤٤٦ مركزًا في ١٩٧٧م ، ولم يكن عدد تلك المراكز يتعدى ٢٥٥ مركزًا حتى عام ١٩٦٥ م . هذا وقد بلغت نسبة الأمية لفئة السن (١٥ – ٤٥) نحو ٤٢,٩٪ في عام ١٩٨٤ م ونحو ٤١,٢٪ في عام ١٩٨٥م. وقد لوحظ ارتفاع نسبة الأمية بين الوافدين وعلى الأخص بين سكان الريف .
ومما لوحظ أيضًا ارتفاع عدد الدارسين من حوالي ٥٠٠٠ في عام ١٩٦٥ م إلى أكثر من ١٥٠,٠٠٠ دارس في عام ١٩٧٧م . وفي العام ١٩٧٨ م صدر قانون الحملة الشاملة لمحو الأمية وتم تخصيص ٦٦ مليون دينار عراقي لإنجاز الحملة . ولقد بدأت تلك الحملة في أواخر عام ١٩٧٨م وانتهت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨١ م حيث تم فتح مئات من مراكز محو الأمية التي استوعبت القسم الأعظم من الأميين ، ولقد استفاد من الحملة الشاملة لمحو الأمية ٧٦,٤٪ من مجموع الأميين في القطر بما يعادل ١,١١٧,٤٩٤ من الإناث ، و ٤١٣٥٠٤ من الذكور ، وبمجموع يساوي ١٥٨٨٩٩٨ مواطنًا ومواطنة ولم يتبق من الأميين سوى ٤٠٢٣١٥ مواطن ومواطنة ، هم الدارسون حاليًا فى المراكز المذكورة[٥٨] . وقد أدت الحملة الشاملة وما سبقها من جهود إلى القضاء على الأمية الهجائية نهائيا من بداية عام ١٩٨٦ م[٥٩] .

جدول (٣٠) عدد الطلبة في الجامعات والكليات والمعاهد الفنية العليا (١٩٧٣/٧٢ – ١٩٧٨/٧٧ م)

الجامعة	١٩٧٣/٧٢ م	١٩٧٥/٧٤	١٩٧٦/٧٥	١٩٧٧/٧٦	١٩٧٨/٧٧ م	الهيئة التدريسية في الجامعة ١٩٧٨/٧٧م		
						ذكور	إناث	الجملة
جامعة بغداد	٢٢٢٦٣	٢٦٩٦١	٢٦٩٥٦	٣١٣٥٤	٣٠٨٠٩	١٤٠٦	٢٩١	١٦٩٧
جامعة البصرة	٥٣٣٠	٧٨٣٥	٨٦١٤	٩١٢١	٩٤٠٠	٤٠١	٣٦	٤٣٧
جامعة الموصل	٥٨٥٠	٧٣٢٥	٨٩٧٧	٩٩٤٤	١٠٢٤٧	٥٦١	٥٢	٦١٣
جامعة السليمانية	٢٠٤٤	٢٢٨٩	٢٨٥٨	٣٦٤٧	٤١٦٧	٢٧٩	١٢	٢٩١
جامعة المستنصرية	١٧٢٧٣	١٨٩٠٣	١٦٨٥٦	١١٨٦١	١١٠٢١	٢٢٤	٥٨	٢٨٢
مؤسسة المعاهد الفنية	٣٣١١	٤٢٦٤	٥٧٩٤	٩٣١٣	١٢٢٤٢	١٧٩	٥	١٨٤
الجامعة التكنولوجية	—	—	٤٩٥٩	٥٦٠٩	٦٧٢٤	٧٤٨	٢١٢	٩٦٠
الكليات الدينية	٢٣٨٠	٢٦٧٠	٥٨٤	١٤٩	٧٨٩	٣٢	—	٣٢
المجموع	٥٨٣٥١	٧٠٢٤٧	٧٥٥٩٨	٨٠٩٩٨	٨٥٣٩٩	٣٨٣٠	٦٦٦	٤٤٩٦

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٨ م .

ثانيا – الرعاية الصحية : عملت الخطة بعيدة المدى (١٩٧١ – ١٩٩٥) على توفير الخدمات الصحية المجانية لسكان البلاد في عام ١٩٩٥ . وتحقيقًا لهذا الهدف تتوفر للمواطنين خدمات صحية بالمجان أو بأجور رمزية في المستشفيات والمستوصفات المختلفة ، كما شيد معمل ضخم للأدوية في سامراء (شمال بغداد) وبنيت عدة مستشفيات وفتح الكثير من العيادات الطبية الشعبية كما يوجد في البلاد عدة كليات لتخريج الأطباء في مختلف التخصصات ، فضلًا عن أعداد كبيرة من المدارس والمعاهد التي يتخرج فيها الممرضون والممرضات ، والجدول رقم (٣١) يبين تطور الخدمات الصحية خلال الفترة ١٩٦٨ – ١٩٨١ م .

ومن استقراء هذا الجدول ، تتبين الملاحظات التالية :

١ – زيادة عدد الأطباء زيادة كبيرة بنسبة ٣١٣٪ في فترة ١٣ سنة ، ولكن يلاحظ ارتفاع عدد السكان للطبيب الواحد ٢٣٦٠ شخصًا ، مع العلم بأن الوضع في الدول المتقدمة هو ألف مواطن لكل طبيب . وكان الوضع أسوأ في الماضي ، ففي عام ١٩٧٠ م بلغ عدد السكان لكل طبيب حوالي ٣٢٤٦ ، وحوالي ٣٠٧٩ في عام ١٩٧١ م ، وحوالي ٢٨٦٨ نسمة عام ١٩٧٢ م ، ونحو ٢٣٧٠ مواطنًا للطبيب الواحد عام ١٩٧٧ م ، وفي عام ١٩٨٥ م بلغ العدد نحو ٢٠٠٠ مواطن للطبيب الواحد .

جدول (٣١) الخدمات الصحية خلال الفترة ١٩٦٨ – ١٩٨١ م .

السنة / المؤسسات الصحية	١٩٦٨ م	١٩٧٥ م	١٩٨١ م
المستشفيات	١٤٩	١٦٧	٢٠٣
عدد الأسرة	١٦٣٠٠	٢٢١٠٠	٢٥٣٠٠
مؤسسات صحية	٩٣٣	١٥٠٥	١٧٤٥
العيادات الطبية الشعبية	–	٥٥	١٢٢
عدد الأطباء	١٧٥٩	٤٤٧٨	٥٥١٨

المصدر : التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع : ص ٩٨ .

٢ – وبالرغم من زيادة عدد المستشفيات ، إلا أنه من الملاحظ ارتفاع معدل عدد السكان لكل سرير وهو ٥١٤ مواطنًا ، بينما نجد أن هذا المعدل يتراوح بين ٦٠ – ٨٠ شخصًا لكل سرير في ألمانيا الديمقراطية ، و ١٠٠ شخص لكل سرير في بريطانيا .

٣ – فيما يخص أطباء الأسنان ، فقد كان عددهم عام ١٩٧٠ م نحو ٣٥٦ طبيبًا ، وبلغوا سنة ١٩٧٥ م نحو ٦٨٦ طبيبا ، وقد كان عدد السكان لكل طبيب حوالي ٢٦٥١٧ مواطنًا ، ثم انخفض العدد عام ١٩٧٣ م ليصبح حوالي ١٧٢٤٠ شخصًا لكل طبيب . فكان من نتائج توفير المستلزمات الصحية الضرورية أن تحسن مستوى الخدمات المقدمة للمواطنين ، وشمل ذلك رعاية الأمومة والطفولة وخاصة في المناطق الريفية والشعبية ، كما أسهم نظام التأمين الصحي ، ونظم التدرج الطبي ، وإنشاء العيادات الشعبية والاستشارية التخصصية في الارتقاء بالأداء الصحي في سائر أنحاء البلاد ولعل أحد أهم مظاهر هذه المجهودات مجتمعة ارتفاع معدلات العمر المرتقب للأحياء . فقد كان معدل العمر المرتقب عند الولادة نحو ٤٥ سنة عام ١٩٦٠ م ، ارتفع إلى ٥٣ سنة عام ١٩٧٥ م ، و ٥٥ سنة عام ١٩٧٧ م ، و ٥٦ سنة عام ١٩٨٠ م ، و ٦١ سنة عام ١٩٨٥ م[٦٠] .

ثالثا – الرعاية الاجتماعية : بلغ نصيب الفرد من الناتج الإجمالي في عام ١٩٨٠ م نحو ٣٠٢٠ دولارا ، وهو مؤشر جيد على مستوى التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي بلغته البلاد وذلك في إطار هدفين أساسيين عملت خطط التنمية على تحقيقهما :

(أ) اقتصادي يرتبط بدور القوى البشرية في عملية الإنتاج الاقتصادي .

(ب) اجتماعي يرتبط بخدمة الشعب وتأمين أفضل مستويات المعيشة الممكنة في كافة المجالات .

ولقد حرصت الجهات المنوط بها تنفيذ مخططات التنمية الاجتماعية والاقتصاددية على توفير أفضل الخدمات للمواطنين وتوزيعها الذي يحقق العدالة بين الريف والحضر إضافة إلى التركيز على المناطق الشعبية والمناطق الأكثر تخلفًا . كما عملت تلك الجهات على توفير السكن لمختلف المواطنين سواء بتوزيع الأراضي وتقديم القروض أو ببناء المساكن ، كما

عملت على توصيل الماء النقي إلى المناطق المحرومة . ولقد بلغت نسبة الذين يستطيعون الحصول على ماء نقي في عام ١٩٧٧ م أكثر من ٦٦٪ من السكان بل إن نسبة من يحصلون على الماء النقي في المدن قد وصلت إلى ٩٠٪ وتبذل جهود مكثفة لإيصال الماء النقي إلى سكان القرى والأرياف ، وذلك عن طريق تأسيس وحدات مجمعة ، يزيد عددها على ٢٠٠ وحدة . ولقد زادت القدرة الإنتاجية لمشاريع الماء في القطر إلى الضعف ، حيث بلغت (١,٤) مليون متر مكعب في اليوم في عام ١٩٧٧م ، وازداد عدد المنتفعين خلال هذه الفترة من ٢,٧ مليون نسمة إلى ٨ ملايين نسمة .

ويجري الآن تنفيذ أكثر من ١٠٠ مشروع لتأمين متطلبات المدن والقصبات الرئيسة في مختلف أنحاء البلاد من الماء النقي الصالح للشرب . وقد وصلت نسبة السكان الذين يتمتعون بالمياه الصالحة عام ١٩٨٠م نحو ٩٦٪ من سكان الحضر ، ونحو ٣٧٪ من سكان الريف[٦١] .

كما ازدادت طاقات توليد الكهرباء من ٥٦٠ ميجاوات في عام ١٩٦٨ م إلى ١٦٠٠ ميجاوات في عام ١٩٧٨ م وإلى ٤٠٠٠ ميجاوات في عام ١٩٨٠ م . وقد ارتفع استهلاك الطاقة الكهربائية فأصبح استهلاك الفرد العراقي من الكهرباء يقدر بنحو ٤٢٥ كيلو وات / ساعة ، بعد أن كان ١٥٠ كيلو وات / ساعة عام ١٩٦٨م ، وارتفعت نسبة سكان الريف الذين يحصلون على الكهرباء إلى ٥٠٪ في عام ١٩٧٧ م ، وإلى ٧٠٪ في عام ١٩٨٠ م ، بعد أن كانت النسبة لا تزيد على ١٤٪ في عام ١٩٦٨ م .

ليس ذلك فحسب بل امتد الأمر إلى الريف بهدف رفع مستوى معيشة سكانه وتم ذلك بسبب إنشاء الدور السكنية ونشر التعليم وفتح المستوصفات الصحية والتأمين الاجتماعي . (جدول ٣٢) .

جدول (٣٢) سكان الريف والحضر (١٩٧٥ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٢ م)

السنـــة	الحضر		الريف		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
١٩٧٥ م	٧,٠٨٣,٩٠٠	٦١,٢	٤,٠٤٠,٠٠٠	٣٨,٨	١١,١٢٣,٩٠٠	٪١٠٠
١٩٧٧ م	٧,٦٤٦,٠٠٠	٦٣,٧	٤,٣٥٢,٤٠٠	٣٦,٢	١١,٩٩٨,٤٠٠	٪١٠٠
١٩٨٢ م	٩,٦٠١,٦٠٠	٦٨	٤,٥٠٨,٤٠٠	٣٢	١٤,١١٠٠٠٠	٪١٠٠

المصدر : الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية المجلد رقم ٤٠ ص ٤١ ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية بالخرطوم .
– **فاضل الأنصاري** : مشكلة السكان ، ص ٢٤٤ .

ومن استقراء هذا الجدول تتبين لنا الملاحظات التالية :

١ – هبوط نسبة سكان الريف بصورة كبيرة جدًّا ، وذلك غير صحي إذ تركت الأراضي الزراعية ، كما أن الهجرة من الريف إلى المدن تؤدي إلى زيادة نسبة الأمية في المدن ، وكذلك اختلال نسبة النوع في المدن والريف .

٢ – ازدحام المدن بالسكان يؤثر بصورة سلبية على الخدمات المختلفة ويكون ضغطًا عليها .

وفي عام ١٩٨٥م بلغت نسبة سكان الحضر حوالي ٦٩,٨٪ أي أن نسبة سكان الريف قد غدت ٣٠,٢٪ . وتتجه الهجرة عادة إلى بغداد والبصرة وكركوك بصورة رئيسة ، ثم تأتي مراكز المحافظات الأخرى .

وتعد الهجرة من الريف إلى المدن ظاهرة صحية طالما كان مخططًا لها وذلك بهدف الاستفادة من العمالة الريفية في قطاعات اقتصادية أخرى ، ولاسيما في القطاع الصناعي ، وذلك بعد تأهيلها مهنيًّا ، على أن يقابل ذلك توسع في استخدام الميكنة الزراعية .

أما من حيث السكن ، فنتيجة لدراسة شاملة لقطاع السكن ، فقد وجد أن النقص في الوحدات السكنية في العراق عام ١٩٧٥ م قد بلغ ٣٠٠,٠٠٠ وحدة سكنية ، منها

٢٢٠,٠٠٠ في المناطق الريفية ، وإذا أضيف إلى هذا الرقم الوحدات السكنية التي هي دون المستوى المطلوب ، فإن الحاجة المتراكمة تقدر بنحو ٥٦٦,٠٠٠ وحدة سكنية في نهاية عام ١٩٨٠ م ، منها ٤٤٠,٠٠٠ وحدة في المناطق الحضرية[٦٢] . ولذلك فقد تقرر أن يكون هنالك بيت لكل عائلة في عام ١٩٩٥ م ، وفي خلال ثلاث سنوات بين (١٩٧٨ - ١٩٨١م) تم إنجاز ١٧٢,٦٠٠ وحدة سكنية ، ونحو ١٢٠٠٠ شقة[٦٣] .

أما في المدن ، فقد اعتُمد أسلوب الإسكان العمودي والمجمعات السكنية المتكاملة ، واستخدمت طرق التنفيذ المباشر ، والعمل الشعبي ، وأدخلت الأساليب الحديثة في البناء والتشييد . كما أنشئت مصانع البناء الجاهز ، إضافة إلى الاستمرار في اتباع الأساليب التقليدية في البناء ، وتطوير المؤسسات الرسمية المسئولة عن هذا النشاط ، وخاصة المؤسسة العامة للإسكان ومنشأة الإسكان الصناعي ، ومصلحة الإسكان الريفي . ولقد تم زيادة رأسمال المصرف العقاري من ٢٠ مليون دينار عراقي في عام ١٩٦٨ م إلى ١٥٠ مليون دينار عراقي عام ١٩٨١ م .

أما فيما يخص التنمية الاجتماعية ، فقد جاء في الأهداف الاجتماعية للخطة بعيدة المدى (١٩٧١ - ١٩٩٥ م) ما يلي :

١ - رفع مستوى استهلاك الفرد من السلع والخدمات .

٢ - تأمين ضمان اجتماعي شامل في حالات العجز والمرض والشيخوخة والوفاة . ويتمتع المواطن العراقي براتب تقاعدي نتيجة لأية حالة قصور جسدي يعيقه عن العمل ، كالعجز والشيخوخة والإصابة الجزئية أو الكاملة ، وكذلك ورثته . وحسب إحصاء عام ١٩٧٨ م بلغ عدد المتقاعدين المدنيين في دوائر الدولة نحو ١٥٨٣٥٨ متقاعدًا ، مجموع مبالغ رواتبهم التقاعدية ٤٨٧٦٠٠٠٠ دينار عراقي .

٣ - تخفيض ساعات العمل إلى ٣٠ ساعة في الأسبوع وتخفيض أيام العمل إلى خمسة أيام في عام ١٩٩٥ م .

أما عن الأهداف الاجتماعية الإجمالية للخطة الاقتصادية (١٩٧٠-١٩٧٤م) فلعل أهم ما جاء فيها ما يلي :

(أ) الاهتمام بزيادة الخدمات التي تقدم للمواطنين ، سواء كانت في صورة خدمات تعليمية أو صحية أو خدمات أخرى ، وزيادة فرص العمل أمام الأيدي القادرة على العمل ، وتنسيق الأجور ، وذلك بربط أجر العامل بإنتاجيته .

(ب) تحقيق العدالة الاجتماعية ، وذلك بتوسيع قاعدة التوزيع وتحقيق الفائدة للفئات المحدودة الدخل بأكبر قدر من ناتج عملية التنمية .

كما عملت خطة التنمية الاجتماعية على توفير الخدمات الأساسية للشباب في الميادين الرياضية والثقافية والترفيهية . ولقد أنجز ٥٧ مركزًا لرعاية الشباب في عام ١٩٧٧ م . كما يجري الإعداد لتنفيذ ٥١ مركزًا جديدًا في مختلف أنحاء البلاد بكافة مستلزماتها الرياضية والعلمية والاجتماعية .

الاقتصاد الوطني

الموارد المعدنية :

أثبتت الدراسات والتقنيات توافر المعادن في البلاد ، سواء كانت فلزية أو لا فلزية ، بالإضافة إلى الأملاح ومواد البناء ، وبعضها قد جرى تقدير كمياته وبعضها الآخر لم يتم تقديره بعد . وهناك أنواع أخرى ثبت أنها ذات كميات محدودة لا يمكن استغلالها اقتصاديا ، وأنواع أخرى ثبت أنها متوفرة بكميات كبيرة وفيما يلي عرض لهذه الأنواع :

١ - **الكبريت** : توجد رواسب الكبريت بكميات كبيرة ، ولقد أسفرت البحوث عن التأكد من وجوده في ١١ موقعًا قرب الموصل والرمادي والفتحة وكركوك وكفرى وهيت . والكبريت الطبيعي يوجد في الصخور الجيرية التابعة لتكوين الفارس السفلي . وفي عام ١٩٦٨ م كان قد تم الكشف عن وجود الكبريت في حقل المشراق في مساحة تقدر بنحو ٢٥ كم مربعًا . كما كشفت عن رواسب كبريتية أخرى في اللزاكة والفتحة .

ويقدر الاحتياطي من الكبريت بنحو ٢٤٥ مليون طن ، ولعل أعظم الاحتياطيات كمًّا ونوعًا موجودة في حقل المشراق ، وهو يقع على بعد ٤٥ كم إلى الجنوب من مدينة الموصل ، حيث توجد ثنية محدبة في قشرة الأرض طولها ٥ كم وعرضها ٣,٨ كم . ويقدر

سمك طبقات الفارس السفلي (الحاوية للكبريت) بنحو ٢٨٠ مترا ، ويتركز الكبريت في جزئها الأسفل على عمق يتراوح بين ١٠٠ م - ٢٠٠ م . والكبريت الذي هنا لونه أصفر فاتح ، وتبلغ نسبة تركزه ٩٩,٩٪ .

وقد بدأ إعداد منجم كبريت المشراق في عام ١٩٧١ م وتمت المرحلة الأولى للإنتاج في يناير عام ١٩٧٢ م ، بطاقة قدرها ربع مليون طن ، وفي عام ١٩٧٣ م ، صدر منه ٢٠٠,٠٠٠ طن ، وفي عام ١٩٧٤ م نصف مليون طن .

أما المصدر الآخر للكبريت ، فهو المستخلص من الغاز الطبيعي ، ولذلك فقد تم في عام ١٩٦٧م إنشاء معمل لاستخلاصه من الغاز ، أنتج ٣٥,٠٠٠ طن عام ١٩٧١ م ، ٤٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٧٢ م ، ٣٦,٠٠٠ طن في عام ١٩٧٣ م ، وحوالي ٧٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٧٩ م . كما أنشيء معمل آخر لاستخلاص الكبريت من الغاز في منطقة التاجي ، ويستخدم الكبريت المستخلص منه للاستهلاك المحلي في صناعة الأسمدة الكيماوية وصناعة الورق في ميناء البصرة .

٢ - **الفوسفات** : دلت المسوح الجيولوجية على وجود كميات كبيرة من الفوسفات في أكثر من موقع ، خاصة في منطقة عكاشات بالقرب من الرطبة وامتدادها بمحاذاة منخفض الكغرة شرقًا . وتقع عكاشات على بعد ١٢٠ كم جنوب غرب حصيبة في الصحراء الغربية ، وقد قدر الاحتياطي من الفوسفات بأكثر من مليار طن ، بنسبة تركز قدرها ١٨٪ .

٣ - **ملح الطعام** : يوجد الملح بكميات كبيرة في العراق ، خاصة في سهل الجزيرة بين جبل سنجار وبغداد ، وبالقرب من الجبايش والغبيشية على ضفاف هور الحمار ، كما أنه يستخرج من منطقة الفاو .

وينتج العراق في الوقت الحاضر نحو ٦٠,٠٠٠ طن من ملح الطعام من الملاحات التبخيرية في الخليج العربي في داخل البلاد ، وهي تغطي احتياجاته المحلية .

٤ - **طينة الخزف** : تمتلك البلاد احتياطيًّا كبيرًا من الطينة الصالحة لصناعه السيراميك ، وهي توجد بكميات كبيرة في منخفض الكفارة ، على بعد ١٠٠ كم شمالي مدينة الرطبة ، وقد تم اكتشافه في عام ١٩٦٣ م خلال عمليات التنقيب عن خام الحديد ، وتحوي هذه الطينة نسبة عالية من الكاولين . وقد أقيم مصنع للسيراميك في

الرمادي ، وبدأ إنتاجه عام ١٩٦٥ م بطاقة إنتاجية قدرها ٣٤٠٠٠ طن ، ومن أهم منتجاته : الأدوات الصحية واللوازم المنزلية والطوب الحراري والقيشاني والأنابيب .

٥ - **رمل الزجاج** : يمتلك العراق رصيدًا هائلًا من الرمال البيضاء النقية ، الصالحة لصناعة الزجاج بأنواعه المختلفة ، والاحتياطيات المتوافرة تسمح بطاقة تصديرية ضخمة لهذه الرمال ، نظرًا لمواصفاتها العالية الجودة ، وسهولة استخراجها . ويوجد مصنع للزجاج في مدينة الرمادي تم إنشاؤه في عام ١٩٦٦ م .

٦ - **أحجار البناء والزينة** : تتوافر المواد اللازمة للبناء من حصى ورمال وأحجار جيرية وتتوزع جغرافيًا بما يكفل سد احتياجات كل منطقة من مواردها الخاصة ، كما يتوافر الجبس لسد احتياجات البناء .

٧ - **الرخام** : يوجد محجر لاستغلال الرخام في كلالة ، كما يوجد في أجزاء أخرى من شمال العراق ، كما يوجد الجص (الصلصال) كذلك في شمال العراق .

٨ - **خامات الأسمنت** : تتوافر خامات صناعة الأسمنت في كثير من أنحاء العراق ، مما كان له أكبر الأثر في ازدهار هذه الصناعة . والجدول رقم (٣٣) يبين مصانع الأسمنت وطاقاتها الإنتاجية .

جدول (٣٣) مصانع الأسمنت وطاقاتها الإنتاجية (١٩٧٣ م)

مواقع المصانع	الطاقة الإنتاجية بالأطنان في عام ١٩٧٣ م
١ - مصانع قائمة :	
شركة الأسمنت العراقية ـــ السماوة .	٤٠٠٠٠٠
شركة الأسمنت السدة .	٢٠٠٠٠٠
شركة بغداد .	٤٢٠٠٠٠
شركة أسمنت الموصل ـــ بادوش .	٢٠٠٠٠٠
شركة أسمنت حمام العليل	١٠٠٠٠٠
أسمنت سرجنار (كلنكر)	١٠٠٠٠٠
٢ - مشروعات جديدة :	
الفلوجـة .	٢٠٠٠٠٠
الكوفة	
الإجمالـي	١٦٢٠٠٠٠

المصدر : المجموعة الإحصائية السنوية ، ١٩٧٣ م .

وهنالك مشروع لإقامة مصنع جديد للأسمنت قرب البصرة للتصدير إلى مناطق الخليج العربي ، ومن المنتظر أن يصل الإنتاج العراقي من الأسمنت إلى ثلاثة ملايين طن سنويًا .

٩ – الحديد : لقد كشفت خامات الحديد في موات (شمالي السليمانية) وعلى مقربة من بغوين (اسناوه) بالصحراء الغربية .

١٠ – الرصاص والزنك : اكتشفا في جهة دوري سر حوزه وبرزانيك قرب الحدود الإيرانية .

١١ – الكروم : وجد في منطقة بنجوني قرب السليمانية ، وكذلك في مناطق شطفة وشيخان وكلالة ورايات وموات .

١٢ – الفحم الحجري : توجد منه أنواع رديئة ومتوسطة الجودة في شرامش (شمال شرق زاخو) وفي منطقة أنجانة في جبل جمرين وبجوار حلبجة .

١٣ – القار (الزفت) : يوجد بعروق كثيرة منتشرة خلال تكوينات العصر الكريتاسي في القسم الشمالي من عقرة ، كما يوجد في كفرى وهيت ، وحمام العليل والقيارة .

مصادر الطاقة :

هناك عدة مصادر للطاقة تستعمل بنسب متفاوتة ، وهي :

١ – الإنسان : لم يزل الإنسان يستعمل مصدرًا للطاقة فهو يقوم ببعض الفعاليات الزراعية والرعي والنقل والحمل ... إلخ . وهذا ينطبق على جميع الدول العالمية على مختلف مستوياتها .

٢ – الحيوانات : لم تزل الحيوانات كالبغال في المناطق الجبلية والحمير والخيول والجمال تستعمل في النقل أو في إدارة الطواحين .

٣ – الهواء : استعمل العراقيون الهواء منذ القدم مصدرًا للطاقة في تشغيل الطواحين الهوائية .

٤ - **الأخشاب** : استعملت الأخشاب لتوليد الطاقة ودأب الناس على قطعها من الغابات العراقية ، ولكن مع الأسف لم يقوموا بتعويضها وتشجير المناطق التي تم قطع أشجارها .

٥ - **الفحم الحجري** : يوجد الفحم الحجري في العراق ، ولكن من النوع الرديء في كفرى ، وبالقرب من زاخو ، ولقد استعمل استعمالات محدودة .

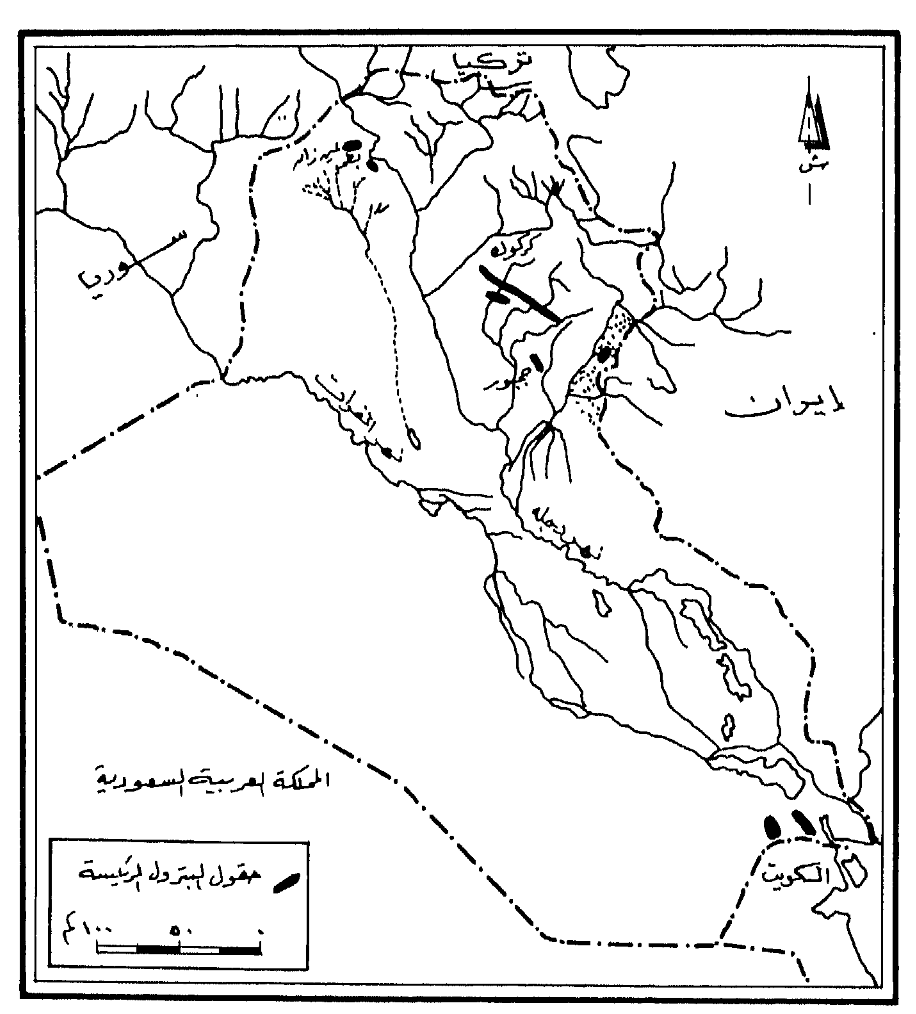
٦ - **النفط** : استعمل النفط في العراق منذ أكثر من (٧٠٠٠ سنة) فقد استخدم بهيئة مادة لرصف الطابوق بدل الجص ، وفي تسقيف البيوت . وقد عثر على مستوطنة زراعية جنوب غربي الموصل (تل حسونة) يعود تاريخها إلى (٥٧٥٠ ق . م) وقد طليت جدران البيوت فيها من الداخل والخارج ، وكذلك السقوف بالقار منعًا لتسرب المياه ، كما استعمل البابليون القار لأغراض التبليط والبناء . كما يشير بعض الدارسين إلى أن البترول كان يستخدم لإنارة المصابيح في كركوك قبل حوالي ٣٠٠٠ سنة ، وأن البدو استعملوه للأغراض الطبية منذ القدم لمعالجة الأمراض الجلدية . وقد استخرج العراقيون القدماء القار من منابعه على مقربة من المنابع النفطية ، واستعملوا مشتقات النفط في بناء برج بابل ، وبناء المنازل وتغطية جدران القنوات والسفن ومخازن الحبوب وفي التدفئة والإنارة . وفي العصر الحديث اهتم مدحت باشا بمنابع النفط الخام الذي كان ينبثق من سطح التربة ويسيل على شكل قار سائل فوق الأرض في منطقة مندلي .

وتوجد مصادر النفط العراقي في التكوينات القبابية المحدبة ، وهي النمط السائد في كافة مناطق الإنتاج الفعلي والاحتياطي المؤكد ، وكذلك في التكوينات الانكسارية ، وهي التي يرتبط وجودها بمنطقة الاحتياطي المحتمل في غربي العراق .

ويتوافر النفط في شمال العراق وفي جنوبه ووسطه في التكوينات الرسوبية ، سواء أكانت كلسية أم رملية والتي تعود إلى الزمنين الثاني والثالث . والجدول رقم (٣٤) يبين أحواض النفط وأماكنه ونوع الصخور التي تحتويه والطبقات التي يوجد فيها وأعماق هذه الطبقات (شكل / ٥) .

جدول (٣٤) مكامن النفط العراقي

أحواض النفط	المكان	نوع الصخور	الطبقة	الزمن الجيولوجي	أعماق النفط	الملاحظات
	كركوك	كلسية	مجموعة كركوك (سمكها ١٢٠٠ قدم) .	الأيوسين الأوليجوسيني	٨٠٠–٣٥٠٠قدم	تركيب قبابي يتكون من ٣ قباب وبه طبقة غازية عثر على مكمن آخر (بابا) يرجع إلى العصر الكريتاسي
الحوض الشمالي	باي حسن	كلسية	مجموعة شيرانيس وقمجوقة	الأيوسين الكريتاسي	٤٣٠ – ٥٣٠٠	يتكون من قبتين وقبة غازية
شرق دجلة	جبور	كلسية	الجريبي والفرات الأولى	الأيوسين	٥٥٠٠	يتكون من مكمنين ، تعتبر طبقة الفرات المسئولة عن غالبية الإنتاج الحالي
	نفط خانة	كلسية	طبقة كالهور	الميوسين	٢٢٠٠	تركيب قبابي
غرب دجلة	عين زالة	كلسية	عين زالة وقمجوقة	الكريتاسي	٥٠٠٠–٧٣٠٠	يتكون من مكمنين صغيرين
	بطحة	كلسية	شيرانيس وقمجوقة	الأيوسين	٣٥٠٠	تركيب قبابي
	القيارة	كلسية	طبقة الفرات	الأيوسين	٧٠٠ – ٧٠٠٠	تركيب قبابي وتوجد مكامن أخرى لم تدخل قائمة الإنتاج
الحوض الجنوبي	الزبير	رملية	الزبير	الكريتاسي الأسفل	١٠٦٠٠	تركيب قبابي يتألف من ٣ قباب
	الرميلة	رملية	الزبير (سمكها ٤٠٠٠ قدم)	الكريتاسي	١٠٥٠٠	يتكون من عدة مكامن .



شكل -٥- حقول البترول الرئيسة

ويرى الكثير من الخبراء أن العراق يسبح على بحيرة من النفط ، والجدول رقم (٣٥) يبين احتياطي العراق من النفط والاحتمالات المتوقعة لنفاده .

وأغلب الظن أن الاحتياطي النفطي للبلاد يفوق بكثير هذه التوقعات ، إذ إن جميع أراضي العراق تتألف من الصخور الرسوبية التي أرسبت في مياه بحر تثيس القديم ، وهو الأمر الذي يحملنا على الاعتقاد بأن الاحتياطي الفعلي أكبر بكثير من المعلن سنة ١٩٨٢ م ، وحقوله الرئيسة في الوقت الحاضر توجد في البصرة والزبير (الرميلة وكركوك ... إلخ) .

جدول (٣٥) احتياطي النفط العراقي وتوقعات نفاده عام ١٩٨٣ م

السنة	الاحتياطي ببلايين البراميل
١٩٧٧ م	٢٦,٥
١٩٧٨	٣٢,١
١٩٧٩	٢١,٠
١٩٨٠	٢٠,٠
١٩٨١	٢٩,٧
١٩٨٢ م	٤١,٠
فترة الاحتياطي حسب إنتاج عام ١٩٨٣ م	١٩٤ سنة

*المصدر : تقرير الأمين العام السنوي العاشر ١٩٨٢ ص ٦٨ ، النشرة الشهرية لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول العدد ٢ السنة ١٤ آذار ١٩٨٨ .

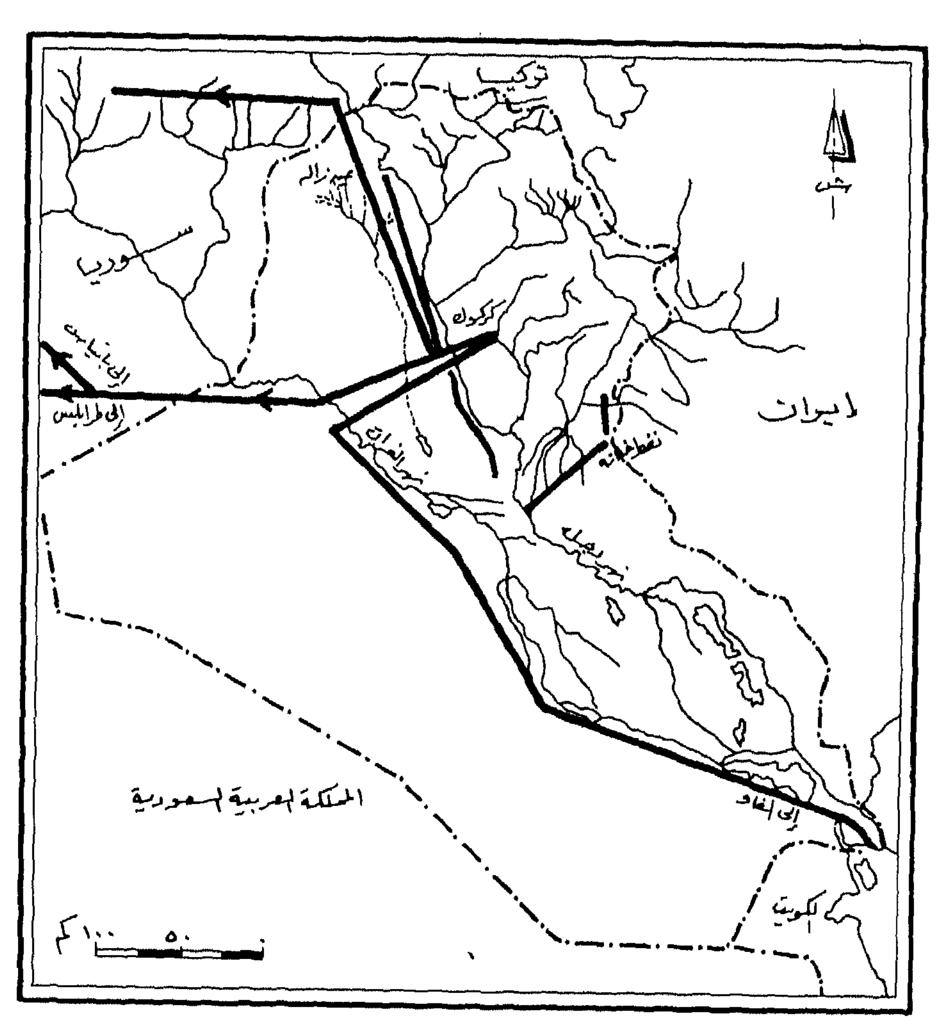
إنتاج النفط : تطور إنتاج النفط في السنوات الأخيرة تطورًا ملحوظًا والجدول رقم (٣٦) يبين تطور إنتاج النفط العراقي خلال الفترة ١٩٧٧ - ١٩٨٢ م .

جدول (٣٦) تطور إنتاج النفط العراقي خلال الفترة ١٩٧٧ - ١٩٨٢م

السنــة	الإنتاج (ألف برميل يوميًا)
١٩٧٧ م	٢٤٩٣٠
١٩٧٨	٢٦٢٩
١٩٧٩	٣٧٠٠
١٩٨٠ م	٢٦٤٦
١٩٨١	٨٩٧
١٩٨٢	٩٨٧
١٩٨٣	١٠٩٩
١٩٨٤	١٢٢٢
١٩٨٥	١٤٠٤
١٩٨٦ م	١٦٨٨

* المصدر : تقرير الأمين العام السنوي (١٣) ١٩٨٦ م والتقارير السابقة .

ويتضح من هذا الجدول أن إنتاج النفط ارتفع كثيرًا بعد عام ١٩٧٢ م ، وذلك بسبب الاهتمام بتصديره ، لتوفير الموارد المالية اللازمة لتنفيذ خطط التنمية الطموحة ، ففي عام ١٩٧٧ م بلغ الإنتاج ٢,١٥٠,٠٠٠ برميل في اليوم ، وفي عام ١٩٧٨ م وصل الإنتاج إلى ٢,٦٢٩,٠٠٠ برميل في اليوم وفي عام ١٩٧٩ م بلغ الإنتاج ٣,٧٠٠,٠٠٠ برميل في اليوم ، ثم أخذ الإنتاج في الهبوط بعد ذلك نتيجة لغلق أنابيب ضخ البترول إلى البحر المتوسط ، وكذلك تعطيل أنابيب الفاو مؤقتًا وقد بلغ الإنتاج ٢,٦٤٦,٠٠٠ برميل في اليوم عام ١٩٨٠ م ، ثم هبط إلى ٨٩٢٠٠٠ برميل في اليوم في عام ١٩٨١ م . والآن لاتزيد كمية المصدر منه عن ٦٠٠,٠٠٠ برميل في اليوم عن طريق خط الأنابيب الذي يعبر تركيا . وقد ارتفع الإنتاج بعد مد أنبوبين عبر الأراضي التركية ، وأنبوب آخر يؤدي إلى البحر الأحمر . (شكل ٦) .



شكل -٦- أنابيب النفط

جدول (٣٧) صادرات النفط الخام (١٩٣١ - ١٩٧٦م)

السنة	النفط الخام المصدر بلايين الأطنان سنويًا	السنة	النفط الخام المصدر بلايين الأطنان سنويًا
١٩٣١ م	٠,١٢٠	١٩٣١ م	٠,١١٥
١٩٣٤	١,٠٣٢,٠٠٠	١٩٣٥	٣,٥٥٧
١٩٣٦	١,٨٩٤	١٩٤٩	١,٣٦١,٠
١٩٤٥ م	٤,٣١٥	١٩٥٠ م	٦,٠٨١
١٩٥٢	١٧,٧	١٩٥٥	٣١,٦٥
١٩٥٨	٣٥,٥	١٩٧٠	٧٥,٣
١٩٧٤	٩٥,٥	١٩٧٥ م	١٠٩,٢
١٩٧٦ م	١١٩,٢		

المصدر : تقارير الأمين العام لمنظمة الأقطار العربية المصدر للبترول .

ويصدر معظم النفط العراقي خامًا إلى الخارج ، وذلك على النحو الذي يوضحه الجدول رقم (٣٧) . وبناء على زيادة الأسعار وزيادة الإنتاج ، فقد زادت عائدات النفط ، كما يتبين من الجدول رقم (٣٨) . ونتيجة للتطور الاقتصادي العالمي ، زاد استهلاك العراق من منتجات النفط ، ويوضح ذلك الجدول رقم (٣٩) .

جدول (٣٨) عائدات النفط بملايين الدولارات (١٩٧٣ - ١٩٨٦ م)

السنة	الإيراد بملايين الدولارات
١٩٧٣ م	١٥٠٠
١٩٧٤	٥٧٠٠
١٩٧٥	٧٥٠٠
١٩٧٦	٨٥٠٠

تابع جدول (٣٨) عائدات النفط بملايين الدولارات (١٩٧٣ - ١٩٨٦ م)

السنة	الإيراد بملايين الدولارات
١٩٧٧	٩٦٠٠
١٩٧٨	٩٨٠٠
١٩٧٩	٢١٩٢١
١٩٨٠ م	٢٦١٤٠
١٩٨١	١٠٣٩٠
١٩٨٢	١١٣٣٠
١٩٨٣	٨٤٠٠
١٩٨٤	١٠٤٠٠
١٩٨٥	١١٥٠٠
١٩٨٦ م	٥٧٠٠

* المصدر : عوائد البترول على الأقطار العربية : ص ٥٠ .
مؤتمر الطاقة العربي الرابع ١٤ - ١٧ آذار ١٩٨٨ م .

جدول (٣٩) استهلاك العراق من منتجات النفط (١٩٧٦ - ١٩٨٠ م)

السنة	غازولين سيارات	كيروسين ووقود نفاثات	زيت غاز وديزل	زيت وقود	منتجات أخرى	إجمالي
١٩٧٦ م	١٧,٤	١٣,١	٢٩,٠	٤١,٠	٧,١	١١٧,٦
١٩٨٠ م	٢٨,٧	٧٧,٧	٤٨,٨	٦٥,٠	٢١,٠	٢٤١,٢

المصدر : تقارير الأمين العام لمنظمة الأوبك .

الغاز الطبيعي : يتوافر الغاز الطبيعي في الأراضي العراقية بكميات كبيرة مع وجود احتياطي ضخم ، يبينه الجدول رقم (٤٠) .

ولقد جرى العمل على إنتاج الغاز الطبيعي واستغلاله فى الأغراض المنزلية والصناعية ، ويبين الجدول رقم (٤١) إنتاج الغاز واستهلاكه خلال الفترة (١٩٧٧ - ١٩٨٤ م) .

جدول (٤٠) احتياطي الغاز الطبيعي لسنوات مختلفة

السنة	الاحتياطي (بليون متر مكعب)
١٩٧٧ م	٧٩٣
١٩٧٨	٧٨٧
١٩٧٩	٧٧٨
١٩٨٠	٧٧٧
١٩٨١	٧٧٣
١٩٨٢	٨١٦
١٩٨٧ م	١٤١٦

المصدر : النشرة الشهرية لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول العدد ٣ ، ١٩٨٨ م .

ويختلف الغاز عن النفط في أنه يحتاج إلى استثمارات مكثفة ، على المنتج والمستهلك أن يقوما بها ، حتى يمكن جمع الغاز وتنقيته وتسييله . وكانت هذه الغازات يتم حرقها لزمن طويل .

جدول (٤١) إنتاج الغاز الطبيعي واستهلاكه خلال الفترة (١٩٧٧ – ١٩٨٤ م)

السنة	المنتج	نسبة المستغل
١٩٧٧ م	١٠٥٠٠	١٥,١٪
١٩٧٨	١١٠٠٠	١٥٪
١٩٧٩	١٤٤١٠	١٥,٥٪
١٩٨٠ م	١١٣٧٠	١٥,٥٪
١٩٨١	٤٠٣٠	١٦,١٪
١٩٨٢	٤٢٠٠	١٦,٢٪
١٩٨٣	٤٠١٠	١٦,٢٪
١٩٨٤ م	٤٩٠٠	١٢,٠٪

المصدر : تقرير الأمين العام السنوي الحادي عشر والثاني عشر : ص ٦٦/٧٩ ، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول .

الطاقة الكهربائية : تستخدم البلاد الطاقة الكهربائية سواء تلك المولدة من المساقط الطبيعية أو الصناعية ، وكثير من مشاريع الري التي نُفذت كانت متعددة الأغراض بحيث تخدم الأغراض التالية :

(أ) خزن المياه .

(ب) زيادة مساحة الأراضي الزراعية .

(جـ) توليد الطاقة الكهربائية .

ولقد حدث تطور ملموس في زيادة الطاقة الكهربائية في البلاد وفي تأمين الكهرباء للقرى والأرياف التي كانت محرومة منها . وقد أقيمت محطات كثيرة لتوليد الطاقة الكهربائية . كما مدت خطوط لنقل هذه الطاقة إلى معظم أنحاء البلاد ، ولذلك ارتفع مجموع الطاقة الكهربائية المنتجة من ٢٥٧١,٨ مليون كيلووات / ساعة عام ١٩٦٨ م

إلى ٣٩٣٤,١ مليون كيلووات/ساعة عام ١٩٧٥م ثم إلى ١١٦٦٥,٣ مليون كيلو وات / ساعة عام ١٩٨١م ، أي بزيادة إجمالية قدرها ٤٥٣٪ خلال الفترة ١٩٦٨ - ١٩٨١ م ، وبمعدل سنوي قدره ٣٥٪ . ولقد غدا متوسط استهلاك الفرد من الكهرباء ٤٢٥ كيلووات / ساعة عام ١٩٨١ م ، بعد أن كان ١٥٠ كيلووات / ساعة عام ١٩٦٨ م .

أشعة الشمس :

يتسم مناخ العراق بطول فترة سطوع الشمس ، إذ تبلغ عدد ساعات سطوعها في وسط العراق وجنوبه نحوا من ٣٢٠٠ ساعة / سنة ، وتستعمل الطاقة الشمسية للأغراض التالية :

(أ) تجفيف المحاصيل الزراعية .

(ب) تزويد المشاتل الزراعية السنوية بالحرارة اللازمة .

ولقد زاد الاهتمام كثيرًا بالطاقة الشمسية واستعمالها ، ومن أجل ذلك تم تخصيص مبلغ ١٥٠,٠٠٠ دولار لدراسة الطاقة الشمسية والإفادة منها في الاستخدامات المختلفة . ولقد تم مؤخرًا استخدام الطاقة الشمسية في تسخين المياه وتبريد مركز بحوث الطاقة الشمسية ودار الضيافة التابعة لهذا المركز(٦٤) .

الصناعـة :

العراق بلد زراعي يعتمد في حياته على الزراعة ، ولديه الأراضي الخصبة والمياه ، إلى جانب الظروف المناخية المتنوعة والأيدي العاملة ، كل ذلك ساعد على قيام زراعة ناجحة . ولكن هذا لايمنع قيام صناعة ناجحة تعتمد على بعض المنتجات الزراعية كالقطن والكتان والحبوب الزيتية ، أو على الخامات الكثيرة المتوافرة ، كالفوسفات والكبريت . وقد ظل العراق إلى عهد قريب يستورد معظم حاجياته المصنعة من الخارج ، وذلك على الرغم من توافر الظروف المساعدة على قيام نشاط صناعي متميز .

وقد دفع هذا الوضع إلى توجيه الاهتمام نحو القطاع الصناعي من خلال تقديم

المساعدات اللازمة والدعم المادي والمعنوي لمشروعات القطاع الخاص الصناعية أو الإسهام في بعض المصانع (قطاع مختلط) أو القيام بإنشاء بعض الصناعات التابعة للقطاع العام . ولقد أعطيت الأولوية للصناعات التي يزداد الطلب عليها ، للحد من استيرادها . وكانت الصناعة تقتصر على تصنيع بعض المنتجات الزراعية وإنتاج مواد البناء كالأسمنت والطابوق وإنتاج المواد الاستهلاكية كالمنسوجات والصابون والكبريت والأحذية والمشروبات ، ويأمل العراق أن يكتفي ذاتيًّا في معظم حاجياته من المواد الصناعية ، بل وربما يحقق فائضًا للتصدير .

وهناك عوامل مختلفة تساعد على قيام صناعة ناجحة هي :

١ – وجود مورد رخيص للطاقة يتمثل في البترول والغاز الطبيعي ، فضلًا عن الطاقة الشمسية .

٢ – توافر المواد الأولية المختلفة اللازمة لقيام الصناعة ومنها :

(أ) **الموارد الزراعية** : كالقطن والكتان وقصب السكر والبنجر والحبوب الزيتية والخضراوات والفواكه .

(ب) **الخامات المعدنية** : فهناك دلائل على وجود الحديد والنحاس والزنك والكروم . كما يتوافر الكبريت والفوسفوز والاسبستوس والأملاح .. إلخ .

(جـ) **البترول** : باعتباره خامًا أوليًّا لمنتجات ثانوية .

٣ – وجود موارد كبيرة من المياه التي تنساب في دجلة والفرات وشط العرب .

٤ – توافر الأيدي العاملة الرخيصة ، ولو أن ارتفاع أسعار البترول بعد عام ١٩٧٣ م أدى إلى ارتفاع أجور العمال بصورة كبيرة .

٥ – توافر رأس المال لتمويل المشاريع الصناعية وتطبيق خطط تنموية طموحة في القطاع الصناعي .

٦ – توافر السوق محليًّا أو في الدول المجاورة (السوق العربية المشتركة) .

ولم تكن هنالك في القرن التاسع عشر الميلادي صناعة تذكر ، إذ كان الإنتاج الصناعي يأتي ، إما من الخارج أو يتم تصنيعه بالطرق الحرفية التقليدية ، كصناعة الأواني

المعدنية والفخار والمنسوجات اليدوية والحدادة والحلي . كما قام بعض التجار الأوربيين وقتها بإدخال بعض المعامل البدائية ، وأنشأوا عددا محدودًا من المؤسسات ، التي تخصصت في تصدير المنتجات الزراعية المصنعة ، كالتمور والصوف والجلود .

وخلال فترة الانتداب البريطاني (١٩٢٠ – ١٩٢٢ م) ، أقيم عدد من الصناعات الأساسية ، وذلك من أجل استغلال رأس المال الأجنبي . وكانت هناك ظروف ثلاثة تحكم تطور الصناعة الوطنية خلال تلك الفترة وهي :

(أ) استثمار رأس المال الأجنبي ، وقد ساعد على ظهور النواة الأولى للصناعة ، مثل حلج القطن وكبس التمور واستخراج البترول . كما ساعد على بناء السكك الحديدية وتوسيع ميناء البصرة وعلى إنشاء بعض الشركات الوطنية ، كشركة حلج الأقطان ومعمل فتاح باشا للغزل والنسيج .

(ب) التدخل الحكومي باستصدار قانون ١٩٢٩ م الذي يستهدف تشجيع الصناعة .

(جـ) وجود بقايا الصناعات الحرفية التي تم إنشاؤها لسد حاجة الجيش من الألبسة والمنسوجات ، وظهور بعض الصناعات الاستهلاكية كصناعة النسيج وصناعة المواد الإنشائية .

وفيما بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٣ م حدثت الأزمة الاقتصادية العالمية ، إلا أنه بانتهاء هذه الأزمة انطلقت المدخرات الفردية في اتجاه الاستثمار في بناء معامل الطابوق والكاشي والسجائر والطحين والثلج ، وساعد هذا التوسع الاستثماري على إقامة أول محطة كهربائية .

وقد أُنشئ المصرف الصناعي سنة ١٩٣٦ م لتقديم القروض للصناعة والزراعة ، إلا أنه في سنة ١٩٤٦ م تحول إلى مصرف صناعي بحت ، فقام بإعداد دراسات فنية واقتصادية للمشروعات الصناعية على اختلافها . ولعب هذا المصرف دورًا كبيرًا في التنمية الصناعية بفعل القروض التي قدمها .

وفي الأربعينيات من هذا القرن كان للحرب العالمية الثانية أثرها على مضاعفة المصانع لإنتاجها ، لكي تحقق الاكتفاء الذاتي ، كما نشطت الصناعات الحرفية واليدوية في ظل حماية أوجدتها ظروف الحرب . وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية تم إنشاء صناعات جديدة ، حتى بلغ عددها ١٠٠ مصنع ، كان يعمل بعضها بطاقة إنتاجية تكفي لسد احتياجات الاستهلاك ، وكان من نتائج ذلك أن ازدهرت صناعة الطابوق والأسمنت والزيوت والصابون والنسيج والحياكة والجص والطحين والملبوسات الجاهزة ، حتى أصبح عدد المعامل في سنة ١٩٤٩ م نحوا من ١٥٠ مصنعًا للقطاع الخاص ، حيث لم يكن للقطاع العام وقتئذ دور يذكر .

وقد أفرزت هذه الفترة من عمر الصناعة حقيقتين :

– أن رأس المال الوطني قد تغلغل في النشاط الاقتصادي الخاص تحت اسم المشروعات الصناعية المختلفة .

– ظهور المصانع ذات الطاقات الإنتاجية الكبيرة .

وخلال الخمسينات ازداد تطور الصناعة نتيجة لأسباب متعددة أهمها :

١ – صدور قانون جديد لتشجيع الصناعة في عام ١٩٥٠ م ليحل محل قانون ١٩٢٩ م وقد نجم عن ذلك أن الاستثمارات في قطاع الصناعة ارتفعت إلى ٤,٤ مليون دينار سنة ١٩٥١ م بعد أن كانت ٣,١ مليون دينار في عام ١٩٤٨ م

٢ – زيادة عوائد البترول نتيجة لمناصفة الأرباح في عام ١٩٥٢ م .

٣ – صدور قانون جديد لتشجيع الصناعة في عام ١٩٥٥ م يتضمن ما يلي :

(أ) إعفاء المنشآت الصناعية الجديدة من ضريبة الدخل لمدة خمس سنوات بشرط ألا يزيد الربح الذي تحققه خلال هذه الفترة على ١٠٪ سنويًّا من رأس المال المستثمر .

(ب) إعفاء الآلات والمواد الخام المستوردة من الرسوم الجمركية .

(جـ) إعفاء المنشآت الصناعية من رسم الطابع لكافة المعاملات ومن ضريبة الأملاك على الأملاك غير المنقولة .

(د) ألا تزيد نسبة الموظفين الأجانب على ١٠٪ وأن يملك العراقيون مالا يقل عن ٥٥٪ من رأس المال .

وفي عام ١٩٦٢ منحت وزارة الصناعة نحو ١٢٠ تصريحًا لمختلف الصناعات ، قدر رأسمالها بما قيمته ٥,٨ مليون دينار عراقي . وفي عام ١٩٦٠م صدر قانون جديد ليحل محل قانون تشجيع الصناعة السابق ، واستهدف القانون الجديد زيادة الإعفاءات من الضرائب ومنح التسهيلات لكل مشروع توفرت فيه الشروط التالية :

(أ) ألا تتجاوز نسبة الموظفين والمستخدمين فيه من الأجانب ١٠٪ باستثناء الفنيين .

(ب) أن يكون ٦٠٪ على الأقل من رأسمال المشروع الاسمي والمدفوع عراقيًّا .

(جـ) ألا تقل قيمة الآلات والأجهزة اللازمة للمشروع باستثناء ماكينات وأجهزة توليد الكهرباء على ٣٠٠٠ دينار عراقي[٦٥] .

وأما الإعفاءات بموجب هذا القانون فقد شملت الآتي :

١ – إعفاء أرباح المشروع من ضريبة الدخل .

٢ – الإعفاء من ضريبة الدخل للمبالغ الاحتياطية التي يخصمها المشروع من أرباحه ، على أن لاتتجاوز هذه المبالغ ٢٥٪ من مجموع الأرباح السنوية .

٣ – الإعفاء من ضريبة العقار للعقارات التي يملكها المشروع ، ويجري فيها تشغيله أو خزن موارده ومنتجاته وذلك لمدة عشر سنوات .

– سمات الصناعة في العراق : تتسم الصناعة في العراق بمجموعة من الصفات أهمها :

(أ) أن أغلب الوحدات الصناعية صغيرة الحجم ، فقد بلغ عدد المؤسسات الصناعية في عام ١٩٥٤ م نحو ٢٢٤٦٠ مؤسسة ، منها ٢٢١٦٦ تستخدم كل منها أقل من ٢٠ عاملا ، وحوالي ٢٩٤ مؤسسة فقط تستخدم كل منها ٢٠ شخصًا أو أكثر .

(ب) ضعف القدرة التصديرية ، إذ لا يتعدى ما يصدر من المنتجات المحلية الصناعية ما نسبته ٥٪ من الإنتاج الصناعي .

(جـ) تركز المؤسسات الصناعية في عدد قليل من المدن ، وذلك على النحو التالي[٦٦] :

١ – في المنطقة الشمالية نالت الموصل وكركوك وأربيل والسليمانية ٩٠٪ من إجمالي مصانع المنطقة ، وتضم الموصل ١٣١ مصنعًا أو ما يعادل ٥٤٪ من مصانع المنطقة الشمالية .

٢ – أما في المنطقة الوسطى ، فتتوزع الصناعات في ٥٧ مركزًا ، إلا أن أربع مراكز منها هي : الكرادة والرصافة والثورة والكاظمية تستأثر بما نسبته ٦٢٪ من مصانع المنطقة الوسطى (٩١٩ مصنعًا) .

٣ – أما في المنطقة الجنوبية ، فإن البصرة تستأثر بما نسبته ٥٦٪ من مصانع هذه المنطقة ٦٨ مصنعًا .

وبذلك تستأثر المنطقة الوسطى بحوالي ٤/٥ المصانع في البلاد .

– **الاستراتيجية الحديثة للصناعة** : لقد تأثرت الاستراتيجية الحديثة للصناعة بما يلي :

١ – ارتباط التنمية الصناعية في العراق بمدى تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية .

٢ – ضيق نطاق السوق المحلي ، الذي يتوقف على عدد السكان من ناحية ومستوى المعيشة من ناحية أخرى .

٣ – قلة العمالة الفنية الماهرة اللازمة للتوسع الصناعي .

وقد بدأ القطاع العام يمارس دورًا مؤثرًا في الصناعة منذ عام ١٩٥٨ ثم تتابع اهتمامه بالصناعة في السنوات التي تلت ، ففي الخطة الاقتصادية لعام ١٩٥٩ م التي بلغت مخصصاتها ٣٧٥,٤ مليون دينار كان نصيب الصناعة منها ١٠٪ فقط .

أما في الخطة الخمسية ١٩٦٥ – ١٩٦٩ التي بلغت مخصصاتها ٦٦٨,١ مليون دينار ، فقد خصصت للقطاع الصناعي ١٨٧,٢٠٠,٠٠٠ دينار عراقي ، أو ما يعادل ٢٧٪ من مجموع الاستثمارات ، وبذلك احتل القطاع الصناعي المرتبة الأولى ولقد راعت الخطة ما يلي :

(أ) إعطاء الأهمية للمشاريع الصناعية التي تعجل بالنمو وتعتمد على المواد الأولية المحلية .

(ب) تخصيص مبلغ ٤٧,٥ مليون دينار لمشاريع الصناعات الكيماوية و ٢٦,٢ مليون دينار لمشاريع النفط والغاز ، و ٢١,١ مليون دينار لمشاريع الغزل والنسيج ، و ١٣,١ مليون دينار للصناعات المعدنية ، وقد بلغت نسبة التنفيذ ٥٣,٥٪ حيث تم إنفاق ١٠٠,١ مليون دينار .

وفي خطة التنمية للفترة من عام ١٩٧٠ م إلى عام ١٩٧٤ م كان التركيز في القطاع الصناعي على ما يلي :

١ – تنمية القطاع بمعدل مركب سنوي قدره ١٢٪ .

٢ – رفع مستوى الإنتاجية في مختلف فروع النشاط الصناعي في ضوء نتائج المسح الصناعي الذي تم إجراؤه .

٣ – استغلال الطاقات العاطلة أو المتاحة .

٤ – التوسع في صناعة التصدير التي يقبل على منتجاتها طلب عالمي متزايد كالأسمنت والزيوت النباتية والمنتجات النفطية وبعض منتجات صناعة الأصواف .

٥ – مراعاة التوزيع الجغرافي للمشروعات الصناعية الجديدة .

٦ – تحقيق الاكتفاء الذاتي في حدود الموارد المتاحة بإنتاج السلع الصناعية التي تتوفر مستلزمات إنتاجها محليًّا بدلًا من استيرادها من الخارج .

٧ – تحقيق التنسيق والتكامل الصناعي مع الدول العربية .

أما خطة التنمية للسنوات (١٩٧٦ – ١٩٨٠ م) فقد حددت هدفها بتحقيق معدل سنوي في القيمة المضافة لايقل عن ١٧,٨٪ خلال سنوات الخطة وتطوير الصناعة التحويلية والعمل على زيادة وزنها بحيث ترتفع نسبتها من ١١,١٪ سنة ١٩٧٦ م إلى ١٧,٩٪ عام ١٩٨٠ م . وكان من أهداف الخطة تطوير القطاع الصناعي المختلط وتطوير القطاع الصناعي التعاوني على مستوى الصناعات الصغيرة بما في ذلك الصناعات الحرفية وتحديثها . وكان من أهدافها كذلك العمل على رفع مستوى إنتاجية العامل وإنتاجية رأس

المال المستثمر ، وتحقيق الترابط بين فروع الصناعة والمشاريع المختلفة ، وسد احتياجات القطاع الزراعي من المكائن والآلات .

أما الخطة نفسها فقد وضعت في ضوء الاعتبارات التالية :

١ – الدور الرئيس للقطاع العام في عملية التصنيع وتنمية الموارد الطبيعية وحصرها بدقة لاستخدامها محليا وإخضاع الفائض منها للتصدير .

٢ – استخدام التكنولوجيا الحديثة .

٣ – إيجاد أفضل الظروف والسبل للدخول في مجال الصناعات التصديرية والصناعات المعوضة للاستيرادات .

٤ – التركيز على الصناعات التي تكمل دورتها داخل الدولة ، ابتداء من المادة الأولية وانتهاء بالسلع النهائية ، مثل الصناعات النفطية والكيماوية والبتروكيماوية والحديد والصلب والألمنيوم ، وبعض منتجات الغزل والنسيج والمواد الغذائية .

٥ – التوزيع الجغرافي للصناعات في مختلف أنحاء الدولة .

٦ – الإفادة الكاملة من الصناعات الاستخراجية مثل استخراج النفط الخام والغاز الطبيعي والسعي إلى مضاعفة تكرير النفط والغاز لسد متطلبات السوق المحلية .

٧ – تنفيذ مشاريع الأسمدة والمشاريع البتروكيماوية .

٨ – التركيز على الصناعات الثقيلة وخاصة التعدينية- وإنتاج المكائن والمعدات الثقيلة .

٩ – التوسع في الصناعات المعدنية والهندسية وإنتاج الساحبات والآلات والمعدات الزراعية ، وتحقيق الترابط بين الصناعة والزراعة .

١٠ – التركيز على الصناعات الإنشائية .

١١ – تصنيع كافة الجلود الخام المنتجة محليًّا .

١٢ – إنتاج الأخشاب لسد متطلبات الصناعة الإنشائية وتوفير الأثاث وصناعة الورق .

١٣ – إنشاء مراكز للتدريب والأبحاث وتنمية القدرة الفنية للعاملين .

١٤ – امتصاص الفائض من قوة العمل في القطاعات المختلفة وإعادة توزيع القوى

العاملة على الأنشطة الاقتصادية .

١٥ – تطوير الصناعة التحويلية وتقليل الاعتماد على النفط .

جدول (٤٢) الاستثمارات الصناعية المنفذة خلال الفترة (١٩٧٠ – ١٩٨٦ م)

الصناعـة	١٩٧٠ – ٨٠ م	١٩٨١ – ١٩٨٦م
الصناعات الاستخراجية	٢٢١١	٣١٧٨
الصناعـة التحويليـة	٥٨٧٤	٣٣٠٧
إجمالي القطاع الصناعي	٨٠٨٥	٦٤٨٥

المصدر : التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٨٧ ، ص ٣٢٩ .

ويوضح الجدول رقم (٤٢) قيمة الاستثمارات الصناعية خلال الفترة ١٩٧٠ – ١٩٨٦م ويستفاد من بيانات هذا الجدول أن الصناعات التحويلية تستحوذ على النصيب الأكبر من إجمالي استثمارات القطاع الصناعي ، حيث تراوح نصيبها بين ٧٣٪ و ٥١٪ خلال الفترتين (١٩٧٦ – ١٩٨٠م ، ١٩٨١ – ١٩٨٦م) على التوالي .

ويستفاد من الجدول رقم (٤٣) ، أن الصناعات البترولية والكيماوية والبتروكيماوية ، قد استحوذت على ما يقرب من ٤٦٪ من الميزانية المخصصة للصناعة ، وذلك في إطار خطة التنمية للفترة (١٩٧٦ – ١٩٨٠ م) . أما معمل توليد الطاقة الكهربائية ، فقد خصص لإنشائه ٩٥٠ مليون دينار عراقي ، أو ما يعادل ٢٢٪ من إجمالي الميزانية .

ولقد ركزت هذه الخطة على إنتاج المصنوعات الاستهلاكية الرئيسة وبخاصة الأنسجة والألبسة والتعليب وصناعة الأحذية ونسيج السجاد ، للوصول إلى الاكتفاء الذاتي ، كما أكدت تركيزها على الصناعات الغذائية ، كطحن الحبوب وصناعة السكر وتعليب الخضراوات والفواكه والألبان والزيوت النباتية وغذاء الأطفال ، أما في الصناعات الخفيفة

جدول (٤٣) المخصصات الصناعية في خطة التنمية

١٩٧٦ - ١٩٨٠ م

القطاع	مليون دينار
الصناعات الكيماوية والبتروكيماوية	٨٨٠
معمل توليد الطاقة الكهربائية	٩٥٠
صناعات ذات علاقة بالبترول	١١٠٠
مواد إنشائية	٤٤٠
صناعات غذائية	٢١٠
استخراج المعادن (عدا البترول)	٢٧٠
المنسوجات	١٤٧
الأخشاب وصناعة الورق	١٣٦
مواد هندسية	٨٨
تدريب	٥٥
المجموع	٤٢٧٦

فإن الخطة (٧٦/٨٠) ركزت على استحداث عدد من المشاريع للحد من الاستيراد ، ومن ثم فإنها خططت لإنشاء ٢٥ مصنعًا في هذا المجال ، لصناعة عدادات الماء والكهرباء والتليفونات وأسلاكها والسخانات الكهربائية والمراوح والبطاريات والمكائن الزراعية ، وخاصة المضخات .

ويمكن القول بأن الاهتمامات الرئيسة للخطة قد انصبت على تطوير الصناعات البترولية والصناعات الثقيلة التي صنفت كالآتي :

١ - صناعات الحديد والفولاذ .

٢ – صناعات الألمنيوم .

٣ – صناعة بناء السفن وإصلاحها .

٤ – صناعة السيارات .

أما بالنسبة لتصنيع النفط والغاز ، فقد زادت الدولة طاقات تكرير النفط ، كما يبدو في الجدول رقم (٤٤) .

جدول (٤٤) إجمالي طاقات التكرير ١٩٨١ – ١٩٨٦ م (ألف برميل يوميًّا)

السنة	١٩٨١ م	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	١٩٨٦ م
طاقة التكرير	٣١٥	٣١٥	٤٨٥	٦٢٠	٦٢٠	٦٢٠

المصدر : التقرير الاقتصادي العربي الموحد ١٩٨٧ ص ٣٣٤

كما شجعت الخطة تصنيع الغاز والبترول ، ولتحقيق هذا الهدف تم إنشاء مصنع للأسمدة الكيماوية في البصرة ومصنع لتسييل الغاز في الرميلة ، ومصنع الإثيلين في البصرة ، ومصفي للتصدير في الزبير ، ومجمع كيماوي في القائم لإنتاج حامض الكبريتيك وحامض الفسفوريك ، وفلورايد الألمنيوم .

ولقد كان الاهتمام كبيرًا بصناعة البتروكيماويات ، حيث تتوفر الطاقة واليد العاملة والمادة الخام والسوق . وكما هو معلوم فإن مثل هذه الصناعات تحتاج إلى رؤوس أموال ضخمة .

ويوجد مصنع للبتروكيماويات في خور الزبير لإنتاج بولي إثيلين منخفض الكثافة ٦٠,٠٠٠ طن / سنة ، وبولي إثيلين مرتفع الكثافة ٧٠,٠٠٠ طن / سنة ، والمونوفتيل مكورايد ٦٦,٠٠٠ طن / سنة .

وهنالك مشروع مخطط في خور الزبير لإنتاج بولي استر ٢٠,٠٠٠ طن ، واكريليك ١٥,٠٠٠ طن . كذلك ينتج الإثيلين بمعدل ١٣٥,٠٠٠ طن في السنة والبترول

٢٥,٠٠٠ طن في السنة[٦٧] .

ويجري الآن إنشاء مشروع المنظفات الصناعية ، وهو أحد المشروعات التي تضمنها مخطط العمل لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط (١٩٧٨ - ١٩٨٣ م) وهو مشروع مشترك تبلغ طاقته الإنتاجية ٥٠,٠٠٠ طن / سنويًّا من مادة الكيل بنزين المستقيم السلسلة في البصرة ، وكذلك إنتاج ٥٠,٠٠٠ طن / سنويًّا من مادة صوديوم تراي بولي ، وفوسفات في القائم ، وهاتان المادتان تمثلان المكونات الرئيسة للمنظفات الصناعية . كما تجري الآن دراسة بشأن إقامة مشروع بتروكيماوي لإنتاج الأسمدة الكيماوية بالقرب من صلاح الدين[٦٨] . ومنذ عام ١٩٧٧ م ، بدأ العمل بتوسيع مصنع الأسمدة لزيادة طاقته من (٢٠٠) طن / يوميًّا من الأمونيا إلى ١٠٠٠ طن / يوميًّا ، ورفع طاقة إنتاجه من اليوريا من ١٦٠ إلى ١٤٦٠ طن / يوميًّا[٦٩] .

إلى جانب ذلك ، هنالك مشاريع لإنتاج الأمونيا والأسمدة النيتروجينية في خور الزبير ، الذي يعتمد على الغاز الطبيعي . ومن المتوقع أن يكون الإنتاج قد بدأ عام ١٩٨٥ م ، بطاقة قدرها ٥١٥,٠٠٠ طن / سنويًّا من الأمونيا ونحو ٤٦٠,٠٠٠ طن / سنويًّا من اليوريا[٧٠] .

ومنذ عام ١٩٧٦ م جرى تنفيذ مشروع لإنتاج السوائل الغازية لأغراض التصدير ، بطاقة سنوية تبلغ ٢ مليون طن[٧١] .

وتعتبر صناعة غزل ونسج القطن من الصناعات المهمة في البلاد ويشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨١ م إلى أن إنتاج خيوط غزل القطن قد زاد من ٨٠٠ طن متري عام ١٩٧٠م إلى ٢٥٠٠ طن متري عام ١٩٧٨م . أما المنسوجات القطنية فقد زاد إنتاجها من ٥٩ مليون متر مربع عام ١٩٧٠ م إلى ٩٤ مليون متر مربع عام ١٩٧٨ م .

وقد حظيت صناعة الحديد والصلب باهتمام بالغ حيث بلغ حجم ما أنتج منها عام ١٩٨٣ م حوالي ٤٠٠,٠٠٠ طن من الحديد الخام ، و ٥٠٠,٠٠٠ طن من الصلب الخام ، فضلا عن ٤٥٥,٠٠٠ طن من الصلب المصنع .

وتعتبر صناعة السكر والألبان من الصناعات الغذائية المهمة في العراق . إذ بلغت الطاقة الإنتاجية لمصنع السكر عام ١٩٨١ م حوالي ٣٥,٠٠٠ طن / سنويًّا من السكر الأبيض . وحتى عام ١٩٨١ م ، بلغ عدد معامل الألبان في البلاد حوالي ٢٢ معملا ، تبلغ طاقتها الإنتاجية نحو ٣٠٠,٠٠٠ طن / سنويًّا ، والجدير بالذكر أن الطاقة المستغلة لهذه المعامل لم تزد على ٣٣٪ من إجمالي طاقتها .

– **القوة العاملة في الصناعة** : يتسم قطاع الصناعة بقلة اليد العاملة وكذلك بقلة العمالة الماهرة . ففي الإحصاء السكاني لسنة ١٩٥٧ م ، بلغ عدد القوة العاملة في قطاع الصناعة نحو ١٢٨,٠٠٠ عامل ، وفي إحصاء عام ١٩٧١ م بلغ عدد العمالة الصناعية حوالي ١٧٩,٠٠٠ عامل ، أو ما نسبته ٩٪ من مجموع القوة العاملة . وفي عام ١٩٧٦ م ارتفع عدد العمال في القطاع الصناعي إلى ١٤٢٧٤٠ عاملًا ، أي ما يعادل ١٢٪ من إجمالي القوة العاملة ، منهم ١٢٤,٠٠٢ من الذكور ، أي ما يعادل (٩٨,٥٪) من إجمالي القوة العاملة . وفي عام ١٩٨٠ م بلغ عدد القوة العاملة ٣,٢٣٢,٠٠٠ عامل ، يعمل منهم في قطاع الصناعة حوالي ٨٠٨,٠٠٠ عامل ، أي ما يعادل ٢٥٪ من إجمالي القوة العاملة .

– **إسهام القطاع الصناعي في الدخل القومي** : على الرغم من النمو الصناعي الكبير الذي شهدته البلاد ، إلا أن الإنتاج الصناعي لا يسهم بنصيب كبير في الدخل الوطني ، بل ولم يزل الاعتماد على الصناعة الاستخراجية كبيرًا . وتشير البيانات إلى أن نسبة ما أسهمت به الصناعة في الناتج المحلي الإجمالي عام ١٩٨٣ م لم تزد على ٣٠٪ ، ومن الملاحظ أن هذه النسبة كانت قد وصلت إلى ٤٠٪ عام ١٩٧٢ م ، وقد يعزى هذا التراجع إلى الصعوبات الشديدة التي واجهت عمليات استخراج النفط وتصديره منذ اندلاع الحرب العراقية – الإيرانية في عام ١٩٨٠م ، وتدمير مرفأي البكر وخور العمايا ، وتخريب خط النفط العراقي المار عبر الأراضي التركية .. ويمكن أن ندرك مدى التدهور الذي أصاب قطاع الصناعة إذا علمنا أن الصناعة الاستخراجية تمثل نحو ٩٣٪ من إجمالي النشاط الصناعي في العراق عام ١٩٨٣ م . والجدير بالذكر أن نصيب

الصناعة التحويلية قد انخفض من ١٠,١٪ عام ١٩٧٢ م إلى نحو ٦,٩٪ عام ١٩٨٣ م .

الزراعة :

اشتهرت أرض العراق بخصوبتها ، وكانت الزراعة ولاتزال العمود الفقري للاقتصاد الوطني حيث يعتمد عليها معظم أبناء الشعب .

ودراسة الزراعة بصورة مفصلة والتعرف على وضعها الراهن ، يتطلب التعرف على العديد من الموضوعات وفيما يلي عرض لذلك .

التربة : تربة العراق بصورة عامة عبارة عن ترسبات منقولة حملتها عوامل التعرية المختلفة من الأراضي المجاورة ، وألقت بها حيث هي الآن ، وهي في جملتها ترسبات جيرية ورملية وصلصالية وحصوية .

تتسم التربة في العراق بفقرها في المواد العضوية وغناها بالأملاح والمواد المعدنية مثل الكالسيوم والكبريت والفسفور والبوتاس والمغنسيوم والبورون .

وبناء على الدراسة التي قام بها بيورنج **Buringh** على التربة في أرض العراق ، يمكن التمييز بين الأنواع التالية :

١ - **التربة الكستنائية** : وتوجد في سهول المنطقة الجبلية ، وهي تربة هشة في أجزائها العليا ، وذات لون داكن ، وهي تحتوي على مواد عضوية تتراوح نسبتها بين ١٪ و ٤٪ ومواد كلسية بنسبة ٩٪ .

٢ - **التربة السمراء** : وتوجد في المنطقة شبه الجبلية لونها بني تحتوي على نسْبة تتراوح بين (١٪ و ٢٪) من المواد العضوية .

٣ - **التربة البنية الحمراء** : وتوجد في المناطق شبه الجبلية ، عند مخارج الأودية ، فيما يعرف بالدالات المروحية ، وتمتد على طول الحافة الشرقية للسهل الرسوبي ، لونها بني مائل للحمرة .

٤ - **التربة الصحراوية الرمادية** : توجد في الأقسام الشمالية والوسطى من الهضبة الصحراوية ، لونها رمادي أو رمادي فاتح ، تكثر على سطحها المواد الكلسية .

ولا تزيد نسبة المواد العضوية فيها على ١٪ ، وهي تربة ضحلة لا يزيد سمكها عن ٢٠ سم .

٥ – **تربة الصحاري** : وتوجد في القسم الجنوبي من الهضبة ، ولونها رمادي فاتح ، ونسبة المواد العضوية فيها أقل من ٠,٥٪ وهي غنية بالمواد الكلسية ، ويغطي سطحها ترسبات من الرمال والجص وفتات الصخور ، التي نتجت عن التعرية الهوائية .

٦ – **تربة الجبال** : وهي ذات أنواع عديدة تذكر منها التربة الكستنائية ، والتربة الصخرية .

٧ – **التربة الحديثة المفككة** : وتوجد في مناطق متفرقة من شمال العراق وجنوبه ، وفي النطاق الذي يمتد بين السهل الرسوبي والهضبة الصحراوية ، وهي عديمة الطبقات .

٨ – **التربة الفيضية في المدرجات النهرية** : وتوجد غرب الفرات وجنوب بحيرة الحبانية ، وعلى ضفتي دجلة ، وفي شمال مدينة بغداد ، وهي تربة قديمة تكونت من ترسبات الأنهار .

٩ – **التربة الفيضية في أراضي السهول** : وتقع في القسم الشمالي من السهل الرسوبي وتحيط بدجلة والفرات ، وهي مجموعة من الرواسب التي كونتها الأنهار بتعرجاتها الكثيرة ، وهي تظهر على شكل مدرجات وأحواض .

١٠ – التربة الرسوبية في المستنقعات المالحة .

١١ – التربة الرسوبية عند مصبات الأنهار في المياه المالحة .

١٢ – التربة الرسوبية المالحة في السهل الشرقي .

١٣ – التربة الرسوبية في الدالات النهرية وتقع في القسم الجنوبي من السهل الرسوبي بين دجلة والفرات .

– **الرقعة الزراعية** : تبلغ مساحة العراق حوالي ٤٣٨٤٤٦ كيلو متر مربعًا أو ما يعادل ١٨١ مليون دونم ، القابل منها للزراعة لا يزيد على ٤٨ مليون دونم ، أي ما يعادل ٢٦,٥٪ من إجمالي المساحة الكلية . وهناك ١٦ مليون دونم منها يمكن أن تعتمد الزراعة فيها على الأمطار ، وهي موزعة على محافظات نينوى ، دهوك ، أربيل ،

السليمانية ، التأميم ، وديالي .

أما الأراضي التي يمكن أن تعتمد الزراعة فيها على الري ، فتقدر بحوالي ٣٢ مليون دونم ، وهي موزعة في المنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية في محافظات بغداد والأنبار ، والقسم الجنوبي من ديالي ومحافظات بابل والقادسية وكربلاء وواسط وميسان وذي قار والمثنى ، والقسم الجنوبي من محافظة التأميم والسليمانية ونينوى .

ولا يزرع من هذه الأراضي جميعًا سوى ٢٣ مليون دونم ، منها ١١ مليون دونم في الشمال ونحو ١٢ مليون دونم في المنطقتين الوسطى والجنوبية ، وهي موزعة حسب وسائل الري المختلفة على النحو التالي :

- الأراضي التي تعتمد على الأمطار حوالي ١١ مليون دونم
- الأراضي التي تروى بالراحة (بالسيح) ٧ مليون دونم
- الأراضي التي تروى بالمضخات ٤,٦ مليون دونم
- الأراضي التي تروى بالنواعير ٠,٢ مليون دونم
- الأراضي التي تروى بطرق أخرى ٠,٢ مليون دونم

- **الملكية الزراعية** : لم تكن كل الأراضي الزراعية واقعة تحت الملكية الفردية فمساحات واسعة منها كانت ملكًا للحكومة ، وهذه كانت تعرف بالأراضي الأميرية ، ومساحات أخرى كانت ملكًا للأوقاف ، وما يبقى بعد ذلك كان يملكه الأفراد .

وقبل ثورة ١٤ تموز (يوليه) كانت الأراضي الأميرية وأراضي الوقف والأراضي المملوكة ملكًا خاصا تقدر بنحو ٣٣,١٥ مليون دونم يستغل منها فعلًا ٢٣,٣ مليون دونم أو ما نسبته ٧٢,٥٪ من مجموعة مساحة الأراضي المملوكة . وتشير الإحصاءات إلى أن الأراضي الزراعية والبالغة مساحتها ٣٢,١٥ مليون قد أسيء توزيعها إذ إن ٧٢,٥٪ من الملاك لم تكن تتجاوز ملكياتهم ١٣,٣٪ من مساحة الأراضي وأن ٢٧,٥٪ من الملاك يمتلكون ٨٦,٧٪ . وفي عام ١٩٥٨م ، صدر قانون الإصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨م . وكان من بين أهدافه إعادة النظر في نظم ملكية الأرض وقد جاء فيه ما يلي :

١ - توزيع الأراضي على الفلاحين المستحقين بحد أدنى يؤمن معيشتهم .

٢ - تحديد الملكية الزراعية ووضع حد أعلى لها مقداره ١٠٠٠ دونم للأراضي المروية وحوالي ٢٠٠٠ دونم للأراضي الديمية (المعتمدة على المطر) .

٣ - تكوين الجمعيات التعاونية الزراعية من الذين وزعت عليهم أراضي الإصلاح الزراعي وإيجاد نظام تعاوني للإنتاج بكافة مراحله .

إلّا أن هذا القانون لم يكن كافيًا لتوزيع الملكيات على الفلاحين توزيعًا عادلا فصدرت قوانين أخرى معدلة له هي قوانين أعوام (١٩٥٧ و ١٩٧١ و ١٩٧٧ م) . وبمقتضى هذه القوانين ، أصبح التركيب الحيازي للأراضي الزراعية على النحو الموضح في الجدول رقم (٤٥) .

وباستقراء بيانات هذا الجدول يتبين ما يلي :

١ - أن ٢٪ من الحائزين في عام ١٩٥٧ م يمتلكون ٦٩,٥٪ من الرقعة الزراعية .

٢ - أن أكثر من ثلث الحائزين يمتلكون ٠,٣٪ من الرقعة الزراعية .

جدول (٤٥) التركيب الحيازي للأراضي الزراعية ١٩٥٧ ، ١٩٧١ م

السنة	مساحة الحيازات	عدد الحائزين	٪	الرقعة الزراعية	النسبة المئوية
١٩٥٧ م	أقل من ٤ دونم	٥٧٩٥٨	٣٤,٥	٧٣,٠٥٥	٠,٣٠
	٤ وأقل من ٣٠ دونم	٥٦٧٣٥	٣٣,٧	٦٩٦,٨٨٩	٣,١٠
	٣٠ وأقل من ١٠٠ دونم	٣٠١١٩	١٧,٩	١,١٦٧,١١٨	٥,١٠
	١٠٠ وأقل من ١٠٠٠ دونم	٢٠١٢٦	١١,٩	٥,٠٢٤,٧٣٦	٢٢,٠٠
	١٠٠٠ دونم وأكثر	٣٤١٨	٢	٥,٨٥٥,٥٧٤	٦٩,٥٠
	المجموع	١٦٨٣٤٦	٪١٠٠	١٢,٨١٧,٣٧٢	٪١٠٠
١٩٧١ م	أقل من ٤ دونم	٦٧٢٢٥	١٢,٥	١٣١,٧١٠	٠,٦
	٤ وأقل من ٣٠ دونم	٢٣٤٠٤٠	٤٣,٤	٢,٠٣٥,١١٨	١٣,٢
	٣٠ وأقل من ١٠٠ دونم	١٨٩٧٤٩	٣٥,٢	٨,٩٩٠,٦٩١	٣٩,٢
	١٠٠ وأقل من ١٠٠٠ دونم	٤٦٨٧٣	٨,٧	٧,٥٤٠,٦٥٦	٣٢,٩
	١٠٠٠ دونم وأكثر	١١٦٠	٠,٢	٣,٢٣١,٧٤٧	١٤,١
	المجموع	٥٣٩٠٤٧	٪١٠٠	٢٢٩٢٩٩٢٢	٪١٠٠

المصدر : الإحصاءات العقارية الحكومية .

٣ – أما في عام ١٩٧١م فقد تغير الوضع وذلك على النحو التالي :

(أ) أن عدد الملاك ارتفع بما نسبته ٣٢٠٪ وبذلك أعطت المجال لكثير من الفلاحين المعدمين لتعديل أوضاعهم الاقتصادية .

(ب) أن عدد من يمتلكون ١٠٠٠ دونم فأكثر هبط إلى ١٢٤٠ أو ما نسبته ٢,٠٪ من عدد الملاك ويملكون ما نسبته ١٤,١٪ من الرقعة الزراعية .

(جـ) أن الرقعة الزراعية تضاعفت تقريبًا ، حيث ارتفعت بما نسبته ١٨٪ عن سنة ١٩٥٧ م .

ويوضح الجدول رقم ٤٦ توزيع الحيازات الزراعية عام ١٩٧٩ م ، ومن استقراء الجدول يتبين لنا الملاحظات التالية :

١ – أن من يملكون ٥٠٠ هكتار فأكثر يكونون حوالي ٢٠٪ من أصحاب الأراضي ولعل أغلبهم من ملاك الأراضي المعتمدة في زراعتها على المطر .

٢ – أن من يملكون ٢,٥ هكتار إلى ٥٠ هكتارًا يكونون حوالي ٥٦,٨٢٪ من أصحاب الأراضي .

٣ – أن من يملكون ٢,٥٠ هكتار إلى ٥٠ هكتارًا ومن يملكون ٥٠٠ هكتار فما فوق تبلغ نسبتهم أكثر من ٧٦٪ من أصحاب الأراضي .

– **الري** : الماء عنصر أساسي للإنبات الزراعي وانعدامه أو أيّ قصور فيه كفيل بأن يحول الأراضي إلى صحراء مجدبة . والعراق بلد يمارس غالبية سكانه الزراعة ، ومن ثم ، كان توفير الماء مطلبًا أساسيًّا لديهم .

وأرض العراق كما رأينا من قبل ، موزعة توزيعًا متكافئًا تقريبًا ، فيما يتعلق بتوافر الماء اللازم للزراعة . فنصف الأراضي الزراعية تقريبًا تعتمد في ريها على مياه الأمطار وهو النصف الواقع في الشمال . أما النصف الجنوبي فتعتمد أراضيه على وسائل الري المختلفة .

وفي العراق موارد مائية عديدة ، فكمية الأمطار الهاطلة سنويًّا تقدر بنحو ٩٩,٨٦٥ مليار متر مكعب / سنويا[٧٢] . والموارد المائية السطحية تبلغ نحو ٩١,٠٠٠ مليار متر مكعب / سنويًّا ، كما أن الموارد المائية الجوفية المتاحة تبلغ نحو ٢ مليار متر مكعب /

سنويًّا ، كما أن السعة الإنتاجية الحالية لتحلية المياه تبلغ نحو ٠,٣٤ كم / سنويًّا ولو اعتبرنا أن عدد السكان يبلغ نحو ١٦ مليون نسمة ، لكان نصيب الفرد من مجموع الموارد المائية نحو ٦٠٠٠ متر مكعب / سنويًّا[٧٣] .

جدول (٤٦) توزيع الحيازات الزراعية (١٩٧٩ م)

فئة الحيازة (بالهكتار)	الحائزون (العدد)	الحائزون (٪)	المساحة (١٠٠٠ هكتار)	المساحة (٪)
أقل من ٠,٢٥	١٢٢٠٠	٢,٦٪	١,٥	٠,٠٢٪
٠,٢٥ – ٢,٥٠	١٠٩٧٠٠	٢٣,٣٪	١٣٤,٣	٢,١٤٪
٢,٥٠ – ٧,٥٠	١٢٩٨٠٠	٢٧,٦٪	٥٩٤,٦	٩,٤٧٪
٧,٥٠ – ١٢,٥٠	١٠٨٩٠٠	٢٣,١٪	٩٦٦,٥	١٥,٣٩٪
١٢,٥٠ – ٢٠,٠	٥٤١٠٠	١١,٥٪	٧٩٣,٠	١٢,١٥٪
٢٠ – ٣٠	٢٥٢٠٠	٥,٤٪	٥٩٣,٨	٩,٤٦٪
٣٠ – ٥٠	١٩١٠٠	٤,١٪	٦٥٠,٢	١٠,٣٥٪
٥٠ – ١٠٠	٥٦٠٠	١,٢٪	٣٩٢,٣	٦,٢٥٪
١٠٠ – ١٥٠	١٨٠٠	٠,٤	٢٢٠,٥	٣,٥١٪
١٥٠ – ٢٥٠	١٦٠٠	٠,٣	٣٠,٥	٤,٨٦٪
٢٥٠ – ٤٠٠	٩٠٠	٠,٢	٢٨١,٩	٤,٤٨٪
٤٠٠ – ٥٠٠	٤٠٠	٠,١	١٥٧,٥	٢,٥١٪
٥٠٠ فأكثر	١١٠٠	٠,٢	١٢١٨,٧	١٩,٤١٪
الجملة	٤٧٠٤٠٠	١٠٠٪	٦٠٣٥,٢	١٠٠٪

المصدر : الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية ، المجلد رقم (٤) ص ١٠٥ .

ومن حسن حظ العراق أن به نهرين عظيمين ، يجريان في أرضه من الشمال إلى الجنوب ، ويمدانه بمقادير وافرة من الماء العذب . ويعمل العراق على التحكم في مياه النهرين ، بحيث يتقي شر الفيضانات التي تغرق أرضه ومحصولاته .

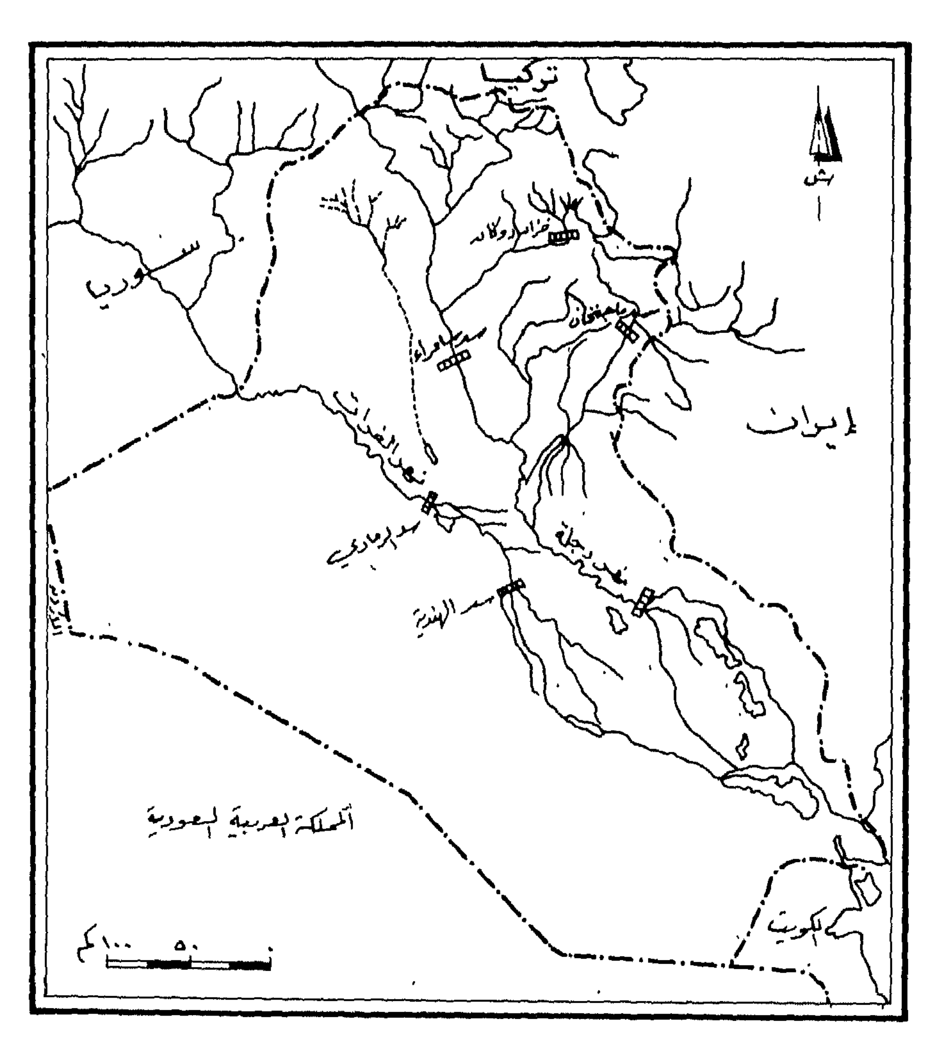
أما عن حاجة البلاد من مياه النهرين ، فإن المساحة المزروعة حاليًّا تستغل نحو ٣٩ مليار متر مكعب / سنويًّا يسهم فيها نهر دجلة وحده بمقدار ٢٢ مليار متر مكعب / سنويًّا ، بينما يسهم الفرات ببقية الكمية ، وإذا ما استمر تنفيذ السياسة الخاصة بالتوسع الأفقي في الزراعة ، فإن الحاجة إلى الماء سوف تتراوح بين ٥٥ و ٧٧ مليار متر مكعب / سنويًّا ، يخص نهر دجلة منها ٤٨,٤ مليار متر مكعب / سنويًّا ، ونهر الفرات ٢٩,٣ مليار متر مكعب سنويًّا . وقد يهبط هذا التصريف في بعض السنوات إلى ٤٥ مليار متر مكعب سنويا ، يكون نصيب دجلة منها ٣٣,٢ مليار متر مكعب / سنويًّا ، ونصيب الفرات ١١,٨ مليار متر مكعب / سنويًّا .

وفي عام ١٩٧٥م بلغ تصريف النهرين معًا ٣٥ مليار متر مكعب / سنويًّا فقط ، أما في عام ١٩٦٩م ، فإن تصريفهما بلغ ١٦٧ مليار متر مكعب / سنويًّا مما يدل على مدى التذبذب في كميات المياه التي يصرفانها سنويًّا .

ولقد أقامت الدولة مجموعة من الخزانات والسدود والمنظمات لخزن الماء وتنظيم توزيعه (شكل ٧) ، ولعل من أهمها خزان الثرثار ، الذي تبلغ طاقة تخزينه حوالي ٨٥ مليار متر مكعب سنويًّا ، وخزان هور أبودبس ، الذي تبلغ سعته نحو ٢٦ مليار متر مكعب سنويًّا . كما توجد عدة سدود ، نذكر منها سدود الهندية ، ودربندرخان ، وسامراء ، ودوكان ، والقادسية .

وإلى جانب السدود والخزانات والمنظمات فقد شقت الآلاف من قنوات الري الكبيرة والصغيرة ، لتوصيل المياه إلى الأراضي المزروعة . ومن أمثلة هذه القنوات : الصقلاوية ، وأبو غريب ، والرضوانية ، واليوسفية ، وجميعها تقطع المنطقة بين دجلة والفرات . وهناك أيضًا قنوات ديالي وكخريسان وحالص ، ومهروت وغيرها .

– **الصرف** : نجم عن استعمال مياه الري ، أن تشبعت التربة في أرض العراق بالماء



شكل-٧٠- بعض مشروعات الرّي الرئيسة .

والأملاح ، وبذلك قلت إنتاجيتها من المحاصيل وتحول كثير منها إلى أرض مالحة أو غدقة ، لهذا كان ضروريًّا إقامة شبكة من المصارف للتخلص من المياه الجوفية .

وقد تبنت الدولة بناء نظام كامل للصرف ، والأمل معقود على أن يصبح لكل قنوات الري الموجودة قنوات صرف إلى جانب مصارف أخرى للأراضي المستصلحة حديثًا والقنوات الجديدة

ولقد تم شق شبكة المصارف الرئيسة في الصقلاوية وينتظر إكمال مصرف أبو غريب واليوسفية واللطيفية ، وكذلك حفر مصرف لمشروع الدجيلة ، ليصب في المصرف الرئيس للمشروع الذي سينقلها بدوره إلى هور السنية ، وبهذا سيصبح بالإمكان إحياء ٤٠٠,٠٠٠ دونم . وقد شرع كذلك في تنفيذ مشروع مصارف الرميثة ، وهو جزء من مشروع تحسين إرواء الحلة والديوانية والدغارة ، وسيؤمن هذا المشروع إحياء ٢٠٦,٠٠٠ دونم من الأراضي التي تعاني من ارتفاع نسبة الأملاح ، وكذلك بدئ في إنشاء مشروع الرمادي ومساحته ١٥٠,٠٠٠ دونم . وهنالك مشروع يجري إنشاؤه بالتعاون مع ما كان يعرف سابقًا بالاتحاد السوفيتي وهو المصب العام ، ويتضمن إنشاء مصرف رئيس في البلاد ، يبدأ من منخفض الدلمج ، حيث ترتبط به هنالك المصارف الآتية من الفلوجة وأبي غريب واللطيفية والسيب الكبير ، ويسير جنوبًا مسافة ١٦٥ كم ، لينتهي عند مصارف الشطرة في هور الحمار ، الذي سيرتبط هو الآخر بخور عبد الله بالخليج .

– **الإنتاج الزراعي** : يسهم قطاع الزراعة بحوالي ٢٥٪ من الدخل الوطني ، ولكن يلاحظ أن هذه النسبة أخذت تهبط ؛ فمثلا خلال الفترة (١٩٥١ – ١٩٥٨ م) كان قطاع الزراعة يسهم بما نسبته ٣٧,٢٪ من الدخل الوطني ، وفي الخطة الخمسية (١٩٦٥ – ١٩٧٠ م) انخفضت النسبة إلى ٢٥,٣٪ ثم واصلت انخفاضها حتى بلغت ٨,٥٪ عام ١٩٨٣ م . ولكن يلاحظ بعد ذلك ارتفاع نصيب الزراعة في الدخل الوطني إلى ١١٪ عام ١٩٨٥ م .

ويوضح الجدول رقم (٤٧) الإنتاج الزراعي خلال سنوات ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٣ ، (شكل ٨) .

جدول (٤٧) إنتاج المحاصيل الزراعية ومساحاتها (١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ م)

– (المساحة : ألف هكتار) .

– (الإنتاج : ألف طن) .

الحبوب	١٩٨٠		١٩٨١		١٩٨٢	
	المساحة	الإنتاج	المساحة	الإنتاج	المساحة	الإنتاج
الحبوب	٢٤٢٢,٠	١٨٨٥,٦٠	٢٣٤٤,٧٥	٢٠٢٩,٠	٢٤٢٩,٦٠	٢٠٥٨,٩
القمح	١٤١٣,٧٥	٩٧٦,٠	١٢١١,٧٥	٩٠٢,٠	١١٨١,٩٣	٩٦٥,١٠
الشعير	٩١٤,٧٥	٦٨٢,٠	١٠٤٨,٧٥	٩٢٥,٠	١١٦٦,٣٥	٩٠٢,٠
الذرة الشامية	٣٢,٧٥	٦٠,٠	٢٦,٠	٣٩,٠	١٩,٨٥	٢٨,٢٠
الذرة الرفيعة والدخن	١,٠	٠,٦٠	١,٠	٠,٨٠	٠,٢٧	٠,٢٠
الأرز	٥٩,٧٥	١٦٧,٠	٥٧,٢٥	١٦٦,٠	٦١,٢٥	١٦٣,٤٠
الدرنات	٤,٥٣	٩٧,٠	٥,٣٨	١٠٤,١٠	٥,٠٣	٩٣,٠
المحاصيل السكرية	٥,٨٠		٤,٦٥		٤,٥٠	
قصب السكر	٤,١٥	١٩٠,٠	٣,٣٧	١٨٩,٠	٣,٣٧	١٤٦,٠
الشوندرا السكري	١,٦٥	٣٢,٠	١,٢٨	١٥,٩٠	١,١٣	٧,٤٠
السكر		٣٨,٠		٢٥,٠		٣٠,٠
البقوليات	٥٥,٠٥	٣٦,٩٠	٤٤,١٨	٣٨,٢٠	٤٠,٩٥	٣٦,٢٠
الفول	١٢,١٨	١٢,٦٠	٩,١٥	١٣,٢٠	٦,٩٠	١١,٢٠
العدس	٧,١٢	٥,٨٠	٦,٤٠	٥,٤٠	٦,٤٠	٥,٥٠
الحمص	٢٤,٤٣	٠١٣,٠	١٦,٧٥	١٢,٠	١٥,٧٠	١١,٦٠
البذور الزيتية بما فيها						
بذرة القطن	٢٩,٠٨	٢٨,٤٧	٢٢,٩٠	٢١,٣٠	٢٠,١٣	٢٣,٣٠
الفول السوداني	٠,١٥	٠,٢٤	٠,١٠	٠,٢٠	٠,٠٥	٠,٢٠
سمسم	١١,٩٣٠	٤,٤٠	١١,٩٧	٥,٩٠	١١,٦٥	٥,٦٠
عباد الشمس	١٣,٥٠	١٢,٤٠	١٠,٠٣	٦,٠	٧,٨٣	٧,٨٠
فول الصويا	٠,١٠	٠,٠٧				
بذرة القطن		٩,٩٠		٨,٨٠		٩,٤٠
الخضراوات	٢٢١,٦٧	١٨٣٢,٥٠	٢٢٥,٢٠	٢٠٥٧,٠٠	٢٤٨,٧٣	٢٤٤,٢
الطماطم	٣٥,٧٣	٣٤٧,٠	٤٠,٩٣	٤٢٥,٢٠	٤٢,٠٧	٤٦٧,٩٠
البصل الجاف	١٧,٦٥	١٢٨,٠	١٦,٩٨	١٣٨,٥٠	١٣,٦٠	١١٣,٢٠

تابع جدول (٤٧) إنتاج المحاصيل الزراعية ومساحاتها (١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ م)

– (المساحة : ألف هكتار) .

– (الإنتاج : ألف طن) .

الحبوب	١٩٨٠		١٩٨١		١٩٨٢	
	المساحة	الإنتاج	المساحة	الإنتاج	المساحة	الإنتاج
البطيخ والشمام	٦٣,٥٨	٦٢٣,٠	٦٨,٨٥	٨١,٧٠	٨١,٢٧	٩٣٢,٧٠
الباذنجان	٩,٣٠	١٠٠,٩٠	٧,٤٨	٨٣,٢٠	١٠,٠	١١٠,٤٠
البازلاء الخضراء	٠,٦٨	٤,٦٠	٠,٤٣	٢,٤٠	٠,٥٥	٣٦٠
الزهرة والكرنب	٠,٧٨	١١,٠	٠,٦٠	٨,٠	٠,٥٠	٨,١٠
الخيار والقثاء	٣٠,٦٠	٢٢٢,٢٠	٢٩,١٥	٢٣٩,٥٠	٣٢,٧٠	٢٧٧,٦٠
الفاكهة (جملة)		١٢٠٦,٠		١١٧٢		١٠٧٩,٥٠
التمور		٥٠٧,٠		٣٧٠,٢٠		٣٧٤
التفاح		٧٤,٠		١٠٥,٠		١١٠,٠
التين		١٢,٠		١٣,٠		١٣,٠
الرمان		١١١,٠		١٢١,٠		١٣٠,٠
الزيتون		١١١,٠		٢,٠		٢,٥٠
العنب		١٥,٩		٢٠١		٢٥٠
الموالح		١٤٧		١٧٩		٢٠٠
محاصيل الألياف	١٩,٤٣	١٦,٥٠	١٢,١٠	١٣,٧٠	١٦,٦٣	١٤,٤٠
القطن الزهرة	١٥,٩٣	١٤,٩٠	١١,٣٥	١٣,٣٠	١٢,٠٥	١٤,١٠
التبغ	١٠,٨٥	٩,٦٠	١٢,٠	١١,٩٠	١٢,٥٣	١٢,٣٠
الأعلاف الخضراء	١٢٣		١٤٠,٥٨		٤٦,٠٥	

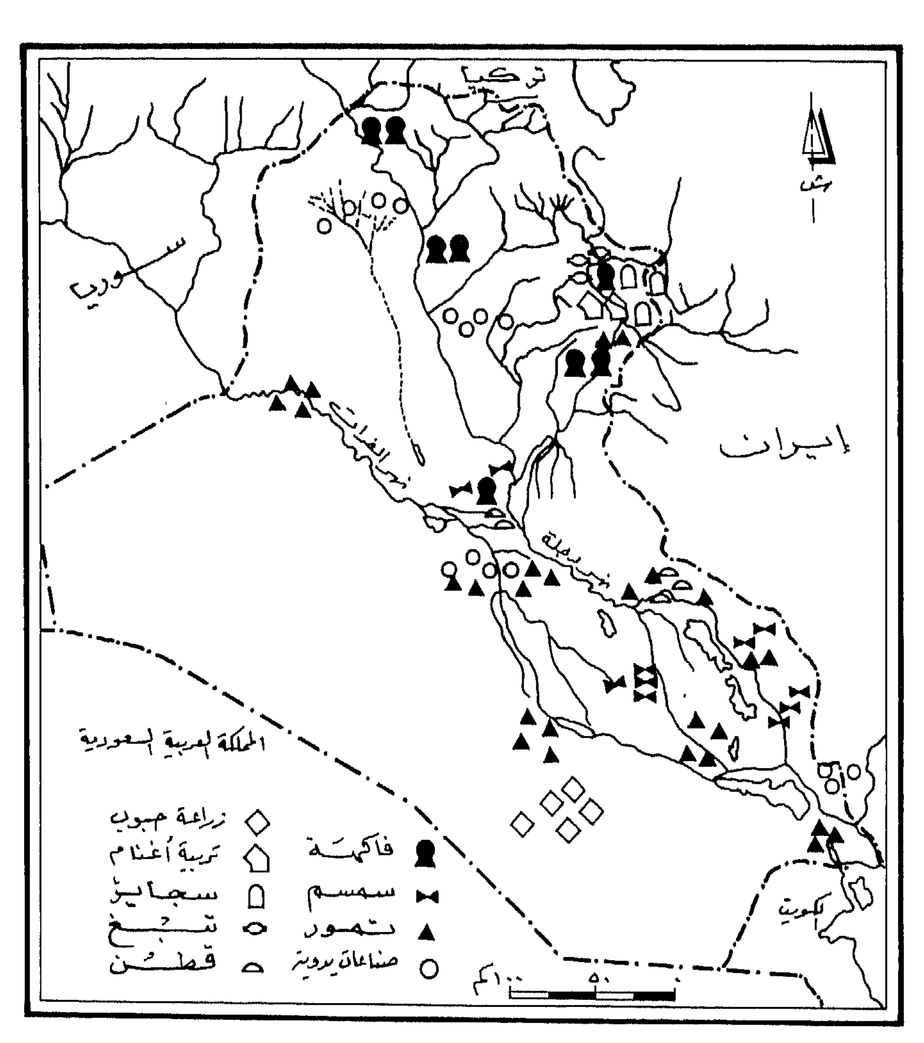
المصدر : الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية ، المجلد (٤) الخرطوم ١٩٨٤م ص ١٢٤ – ١٦٧ .

ويستفاد من بيانات هذا الجدول ما يلي :

١ – انخفاض إنتاج القمح نتيجة لانخفاض المساحة .

٢ – هبوط إنتاج الذرة الشامية بمقدار (٥٠٪) .

٣ – هبوط مساحة وإنتاج الذرة الرفيعة والدخن .



شكل -٨- الإنتاج الاقتصادي

٤ – هبوط إنتاج الأرز على الرغم من زيادة المساحة بين ١٩٨١ و ١٩٨٢م .
٥ – هبوط إنتاج قصب السكر .

وهكذا يلاحظ الانخفاض في الإنتاج ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انصراف الكثير من المزارعين إلى مجالات عمل أخرى . ولكن هنالك زيادة كبيرة في إنتاج الخضراوات لارتفاع الطلب عليها ولاسيما من سكان المدن الذين تتكاثر أعدادهم عامًا بعد آخر .

– **الاستثمارات في قطاع الزراعة** : بلغت نسبة الاستثمارات الزراعية من إجمالي الاستثمارات الكلية في خطة التنمية ١٩٧٠ – ١٩٧٥م حوالي ٢٢,٥٪ ، ولكن يلاحظ أن هذه النسبة قد انخفضت كثيرًا في خطط التنمية التالية ، حيث انخفضت إلى ١٧٪ في خطة ١٩٧٦ – ١٩٨٠م ، ثم إلى ١,٧٥٪ في خطة ١٩٨١ – ١٩٨٦م ، وواضح أن هذا الانخفاض الشديد الذي طرأ على نصيب قطاع الزراعة من إجمالي الاستثمارات ، إنما يعود إلى توجيه معظم الاستثمارات إلى القطاعات الأخرى .

وإلى جانب هذه الاستثمارات ، فقد أسهمت القروض الحكومية في النهوض بالزراعة . ولقد بلغت قيمة القروض الزراعية في عام ١٩٨٠م نحو ٣٣٥ مليون دولار أمريكي . انخفضت إلى نحو ٣٢٩ مليون دولار أمريكي في عام ١٩٨٢م .

– **المراعي الطبيعية والثروة الحيوانية** : تعتبر المراعي الطبيعية مصدرًا مهمًّا من مصادر الثروة الوطنية ، فهي تغطي مساحة واسعة من الأراضي ويعتمد عليها كثير من السكان في معاشهم ، وهذه المراعي تعتمد على المطر ويجوبها الرعاة سعيًا وراء الماء والكلأ .

وتقدر مساحة الأراضي المغطاة بالمراعي الطبيعية بنحو ٤٠٠,٠٠٠ هكتار وهي تنتشر في شمال البلاد وجنوبها ، وهي من المصادر الأساسية لتغذية الحيوان .

ولقد لعبت العوامل التالية دورًا مهمًّا ومؤثرًا في تحديد المساحة الرعوية والحد من استخدامها وهي :

– التوسع في زراعة الأراضي : التي تعتمد على الأمطار ، وخاصة على حساب الأراضي الرعوية .

- الرعي الجائر للمراعي الطبيعية .
- قلة مصادر مياه الشرب للحيوانات في المناطق الرعوية .
- عدم توفير الأماكن الملائمة لإيواء الحيوانات الرعوية وخاصة في الظروف المناخية القاسية .
- سوء استعمال الآلات وحفر الآبار .

كل هذا قد أثر تأثيرًا سيئًا على انتشار المراعي ، حتى أصبحت في حالة من التردي الشديد ، بل انقرضت بعض الأنواع النباتية المهمة . ولهذا فقد أصدرت الدولة في عام ١٩٦٥م قانونًا للمراعي ، تحرم فيه الرعي في بعض مناطق المراعي الطبيعية لمدة معينة ، إن وجد ذلك ضروريًّا للمحافظة على المراعي .

ويربي الرعاة مختلف أنواع الحيوانات ، ويبين الجدول رقم (٤٨) أعدادها في سنوات ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢م .

ويتبين من هذا الجدول أن الأغنام والماعز تشكل أغلب أنواع الحيوان في العراق ، وتتلوهما الماشية والبغال والحمير والجمال والخيول .

وتربى الأغنام والماعز للحومها وألبانها كغرض أساسي ، ولجلودها وأصوافها كغرض ثانوي ، وتتركز الأغنام بشكل واضح في المناطق الهامشية والجبلية ، بينما يربى الماعز في جميع أنحاء القطر ، ولكنه أكثر تركزًا في الشمال ويعد المارينو من أكثر أنواع الأغنام انتشارًا في البلاد ، وهي إما (كرادى) كما في الشمال ، أو (عواسى) في وسط وشمال غربي العراق ، ويتميز النوع الأول عن الثاني بصوفه الأطول ، إلا أن الثاني يتميز بنعومة صوفه . أما الماعز فيربى منه نوعان ، أحدهما يتميز بشعره الأسود القصير ، بينما يتصف الآخر بشعره الطويل الناعم ، وهو من النوع المعروف بأنقرة .

وتربى الماشية في العراق لجلودها ولحومها وألبانها ، فضلًا عن استخدامها في أغراض الحرث . ويتركز الجاموس بأعداد كبيرة في الجنوب حيث المناخ الحار الرطب ، بينما تربى الأبقار عادة في مجموعات تتراوح كل مجموعة منها بين ١٠٠ و ١٢٠ رأسًا .

أما بالنسبة للبغال والحمير ، فهي من أكثر أنواع الدواب عددًا ، وربما يعود ذلك إلى استعمال الفلاحين لهما في أغراض كثيرة مختلفة ، فضلًا عن أنها تكتفي بالقليل من أصناف العلف الرخيصة ، وذلك على عكس الخيول التي تتطلب غذاء خاصًّا وعناية خاصة أيضًا .

جدول (٤٨) الثروة الحيوانية في العراق أعوام ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢م

النوع	١٩٨٠ م	١٩٨١ م	١٩٨٢ م
الأبقار	١٧٠٢	١٨٠٠	١٩٠٠
الجاموس	١٧٠	١٧٥	١٨٠
الأغنام	٩٧٢٣	١١٧٥٠	١١٩٠٠
الماعز	٢٠٥٨	٣٧٠٠	٣٨٠٠
الجمال	٧٠	٧٥	٨٠
الخيول	٥٣	٥٥	٥٥
البغال والحمير	٤٤٢	٤٧٨	٤٧٨

المصدر : الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية ، المجلد رقم ٤ ص ١٧٢ - ١٩١ .

وفي عام ١٩٧٤م تأسست المنشأة العامة للعلف الحيواني ، وذلك لإنتاج الأعلاف المركزة وتوزيعها ، وقد تزايد إنتاجها من الأعلاف حتى بلغ في عام ١٩٨٠م نحو مليون طن .

أما بالنسبة للخدمة البيطرية ، فقد أنشئ ١٨ مستشفًى بيطريًّا و ٢٤٣ مستوصفًا و ١٨ مركزًا للإرشاد البيطري ، علاوة على عدد كبير من المختبرات والمحاجر البيطرية ، يعمل فيها ١٣٧ طبيبًا بيطريًّا .

كما كان الاهتمام كبيرًا بتربية الدواجن من أجل لحومها ومنتجاتها الأخرى ، ولأجل

هذا الغرض أسست الشركة العامة للدواجن . وقد بلغ عدد الدواجن طبقًا لتقديرات عام ١٩٨١م حوالي ١٨ مليون دجاجة ، وقد وصل هذا العدد إلى نحو ٢٠ مليون دجاجة في عام ١٩٨٣م . أما بالنسبة لإنتاج البيض ، فقد بلغ عدده في عام ١٩٨١م حوالي ٢١ مليون بيضة ، زاد إلى نحو ٢ مليون بيضة في عام ١٩٨٣م[٧٤] .

ويوضح الجدول رقم (٤٩) حجم الإنتاج الحيواني في عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠م . ويستفاد من بيانات هذا الجدول أن أكبر نسبة زيادة بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠م قد تحققت في مجال إنتاج اللحوم الحمراء ، حيث زادت بنسبة ٨,٤٪ ، يليها في ذلك الحليب الذي زاد بنسبة ٧,١٪ ، ثم الجلود بنسبة ٤,٨٪ .

– **صيد الأسماك** : يمثل السمك غذاء أساسيًا ورئيسًا وضروريًا للإنسان ، وللعراق في ذلك مصدران هما :

١ – نهرا دجلة والفرات وشط العرب ومناطق الأهوار والمستنقعات والبحيرات المتعددة .

٢ – الأسماك البحرية .

إلا أن إنتاج الأسماك لم يزل منخفضًا ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما يلي :

(أ) استعمال المتفجرات والسموم في صيد الأسماك .

(ب) قتل الأسماك الصغيرة عند استعمال الطرق المبيدة في الصيد .

(جـ) صيد الأسماك البالغة في موسم تكاثرها .

وفي سنة ١٩٥٦م صدر قانون صيد الأسماك ، وقد تم بموجبه وضع التعليمات الخاصة بصيد الأسماك وقامت وزارة الزراعة بتربية الأسماك صناعيًا في مزارع أعدت لهذا الغرض . وكانت أول مزرعة أقامتها لهذا الغرض في الزعفرانية ، في مساحة عشرة دونمات .

جدول (٤٩) الإنتاج الحيواني عامي ١٩٧٥ ، ١٩٨٠م

الإنتاج	١٩٧٥م	١٩٨٠م
اللحوم الحمراء	١٢٢٠٠٠ طن	١٨٢٠٠٠ طن
الحليب	٤٥٨٠٠٠ طن	٦٤٤٠٠٠ طن
الجلود (مليون طن متري)	٣,٤	٤,٣

وفي عام ١٩٦٩م عقدت اتفاقية للتعاون في مجال الثروة السمكية بين العراق وما كان يعرف سابقًا بالاتحاد السوفيتي وتضمن الاتفاق تنفيذ أربعة مشاريع هي :

١ – مشروع الصيد في أعالي البحار .
٢ – مشروع تسويق الأسماك .
٣ – مشروع تربية الأسماك في المياه الداخلية .
٤ – مشروع البحث والتدريب .

وللعراق مصدران للأسماك هما : أسماك المياه الداخلية أي النهرية ، وأسماك المياه البحرية .

أما بالنسبة لإنتاج الأسماك من المياه الداخلية ، فهو ذو قيمة اقتصادية وغذائية كبيرة ، وإنتاجه في ازدياد مستمر ، كما يبدو في الجدول رقم (٥٠) .

أما بالنسبة لإنتاج الأسماك من المصايد البحرية ، فيبلغ طول الساحل العراقي ٥٠ كم ومساحة الجرف القاري نحو ٢٠٠٠ كم^2 ، وقد بلغ إنتاج الأسماك والأحياء البحرية للسنوات (١٩٧٦ – ١٩٨٠م) . كما يبدو في الجدول رقم (٥١) .

وكان قد تم في عام ١٩٧٠م ، تأسيس الشركة العامة للأسماك ، برأسمال قدره مليونا دينار عراقي (يمكن رفعها إلى ٥ ملايين دينار) وقد قامت الشركة بموجب الاتفاق مع الاتحاد السوفيتي السابق بشراء سفن للصيد متوسطة الحجم لاستغلال الثروة السمكية في المياه الإقليمية في الخليج العربي والبحر العربي والمياه الدولية وإنشاء مخازن مبردة ، وشراء سيارات لنقل الأسماك . وقد خصصت الدولة لقطاع الأسماك في خطتها الخمسية (٧٠ / ١٩٧٤م) ثلاثة ملايين دينار عراقي لتطوير قطاع الثروة السمكية .

ولما كانت الأحياء المائية من الموارد الطبيعية المهمة في رفع مستوى التغذية وتطوير الاقتصاد الوطني ، فقد صدر في عام ١٩٧٦م قانون تنظيم صيد واستغلال الأحياء المائية وحمايتها ، وكان من أهم ما جاء فيه من وسائل الحماية ما يلي :

١ – منع استعمال طرق الإبادة الجماعية في صيد الأحياء المائية كالسموم والمتفجرات

والمواد الكيماوية والطاقة الكهربائية وغيرها .

٢ – منع استعمال وسائل ومعدات الصيد التي تضر ببيض الأحياء المائية وصغارها التي تعين وتحدد ببيان من الشركة العامة للأسماك بالجريدة الرسمية .

جدول (٥٠) الإنتاج السمكي في المياه الداخلية (١٩٧٦ – ١٩٨٠م)

السنة	الإنتاج (بالطن متري)
١٩٧٦م	١٧٣٤٧
١٩٧٧	١٨١٧٠
١٩٧٨	١٨١٧٠
١٩٧٩	١٨٢٥٠
١٩٨٠م	١٧٥٠٠

المصدر : محمود تويني ، الإنتاج السمكي في الوطن العربي واقعه وآفاق تطوره ، ص ١٤ .

جدول (٥١) إنتاج الأسماك والأحياء البحرية (١٩٧٦ – ١٩٨٠ م)

السنة	الإنتاج (بآلاف الأطنان)
١٩٧٦م	١١٣٠٠
١٩٧٧	١٤٥٠٠
١٩٧٨	٢٥٧٠٠
١٩٧٩	٤٨٦٠٠
١٩٨٠م	٢٩٥٠٠

المصدر : محمود تويني ، الإنتاج السمكي في الوطن العربي واقعه وآفاق تطوره ، ص ١٥ .

٣ – منع إلقاء فضلات المعامل والمختبرات ومجاري المياه القذرة والمواد الكيماوية والبترولية في المياه العامة إذا كانت تؤدي إلى قتل الأحياء المائية .

– **العمالة في القطاع الزراعي** : يعتمد قطاع كبير من العراقيين على الزراعة ، فالزراعة بمنتجاتها المختلفة هي المصدر الرئيس للمواد الغذائية التي يستهلكها المواطنون ، وكذلك المصدر الرئيس لتزويد الصناعة بالمواد الأولية . لذلك فإن ما نسبته ٧٠٪ من القوى العاملة تعمل في القطاع الزراعي ، وهذه النسبة تتناقص نتيجة للهجرة من الريف إلى المدن .

ويوضح الجدول رقم (٥٢) تطور أعداد اليد العاملة في قطاع الزراعة في السنوات الأخيرة (١٩٧٠ – ١٩٨٢م) .

ويلاحظ من الجدول الانخفاض الواضح في نسبة القوة العاملة في القطاع الزراعي بين عامي (١٩٧٠ و١٩٨٢م) ويرجع السبب في ذلك إلى الهجرة الكبيرة من الريف إلى المدن ، للعمل في القطاعات الاقتصادية الأخرى ، بالإضافة إلى عوامل الجذب الكبيرة في المدن .

ولعل هذا هو الذي أدى إلى زيادة الاهتمام بالريف ، بهدف إنقاذ سكانه من الفقر والمرض والجهل والتخلف ، فقد تم بناء ٤٥٥ قرية للفلاحين في محافظات بغداد وديالي والتأميم وكربلاء وبابل والمثنى وواسط ، وسيسان وذي قار ، وهي تضم حوالي ٣٠,٠٠٠ وحدة سكنية ، وفي عام ١٩٧٣م أخذت المنشأة العامة للتصميم والإنشاء الزراعي على عاتقها مهمة تشييد وبناء القرى العصرية بكافة مرافقها الخدمية ، وأتمت بناء ١٩ قرية نموذجية . وفي محافظات أربيل والسليمانية ودهوك ، تم إنشاء مئات القرى العصرية لتضم نحوا من ٢٦,٠٠٠ قرية ، وتستهدف خطة التنمية للسنوات (١٩٧٦ – ١٩٨٠م) إيصال الطاقة الكهربائية إلى نسبة لا تقل عن ٦٥٪ من مساكن الريف ، وتوفير مياه الشرب النقية إلى ٤٠٪ من حاجة الريف المحلية .

جدول (٥٢) عدد اليد العاملة في قطاع الزراعة ١٩٧٠ - ١٩٨٢م .

السنــة	مجموعة القوة العاملة القادرة على العمل	القوة العاملة المشتغلة فعليـــًا	القوة العاملة المشتغلة بالقطاع الزراعي
١٩٧٠ م	٢,٦٦٤,٩٠٠	٢,٥٠٦,٧٠٠	١,٢٨٥,٧٠٠
١٩٧٥	٣,١٨١,٥٠٠	٢,٩٤١,٤٠٠	١,٦٥٤,٤٠٠
١٩٧٦	٣,٢٨٨,٠٠٠	٣,٠٣٩,٩٠٠	١,٧٠٩,٠٠٠
١٩٧٧	٣,٠٣٢,٠٠٠	٣,٠٠٥,٠٠٠	٩٣٨,٤٠٠
١٩٨٠	٣,٠٥٩,٠٠٠	-	٨٤١,٠٠٠
١٩٨٢م	٣,٤٤٥,٠٠٠	-	٩٤١,٠٠٠

المصدر : الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية ، مجلد رقم ٤ ، ص ٤٧ .

- **مستقبل الزراعة وتربية الحيوان** : قبل مناقشة مستقبل الزراعة ، والسبل التي يجب أن تتبع للوصول بالإنتاج الزراعي والحيواني إلى المستوى الذي يتواءم مع الشهرة التي عرف بها العراق منذ القدم ، والتي تتعلق بخصب أراضيه وتفوقه في الإنتاج الزراعي ، يحسن أن نعرض لإمكانية اكتفاء العراق ذاتيًا بإنتاجه الزراعي والحيواني . وفي سبيل ذلك ذكر أن العراق قد استورد في عام (١٩٧٩ - ١٩٨٠م) ما قيمته ١٦٠٠ مليون دولار من المواد الغذائية ولا يتوقع أن يسد احتياجاته من الحبوب واللحوم حتى سنة ٢٠٠٠م .

ويرجح حسب التوقعات المعيارية أن يستورد العراق ما نسبته :

١٤٪ من احتياجاته من الحبوب و ٨٪ من احتياجاته من القمح و ٤٪ من احتياجاته من الأرز و ١٥٪ من احتياجاته من الحبوب الخشنة .

والجدول رقم (٥٣) يبين الإنتاج المحلي والفجوة الغذائية ومعدل الاكتفاء الذاتي حتى سنة ٢٠٠٠م .

جدول (٥٣) الإنتاج الزراعي ومدى كفايته حتى عام ٢٠٠٠ م

النوع	١٩٧٥ م				١٩٩٠ م				٢٠٠٠ م			
	الطلب	الإنتاج المحلي	الفجوة	معدل الاكتفاء الذاتي	الطلب	الإنتاج المحلي	الفجوة	معدل الاكتفاء الذاتي	الطلب	الإنتاج المحلي	الفجوة	معدل الاكتفاء الذاتي
١ – لحوم الأبقار	٥٠٥٠٠٠	٤٦٢٠٠	٤٣٠٠	٪٩١	١٢٧٩٠٠	١٢٤٨٠٠	٣١٠٠	٪٩٨	٢٠٤٧٠٠	١٩٩٧٠٠	٥٠٠٠	٪٩٨
٢ – لحوم الأغنام والماعز	٥٢٠٠٠	٤٦٥٠٠	٥٥٠٠	٪٨٩	١٥٣٥٠٠	١٤٥٠٠٠	٧٥٠٠	٪٩٥	٢٠١٩٠٠	١٩١٩٠٠	١٠٠٠٠	٪٩٥
٣ – لحوم الجمال	٩٠٠٠	٤٠٠٠	٥٠٠٠	٪٤٤	٢١٠٠٠	٤٠٠٠	١٧٠٠٠	٪١٩	٣٤٠٠٠	٤٠٠٠	٣٠٠٠٠	٪١٢
٤ – اللحوم الحمراء	١١١٥٠٠	٩٦٧٠٠	١٤٨٠٠	٪٨٧	٣٠١٤٠٠	٢٧٣٨٠٠	٢٧٦٠٠	٪٩١	٤٤٠٦٠٠	٣٩٥٦٠٠	٤٥٠٠٠	٪٩٠
٥ – اللحوم البيضاء	٣٨٥٠٠	٣٠٧٠٠	٧٨٠٠	٪٨٠	١٢٩٢٠٠	١٢٩٢٠٠	٠,٠	٪١٠٠	٣٤٦٠٠٠	٪٠,٠	٪١٠٠	٪١٠٠
٦ – الألبان	٥٩٤٠٠٠	٤٥٩٠٠٠	١٣٥٠٠٠	٪٧٧	١٧٤٩٠٠	١١٨١٠٠٠	٥٦٨٠٠٠	٪٦٨	٢٩٦٨٠٠٠	١٩٣٧٠٠٠	١٠٣١٠٠٠	٪٦٥
٧ – البيض	٣٥٠٠٠	١٦٠٠٠	١٩٠٠٠	٪٤٦	١٢٧٠٠٠	١٢٧٠٠٠	٠,٠	٪١٠٠	٢٠٣٠٠٠	٢٠٣٠٠٠	٠,٠	٪١٠٠
٨ – القمح	١٧٧٦٠٠٠	١١٦٦٠٠٠	٦١٠٠٠٠	٪٦٦	٢٩٥٨٠٠٠	٢٦٣٦٠٠٠	٣٢٢٠٠٠	٪٧٤	٣٥٢٠٠٠٠	٣٢٢٨٠٠٠	٢٩٢٠٠٠	٪٩٢
٩ – الأرز	٣٦٩٠٠٠	٩٨٠٠٠	٢٧١٠٠٠	٪٢٧	٨٥٠٠٠٠	٨١٨٠٠٠	٣٢٠٠٠	٪٩٦	١٤٥٨٠٠٠	١٤٠٤٠٠٠	٥٤٠٠٠	٪٩٦
١٠ – الذرة الصفراء	٩٩٠٠٠	٣١٠٠٠	٦٨٠٠٠	٪٣١	٣٢٨٠٠٠	١٧٢٠٠٠	١٥٦٠٠٠	٪٥٢	٥٩٣٠٠٠	٣٤٠٠٠٠	٢٥٣٠٠٠	٪٤٩
١١ – الشعير	٥٤٧٠٠٠	٥١٦٠٠٠	٣١٠٠٠	٪٩٤	١٦٣٥٠٠٠	١٥٤٧٠٠٠	٨٨٠٠٠	٪٩٥	٢٩٣٢٠٠٠	٢٩٦٠٠٠٠	٢٨٠٠٠٩	٪١٠١
١٢ – الذرة البيضاء	٩٠٠٠	٨٠٠٠	١٠٠٠	٪٨٩	٣٧٠٠٠	١٨٠٠٠	١٩٠٠٠	٪٤٩	٧٢٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٢٠٠٠	٪٤٢
١٣ – مجموع الحبوب	٢٨٠٠٠٠٠	١٨١٩٠٠٠	٩٨١٠٠٠	٪٦٥	٥٨٠٨٠٠٠	٤٧٤٤٠٠٠	١٠٦٤٠٠٠	٪١٨٢	٨٥٨٥٠٠٠	٧٣٤٧٠٠٠	١٢٣٨٠٠٠	٪٨٦
١٤ – الحبوب الزيتية	٩٣٠٠٠	١٠٠٠٠	٨٣٠٠٠	٪١١	٢٢٦٠٠٠	٧١٠٠٠	١٥٥٠٠٠	٪٣١	٣٤٥٠٠٠	١٠٩٠٠٠	٢٣٦٠٠٠	٪٣٢
١٥ – خضراوات طازجة	١٠٣٦٠٠٠	١٠٣٦٠٠٠	—	٪١٠٠	٢٤٠٥٠٠٠	٢٧٧٠٠٠٠	٣٦٥٠٠٠	٪١١٥	٣٧١٣٠٠٠	٤٧٨٨٠٠٠	١٠٧٥٠٠٠	٪١٢٩
١٦ – السكر	٣٨١٠٠٠	١٩٠٠٠	٣٦٢٠٠٠	٪٥	٨١٣٠٠٠٠	٣٣٢٠٠٠	٤٨١٠٠٠	٪٤١	١١٥٧٠٠٠	٤٧٣٠٠٠	٦٨٤٠٠٠	٪٤١

المصدر : برنامج مشترك لإنتاج الحبوب والأعلاف في أقطار الخليج العربي والجزيرة العربية : ص ١١٥ – ١٣١
منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة . روما – ديسمبر ١٩٧٩ م .

ويوصف القطاع الزراعي في العراق بأنه الآن متخلف وبطيء النمو وكثير المشاكل ، كما يوصف بقلة إنتاجية الأرض وسوء استعمال ماء الري والأرض مما أدى إلى تملح التربة . وبما أن الزراعة هي المصدر الوحيد للمواد الغذائية لمختلف فئات السكان ، وأن نسبة كبيرة من المواد الأولية التي تستهلكها الصناعة المحلية من أصل زراعي ، وأن غالبية السكان يعتمدون على الزراعة في معيشتهم ، وأن تطوير القطاع الزراعي يلعب دورا كبيرا في رفع مستوى الأفراد ورفاهيتهم ، وأن نسبة كبيرة من الإنتاج الصناعي المحلي يستهلك من قبل أبناء الريف – ومن ثم فإن زيادة دخل الفلاح تلعب دورًا كبيرًا في توسيع السوق وتنشيط حركة التطور الصناعي ، وإن الاستغلال الأمثل لعوامل الإنتاج الزراعي يؤدي إلى زيادة الإنتاج ووقف الاستيراد والتصدير إلى الخارج للحصول على عملة صعبة . فإن الخطط الزراعية المختلفة قد عملت على تطوير الإنتاجية والإنتاج في الزراعة .

ولقد اعتمدت منذ عام ١٩٥٨م استراتيجية للتنمية الزراعية ، وكانت من أهم مرتكزات تلك الاستراتيجية تنظيم الملكية العقارية وزيادة الإنتاج الزراعي أفقيًا ورأسيًا ، وذلك بتطوير الموارد الزراعية الأرضية والمائية ، والسيطرة على الموارد المائية من خلال بناء الخزانات وإكمال شبكات الري والصرف .

كذلك تم تخصيص مبالغ كبيرة لاستصلاح الأراضي (التي غطتها الأملاح نتيجة لسوء استعمال الأرض والماء) .

وتقدم وزارة الزراعة الخدمات التالية :

١ – مكافحة الأمراض والأوبئة والحشرات .

٢ – توفير الأسمدة والبذور بأجور مدعومة .

٣ – تقديم خدمات المكائن أو بيعها للمزارعين بكلفة استيرادها .

٤ – تحسين سلالات الثروة الحيوانية وبخاصة الأبقار .

٥ – توجيه استثمارات كبيرة للدواجن ، كما عملت الوزارة على تمويل ملكية الدواجن للقطاع الخاص (عدا ملكية الأراضي) .

٦ – تحديد الأسعار لمصلحة المستهلك واحتكار شراء الحبوب وتوزيعها على المستهلكين بأسعار مدعومة .

وقد أدت هذه السياسة إلى نتائج سلبية ، حيث أحجم المزارعون عن زراعة الحبوب ونقصت مساحة الأراضي المزروعة حبوبًا لمصلحة الخضراوات ، التي ارتفعت أسعارها كثيرًا وذلك بسبب ازدياد الطلب عليها كما ذكرنا آنفًا .

وخلال الفترة الواقعة بين (١٩٦٩ و ١٩٧٩م) حصل تدهور في المحاصيل الموسمية يقدر بحوالي ١,٥٪ سنويًا ، بسبب تدهور المساحة المزروعة بنحو ٢٪ سنويًا ، وقد شمل هذا التدهور الحنطة والشعير والأرز ، كما تدهورت المحاصيل الصناعية والبذور الزيتية[٧٥] .

وشهدت الدرنيات والأبصال معدلات عالية من النمو تجاوزت ٢٠٠٪[٧٦] ، وكذلك شهد إنتاج الطماطم والخيار معدلات نمو موجبة ، للحاجة المتزايدة إلى توسيع مساحة الخضراوات على حساب الحبوب ، وكذلك تعديل أسعار البترول الذي أوجد نوعًا من الاسترخاء عند الفلاحين .

أما فيما يخص الفواكه خلال الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨١م) ، فقد زاد الإنتاج بمعدل ١٠٪ نتيجة لزيادة مساحة البساتين وزيادة الطلب على الفواكه ، مما أدى إلى ارتفاع أسعارها . وقد شكل إنتاج الفواكه والخضراوات في عام ١٩٧٩م حوالي ١٦٪ من مجموع الإنتاج الزراعي (حسب أسعار ١٩٧٥م) ، كذلك حقق الإنتاج الحيواني بين (١٩٧١ و ١٩٨١م) نموا قدره نحو ٣٨٪ عام ١٩٧٩م ، بالأسعار الثابتة لعام ١٩٧٥م[٧٧] .

أما عن تطور الإنتاج والإنتاجية والمساحة المزروعة على مستوى المجموعات المحصولية خلال الفترة (١٩٧٥ - ١٩٨٦م) ، فيوضحها الجدول رقم (٥٤) .

ولكي تحقق خطط التنمية أهدافها والوصول بالإنتاج إلى حد الاكتفاء الذاتي الذي تسعى إليه ، يجب العمل على ما يأتي :

١ - زيادة إنتاج المحاصيل لسد احتياجات الاستهلاك المحلي مع مراعاة معدل الزيادة السنوية في السكان .

٢ – التوسع في تصدير بعض المحاصيل مقابل استيراد محاصيل أخرى عوضًا عنها .

٣ – التركيز على زراعة المحاصيل التي تزود الصناعات الزراعية بالمواد الأولية اللازمة لها، مثل قصب السكر والبنجر والقطن والبذور الزيتية .

٤ – تنويع الإنتاج الزراعي باتباع أساليب الزراعة الحديثة .

٥ – إكمال السيطرة على مياه الفيضان وخزنها للإفادة منها في التوسع الزراعي .

٦ – تشجيع المراكز التعاونية في القطاع الزراعي للارتفاع بإنتاجية الأرض ، وذلك إذا تم التأكد من فوائد هذه المراكز التعاونية .

٧ – الإسراع في توزيع الأراضي على المستثمرين .

٨ – تحسين نظم إدارة المشاريع الزراعية لتأمين حسن استغلال الأراضي وزيادة إنتاجيتها تبعًا لذلك .

٩ – استكمال إنشاء محطات تربية الحيوان في أبو غريب والبصرة وبكرة وإسكي مكلك .

١٠ – تهيئة ما تحتاجه من فنيين ومعدات وأنواع محسنة من الحيوان وتقديم خدمات بيطرية ونشرها على أوسع نطاق ممكن .

١١ – ميكنة الزراعة .

١٢ – التركيز على الثروة الخشبية والعناية بالغابات في شمال العراق وشرقه ، بهدف توفير المواد الأولية اللازمة للصناعة ، كمصانع الحرير الصناعي والورق وزراعة الغابات كمصدات للرياح لوقاية المزروعات من الرياح الحارة والباردة ومصدرًا للأخشاب .

١٣ – إقامة مشروعات لتسويق المحاصيل الزراعية وإنشاء مخازن الحبوب .

١٤ – اعتماد سياسة التوسع الأفقي والرأسي .

١٥ – التوسع في خدمات الميكنة والتسميد والوقاية وإدخال أسلوب الدورات الزراعية وعلى الأخص في زراعة محصولي الحنطة والأرز .

جدول (٥٤) نسب الإنتاج والإنتاجية والمساحة الزراعية فى الفترة ١٩٧٥ – ١٩٧٦م

اسم المجموعة	معدل نمو الإنتاج	معدل نمو المساحة	معدل نمو الإنتاجية
الخضراوات	٩,٨	٩,٧	٠,١١
الحبوب	٢,٧٠	٤,٣	١,٥
الدرنيات والأبصال	١٥,٤	١١,٤	٣,٢
البقوليات	٠,٣٥	٢,٨	٣,١٩
الإجمالي (٪)	٢٨,٢٥	٢٨,٢	٨

المصدر : إسماعيل عبيد : تطور الإنتاج والإنتاجية في الزراعة العراقية للفترة ١٩٧٥ – ١٩٨٦ م ، ص ٨٣ .

١٦ – التركيز على زيادة إنتاج العاملين واعتماد أسلوب الحوافز لزيادة الإنتاج .

١٧ – السير بخطى التكامل الزراعي بشقيه النباتي والحيواني في المزرعة الواحدة بما يضمن اعتماد الزراعة ذاتيًّا على منتجاتها .

١٨ – الاهتمام بالتخطيط الإقليمي .

١٩ – الاهتمام بموضوع الهجرة المتزايدة للعاملين في القطاع الزراعي .

٢٠ – الاهتمام بالإرشاد الزراعي .

٢١ – الاهتمام بالفلاحين وذلك بإنقاذهم من الجهل والمرض والفقر والتخلف وتحسين وضعهم الاقتصادي ، وتوعية الفلاح لكي يقوم بواجبه تجاه وطنه فيزيد إنتاجه .

٢٢ – تطوير أساليب الري بالتوسع في استخدام الري بالرش والري بالتنقيط .

٢٣ – اتباع الأساليب الزراعية الحديثة كالزراعة المحمية .

النقل والتجارة

- النقل :

إن انتشار طرق المواصلات يتناسب طرديًّا مع التطور الحضاري ؛ لأن طرق المواصلات تساعد على الاتصال الحضاري والنمو الاقتصادي ولذلك تهتم الدول بنشر طرق الاتصال المختلفة ، التي تربط أجزاءها بعضها ببعض ، وتربطها بالدول الأخرى .

والعراق بحكم موقعه في قلب العالم القديم يعتبر جسرًا يربط الشرق بالغرب فقد كانت تمر به طرق القوافل من البحر المتوسط إلى الصين كما كان يمثل نهاية الخط البحري من المحيط الهندي والخليج العربي . وقد تجلّت أهمية موقع العراق ، بمحاولة ألمانيا مد سكة حديد برلين – بغداد وكذلك بسعي الحلفاء إلى الاستيلاء على العراق في الحربين العالميتين الأولى والثانية .

وبالإمكان الوصول إلى العراق جوًّا وبرًّا وبحرًا من معظم أنحاء العالم .

فهو يرتبط جوًّا بمعظم العواصم والمدن الأوروبية والأمريكية المهمة ، وبرحلات منتظمة ومباشرة ، وبرًّا عن طريق : بغداد – زاخو – تركيا – بلغاريا ثم بقية دول أوروبا .

ويمكن الوصول من أوروبا إلى العراق بحرًا عن طريق بيروت ، ومنها تواصل الرحلة برًّا عبر الأراضي السورية إلى بغداد ، أو عبر البحر الأحمر إلى البصرة ومن ثم إلى بغداد .

ولقد أهتم العراقيون بمد طرق المواصلات المختلفة ، وخاصة بعد عام ١٩٧٥م ، حيث تم مد شبكة واسعة من طرق المواصلات المعبدة وخطط لمد السكك الحديدية لربط مدن البلاد المهمة بعضهما ببعض .

النقل البري : الطرق البرية في العراق نوعان ، هما الطرق المعبدة والسكك الحديدية . أما الطرق البرية المعبدة فيوضحها الجدول رقم (٥٥) والشكل رقم (٩) .

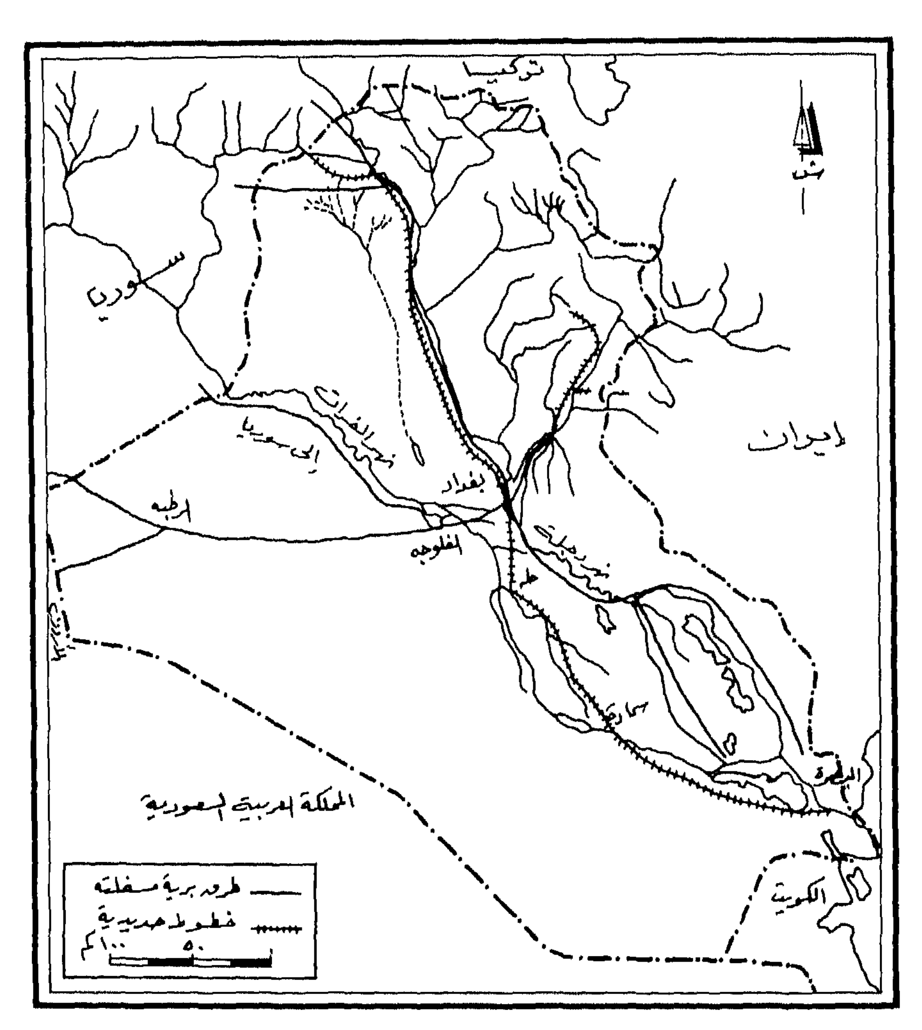
جدول رقم : (٥٥) شبكة الطرق البرية المعبدة في العراق (١٩٦٨ - ١٩٧٤م)

السنة	الطرق المعبدة (مقدرة بالكم)			الطرق الترابية (مقدرة بالكم)
	حديثة	قديمة	مجموع	
١٩٦٨	٢١٩٢	١٩٩١	٤١٨٣	٥١١٦
١٩٦٩	٢٤٥١	١٩٩٤	٤٤٤٥	٤٨٨٤
١٩٧٠	٢٧٥٦	٢٠٣٦	٤٧٩٢	٤٥٦٨
١٩٧١	٣٠٥٦	٢١٠٨	٥١٦٤	٤٦٧٦
١٩٧٢	٢٣٣١	٢٠٥٠	٤٣٨١	٥٢٢٨
١٩٧٣	٣٩٧٨	١٨٤٦	٥٨٢٤	٥٠٠٠
١٩٧٤	غ.م*	غ.م	٦٠٢٦	٥٠٧٠

* البيانات غير متوفرة .

وتشمل شبكة الطرق البرية الرئيسة العديد من الطرق المهمة نذكر منها : طريق بغداد الكوت - العمارة - البصرة (٥٨٢ كم) ، طريق بغداد - كركوك - أربيل - موصل (٤٦٥ كم) ، طريق بغداد - سامراء - تكريت - موصل ، والذي يبلغ طوله نحو ٣٤٣ كم .

ويرتبط العراق بالدول المجاورة عن طريق شبكة من الطرق الرئيسة ، نذكر منها طريق بغداد - الرمادي - الرطبة - الجفور - المفرق - عمان (٩١٨ كم) ، طريق بغداد - الرمادي - الرطبة - الجفور (الحدود الأردنية) - المفرق - دمشق (٥٧٢ كم) . طريق بغداد - الرمادي - مفرق هيت - حديثة - عنه - القائم - الحدود السورية - دمشق (٤٢٤ كم) ، وطريق بغداد - الكوت - العمارة - القرنة - البصرة - صفوان - العبدلي - الكويت (٧٤٧ كم) ، طريق البصرة - صفوان - الكوَيت - المملكة العربية السعودية ، طريق بغداد - النجف - حائل - المدينة المنورة ، طريق بغداد - الموصل - زاخو - ثم يعبر نهر دجلة عند فيشخابور ، ليرتبط بالطرق التركية المجاورة



شكل - ٩ - شبكة الطرق البرية

لهذه المنطقة ، حتى مدينة ديار بكر ثم إلى أنقرة (١٧٨٦ كم) ، طريق بغداد – بعقوبة – خانقين – المنذرية – قصر شيرين (في الأراضي العراقية) ثم امتداده في إيران إلى كرمنشاه – همدان – طهران ، ويبلغ طوله ٩١٠ كم .

– أما السكك الحديدية ، فقد اهتمت الدولة اهتمامًا كبيرًا بوصل مدن العراق المهمة بعضها ببعض بالسكك الحديدية ، بكل ما تحمله من مميزات اقتصادية معروفة . ولعل من أهم خطوط السكك الحديدية في العراق ، خط بغداد – الموصل – الحدود السورية (٥٣١ كم) وخط بغداد – البصرة ، الذي يبلغ طوله ٥٤٢ كم ، بالإضافة إلى خطين فرعيين ، هما خط كربلاء وأم قصر .

وقد ارتفع عدد المسافرين على الخطوط الحديدية من ٣٠٨,٦٠٠ راكب عام ١٩٧٥م إلى ٣٥٢,٤٠٠ راكب عام ١٩٧٧ ، أمّا البضائع المنقولة فقد ارتفع وزنها من ٤٣٨,٣٠٠ طن عام ١٩٧٥م إلى ٥٠٨,٥٠٠ طن عام ١٩٧٧م .

– **النقل الجوي** : لقد أتاح الموقع للعراق أن تكون منطقة مرور لمختلف الطرق الجوية بين الشرق والغرب مما جعل الدولة تبني لنفسها أسطولًا جويًا يجوب معظم أنحاء العالم .

ولقد ارتفع عدد المسافرين من مطار بغداد من ٧٩٣٣٤٣ مسافرا عام ١٩٧٥م إلى ١٠٤٥٠٣٢ مسافرا عام ١٩٧٧ أما البضائع التي تم نقلها جوا ، فقد ارتفع وزنها من ١٥٥٨٣ طنًا عام ١٩٧٥م إلى ١٥٥٠٩ طنًا عام ١٩٧٧م ، هذا بالإضافة إلى المواد البريدية المنقولة جوًا والتي زاد وزنها من ٥٥٨ طنًا عام ١٩٧٥م إلى ٩٩٨ طنًا عام ١٩٧٧م .

– **النقل المائي** : ويمكن تقسيمه إلى قسمين ، هما النقل النهري ، والنقل البحري .

– **النقل النهري** : المعلوم أن دجلة والفرات يصلحان للملاحة النهرية في بعض أجزاء مجراهما فنهر دجلة صالح للملاحة في القطاع الممتد بين بغداد والبصرة والذي يبلغ طوله ٨٠٥ كم ، أما القطاع الممتد بين بغداد والموصل فلا يصلح إلّا للزوارق والبواخر الصغيرة ولا سيّما أثناء موسم نقص المياه في دجلة . وبإمكان الزوارق والبواخر الصغيرة أن تبحر في بعض أقسام الفرات لا سيما في أيام الفيضانات .

وأخيرًا لابد من الإشارة إلى أنه خلال الفترة بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨١م حدثت تطورات كبيرة في مجال النقل العام ، يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ – ففي مجال النقل بالخطوط الجوية العراقية ، ارتفع عدد المسافرين إلى ٤,١ مليون مسافر .

٢ – وفي مجال النقل البري أنشئت مؤسسة النقل البري ، وبلغ وزن البضائع المنقولة عن طريقها ٢٩,١ مليون طن وعدد المسافرين ٩,٥ مليون مسافر .

٣ – وفي النقل بالسكك الحديدية ارتفع عدد المسافرين إلى ٢٣,٦ مليون مسافر وارتفع وزن البضائع إلى ٣٧,٧ مليون طن .

وفي العقدين الأخيرين تم فتح المزيد من الطرق الجديدة في كافة أنحاء البلاد وبخاصة في المنطقة الشمالية وارتفعت أطوال الطرق المنجزة من ٢٦٦١ كم خلال الفترة ١٩٦٨ – ١٩٧١م إلى ١٥٦١١ كم خلال الفترة ١٩٧٥ – ١٩٨١م . أما عن أطوال الطرق تحت التنفيذ فتبلغ ١٢٤٢ كم من طرق المرور السريعة ونحو ١٢٧١١ كم من أنواع الطرق الأخرى .

– **النقل البحري** : بالإضافة إلى النقل النهري فللعراق أسطول بحري تجاري ، ينطلق من ميناء البصرة وأم قصر إلى مختلف موانئ العالم . والجدول رقم (٥٦) يبين عدد البواخر القادمة والمغادرة لمينائي البصرة وأم قصر وكميات البضائع التي نقلتها .

– **التجارة :**

اعتمد العراق لفترة طويلة في حياته الاقتصادية على القطاع الزراعي ، ولهذا كان يستورد معظم ما يحتاجه من المواد الصناعية ، بالإضافة إلى ما تحتاجه الزراعة من آلات وأدوات وأسمدة ، ولما بدأ العراق يتحول نحو الصناعة ، بدأ يستورد المكائن والآلات التي تقوم عليها البنية الصناعية ، إلى جانب معظم احاجاتها من المواد المصنعة ويبين الجدول رقم (٥٧) صادرات العراق ووارداته (فيما عدا النفط الخام والكبريت) . ويستفاد من بيانات هذا الجدول أن الميزان التجاري للعراق قد أظهر عجزًا كبيرًا في كل سنوات الفترة ١٩٥٠ – ١٩٧٦م ، الأمر الذي يوضح مدى اعتماد العراق على الصادرات النفطية لتغطية العجز القائم في ميزانها التجاري .

جدول (٥٦) عدد البواخر المغادرة والقادمة وحمولتها

(١٩٧٥ - ١٩٧٧)

التفاصيل	الوحدة القياسية	١٩٧٥م	١٩٧٦م	١٩٧٧م
عدد البواخر القادمة للموانئ العراقية .	باخرة	٨٢٨	٨٩١	٩٨٤
عدد البواخر المغادرة للموانئ العراقية .	باخرة	٨٢٧	٨٩٢	٩٧٧
حمولة البواخر القادمة للموانئ العراقية .	ألف طن	٨٣٤٣	٨٨٦١	١١٨٥٥
حمولة البواخر المغادرة للموانئ العراقية .	ألف طن	٨٣٠٥	٩٣٩٣	١١٨٧٢
كمية البضائع المستوردة عن طريق الموانئ العراقية .	ألف طن	٣٤٦٦	٣٤٣٠	٣٧٧٢
كمية البضائع المصدرة عن طريق الموانئ العراقية .	ألف طن	١٤٤١	١٢٧٩	٩٦٤

* المصدر : كتاب الجيب الإحصائي ١٩٧٧م . ص ٦٩ .

جدول (٥٧) الصادرات والواردات غير النفطية (١٩٥٠ - ١٩٧٦م)

السنة	الصادرات	الواردات	الميزان التجاري
١٩٥٠م	٢٠٠٥١	٣٧٦١٦	-١٦٠١٣
١٩٥٥	١٥٩١٧	٩٧٢٤٧	-٨٠٠١٣
١٩٦٠	٧٩٧٦	١٣٨٩١٥	-١٣٠٩٣٩
١٩٦٥	١٨١١٩	١٦٢٦٠٨	-١٤٤٤٨٩
١٩٧٠م	٢٢٥٦٦	١٨١٦٥١	-١٥٩٠٨٥
١٩٧٣	٣٢٥٢٧	٢٧٠٣١٧	-٢٣٧٧٩٤
١٩٧٤	٢٨١٣٠	٧٠٠٠٨٨	-٦٧١٩٥٨
١٩٧٥	٣٥٥٦٥	١٢٤٤٧٦٥	-١٢٠٩٢٠٠
١٩٧٦م	٤٦٥٤٤	١٠٧٤٦٧٦	-١٠٢٨١٣٢

* المصدر : كتاب الجيب الإحصائي ١٩٧٦ « وزارة التخطيط - الجمهورية العراقية » ص ٥٥ .

ويوضح الجدول رقم (٥٨) أهمية صادرات النفط الخام فى تغطية العجز القائم في الميزان التجاري ، وعلى سبيل المثال ، فقد أسهمت الصادرات النفطية عام ١٩٧٤م بما يعادل ٩٩٪ من إجمالي الصادرات .

جدول (٥٨) الصادرات النفطية في الميزان التجاري (١٩٦٠ - ١٩٧٤م)

السنة	تصنيف الصادرات		إجمالي الصادرات	إجمالي الواردات	الميزان التجاري
	غير النفطية	النفطية			
١٩٦٠	١١	٢٢٣	٢٣٤	١٤٣,٧	٩١ +
١٩٦٥	٢١	٢٩٤	٣١٥	١٦٤,٠	١٥١ +
١٩٧٠	٢٥	٣٧٨	٤٠٣	١٨٣	٢٢٠ +
١٩٧١	٢٣	٥٢٦	٥٤٩	٢٤٩	٣٠٠ +
١٩٧٢	٢٨,٦	٤٢١,٥	٤٥٠,١	٢٣٤,٧	٢١٥,٤ +
١٩٧٣	٣٢,٥	٨١٣,٦	٨٤٦,١	٢٧٠,٣	٥٧٥,٨ +
١٩٧٤م	٢٨,١	٢٣٢٥,٧	٢٣٥٣,٨	٧٠٠,١	١٦٥٣,٧ +

ومن غير شك فإن التجارة الخارجية قد تطورت تصديرا واستيرادا مع ارتفاع أسعار البترول ومع الخطط التنموية الطموحة التي يجري تنفيذها .

وكانت الواردات ولا تزال تلبي احتياجات الطلب المحلي من السلع الاستهلاكية ، وتوفر مستلزمات الاستثمار والتشغيل للمشاريع التنموية . فازدادت على ذلك أرقام السلع المستوردة من ١٤٤ مليون دينار في عام ١٩٦٨م إلى ١١٥١ مليون دينار في عام ١٩٧٦م . كما أرتفعت حصة القطاع التجاري من إجمالي الواردات من ٤١٪ عام ١٩٦٨م إلى ٨٩٪ عام ١٩٧٩م .

أما الصادرات فقد ظلت قيمتها الإجمالية محدودة لا تتناسب مع التطور الكبير في حجم الواردات فقد بلغ حجم الصادرات غير النفطية في عام ١٩٨٠م ما يعادل ١,٣٪ فقط من إجمالي الصادرات . والجدير بالذكر أن التمور والأسمنت والمنتجات النفطية والجلود ، تشكل الجزء الأكبر من صادرات العراق غير النفط الخام .. ويوضح الجدول رقم (٥٩) قيم الصادرات حسب مجاميع السلع ، وذلك خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٧٣م .

جدول (٥٩) قيم الصادرات حسب مجاميع السلع في الفترة ١٩٦٥ – ١٩٧٣م
(بملايين الدنانير)

السنة	مواد غذائية	مواد أولية	مواد مصنوعة	مجموع المواد	مجموع الصادرات
١٩٦٥م	٨,٤١	٥,٥٢	٣,٢٤	١٧,١٧	١٨,١٢
١٩٧٠	١٠,٣٢	٥,٢٢	٣,٥٨	١٩,١٢	٢٢,٥٧
١٩٧١	٧,٣٠	٤,٤٢	٤,٧٦	١٦,٤٨	٢٢,٧٨
١٩٧٢	١١,٩٩	٥,٧٨	٤,٨٩	٢٢,٦٦	٣٢,٥٢
١٩٧٣م	١٤,٣٠	٦,٠	٧,٢٤	٢٧,٥٤	٣٢,٥٢

والجدير بالذكر أن قيمة الواردات قد ارتفعت بصورة كبيرة في عام ١٩٨١م حيث تم اعتماد مبلغ ٥٥٢٣,٤ مليون دينار للواردات بعد أن كانت قد بلغت ١٨٠٥,١ مليون دينار في عام ١٩٧٤م ، وفي الوقت نفسه ارتفعت نسبة الواردات من السلع الرأسمالية والوسيطة على حساب السلع الاستهلاكية هذا وقد زاد نصيب السلع الرأسمالية والوسيطة من ٦١٪ عام ١٩٦٩ إلى ٧٩٪ عام ١٩٨١م .

ويوضح الجدول رقم (٦٠) مجمل الميزان التجاري العراقي خلال السنوات الأخيرة ويستفاد من هذا الجدول أن الميزان التجاري ظل في صالح العراق طوال سنوات الفترة ١٩٧٧–١٩٨٠ ، ثم أظهر عجزًا فجائيا كبيرًا في عام ١٩٨١م أي مع بداية اندلاع الحرب العراقية – الإيرانية ، وما ألحقته من أضرار بصادرات العراق النفطية على وجه التحديد .

جدول (٦٠) الميزان التجاري بملايين الدولارات خلال الفترة ١٩٧٧ – ١٩٨١م

التفاصيل	١٩٧٧م	١٩٧٨م	١٩٧٩م	١٩٨٠م	١٩٨١م
الصادرات	٩٦٥١	١١٠٦٢	٢١٥٠٢	٢٦٣٤٦	١٠٥٩٨
الواردات	٣٩٠١	٤٢١٢	٧٠٠٦	١٣٦٤٢	١٨٧٠٤
الميزان التجاري	٥٧٥٠	٦٨٥٠	١٤٤٩٦	١٢٧٠٤	٨١٠٦,٠

« التقسيم الإداري »

ويوضح الجدول رقم (٦١) التقسيم الإداري للعراق عام ١٩٨٢م شكل (١٠) ويستفاد من هذا الجدول أن العراق تنقسم إداريًّا إلى ثماني عشرة محافظة ، أكبرها مساحة هي محافظة المثنى بينما تعد كربلاء أصغر هذه المحافظات . أمّا من حيث عدد السكان فنلاحظ أن بغداد هي أكبر المحافظات بينما تأتي كربلاء كأقل المحافظات سكانًا .

جدول (٦١) التقسيم الإداري وعدد السكان والمساحة عام ١٩٨٢م

المحافظة	عدد السكان بالآلاف	المساحة (ألف هكتار)
نينوى	١٢٥٨,٠	٣٨٤٣,٠
صلاح الدين	٤١٢,٠	٢٩٠٠,٤
التأميم	٥٨٧,٠	٩٦٥,٩
ديالي	٦٥٠,٠	١٩٢٩,٢
بغداد	٤٠٣٨,٠	٥١٥,٩
الأنبار	٥٣٦,٠	٣٧٧٢,٣
بابل	٦٨١,٠	٥٢٧,٠
كربلاء	٣٠٦,٠	٥٠٢,٢
النجف	٤٣٩,٠	٢٧٨٤,٤
القادسية	٤٧٦,٠	٨٥٠,٧
المثنى	٤٣٩,٠	٥١٠٢,٩
ذي قار	٦٨٤,٠	١٣٦٢,٦
واسط	٤٥٥,٠	١٧٣٠,٨
ميسان	٣٩٦,٠	١٤١١,٣
البصرة	١١٨٤,٠	١٩٠٧,٠
أربيل	٦٥٧,٠	١٤٤٧,١
السليمانية	٨١٦,٠	١٥٧٥,٦
دهوك	٢٩٦,٠	٦١٢,٠

المصدر : الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية . المجلد (٤) ، ص ٥٧ .



شكل -١٠- الأقسام الإدارية

الهوامـــش

١ – ذكر جاسم محمد الخلف في كتابه (جغرافية العراق ص ٩) أن العراق يمتد بين خطي عرض ٥٣َ – ٥٢٩ ، ٢٢َ – ٥٣٧ شمالًا أي أن طوله حوالي ٩٢٥ كم . وبين خطي طول ٤٦َ – ٥٣٨ ، ٤٥َ – ٥٤٨، شرقًا أي حوالي ٩٥٠ كم .

٢ – جاسم الخلف : « نفس المصدر » ص ١٢ .

٣ – هستد : « الأسس الطبيعية الجغرافية للعراق » ، ص ٦ .

٤ – إبراهيم شريف : « الموقع الجغرافي للعراق » ، ج ١ ص ٦ .

٥ – صديق اللاتروشي : « الأقاليم الجغرافية للعراق » ، ص ٤ .

٦ – جاسم محمد الخلف : المصدر السابق ، ص ٧٦ – ٨٣ .

٧ – هستد : المصدر السابق ، ص ٦ .

٨ – محمد رشيد الفيل : « الجغرافية التاريخية للعراق » ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

٩ – جاسم محمد الخلف : المصدر السابق ، ص ٧٢ .

١٠ – إبراهيم شريف : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

١١ – هستد : المصدر السابق ، ص ٨٠ – جاسم الخلف ، المصدر السابق ، ص ١٤ .

١٢ – إبراهيم شريف : المصدر السابق ص ١٠٧ .

١٣ – المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

١٤ – محمد رشيد الفيل : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

١٥ – الدركزلي : « جغرافية العراق والأقطار المجاورة » ص ٩٨ .

١٦ – المصدر السابق ، ص ٤٤ .

17- Mark Sykes «Journeys in North Mesopotamia». Geog. Jour. No. 3 Sept. 1908.

١٨ – عباس فاضل السعدي ، محافظة بغداد ، ص ١٨ .

١٩ – المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

٢٠ – هستد : المصدر السابق ، ص ٦٥ – إبراهيم الشريف : المصدر السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ .

٢١ – المصدر السابق ، ص ٦٥ .

22- Al-Un Chainin, Acracter of possible Meteooritic Crigin in Western Iraq «Geog. . Jour. p. 231.

٢٣ – إبراهيم شريف ، المصدر السابق ، ص : ٦٤ .

٢٤ – عبد الجبار الراوي : « البادية » ، ص ٣ .

٢٥ – إبراهيم شريف : المصدر السابق ، ص ٥٨ .

٢٦ – هستد : المصدر السابق ،ص ٤٧ .

٢٧ – المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

٢٨ – إبراهيم شريف : المصدر السابق ، ص ١١ .

٢٩ – المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .

30- Fisher, W.: «The Middel East.» 1963, p. 349.

31- Wilson «The Persian Gulf». p. 18.

٣٢ – عبد القادر مصطفى النجار : التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي من شط العرب ، ص ٣٢ .

٣٣ – المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

٣٤ – محمد حسين القهواتي : دور البصرة في الخليج العربي ، ص ٢٧ .

٣٥ – إبراهيم شريف ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

٣٦ – شاكر مصطفى سليم ، الجبايش ، ج ١ ، ص ٢٠ .

٣٧ – محمد رشيد الفيل : الصحين ، ص ٨ ، ٩ .

٣٨ – المصدر السابق ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

٣٩ – إبراهيم شريف ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

٤٠ – المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٤١ – إبراهيم شريف ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

٤٢ – جاسم محمد الخلف ، المصدر السابق ص ١٥٨ .

٤٣ – المصدر نفسه ، ص ٢٠١ .

44- Kendrew, p. «Climate.» p. 55.

45- Miller «Climatology.» p. 165.

٤٦ – هستد ، المصدر السابق ، ص ٧٥ ، ٧٦ .

٤٧ – جاسم محمد الخلف : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

- Fisher, W. op. cit., p. 157.

٤٨ – هستد ، المصدر السابق ، ص ٧٧ – ٧٨ .

49- Fisher, W., op. cit., p357.

٥٠ – علي حسين شلش ، مناخ العراق ، ص ٦ – ٧ .

٥١ – هستد ، المصدر السابق ، ٨٩ .

٥٢ – المصدر نفسه ، ص ١٠٢ .

٥٣ – محمود حامد : المترولوجيا ، ص ٣٤٩ .

٥٤ – جاسم الخلف ، المصدر السابق ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

٥٥ – فاضل باقر الحسني ، الأساليب الحديثة في تصنيف مناخ القطر العراقي ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، مجلد ٩ آب ١٩٧٦ ، ص ص ٦٤ – ٧٨ .

56- Field, H, The Anthropology of Iraq. Part II.

٥٧ – عباس ياسر الزيدي : دراسات عن المرأة في الخليج العربي ، ج ٢ ، س ١٤٩ ، بحوث الندوة العالمية الثالثة لمركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٧٩ .

٥٨ – محمد رشيد الفيل : التكامل الاجتماعي والسياسة السكانية الموحدة لدول الخليج العربية ، ص ٢٥٥ .

٥٩ – التقرير الاقتصادي العربي الموحد ، العدد الثامن ، ١٩٨٧ ، ص ٣٦٨ .

٦٠ – مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٠٨ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

٦١ – التقرير الاقتصادي العربي الموحد ، العدد الثامن ،١٩٨٧ ، ص ٣٦٩ .

٦٢ – التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، حزيران ١٩٨٢ ، ص ٩٩ .

٦٣ – المصدر نفسه ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

٦٤ – سميرة كاظم ، مناطق الصناعة في العراق ، ص ٤٤ .

٦٥ – التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ، حزيران ١٩٨٢ ، ص ١٠٢ .

٦٦ – تقرير الأمين العام لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ، لعام ١٩٨٤ ، ص ٨٢ .

٦٧ – تقرير الأمين العام لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول لعام ١٩٨٢ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

٦٨ – تقرير الأمين العام لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول لعام ١٩٨٣ ، ص ١٤١ .

٦٩ – تقرير الأمين العام لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول لعام ١٩٧٧ ، ص ٦٩ .

٧٠ – التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨١ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

٧١ – تقرير الأمين العام لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول لعام ١٩٧٦ ، ص ٥٢ .

٧٢ – سعيد محمد أبو سعدة ، تنمية وتعبئة مصادر المياه في الوطن العربي من أجل تنمية تعتمد على الذات ، ص ص ٩٠ – ١٠٥ .

٧٣ – جان خوري : ملخص الموارد المائية في الوطن العربي ، وآفاقها المستقبلية ، ص ٩ .

74- The Middle East and North Africa, EUROPA Year Book, 1983.

٧٥ – إسماعيل عبيد ، تطور الإنتاج والإنتاجية في الزراعة العراقية للفترة ١٩٧٥ – ١٩٨٦ ، ص ١٣ .

٧٦ – المصدر نفسه ص ١٢ .

٧٧ – المصدر نفسه ص ١٤ .

المراجع والمصادر

أولا : المراجع والمصادر العربية :

١ – إبراهيم شريف : الموقع الجغرافي للعراق : بغداد ١٩٦٢ م .

٢ – إحسان محمد حسن : التصنيع وتغير المجتمع : بغداد ١٩٨١م .

٣ – أحمد حسون السامرائي : مشاريع السكك الحديدية في العراق وأثرها على التنمية القومية . مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد ٩ ، آب ، ١٩٧٦م . .

٤ – أحمد رفيق البرقاوي : العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢م – ١٩٣٢م ، بغداد ، ١٩٨٠م .

٥ – أحمد سوسة : حضارة وادي الرافدين في بغداد ١٩٨٠ م .

٦ – إسماعيل العربي : التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المشرق ، الجزائر ، ١٩٧٤م .

٧ – إسماعيل عبيد : تطور الإنتاج والإنتاجية في الزراعة العراقية للفترة ١٩٧٥ – ١٩٨٦ ، بغداد ١٩٨٧م .

٨ – أنور صبري : المسألة الزراعية ، بغداد ، ١٩٧٥ م .

٩ – جاسم محمد الخلف : جغرافية العراق ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

١٠ – حسن فهمي جمعة ، القطاع الزراعي وقضايا التنمية في الوطن العربي ، ٦ – ٨ فبراير ١٩٨٨م الكويت ، جمعية الاقتصاديين الكويتية .

١١ – حكمت سامي سليمان : نفط العرب ، بغداد ، ١٩٧٩م .

١٢ – حميد حامد محسن : التنمية والتخطيط الإعلامي في العراق : بغداد ، ١٩٧٨م .

١٣ – خالد لفته شاكر : النظام القانوني للتعاونيات في العراق : بغداد ، ١٩٨٠ .

١٤ – خلف عبد الحسين : الإحصاء الزراعي : بغداد ١٩٨٠م .

١٥ – رزاق إبراهيم حسن : الصحافة العمالية في العراق : بغداد ١٩٧٩م .

١٦ – رياض إبراهيم السعدي : الهجرة الداخلية للسكان في العراق ١٩٤٧ – ١٩٦٥م .

١٧ – سالم النجفي : التنمية الاقتصادية الزراعية ، الموصل ١٩٨٢م .
١٨ – سامي أحمد خليل : نظرة في قوانين العمل : بغداد .
١٩ – سعيد محمد أبو سعدة : تنمية وتعبئة مصادر المياه في الوطن العربي من أجل تنمية تعتمد على الذات ، الكويت ١٩٨٦م .
٢٠ – سعيد عبود السامرائي : التطور الاقتصادي الحديث في العراق : النجف ١٩٧٧م .
٢١ – سميرة كاظم الشماع : مناطق الصناعة في العراق : بغداد ١٩٨٠م .
٢٢ – سناء العمري : إنتاج واستهلاك الحنطة في العراق : بغداد ١٩٨٠م .
٢٣ – صادق مهدي السعيد : السكان والقوى العاملة في العالم والعراق : مستل من كتاب اقتصاديات وتشريع العمل ، بغداد ، ١٩٧٢م .
٢٤ – صباح محمود محمد : التحليل السكاني للمواقع الصناعية في مدينة بغداد الكبرى ، بغداد ، ١٩٧٨م .
٢٥ – طارق على العاني : التعليم المهني في الوطن العربي ، تونس ، ١٩٨٦م .
٢٦ – طارق الكاتب : شط العرب وشط البصرة والتاريخ : البصرة ، ١٩٧١م .
٢٧ – طارق حمود شاكر : الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية في العراق : بغداد ، ١٩٧٨ .
٢٨ – عباس فاضل السعدي : محافظة بغداد ، ١٩٧٦م .
٢٩ – عباس منصور حسن وزميله : الاقتصاد الاشتراكي ، البصرة ، ١٩٨١م .
٣٠ – السيد عبد الرزاق الحسني : العراق قديمًا وحديثًا ، بيروت ، ١٩٨٠م .
٣١ – السيد عبد الرزاق الحسوي : تاريخ العراق السياسي الحديث بيروت ، ١٩٧٥م .
٣٢ – عبد الوهاب باسط الداهري : الاقتصاد الزراعي ، بغداد ، ١٩٨٠م .
٣٣ – عماد أحمد الجواهري : تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ، بغداد ، ١٩٨٠م .
٣٤ – غريب الجمال : اقتصاديات الوطن العربي : القاهرة ، ١٩٧٠م .
٣٥ – فاضل الأنباري : مشكلة السكان : دمشق ، ١٩٨٠م .

٣٦ – فاضل باقر الحسني : الأساليب الحديثة في تصنيف مناخ القطر العراقي : مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، المجلد ٩ ، آب ، ١٩٧٦م .
٣٧ – قليح حسن خلف : عملية تكوين المهارات ودورها في التنمية الاقتصادية في العراق بغداد ١٩٨٠م .
٣٨ – كوردن هستد : الأسس الطبيعية لجغرافية العراق : تعريب جاسم محمد الخلف بغداد ١٩٤٨م .
٣٩ – ماجد السيد ولي حمد : منخفض الثرثار : بغداد ١٩٧٩م .
٤٠ – محمد زاهر السماك : البترول العراقي : الموصل ١٩٨٠ – ١٩٨١م .
٤١ – محمد حسين القهواتي : دور البصرة التجاري في الخليج العربي : ١٩١٤م-١٩٦٩ م . بغداد ١٩٨٠ م .
٤٢ – محمد رشيد الفيل : التكامل الاجتماعي والسياسة السكانية الموحدة لدول الخليج العربي ، الكويت ، ١٩٨٧م .
٤٣ – محمد رشيد الفيل : الأكراد في نظر العلم : النجف ١٩٦٥م .
٤٤ – محمد رشيد الفيل : تطور مناخ العراق منذ بداية البليستوسين حتى الوقت الحاضر : العدد ١١ ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ١٩٦٨م .
٤٥ – محمد سلمان حسن : التخطيط الصناعي : بيروت ١٩٧٤م ، ترجمة موفق حسن محمود ، وفؤاد الدهومي .
٤٦ – محمد سميح عافية وأحمد عزران منصور : تنمية الموارد المعدنية في الوطن العربي : القاهرة ١٩٧٧م .
٤٧ – مهدي الصحاف : التصاريف العليا في أنهار العراق وأثرها على التنمية والتخطيط . مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ٩ ، آب ١٩٧٦م ، بغداد .
٤٨ – نضال كامل : الأسس النظرية في التنمية الزراعية العراقية : بغداد ١٩٧٨م .
٤٩ – السير ويليم ويلكوكس : من جنة عدن إلى عبور نهر الأردن : تعريب الدكتور محمد الهاشمي بغداد ١٩٥٠م .

٥٠ – هاشم محمد سعيد : التعليم التقني في الوطن العربي : الواقع والاتجاهات ، تونس ، ١٩٨٥م .

٥١ – هوشيار معروف : الاقتصاد العراقي بين التبعية والاستقلال ، بغداد ، ١٩٧٧م .

– التقارير والنشرات والكتب السنوية :

١ – الجهاز المركزي للإحصاء ، وزارة التخطيط الجمهورية العراقية : المجموعة الإحصائية السنوية (سنوات مختلفة) .

٢ – الجهاز المركزي للإحصاء ، وزارة التخطيط ، الجمهورية العراقية : إحصاءات التجارة الخارجية ١٩٧٦م .

٣ – الجهاز المركزي للإحصاء ، وزارة التخطيط ، الجمهورية العراقية : كتاب الجيب الإحصائي ١٩٧٠ ، ١٩٧٧م .

٤ – الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة ، التقرير الاقتصادي العربي ، حزيران ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٧م .

٥ – قسم النشر والإعلام ، وزارة الزراعة ، الجمهورية العراقية : منجزات وزارة الزراعة لعام ١٩٧١ – ١٩٧٢م .

٦ – المجلس الزراعي الأعلى ، الدائرة القانونية ، الجمهورية العراقية : مجموعة تشريعات القطاع الزراعي ، بغداد ، ١٩٧٧م .

٧ – مديرية الإعلام العام ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية : قانون الإصلاح الزراعي ، بغداد ، ١٩٧٠م .

٨ – المؤتمر القطري ، الجمهورية العراقية : التقرير الثامن والتاسع .

٩ – منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (الكويت) : تقرير الأمين العام السنوي التاسع ١٩٨٢م .

١٠ – منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (الكويت) تقرير الأمين العام السنوي ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥م .

١١ – منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (الكويت) : النشرة الشهرية ، العدد ٣ ، آذار ١٩٨٨م .

١٢ – منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (الكويت) : تقرير عن دراسة تطوير قطاع النفط ، ١٩٨٣م .

١٣ – المنظمة العربية للتنمية الزراعية (الخرطوم) : الكتاب السنوي للإحصاءات الزراعية ، المجلد رقم ٤ ، ١٩٨٤ م ٠

١٤ – وزارة الصناعة – الجمهورية العراقية : الوضع الصناعي في العراق ، بحث مقدم إلى مؤتمر التنمية الصناعية ، الكويت ، ١٩٦٨م .

١٥ – وزارة التخطيط – الجمهورية العراقية : خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٧٦ – ١٩٨٠ ، بغداد ، ١٩٧٧م .

١٦ – وزارة التخطيط – الجمهورية العراقية خطة التنمية القومية للسنوات ١٩٨١ – ١٩٨٦م . بغداد .

(ثانيًا) – المراجع والمصادر غير العربية :

1- Al- Feel, M. R., The Historical Geography of iraq between the Mongolian and Ottoman Conquests 1258-1543. Baghdad, 1965.

2- Iraq, Baghdad, 1964.

3- Ali, H.M. «Land Reolamation and Settlement in Iraq» Baghdad, 1955.

4- Fisher, W., «The Middle East» London, 1963.

5- Macklachlan, S. «The Planning and Development of Iraqi Industry. Issues in the Developmment of the Arab Gulf states, ed. by May Ziwar-Dufrari, London, 1980.

6- «The Developing of Agriculture in the Middle East» Iraq.

7- Panrose, E.F., «Iraq», London, 1978.

« فهرس الأشكال »

فهرس الجداول

ملحق إحصائي

« الجمهورية العراقية »

١ - **المساحة :**	٤٣٤٩٢٠ كلم٢ .
٢ - **السكان (١٩٩١م) :**	
- حجم السكان .	١٩٥٢٤٧١٨ نسمة .
- معدل نمو السكان .	٣,٩ ٪ .
- معدل المواليد .	٤٦ في الألف .
- معدل الوفيات .	٧ في الألف .
- معدل صافي الهجرة .	صفر في الألف .
- معدل وفيات الرضع .	٦٦ في الألف .
- توقع الحياة عند الولادة .	٦٦ عامًا للذكور و٦٨ عامًا للإناث .
- معدل خصوبة الإناث .	٧,٢ طفلًا للأنثى خلال حياتها .
- التركيب العرقي .	٧٥٪ عرب ، ١٥ - ٢٠٪ أكراد ، تركمان ، أشوريون .. إلخ .
- الوضع التعليمي .	٦٠٪ يقرأون ويكتبون .
- اللغة الرسمية .	العربية .
٣ - **القوة العاملة في (١٩٨٩م) :**	
- إجمالي القوة العاملة .	٤,٤٠٠,٠٠٠ عامل .
- القوة العاملة في قطاع الخدمات .	٤٨٪
- القوة العاملة في قطاع الزراعة .	٣٠٪
- القوة العاملة فى قطاع الصناعة .	٢٢٪
٤ - **المدن الرئيسة:**	**السكان (١٩٨٥م)**
- بغداد (العاصمة) .	٤,٦٤٨,٦٠٩
- البصرة .	٦١٦,٧٠٠

– الموصل .	٥٧٠,٩٢٦
– كركوك .	٢٠٧,٨٥٢
– السليمانية .	٢٧٩,٤٢٤
– أربيل .	٣٣٣,٩٠٣
– النجف .	٢٤٢,٦٠٣
– الحلة .	٢١٥,٢٤٩

٥ – نسبة سكان الحضر إلى سكان

الدولة (١٩٨٩م): (درجة التحضر) : ٧٢,٤٪

٦ – معدل نمو سكان الحضر (١٩٨٩م) : ٤,٧٪ سنويًّا

٧ – الموارد الطبيعية :

النفط الخام ، الغاز الطبيعي ،

الفوسفات والكبريت .

٨ – مشكلات البيئة الطبيعية :

– تلوث الماء والهواء ، تعرية وملوحة التربة ، التصحّر .

٩ – استخدامات الأرض (١٩٩١م) :

– الأراضي الصالحة للزراعة .	١٢٪
– الأراضي المزروعة فعلًا .	١٪
– الأراضي الخضراء والمراعي .	٩٪
– الغابات والأشجار المنتجة للأخشاب .	٣٪
– استخدامات أخرى .	٧٥٪
– إجمالي الاستخدامات .	١٠٠٪

١٠ – صافي الناتج المحلي GDP في (١٩٩٠م):

– صافي الناتج المحلي .	٣٥ بليون دولار أمريكي .
– إسهام الزراعة في صافي الناتج المحلي .	١١٪
– إسهام الصناعة في صافي الناتج المحلي .	١٠٪

١١ – متوسط دخل الفرد السنوي في(١٩٨٩م): ١٩٤٠ دولارًا .

١٢ – معدل التضخم السنوي في (١٩٨٩م): ٣٠ – ٤٠٪

١٣ - إنتاج المحصولات الرئيسة : (بآلاف الأطنان المترية في (١٩٨٨م) :

- القمح .	١٢٠٠
- الأرز .	٢٥٠
- الشعير .	١٢٥٠
- الذرة .	٦٢
- البطاطس .	١٥٠
- الطماطم .	٦٥٠
- البطيخ وحب البطيخ .	٨٩٠
- اليوسفي .	٤٤٥
- التمور .	٣٥٠
- قصب السكر .	٥٠
- التفاح .	٧٠
- البرتقال .	١٦٥

١٤ - الثروة الحيوانية (بآلاف الرؤوس) في ١٩٨٨م:

- الخيول .	٥٥
- البغال .	٢٦
- الحمير .	٤١٠
- الأبقار .	١٦٠٠
- الجاموس .	١٤٥
- الجمال .	٥٥
- الأغنام .	٩٢٠٠
- الماعز .	١٥٥٠

١٥ - صيد الأسماك (بآلاف الأطنان المترية) في (١٩٨٧):

- أسماك المياه العذبة .	١٥,٥
- أسماك بحرية .	٠٥,٠
- الإجمالي	٢٠,٥

١٦ – المعادن الرئيسة (بآلاف الأطنان المترية) في (١٩٨٧م):

– خام النفط . ١٠١٨١٦
– الكبريت . ٠٠٠٦٢٠

١٧ – أهم المنتجات الصناعية (بآلاف الأطنان المترية) (مالم يذكر غير ذلك) في (١٩٨٧م):

– الأسمنت . ٩٧٨٠
– غاز النفط المسيل . ٤١٠
– النفطا (Naphtha) . ٦٠٠
– وقود السيارات . ١٧٤٠
– الكيروسين . ٧٩٠
– زيت الطائرات . ٤١٠
– زيت وقود مصفى . ٤٠٠٠
– زيت وقود ترسيبي . (Residual Fuel Oil) ٦٠٠٠
– الكهرباء (كيلواط ساعة) . ٢٢٨٦٠

١٨ – الصادرات الرئيسة (١٩٨٩م) :

– خام النفط ، المنتجات البترولية ، الأسمدة والكبريت .

١٩ – الواردات الرئيسة (١٩٨٩م) :

– الأسلحة والمعدات العسكرية ، الأجهزة الصناعية ، والأطعمة .

٢٠ – النقل والمواصلات (١٩٩٠م) :

– أطوال السكك الحديدية . ٢٩٦٢ (كلم)
– أطوال الطرق السريعة . ٢٥٤٧٩ (كلم)
– أطوال الطرق النهرية . ١٠١٥ (كلم)
– أطوال أنابيب النفط . ٦٤٣٥ (كلم)
– عدد وحدات النقل البحري . ٤٣
– عدد الطائرات المدنية . ٦٤
– عدد المطارات المدنية . ١١١
– عدد الهواتف . ٦٣٢,٠٠٠
– أهم الموانئ :
أم القصر ، خور الزبير والبصرة .

المراجع والمصادر

١ – الآفاق العالمية المتحدة ، (١٩٩١) المعلومات ، ط ١ . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي .

٢ – صندوق النقد العربي ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، (١٩٩٠) : التقرير الاقتصادي العربي الموحد .

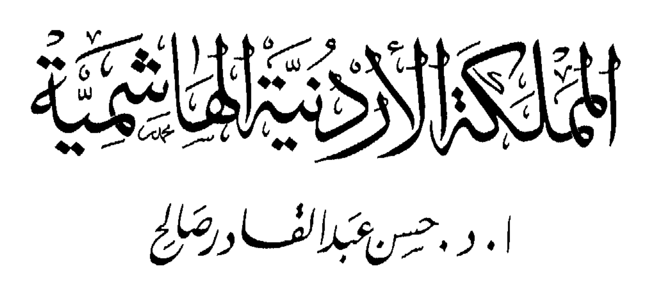
3 - The Middle East and North Africa, (1991): 37 th Edition, London: Europa Publications Ltd.

4- The World Factbook, (1991): Central Intelligence Agency. Washington, DC.

5 - The World Bank, (1990): Social Indicators of Development, London: The John Hopkins University Press.

6 - Department of International Economic and Social Affaurs of the U.N., (1990): World Population Charter, New York.

7 - Brian, Hunter: The Statesman's Year Book- Statistical and Historical Annual of the States of the World for the Year 1992-1993.


المملكة الأردنية الهاشمية
أ. د. حسن عبد القادر صالح

المحتويات

نشأة الأردن[1]

يعود تاريخ المكان الذي يشغله الأردن حاليًّا إلى العصور السحيقة من تاريخ البشرية ، ففي العصر البرونزي القديم حوالي عام ٣ آلاف ق . م وصلت إلى الأردن طلائع القبائل العربية قادمة من شبه جزيرة العرب على شكل موجات متتالية ، قد يكون بين الموجة والتي تليها ألف عام ، وعُرف هؤلاء العرب القدماء باسم الكنعانيين الذين شاركوا في بناء التراث الحضاري . ومن أهم الآثار الحضارية العربية في الأردن مدينة البتراء عاصمة الأنباط العرب . ثم جاء الفتح العربي الإسلامي بعد سلسلة من الحروب والمعارك كانت أولها معركة مؤتة ، ثم معركة اليرموك . وانتشر الإسلام في الأردن ليصبح جزءًا مهمًّا من أقاليم الدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي وما تلاهما من عصور . وقد تعرض فيما تعرضت له بلاد المسلمين من غزو الصليبيين والمغول حتى هُزما وأُخرجا بعد سنين ، ثم خضعت المنطقة العربية للحكم العثماني الذي استمر ما يزيد على خمسة قرون . وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، قام الحلفاء بتقسيم المنطقة العربية في الشام ووضعها تحت نفوذ بريطانيا وفرنسا بموجب معاهدة سايكس بيكو .

تأسيس إمارة شرق الأردن : كانت منطقة شرقي الأردن من نصيب الإنكليز بموجب اتفاقية سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا . وقد بقي (شرقي الأردن) بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى دون حكومة مركزية ، ولكن تألفت فيها حكومات محلية مع وجود مستشارين بريطانيين . وعندما وصل الأمير عبد الله بن الحسين إلى معان في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ على رأس قوة صغيرة أقام فيها نحو ثلاثة أشهر . وعقدت في تلك الفترة مباحثات مع فيصل بن الحسين تم الاتفاق فيها على الالتقاء مع الغرب في منتصف الطريق ، وذلك بالموافقة على تأسيس حكم وطني في كل من العراق وشرقي الأردن .

وفي تلك الأثناء كانت وفود الأردنيين ، وأحرار السوريين تتوالي على معان طالبة إلى الأمير أن يتقدم شمالا إلى عمان ، ويتولى حكم البلاد وينقذها من الفوضى . واستجاب الأمير للدعوة ، فبلغ عمان في ٢ من آذار (مارس) ١٩٢١ حيث ألقت البلاد مقاليدها

في يديه . وقد اجتمع الأمير عبد الله مع الوزير البريطاني ونستون تشرشل في القدس في أواخر شهر آذار (مارس) ، وتمخض الاجتماع عن اتفاق يقضي بأن يتولى الأمير إدارة منطقة شرقي الأردن ، وأن تعترف بريطانيا بالاستقلال الذاتي للمنطقة وتقدم لها المساعدة المالية .

وفي ١١ نيسان (أبريل) ١٩٢١ م تألفت أول وزارة في شرقي الأردن برئاسة رشيد طليع من سورية . وقد اعترفت بريطانيا رسميًا باستقلال إمارة شرقي الأردن في ٢٥ من أيار (مايو) ١٩٢٣ م . وفي ٢٠ من شباط (فبراير) ١٩٢٨ م تم التوقيع على أول معاهدة بين الإمارة الجديدة وبريطانيا . وانعقد المجلس التشريعي في نيسان (أبريل) ١٩٢٩ ، حيث صادق على المعاهدة .

تأسيس المملكة الأردنية الهاشمية : بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، جدد الأمير عبد الله مطالبة بريطانيا بإلغاء الانتداب ، واستجابت بريطانيا للطلب ، فأعلنت إلغاء الانتداب والاعتراف بشرقي الأردن دولة مستقلة ذات سيادة في ٢٥ من أيار (مايو) ١٩٤٦ م ، وبايع المجلس التشريعي الأمير عبد الله بن الحسين ملكا دستوريا . وفي شباط (فبراير) ١٩٤٧ م وضع دستور جديد للمملكة ، واستبدل بالمجلس التشريعي مجلس أمة يتألف من مجلس نواب يُنتخب أعضاؤه من قبل الشعب ، ومن مجلس أعيان يعين الملك أعضاءه . ولكن المعاهدة لم تكن مرضية تماما للأردن ، فجرت مفاوضات بين الدولتين لتعديلها . وفي ١٥ من آذار (مارس) ١٩٤٨ م تم التوقيع على معاهدة جديدة ارتضتها الدولتان .

موقع الأردن وأهميته

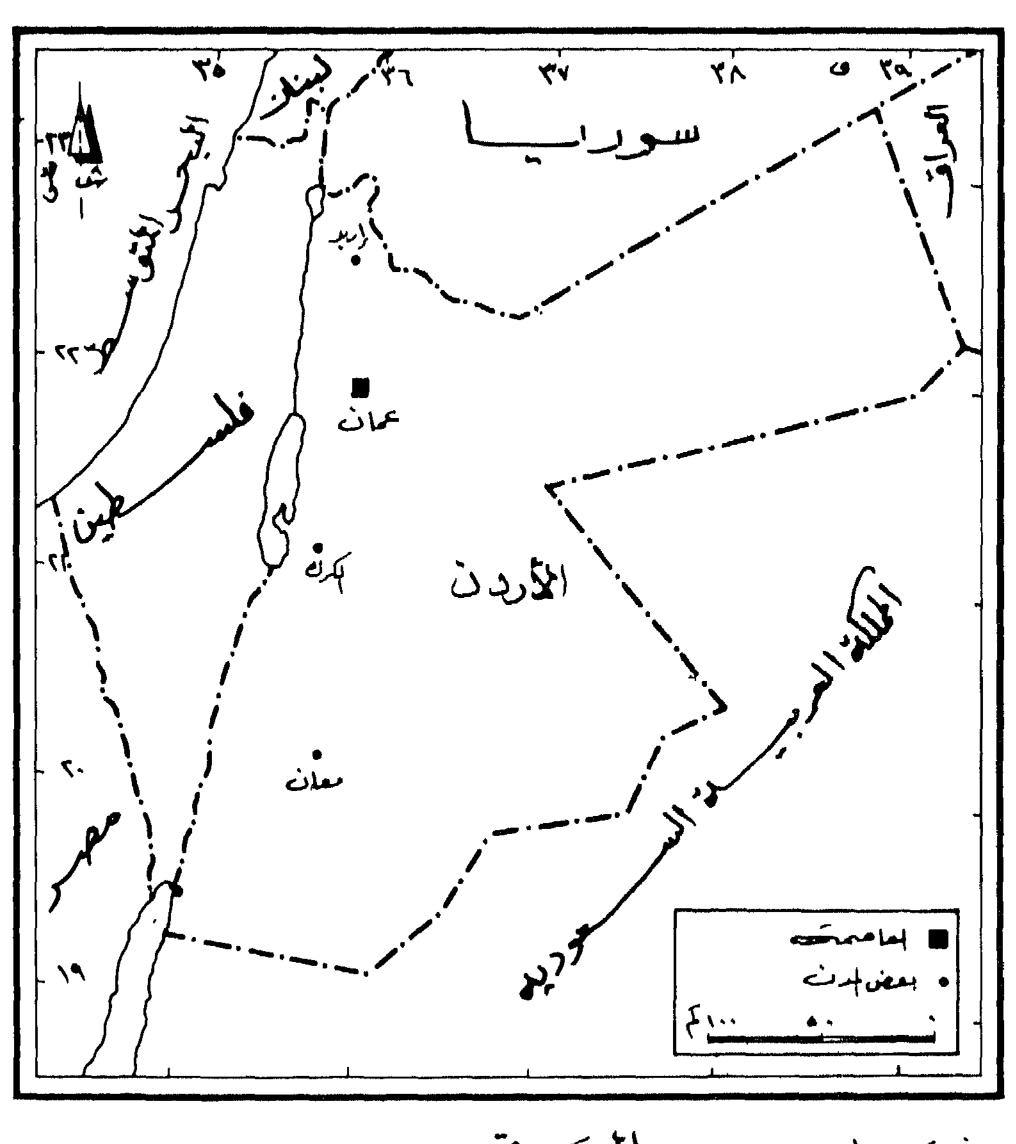
يقصد بالموقع فكرة هندسية غير منظورة ، وهو صفة نسبية تتحدد بالنسبة إلى توزيعات الأرض والسكان والإنتاج حول الأردن ، وتضبطه العلاقات المكانية التي تربطه بها . والموقع Location أحد البعدين الأساسيين في كيان الأردن ، وبتفاعله مع الموضع Site الذي يمثل البعد الثاني في الكيان الأردني يفسر لنا كثيرًا من صفات الشخصية الأردنية .

يقع الأردن في غربي القارة الآسيوية (شكل ١) ، ويتمتع بموقع مهم يكاد يناظر في أهميته مواقع بقية بلاد الشام ، ولكنه برقعته المحدودة (٩٢٥٠٠ كم^{2}) ، وبيئته التي يتداخل فيها الجبل والسهل والوادي والصحراء ، فضلا عن قصور موارده المائية المطرية المتذبذبة ، يمثل موضعا محدود الوزن والإمكانات نسبيًا ، بحيث لا يتكافأ مع موقعه الحيوي .

وللأردن أطول خط للمواجهة مع المحتلين الصهيونيين في فلسطين المحتلة ، إذ يبلغ طول حدوده الغربية مع فلسطين نحو ٣٦٠ كم ، وحدوده طويلة مع المملكة العربية السعودية جنوبا ، ومتوسطة الطول مع سورية شمالًا ، وقصيرة نسبيًا مع العراق شرقًا (شكل ١) . وتعد الحدود الأردنية طويلة بالنسبة لمساحتها الصغيرة ، فكل ألف كيلومتر مربع من الأراضي الأردنية يخصه نحو عشرين كيلو متر من الحدود تقريبا[٢] ، مقابل ما يزيد قليلا على كيلو مترين ونصف الكيلو متر لنفس المساحة لكل من مصر وليبيا والسودان والجزائر ، ونحو عشرة كيلو مترات لكل من سورية وتونس ، ونحو ستة وثلاثين كيلو متر ونصف الكيلو متر لفلسطين .

ومما يجعل نسبة طول حدود الأردن إلى مساحته مرتفعة ، ذلك الشكل الطولي له من الشمال إلى الجنوب ، إضافة إلى ذلك هناك نتوء على شكل إسفين من الأرض الأردنية يمتد متوغلا في أقصى الطرف الشمالي الشرقي داخل بادية الشام .

إذا نظرنا إلى خريطة جنوب غربي آسيا نجد أن الأردن عبارة عن جزء من برزخ أرضي يربط بين البحرين الأحمر والمتوسط . وكان الأردن جسر عبور للقوافل التجارية ، والجماعات البشرية المهاجرة ، وجحافل الجيوش المهاجمة أو المنسحبة . واحتفظ الأردن بأهمية موقعه التجاري منذ القدم حتى يومنا هذا ، ذلك لأنه يمثل حلقة وصل بين بيئتي المداريات والموسميات في جنوبي آسيا والشرق الأقصى من جهة ، وبين بيئتي البحر المتوسط وأوروبا الوسطى والغربية من جهة أخرى . ولاشك أن الحركة التجارية تزدهر بين البيئات المتفاوتة في إنتاجها ، ويأتي الأردن بموقعه ليربط بين حضارة الشرق الزراعية ، وحضارة الغرب الصناعية . وبذلك فهو طريق مهم لمرور حركة التجارة العالمية والمسافرين على كافة طرق المواصلات البرية والبحرية والجوية .


سوريا
لبنان
العراق
البحر المتوسط
فلسطين
مصر
الأردن
المملكة العربية السعودية
اربد
عمان
الكرك
معان
العاصمة
بعض المدن
١٠٠ كم

شكل - ١ - الموقع

ويتجلى ارتباط الأردن برًّا مع البلدان العربية المجاورة في توسط موقعه الجغرافي من جهة ، وفي جواره مع هذه البلدان وسهولة اتصاله بها من جهة ثانية . فالأردن قلب المشرق العربي ، وكل الطرق تؤدي إليه سواء أكانت قادمة من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي ، أو من فلسطين ولبنان وسورية والعراق .

وقد تأثر الأردن أيضا بعامل الجوار الجغرافي مع كل من سورية ولبنان والمملكة العربية السعودية . إذ كان الأردن يجذب إليه جماعات مهاجرة من هذه البلاد للإقامة فيه منذ أواخر القرن الماضي . وكان لموقع الأردن أثر كبير في تدعيم الروابط الاقتصادية والثقافية والسياسية بين الأردنيين من جهة ، وبين أشقائهم في البلدان العربية المجاورة من جهة ثانية . ففي المجالات الاقتصادية ازدهرت حركة التجارة الخارجية بين الأردن والبلدان العربية المجاورة ، وتمثل هذا الازدهار في الازدياد المطرد لحجم التجارة بين الأردن وجاراته . والأردن واحد من بين الأعضاء المؤسسين لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية . وبالإضافة إلى تجارته مع البلدان العربية المجاورة ، فإنه يقدم خدمات كبيرة لتسهيل التجارة مع هذه البلدان فيما يعرف بتجارة العبور (الترانزيت) . وكان العراق يصدر نفطه عبر أنبوب يمر في الأراضي الأردنية بين كركوك وحيفا قبل عام ١٩٤٨ م . ويمر خط التابلاين في الأراضي الأردنية حاليا ، حيث تصدر شركة أرامكو جزءا من نفطها بواسطة هذا الخط الذي يربط بين حقول النفط في المنطقة الشرقية بالسعودية ، وبين ميناء الزهراني جنوب صيدا في لبنان .

ويرتبط الموقع الجوي بالتوجيه الجغرافي للأردن ، ذلك لأن مركزية الأردن تجعل من أراضيها مطارات جوية صالحة لانطلاق الطائرات منها إلى جميع جهات العالم من جهة ، وهبوط الطائرات في موانئها الجوية من مختلف أرجاء العالم من جهة ثانية . ويمكن الاستفادة من موقع الأردن الجوي في أوقات السلم وأوقات الحرب على حد سواء . ففي زمن السلم تستقبل المطارات الأردنية المدنية وتودع أعدادًا كبيرة من المسافرين والسياح ، بالإضافة إلى الشحن الجوي بين الأردن وبلدان العالم . وفي زمن الحرب تستخدم المطارات العسكرية لانطلاق الطائرات الحربية واستقبالها سواء أكانت مطارات مكشوفة أو مطارات سرية . وقد استخدمت هذه المطارات خلال

الحرب العالمية الثانية من قبل جيوش بريطانيا والحلفاء . ثم استخدمت فيما بعد أثناء الحروب مع الكيان الصهيوني عدة مرات لانطلاق طائرات سلاح الجو الأردني منها لضرب أهدافها العسكرية في فلسطين المحتلة .

وبالرغم من ضيق الجبهة البحرية الأردنية ، إلا أن لموقعها أهمية في التوجيه الجغرافي البحري للأردن . وقد لعبت الواجهة البحرية الجنوبية دورًا مهما في العصور التاريخية وكان لخليج العقبة – ولايزال – شأن عظيم وأهمية استراتيجية وتجارية . ولم يقتصر التوجيه الجغرافي البحري لموقع الأردن على خليج العقبة فحسب ، بل إنه امتد إلى البحر المتوسط أيضا ، ذلك أن الأردن يعد بموقعه ظهيرًا لموانئ البحر المتوسط عبر العصور التاريخية . ففي العصور الإسلامية مثلا ، كان الأردن ممرا للقوافل التجارية التي تنقل البضائع المتجهة من الشرق الأقصى إلى أوروبا وبالعكس . فالسفن التجارية التي تفرغ حمولتها في ميناء عدن كانت تفسح مجالا أمام القوافل التجارية لنقل البضائع برا عبر اليمن والحجاز والأردن ، إلى موانئ ساحل الشام ، حيث تشحنها السفن إلى الموانئ الأوروبية . واشتملت هذه التجارة على سلع متنوعة كالحرير والعطور والتوابل والمجوهرات وغيرها .

الصورة العامة لأراضي الأردن

تقدر مساحة الأردن (الضفة الشرقية) بنحو ٩٢,٥٠٠ كم^{٢} ، وهذا يعني أن الأردن بلد صغير المساحة . ومن جهة ثانية فإن الشكل العام للأردن ليس مفرطا في الطول ، الأمر الذي يجعله قريبا من الشكل المثالي .

وقد أعطت هذه المساحة الصغيرة للأردن ، وكذلك شكله المناسب ، نوعا من الانسجام والتماسك والتقارب بين أطراف الأردن ووسطه . كما أن كل الطرق تؤدي إلى عمان ، وهذه صفات ومزايا تساعد إدارة البلاد في السيطرة على الأمن الداخلي ، والإشراف بسهولة على جميع المناطق ، والاتصال بسرعة ويسر مع مختلف أرجاء البلاد .

ويشتمل الأردن على خمس محافظات متفاوتة المساحة والشكل ، وهي مرتبة حسب

مساحتها كما هو موضح في الجدول رقم (١) والشكل (٢) .

جدول (١) : ترتيب المحافظات حسب مساحتها (١٩٧٤ م)

المحافظة	المساحة الكلية		
	المساحة (كم٢)	النسبة المئوية	الرتبة
معان	٤٤٥٩٩,٧	٤٨,١٩	١
إربد	٢٣٧١٠,٢	٢٥,٦٢	٢
عمان	١٨٤٩١,٨	١٩,٩٨	٣
الكرك	٤٦٨١,٢	٥,٠٦	٤
البلقاء	١٠٦٨,-	١,١٥	٥
المجموع	٩٢٥٥٠,٩	١٠٠	

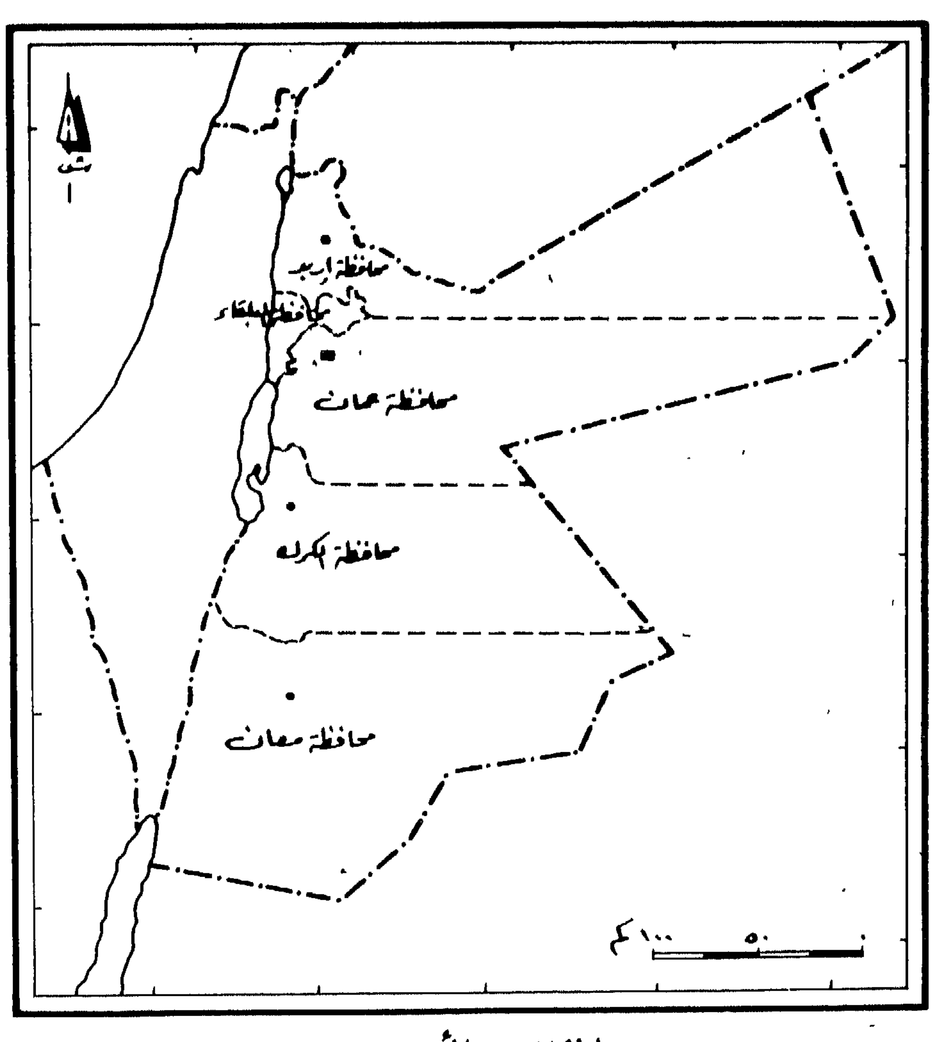
المصدر : لجنة التوزيع البيئي الزراعي ، المناطق البيئية الزراعية في المملكة الأردنية الهاشمية . وزارة الزراعة الأردنية عمان (١٩٧٤ م) .

ويتبين من هذا الجدول ما يلي :

١ - محافظة معان : تشكل حوالي ٤٨,١٩٪ من مجموع مساحة الأردن ، وهي أكبر المحافظات مساحة ، وأكثرها جفافا . إذ يقع معظم أراضيها في المنطقة الجافة .

٢ - محافظة إربد : تشمل حوالي ٢٥,٦٢٪ من مساحة الأردن ، وهي ثاني المحافظات مساحة . وتشتمل على مناطق بيئية متفاوتة كالمناطق الجافة والهامشية وشبه الجافة وشبه الرطبة .

٣ - محافظة عمان (العاصمة) : تشمل ١٩,٩٨٪ من مجموع مساحة الأردن . ويقع القسم الأكبر من أراضي المحافظة ضمن المنطقة الجافة ، في حين تقع بقية أراضيها ضمن المناطق الهامشية ، وشبه الجافة وشبه الرطبة .



شكل -٢- محافظات الأردن

٤ – **محافظة الكرك** : تشكل ٥,٠٦٪ من مجموع مساحة الأردن . وتقع نصف مساحة المحافظة ضمن المنطقة الجافة ، بينما يقع نصفها الآخر ضمن المنطقتين الهامشية ، وشبه الجافة . وتكاد المحافظة تخلو من المنطقة شبه الرطبة ، أو المنطقة الرطبة .

٥ – **محافظة البلقاء** : تشكل حوالي ١,١٥٪ من مجموع المساحة الكلية للأردن . وتشتمل أراضيها على نسب صغيرة من المناطق الجافة ، والهامشية ، وشبه الجافة وشبه الرطبة .

ويضم الأردن عددًا من الأنماط الإقليمية الطولية من الشمال إلى الجنوب . فالبادية الأردنية في الشرق ، ما هي إلا امتداد للدرع العربي في شبه الجزيرة العربية . وتمثل الهضبة الأردنية في الوسط عمودًا فقريا للأردن ، في حين يمتد وادي الأردن الأخدودي على طول الجانب الغربي بين بحيرة طبرية شمالا ، وخليج العقبة جنوبا .

وتعبر هذه النماذج من الوحدات الجغرافية الإقليمية عن تباين أرضي حقيقي بالرغم من تجاورها داخل مساحة محدودة نسبيًّا من الأرض . فالبادية الأردنية التي تشمل صحارى الرق الحصوية المفتوحة بأوديتها الضحلة ، وقيعانها الصلصالية الجرداء في الشرق ، تختلف مورفولوجيا ومناخيًّا عن كل من الهضبة الأردنية ، والحافة الأخدودية الممزقة للمرتفعات الشرقية . ويختلف وادي الأردن عن الأودية الخانقية التي تقطع الهضبة الأردنية في مواضع كثيرة . وعلى نفس النسق يمكن إبراز التنوع بين أسطح الحرّات البازلتية في شمال شرق الأردن ، وبين الحماد الحجري المائدي الممزق في الصحراء الجنوبية . وتختلف جبال الجرانيت الحادة المسننة المشرفة على وادي عربة عن التلال الكلسية الطينية المسماة بالكتار والفاصلة بين الغور والزور في وادي الأردن .

ويمكن أن نعزو هذا التنافر بين الملامح الطبيعية لكل إقليم إلى تحكم خطوط البنية ، وحدود التكوينات الجيولوجية في طبوغرافية الأردن ، وبالتالي في تنوع أشكاله الأرضية ، ومناخه ، ونباتاته . فالصدوع الرئيسة التي أدت إلى انخفاض الأرض بينها ، وإلى ارتفاع حافات جرفية نافرة على جوانبها ، تكاد جميعها تتفق في اتجاهاتها مع خطوط البنية . والشيء نفسه يمكن أن يقال عن نماذج الطيات الكبرى كمحدب عجلون وقبة

السلط ، فضلا عن مجموعة الطيات المفردة شرقي عمان والسلط . ففي جميع هذه الحالات ، كانت قوى الباطن من العنف والحداثة بدرجة حجبت كل أثر لمجموع العوامل الخارجية[٣] .

غير أن عمليات النحت المائي التي استمرت أحقابا جيولوجية طويلة في الماضي ، قد أسهمت في طمس معالم التضرس على امتداد مساحات مترامية من السهول الصحراوية الداخلية شرقي خط سكة حديد الحجاز ، حيث توجد بقايا أسطح تسوية قديمة مهدتها المياه الجارية خلال فترات الاستقرار الباطني فيما بين نوبات التصدع والطي .

ينعكس أثر البنية والتضاريس مباشرة على أصناف المناخ والنبات في الأردن . فالجهات المرتفعة أكثر أمطارا من الجهات المنخفضة على خط العرض الواحد ، كما أنها أقل حرارة وقيمة تبخر – وبالتالي أكثر اعتدالا منها في الجهات المنخفضة . ومن ناحية أخرى فإن المنحدرات الجبلية الغربية المواجهة للرياح الجنوبية الغربية التي تهب على الأردن قادمة من البحر المتوسط وبخاصة في فصل الشتاء ، تتلقى أمطارا أكثر من المنحدرات الشرقية الواقعة في ظل المطر . وتنتمي الجهات المرتفعة ، وكذلك الجهات الواقعة في العروض الشمالية ، إلى مناخ البحر المتوسط شبه الرطب . بينما تقع الجهات الشرقية والجنوبية الشرقية في الأردن ضمن المنطقة الجافة والهامشية . أما الجهات الانتقالية بين المنطقة شبه الرطبة ، والمنطقتين الجافة والهامشية ، فإنها تقع ضمن المنطقة شبه الجافة[٤] .

وتعد الأمطار والتضاريس ضابطين رئيسين يتحكمان في نوعية النباتات الطبيعية وكثافاتها . فالأحراج التي هي جزء من غابة البحر المتوسط تتناثر فوق الجبال العالية التي تتلقى كميات سنوية من الأمطار تتجاوز ٣٠٠ ملم . في حين تظهر النباتات الصحراوية الفقيرة فوق مساحات واسعة من المنطقتين الجافة والهامشية في البادية الأردنية ، وفي أطرافها الغربية على التوالي . وفيما بين المنطقة شبه الرطبة ذات الأشجار الحرجية ، والمنطقة الهامشية ذات الأعشاب الشوكية ، توجد منطقة استبس شبه صحراوية على السفوح تختلط فيها الشجيرات والأعشاب ، وتمتد رقعتها على حساب منطقة الأحراج التي تعلوها .

ومن هذا التطابق البنيوي التضاريسي والمناخي والنباتي ، تتبلور الشخصية المميزة لكل إقليم من الأقاليم الطبيعية في الأردن . فعلى الجانب الغربي يمتد وادي الأردن إقليما مداريًا يجمع بين المنطقة الصحراوية الجافة في وادي عربة ، والمنطقة الهامشية بجوار البحر الميت ، والمنطقة شبه الجافة في الغور الأوسط ، والمنطقة شبه الرطبة في الغور الشمالي . وفي وسط الأردن تمتد الهضبة الأردنية كالعمود الفقري من الشمال إلى الجنوب ، مشتملة على المنطقتين الجافة والهامشية في الجنوب ، والمنطقة شبه الجافة في الوسط ، والمنطقة شبه الرطبة في الشمال . وهكذا تختلط عناصر الصحراء بعناصر الاستبس والبحر المتوسط داخل الهضبة الأردنية من الجنوب إلى الشمال ، ومن الشرق إلى الغرب . وأخيرًا يكشف سطح الهضبة الأردنية إلى الشرق من خط سكة حديد الحجاز عن إقليم صحراوي خالص يمتد إلى ما وراء الحدود الأردنية في الأراضي العربية المجاورة ، ويتسم ببساطة تركيبه وأشكاله الصحراوية ، وإن تنازعته الصحراء الحارة في الجنوب ، والمعتدلة في الشمال .

البناء الجيولوجي وأشكال سطح الأرض

تتناول دراسة البناء الجيولوجي وأشكال سطح الأرض الأقاليم البيئية الطبيعية الكبرى في الأردن ، وهي إقليم وادي الأردن ، وإقليم المرتفعات الجبلية ، وإقليم الهضبة الصحراوية .

١ – **إقليم وادي الأردن** : يعد وادي الأردن جزءًا من حفرة الانهدام التي تمتد من انهدام شرقي إفريقية مارة بخليج عدن ، والبحر الأحمر في الجنوب ، وتستمر شمالًا عبر سهل البقاع ، وسهل الغاب إلى أن تنتهي في جنوبي تركيا (٦٠٠٠ كم) . ويشمل الإقليم غور الأردن ، والبحر الميت في الجزء الشمالي منه (١٦٠ كم) ، ووادي عربة في الجزء الجنوبي منه (٢٠٠ كم) .

انتهت نشأة وادي الأردن في أواخر الزمن الجيولوجي الثالث ، وبالذات في عصر البليوسين الأعلى ، إذ كانت قد انتابت المنطقة حركات تكتونية أدت إلى حدوث

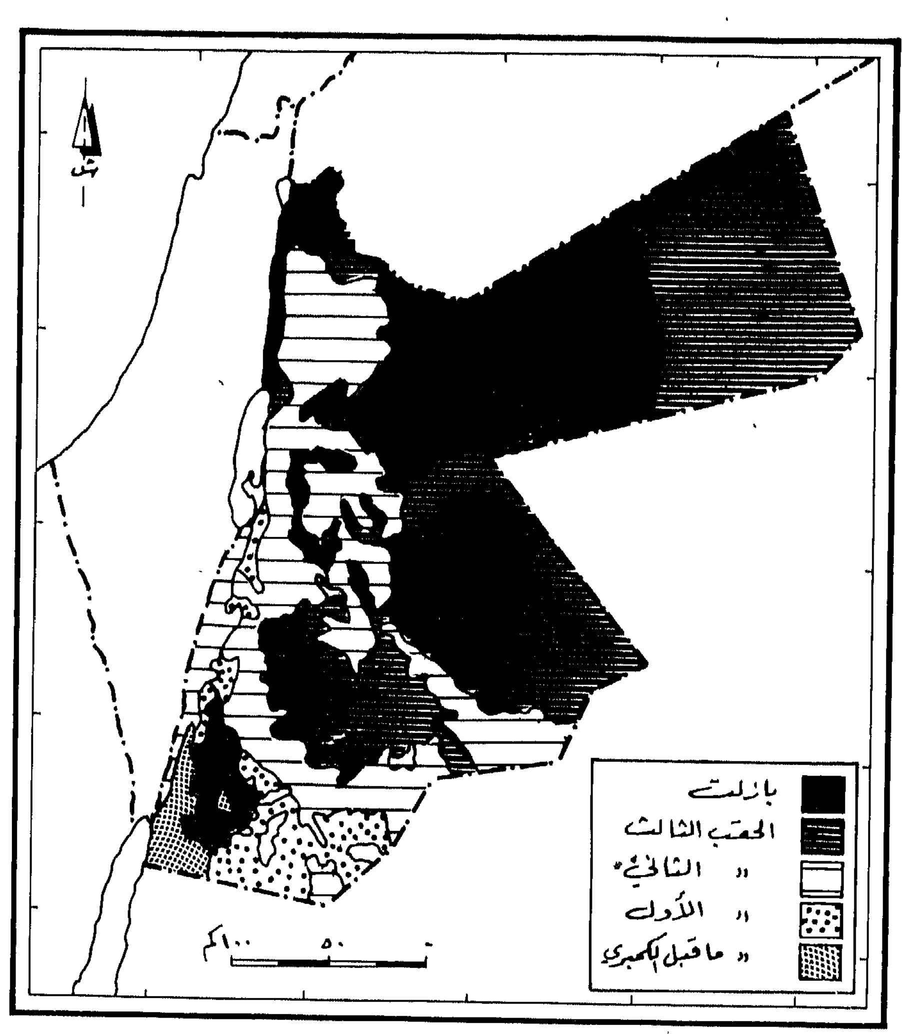
انكسارات في القشرة الأرضية . ويوجد انكساران رئيسان هما : انكسار الريشة في وادي عربة ، وانكسار وادي الأردن الذي يمتد من الركن الشمالي الغربي للبحر الميت إلى الركن الجنوبي الشرقي لبحيرة طبرية . وتغطي تكوينات البليوستوسين والرواسب الحديثة هذين الانكسارين في معظم أجزائهما حاليًا شكل (٣) . ويمكن التعرف على أماكن الانكسارين بتتبع مجموعات الحواف الأرضية والينابيع المائية على طول امتدادهما المتقطع .

ويمتد إنكسار الريشة على طول الشواطئ الشرقية للبحر الميت ، في حين أن انكسار وادي الأردن يكوّن الشواطئ الغربية لهذا البحر . كما يمتد الانكسار الأخير على طول الشواطئ الشرقية لبحيرة طبرية متفرعًا إلى انكسارين يمتدان إلى الشمال الشرقي عبر كتلة جبل الشيخ ، ومن ثم إلى جبال لبنان الشرقية . وهناك انكسار غير ظاهر يمتد في قاع بحيرة طبرية بموازاة شاطئها الغربي متجها نحو الشمال ليمر بمحاذاة الجانب الشرقي لحافة المطلّة باسم انكسار المطلة(٥) .

ويتفرع هذا الانكسار إلى فرعين عند مرج عيون ، أحدهما : يجري على طول الحافة الغربية لسهل البقاع متجها نحو سهل الغاب في سورية ، ومنتهيا في منطقة الإسكندرونة ، وثانيهما : يمتد نحو بيروت(٦) .

وهناك فكرتان أساسيتان حول تشكل وادي الأردن . أما الفكرة الأولى : فتتضمنها نظرية الحركة العمودية **Vertical Tectonics** ، وأما الفكرة الثانية فهي أساس نظرية الحركة الأفقية **Horizontal Tectonics** .

فيما يتعلق بنظرية الحركة العمودية فإنها تحاول تفسير الظواهر الجيولوجية في انهدام وادي الأردن عن طريق الحركة أو الإزاحة العمودية **Vertical Displacement** على طول هذا الانهدام . وأهم الذين دعموا هذه الفكرة بلانكنهورن (١٨٩٦ م) . وويتزل ومورتون (١٩٥٩ م) ، وبيكارد (١٩٧٠ م) ، وبندر (١٩٧٤ م) . ويعتقد هؤلاء العلماء أنه لابد أن يكون هناك صدعان على جانبي الانهدام ، أحدهما على الجانب الشرقي ، والآخر على الجانب الغربي ، وأن وادي الأردن عبارة عن انهدام **(Graben)** .



شكل - ٣ - تكوينات الأحقاب الجيولوجية

المصدر: خريطة البعثة الجيولوجية الألمانية في الأردن

ويعتقد ويتزل ومورتون مثلا أن الانهدام تشكل بواسطة الهبوط العمودي Subsidence المستمر منذ العصر الكريتاسي ، وذلك بسبب وجود نطاقي تصدع على جانبي الانهدام . ويؤكد هذان العالمان أنه لا توجد أدلة على أية حركة أفقية على نطاق كبير . ولقد فسرا عدم تطابق أو تناظر السحنات الجيولوجية على جانبي الانهدام بفكرة اختلاف خطوط الشاطئ (Shore Lines) في الأزمنة الجيولوجية التي سبقت العصر الكريتاسي . ذلك أن خطوط الشاطئ للكمبري ، والجوراسي ، والترياسي ، لم تكن موجودة في المنطقة في تلك العصور باتجاه شرق – غرب بل كانت تسير باتجاه غرب – جنوب غرب في فلسطين ، ثم تسير شمالا حتى النهاية الشمالية للبحر الميت ، ومن ثم تغادر إلى الشمال الشرقي أو الشرق بزاوية حادة . وعلى ذلك فإنه ليس من المتوقع أن تمثل صخور هذه العصور على جانبي الانهدام بشكل متناظر (أي شرق – غرب) ، بل بشكل حرف S بالإنجليزية ، وعليه فإنها تكون أكثر نحو الشمال في الأردن ونحو الجنوب في فلسطين .

ثم جاء بندر ، ونشر حصيلة مسحه الجيولوجي للأردن ، وعلى الأخص في وادي عربة ، فتبنى فكرة ويتزل ومورتون ، وأتى بأدلة جديدة عليها لتدعيمها . ومن بين الأدلة التي يمكن أن تُذكر هنا رسوبيات العصر الكمبري القارية على الجانب الشرقي لوادي عربة ، والبحرية على جانبه الغربي . ويمكن تتبع خامات النحاس والمنغنيز لمسافة ٧٠ كم جنوب فينان على الجانب الشرقي لوادي عربة . ولم يلاحظ وجود نحاس في صخور الكمبري القارية المنشأ ، فهي متركزة في صخور هذا العصر البحرية الضحلة ، حيث تقابلها في الجانب الغربي من الانهدام خامات النحاس البحرية الضحلة في تمنا . أي أن خامات النحاس كانت موجودة في حزام واحد قطعه الانهدام[٧] .

أما نظرية الحركة الأفقية التي يدعمها الجيولوجيون : لارتت ودوبرترية وكوينل وفروند ، فإنها تقضي بغض النظر عن آليتها بأن تتحرك كتلة شرق الأردن أفقيًا وباتجاه الشمال بالنسبة لكتلة فلسطين على طول صدع واحد وضعه معظمهم على الجانب الشرقي للانهدام . أما مقدار هذه الحركة النسبية فمختلف عليه ، فمنهم من قدر مسافة الزحزحة بحوالي ١٦٠ كم (دوبرترية ١٩٣٢ م) ، ومنهم من قدرها بنحو ١٠٧ كم

(كوينل وبردن ١٩٥٩ م) ، وبنحو ٧٠ – ٨٠ كم (فروند وفرومون ١٩٦١) . وفيما يتعلق بالحركة حسب هذه النظرية نجد أن شبه جزيرة العرب تحركت متزحزحة نحو الشمال عكس عقارب الساعة ، بينما بقيت كتلة سيناء وفلسطين مستقرة ، الأمر الذي نتج عنه تفسخ الأرض وهبوطها فيما يعرف الآن بأخدود البحر الأحمر ، ووادي الأردن[٨] .

ويعتقد كوينل أن الزحزحة تمت على مرحلتين فصلت بينهما فترة هدوء نسبي في البليوستوسين . أما المرحلة الأولى فقد بدأت في الميوسين الأدنى ، واستمرت حتى أوائل البليوستوسين مسببة زحزحة أفقية في حدود ٦٢ كم . أما المرحلة الثانية فقد شهدت زحزحة أخرى بمقدار ٤٥ كم في أواخر البليوستوسين ، وبذلك يكون مجموع التحرك الأفقي لشبه جزيرة العرب نحو ١٠٧ كم إلى الشمال[٩] .

وهناك أدلة موضعية يوردها أنصار هذه النظرية نذكر منها ما يلي :

(أ) عدم تطابق أو تناظر السحنات الصخرية – (Lithofacies) في العصور المختلفة على جانبي الانهدام إلا بعد حركتها ١٠٧ كم مثلا . وعلى سبيل المثال ، لا تتطابق رسوبيات الترياسي والجوراسي شرق وغرب الانهدام ، بل هي شرق الانهدام موجودة أكثر بحوالي ١٠٠ كم شمالا مما هي عليه في الغرب . كما أن خامات النحاس والمنغنيز توجد على مسافة ١٤٠ كم شمال العقبة في الجانب الشرقي للانهدام ، في حين أنها توجد على مسافة ٣٠ كم شمال العقبة في الجانب الغربي له .

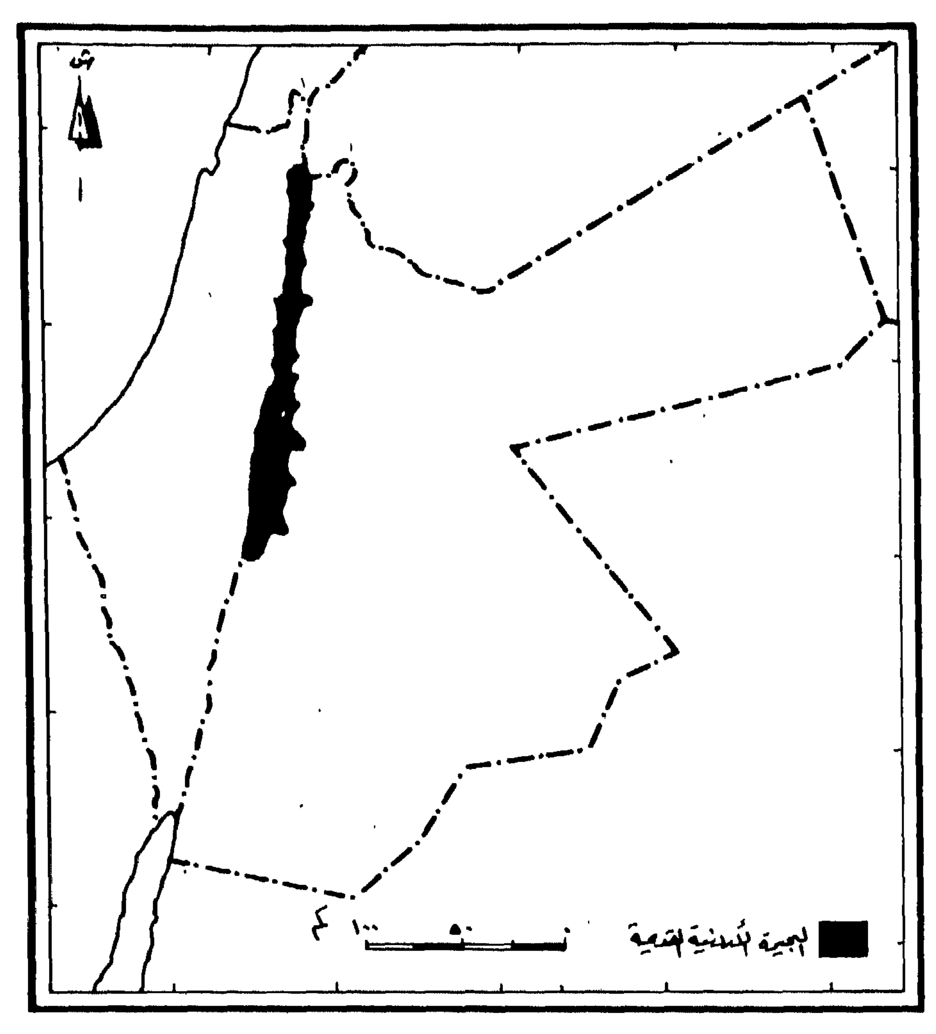
(ب) تطابق أو تناظر بعض التراكيب بعد حركة ١٠٧ كم كما هو الحال بالنسبة لصدع الحمرة غرب الانهدام ، وصدع الشوبك شرقه ، وكما هو الحال بالنسبة لصدع عريف مالحة غرب الانهدام وصدع شيحان شرقه ، وكما هو الحال لصدع رمان غرب الانهدام وصدع زرقاء معين شرقه .

(جـ) أكد لوفتون Lauphton (١٩٦٦ م) أن المعدل الذي تتحرك فيه شبه جزيرة العرب نحو الشمال يبلغ ٢ سم سنويا[١٠] .

وعلى الرغم من اختلاف الآراء حول تفسير نشأة وادي الأردن ، إلا أنه يمكن القول بأن وادي الأردن شهد تطورًا في البناء والتكوين عبر العصور الجيولوجية السابقة . ففي الميوسين الأسفل بدأ وادي الأردن يظهر على هيئة مجموعة من الأحواض الضحلة المنعزلة الممتلئة بالمياه . وفي أواخر البليوسين كانت تشغله بحيرتان أو مجموعة من البحيرات . وفي أوائل البليوستوسين كانت هناك مجموعة من الأحواض المنعزلة مثل حوض العقبة في الجنوب ، وحوض البحر الميت – الأردن وحوض طبرية – بيسان ، وحوض الحولة . وبعدئذ اتصل الحوضان الأخيران ببعضهما ، ثم عادا فانفصلا بفعل تدفق البازلت خلال منتصف البليوستوسين ، الأمر الذي تسبب عنه تكوين سدّ بازلتي كبير في الوادي بين بحيرتي الحولة وطبرية(١١) .

وفي أواخر البليوستوسين الأوسط طرأ تغيير ملموس نتيجة هطول الأمطار الغزيرة على المنطقة (العصر المطير) ، مما أدى إلى تكوين بحيرة طولية مستمرة داخل وادي الأردن . وكانت هذه البحيرة الأردنية القديمة تمتد من شمالي بحيرة طبرية شمالا إلى مسافة ٣٠ كم جنوبي البحر الميت جنوبًا . وتفرعت عن هذه البحيرة الطولية خلجان ، وأذرع مائية داخل الأودية الجانبية المنحدرة من المرتفعات الجبلية نحو هذه البحيرة . ونستدل على ذلك من بقايا الإرسابات البحيرية لتكوينات مارل اللسان المنتشرة على أقدام المرتفعات التي يزيد ارتفاعها عن ٣٠٠ م فوق المستوى الحالي للبحر الميت . وكان الجزء الجنوبي من هذه البحيرة عذب المياه في بادئ الأمر ، غير أن مياهه أخذت تميل إلى الملوحة تدريجيًا بمرور الوقت بسبب الأملاح المذابة في مياه روافدها الجانبية (شكل ٤) .

أخذت البحيرة الأردنية القديمة تنكمش تدريجيًا بعد أن حل المناخ الجاف محل المناخ الرطب ، أي منذ خمسين ألف سنة قبل الميلاد ، ثم اختفت قبل الفترة التاريخية بآلاف السنين ، ولم يبق من مخلفاتها سوى بحيرة طبرية والبحر الميت ، ونستدل على اختفاء البحيرة منذ زمن مبكر بظاهرة الملوحة الشديدة لمياه البحر الميت . وقد اكتسب البحر الميت ملوحته الحالية نتيجة لصب المياه فيه من روافده العديدة ، ولاسيما رافده



شكل ـ ٤ ـ البحيرة الأردنية القديمة في وادي الأردن

الرئيس نهر الأردن ، خلال فترة لاتقل عن خمسين ألف سنة[١٢] . وقد تركت لنا البحيرة بعد جفافها ثلاثة خطوط مهمة من المدرجات البحيرية تقع في مستويات تتراوح بين ارتفاع (− ٢٠٠ م) تحت مستوى سطح البحر ، وبين مستوى الشاطئ الحالي للبحر الميت (− ٣٩٨ م) . ويتراوح مستوى المدرج الأول بين ارتفاعي (− ٢٠٠ م) و (− ٢١٠ م) ، بينما يتراوح مستوى المدرج الثاني بين ارتفاعي (− ٣١٠ م) و (−٣٣٩ م) ، كما يتراوح مستوى المدرج الثالث بين (− ٣٧٥ م) و (− ٣٨٠ م)[١٣] .

وقد ظهر نهر الأردن إلى الوجود منذ نهاية البليوستوسين ، ونجح في أن يشق لنفسه مجرى في تكوينات اللسان البحيرية . أما تكوينات سهله الفيضي فإنها ترجع لعصر الهولوسين ، وفي الفترة التي بدأت فيها مياه البحيرة الأردنية القديمة تنكمش بفعل الجفاف ، ظهرت إلى حيز الوجود بحيرة طبرية الحالية[١٤] أما البحر الميت فقد اتخذ شكله الحالي خلال الفترة الواقعة بين الجفاف النهائي لبحيرة اللسان ، وظهور نهر الأردن . أما رواسب هذه البحيرة الأردنية القديمة فقد اختفت في تكوين المدرجات ، وفي قاع البحر الميت الذي أدت عملية هبوطه المستمر إلى اختفاء الرواسب البحيرية في قاعه .

ونظرا للعمليات المعقدة التي تعرض لها وادي الأردن أثناء تاريخه الجيولوجي ، فإن من الطبيعي أن يتعقد بناؤه الجيولوجي تركيبا وتكوينا . فقاع الوادي يتكون بصورة رئيسة من الرواسب البحيرية القديمة ، في حين أن جوانبه تتكون من الإرسابات البحرية والقارية ، حيث توجد تكوينات تنتمي لعصور مختلفة تمتد من العصر الترياسي حتى عصر الهولوسين (الحديث) . أما التكوينات الجيولوجية لقاع الوادي فتتألف من رواسب وادي الأردن المعقدة التي يرجع تاريخ تكوينها لفترة تمتد من أواخر الزمن الثالث حتى العصر الحديث .

يتراوح عرض قاع وادي الأردن بين عشرة كيلو مترات في الشمال قرب بحيرة طبرية وثلاثين كيلو متر في الجنوب شمال البحر الميت ويضيق قاع الوادي في الوسط ليصل إلى

ستة كيلومترات قرب قرن الحمّار . ويجري نهر الأردن في وسط وادي الأردن تقريبًا بين بحيرة طبرية والبحر الميت لذا فإن عرض وادي الأردن الشرقي الذي هو جزء من الضفة الشرقية يبلغ نصف عرض وادي الأردن تقريبًا . وينحدر قاع الوادي انحدارًا طوليًّا كبيرًا بين بحيرة طبرية والبحر الميت ، وانحدارًا عرضيًّا كبيرًا أيضًا بين حافتيه الجبليتين ونهر الأردن .

ويمكن أن نميز مستويين رئيسين لأرض كل جانب من جانبي وادي الأردن ، وهما مستوى الغور ، ومستوى الزور . أما الغور فهو المستوى الأعلى الذي يتكون من الإرسابات البحيرية القديمة المغطاة في كثير من الجهات برواسب طميية حديثة أما الزور فهو المستوى الأدنى الذي يتكون من رواسب نهر الأردن الفيضية . وبعبارة أخرى فهو السهل الفيضي الذي كوّنه نهر الأردن لنفسه منذ أن بدأ يشق مجراه في تكوينات اللسان البحيرية . ويتراوح انخفاض مستوى الزور عن مستوى الغور بين ٢٠ و ٤٠ م ، حيث تفصل بينهما مجموعة من الأراضي الوعرة التي تعرف باسم الكتار محليًّا[١٥] .

وتتكون هذه الأراضي الوعرة (الكتار) من طبقات بحيرية رخوة تتهدل وتتآكل بسرعة بفعل الرياح ، والأمطار ، والمسيلات المائية مسفرة عن أشكال مائدية وتلال مخروطية وأعمدة أرضية ، تتصف جميعًا بحدة حوافها ووعورة جوانبها وخلو أسطحها من النبات الطبيعي . ولا يزيد اتساع هذه الأراضي على ثلاثة كيلو مترات في أعرض بقاعها ، إذ لا تلبث أن تطمرها الرواسب الفيضية الحديثة . وتجدر الإشارة إلى أن الكتار تندر في الجهات الشمالية من الغور ، كما أنها تضيق كلما اتجهنا جنوبا حتى تكاد تختفي بالقرب من البحر الميت[١٦] .

تخترق غور الأردن مجموعة من الأودية الجانبية التي تهبط من الهضبة الأردنية في طريقها لنهر الأردن . وأهم الروافد الشرقية لنهر الأردن من الشمال إلى الجنوب أودية اليرموك والعرب ، وزقلاب واليابس وكفرنجة وراجب والجرم والزرقاء ، وشعيب ، والكفرين ، وحسبان . وتتراوح هذه الأودية الجانبية بين دائمة الجريان إلى جافة ، كما يكون بعضها فصليا ، أي يجري بالمياه في فصول معينة مثل فصل الشتاء .

ونظرًا لاختلاف المناسيب التي تجري عليها هذه الأودية بين الحواف العالية لوادي الأردن وقاعه فإنها تهبط إلى أرض الغور فجأة لترسب كثيرا من حمولاتها فيما يعرف بالمراوح الفيضية المحيطة بمجاريها قرب أقدام الجبال العالية . وقد تكونت بعض المراوح الفيضية أيضًا ، ولكن بصورة مصغرة ، عند أقدام الأرض الوعرة للكتار ، على أطراف السهل الفيضي (الزور) لنهر الأردن .

إلى الجنوب من البحر الميت يمتد وادي عربة حتى خليج العقبة ، وتحف به من الجانب الشرقي حافات غرانيتية وعرة ، ترتفع أحيانًا قرابة ألف متر فوق قاعه ، يقابلها على الجانب الآخر جروف هضبة النقب المتواضعة . وفي منتصف المسافة تقريبًا بين البحر الميت وخليج العقبة يرتفع قاع وادي عربة فيما يعرف بغور عجرم الذي يمثل خط تقسيم للمياه بين الشمال والجنوب . ويجري عدد من الأودية داخل وادي عربة منحدرًا بعضها نحو البحر الميت ، وبعضها الآخر نحو خليج العقبة . وقد شقت هذه الأودية في مجاريها العليا أجزاء من حافتي وادي عربة بحيث يؤدي نزولها المفاجئ نحو قاع الوادي إلى تكوين مراوح فيضية ، تكون في الجانب الأردني أكبر من مثيلاتها في الجانب الفلسطيني .

وتنبعث من تلك المراوح تجمعات من الرواسب تمتد على هيئة حواجز تقسم القاع الجنوبي لوادي عربة إلى ثلاثة أحواض مستقلة لايصل من تصريفها إلى خليج العقبة شيء . وهذا هو سبب ظهور السبخات في الجزء الجنوبي من الوادي ، وهي ثلاث : سبخة الدافية الشريطية الضيقة على بعد بضعة كيلومترات شمال العقبة ، وسبخة الطابة في الوسط وهي أكبرها ، ثم قاع السعيديين إلى الجنوب مباشرة من غور عجرم . ويُغطى قاع وادي عربة بتكوينات الزمن الرابع وهي إرسابات حديثة تتألف أساسا مما تنقله الأودية من المرتفعات المحيطة .

٢ - **إقليم المرتفعات الجبلية** : يمثل هذا الإقليم الهضبة الأردنية التي تعتبر العمود الفقري للأردن ، بامتدادها من الشمال إلى الجنوب . وتصرف هذه الهضبة معظم مياهها نحو وادي الأردن عن طريق الأودية العديدة التي تقطعها من الشرق إلى الغرب . وقد حفرت هذه الأودية مجاري عميقة لها في هذه الهضبة التي تتكون من الصخور الكلسية

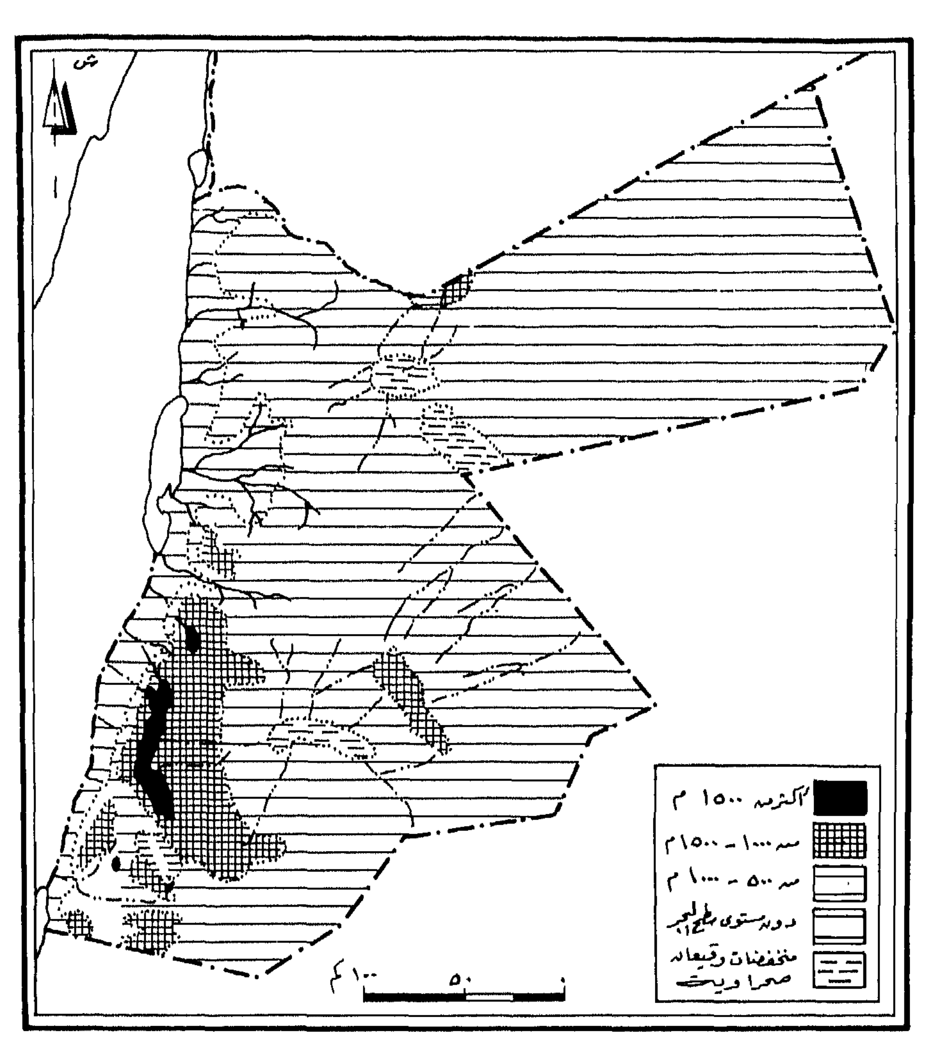
أساسًا ، ونجحت الأودية في اختراق الحافة الجبلية المشرفة على الغور لتنتهي في نهر الأردن (شكل ٥) .

والجدير بالذكر أن الهضبة الأردنية (١٢٠٠ م) أكثر ارتفاعًا من الهضبة الفلسطينية (١٠٠٠ م) . ويبدو أن لهذه الظاهرة جذورًا عميقة في الماضي ، فخلال عصر الأيوسين رُفعت الهضبة الأردنية بمعدل ٦٠٠ م بينما نهضت الهضبة الفلسطينية نصف ذلك القدر . أما حافة الصدع الرئيسة التي تحف بالساحل الشرقي للبحر الميت فتصل إلى أكثر من ١٥٠٠ م في بعض أجزائها ، ولا يضارعها في ذلك شيء على الحافة الغربية .

وبالإضافة إلى مظاهر الرفع التكتونية فإن الهضبة تعرضت لحركات ضاغطة أدت إلى التواء أو طي بعض أجزائها ، وتصدع بعضها الآخر . وتعتبر تكوينات صخور العقبة الغرانيتية ، التي تعود إلى زمن ما قبل الكمبري ، من أقدم أنواع الصخور الموجودة في الأردن . وتعد هذه الصخور القديمة نارية بلورية صلبة ، خشنة القوام ، وتكثر فيها الشقوق والمفاصل .

أما الصخور الرملية التي تتراوح أعمارها بين العصر الكمبري والكريتاسي (حجر القويرة الأسفل والأعلى ، وحجر رم ، وأم سهم ، وكرنب) فإنها تنتشر في جنوبي الأردن ، وتتميز بارتفاع معدلات نفاذيتها ومساميتها ، كما تكثر فيها الشقوق والمفاصل ، وتضعف فيها المادة اللاحمة ، الأمر الذي يؤدي إلى تآكلها وتحويل أسطحها إلى أشكال تلّية مستديرة ، وإلى تكوين خوانق ضيقة على طول المفاصل العميقة .

وتوجد مظاهر الضعف الصخري نفسها في الصخور الكلسية المنتشرة في غالبية أجزاء الهضبة ، كتكوينات عجلون والبلقاء المنتمية للزمنين الثاني والثالث على التوالي . وقد أسهمت الظروف المناخية الرطبة في تنشيط عمليات التجوية الكيماوية والإذابة ، في حين كانت الظروف المناخية الجافة تعرقل وتقاوم تلك العمليات . ويمثل البازلت صخرًا حديثًا نسبيا ، يرجع تكوينه في الغالب إلى الزمن الرابع ، وهو ذو قوام دقيق ، وتقل فيه الشقوق والمفاصل . غير أن درجة مساميته ونفاذيته مرتفعة ، مما يقلل من احتمال تطوير مجار مائية سطحية ، وتبقى معدلات التعرية فيه محدودة .



شكل - ٥ - التضاريس

وقد أسهمت الحركات التكتونية التي رفعت الهضبة الأردنية وخفضت وادي الأردن في تصعيد عمليات الحت في الهضبة نتيجة للانخفاض المستمر في مستويات أساس الأودية التي تخترق الهضبة . فوادي الموجب على سبيل المثال تمكن من حفر نحو ١٧٥٠ مترا في التكوينات الصخرية الممتدة بين الكريتاسي الأعلى ، وما قبل الكمبري . ويقدر حجم المواد الصخرية التي أزيلت بفعل حت أودية الموجب والواله وزرقاء معين بنحو ١٣٧,٥ كم٣ . وتم نقل غالبية المواد المنحوتة إلى وادي الأردن وبخاصة البحر الميت ، حيث تم احتواؤها بسبب تعرضه للهبوط المستمر . ويتميز كثير من الأودية التي عمقت مجاريها في الهضبة بأنها خانقية ، وبتعرجها الملحوظ في مجاريها الدنيا والوسطى بسبب عملية الحفر التراجعي الناجمة عن تجديد الأودية لشبابها خلال عصر البليوستوسين . إن تقطيع الأودية النهرية للهضبة الأردنية جعلها تتخذ مظهرًا جبليًّا أكثر منه هضبيًّا . كما ساعد على تقسيمها إلى وحدات فزيوغرافية متميزة من الشمال إلى الجنوب كالتالي :

منطقة عجلون : تمتد بين نهر اليرموك شمالًا ونهر الزرقاء جنوبًا ، كما تنحصر بين حافة وادي الأردن غربًا والصحراء الأردنية شرقًا . وهي على شكل مستطيل من الأرض المرتفعة التي يبلغ متوسط ارتفاعها ٨٥٠ م ، واستطالتها في الاتجاه الشمالي – الجنوبي أكثر وضوحًا منها في الاتجاه الشرقي الغربي .

وتعتبر منطقة عجلون محدبا يمتد على شكل طية عريضة لمسافة تبلغ ٦٠ كم بمضرب ينحرف عن الشمال بخمس وعشرين درجة في اتجاه الشرق ، وتنتشر على سطح هذا المحدب عدة محدبات صغرى تمتد بمضاربها في اتجاهات مختلفة ، كما تمزق سطح هذا المحدب عدة صدوع حولته إلى كتل أرضية مختلفة الارتفاعات . وقد أسهم الحت النهري إلى جانب الحركات التكتونية في تحديد شكل منطقة عجلون . وعلى سبيل المثال تمكن نهر الزرقاء من حفر مجراه حتى أعماق سحيقة في الهضبة الأردنية ، وكشف عن تكوينات الحجر الرملي النوبي ، ووصل إلى قاعدة الطبقات الجوراسية والترياسية . وتمكن هذا النهر من تقويض الحجر الكلسي السينوماني والرملي النوبي وإزالته من مجراه قبل عصر البليوسين مما أدى إلى زيادة تقطع أوصال منطقة عجلون ، وتطوير بعض التجاويف الأرضية والتلال المستديرة .

وتتوسط قمة جبل أم الدرج محدب عجلون الذي تميل سفوحه في انحدار قليل نحو الشرق ، وانحدار كبير نحو الغرب . وتشتمل منطقة عجلون على تكوينات مجموعة البلقاء الباليوسينية – الأيوسينية التي تتألف من الطباشير ، والصوان ، والمارل ، والفوسفات . وتظهر هذه التكوينات في مساحات محدودة ، وبخاصة في أودية زقلاب ، وكفرنجة ، واليابس . كما تشتمل المنطقة على تكوينات مجموعة عجلون المنتمية للكريتاسي الأعلى ، المشتملة على صخور كلسية ومارل . وهناك تكوينات مجموعة كرنب الرملية التي ظهرت نتيجة تعميق أودية اليرموك والطيبة واليابس وزقلاب ويمكن تمييز أربع مناطق جيومورفولوجية فرعية داخل منطقة عجلون هي[١٧] :

١ – منطقة السفوح الشرقية والشمالية : وتمتد من الأطراف الشرقية لمنطقة عجلون غربًا ، لتضم منطقة المنابع العليا لنهر اليرموك ، ووادي العرب ووادي الطيبة . وتمثل هذه المنطقة بقايا سهل تحاتي قديم ، ويتناقص انحدار الطبقات الصخرية هنا بشكل تدريجي تجاه المنطقة السهلية عند إربد .

٢ – منطقة السفوح الجنوبية : تنحدر بشدة نحو الجنوب ، حيث يجري نهر الزرقاء في واديه الخانقي الذي يفصل منطقة عجلون عن امتدادها في منطقة السلط . وتنتشر في هذه المنطقة مظاهر الانهيارات الأرضية والمصاطب الصخرية والمظاهر الكارستية .

٣ – منطقة السفوح الغربية : تشتمل على الأجزاء الوسطى والدنيا من الأحواض المائية ، التي تصب مجاريها المائية في نهر الأردن مثل الطيبة وزقلاب واليابس وكفرنجة ، وراجب . وتمتاز هذه المنطقة بشدة انحدارها نحو وادي الأردن . وقد تعرضت لتقطع شديد بفعل نحت الأودية لمجاريها في الحافة المطلة على الغور .

٤ – منطقة السقف : تشتمل على الأجزاء المرتفعة من منطقة عجلون ، وبخاصة تلك التي يزيد ارتفاعها عن ١٠٠٠ م : وتنتشر هنا القباب ، والمحدبات السطحية المنفصلة عن بعضها بواسطة الأودية أو المقعرات . كما توجد أيضا بعض مظاهر الكارست مثل الكهوف والانهيارات الأرضية .

منطقة البلقاء : تقع هذه المنطقة بين نهر الزرقاء شمالًا ، ووادي حسبان جنوبًا ، وهي عبارة عن هضبة ترتفع في المتوسط إلى ٩٢٥ م فوق سطح البحر . وتتخذ شكل القبة في الجزء الشمالي حيث توجد قبة السلط ، وشكل السهول في الجزء الجنوبي حيث تمتد سهول مأدبا . وقد تعرضت المنطقة لحركات تكتونية أدت إلى طي بعض جهاتها كمرتفعات السلط ، وطية عمان – الزرقاء المفردة ، فضلًا عن عشرات الطيات المقعرة التي تشغلها مجاري الأودية كمقعر عمان مثلا حيث يجري فيه سيل عمان (المجرى الأعلى لنهر الزرقاء) .

إضافة إلى عناصر الطي ، تعرضت المنطقة لتصدعات في بعض أجزائها . وتسير هذه الصدوع المستعرضة في اتجاهات مختلفة ، وإن كان معظمها يتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي . وقد شقت بعض الأودية مجاريها على طول هذه الصدوع مثل وادي الرم ، الذي يسير على طول الصدع الممتد في الجنوب الشرقي لمدينة عمان ، وأودية شعيب ، والكفرين ، وزرقاء معين التي تسير على طول صدوع تمتد نحو وادي الأردن .

وقد نشطت عوامل النحت المائي فمزقت المنطقة الهضبية إلى مجموعات من التلال المستديرة ، نذكر منها على سبيل المثال : تلال البتراوي شمال مدينة الزرقاء ، وتلال خو شمال شرق الزرقاء ، والتلال التي تقوم عليها مدينة عمان ، وتل أم حليليفة بجوار الجبيهة ، وتل سارة في ظاهر وادي السير الشرقي ، وجبل نبا شمال غربي مأدبا ، وتُل القويجية غربي مأدبا . وهناك تلال عديدة أخرى تنتشر بين السلط ، ووادي السير ، وناعور ، وحسبان . كما تفاقمت عمليات الإذابة في ظل ظروف الرطوبة الوفيرة فأسفرت عن تجاويف أرضية مختلفة الأبعاد ، أكبرها منخفض البقعة (٤٠ كم٢) . ولم تتأثر المساحات الجنوبية لمنطقة البلقاء بالنحت العنيف ، فاحتفظت الأرض باستوائها الموروث عن سهل تحتاني بلايوسيني قديم على نحو ما شاهدنا في سهول إربد . وتسود في منطقة البلقاء تكوينات مجموعة عجلون ومجموعة البلقاء .

منطقة الكرك : تمتد هضبة الكرك بين وادي حسبان شمالًا ، ووادي الحسا جنوبًا ، بمتوسط ارتفاع يبلغ ١١٥٠ م . وقد عرفت في الماضي باسم أرض مؤاب نسبة إلى

المؤابيين . والهضبة عبارة عن حوض طبوغرافي ضحل ينهض طرفاه قليلًا ، وترتخي خاصرته ، غير أن الطرف الجنوبي أكثر ارتفاعًا من الطرف الشمالي ، حيث يبلغ الارتفاع أقصاه في جبل الضباب (١٣٠٠ م) على الجانب الشمالي لوادي الحسا ، بينما يبلغ ارتفاع الطرف الشمالي نحو ٨٥٠ م . وينبسط سطح الهضبة في الوسط بين وادي الموجب شمالًا ، والمزار جنوبًا ، وهو جزء من الهضبة سلم من النحت فانبسطت أرضه التي احتفظت بغطاء سميك نسبيا من تربة البحر المتوسط الحمراء ، كما هو الحال بالنسبة لسهول مأدبا . ونتيجة لذلك فإن هذا الجزء المنبسط من الهضبة يستأثر بالأراضي الزراعية وبالطرق والعمران .

وقد تعرضت هضبة الكرك للتقطع بفعل الأودية ، وبخاصة أودية زرقاء معين ، والواله ، والموجب ، والكرك ، والحسا . وكان النحت عنيفًا بسبب هبوط البحر الميت أكثر من مرة في البليوستوسين . ولما كان البحر الميت يمثل مستوى الأساس أو القاعدة بالنسبة لهذه الأودية المنتهية إليه ، فإنها بتجديد شبابها حفرت حفرًا تراجعيا عميقًا في الهضبة ، وكشفت عن التكوينات الصخرية القديمة ، وكذلك عن الطبقات الحاملة للمياه الجوفية ، فانبثق كثير من الينابيع التي تغذي الأودية بالمياه الدائمة ، ولاسيما في مجاريها الدنيا .

وقد أدى نحت الأودية إلى تعميق مجاريها التي أصبحت خانقية كما هو الحال بالنسبة لوادي الموجب . كما أدى نحتها التراجعي داخل الهضبة إلى تراجع الفاصل المائي بين التصريف الغوري ، وأودية الصحراء الداخلية هنا إلى أقصى بعد له نحو الشرق . كما أدى إلى أسر هذه الأودية لبعض الأودية الأخرى التي كانت تتجه في السابق نحو البادية الأردنية . وعلى سبيل المثال ، نجح وادي الموجب في أسر التصريف المائي لقاع الحفيرة جنوب شرق القطرانة[١٨] .

منطقة معان : تمتد هذه المنطقة من وادي الحسا شمالًا ، حتى الحدود الجنوبية مع المملكة العربية السعودية . ويبلغ متوسط ارتفاعها ١٣٣٠ م ، ويتمثل أعلى ارتفاع لها في قمة جبل رم (١٧٥٤ م) . وتنحدر المنطقة بشدة نحو وادي عربة في الغرب ، كما تنحدر نحو الشرق

إلى منخفض الجفر ، ونحو الجنوب إلى خليج العقبة . وتتكون المرتفعات الجبلية بين العقبة ، ورأس النقب من صخور غرانيتية ، ويرتفع بعضها كجبل باقر إلى نحو ١٦٠٠ م . وتدين هذه المرتفعات بمنسوبها الحالي لحركات النهوض المتتابعة التي بدأت مع عصر ما قبل الكمبري ، واستمرت حتى أواخر الزمن الثالث .

وتظهر تكوينات الحجر الرملي النوبي المنتمية للزمن الثاني في رقاع محدودة ابتداء من القويرة حتى رأس النقب . كما تظهر نفس التكوينات حول وادي موسى والبتراء . وإلى الشمال من رأس النقب تبرز مرتفعات الشراة أطول وأعلى سلسلة جبلية في الأردن ، وتمتد مسافة مائة وخمسين كيلومتر حتى الطفيلة . ويتجاوز منسوب أعلاها ١٧٠٠ م بكل من قمة مبرك ، والجويزات ورأس أم القبور ورجم تلعة الجماعة . وتنحدر مرتفعات الشراة بشدة نحو وادي عربة ، وتدريجيا نحو معان ، ومنخفض الجفر .

وتتميز بنية جبال الشراة بتعقيدها الشديد ، إذ تشتمل ، فضلا عن الغرانيت ، على طبقات من أحجار رملية وأخرى جيرية وطباشيرية . وتحدها الفوالق ، وتكتنفها الأودية السحيقة ، كما توجد فيها الطيات التي تؤلف عددًا من الكويستات المطلة بجروف وعرة على وادي عربة . ويبدو أن حركات الرفع كانت هنا من العنف والحداثة بحيث لم تستطع شبكات التصريف الغوري أن تستطيل في نحتها الصاعد عبر خط تقسيم المياه ، ولهذا تبلغ الأودية المنتهية للصحراء الداخلية أقصى امتدادها غربًا في هذا القسم[١٩] .

٣ – **إقليم الهضبة الصحراوية** : يعد امتدادا شرقيا لإقليم المرتفعات الجبلية ، إلى الشرق من خط سكة حديد الحجاز . كما أنه يعد امتدادا شماليا للهضبة العربية الأركية (الدرع العربي) التي تتكون قاعدتها من صخور بلورية قديمة صلبة . وقد تعرضت هذه الهضبة للتصدع في بعض أجزائها عندما قاومت حركات الضغوط الجانبية ، كما تعرضت لتدفق الطفوح البازلتية على أجزائها الشمالية الشرقية خاصة .

والهضبة بصفة عامة ذات أرض متموجة ، ومع ذلك فلا تخلو من وجود بعض السلاسل الجبلية في الأجزاء الجنوبية الغربية ، وبخاصة جنوبي معان . كما توجد فيها بعض المنخفضات ، والقيعان ، والأودية الطولية مثل منخفض الجفر ، وقاع الديسي ، ووادي

سرحان . وتسود صحراء الحماد في مساحات واسعة من الهضبة ، بينما تنتشر الأراضي الرملية في منخفض حسمي بالجنوب ، وتمتد الحرّات البازلتية في الركن الشمالي الشرقي .

ونظرا لقلة الأمطار التي تهطل على هذه الهضبة فإنها لاتصلح لقيام الزراعة إلا حول مصادر المياه الجوفية في الأودية والمنخفضات . وتكثر الأودية الجافة التي تنمو في قيعانها أعشاب صالحة للرعي . وتتعرض هذه الأودية في حالات نادرة لفيضانات خطيرة تنجم عن هطول أمطار غزيرة خلال مدة قصيرة . ولا شك أن البدو يستفيدون من البرك الرومانية القديمة التي تتجمع فيها أمطار الشتاء لسقي حيواناتهم . كما أقيمت بعض السدود في أماكن التقاء الأودية للاستفادة من مياهها في الأغراض المختلفة .

ومن الناحية المورفولوجية ، ينتمي القسم الأعظم من البادية إلى سطح تسوية مكتهل ، تنصب أوديته إلى أحواض داخلية تعلو قيعانها تدريجيا بفعل ما يلقى عليها من رواسب . لذا فإن غالبية المجاري المائية هنا لم تعمق قنواتها بالقدر الكافي لبلوغ مستوى الماء الجوفي ، فخلت لذلك مقاطعها من الينابيع والعيون .

وبالرغم من قلة أمطار البادية إلا أن الدراسات أثبتت وجود كميات لا بأس بها من موارد المياه الجوفية ، وبخاصة في المنخفضات . وقد استغلت هذه الموارد في وادي الضليل ، والحلابات ، والأزرق ، والجفر ، ومعان ، والحسينية ، وقاع الديسي ، ووادي اليتم ، والعمري والجفور ، والأجفيف .

وقد أنشأ الأمويون في البادية الأردنية قصورا منها قصر الخرّانة الواقع في الجنوب الشرقي من عمان ، وعلى مسافة ٦٤ كم منها ، وقصر الأزرق الذي عاش فيه الوليد الثاني الأموي وقتًا طويلًا ، ويقع في الشمال الشرقي من قصر الخرّانة ، وعلى بعد ٤٢ كم منه . وهناك قصر عمرة في الجنوب الغربي من قصر الأزرق ، وعلى بعد ٢٢ كم منه . وهناك أيضًا قصر الطوبة في جنوبي قصر الخرّانة ، وقصر المشتّى الواقع في منتصف طريق عمان – قصر الخرانة .

المنـــاخ

يعتبر الأردن ميدانًا كبيرًا تتلاقى فيه وتتصارع مؤثرات الصحراء والبحر المتوسط . وبمعنى آخر فإن المناخ يكون صحراويا ، أو شبه صحراوي في بعض الأحيان عندما يسيطر على البلاد نفوذ اليابس ، بينما يكون متوسطيا عندما تسود مؤثرات البحر المتوسط . ومن المناسب أن نقول إن مناخ الأردن انتقالي بين المناخ الصحراوي ، ومناخ البحر المتوسط ، أي أن المناخ شبه الصحراوي هو أقرب الأنواع المناخية لمناخ الأردن . ومن الطبيعي أن تنعكس الظروف المناخية على الموارد المائية التي تتوافر بكميات محدودة . وسنعالج موضوع المناخ بعناصره المختلفة أولًا ، ثم ننتقل إلى موضوع المياه في الأردن .

عناصر المناخ :

درجة الحرارة : يعد أطول نهار في الأردن يوم ٢١ حزيران (يونية) ، حيث يبلغ طوله ١٤ ساعة ، وفي المقابل فإن أقصر نهار في الأردن هو يوم ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ، حيث يصل إلى ١٠ ساعات فقط . والزاوية التي تنحصر بين أشعة الشمس والأرض هي التي تحدد كمية الإشعاع الشمسي . ويبلغ المتوسط السنوي لكمية الإشعاع الشمسي اليومي نحو ٥ ملايين سعر على كل متر مربع . ويرتفع هذا المتوسط إلى ٧,٥ مليون سعر / م^{٢} صيفًا ، وينخفض إلى ٣ ملايين سعر / م^{٢} شتاء . ويهبط الإشعاع إلي مليون من السعرات / م^{٢} في اليوم الشتوى الغائم . وتصل كمية الإشعاع إلى أدنى حد لها في الأجزاء الشمالية الغربية (٤,٥ مليون) ، بينما ترتفع إلى أعلى حد لها في الأجزاء الجنوبية الشرقية (٥,٥ مليون) .

ترتفع درجة الحرارة نسبيا في الأردن نتيجة للإشعاع الشمسي القوي . غير أنها تتفاوت من مكان لآخر حسب الموقع الفلكي للمكان ، ومقدار تعرضه للمؤثرات الصحراوية والبحرية ، ومقدار ارتفاعه أو انخفاضه عن سطح البحر . ويبلغ المتوسط السنوى لدرجات الحرارة في وادي الأردن ٢٣,٥°م ، وهو أعلى متوسط لدرجات الحرارة في الأردن . وأقل متوسط سنوي لدرجات الحرارة يوجد في إقليم المرتفعات

الجبلية (١٦°م) ، ويصل هذا المتوسط في الإقليم الصحراوي إلى نحو ١٧,٥°م . وبذلك بلغ المتوسط السنوي العام لدرجة الحرارة في الأردن نحو ١٩°م خلال الفترة (١٩٦٦ – ١٩٧٥ م) ، أي أنه أقل بدرجة مئوية واحدة عن مثيله في فلسطين (جدول رقم / ٢) .

ويعد شهر كانون الثاني (يناير) أشد شهور السنة برودة في الأردن ، بينما يعد شهر آب (أغسطس) أشد شهور السنة حرارة . وتتفاوت متوسطات درجة الحرارة في كانون الثاني (يناير) من إقليم لآخر ، فهي تتراوح بين ٣,٩°م (الشوبك) و ٨,٥°م (إربد) في إقليم المرتفعات الجبلية ، كما أنها تتراوح بين ٧,١°م (المفرق) و ٨,٧°م (الأزرق) في الإقليم الصحراوي ، وتتراوح بين ١٣°م (وادي اليابس) و ١٦,١°م (العقبة) في إقليم وادي الأردن . أما متوسطات درجة الحرارة في آب (أغسطس) فإنها تتفاوت فيما بينها أيضًا من إقليم لآخر . ففي إقليم المرتفعات الجبلية ، تتراوح بين ١٩,٧°م (الشوبك) و ٢٥°م (إربد) . وفي الإقليم الصحراوي تتراوح المتوسطات بين ٢٣,٨°م (المفرق) و ٢٧,٩°م (الجفور) . وتتراوح في إقليم وادي الأردن بين ٣٠,٢°م (وادي اليابس) و ٣١,٤°م (العقبة) .

وبشكل عام فإن درجات الحرارة في جميع أجزاء الأردن تهبط بسرعة ابتداء من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، وإن أبرد أيام السنة تحدث في كانون الثاني (يناير) أو شباط (فبراير) . ومن جهة ثانية فإن درجات الحرارة تأخذ في الارتفاع ابتداء من شهر آذار (مارس) ، ولكن يحل الدفء تدريجيًا وبصورة بطيئة خلال شهري نيسان (إبريل) وآيار (مايو) . ويصبح الجو حارًا بمعنى الكلمة منذ شهر تموز (يولية) ، ويشهد الأردن في شهر آب (أغسطس) أشد أيام السنة حرارة .

وهناك ثلاث مستويات حرارية رئيسة تتمثل في درجات حرارة ٥°م و ١٠°م و ١٥°م . ولاينخفض متوسط الحرارة في الأردن عن ٥°م حتى في أبرد شهور السنة ، إلا في منطقة محدودة جدًا من مرتفعات الشراه ، حيث ينخفض المتوسط اليومي عن هذه العتبة في الفترة الممتدة بين ١٨ من كانون الأول (ديسمبر) و ٨ من شباط (فبراير) ،

جدول رقم (٢) : معدلات درجات الحرارة (°م) في محطات مختارة

(١٩٦٦ – ١٩٧٥)

المحطة	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونية	يولية	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
وادي اليابس	١٣	١٤,١	١٦,٤	٢٠,٧	٢٥,١	٢٨,٤	٣٠	٣٠,٢	٢٨,٨	٢٥,٢	١٩,٧	٤,٣
دير علا	١٤,٨	١٥,٧	١٨,١	٢٢,١	٢٥,٦	٢٩,٣	٣٠,٩	٣١,٢	٣٠	٢٦,٧	٢١,٨	١٦
العقبة	١٦,١	١٧,٦	٢٠,٢	٢٤	٢٧,٦	٣٠,١	٣١,٢	٣١,٤	٢٩,٤	٢٦,٤	٢١,٩	١٧,٢
إربد	٨,٥	٩,٧	١٢,٢	١٦,١	٢٠,٣	٢٣,٤	٢٤,٧	٢٥	٢٣,٧	٢٠,٧	١٥,٢	١٠
عمان	٧,٣	٨,٩	١١,٦	١٥,٧	١٩,٨	٢٣,٢	٢٤,٧	٢٤,٧	٢٣	١٩,٧	١٤,١	٨,٨
الشوبك	٣,٩	٥,٣	٨,٠	١١,٩	١٥	١٨	١٩,٧	١٩,٧	١٧,٨	١٤,٧	٩,٦	٥,١
الجفور	٧,٨	٩,٦	١٣,٢	١٨,١	٢٢,٦	٢٦,١	٢٨,١	٢٧,٩	٢٥,٥	٢١,٥	١٤,٣	٨,٨
الأزرق	٨,٧	١٠,٨	١٤,١	١٨,٩	٢٣,٢	٢٦	٢٧,٤	٢٧,٧	٢٠,٧	٢١,٨	١٥,٠	٩,٩
معان	٧,٣	٩,٣	١٢,٢	١٦,٩	٢٠,٧	٢٣,٩	٢٥,١	٢٥,٢	٢٣,٥	١٩,٦	١٣,٤	٨,٥

المصدر : إبراهيم الزقرطي ، أثر المناخ على الزراعة في الضفة الشرقية للأردن . رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة القاهرة عام ١٩٧٨ .

أي حوالي ٥١ يومًا . ويتراوح مجموع درجات الحرارة المتجمعة فوق العتبة ٥°م بين ٥٥٠٠ و ٧٠٠٠°م في وادي الأردن ، ويتدنى هذا المجموع ليتراوح بين ٤٥٠٠ و ٥٠٠٠°م في الصحراء ، وبين ٢٧٥٠ و ٤٥٠٠°م في المرتفعات الجبلية . ويؤثر هذا التفاوت في مجموع الحرارة المتراكمة على مواعيد نضج المحاصيل الزراعية ، إذ تنضج في وادي الأردن قبل نضوجها في الصحراء وتنضج في الأخيرة قبل نضوجها في المرتفعات .

أما العتبة الحرارية ١٠°م ، فإن وادي الأردن هو الإقليم الوحيد الذي يتجاوزها طوال أيام السنة ، ولذا نجده يستأثر بزراعة الخضراوات الشتوية دون غيره من الأقاليم . ويجتاز إقليم الصحراء هذه العتبة خلال شهر شباط (فبراير) ، بينما يجتازها إقليم المرتفعات خلال الفترة بين منتصف شباط (فبراير) ونهاية آذار (مارس) ، ولذا تزرع الخضراوات خلال موسم الربيع في الصحراء .

أما العتبة الحرارية ١٥°م ، فإن القسم الشمالي من وادي الأردن يتجاوزها في أواخر شباط (فبراير) ، بينما يتجاوزها الإقليم الصحراوي ، وإقليم المرتفعات في أواخر آذار (مارس) ونيسان (إبريل) على التوالي . وتتزايد درجات الحرارة المتراكمة أكثر من ١٥°م في وادي الأردن كلما اتجهنا جنوبًا لتصل إلى ٣٥٠٠°م في العقبة . ويتناقص المجموع في المرتفعات الجبلية إلى ١٠٠٠°م في كل من مرتفعات عجلون ، والبلقاء ، والكرك ، وإلى ٥٠٠°م في جبال الشراه . ويتراوح هذا المجموع في الإقليم الصحراوي بين ١٣٠٠°م و ٢٠٠٠°م .

وتشير درجات الحرارة الصغرى والكبرى المطلقة خلال الفترة (١٩٦٦ - ١٩٧٥ م) إلى أقصى ما يبلغه المناخ من تطرف . ففي وادي الأردن انخفضت الحرارة الصغرى المطلقة عن الصفر في وادي اليابس فقط خلال شهري كانون الأول (ديسمبر) وكانون الثاني (يناير) إلى -١,٥°م و -٢,٢°م على التوالي . أما إلى الشمال والجنوب من وادي اليابس فإنها بقيت أعلى من الصفر ، إذ سجلت في دير علا ٣,٦°م . وفي العقبة ٦,٥°م .

أما في المرتفعات الجبلية فإن أدنى درجة حرارة صغرى مطلقة تم تسجيلها في شهر كانون الثاني (يناير) الذي تراوحت فيه درجة الحرارة بين -٥,٣°م و - ٨°م ، وشهر شباط (فبراير) الذي تراوحت فيه بين -٣°م و -١٢°م ، وشهر آذار (مارس) الذي تراوحت فيه بين -١°م و -٨°م .

وفي الإقليم الصحراوي ، انخفضت الحرارة الصغرى المطلقة عن الصفر في الفترة بين تشرين الثاني وآذار . وهي بسبب تطرف المناخ الصحراوي أكثر انخفاضًا من مثيلتها في المرتفعات الجبلية ، ففي كانون الثاني (يناير) تراوحت بين -٥,٦°م و -٧,٩°م ، وفي شباط (فبراير) تراوحت بين -٥,٢°م و -٤,٨°م ، وفي كانون الأول (ديسمبر) تراوحت بين -٤,٦°م و -٥,١٠°م ، وفي آذار (مارس) تراوحت بين -٤,٠°م و -٦,٣°م ، وفي تشرين الثاني تراوحت بين -٣,١°م و -٢,٢°م .

وينتج عن تدني درجات الحرارة إلى ما تحت الصفر حدوث الصقيع الذي يغطي مساحات واسعة من المرتفعات الجبلية والبادية ، ومساحات محدودة في شمال وادي الأردن عندما تقع البلاد تحت تأثير الكتل الهوائية الباردة القادمة من سيبيريا وشرق أوروبة . وفي الليالي الباردة الخالية سماؤها من السحب يحدث الصقيع في مساحات محدودة من الجهات سالفة الذكر . ويعتبر كانون الثاني (يناير) أكثر شهور السنة من حيث عدد أيام الصقيع ، يتلوه شهر كانون الأول (ديسمبر) وشباط (فبراير) . وفي شمال وادي الأردن يقل معدل حدوث الصقيع عن نصف يوم في السنة . وتتفاوت المحطات من حيث معدل عدد أيام الصقيع ، فالشوبك تتعرض لصقيع يتجاوز ٧٠ يوما في السنة ، والجفر يتراوح فيها العدد بين ٤٠ و ٥٠ يومًا ، والمفرق والضليل ومعان بين ٢٠ و٣٠ يومًا ، وإربد والأزرق والدبة بين ٥ و ١٠ أيام .

إذا انتقلنا إلى درجات الحرارة العظمى المطلقة نجد أنها تراوحت خلال الفترة (١٩٦٦ - ١٩٧٥ م) في وادي الأردن بين ٤٤° و ٤٧,٥°م وتراوحت في المرتفعات الجبلية بين ٣٩° و ٤١,٥°م ، وفي الإقليم الصحراوي تراوحت بين ٤١° و ٤٤°م . ونادرًا ما تصل الحرارة إلى ٤٠°م فأكثر في المرتفعات . ويتراوح عدد الأيام التي تصل

فيها الحرارة إلى ٤٠°م في وادي الأردن بين ١٨ و ٢٩ يومًا في السنة . ولاتصل الحرارة إلى ١٥°م فأكثر إلا في وادي الأردن .

فيما يتعلق بمعدل المدى الحراري اليومي طوال أيام السنة ، نجد أنه يتفاوت من إقليم لآخر ، حسب درجة المؤثرات البحرية أو الصحراوية . ففي المرتفعات الجبلية يتراوح المعدل بين ١٠ و ١٢°م ، وفي وادي الأردن يصل معدل المدى الحراري اليومي إلى ١٥°م ، في حين أنه يتجاوز ١٦°م في جنوب شرق البلاد الصحراوي[٢٠] .

الضغط الجوي والرياح : يدخل الأردن صيفًا تحت سيطرة الضغط الجوي المرتفع ، الذي يتركز فوق البحر المتوسط بسبب تقدمه نحو الشمال ، بفعل حركة الشمس الظاهرية . ويدخل الأردن صيفًا في نطاق الرياح الشمالية والشمالية الشرقية الجافة ، فلا تهطل أمطار عليه في هذا الفصل . أما في فصل الشتاء فإن الضغوط الجوية الخفيفة تسود منطقة البحر المتوسط ، وتحمل معها جبهات أمطار الشتاء . وتدخل أثناء الشتاء في جنوب غربي آسيا عامة ، والأردن بخاصة ، خمسة أنماط من الكتل الهوائية : الأول : يتمثل في اندفاع كتلة من الهواء القاري القطبي الجاف من أوروبا عن طريق تركية . والثاني : يتمثل في اندفاع كتلة من الهواء القاري قادمة من الاتحاد السوفييتي سابقًا من منطقة الضغط المرتفع . أما النمط الثالث : فإنه يتمثل في اندفاع كتلة من الهواء البحري القطبي الرطب من شمال المحيط الأطلسي . ويتمثل النمطان الرابع والخامس في اندفاع كتلتين هوائيتين قادمتين من الجنوب ، إحداهما مدارية قارية جافة قادمة من إفريقية ، والثانية مدارية بحرية رطبة قادمة من البحر الأحمر والخليج .

وترتبط المنخفضات الجوية بهذه الكتل الهوائية التي تندفع نحو مراكز المنخفضات أثناء مرورها عبر البحر المتوسط . والجدير بالذكر أن قبرص تكون مركزا لهذه المنخفضات التي تتكون في شرقي البحر المتوسط . ويتراوح الفرق بين مركز المنخفض وأطرافه بين ١٠ و ١٣ ملليبار في العادة ، بينما يتراوح الفرق بين المرتفعات الجوية والمنخفضات الجوية بين ١٧ و ٢٠ ملليبار في العادة . وتصل المنخفضات الجوية خلال فصل الشتاء إلى الأردن قادمة من الغرب عبر البحر المتوسط ، وعلى طول مسارين : المسار الأول ، وهو ذو تأثير فعال

على مناخ الأردن ويبدأ من شمال إيطاليا ، ويتجه نحو اليونان وبحر إيجه بعد عبوره بحر الأدرياتي وفي بحر إيجه يتفرع إلى فرعين : أحدهما يتجه إلى البحر الأسود ، والثاني يتجه نحو المشرق العربي . أما المسار الثاني ، فيبدأ من جنوب إيطاليا وصقلية ، ويسير شرقًا عبر البحر المتوسط متجها نحو الأردن والركن الجنوبي الشرقي للبحر المتوسط .

وتمر بعض المنخفضات الجوية المحلية أحيانًا على طول البحر الأحمر متجهة نحو الشمال ، ويصحبها في العادة هطول أمطار غزيرة ، وحدوث فيضانات سيلية في المناطق الجنوبية والشرقية من الأردن خاصة . وهذا ما حدث على سبيل المثال يوم ٨٢/٤/١٣ م عندما تعرضت أجزاء من البادية الأردنية الشمالية لفيضانات وسيول عارمة ، بينما تعرضت مدينة عمان وضواحيها يوم ٨٢/٥/١٢ م إلى أمطار غزيرة تسببت في حدوث سيول قوية وفيضانات مدمرة ، وفي اليوم التالي انتقل تأثير المنخفض الجوي ، الذي تحرك إلى الشمال قليلًا من البحر الأحمر ، إلى مدينة إربد ، فأحدث نفس الآثار التي شهدتها عمان . ويتأثر الأردن بمرور المنخفضات الجوية التي تعبر البحر المتوسط خلال ثمانية أشهر تبدأ من تشرين الأول (أكتوبر) وتنتهي بأيار (مايو) . وتختلف المنخفضات الجوية المتكونة في فصل الشتاء عن تلك المتكونة في فصل الربيع من ناحية الكتلة الهوائية المندفعة نحوها ، ففي الحالة الأولى تندفع كتلة هوائية باردة من الشمال ، في حين تندفع في الحالة الثانية كتلة هوائية حارة من الجنوب ، وهي التي يطلق عليها اسم رياح الخماسين .

تسود الرياح الغربية في إقليمي المرتفعات الجبلية والبادية الصحراوية ، وأقل الرياح تكرارًا هي الرياح الشرقية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية . وتسود الرياح الشمالية والشمالية الغربية في الجزء الشمالي من وادي الأردن ، في حين تسود الرياح الشمالية في جنوب وادي الأردن ، وبخاصة منطقة العقبة . ويتراوح معدل سرعة الرياح اليومي في الأردن بين ٢,٤ عقدة / ساعة في وادي اليابس ، و ١١,٢ عقدة / ساعة في مطار العقبة . وأعلى معدل لسرعة الرياح خلال أشهر السنة وصل إلى ١٧,٧ عقدة / ساعة في المفرق خلال آب (أغسطس) ، وأدناها في وادي اليابس ١,٧ عقدة / ساعة في تشرين الثاني (نوفمبر) .

وأعلى هبة رياح سجلت في الأردن كانت ٧٠ عقدة / ساعة في مطار العقبة في (نيسان ١٩٧٢ م) ، ثم ٦٩ عقدة / ساعة في كل من عمان (كانون الثاني ١٩٦٨ م) ومعان (كانون الأول ١٩٦٧ م) . وفي وادي الأردن كانت أعلى هبّة ٥٢ عقدة / ساعة في دير علا (شباط ١٩٧٢ م) .

الرطوبة النسبية والتبخر : يتراوح المعدل السنوي للرطوبة النسبية بين ٣٩٪ كما هو الحال في الجفور ، و ٦٠٪ كما هو الحال في إربد . وتتفاوت المعدلات السنوية للرطوبة النسبية من إقليم لآخر ، فهي في وادي الأردن ٥٢٪ ، وفي المرتفعات الجبلية ٥٥٪ ، وفي البادية الصحراوية ٤٩٪ (جدول رقم / ٣) . ويعتبر كانون الثاني (يناير) من أكثر شهور السنة رطوبة ، إذ تتراوح فيه معدلات الرطوبة النسبية بين ٥٢٪ في العقبة و ٧٥٪ في الجبيهة . أما شهر أيار (مايو) فيعتبر من الشهور التي تقل فيها الرطوبة بشكل ملموس ، إذ تتراوح فيه الرطوبة النسبية بين ٢٧٪ في الجفور ، و ٤٩٪ في إربد .

ويعتبر شهر كانون الثاني (يناير) من أقل شهور السنة من حيث معدل التبخر . وبالرغم من ذلك فإن معدل التبخر يزيد فيه على ١٠ ملم في وادي الأردن والبادية ، ويقل معدل التبخر عن ١٠٠ ملم في المرتفعات . وعلى النقيض من ذلك فإن شهر تموز (يولية) تحدث فيه أعلى معدلات التبخر ، وبخاصة في البادية الصحراوية التي تتراوح فيها معدلات التبخر بين ٤٠٠ و ٥٠٠ ملم . ويقل التبخر في المرتفعات عن ٤٠٠ ملم في نفس الشهر .

وتتراوح معدلات التبخر السنوي في المرتفعات الجبلية بين ٢٩٠٠ و ٣٠٠٠ ملم . ويزداد معدل التبخر السنوي في البادية إلى أكثر من ٤٠٠٠ ملم . ويتراوح هذا المعدل بين ٣٠٠٠ و ٣٢٠٠ ملم في وادي الأردن .

الأمطار : تعد الأمطار أهم عناصر المناخ ، وهي التي تحدد مناطق السكان والعمران ، وهي بتوافرها ونقصها ، وبانتظامها وتذبذبها ، تؤدي إلى الرخاء أو القحط ، ويكون أثرها عظيمًا . ومعظم الأمطار التي تهطل على الأردن تتسبب عن المنخفضات الجوية التي تجذب إليها الرياح . وتتشبع هذه الرياح بالأبخرة نتيجة مرورها

جدول رقم(٣) : معدل الرطوبة النسبية في بعض المحطات مختارة(١٩٦ – ١٩٧٥م)(٪)

المحطة	يناير	فبراير	مارس	إبريل	مايو	يونية	يولية	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
وادي اليابس	٧٣	٧٢	٦٨	٥٦	٤٧	٤٦	٥٠	٥٣	٥٤	٥٥	٦٣	٧٢	٥٩
دير علا	٦٠	٦٠	٥٨	٤٨	٤٢	٤٢	٤٤	٤٧	٤٩	٤٨	٥٠	٥٧	٥٠
العقبة	٥٢	٥١	٤٧	٤٤	٤٠	٣٩	٤٢	٤٤	٤٧	٤٨	٥٠	٥٥	٤٧
إربد	٧٢	٦٩	٦٦	٥٧	٤٩	٥٠	٥٥	٥٩	٥٨	٥٤	٦٠	٦٨	٦٠
عمان	٧٠	٦٥	٥٩	٥٠	٤١	٣٨	٤١	٤٣	٤٨	٤٨	٥٨	٦٨	٥٣
الشوبك	٧٠	٦٦	٥٨	٥٠	٤٢	٤٠	٤٠	٤٤	٤٨	٥٠	٦٥	٧٠	٥٤
الجفور	٦٠	٥٢	٤٢	٣٣	٢٧	٢٤	٢٤	٢٦	٣١	٣٨	٥٠	٥٨	٣٩
الأزرق	٦٨	٦٠	٥٢	٤٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٤	٤٨	٤٨	٦٠	٦٨	٥١
معان	٧٠	٦٧	٦٣	٥٨	٤٨	٤٧	٤٦	٥٢	٥٣	٥٠	٦٣	٧١	٥٧

المصدر : إبراهيم الزقرطي ، المرجع السابق .

فوق البحر المتوسط . أما الرياح الجنوبية الغربية المحملة بالأبخرة فإنها تصطدم باليابسة وهي متجهة نحوه ، فترتفع وتبرد وتتكاثف الأبخرة على شكل غيوم . وعندما تسوق الرياح هذه الغيوم إلى المرتفعات فإن الأمطار تهطل بغزارة على المنحدرات المواجهة لهذه الرياح المطيرة .

تظهر جميع أشكال الغيوم خلال الفترة بين شهري أيلول (سبتمبر) وأيار (مايو) على ارتفاعات متفاوتة . ويتميز الصيف بوجود غيوم منخفضة ذات رطوبة عالية ، غير أنها لاتسبب هطول الأمطار لتعرضها للتبدد بفعل حرارة الصيف . وتعمل هذه الغيوم الصيفية على التقليل من مفعول أشعة الشمس فوق المرتفعات الجبلية . ويتميز وادي الأردن والبادية عن بقية أجزاء الأردن بقلة الغيوم المتراكمة فوقهما طوال أيام السنة .

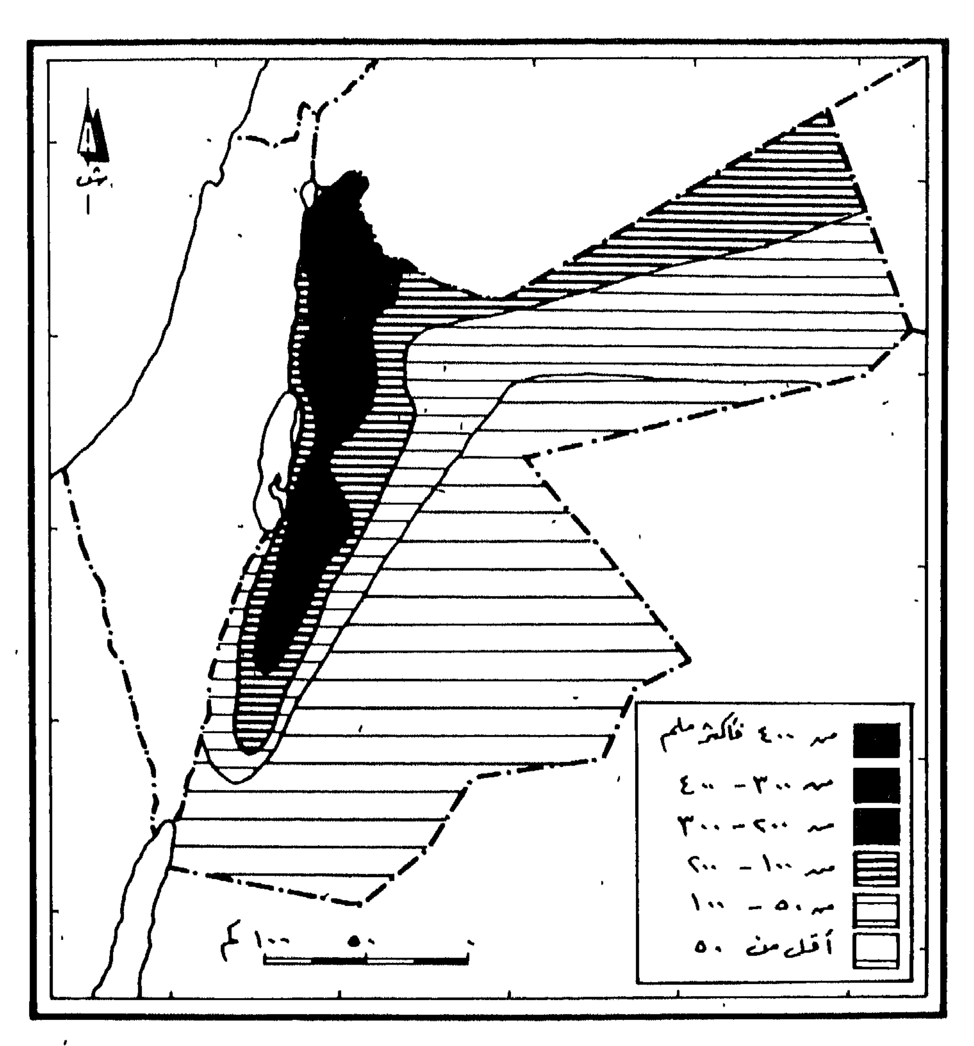
ومما يسترعي الانتباه أن الأمطار في الأردن لا تتوزع متساوية من حيث الزمان والمكان . إذ نجد أن هطولها يحدث بصورة غير منتظمة من سنة لأخرى ومن فصل لآخر كما أنه يميل إلى التركز ، بمعنى أنه يحدث خلال فترة قصيرة وبكميات كبيرة . ويمكن أن نقسم موسم الأمطار إلى ثلاث فترات هي الأمطار المبكرة (الخريفية) ، والأمطار الفصلية (الشتوية) ، والأمطار المتأخرة (الربيعية) . ولابد من هطول الأمطار في هذه الفترات جميعها ، وبكميات مناسبة لتكون السنة عادية ولتنجح الزراعة الشتوية . وإذا هطلت الأمطار في سنة ما بكميات كبيرة تزيد على المتوسط العام للأمطار ، ويتناسب توزيعها على الفترات الثلاث ، فإنه يطلق عليها سنة مطيرة . أما إذا هطلت الأمطار بكميات تقل عن المتوسط العام ، وتركز هطولها في فترة واحدة أو في فترتين أي لم تهطل في الفترات الثلاثة بصورة منتظمة فإنه يطلق على السنة التي تمر بهذا الوضع سنة جافة . وفي حالة تأخر الأمطار المبكرة ، أو إذا كانت قليلة بدرجة لاتمكن البذور من الإنبات ، فإن المحاصيل الزراعية تعجز عن النمو . أما الأمطار المتأخرة فإنها تهطل قبل موعد جني المحصول ، وهي كالأمطار المبكرة تقرر مدى نجاح الموسم الزراعي . إذ إن انحباسها يسبب فشل المحاصيل الزراعية الشتوية والصيفية جميعًا .

الجدول (٤) : مقدار التفاوت في كميات الأمطار السنوية لبعض المحطات المختارة (شكل ٦) خلال الفترة (١٩٣٨/٣٧ – ١٩٧٦/٧٥ م).

المكان	معدل كمية الأمطار	الانحراف المعياري	أكبر كمية أمطار سنوية (ملـم)	أقل كمية أمطار سنوية (ملـم)
الباقورة	٣٨٠	٩٩,٧	٥٥٧ (١٩٤٢/٤٣)	١٧١ (١٩٥٠/٥١)
دير عـلا	٢٧٨	٩٤	٥٠٣ (١٩٤٤/٤٥)	١١٥ (١٩٥٩/٦٠)
غور الصافي	٦٨	٢٨,٥	١١٠ (١٩٤٤/٤٥)	٣٥ (١٩٤٠/٤١)
العقبة	٣٧	٢٧,٦	١١٤ (١٩٤٩/٥٠)	٢ (١٩٤٨/٤٩)
كفر سـوم	٥١٩	١٥٤,٢	٨٦٥ (١٩٤٤/٤٥)	٢١٥ (١٩٥٠/٥١)
إربد	٤٧٨	١٥٩,٨	٨٥٠ (١٩٥١/٥٢)	٢١٢ (١٩٥٩/٦٠)
عجلون	٦٥٣	١٩٩,١	١٠٢٤ (١٩٦٦/٦٧)	٢٩٢ (١٩٧٢/٧٣)
السلط	٦٣٦	٢٢٠	١٠٣٨ (١٩٤٤/٤٥)	٢٨٧ (١٩٥٤/٥٥)
الكرك	٣٦١	١٣٧,٢	٦٠٦ (١٩٧١/٧٢)	١٠٢ (١٩٦٢/٦٣)
الشوبك	٣٠٨	١٠٩,٨	٥٦٧ (١٩٦٣/٦٤)	١٣٨ (١٩٧٢/٧٣)
الطفيلة	٢٨٢	١٤٢,٤	٧٥١ (١٩٦٤/٦٥)	٨٢ (١٩٧٢/٧٣)
رأس النقب	١٤٣	٦١,٥	٣٠٤ (١٩٧٣/٧٤)	٥٨ (١٩٧٢/٧٣)
الجفور	٧٥	٣٠,٤	١٣٢ (١٩٥٢/٥٣)	١٠ (١٩٤٦/٤٧)
الجفايف	٧٤	٤٢,١	١٩٤ (١٩٤٤/٤٥)	١٤ (١٩٥٧/٥٨)
الأزرق	٥٤	٢٦,٦	١٠٦ (١٩٦٥/٦٦)	١٠ (١٩٥٩/٦٠)
الجفر	٣٧	٢٣,٣	٨٣ (١٩٦٥/٦٦)	١ (١٩٥٩/٦٠)

المصدر : Natural Resources Authority, National Water Master Plan of Jordan, Vol, 3 Amman (1977).

ويتضح لنا من الجدول رقم (٤) ، أن توزيع الأمطار يتفاوت داخل الأردن من إقليم لآخر (شكل/٦) ، إذ بلغ معدل كميات الأمطار للفترة (١٩٣٨/٣٧ –



شكل - ٦- معدل الأمطار السنوية (١٩٥٢ - ١٩٧٤م)

المصدر: د. شحادة، تغير الأمطار في الأردن
دراسات (١٩٧٦م).

١٩٧٦/٧٥) في وادي الأردن نحو ١٤١ ملم في السنة ، بينما ازداد المعدل إلى ٤٢٢,٥ ملم في المرتفعات الجبلية ، وإنخفض المعدل إلى ٦٠ ملم في البادية الصحراوية . ويبدو أن العلاقة قوية بين معدلات الأمطار وقيمة الانحراف المعياري ، ففي وادي الأردن تقل قيمة كل من معدل الأمطار والانحراف المعياري ، وفي المرتفعات الجبلية ترتفع قيمة كل من معدل الأمطار والانحراف المعياري ، وفي البادية الصحراوية تنخفض كثيرًا قيمة كل من معدل الأمطار والانحراف المعياري .

وهناك تفاوت بين أكبر وأقل كمية للأمطار السنوية التي تهطل على المحطات المناخية الممثلة لأقاليم الأردن . ويكون التفاوت على أشده في البادية الصحراوية بين أكبر وأقل كمية أمطار سنوية ، وهو كبير أيضًا في وادي الأردن ، وأقل من ذلك في المرتفعات الجبلية . ويزداد الوضع سوءا إذا تعاقبت السنوات الجافة بحيث تتعرض البلاد لفترة جفاف . لذا فإن الاعتماد على الأمطار وحدها في الزراعة عمل غير مأمون العواقب .

إن الانحراف عن المتوسط لايكون متشابها في شمال البلاد وجنوبها ، أي قد تأتي سنة رطبة في الجنوب وحول المعدل في الشمال كعام ١٩٤٨ م . وقد تأتي سنة مطيرة في الشمال وحول المعدل في الجنوب كعام ١٩٦٧ م . ويعطي مُعامل التغير في الأمطار صورة أكثر وضوحًا عن الذبذبة المطرية في الأردن . ويلاحظ أن العلاقة عكسية بين قيم كل من مُعامل التغير ومعدل الأمطار ، فمُعامل التغير المطري يصل إلى نسب تتراوح بين ٢٠ و ٣٠٪ فوق المرتفعات الجبلية ، وبخاصة الأجزاء الشمالية الغربية منها . بينما ترتفع النسب في المناطق الجنوبية الشرقية من البلاد لتتجاوز ٤٠٪ .

وإذا استعرضنا التوزيع الشهري للأمطار في محطات مختارة في الأردن (جدول رقم/٥) اتضح لنا أن هطولها يبدأ تدريجيا في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ، ويصل إلى الذروة في شهري كانون الثاني ، وشباط (يناير وفبراير) ، ثم يأخذ في التناقص التدريجي حتى شهر أيار (مايو) . أما أشهر الصيف من حزيران (يونية) حتى أيلول (سبتمبر) فهي جافة . وتتركز معظم كميات الأمطار السنوية في أربعة أشهر هي : كانون الأول وكانون الثاني وشباط وآذار (٨١,٥٪ من مجموع الأمطار السنوية) ولشهر كانون الثاني (يناير) نصيب الأسد من الأمطار ، إذ تهطل خلاله نحو ٢٣,٥٪

من مجموع الأمطار ، يتلوه في ذلك شهر كانون الأول / ديسمبر (٢٠,٧٪) ، وشهر شباط / فبراير (١٩,٧٪) ، وشهر آذار / مارس (١٧,٦٪) ، وشهر تشرين الثاني/ نوفمبر (٧,٧٪) ، وشهر نيسان / إبريل (٦,٤٪) ، وشهر تشرين الأول / أكتوبر (٢,٦٪) . وهكذا نجد أن كمية الأمطار تهبط بحدة بدءا من نيسان (إبريل) ، ولا تهطل إلا كميات محدودة جدا في النصف الأول من أيار (مايو) ، كما هو الحال بالنسبة للنصف الثاني من تشرين الأول (أكتوبر) . غير أن كمية الأمطار التي تهطل أثناء فصل الربيع تتفوق بشكل عام على تلك التي تهطل أثناء فصل الخريف ، وبخاصة في المنطقة الشرقية من البلاد .

جدول (٥) : معدل الأمطار في بعض المحطات المختارة (١٩٤٢ - ١٩٧٦م) .
(ملم)

المحطة	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	يناير	فبراير	مارس	إبريل	مايو
الباقورة	١٣	٤٢	٨٥	٩٢	٦٤	٥٥	٢٥	٧
دير علا	٦	٢٨	٥٤	٧٠	٥٨	٤٧	٢٠	٥
غور الصافي	١	٨	١٥	١٦	١٢	٩	٤	٢
العقبة	٠,٣	٤	١٠	٨	٦	٤	٤	١
كفر سوم	٩	٥٠	٩١	١٢٨	١٠٤	٩٠	٣٣	٨
إربد	١٣	٤١	٧٧	٩٥	٧٦	٧٣	٢٥	٥
عجلون	١٤	٥٨	١٢٥	١٥٤	١٢٥	١١٠	٣٦	٨
السلط	٨	٥٣	١٢٢	١٥٢	١٢٥	١١٠	٣٢	٧
الكرك	٥	٢٩	٧٣	٧٩	٦٦	٦٨	٢٢	٣
الشوبك	٣	١٨	٧٠	٧١	٦٥	٦٣	١٩	٨
الطفيلة	٢	١٦	٦١	٦٢	٥٦	٥١	١٨	٥
رأس النقب	١	١١	٢٦	٣٢	٣٣	١٦	١١	٧
الجفور	٥	١٠	١٢	٩	١٤	١١	١٠	٥
الجفايف	٤	٨	١٥	١٣	١٦	١٠	٥	٤
معان	٢	٥	٧	٧	٨	٧	٤	٢
المدورة	١	٣	٢	٤	٢	٣	٢	٠,٤
المجموع	٨٧,٣	٣٨٤	٨٤٦	٩٩٢	٨٢٩	٧٢٧	٢٦٦	٧٧,٤
المتوسط	١٠,٨	٤٨	١٠٥,٧	١٢٤	١٠٣,٦	٩٠,٨	٣٣,٧	٩,٨
النسبة المئوية	٢,٦	٧,٧	٢٠,٧	٢٣,٥	١٩,٧	١٧,٦	٦,٤	١,٧

المصدر : إبراهيم الزقرطي ، المرجع السابق .

وبالنظر إلى ارتباط هطول الأمطار بمرور المنخفضات الجوية فإن التوزيع اليومي للأمطار يتخذ شكلًا مصغرًا للتوزيع الشهري لها . فإذا كانت كمية الأمطار الشهرية تبدأ قليلة في أوائل الموسم ، ثم تزداد لتصل إلى قمتها فى منتصفه ، لتعود بعدئذ إلى الهبوط حتى تكون محدودة جدًّا في أواخر الموسم ، فإن كمية الأمطار اليومية تبدأ قليلة في أول يوم من أيام العاصفة المطرية ، ثم تزداد لتصل إلى قمتها في اليوم الثاني ، ثم تتناقص كثيرًا في اليوم الثالث أو الرابع . أي أن عدد أيام فترة الأمطار العاصفية يتراوح ما بين ٣ و ٤ أيام ، وأن قمة المطر تتركز في منتصفها . وتهطل معظم أمطار الأردن على شكل عواصف تثور في فترات محدودة من الأيام المطيرة ، وما تلبث أن تهدأ بعدئذ بتلاشي تأثير المنخفض الجوي . وتسود في العادة أيام من الصحو والهدوء بين فترات الأمطار العاصفية طوال موسم الأمطار .

ويتراوح معدل مرور المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط شتاء بين ٢٥ و ٣٠ منخفضًا في السنة . ويتحكم عدد وعمق المنخفضات الجوية في كمية الأمطار ، وبالتالي تكون بعض السنوات جافة ، وبعضها الآخر مطيرة . وعلى سبيل المثال كان عام ١٩٧٢/٧٣ م جافًّا لقلة المنخفضات الجوية التي تأثر بها الأردن . في حين كان عام ١٩٧٣/٧٤ م مطيرًا لكثرة مرور المنخفضات الجوية . وفي السنوات غير العادية ، يتركز هطول الأمطار في أوائل الموسم ، ويحدث الجفاف في أواخره ، أو العكس . ويحدث أحيانًا أن تهطل الأمطار في منتصف الموسم فقط ، مع تعرض بدايته ونهايته لحالات من الجفاف ، بينما يحدث العكس أحيانًا أخرى عندما يتعرض منتصف الموسم للجفاف ، بالرغم من هطول أمطار في بدايته ونهايته .

وإذا انتقلنا إلى التوزيع المكاني للأمطار ، تبين لنا أن نسبة ضئيلة من جبال عجلون والبلقاء (لاتتجاوز ١٪ من مساحة الأردن) يصيبها أكثر من ٥٠٠ ملم من الأمطار سنويا . وأن نسبة صغيرة تقدر بحوالي ٣,٢٪ من مساحة البلاد ، يصيبها من الأمطار كميات تتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ ملم ، وتضم هذه النسبة وادي الأردن الشمالي ، والمرتفعات الجبلية . أما وادي الأردن الأوسط وكذلك أقدام المرتفعات الجبلية ، وهي

تشغل ٤,٣٪ من مساحة الأردن ، فإن نصيبها من الأمطار يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ ملم سنويا . وتشغل الجهات الصحراوية نحو ٩١,٥٪ من مساحة البلاد ، وبالرغم من ذلك فإن حظها من المطر قليل ، إذ إنه يقل عن ٢٠٠ ملم سنويا ، ومعظم هذه المساحات الصحراوية يقل مطرها عن ١٠٠ ملم سنويا .

وينعكس العامل التضاريسي (الأوروغرافي) على توزيع الأمطار ، فكميات الأمطار التي تهطل على المرتفعات الجبلية أكثر من تلك التي تهطل على وادي الأردن . وحتى في الإقليم الواحد يحدث التفاوت في توزيع الأمطار ، فالباقورة مثلًا أكثر ارتفاعًا وأمطارًا من دير علا في وادي الأردن . وفي المرتفعات الجبلية نجد أن السلط أكثر ارتفاعًا وأمطارًا من إربد . بالرغم من وقوعها إلى الجنوب بعيدًا عن إربد .

وعلى العموم فإن كميات الأمطار السنوية تقل كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب ، ومن الغرب إلى الشرق . فمعدل أمطار عجلون في الشمال (٦٥٣ ملم) أكثر من معدل أمطار السلط (٦٣٦ ملم) ، ومعدل أمطار الأخيرة أكثر من معدل أمطار الكرك (٣٦١ ملم) الواقعة في الجنوب . ومن جهة ثانية فإن معدل أمطار إربد في الشمال الغربي (٤٧٨ ملم) أكثر من معدل أمطار الجفور في الشمال الشرقي (٧٥ ملم) ، ومعدل أمطار غور الصافي في الجنوب الغربي (٦٨ ملم) أكثر من معدل أمطار الجفر في الجنوب الشرقي (٣٧ ملم) .

ويمكن أن نفسر نقص الأمطار من الشمال إلى الجنوب بعدة أسباب منها : أن الأجزاء الشمالية أكثر تعرضًا لمرور المنخفضات الجوية ، وبالتالي تتكون جبهات هوائية تتلاقى فيها كتل هوائية باردة مع كتل أخرى دفيئة ، الأمر الذي يسبب هطول أمطار غزيرة . إضافة إلى ذلك ، فإن الرياح الجنوبية الغربية المطيرة تحتاج إلى أن تقطع مسافة كبيرة في مرورها على مسطح البحر المتوسط ، لكي تصل إلى المرتفعات الشمالية ، بينما تكون المسافة أقصر لكي تصل إلى الأجزاء الجنوبية من فلسطين ، مما يسبب حملها لقدر من الرطوبة في الحالة الأولى أكبر بكثير من القدر الذى تحمله في الحالة الثانية . وتكون الرياح شبه عمودية على الأجزاء الشمالية ، في حين تكون شبه موازية للأجزاء الجنوبية ، الأمر

الذي يهيئ الفرصة لهطول أمطار على الأجزاء الشمالية بكميات أكبر من الأجزاء الجنوبية .

أما تناقص كميات الأمطار من الغرب إلى الشرق فإنه يمكن أن يفسر بعامل القرب أو البعد عن البحر ، بالإضافة إلى عامل مواجهة الرياح المطيرة ، أو الوقوع في ظلها . فالمنحدرات الغربية المواجهة للرياح المطيرة أكثر أمطارًا من المنحدرات الشرقية الواقعة في ظل المطر . وعلى سبيل المثال ، فإن معدل الأمطار التي تهطل على وادي السير أكثر من معدل أمطار عمان ، ومعدل الأخيرة أكثر من معدل أمطار الزرقاء . ومعدل أمطار المفرق أقل من معدل أمطار الزرقاء ، وأكثر من معدل أمطار الجفور .

ويرتبط عدد الأيام المطيرة بالتوزيع الإقليمي للأمطار ، فالجهات الشمالية الغربية شبه الرطبة ذات أيام مطر أكثر في عددها من عدد أيام المطر في الجهات الجنوبية الشرقية الجافة . كما أن عدد أيام المطر في إقليم المرتفعات الجبلية أكثر من عددها في إقليم وادي الأردن . وتعتبر البادية الصحراوية من أقل أقاليم الأردن في عدد الأيام المطيرة . وفي السنوات المطيرة يتضاعف عدد الأيام المطيرة سواء في الشمال أو في الجنوب ، بينما ينخفض هذا العدد في السنوات الجافة وفي كل أرجاء البلاد .

وتشير الأرقام إلى أن معدل عدد أيام المطر (١,٠ ملم فأكثر) يبلغ ٦٠ يومًا في إربد ، ويتناقص إلى ٥٠ يومًا في عجلون ، وإلى ٤٠ يومًا في السلط ، وإلى ٣٨ يومًا في مأدبا ، وإلى ٣٤ يومًا في الكرك ، وإلى ٣١ يومًا في الطفيلة ، وإلى ٢١ يومًا في الجفايف ، وإلى ١٥ يومًا في معان . ويتراوح معدل الأيام المطيرة بين ٢٠ يومًا في البادية الصحراوية ، و ٢٥ يومًا في وادي الأردن ، و ٤٥ يومًا في المرتفعات الجبلية . ويدل العدد المحدود نسبيا لأيام المطر على أن توزيع أمطار الأردن غير منتظم ، ويتركز في أيام قليلة ، وهي صفة عامة لأمطار إقليمي البحر المتوسط والصحراء .

صور أخرى من التساقط :

(أ) **الثلج** : يسقط الثلج عادة في فصل الشتاء ، وبخاصة في شهري كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) ، وفوق قمم المرتفعات الجبلية ، ولا يسقط الثلج في وادي

الأردن بسبب انخفاضه عن مستوى سطح البحر . وقد لا يسقط بالمرة في بعض السنوات ، وتختلف المساحة التي يغطيها الثلج من عام لآخر .

(ب) **الندى** : يتوافق توزيع الندى مع توزيع الأمطار في المرتفعات الجبلية التي هي من أكثر الجهات أمطارا وتكوينا للندى . أما وادي الأردن فهو الإقليم الوحيد الذي تقل فيه كميات الأمطار والندى معًا . ويختلف المعدل السنوي لعدد ليالي الندى من أقل من ليلة في العقبة إلى ١٤٥ ليلة في إربد . ومن الجهات التي يتجاوز فيها الندى ١٠٠ ليلة في السنة يمكن أن نذكر عمان (١١٩ ليلة) والمفرق (١١٧ ليلة) ، والمصفاة (١٠٢ ليلة) . ويتدنى عدد ليالي الندى إلى ٣١ ليلة في معان ، وإلى ١٦ ليلة في دير علا .

التوازن المائي : يُحسب التوازن المائي بطرح قيمة كمية الأمطار من قيمة البخر والنتح . وتدل نتيجة حساب التوازن المائي لمحطات مختارة في الأردن ، على أن جميع أجزاء الأردن تعاني من عجز مائي سنوي ، أي أن القيمة السنوية للبخر والنتح أكبر بكثير من المعدل السنوي للأمطار . ويتراوح هذا العجز المائي بين عجز قليل كما هو الحال في المرتفعات الجبلية إلى عجز متوسط كما هو الحال في وادي الأردن ، وإلى عجز كبير كما هو الحال في البادية الصحراوية .

وعلى سبيل المثال يقل العجز المائي السنوي عن ١٥٠٠ ملم في محطات سمر (-١٣٣٧ ملم) ، ومطار عمان (-١٤٧٠ ملم) ، وسواقة (١٣٨٧ ملم) ، والقصر (-١٢٥٦ ملم) ، ويتراوح العجز بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ ملم في محطات غور الصافي (-١٨٨٣ ملم) ، وقاع الديسي (-١٩٩٦ ملم) ، وأذرح (-١٥٢٢ ملم) ، وقويرة (-١٩١٤ ملم) ، والجفر (-١٧٤٨ ملم) ، والجفايف (-١٨٣٦ ملم) ، والجفور (-١٦٩٩ ملم) ، وباير (-١٧٨٥ ملم) . ويزيد العجز السنوي عن ٢٠٠٠ ملم في محطات الحسا (-٢٠٥٨ ملم) ، والأزرق (-٢١٢٠ ملم) ، والمدورة (-٢٠٢٩ ملم)[٢١] .

وتتمتع الشوبك وإربد في إقليم المرتفعات الجبلية بفائض مائي أثناء فصل النمو (الشتاء) ، بينما يحدث عجز مائي قليل في بقية أرجاء الأردن . وفي فصل الصيف تعاني جميع مناطق الأردن من العجز المائي ، ويصبح استعمال الري في الزراعة أمرًا ضروريا .

الموارد المائية

تقسم المياه في الأردن إلى قسمين رئيسين هما :

١ – المياه السطحية : وهي التي تتكون من مياه الأنهار والأودية .

٢ – المياه الجوفية : وهي التي تتكون في الطبقات الصخرية تحت سطح الأرض في وسط نفاذي يصلح لتجميع هذه المياه بكميات وافرة ، وتتمثل في مياه الآبار والينابيع .

١ – المياه السطحية : تعتبر المياه السطحية في الأردن أهم مصادر الري ، إذ تمثل الأراضي المروية من المياه السطحية غالبية الأراضي المروية في البلاد . وهناك مجموعة من الأنهار والأودية التي تسهم في ري مساحات مهمة من الأراضي الزراعية داخل أحواضها . ومن أهم روافد نهر الأردن يمكن أن نذكر نهر اليرموك الذي يبلغ معدل تصريفه السنوي عند العدسية خلال الفترة (١٩٥٠/٥١ – ١٩٧٥/٧٦ م) نحو (٤٠٠) مليون متر مكعب ، ونهر الزرقاء الذي يبلغ معدل تصريفه السنوي عند دير علا نحو (٨٣) مليون متر مكعب ، ووادي العرب (٣١,٣ م م٣/ السنة) ، ووادي زقلاب (١٠,٢م م٣) ، ووادي كفرنجة (٦,٨م م٣) ، ووادي شعيب (٩,٧ م م٣) ، ووادي الكفرين (١٣,٣م م) . أما معدل التصريف السنوي لنهر الأردن ، خلال نفس الفترة ، فإنه يبلغ نحو (١٠١٣,٥) مليون متر مكعب عند جسر الملك حسين[٢٢] . وهناك أودية مهمة أخرى ترفد البحر الميت ، كوادي الموجب (٧٠ م م٣) ، ووادي الوالا (٣٦ م م٣) ، ووادي الحسا (٣٠ م م٣) . هذا ويبلغ معدل التدفق السنوي للمياه السطحية في الأردن نحو ٨٨٠ مليون م٣ ، منه ٦٣٠ مليون م٣في وادي الأردن الذي يحظى بحوالي ثلاثة أرباع المياه السطحية في المملكة .

بدأ العمل في ضبط مياه فيضانات بعض الأنهار والأودية ببناء السدود عليها منذ أوائل الستينات ، حيث أنشئ سد شرحبيل بن حسنة على وادي زقلاب بسعة تخزينية مقدارها ٤,٣ م م٣ في عام ١٩٦٦ م ، وتبع ذلك إنشاء سدي الكفرين وشعيب في عام ١٩٦٨ م بطاقة تخزينية مقدارها ٣,٨ م م٣ و ٢,٥ م م٣ على التوالي ، لري رقعة من الأرض الزراعية مساحتها حوالي ٣ (آلاف) دونم و ٢٥٠٠ دونم على التوالي . أما سد

الملك طلال فإنه أنشئ على نهر الزرقاء في آذار ١٩٧٨ م بسعة تخزينية مقدارها ٥٦ م م^{3} ، ويمكن استغلال ٤٨ م م^{3} منها لري ما مساحته حوالي ٦٠ (ألف) دونم .

ويشتمل برنامج تطوير موارد المياه في خطة التنمية الخمسية الثانية (١٩٨١ م – ١٩٨٥ م) على مشروعات لبناء سدين جديدين ، وتعلية سدين قديمين ، ومد قناة الغور الشرقية مسافة ١٤,٥ كم أخرى جنوبي الكرامة . ويشمل برنامج السدود بناء سد المقارن على نهر اليرموك بطاقة تخزينية مقدارها ٤٨٦ مليون م^{3} ، ويمكن استغلال ٣٨٨ مليون م^{3} منها لأغراض الري ، ولتزويد شمال الأردن بمياه الشرب ، ولتوليد الكهرباء بطاقة ٢٢٠ ميجاوات . ويتضمن البرنامج أيضًا بناء سد وادي العرب بطاقة تخزينية قدرها ٩,١ مليون م^{3} ، يمكن استغلالها لأغراض الري . كما يشمل البرنامج تعلية سد الملك طلال بارتفاع ٩,٥ م لتخزين ٢٠ مليون م^{3} إضافية من المياه ، وتعلية سد الكفرين بارتفاع ٦ م لزيادة طاقته التخزينية بمقدار ٣ ملايين م^{3} . وفي نهاية فترة خطة التنمية الخمسية (١٩٨١ – ١٩٨٥ م) ، تمكنت السدود من تخزين ٥٩٥ مليون م^{3} من الماء ، وسوف يصبح في الإمكان زيادة رقعة الأراضي الزراعية المروية بحوالي ٢٢٨ (ألف) دونم ، منها ١٤٠ (ألف) دونم في وادي الأردن ، و ٦٨ (ألف) دونم في الأغوار الجنوبية ، وحوالي ٢٠ (ألف) دونم في وادي عربة .

٢ – **المياه الجوفية** : تشكل المياه الجوفية في الأردن مصدرًا مهما للمياه للأغراض البلدية والصناعية والزراعية . وتضم المرتفعات والصحراء سبعة عشر حقلًا مائيا رئيسًا يضاف إليها بعض الحقول الصغيرة المتناثرة الأخرى . وتحتل الآبار مكانة خاصة باعتبارها مصدرًا مهما من مصادر المياه الجوفية . ومما يؤكد أهميتها وتنوع استعمالاتها ذلك الإقبال الكبير على الصعيدين العام والخاص على حفر أعداد كبيرة منها ، فقد ازداد حفر الآبار بشكل مستمر حتى بلغت نسبة حفر الآبار في الأردن حدًّا عاليًا متقدمًا في المنطقة كلها . وتشير الأرقام إلى أن مجموع عدد الآبار الأهلية والحكومية في الأردن وصل إلى نحو ١٦٧٢ بئرًا في عام ١٩٧٦ م ، منها ٥١٣ بئرًا في وادي الأردن الشرقي ، و ٣٦٧ بئرًا في محافظة عمان ، و ٢١٩ بئرًا في محافظة إربد ، و ٢١٧ بئرًا في منخفض الأزرق[٢٣] .

يبلغ معدل مخزون المياه الجوفية القابلة للاستغلال في المملكة الأردنية نحو ٢٢٠ مليون م^{٣} سنويا ، منه ٨٩ مليون م^{٣}في وادي الأردن . وإذا جمعنا موارد المياه الجوفية مع موارد المياه السطحية المذكورة آنفا اتضح لنا أن المعدل السنوي للموارد المائية في الأردن يبلغ ١١٠٠ مليون م^{٣} . ويقدر استهلاك الأردن من المياه بحوالي ٤٣٤ مليون م^{٣} في عام ١٩٨٠ م . ارتفع إلى ٧٩٥ مليون م^{٣} في عام ١٩٨٥ م موزعة على النحو التالي(٢٤) : (جدول/٦) .

جدول (٦) : كميات المياه المستهلكة حسب نوع الاستعمال

الغرض من استعمال المياه	كمية المياه المستهلكة عام ١٩٨٠ (م م^{٣})	كمية المياه المستهلكة ١٩٨٥ (م م^{٣})
منزلية وصناعية	٨٠	١٣٠
زراعية	٣٥٤	٦٦٥
المجموع	٤٣٤	٧٩٥

وتم احتساب الاستهلاك اليومي للفرد الواحد للأغراض المنزلية والصناعية على أساس ١٠٤ لتر في عام ١٩٨٠ م ، وسيرتفع إلى ١٣٨ لترًا عام ١٩٨٥ م . ويقدر استهلاك المياه في الزراعة المروية بحوالي ١٤٠٠ م^{٣} للدونم الواحد سنويا . ونظرًا لارتفاع متطلبات الزراعة المروية من المياه فلقد شرع في استعمال تقنيات حديثة كالري بالرشاشات والتنقيط لتقليل كميات المياه المستعملة ، وكذلك زراعة المحاصيل الأقل استهلاكًا للمياه .

وتعتبر منطقة عمان – الزرقاء من المناطق المكتظة بالسكان ، والحرجة في الأردن من وجهة النظر المائية . ولكن بفضل توافر المياه الجوفية يمكن التغلب على مشكلة نقص

المياه ، وذلك بحفر الآبار الجديدة ، وبناء السدود على الأودية القريبة لخزن الماء الذي يصلح للاستعمال ، ولتغذية الخزانات الجوفية في المنطقة . ونظرا لأن استكمال هذه المشروعات يتطلب وقتًا طويلًا ونفقات كبيرة ، فإنه تم الاستعانة بمصادر المياه الجوفية في منخفض الأزرق عن طريق نقلها إلى عمان لتزويد العاصمة الأردنية بما تحتاج إليه من مياه . وتزود مدينة إربد والقرى المجاورة لها أيضًا بكميات من مياه الأزرق والضليل المنقولة في أنابيب إلى إربد . أما مدينة العقبة فإنها تزود بمياه الآبار المحفورة في وادي اليتم وقاع الديسي[٢٥] .

ومما يسترعي النظر أن مناطق المنخفضات سواء في البادية الصحراوية ، أو في المرتفعات الجبلية ، أو في أودية الأنهار تتوافر فيها كميات كبيرة من المياه الجوفية بحيث تكفي الاحتياجات المحلية . وقد تفيض المياه في بعضها عن حاجة السكان المحليين بحيث تنقل المياه الفائضة إلى المناطق المكتظة بالسكان . وعلى سبيل المثال نجد أن منخفض الأزرق ووادي الضليل في البادية ، وكذلك منخفض البقعة ووادي اليرموك في المرتفعات الجبلية ، تزود محافظتي عمان وإربد باحتياجاتهما من المياه .

ويمكن أن نذكر منخفض وادي الأردن مصدرًا غنيا إلى حد ما بالمياه الجوفية ، إذ إنه يشتمل على مئات الآبار التي تزود المزارعين بمياه الري . وقد بلغ عدد الآبار الجوفية الإنتاجية فيه نحو ١٥٤ بئرًا ، منها ١٢٥ بئرًا في الأغوار الشمالية والوسطى ، و ١١ بئرًا في الأغوار الجنوبية ، و ١٨ بئرًا في وادي عربة . ويتراوح معدل إنتاج البئر الواحدة بين ٥٠ و ٧٥ م^{3} من الماء يوميا . وعلى سبيل المثال ، تم خلال سنوات الخطة الخمسية (١٩٧٦ – ١٩٨٠ م) ري مساحة إضافية مقدارها ١٠٠ (ألف) دونم معظمها في الأغوار ، عن طريق مشاريع المياه التي تم تنفيذها . وتم إيصال المياه بمختلف الوسائل إلى ما يزيد عن ٩٠٪ من سكان الأردن[٢٦] .

النبات الطبيعي

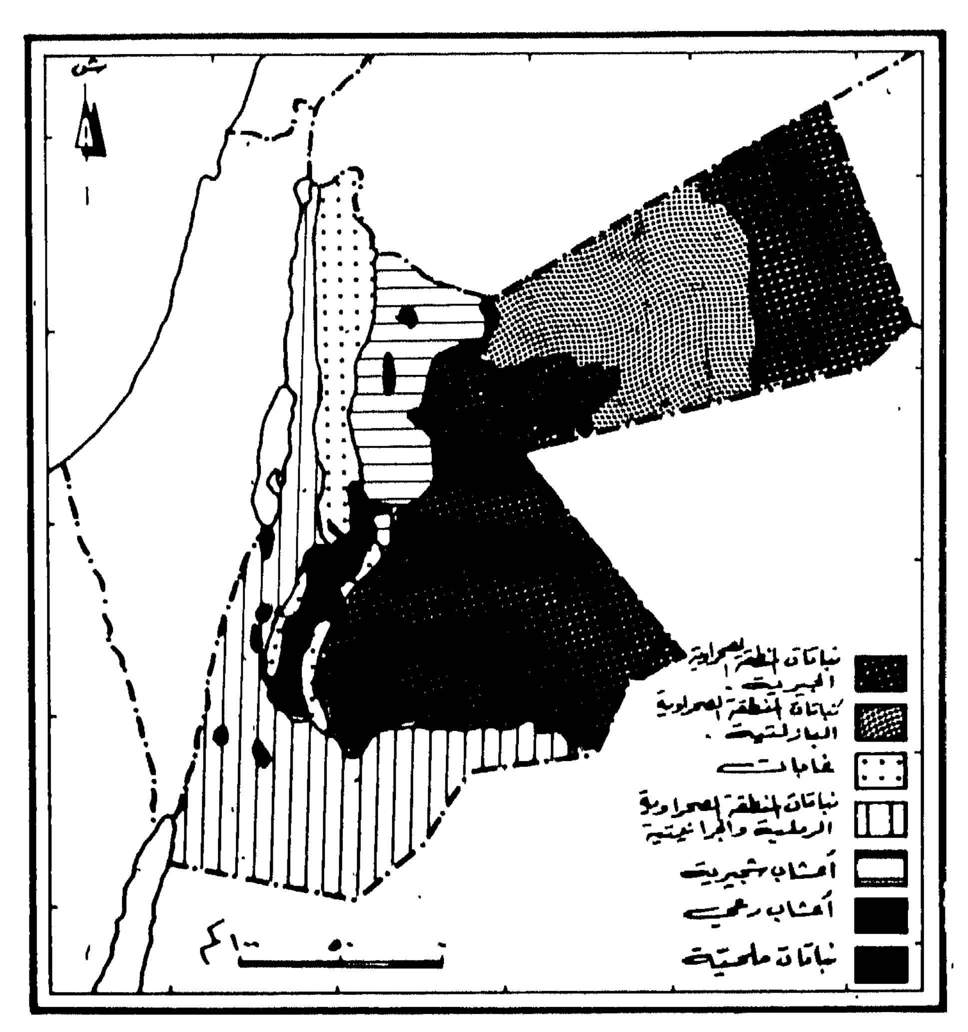
يؤثر المناخ والمياه والتربة والطبوغرافيا والإنسان والحيوان على نمو النباتات الطبيعية وأصنافها في الأردن . ويلعب الموقع الجغرافي للأردن عند ملتقى آسيا مع إفريقية دورًا في غناه بالنباتات الطبيعية . فقد بلغ عدد أصناف النباتات التي جمعها العالم النباتي دينسمور في الأردن وفلسطين نحو ألفي صنف . وتحدد العوامل الطبيعية نوع الأشجار والأعشاب بما يتناسب مع فسيولوجية النبات . إذ نجد أن خط المطر (٢٥٠ ملم) يعتبر حدا فاصلا بين المناطق الملائمة لنمو الغابات والمناطق التي لاتنمو فيها الغابات ، بل تترك مراعي طبيعية . ومن جهة ثانية فإن الجفاف يؤدي إلى موت الكثير من الأشجار والأشتال الصغيرة ، عندما يحدث اختلال في التوازن بين عمليتي النتح والامتصاص . كما أن الطبوغرافيا تحدد نوع النبات الطبيعي الذي يمكن أن ينمو على ارتفاعات أو انخفاضات معينة . ولكل نوع من التربة غاباته أو أعشابه الملائمة له ضمن البيئات الجبلية والغورية والصحراوية . ويعد الإنسان والحيوان عاملين يؤثران على شكل الغطاء النباتي السائد في الإقليم النباتي المحدد .

توزيع النباتات الطبيعية : يتطابق توزيع النباتات الطبيعية في الأردن مع التوزيع العام لأقاليم إيغ Eig النباتية . ويمكن أن نقسم الأردن إلى الأقاليم النباتية التالية[٢٧] : (شكل/٧) .

١ - نباتات إقليم البحر المتوسط : يشتمل إقليم البحر المتوسط على غابات وأشجار البحر المتوسط التي تنمو فوق المرتفعات الجبلية ، وبخاصة على المنحدرات الغربية المواجهة للبحر المتوسط . ويمكن أن نميز الأصناف التالية في هذا الإقليم :

(أ) مجموعة السند يانيات : وهي أشجار عريضة الأوراق دائمة الخضرة ، وتنمو فوق المرتفعات الجبلية الشمالية والجنوبية . وأهم أنواعها البطم والسرو والزعرور والخروب . وتمتد في المنطقة الشمالية بين وادي السير جنوبًا ، وإربد شمالًا ، حيث يتراوح ارتفاع هذه المنطقة بين ٧٠٠ و ١٢٥٠ م فوق سطح البحر ، وتتراوح كميات الأمطار السنوية التي تهطل عليها بين ٣٥٠ و ٧٠٠ ملم ، وتسود فيها تربة البحر المتوسط الحمراء .

أما المنطقة الجنوبية فإن أشجار هذه المجموعة تنتشر فيها على السفوح الغربية لجبال



شكل - ٧ - توزيع النباتات الطبيعية

الطفيلة وعلى إرتفاع يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٦٥٠ م فوق سطح البحر .

(ب) مجموعة الأشجار النفضية عريضة الأوراق : وهي تنمو فوق المنحدرات الجبلية ذات الارتفاعات الأقل من منطقة مجموعة السند يانيات ، حيث يتراوح الارتفاع هنا بين ٣٠٠ و ٧٠٠ م فوق سطح البحر ، وتتراوح كميات الأمطار السنوية بين ٢٥٠ و ٥٠٠ ملم ، وتنتشر تربة البحر المتوسط الحمراء والصفراء . وأهم أشجار هذه المجموعة الفشن والملول والبطم الأطلسي والسرو والبلوط ، والعبهر والخروب ، وتنتشر هذه الغابات في مرتفعات عجلون وجرش والشوبك والطفيلة .

(جـ) المجموعة الصنوبرية : تشمل الصنوبر الحلبي ، أو القريشي بشكل منفرد ، وأحيانًا يختلط مع العرعر والسنديان دائم الخضرة كما هو الحال في منطقتي السلط والصبيحي . وتتميز أوراق الصنوبر بأنها رقيقة ، كما تبدو الأشجار مخروطية الشكل . وتنمو هذه الأشجار في المرتفعات الجبلية التي يتجاوز ارتفاعها ٧٠٠ م ، وتتراوح كميات أمطارها السنوية بين ٥٠٠ و ٧٥٠ ملم ، كما هو الحال في منطقة دبين . وتنمو الأشجار في تربة البحر المتوسط الحمراء .

(د) مجموعة الزيتون البري : تنمو أشجار الزيتون البري في المناطق متوسطة الارتفاع ، إذ يتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠ و ٧٠٠ ملم فوق سطح البحر ، وتتراوح كميات الأمطار السنوية التي تهطل عليها بين ٢٠٠ و ٤٠٠ ملم . ويتركز الزيتون البري في حوض الزرقاء ، في حين يختلط مع أشجار الملول والسنديان في بقية المناطق . وتسود أنواع فقيرة من تربة البحر المتوسط الحمراء والصفراء .

وتستأثر المرتفعات الجبلية الشمالية بنحو ٦٠٪ من مجمل مساحة الغابات في الأردن ، حيث تتركز الغابات في مناطق عجلون وجرش والسلط . أما المرتفعات الجبلية الجنوبية ، كمناطق الشوبك والطفيلة والكرك ، فإنها تشمل ٤٠٪ من مساحة الغابات . والجدير بالذكر أن هذه المناطق من الأردن كانت في القرن التاسع عشر مغطاة بغابات كثيفة تشبه غابات وسط أوروبا . وكانت تشتمل على أنواع عديدة من الأشجار كالصنوبر والسرو والبلوط والعرعر والسنديان والخروب والزيتون البري والأرز والحور والتنوب والدفران

والكينا والسدر والزعرور والسّريس وغيرها .

وقد تعرضت هذه الغابات بمرور الزمن للاجتثاث على يد الفلاحين الذين زرعوا أراضيها بالحبوب والأشجار المثمرة . كما تعرضت للرعي الجائر على يد الرعاة ، وللقطع على يد الحطابين لاستعمال أخشابها في الوقود . كما قامت السلطات العثمانية بقطع كثير من الأشجار لاستعمالها وقودًا في القاطرات الحديدية ، وغير ذلك من الأغراض العسكرية .

وبالرغم مما أسهم فيه الرعي الجائر من إتلاف لغابات البحر المتوسط في الأردن ، إلا أن بعض الأشجار سلمت من الإتلاف ، وظلت بقاياها قائمة حتى الوقت الحاضر شاهدة على وجود هذه الغابات . ونظرًا لما للتحريج من أهمية كبيرة ، يعمل المسؤولون في الأردن ضمن خطط التنمية المتتابعة على تحريج مساحات من الأراضي الجبلية . فالخطة الإنمائية الخمسية (١٩٨١ – ١٩٨٥ م) تستهدف تحريج ما مساحته ١٦٢ (ألف) دونم من أراضي الخزينة المسجلة حراجًا ، وإعطاء الأولوية لتحريج الأراضي الواقعة ضمن مساقط المياه الرئيسة والأكثر تعرضًا لانجراف التربة . ويهدف برنامج التحريج الوطني إلى إشراك المؤسسات الأهلية والرسمية في تحريج ٥٠ (ألف) دونم ، عن طريق تخصيص مساحات لها من الأراضي المسجلة حراجًا ، لزراعتها بالأشجار الحرجية والعناية بها مقابل الانتفاع الترويحي بها .

٢ – **نباتات الإقليم الإيراني الطوروني (إقليم الاستبس)** : تشتمل على الأعشاب والشجيرات القصيرة ، وهي عدة أنواع منها : نباتات عشبية حولية كالحنون أو الدحنون ، ونباتات مستديمة كقرن الغزال والشقيق ، ونباتات متسلقة كالعبهر والكليماتس ، وشجيرات صغيرة كاللباد والقنديل . أما النباتات العلفية ، وهي الأعشاب المرغوبة للأغنام ، فهي العائلة النجيلية كالسنيسلة والقرام ، أو حشيش الفلارس ، ونباتات العائلة البقولية ، مثل الحندقوق . وأفضل الأعشاب المستساغة للرعي هي البيكا وكريشة الجدي والمهيبلة (القرط) .

وتتوزع الأعشاب والشجيرات القصيرة داخل الأردن ، بحيث يتوافق توزيعها مع

إقليمي الاستبس وشبه الصحراء أو مع المنطقتين شبه الجافة والهامشية . وبعبارة أخرى فإن نباتات هذا الإقليم تنتشر انتشارًا واسعًا فوق الهضبة الأردنية إلى الغرب من خط سكة حديد الحجاز . وتوجد بقايا غابة الإقليم الإيراني الطوروني المفتوحة من نوع ابيستاكيا أطلنطيكا في الجهات الشمالية من الهضبة الأردنية ، في حين تسود نباتات متنوعة معظمها من نوع ارتيمسيا هيربا – ألبا في الوسط ، وتنتشر نباتات الجونيبيرس فينيقيا ونباتات الآرتيمسيا هيربا – ألبا في منطقة معان ، بين معان والطفيلة .

والجدير بالذكر أن (بوست)، عالم النباتات، استطاع أن يتعرف هنا على آلاف الأنواع من النباتات الشجيرية والعشبية نذكر منها الريم ، واللبان ، والملاح ، والطرفاء والغرقد ، والنبك ، والعوسج ، والأثل ، والحور ، والزقوم ، والبابير ، والقصب ، والسوسن والعشر والصّلّة . ومما يسترعي الانتباه أن هذه الشجيرات والأعشاب تزداد غنى في المنحدرات الغربية للهضبة الأردنية عنها في المنحدرات الشرقية ، كما أنها في الأغوار الشمالية أكثر غنى منها في الأغوار الوسطى ، وفي منطقة البحر الميت .

٣ – نباتات إقليم الصحراء – السند (الإقليم الصحراوي) : تتألف نباتات الإقليم الصحراوي من شجيرات قزمية وأعشاب شوكية تحورت أوراقها إلى أشواك للتكيف مع طبيعة المناخ الصحراوي الحار والجاف ، وللتقليل من كمية البخر والنتح . وفي الأماكن السبخة تنمو بعض الأعشاب الملحية التي تتحمل ملوحة التربة كما هو الحال في منطقة البحر الميت ومنخفض الأزرق .

وتنتشر النباتات الصحراوية في الأجزاء الجنوبية من الأغوار الوسطى ، وفي أطراف البحر الميت ، وفي وادي عربة ، وفي البادية الأردنية . وتتراوح كميات الأمطار السنوية في المناطق الصحراوية بين ٥٠ و ٢٠٠ ملم ، كما أن قيم التبخر مرتفعة نسبيا ، وبخاصة في جنوب وادي الأردن . لذا تتميز النباتات الطبيعية بأنها قصيرة بشكل عام ، ومتناثرة على سطح الأرض ، وأوراقها شوكية وصغيرة ومغطاة بمادة شمعية ، وجذورها عميقة . وبعبارة أخرى فإن النباتات تتكيف مع الجفاف ، وبالرغم من ذلك فإن حلول فصل الصيف يقضي على كثير من الأعشاب باستثناء الشوكية منها ، وأهم النباتات الصحراوية

شجيرات السيال (السنط) ، وهي نوع من الأكاسيا ، وشجيرات الطلح ، والغضا ، واللّصف ، والعرعر ، والطرفاء ، والأثل ، والغرقد . كما تنمو بين هذه الشجيرات أعشاب شوكية مثل الخزامى ، والينبوتِ والقرذة ، والرتم والشّلوة ، ولسان الثور .

٤ – نباتات إقليم السودان – الدكن (إقليم السفانا) : يشتمل هذا الإقليم على الأعشاب الطويلة ، والأدغال ، والنباتات المائية . وتنتشر هذه النباتات على شكل أشرطة طولية بمحاذاة المسيلات المائية وبخاصة مجرى نهر الأردن ، وعلى شكل تجمعات نباتية كثيفة حول مصادر المياه في المنخفضات ، والواحات داخل وادي الأردن . وتتميز هذه النباتات بأنها طويلة ، وكثيفة لارتفاع درجة الحرارة في وادي الأردن من جهة ، ولنموها بالقرب من المياه ، حيث تتوافر الرطوبة الكافية من جهة ثانية .

وأهم أنواع هذه النباتات الحلفا والبردي والقصب ، والقصيب ، والعبل ، والدفل ، والزيزفون ، والأكاسيا ، والصفصاف ، والبوص ، والكافور ، والحور ، والزنابق ، والغار ، والزقوم ، والدوم ، والحناء الحمراء ، واللوتس ، والغاسول ، والكالي ، وسويد البحر الميت ، والملّوحة ، والميموسا ، ونبات الزيت ، والكابر ، والسواك ، وغيرها .

وتنمو هذه النباتات المائية في المجاري الدنيا من أنهار اليرموك والزرقاء والموجب وزرقاء معين ، وعلى طول مجرى نهر الأردن ، وحول ينابيع المياه في وادي الأردن ، وبجوار البحر الميت ، وفي برك ومستنقعات الأزرق وحول ينابيعه ، وفي غور الصافي ، وحول عيون الماء في وادي عربة . ويتحمل بعض هذه النباتات النمو في ترب متملحة وفي سبخات ، في حين يتحمل بعضها الآخر النمو في وسط مائيّ . وإذا أخذنا غور الصافي مثلًا نجد أن كثيرًا من نباتاته تنمو في سبخات ملحية ، وأهم نباتات غور الصافي الأشجار الشوكية ، كالزيزفون ، وأكاسيا السيال ، والكالوتروبس البروكيرا ، والأدغال الكثيفة كالقصيب .

وأهم نباتات واحة الأزرق ، التي تنمو في البرك والمستنقعات وحول ينابيع الماء ، القصيب الفارسي ، والحلفا ، والسمار ، والغرقد ، والأثل العطري . وهناك نبات النبلك الذي ينمو في السبخات ، وشجيرات الأكاسيا المتناثرة داخل الواحة .

الحياة الحيوانية

ينعكس تنوع الأقاليم الفزيوغرافية والمناخية والنباتية على تنوع الحياة الحيوانية في الأردن . كما أن موقع الأردن في وسط المشرق العربي عند ملتقى ثلاث قارات هي آسيا وإفريقية وأوروبة يؤدي إلى تأثر الأردن بهجرة الحيوانات والطيور بين هذه القارات . لذا تنوعت في الأردن أجناس وأنواع الأحياء البرية من حيوانات وطيور برية ومائية . وأهم الحيوانات والطيور التي تعيش في الأردن ما يلي[٢٨] :

١ – الحيوانات البرية المواطنة :

الغزال الصحراوي والريم : يعيش عند نهري اليرموك والأردن ، وحول الأودية المائية .

الخنزير البري : يعيش في وادي الأردن .

الغزال الجبلي : يعيش في المناطق الجبلية الواقعة شرق البحر الميت ، وفي وادي رم ، وفي جبال العقبة .

البدن : يعيش شرق البحر الميت ، وفي وادي رم .

السنجاب : يعيش في الأراضي ذات الأشجار .

السؤول : يعيش في البادية الصحراوية ، وبخاصة في الرقاع العشبية .

الضب : يعيش في البادية الصحراوية ، وبخاصة في الرقاع العشبية .

الذئب : يوجد في مختلف مناطق الأردن .

الضبع : يوجد في مختلف مناطق الأردن .

القط البري : يعيش في الأراضي الجبلية ذات الأشجار .

الفهد الصياد : يوجد في مختلف مناطق الأردن .

الفهد : مشكوك في بقائه (غرب الطفيلة وفي مناطق بني حميدة) .

النيص : يوجد في مختلف مناطق الأردن .

الأرنب : يوجد في مختلف مناطق الأردن .

الوبر : يعيش في شقوق ومفاصل الصخور الجبلية .

٢ – الطيور البرية :

تنقسم الطيور بشكل عام إلى قسمين رئيسين هما : طيور أوابد ، وهي التي تستوطن وتتكاثر في منطقة لا تغادرها ، وطيور قواطع ، وهي التي تهاجر من موطنها الأصلي سنويا إلى مواقع بعيدة مختلفة . وتقسم الطيور أيضًا حسب خصائصها وطبيعتها إلى الأقسام التالية :

(أ) **الطيور المائية** : يعتبر الماء موطنها الأصلي ، ومصدر غذائها . ومعظم هذه الطيور من النوع المهاجر . وتوجد معظم الطيور المائية في منخفض الأزرق ، مثل البط والأوز ودجاج الماء وتهاجر سنويا من موطنها الأصلي في شمال شرقي أوروبة . أما اللقلق فإنه يهاجر قادمًا من عدة مناطق في العالم قاصدًا الأزرق وعدة مناطق مزروعة .

(ب) **الطيور المفترسة** : هناك طيور مواطنة وأخرى مهاجرة ، وتعيش هذه الطيور في المناطق الصحراوية خاصة . وأهم هذه الطيور النسر والعقاب والصقر ، ويتفرع عنها الباز والرخمة والشوحة والشاهين والحدأة وغيرها . وهناك طيور مفترسة ليلية مثل البوم .

(جـ) **طيور أخرى** : من الطيور المواطنة الحجل والهدهد ، والحمام الأزرق . أما الحجل والهدهد فإنهما يعيشان في مختلف المناطق ، وبخاصة في الأودية . وأما الحمام الأزرق فإنه يعيش في الشقوق والمفاصل الصخرية القريبة من الماء والآبار المهجورة . غير أن دجاج الأرض يهاجر من أوروبة الوسطى والجنوبية ، وينتشر في مختلف المناطق المزروعة ، والقطا يهاجر من شمال غرب إفريقيا ويعيش في الصحراء .

تدهور الحياة الحيوانية : عمل الصيد الجائر على تدهور الحياة الحيوانية البرية والمائية خلال الثلاثين سنة الماضية . ولم يقتصر الأمر على الصيادين الأردنيين ، بل تعداه إلى الصيادين العرب الذين يأتون من المناطق المجاورة وبخاصة منطقة الخليج لممارسة هوايتهم في صيد الحيوانات ، والطيور المنتشرة في بعض المناطق داخل البادية الأردنية . وقد أدى الصيد الجائر إلى إبادة كثير من الحيوانات والطيور ، إذ استعمل الصيادون السيارات والأسلحة الرشاشة في عمليات المطاردة ، كما التقطوا البيض من الأعشاش ، وعبثوا بالصغار ، واستعملوا العقاقير المخدرة حديثًا وسيلة للإمساك ببعض الطيور وبيعها حية في الأسواق .

وقد زاحم الإنسان هذه الحيوانات والطيور في مواطنها ، ومصادر غذائها عندما قام بتحويل هذه المواطن لتلبية أغراضه الزراعية والصناعية والإسكانية ، فأصبحت البيئة ملوثة بإخلال الإنسان بالتوازن البيئي . وقد أدى تعاقب الجفاف ، وتصحر بعض المناطق ، وتعديات الإنسان على مواطن الحيوانات ، إلى انقراض عدة أجناس حيوانية . فالتمساح انقرض منذ مطلع القرن الميلادي الحالي مثلما انقرض غزال الرنة أيضًا . وانقرض كل من الغزال القديم والحمار البري منذ عام ١٩٢٠ م ، وانقرض بقر المها منذ عام ١٩٤٥ م ، وانقرض كل من الدب السوري والنعام منذ عام ١٩٤١ م . أما الأسد فلم يعرف تاريخ انقراضه من الأردن ، علما بأنه كان يعيش في أدغال نهر الأردن قبل القرن الحالي[٢٩] .

مما سبق يتبين لنا أن الحاجة أصبحت ماسة لإيقاف التدهور الذي حل بالحياة الحيوانية في الأردن . وقد جاء تأسيس الجمعية الملكية لحماية الطبيعة عام ١٩٦٦ م عملا ضروريا لتحقيق هذه الغاية . ومن أهم أهداف الجمعية المحافظة على الطبيعة ، وحمايتها من التلوث والتدهور ، وإعادة وإكثار الأحياء التي انقرضت في الأردن ، وحماية المهدد بالانقراض . ولتحقيق هذه الأهداف وضعت الجمعية مشروع قانون لحماية الطيور والحيوانات البرية ولتنظيم صيدها . ولإعادة الأحياء البرية التي انقرضت في الأردن ، وللمحافظة على المهدد منها بالانقراض وإكثاره ، أنشأت الجمعية محمية الشومرى الواقعة في البادية الأردنية إلى الجنوب من منخفض الأزرق . وذلك في عام ١٩٧٦ م . والهدف الرئيس من إنشاء المحمية هو أن تكون مركزًا لتربية السلالات المختلفة والحيوانات المحلية بحيث تعاد للطبيعة .

ويمكن أن نذكر من بين الحيوانات التي تعيش في الشومرى : الثعلب الأحمر المألوف ، والقط البري ، والفأر المنزلي ، والقنفذ الحبشي ، والضبع المخطط . وأغلب أنواع الطيور التي وجدت في الشومرى ، كاليمام والوروار ، والغراب الزيتوني ، وعصفور الجنة (السنونو) والخاطف المبرقع ، وهي من الطيور التي تهاجر بين إفريقيا الشرقية وأوراسيا .

لقد تم استقدام أول أبقار المها لمحمية الشومرى من دول الخليج ، وبعد ذلك من الولايات المتحدة ، ثم أتبعت ببعض النعامات وكذلك الغزلان . والجدير بالذكر أن عدد المهاقد ازداد من عشرة رؤوس عام ١٩٧٨ م إلى ٢٣ رأسًا في عام ١٩٨٢ م ، علمًا بأن عدد الذكور وعدد الإناث من المها لم يصل إلى الحد المثالي الذي يؤدي إلى زيادة عددها عن طريق التكاثر . وقد وافقت الحكومة الأردنية على زيادة مساحة محمية الشومرى من ٢٢ كم٢ إلى ٣٠٠ كم٢ ليتسنى للمحمية أن تمارس عملها بصورة أكثر إيجابية . كما وافقت على تأسيس محمية للأحياء والطيور المائية في واحة الأزرق . وهناك دراسة لإقامة عشر محميات تغطي أنحاء الأردن ، وسيكون العمل في تأسيس هذه المحميات على مراحل . وقد أصدرت الحكومة بعض التعليمات في شهر آب ١٩٧٩ م ، تقضي بمنع الصيد في الأردن لمدة خمس سنوات ، وإلغاء كافة رخص الصيد الممنوحة للصيادين ، والتوقف عن إصدار رخص الاستيراد المتعلقة بأدوات الصيد .

السكان

التركيب الاثنوغرافي للسكان : يمثل العرب معظم سكان الأردن ، وتعيش معهم أقليات صغيرة غير عربية في حالة وئام وانسجام . وتمثل هذه الأقليات في مجموعها ما يعادل ١٪ تقريبًا من مجموع سكان الأردن . وأكبر الأقليات في الأردن هي الأقلية الشركسية التي يقدر عدد أفرادها بحوالي ٣٠ (ألف) نسمة حاليا . وقد هاجرت هذه الأقلية الإسلامية من بلادها الأصلية في القفقاس خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر م ، واستقرت في مدينة عمان ، وفي بعض المواقع المجاورة كوادي السير ، وناعور ، والزرقاء ، وجرش . كذلك هاجرت إلى الأردن مع القبائل الشركسية قبائل الشيشان الإسلامية ، واستقرت بوجه خاص في صويلح ، والزرقاء ، والأزرق ، والسخنة . وتختلف الأقلية الشيشانية ، التي يقدر عددها حاليا بحوالي خمسة (آلاف) نسمة ، عن الأقلية الشركسية في العادات والتقاليد واللغة .

ويعود سكان الأردن العرب في أصولهم إلى الهجرات السامية التي جاءت منذ القدم من شبه جزيرة العرب ، وقامت بتعمير بلاد الشام والعراق . وقبل عام ٢٥٠٠ ق . م اتخذت الموجة الآمورية – الكنعانية طريقها إلى بلاد الشام ، فنزل الآموريون الأردن وسورية ، ونزل الكنعانيون فلسطين . وفي حوالي عام ١٥٠٠ ق . م ، تعرضت بلاد الشام لموجة سامية أخرى ، وهي الهجرة الآرامية ، وفيها القبائل المؤابية والأدومية والعمونية . فحل الآراميون في شمال الأردن ، وحل العمونيون في وسطها ، وأقام المؤابيون والأدوميون في جنوبها . ومن الموجات السامية الموجة التي أتت بالأنباط إلى جنوبي الشام في نحو عام ٥٠٠ ق . م ، ثم هجرة الغساسنة إلى الأردن وسورية . وكانت آخر الموجات الكبرى موجة العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي .

ظلت الصحراء العربية طوال العصور التاريخية منهلًا غنيًّا يزود الأردن بالسكان الذين فضلوا حياة الاستقرار على حياة البداوة فيما بعد . غير أن عملية الاستيطان مرت بمراحل زمنية بدءا من مرحلة البداوة ، ومرورًا بمرحلة شبه البداوة ، أو شبه الاستقرار ، وانتهاء بمرحلة الاستقرار . وتتميز كل مرحلة من هذه المراحل بسيادة حرفة أو أكثر من حرف السكان . ففي مرحلة البداوة كانت تسود حرفة الرعي ، بينما سادت حرفتا الرعي والزراعة معًا في مرحلة شبه البداوة . أما مرحلة الاستقرار فإن السيادة فيها لحرفة الزراعة في الريف ، ولحرف الصناعة والتجارة والخدمات في المدن .

ويمكن القول بأن معظم قبائل الأردن قد استقرت في الوقت الحاضر ، إذ تسكن في المدن والقرى المنتشرة فوق المرتفعات الجبلية ، وفي وادي الأردن . وقد ظلت بطون صغيرة من القبائل تحافظ على حياتها البدوية المألوفة ، وإن كان بعضها يجمع بين حياة البداوة والاستقرار . ومن القبائل العربية التي كانت تعيش في البادية حتى وقت قريب ، واستقر معظم أفرادها في الوقت الحاضر ما يأتي[٣٠] :

١ – **بنو خالد** : وينزل معظم أفرادها عادة حول الرمثا .

٢ – **بنو صخر** : وتنتشر عشائرهم في وسط الأردن وتنزل في جنوب مدينة عمان ، وبخاصة في منطقتي الموقر ومأدبا .

٣ - **بنو حسن** : تتركز هذه القبيلة إلى الشمال الشرقي من عمان في منطقتي الزرقاء والمفرق .

٤ - **بنو عطية** : وتنزل في منطقة الكرك ، حيث يعمل أفرادها حاليا في الزراعة .

٥ - **الحويطات** : ينتشرون في الأجزاء الجنوبية من الأردن بين معان والعقبة .

٦ - **السرحان** : استقروا في ثلاث قرى تقع في منطقة بين درعا والمفرق ، وهي : المشيرفة والسويلمة والصيرة .

٧ - **العيسى** : منازلهم في شمال شرقي الأردن وجبل الدروز .

أما عن بقية مناطق الأردن ، فيمكن القول بأنها تشمل مئات العشائر المستقرة في المدن والقرى المنتشرة في مناطق عجلون ، والسلط ، ومأدبا ، والكرك ، والشوبك ، والطفيلة ، ومعان . وتنعم هذه العشائر المستقرة في الوقت الحاضر بحياة هادئة مستقرة منذ مطلع الثلاثينـات ، عندما توقف الغزو الذي كانت تتعرض له القرى الآمنة على يد بدو الصحراء .

الخصائص الديموغرافية : قدر عدد سكان إمارة شرقي الأردن في عام ١٩٢٣ م بنحو ٣٠٠ (ألف) نسمة ، وقدر عدد سكان مملكة شرقي الأردن في عام ١٩٤٨ م بنحو ٤٠٠ (ألف) نسمة . وفي تعداد ١٩٥٢ م للمساكن ، بلغ عدد سكان المملكة الأردنية الهاشمية ١,٣ مليون نسمة ، ويمكن أن نفسر هذه الزيادة الكبيرة في عدد السكان بضم الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية من جهة ، وبهجرة ما يقارب ٤٥٠ (ألف) نسمة من اللاجئين الفلسطينيين إلى الأردن من جهة ثانية . ويمكن أن نضيف دور الزيادة الطبيعية لسكان الأردن الأصليين عاملًا من عوامل ازدياد عدد سكان الأردن ، إذ ازداد عدد سكان الضفة الشرقية إلى ٥٨٧ (ألف) نسمة في عام ١٩٥٢ م ، أو ما نسبته ٤٥٪ من سكان المملكة الأردنية .

ومما يسترعي الانتباه ، أن عدد سكان المملكة الأردنية ازداد أكثر من ثلاث مرات أو بنحو ٢٢٣٪ في الفترة (١٩٤٨ - ١٩٥٠) ، بينما لم تصحب هذه الزيادة الكبيرة في السكان زيادة متكافئة في المساحة ، إلا ما يساوي ٦٪ ، وهي مساحة الضفة الغربية ،

المضافة لمساحة الضفة الشرقية ، والمقدرة بنحو ٥٦٥٠ كم٢ . ووفقًا لتعداد ١٩٦١ م ، بلغ عدد سكان الأردن نحو ١,٧ مليون نسمة ، مع تغير واضح في نسبة توزيع السكان على الضفتين ، إذ أصبح عدد سكان الضفة الشرقية نحو ٩٠١ (ألف) نسمة ، وازدادت نسبتهم إلى ٥٣٪ من مجموع سكان الأردن . ويمكن القول بأن هجرة السكان الداخلية من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية كانت السبب الرئيس في تفوق نسبة سكان الضفة الشرقية على الضفة الغربية . ووفقًا لتعداد ١٩٧٩ م ، بلغ عدد سكان الأردن (الضفة الشرقية) نحو ٢,١ مليون نسمة .

لاشك أن الزيادة الطبيعية للسكان تسهم بصورة رئيسة في نموهم ، ذلك أن الفجوة بين معدلات المواليد والوفيات اتسعت بمرور الزمن . وتشير الأرقام إلى أن معدلات المواليد ارتفعت من ٤٥ في الألف خلال النصف الأول من الخمسينات ، إلى ٤٨ في الألف خلال النصف الأول من السبعينات ، وإلى ٥٠ في الألف خلال فترة أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات . وعلى العكس من ذلك تعرضت معدلات الوفيات إلى الهبوط المستمر ، إذ إنها انخفضت من ٢١ في الألف خلال أوائل الخمسينات إلى حوالي ١٢ في الألف في أوائل الثمانينات . ويمكن أن نعزو ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية إلى ارتفاع معدلات الخصوبة بين النساء ، وإلى تحسن الأوضاع الصحية والغذائية ، والقضاء على كثير من الأمراض والأوبئة ، وانتشار التعليم ، والتوسع في الخدمات الاجتماعية والاقتصادية .

ومن الطبيعي ، نتيجة لما سبق أن تشهد فترة الثلاثين سنة الماضية تزايدا في معدلات الزيادة الطبيعية للسكان . ففي حين كان معدل الزيادة الطبيعية خلال الخمسينات ٢٥ في الألف ، فإنه وصل خلال الستينات إلى ٣٢ في الألف ، وارتفع في أوائل السبعينات إلى ٣٤ في الألف ، كما ارتفع في أوائل الثمانينات إلى ٣٨ في الألف . ومن المتوقع ، على ضوء معدلات النمو السكاني المرتفعة ، أن يتضاعف عدد سكان الأردن في نهاية القرن الحالي ، بحيث يتجاوز ٤ ملايين نسمة .

بلغ عدد الأسر في تعداد ١٩٧٩ م حوالي ٣٢٠ (ألف) أسرة ، بمتوسط ٦,٢ أفراد للأسرة . أما من حيث التوزيع النوعي فإن نسبة الذكور إلى الإناث في عام ١٩٧٩ م قد بلغت ٥٢ : ٤٨ ، وهذا أمر طبيعي ، بالرغم من الارتفاع الطفيف لنسبة الذكور . أما من حيث التوزيع العمري فإنه يمكن القول بأن نصف سكان الأردن هم من فئة الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة ، وأن نحو ٤٦,٦٪ من السكان هم ممن تتراوح أعمارهم بين ١٥ و ٦٤ سنة ، وأن نحو ٢,٨٪ من السكان هم ممن تزيد أعمارهم عن ٦٤ سنة . وبناء على ما سبق فإن نسبة الإعالة بلغت في عام ١٩٧٩ م نحو ١١٥٪ ، كما بلغت نسبة المنتجين في العائلة إلى المعالين ١ : ٥ .

وبمقارنة نتائج تعداد ١٩٧٩ م بنتائج تعداد ١٩٦١ م يتضح لنا أن نسبة الأطفال دون سن الخامسة عشرة قد ارتفعت من ٤٥,٥٪ عام ١٩٦١ إلى ٥٠,٦٪ عام ١٩٧٩ م . وانخفضت نسبة القادرين على العمل من ٥٠,٧٪ عام ١٩٦١ إلى ٤٦,٦٪ عام ١٩٧٩ م . كما انخفضت نسبة المسنين من ٣,٨٪ عام ١٩٦١ إلى ٢,٨٪ عام ١٩٧٩ م[٣١] .

كثافة السكان وتوزيعهم الجغرافي : يتركز سكان الأردن في بؤر معينة داخل البلاد ، بل إن السكان يتركزون في حوالي ثُمن مساحة الأردن . وتبلغ الكثافة السكانية الحسابية نحو ٢٤ نسمة/كم^2 . وتشير الدراسة التي أجراها الدكتور الحنيطي[٣٢] (١٩٨١) عن الارتباط المكاني للكثافة السكانية ، إلى أن المناطق ذات الكثافة السكانية العالية تميل للتجاور مع المناطق ذات الكثافة السكانية المنخفضة ، والعكس صحيح . وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن ظاهرة الانتشار السكاني في الأردن ضعيفة ، وأن مناطق الكثافة السكانية المنخفضة تقع في حلقات المناطق ذات الكثافة المرتفعة ، وبالتالي فإن توزيع السكان يتحول إلى تركيز بؤري .

ويتبين من الجدول رقم (٧) ازدياد نسبة سكان محافظة عمان ، وثبات نسبة سكان محافظة إربد ، وانخفاض نسبة سكان محافظتي البلقاء والكرك ، وانخفاض نسبة سكان البادية بشكل ملحوظ . وقد لعبت الهجرة الداخلية دورًا في تطور التوزيع النسبي للسكان .

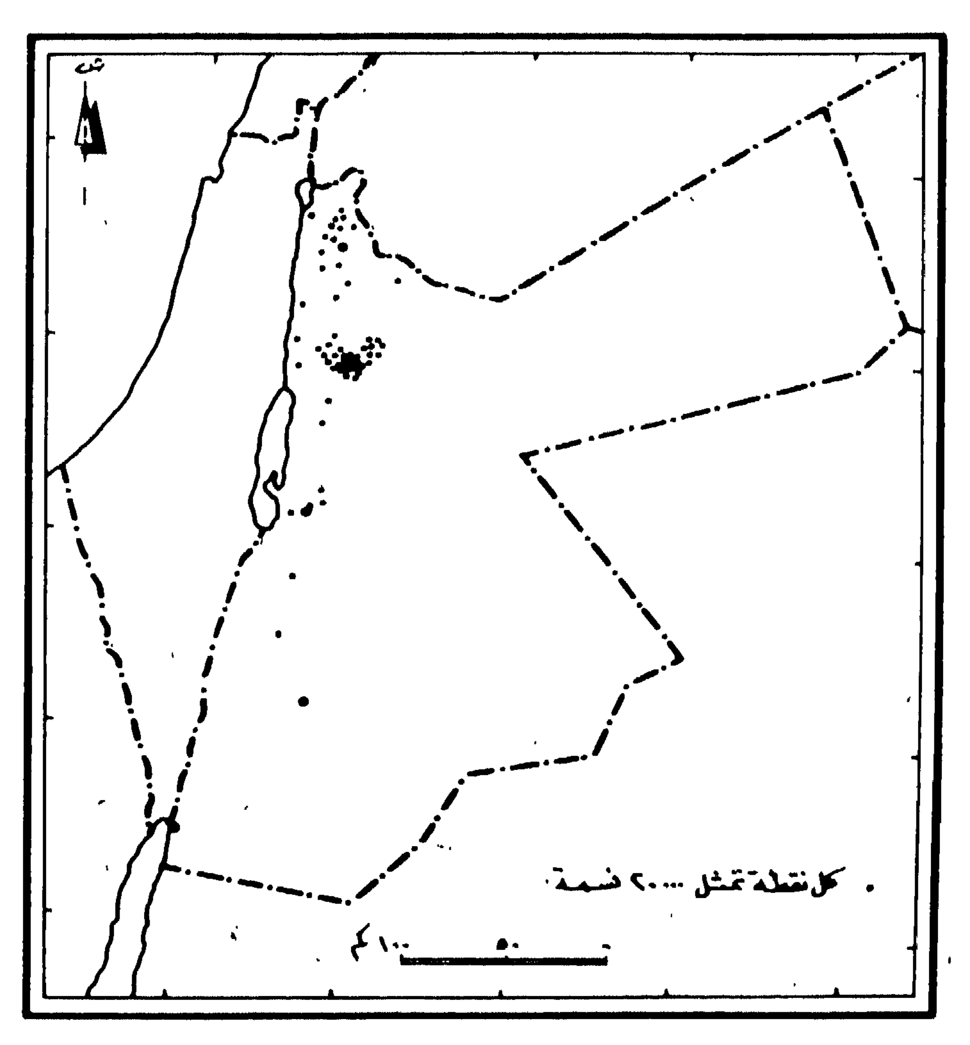
جدول (٧) تطور التوزيع النسبي للسكان حسب المحافظات لعامي ١٩٦١ و ١٩٧٩ م (٪)

المحافظة	السكان عام ١٩٦١ (٪)	السكان عام ١٩٧٩ (٪)
عمـــان	٤٦,٣	٥٥
إربـــد	٢٨,٤	٢٨
البلقـــاء	٨,٦	٧
الكـــرك	٧	٦
معـــان	٢,١	٤
الباديـــة	٧,٣	–

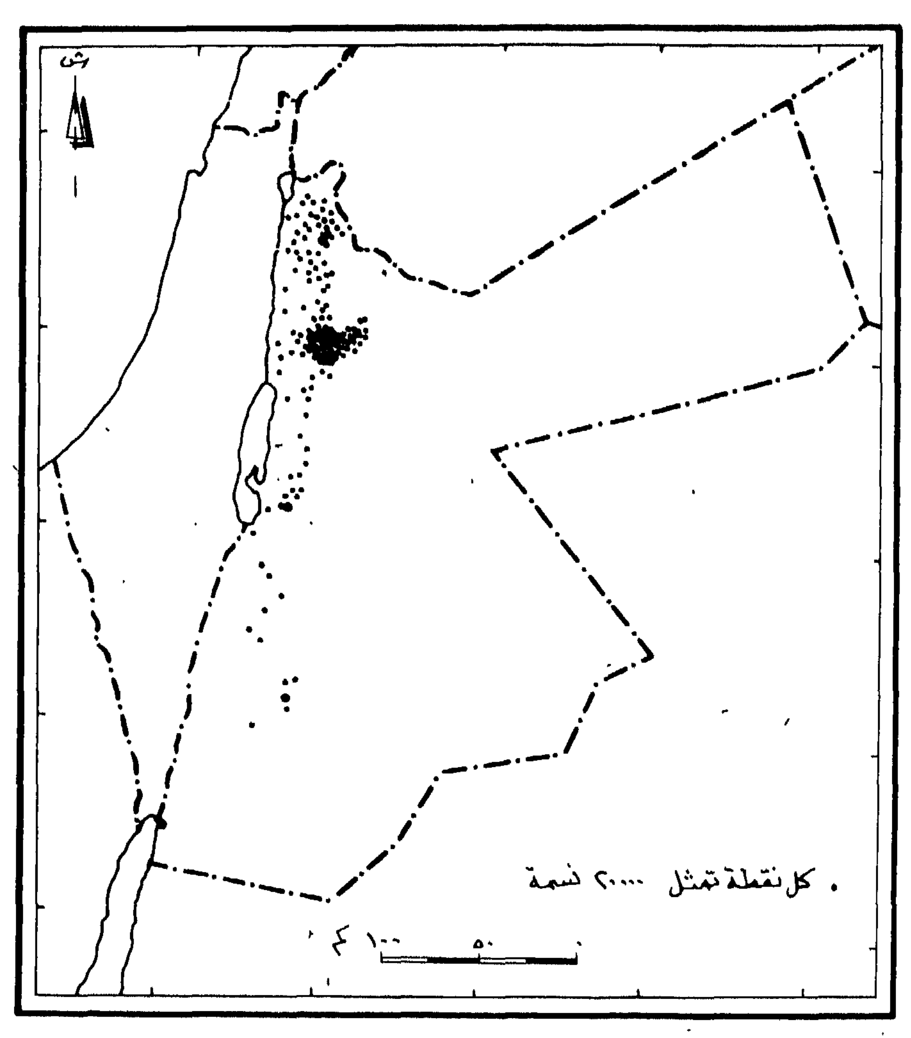
ويمكن أن نعزو حدوث هذه الهجرة إلى أسباب منها : العامل العسكري الذي نتجت عنه هجرة قسرية من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الضفة الشرقية ، وبخاصة إلى محافظتي عمان وإربد . وهناك عوامل اقتصادية ، واجتماعية ، وطبيعية أدت إلى حركة السكان من مناطق الضغط السكاني المرتفع المتمثل في محافظتي معان والكرك ، إلى مناطق الضغط السكاني المنخفض المتمثل في محافظة عمان خاصة . فالمحافظات الجنوبية للأردن ، طاردة للسكان بسبب مواردها المحدودة ، وقسوة البيئة الطبيعية نسبيا ، أما المحافظات الوسطى والشمالية فإنها جاذبة للسكان لتوافر الموارد والمرافق والخدمات التي تجذب السكان إليها .

ولو نظرنا إلى أماكن انتشار السكان ، لوجدنا أنهم ينتشرون في محور طولي يمتد من الشمال إلى الجنوب . ويقع هذا المحور على الهوامش الغربية للبادية الصحراوية ابتداء من إربد شمالًا ، وانتهاء بالعقبة جنوبًا . فالسكان يقل انتشارهم من الشمال إلى الجنوب ، ومن الغرب إلى الشرق بصورة عامة وباستثناء منطقة / عمان – الزرقاء . وتبدأ الكثافة عالية في القطاع الشمالي حتى تصل إلى قمتها في القطاع الأوسط المتمثل في منطقة عمان – الزرقاء ، وهي منطقة القلب أو النواة الرئيسة للأردن كما سبق أن أشرنا . ثم تأخذ الكثافة في التناقص باتجاه الجنوب حيث يتخلخل السكان في منطقة معان (شكل ٨ ، ٩) .

القوى العاملة : (بلغت نسبة القوى البشرية في الأردن (الضفة الشرقية) في عام ١٩٧٩ م نحو ٤٦,٦٪ مقابل ٥٠,٧٪ في عام ١٩٦١ م . وتشير البيانات إلى أن نسبة



شكل - ٨ - توزيع السكان عام ١٩٦١ م



شكل -٩- توزيع السكان عام ١٩٧٩م

العاملين ارتفعت في عام ١٩٧٩ م إلى ٣٨,٣٪ عما كانت عليه في عام ١٩٦١ (٧٪)) . وكان لمحافظة عمان نصيب الأسد من ارتفاع نسبة العاملين (١٥ – ٦٤ سنة) ، إذ إن نسبة العاملين ارتفعت فيها من ٥١,٦٪ في عام ١٩٦١ إلى ٥٧٪ في عام ١٩٧٩ م . وتأتي محافظة إربد في المرتبة الثانية من حيث نسبة العاملين ، بالرغم من انخفاض نسبتهم فيها من ٢٦,٤٪ عام ١٩٦١ م إلى ٢٣,٧٪ عام ١٩٧٩ م . أما بقية المحافظات فإن نسبة العاملين فيها قليلة ، وتتراوح بين ٥ و ٩٪ في تعدادي ١٩٦١ و ١٩٧٩ م . ويمكن أن نفسر ارتفاع نسبة العاملين في محافظة العاصمة بتركز فرص العمل فيها لمعظم الوظائف ، وبخاصة الوظائف الإدارية والصناعية والتجارية والخدمات .

وتشير بيانات التوزيع النسبي للعاملين في الأردن حسب النشاط الاقتصادي إلى أن نسبة العاملين في القطاع الزراعي انكمشت من ٣٥,٣٪ عام ١٩٦١ م إلى ١٠,٣٪ عام ١٩٧٩ م ، وأن نسبة العاملين في قطاع الصناعة بقيت ثابتة عند حدود ٨,٤٪ في التعدادين ، وأن نسبة العاملين في قطاع الإنشاءات ارتفعت من ١٠,٣٪ إلى ١٣,٦٪ ، كما ارتفعت نسبة العاملين في قطاع التجارة والمطاعم والفنادق من ٨٪ إلى ٩,٧٪ ، وارتفعت نسبة العاملين في قطاع النقل والتخزين والمواصلات من ٣,١٪ إلى ٨,٣٪ . ومما يلفت النظر أن نسبة العاملين في قطاع الإدارة العامة والدفاع والخدمات الأخرى ، ارتفعت من ١٨,٤٪ إلى ٤٥٪ ، بينما انخفضت نسبة العاملين في قطاع الخدمات المالية والتأمين والعقارات من ١٣,٧٪ إلى ٢,٤٪[٣٣] .

الهجرة السكانية : يمكن أن نتناول الهجرة الداخلية والخارجية للسكان . أما الهجرة الداخلية فإنها تتمثل في هجرة السكان من الريف إلى المدينة ، وهجرتهم أيضًا من محافظة إلى أخرى . وتشير أرقام تطور حجم بعض المدن الأردنية إلى أن مدن عمان ، والزرقاء ، وإربد تتجه نحو المدن المهيمنة لكثرة عدد سكانها الذين هاجروا إليها من الريف . وعلى سبيل المثال ، فإن للهجرة دورًا في تضخم مدينة عمان التي بلغ معدل نموها السنوي خلال الفترة (١٩٥٢ – ١٩٦٥ م) نحو ٦,٥٪ ، منها ٣٪ هجرة صافية ناجمة عن الهجرة الداخلية إليها . وقدر معدل النمو السنوي لسكان عمان خلال الفترة (١٩٧١ – ١٩٧٧ م) نحو ٥,٨٪ ، منها ٢,٨٪ نتيجة الهجرة الداخلية إليها[٣٤] .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن نسبة سكان محافظة عمان ازدادت من ٤٦,٣٪ عام ١٩٦١ م إلى ٥٥٪ عام ١٩٧٩ م ، وأن الزيادة الطبيعية وصافي هجرة السكان يلعبان

دورًا في تطوير نمو سكان المحافظة ، وأن الهجرة بنوعيها الطوعي والقسري أسهمت إسهامًا رئيسًا في ازدياد عدد سكانها . أما ازدياد نسبة سكان محافظة معان من ٢,١٪ في عام ١٩٦١ م إلى ٤٪ في عام ١٩٧٩ م ، فتعزى أساسًا إلى جذب مدينة العقبة للسكان المهاجرين إليها من مختلف محافظات الأردن ، ولتوافر فرص العمل فيها باعتبارها ميناءً وحيدًا للأردن . وتسهم الهجرة من الريف إلى المدينة في ارتفاع نسبة سكان الحضر في الأردن ، إذ ارتفعت هذه النسبة من ٤٣٪ في عام ١٩٦١ م إلى ٦٢,٧٪ من إجمالي عدد السكان عام ١٩٧٩ م .

إذا انتقلنا إلى الهجرة الخارجية نجد أنها تلعب دورًا أساسيا في تطور نمو سكان الأردن . فمعدل النمو السنوي للسكان بلغ للفترة (١٩٦١ - ١٩٧٩ م) نحو ٤٨ في الألف ، منها ١٠ في الألف محصلة الهجرة الخارجية . وقد تأثر هذا الرقم كثيرًا بالمهاجرين قسرًا عن الضفة الغربية في عام ١٩٦٧ م . ويعتبر الأردن من الدول التى تصدر القوى العاملة وتستوردها في آن واحد ، وذلك منذ عام ١٩٧٣ حتى الآن . وقد ظل الأردن يصدر القوى العاملة منذ أوائل الخمسينات حتى اليوم ، وذلك بسبب الضغط السكاني على موارده من جهة ، وفرص العمل المتاحة بأجور مرتفعة في البلدان العربية النفطية من جهة ثانية .

ويقدر عدد الأردنيين العاملين في الخارج وأفراد أسرهم بما يتراوح بين ٥٠٠ و ٧٥٠ (ألفا) حسب تعداد ١٩٧٩ م . وقد بلغت نسبة العاملين الأردنيين في البلدان العربية النفطية نحو ٨٥,٥٪ من إجمالي العاملين الأردنيين في الخارج البالغ ٣٠٥٤٠٠ عامل في عام ١٩٨٠ م . وكان من بينهم ٤٥,٨٪ في المملكة العربية السعودية ، و ٢٤,٦٪ في الكويت ، و ٦,٢٪ في الإمارات العربية المتحدة ، و ٢,٤٪ في قطر ، و ٢,١٪ في كل من ليبيا وعمان ، و ١٪ في البحرين ، و ١,٣٪ في دول عربية أخرى . كما بلغ عدد العاملين الأردنيين في البلدان المتقدمة نحو ٤٣,٩٠٠ عامل ، أو ما نسبته ١٤,٥٪ من إجمالي العاملين الأردنيين في الخارج . وكان من بينهم ٧,٥٪ في الولايات المتحدة الأمريكية ، و ٣,٤٪ في ألمانيا الاتحادية[٣٥] .

والجدير بالذكر أن معظم المهاجرين الأردنيين للخارج هم من أصحاب الكفاءات العلمية والمهنية الفنية . وقد شكل انتقالهم إلى الخارج ضغوطًا على الاقتصاد الأردني منذ أوائل السبعينات عندما بدأ الأردن تنفيذ خططه الإنمائية . ويمكن أن نذكر من بين النتائج المترتبة على انتقال القوى العاملة الأردنية إلى الخارج تدفق الأموال من المغتربين الأردنيين

لاستثمارها في الأردن ، وارتفاع نسبة التضخم ، وتخفيض البطالة ، ونقص في عرض القوى العاملة الماهرة والفنية ، وزيادة الأجور ، واستيراد القوى العاملة من الخارج .

فيما يتعلق بتحويلات الأردنيين العاملين في الخارج ، ازدادت قيمة التحويلات ، عبر النظام المصرفي ، من ٥,٥٤ مليون دينار في عام ١٩٧٠ م إلى ٢٣٦,٧ مليون دينار عام ١٩٨٠ م ، وكان معدل الزيادة السنوية في حجم التحويلات خلال السبعينات نحو ٣٧,٥٪ في المتوسط[٣٦] . وقد بلغ عدد العمال الأجانب في الأردن حوالي ٨٦ (ألف) عامل في عام ١٩٧٩ م ، أو ما نسبته ٤٪ من سكان الأردن ، وقدر بنحو ١٠٠ (ألف) عامل عام ١٩٨١ ، وتشير الأرقام إلى أن غالبية العمال الأجانب العاملين في الأردن هم من البلدان العربية حيث تبلغ نسبة العمال العرب نحو ٧٧,٩٪ من إجمالي العمال الأجانب . ويشكل العمال المصريون حوالي ٦٩,١٪ من إجمالي العمال الأجانب العاملين في الأردن ، والذين ينتمون لما يزيد عن خمسين جنسية .

الديانة والمذاهب الدينية : دين الدولة الرسمي هو الإسلام . وإذا استثنينا أقلية نصرانية صغيرة من العرب والأرمن ، فإن الغالبية العظمى من سكان الأردن مسلمون من العرب والشركس . أما النصارى فمعظمهم من بقايا الطوائف النصرانية التي يرجع تاريخها للفترة البيزنطية ، ويتبع غالبية النصارى كنيسة اليونان الأرثوذكس ، وهناك فئات محدودة من الروم الكاثوليك (اللاتين) ، واليونان الكاثوليك والبروتستانت . ولا يقتصر اعتناق النصرانية على بعض السكان في المدن كعمان ، والسلط ، ومأدبا ، والفحيص ، وعجلون ، والكرك ، بل إن بعض السكان في القرى يعتنقون النصرانية كما هو الحال في قرية الرميمين . غير أن غالبية النصارى تتركز في المدن ، حيث يعمل كثير منهم في حرف غير زراعية مثل التجارة والصناعة والوظائف الحكومية . واللغة العربية هي اللغة الرسمية السائدة في الأردن . ويتكلمها جميع السكان ، بما فيهم الأقليات غير العربية ، وإن كانت هذه الأقليات تتكلم لغاتها الخاصة بها إلى جانب اللغة العربية .

العمران : يرتبط السكان بالعمران في البادية والريف والمدن . وقد شهد الأردن عبر القرن الحالي حركة عمرانية شاملة ، غير أن الانتقال التدريجي للسكان من حياة البداوة وشبه البداوة إلى حياة الاستقرار في القرى والمدن ، أدى إلى ازدهار العمران ، وبخاصة في المدن . وقد أظهرت الدراسات حول موضع الإسكان بما فيها تعداد السكان لعام

١٩٧٩ ، أن الحاجة السكنية في الأردن تقدر بحوالي ١٦ (ألف) وحدة سكنية سنويا . ويعود ذلك إلى ارتفاع معدلات نمو السكان ، وتزايد الهجرة من الريف إلى المدن ، والحاجة إلى استبدال المساكن القديمة بوحدات مناسبة .

وبالرغم من أن قطاع الإسكان استحوذ على ٢١٪ من مجمل الاستثمارات الثابتة في الخطة الخمسية (١٩٧٦ - ١٩٨٠ م) ؛ إلا أن الأردن مازال يعاني من نقص في توفر السكن الملائم خاصة لذوى الدخل المحدود ، والمتدني ، والمنخفض . وقد قامت مؤسسة الإسكان خلال فترة الخطة الخمسية بتنفيذ ٢٥ مشروعًا سكنيا اشتملت على ٦٦٢١ وحدة سكنية ، وبلغ مجموع الإنفاق عليها حوالي ١٨,٧ مليون دينار .

وتدل المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية على وجود تباين بين مختلف مناطق الأردن في النشاط الاقتصادى ، وفي توافر المرافق والخدمات العامة . وتقوم المجالس القروية والبلدية بتوفير الخدمات والمرافق الأساسية في الريف والمدن استجابة لحاجات المجتمع المحلي . ومن هذا المنطلق أوليت أهمية خاصة لتطوير قطاع الشؤون البلدية والقروية ودعم أوجه النشاط . فقد ارتفع عدد المجالس البلدية من ٨٩ في نهاية عام ١٩٧٥ م إلى ١٠٤ في نهاية عام ١٩٨٠ م ، وفي الوقت ذاته ارتفع عدد المجالس القروية من ١٩٠ إلى ٢٤٣ على التوالي . وتولت وزارة الشؤون البلدية والقروية إنجاز مخططات تنظيمية لنحو ٣٢١ قرية ، ووفرت تمويلًا سنويا لإنشاء الشوارع والمدارس في القرى من خلال مخصصات مالية يتم إدراجها سنويا في الموازنة العامة للدولة .

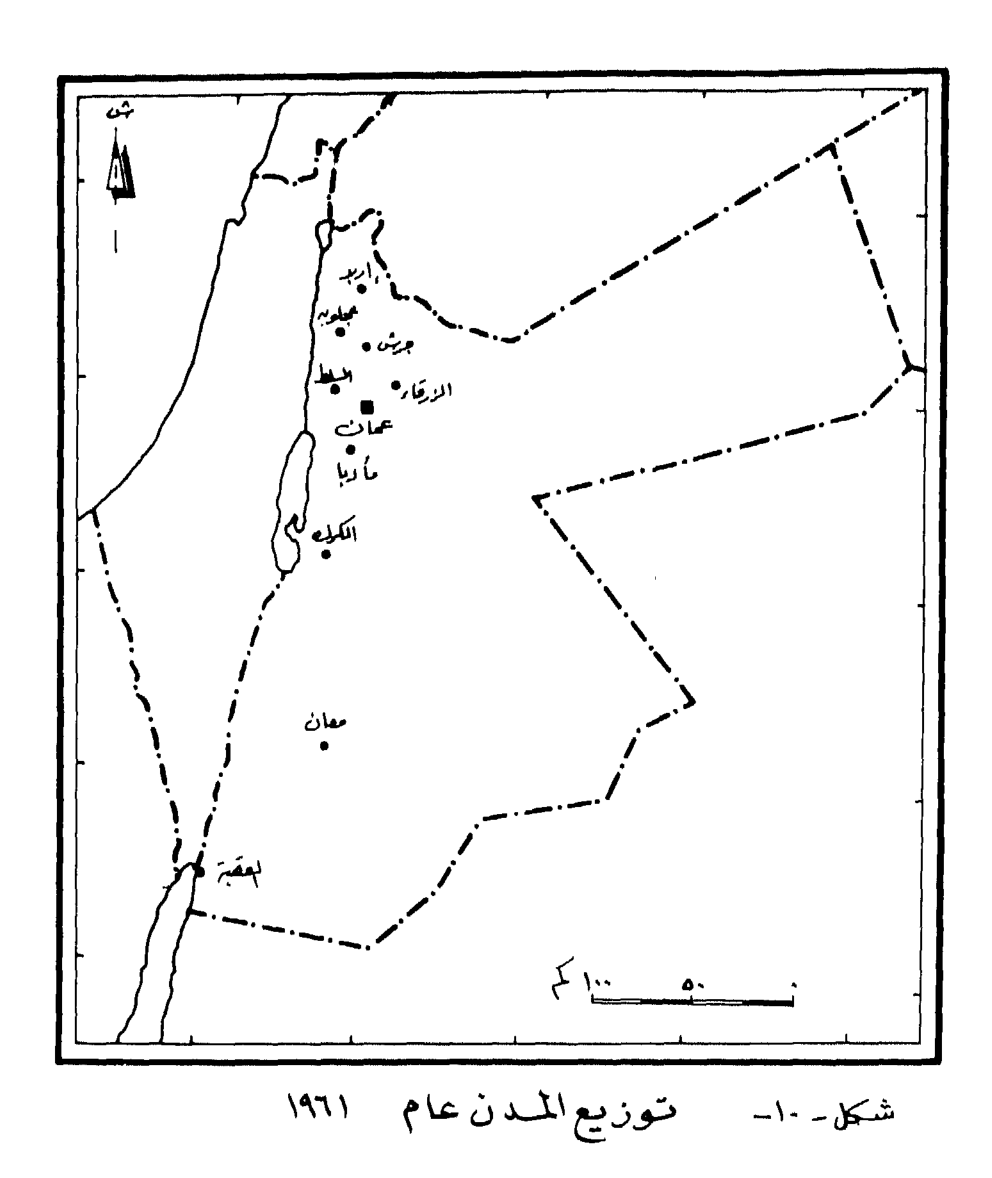
وبالرغم من اهتمام الحكومة بتطوير الريف الأردني عن طريق مشروعات التخطيط الإقليمي ، فإن الريف ظل يدفع بعدد من سكانه مهاجرًا إلى المدن ، وذلك ناتج عن تركيز سوق العمل في المدن ، ويظهر أثر الهجرة الداخلية بوضوح في تطور نمو المدن الأردنية بين عامي ١٩٦١ و ١٩٧٩ م . إذ نجد أن عدد سكان عمانِ ازداد من ٢٤٦,٤٧٥ نسمة عام ١٩٦١ إلى ٦٤٨,٠٨٧ نسمة عام ١٩٧٩ م . كما ازداد عدد سكان الزرقاء من ٩٦,٠٨٠ نسمة إلى ٢١٥,٦٨٧ نسمة ، وازداد عدد سكان إربد من ٤٤,٦٨٥ نسمة إلى ١١٢,٨٦٤ نسمة ، وازداد عدد سكان السلط من ١٦,١٧٦

نسمة إلى ٣٢,٨٦٦ نسمة ، وازداد عدد سكان الكرك من ٧٤٢٢ نسمة إلى ١١,٨٠٥ نسمة ، وازداد عدد سكان معان من ٦٦٤٣ نسمة إلى ١١,٣٠٧ نسمة ، وازداد عدد سكان العقبة من ٨٩٠٨ نسمة إلى ٢٦,٩٨٦ نسمة . (شكل ١٠ ، ١١) .

وتمثل المدن الأردنية مدن الحافة بين الصحراء والمعمور . وكان عامل الحماية غرضًا أساسيا من أغراض نشأتها الأولى ، إذ إنها مثلت خط الدفاع الأول عن المعمور ، وصمدت أمام اعتداءات البدو المستمرة على المناطق الريفية في الغرب وحيث إنها في موقع الانقطاع بين البيئتين الصحراوية والزراعية ، فإنها تؤدي وظيفة تجارية إلى جانب وظيفتها الزراعية . ويمكن أن نتتبع من الشمال إلى الجنوب سلسلة من المدن الأردنية مثل الرمثا ، وإربد ، والمفرق ، وجرش ، والسلط ، وعمان ، والزرقاء ، ومأدبا ، والكرك ، ومعان ، والعقبة . وقد نمت هذه المدن مراكز إدارية وزراعية ، وتجارية ، وصناعية ، وزاد من نموها استقرار الوضع الداخلي بقيام إمارة شرق الأردن التي وضعت حدّا للغزو من الصحراء ، ونشرت الأمن والطمأنينة ، وفتحت أبوابها للاجئين السوريين والفلسطينيين في القرن الحالي ، ومن قبلهم هاجر إليها الشراكسة والشيشان في أواخر القرن الماضي .

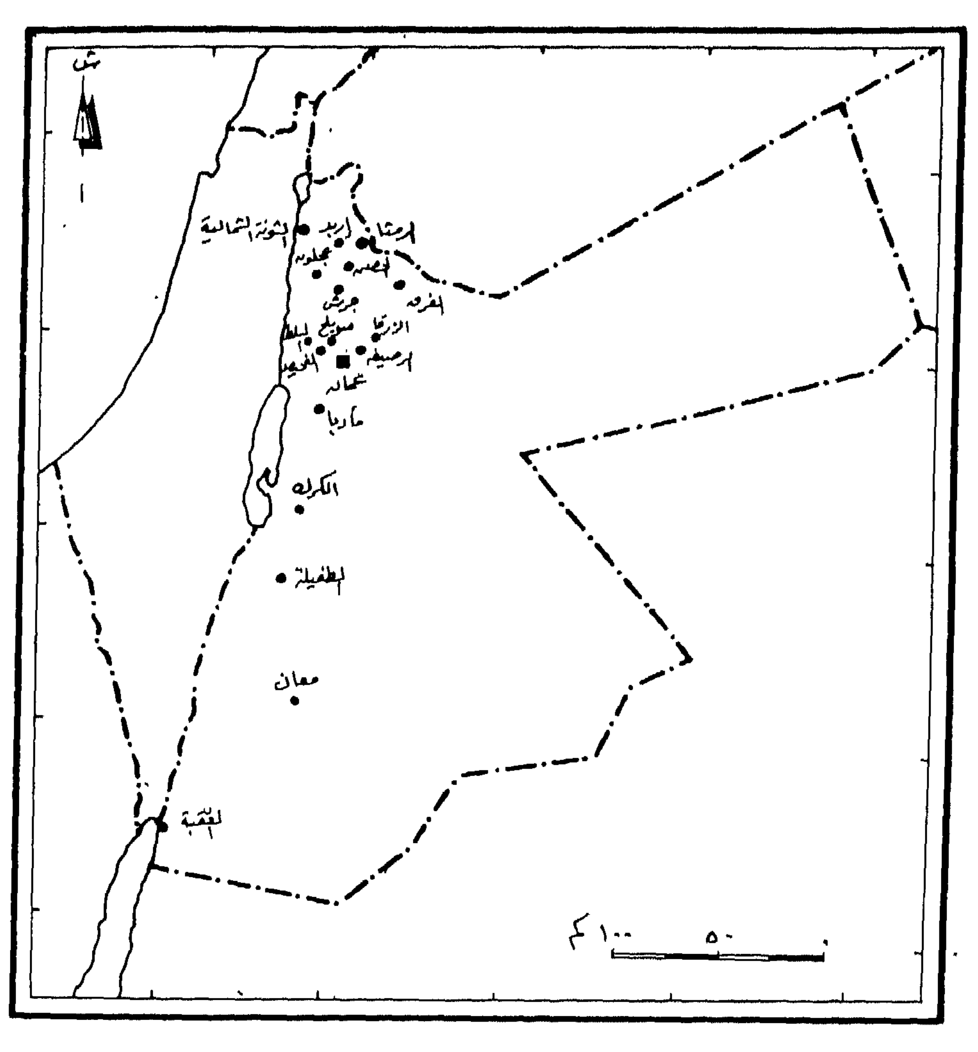
ظلت المدن الأردنية أقرب إلى القرى منها إلى المدن حتى عام ١٩٤٨ م عندما تدفق عليها آلاف اللاجئين الفلسطينيين ، وبخاصة مدن عمان ، والزرقاء ، وإربد ، والعقبة ، وأسهم هؤلاء مع السكان الأصليين في إعمار المدن الأردنية وتطويرها ، حتى وصلت إلى حجمها الحالي . ونتج عن الضغط السكاني المفاجئ على المدن نموها بسرعة بعيدًا عن أساليب التخطيط الهندسي . ويبدو ذلك في ضيق الشوارع داخل المدن ، وظهور أحياء متخلفة فيها ، وتكدس المباني في وسطها بشكل عشوائيّ ، وسوء تنظيم شبكات الشوارع والمجاري .

و لم تتمكن المدن الأردنية عبر نموها السريع من وضع تخطيط هيكلي يوزع الوظائف على مناطقها الداخلية . فاختلطت استعمالات الأراضي بشكل فوضوي . وتسهم قلة المياه في حرمان المدن من إقامة المتنزهات العامة داخلها ، ونقص مياه الشرب اللازمة



شكل - ١٠- توزيع المدن عام ١٩٦١

(الموسوعة الجغرافية ٤/٢٦)



شكل - ١١ - توزيع المدن عام ١٩٧٩ م

للسكان . وتظهر مشكلة الإسكان نتيجة ارتفاع معدل نمو السكان بمقدار أكبر من معدل الزيادة في بناء المساكن ، الأمر الذي يؤدي إلى تزايد الطلب على المساكن . وإلى جانب ذلك فإن امتداد المباني بشكل انسياحي يحدث في الغالب على حساب الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن ، وبخاصة مدن عمان ، وإربد ، وجرش ، وصويلح ، ووادي السير ، ومأدبا . وتصبح المدن محرومة من إنتاج أراضيها الزراعية المحيطة بها لتحول هذه الأراضي إلى استعمالات سكنية أو صناعية أو تجارية ذات مردود أكبر . ولا شك أن هذا الوضع يسهم في زحف الصحراء نحو المدن ، ويزيد أخطار التلوث ، ويحرم المدن من نعمة الأمن الغذائي ، ويرفع أسعار الأراضي .

وتختلف نوعية بناء المساكن بين ما يبنى بالحجر المنحوت ، والحجر الدبش ، والأسمنت ، واللبن . ويرجع هذا الاختلاف إلى أسباب بيئية ، واجتماعية ، واقتصادية وغيرها من الأسباب . وعلى العموم يغلب الحجر المنحوت على مباني الأحياء الراقية ، بينما يغلب الأسمنت واللبن على مباني الأحياء الشعبية . وترتفع نسبة البيوت المبنية من الحجر المنحوت والأسمنت كثيرًا في عمان ، وتقل هذه النسبة بشكل ملحوظ في المفرق والطفيلة ، لارتفاع نسبة البيوت المبنية من اللبن . أما بقية المدن الأردنية فإنها تجمع بين أنواع البناء المختلفة ، مع تفوق نسبة البيوت المبنية من الأسمنت .

ويتراوح معدل الكثافة السكنية بين ٢ و ٣ أفراد لكل غرفة في المدن الأردنية ، وتزيد النسبة إلى أربعة أفراد أو أكثر في الأحياء الفقيرة . كما يبلغ معدل الحجرات التي يتكون منها المنزل الواحد في مدن المملكة حوالي ٣ حجرات .

الاقتصاد الوطني

بالرغم من شح الموارد الطبيعية ، ومن النتائج الديموغرافية والاقتصادية لأحداث عام ١٩٤٨ م ، ومن النقص الكبير في البنى الاجتماعية والاقتصادية الأساسية ، فقد تم في الخمسينات إنشاء عدد من المشروعات الصناعية . وتمكن الاقتصاد الأردني إبان

الستينات من الاقتراب من نقطة الانطلاق التنموي نحو اقتصاد متوازن ذاتي التوليد ومستمر النماء ، إذ حقق معدل نمو زاد عن ١٠٪ سنويًّا .

وقد توقف نمو الاقتصاد الوطني إثر حرب حزيران (يونية) ١٩٦٧ م لفترة مؤقتة امتدت حتى عام ١٩٧٢ م . ولكن تنفيذ كل من خطة التنمية الثلاثية (١٩٧٣ – ١٩٧٥) وخطة التنمية الخمسية (١٩٧٦ – ١٩٨٠) أدى إلى إعادة نمو الاقتصاد الأردني تدريجيًّا وبصورة مستمرة . إذ بلغ معدل النمو السنوي في الإنتاج الوطني الإجمالي الحقيقي خلال فترتي هاتين الخطتين ٧٪ و ١١٪ على التوالي[٣٧] . وبالرغم من أن الإيرادات المالية المحلية للحكومة المركزية تضاعفت حوالي ست مرات خلال السبعينات ، فإن حجم الدعم الخارجي للموازنة العامة لايزال يشكل حوالي ٣٥٪ من الإنفاق الحكومي العام .

شهدت السبعينات بعض المشكلات الاقتصادية الجديدة ، إذ برزت أزمة الطاقة التي تفاقم عبؤها على الاقتصاد الوطني ، وظهر تضخم في المستوى العام للأسعار ، كما نتج عن هجرة الكفاءات والعاملين المهنيين الأردنيين إلى البلدان العربية النفطية ، نقص في الخبرات الفنية من القوى العاملة المحلية . وقد واكب كل ذلك زوال البطالة الظاهرة ، وتصاعد التحويلات المالية من الأردنيين العاملين في الخارج . وبالرغم من تركيز الخطة الخمسية على القطاعات الإنتاجية ، إلا أن التركيب الهيكلي للاقتصاد الأردني لايزال يقوم على قطاع الخدمات . الذي يسهم بنحو ٦١٪ من الإنتاج المحلي الإجمالي في عام ١٩٨٠ م ، كما أنه يستوعب حوالي ٦٣٪ من قوة العمل .

تميز الأداء الاقتصادي بتحقيق معدلات تقارب معدلات النمو المستهدفة في الخطة الخمسية (١٩٧٦ – ١٩٨٠ م) . إذ ارتفع الإنتاج المحلي الإجمالي بسعر الكلفة وبالأسعار الجارية من ٢٦٩,٤ مليون دينار في عام ١٩٧٥ م إلى ٧٠٥ ملايين دينار في عام ١٩٨٠ م ، أي بمعدل نمو سنوي قدره ٢١,٣٪ . وبعد استبعاد أثر الزيادة في المستوى العام للأسعار البالغ متوسطها ١١,٨٪ سنويًّا . فإن معدل النمو السنوي في الإنتاج المحلي الإجمالي الحقيقي بلغ ٨,٥٪ . وازداد الإنتاج الوطني الإجمالي بالأسعار

الجارية بنسبة ٢٤,٢٪ سنويًّا ، أو بمعدل نمو سنوي حقيقي ١١٪ . وارتفع دخل الفرد بالأسعار الجارية من ١٨٥ دينارًا في عام ١٩٧٥ م إلى ٤٥٣ دينارًا مقدرا لعام ١٩٨٠ م .

الموارد الاقتصادية :

الموارد الزراعية والحيوانية (الموارد الغذائية) : تقدر مساحة الأراضي الزراعية في الأردن بحوالي ١٣ مليون دونم ، يزرع منها فعلا نحو ٥,٣ مليون دونم سنويًّا ، والباقي يترك بورا . ويزرع ما مساحته ٤٠٠ (ألف) دونم على الري ، أو ما نسبته ٧,٥٪ من مساحة الأرض المزروعة . أما بقية مساحة الأرض المزروعة ، فإنها تزرع معتمدة على الأمطار ، ونسبتها تبلغ ٩٢,٥٪ . وتنتج الأراضي الزراعية المروية أكثر من ثلث إجمالي الإنتاج الزراعي في الأردن . وفي السنوات الرطبة يزداد الإنتاج الزراعي عن المعدل العام للإنتاج ويعزى انخفاض إنتاج القمح دائمًا إلى نقص الأمطار ، ولكنه حتى مع هطول الأمطار الغزيرة في بعض المواسم ، فإن من الصعب إنتاج جميع ما نحتاجه من القمح للاستهلاك المحلي .

والجدير بالذكر أن معدل إنتاج الأردن من القمح في السنوات الماضية بلغ نحو ١٤٪ من الاستهلاك ، ومعدل إنتاجه من الفواكه ٩٠٪ من الاستهلاك ، ومن الخضار ١٤٢٪ ، ومن اللحوم الحمراء ٣٣٪ ، ومن الحليب ومشتقاته ٤٠٪ ، ومن لحوم الدجاج ١٠٠٪ ، ومن البيض ١٠٣٪ . وبالرغم من صغر مساحة الأرض الزراعية إذا قورنت بمساحة الأردن ، فإن الأردن يعتبر بلدًا زراعيًّا ، ولابد من تنمية القطاع الزراعي لضمان مضاعفة الإنتاج الزراعي ، وسد الفجوة الغذائية بين الإنتاج والاستهلاك . وهذا ما تستهدفه خطط التنمية التي تولي القطاع الزراعي اهتمامًا خاصًّا .

وبالرغم من ظروف الجفاف التي سادت الأردن خلال فترة الخطة الخمسية (٧٦ – ٨٠م)، إلا أن قطاع الزراعة حقق نموًّا ملحوظًا ، حيث ارتفع الدخل الناتج عنه بالأسعار الجارية من ٢٦ مليون دينار في عام ١٩٧٥ م إلى ٦٠ مليون دينار في عام ١٩٨٠ م ،

أي بمعدل نمو سنوي مقداره ١٨,٢٪ ، أو ما يعادل ٥,٧٪ بأسعار عام ١٩٧٥ م . وقد تم خلال فترة الخطة (٧٦ – ٨٠) اتخاذ بعض الإجراءات التنظيمية الأساسية لدفع عجلة التنمية الزراعية ، حيث تم تأسيس المجلس الزراعي برئاسة رئيس الوزراء ، ومشاركة ممثلين لكافة المؤسسات الحكومية والأهلية المعنية بالنشاط الزراعي . كما تم تأسيس اتحاد المزارعين في وادي الأردن ، الذي أخذ على عاتقه توفير الخدمات الفنية ، وخدمات التسويق ، والإقراض الموسمي العيني والنقدي .

جدول رقم (٨) : تطور إنتاج بعض السلع الرئيسة (٧٣ – ١٩٨٠ م)
ومعدلات الإنتاج المستهدفة (٨١ – ١٩٨٥ م)

	الحد الأدنى للإنتاج (ألف طن)	الحد الأعلى للإنتاج (ألف طن)	معدل الإنتاج (١٩٧٣–١٩٧٥) (ألف طن)	معدل الإنتاج (١٩٧٦–١٩٨٠) (ألف طن)	نسبة التغير (٪)	معدل الإنتاج (١٩٨١–١٩٨٥) (ألف طن)	نسبة التغير (٪)
المحاصيل الحقلية	٣٢	٢٢٥	١٧٠	١٠٩	− ٣٦	١٤٢	٣٠
الخضار	٢٢٥	٤٨٠	٢١٤	٣٤٦	+ ٦٢	٦٠٠	٦٠
البطيخ والشمام	١٦	٤٨	٥٠	٣٠	− ٤٠		
الفواكه	٣٧	١٠٣	٤٨	٧٦	+ ٥٨	١١٥	٤٩
الزيتون	٧	٤٥	١٩	٢٤	+ ٢٦	٣٢	٣٣
اللحوم الحمراء	٦	٨	٩	٧	− ٢٣	١٥	١٤
الألبان	٣٥	٤٤	٤٣	٣٩	− ١٠	٤٥	١٥
لحوم الدواجن	٢١	٢٨	١٤	٢٥	+ ٧	٣٦	٤٤
البيض (بالمليون)	١٤٤	٣٦٠	–	٢٨٠	+ ٣١٢	٤٥٠	٦١

المصدر : المجلس القومي للتخطيط ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٨١ – ١٩٨٥ م) .

ويتضح من الجدول رقم (٨) ، أن معدلات الإنتاج من المحاصيل الحقلية ، واللحوم الحمراء ، والألبان تراجعت في فترة الخطة الخمسية (٧٦ – ٨٠ م) عما كانت عليه

خلال فترة الخطة الثلاثية (٧٣ – ٧٥ م) ، وذلك نظرًا لتأثرها بظروف الجفاف . وعلى العكس من ذلك ارتفعت معدلات إنتاج بقية السلع المذكورة في الجدول ، وعلى رأسها البيض والخضار ، والفاكهة ، والزيتون . ويمكن أن نفسر أسباب ارتفاع معدلات الإنتاج بما يأتي :

١ – بالنسبة لارتفاع معدلات إنتاج البيض ولحوم الدواجن ، يمكن القول بأن القطاع الخاص نشط في إقامة مزارع الدواجن اللاحمة والبيّاض ، وارتفع الإنتاج من البيض من حوالي ١٤٤ مليون بيضة في عام ١٩٧٥ م إلى حوالي ٣٦٠ مليون بيضة في عام ١٩٨٠ م . وارتفع إنتاج لحوم الدواجن من حوالي ٢١ ألف طن إلى حوالي ٢٨ ألف طن على التوالي .

٢ – بالنسبة للخضار تم وضع ما مساحته ٦٤ ألف دونم جديدة تحت الري في وادي الأردن ، خلال سنوات الخطة الخمسية (٧٦ – ٨٠) ، وتم تحويل ٢٠ ألف دونم من الري السطحي إلى نظام الري بالرشاشات . كما تم وضع حوالي ٨ آلاف دونم تحت الري في المناطق المرتفعة . وقد رافق ذلك إدخال التقنيات الحديثة في الري ، وخاصة في مجال الري بالتنقيط ، وفي الزراعة المحمية وتصنيع مستلزماتها .

٣ – بالنسبة للأشجار المثمرة ، تم في المناطق البعلية زراعة ١٢٨ ألف دونم بالأشجار المثمرة كالزيتون والعنب والحمضيات .

٤ – في مجال التسويق الزراعي ، أنشئ مركز للتسويق الزراعي في منطقة العارضة في وادي الأردن ، يشتمل على سوق للبيع بالجملة ، ومحطة للتفريغ والتعبئة ، ومصنع للصناديق الخشبية بطاقة ٦ ملايين صندوق في السنة . وشرع في إنشاء ، مركز آخر مشابه في منطقة وادي اليابس .

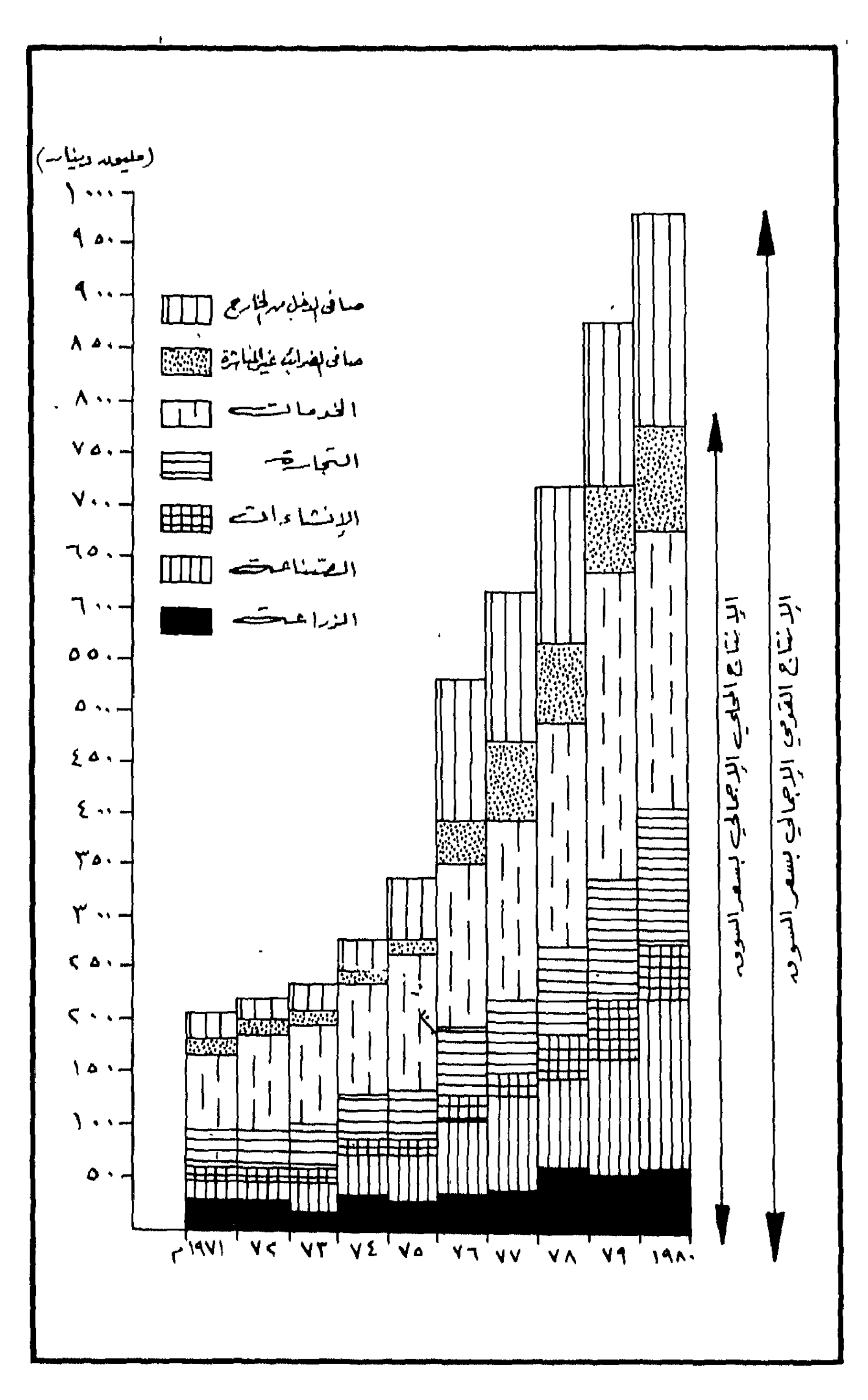
٥ – قدرت قيمة استثمارات القطاع الخاص في الزراعة بحوالي ٤٧ مليون دينار خلال فترة الخطة الخمسية (١٩٧٦ – ١٩٨٠) بينما كانت قيمة إستثمارات القطاع العام نحو ٥ ملايين دينار .

٦ – أسهمت مؤسسة الإقراض الزراعي في دعم عمليات التنمية الزراعية ، حيث

بلغت القروض التي قدمتها خلال فترة الخطة حوالي ١٥ مليون دينار . كما قدمت المنظمة التعاونية قروضًا للجمعيات التعاونية الزراعية بلغت قيمتها ٥ ملايين دينار .

ونتج عن زيادة الإنتاج الزراعي خلال سنوات الخطة ازدياد الصادرات الأردنية من المنتجات الزراعية من ١٠,٧ ملايين دينار في عام ١٩٧٥ م إلى ٢٢,٦ مليون دينار في عام ١٩٨٠ . وتستهدف الخطة الخمسية الثانية (١٩٨١ – ١٩٨٥ م) زيادة الإنتاج الزراعي والحيواني بنسب متفاوتة بين ١٥٪ كما هو الحال في الألبان ، و ١١٤٪ كما هو الحال في اللحوم الحمراء ، وذلك بغرض زيادة الدخل الزراعي من ٦٠ مليون دينار في عام ١٩٨٠ م إلى ٨٦ مليون دينار في عام ١٩٨٥ م . ومن شأن زيادة الإنتاج وقف تزايد العجز في الميزان التجاري للسلع الزراعية ، والمحافظة عليه ضمن أدنى حد ممكن . كما أن التوسع في إنتاج لحوم الدواجن والبيض يمكن أن يسد حاجة السوق المحلية ، وأن يصدر الفائض منها إلى الخارج . وتستدعي زيادة إنتاج اللحوم الحمراء إقامة مزارع متخصصة في تربية الأغنام ، وتسمين الخراف والعجول ، إلى جانب تنظيم وتطوير مناطق الرعي وحمايتها لزيادة حمولتها الرعوية بالنسبة للأغنام والماعز . وتعد معدلات الإنتاج الحيواني في الأردن متدنية بالمقارنة مع البلدان المتقدمة ، إذ يبلغ معدل ما تنتجه الرأس من الأغنام من الحليب نحو ٤٠ كغم سنويًا ، ومن الماعز نحو ٦٠ كغم ، والأبقار نحو ٥٠٠ كغم ، والأبقار الهولندية نحو ٢٠٠٠ كغم ، وبلغ معدل إنتاج الدجاجة الواحدة نحو ٧٥ بيضة سنويًا .

الموارد الحيوية : (يقصد بالموارد الحيوية الغابات والحشائش التي تستغل مصادر للأخشاب والمراعي الطبيعية) . تبلغ مساحة الأراضي المسجلة حراجًا نحو ١,٣ مليون دونم ، منها ٣٥ مليون دونم مغطاة بالأحراج الطبيعية . ومنذ أوائل الخمسينات ، تم تحريج نحو ربع مليون دونم أو ما مقداره أربعون مليون شجرة حرجية على سفوح ومنحدرات الجبال ، أما الأراضي الحرجية العارية ، فتبلغ مساحتها ٧٠٠ ألف دونم ، منها ٢٠٠ ألف دونم صالحة للتحريج . وتبلغ مساحة المراعي الطبيعية التي تشمل الحشائش والشجيرات العشبية نحو ٨٠ مليون دونم . وإذا استثنينا ١٠ ملايين دونم من المراعي الجيدة ، فإن



شكل - ١٢ - تطور الإنتاج الوطني الإجمالي

مراعي الأردن تعتبر ذات إنتاجية متدنية . وتنتشر الأحراج والمراعي في الأراضي غير القابلة للزراعة سواء أكانت مرتفعات جبلية أم مناطق جافة في البادية . وأهم نباتات المراعي الطبيعية الشيح ، والحمض ، والرتم ، والقب ، والصمغة . ومن منطلق تحسين وتنمية المراعي قامت وزارة الزراعة بتأسيس محطات رعوية في مناطق متعددة من الشمال إلى الجنوب منها الخناصري ، وصرة ، وصبحة ، والشومرى ، والأزرق ، والعمري ، وضبعة ، والحرباء ، والفجيج .

يهدف مشروع التحريج إلى تحريج ما مساحته ١٦٢ ألف دونم خلال فترة الخطة الخمسية (١٩٨١ - ١٩٨٥ م) . وتقدر تكاليف المشروع بحوالي ٦,٨ ملايين دينار . كما يهدف برنامج التحريج الوطني إلى إشراك المؤسسات الأهلية والرسمية في تحريج ٥٠ ألف دونم عن طريق تخصيص مساحات لها من الأراضي المسجلة حراجًا لزراعتها الأشجار الحرجية ، والعناية بها مقابل الانتفاع الترويحي بها . ويهدف مشروع تطوير المشاتل الحرجية إلى زيادة عدد المشاتل ، ورفع الطاقة الإنتاجية للمشاتل الحالية بقصد إنتاج ستة ملايين غرسة حرجية سنوية ، ويخصص منها ٤,٨ ملايين غرسة لمشروعات التحريج ، والباقي للمواطنين والمؤسسات العامة والخاصة وتقدر تكاليف هذا المشروع بمبلغ ١,٣ (مليون) دينار .

وبالرغم من توافر المساحات الواسعة المخصصة للرعي ، إلا أن الإنتاج الحيواني لايزال محدودًا ، ولايكفي الاحتياجات الاستهلاكية للسكان . ومن الضروري تنظيم عملية رعي الحيوانات ، والاهتمام بتحسين المراعي وتطوير قدراتها الإنتاجية . غير أن تربية الحيوانات ينبغي أن تعتمد على مزارع متخصصة إلى جانب اعتمادها على المراعي الطبيعية ، لضمان توفير الغذاء الكافي لها ، ومضاعفة إنتاجها من الألبان واللحوم . وفي عام ١٩٨٠ م بلغ عدد الأغنام في الأردن نحو ٩٣٨ ألف رأس ، والماعز نحو ٤٩٠ ألف رأس ، والأبقار نحو ٣٧ ألف رأس ، والإبل نحو ١٢ ألف رأس . إن عدم كفاية المراعي الطبيعية تؤثر على وزن الحيوان وإنتاجه من الألبان واللحوم .

أما الأشجار الحرجية فإنها تحتاج إلى حماية من أخطار الرعي الجائر ، والحرائق ، وتعديات الحطابين عليها لضمان مضاعفة قدراتها الإنتاجية من الأخشاب . ولايزال

دورها في تزويد الأردن بالأخشاب محدودًا ، ويقتصر إنتاجها على الأخشاب اللازمة لصناعة الصناديق الخشبية وبعض الصناعات الخشبيـة الأخرى .

الموارد المعدنية والصناعية : حقق قطاع التعدين والصناعة نموًّا كبيرًا خلال فترة الخطة الخمسية (٧٦ – ٨٠ م) ، حيث ارتفع الدخل الناتج عنه بالأسعار الجارية من ٤٧ مليون دينار في عام ١٩٧٥م إلى ١٥٤ مليون دينار في عام ١٩٨٠م ، بزيادة سنوية معدلها ٢٧٪ . وزاد عدد العاملين في هذا القطاع من ٢٧ ألف مستخدم إلى حوالي ٤٠ ألف مستخدم . وارتفعت إسهاماته في الإنتاج المحلي الإجمالي من ١٨,٧٪ إلى ٢٤,١٪ على التوالي .

جدول (٩) : الرقم القياسي لبعض المنتجات الصناعية الرئيسة عامي ١٩٧٥ ، ١٩٨٠ م

	عام ١٩٧٥	عام ١٩٨٠	معدل الزيادة السنوية
المواد الغذائية والمشروبات والتبغ	١٠٠	٢١٨,٧	١٦,٩
المنسوجات والملبوسات	١٠٠	١٧٢,٣	١١,٥
مواد البناء	١٠٠	١٦٣	١٠,٣
الصناعات الكيماوية	١٠٠	٣٤٥,٣	٢٨,١
تصفية البترول	١٠٠	٢١٠,٣	١٦
تعدين الفوسفات	١٠٠	٢٩٠,٤	٢٣,٨
الورق والكرتون	١٠٠	٢٠٩,٥	١٥,٩
الرقم القياسي العام	١٠٠	٢٣٢,١	١٨,٣

المصدر : المجلس القومي للتخطيط ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٨١ – ١٩٨٥ م) ، ص ١٠٨ .

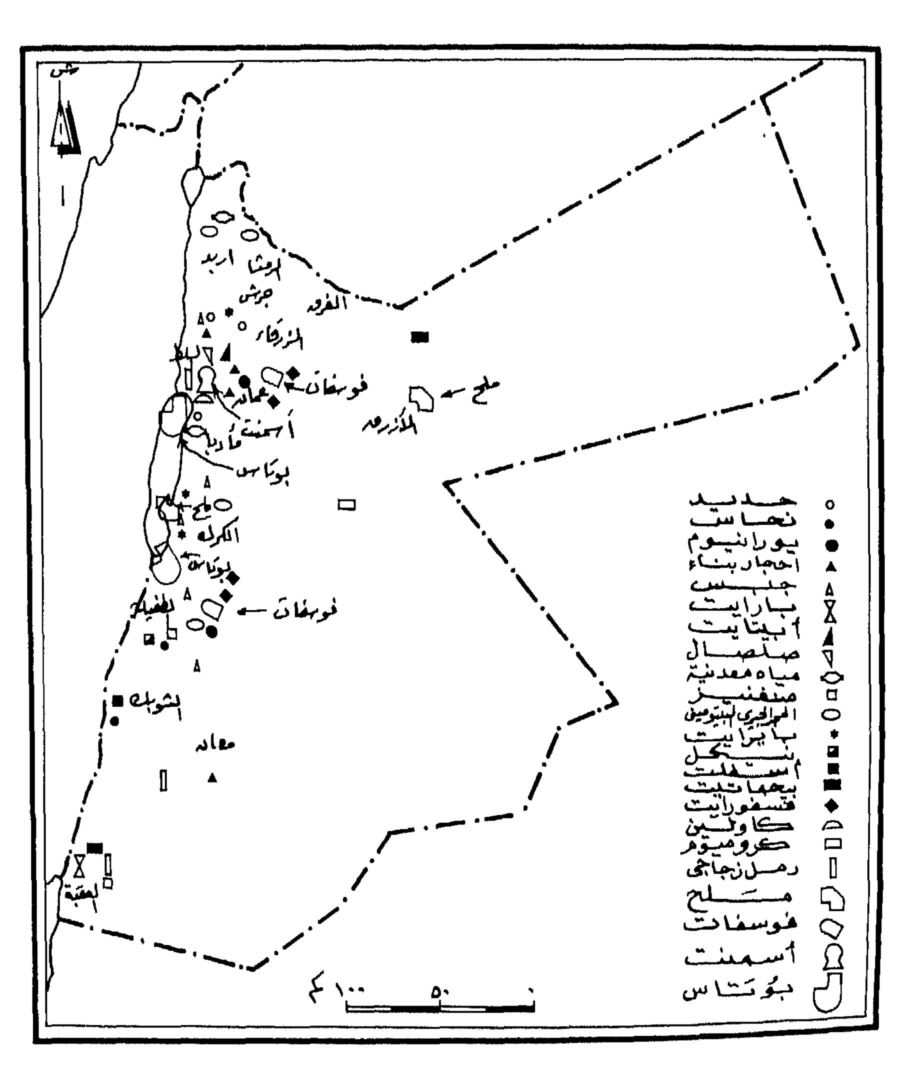
ويتضح لنا من الجدول رقم (٩) أن الرقم القياسي للإنتاج الصناعي قد ارتفع من ١٠٠ في عام ١٩٧٥ م إلى ٢٣٢,١ في نهاية ١٩٨٠ م ، أي بمعدل نمو سنوي بلغ ٨,٣٪ ، بسبب تصاعد الطلب المحلي والصادرات من السلع الصناعية . وبذلك يصبح قطاع التعدين والصناعة أحد القطاعات الاقتصادية الرئيسة ذات الأثر المباشر في الاقتصاد الوطني . وتولي الحكومة هذا القطاع أهمية خاصة من خلال استغلال المصادر الطبيعية

غير المستغلة والتي ثبت توافرها وجدواها الاقتصادية .

تقسم الخامات المعدنية في الأردن إلى خامات المعادن الفلزية ، والصخور الصناعية ، والمواد الحجرية ، والصخور الزيتية ، والنفط ، والغاز الطبيعي ، والمياه المعدنية . ويمكن أن نذكر من خامات المعادن الفلزية النحاس الذي يحتمل أن تبلغ كميته نحو بليون طن ، والمنغنيز الذي يقدر الاحتياطي منه بنحو خمسة ملايين طن ، والحديد الذي تقدر كمية خاماته بنحو ٦٠٠ ألف طن . أما الصخور الصناعية والمواد الحجرية فإن الأردن ينتج منها حاليًا الفوسفات ، والأسمنت ، والبوتاس ، والرخام ، ومواد البناء وغيرها (شكل / ١٣) .

أنتج الأردن من الفوسفات في عام ١٩٨١ م نحو ٤,٢ مليون طن ، وكانت قيمة صادراته منه في نفس العام قد بلغت نحو ١٩٩ مليون دولار . وأنتج الأردن من الأسمنت نحو ٩٦٥ ألف طن في عام ١٩٨١ م ، كما أنتج من الحديد نحو ١٣٥ ألف طن ، وأما المنتجات البترولية فقد بلغت ٢,١ مليون طن ، وتم توليد نحو ١١٧٥ مليون كيلوات ساعة من الطاقة الكهربائية . أما الأجواخ فقد أنتج منها في عام ١٩٨١ م نحو ١,٣ مليون ياردة . وفي حقل الأدوية تم إنتاج ١,٤ مليون لتر من السوائل ، ونحو ١٥٥ طن من المعاجين والأقراص . وبلغ إنتاج الورق نحو ١٥ ألف طن ، وإنتاج الجلود نحو ١١٨ طن من جلد النعل ، والصوف ، والشعر ، ونحو ٢,١ مليون قدم مربع من الجلد العلوي . وبلغ إنتاج مسحوق الصابون نحو ١٩ ألف طن ، والبطاريات السائلة نحو ٥٧ ألف بطارية ، كما بلغ إنتاج السجاير نحو ٤٧١١ مليون سيجارة ، وإنتاج الأعلاف نحو ٥٦ ألف طن[٣٨] .

ومن خصائص الصناعة والتعدين في الأردن ، أن المؤسسات الصناعية ذات الحجم الكبير نسبيا قليلة ، بعكس المؤسسات الصناعية ذات الحجم الصغير فهي كثيرة . وبالرغم من ذلك فإن المؤسسات الصناعية التي يعمل في كل منها عشرة أفراد أو أكثر تسهم بحوالي ٧٠٪ من القيمة الإجمالية للإنتاج الصناعي . أما المؤسسات التي تستخدم ٢٠٠ فرد فأكثر ، فهي لاتتعدى ست مؤسسات ، ورغم ذلك فهي تسهم بحوالي ٤٥٪



شكل -١٣- توزيع المعادن

من إجمالي الإنتاج الصناعي . واتخذت الحكومة خطوات تنفيذية لإبراز مشروع المدن الصناعية إلى حيز الوجود ، وقد تم تمليك ١٤٠٠ دونم جنوب شرق مدينة عمان (منطقة سحاب) ، لتكون المدينة الصناعية الأولى في الأردن ، وتم إنشاء مدينة صناعية في ضواحي إربد أيضًا ، إضافة إلى إنشاء منطقة صناعية حرة في العقبة ، ومنطقة صناعية مشتركة على الحدود الأردنية السورية .

وتميزت فترة الخطة الخمسية (٧٦ – ٨٠ م) بتنفيذ مشروعات صناعية على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للاقتصاد الأردني . وأهم هذه المشروعات مشروع البوتاس الذي تشرف على تنفيذه شركة البوتاس العربية . وقد بدأ الإنتاج بقدرة ٢٤٠ ألف طن سنويًّا . ثم ازداد تدريجيا إلى أن وصل إلى ١,٢ مليون طن سنويًا في عام ١٩٨٥ م ومن المتوقع أن يسهم في الدخل الوطني بما لايقل عن ٤٠ مليون دينار في السنة ، كما تم التوسع في مصفاة البترول ، وفي إنتاج الفوسفات والأسمنت ، إلى جانب تنفيذ مشروع صناعة الأسمدة الكيماوية في العقبة ، وإقامة مصنع الغزل والنسيج . إضافة إلى هذا أنجزت صناعات الخزف والزجاج ، والبطاريات ، كما تم من قبل الشركة العربية للتعدين استخراج الصلصال ، والجبس ، والتربولي ، والرمل الزجاجي . هذا بالإضافة إلى مشروع التنقيب عن البترول بمساعدة الحكومة الرومانية ، ومشروع التنقيب عن الصخور الزيتية بمساعدة حكومة ألمانيا الاتحادية التي تسهم أيضًا في تقييم نتائج دراسات الجدوى الاقتصادية لمشروع اللجون لاستخراج الزيت من الطفال . وتجدر الإشارة إلى أنه تم إثبات وجود كميات من الصخر الزيتي في جنوب الأردن . كما تم القيام بدراسات تجريبية لمصادر الطاقة البديلة مثل الطاقة الشمسية والحرارة الجوفية .

قطع الأردن شوطًا كبيرًا في ميدان التقدم الصناعي عندما أعطى ترخيصًا بإقامة ٦٧٠ مصنعًا جديدًا و ٢٣٠٠ مشغل حرفي ومعمل خلال فترة الخطة الخمسية (٧٦ – ٨٠ م) . وقد نالت الصناعات الكيماوية النصيب الأكبر من مجموع التراخيص الصناعية الممنوحة (٣٠,٤٪) ، تليها في المرتبة صناعة مواد البناء (٢٠,٨٪) ، والصناعات الغذائية (١٩,١٪) ، والصناعات المعدنية والميكانيكية (١٨,٥٪) .

وقد واصل قطاع التعدين والصناعة نموه عن طريق مخصصاته في الخطة الخمسية (٨١ – ٨٥ م) . واستهدفت الخطة زيادة الدخل الناتج عن التعدين والصناعة من ١٥٤ مليون دينار عام ١٩٨٠ م إلى ٣٥٠ مليون دينار عام ١٩٨٥ م ، بأسعار عام ١٩٨٠ ، أي بمعدل نمو سنوي قدره ١٧,٨٪ ، وزيادة إجمالية مقدارها ١٢٧,٣٪ . وأهم مشروعات التعدين والصناعة في الخطة الحالية ما يلي :

١ – استخراج النحاس : يشتمل المشروع على إقامة مصنع ريادي لاستخراج النحاس بطاقة ٣٠٠٠ طن في السنة . ويعتمد المشروع على استغلال الخامات التي يثبت أن بالإمكان تعدينها والتي تقدر بحوالي ٥ ملايين طن .

٢ – إنتاج خامات الفوسفات : يشتمل المشروع على زيادة الطاقة الإنتاجية لتعدين الفوسفات في مناجم الوادي الأبيض ، والحسا ، والرصيفة بحوالي ٣ ملايين طن ، بحيث تصبح الطاقة الإنتاجية الإجمالية ٧ ملايين طن في السنة عام ١٩٨٥ م ، وإضافة إلى ذلك يشتمل المشروع على استخراج الفوسفات من منطقة الشيدية وتسويقه ، علما بأن كمية الفوسفات المثبتة تقدر في منطقة الشيدية بحوالي ١٠٠٠ مليون طن .

٣ – إنتاج البوتاس والأملاح المرافقة : يشتمل المشروع على إنتاج كلوريد البوتاسيوم بطاقة ١,٢ مليون طن في السنة . كما يشتمل على إنتاج ٢٥ ألف طن سنويا من البرومين ومشتقاته ، وعلى إنتاج ١٠ آلاف طن سنويا من أكسيد المغنيسيوم ، و ٥ آلاف طن من الطوب الحراري ، إضافة إلى إنتاج ٣٠ ألف طن سنويا من ملح الطعام النقي .

٤ – الأسمدة الكيماوية ومشتقاتها : يشتمل المشروع على إنتاج فوسفات الألمونيوم الأحادي والثنائي بطاقة ٧٠٠ ألف طن في السنة ، وكذلك إنتاج حامض الفوسفوريك بمعدل ٧٠٠ ألف طن في السنة . ويشتمل أيضًا على إنتاج فلوريد الألمنيوم بطاقة ١٢٠ ألف طن في السنة . كما يشتمل على إنتاج ١٠٠ طن في السنة من أكسيد اليورانيوم .

موارد الطاقة : يحتل قطاع الطاقة أهمية خاصة بسبب ارتباط جميع القطاعات به واعتمادها عليه . ونتيجة لتطور الاقتصاد الوطني خلال فترة الخطة الخمسية (٧٦ –

٨٠ م) فقد ارتفع استهلاك الطاقة في الأردن من ٠,٨٥ مليون طن من النفط في عام ١٩٧٥ م إلى ١,٨٠ مليون طن في عام ١٩٨٠ م ، أي بزيادة سنوية مقدارها ١٦,٢٪ ، وهي من بين أعلى النسب العالمية . وقد تضاعف استهلاك الفرد من الطاقة من ٠,٤٢ طن نفط إلى ٠,٨١ طن على التوالي .

ويستهلك قطاع النقل حوالي ٥٠٪ من الطاقة المستهلكة في الأردن ، كما يستهلك توليد الكهرباء ١٨٪ من الطاقة المستهلكة ، في حين تستهلك بقية الطاقة في قطاعات الصناعة وتدفئة المنازل والنشاطات الأخرى . وبلغت الطاقة الكهربائية المستهلكة في الأردن ٨٧٧ جيجا واط(*) ساعة في عام ١٩٨٠م . وتم توصيل الكهرباء إلى حوالي ١,٤ مليون نسمة ، أي إلى ثلثي السكان ، مقابل ٩٠٠ ألف نسمة في نهاية عام ١٩٧٥ م . وتضاعف استهلاك الفرد من الكهرباء من ٢٠٩ كيلواط ساعة في عام ١٩٧٥ إلى ٤٨٢ كيلواط ساعة في عام ١٩٨٠ م .

استأثر القطاع المنزلي بنحو ٣٦,٦٪ من مجموع الطاقة الكهربائية المستهلكة في الأردن عام ١٩٨٠ ، وتلاه القطاع الصناعي بنسبة ٣٤,٨٪ ، والقطاع التجاري بنسبة ١٢,٢٪ ، وضخ المياه بنسبة ٨,٧٪ ، وأغراض أخرى بنسبة ٧,٧٪ . وهناك محطات لتوليد الكهرباء مثل محطة كهرباء الحسين الحرارية بالزرقاء ، ومحطة توليد ماركا ، ومحطة توليد الكرك ، ومحطة توليد معان ، ومحطة توليد العقبة المركزية والقديمة .

وفي مجال كهربة الريف تم توصيل الكهرباء إلى ٩٩ قرية وتجمعًا سكانيًا خلال فترة الخطة الخمسية (١٩٧٦ - ١٩٨٠) ، بحيث أصبح عدد سكان الريف المزودين بالكهرباء حوالي ٣٦١ ألف نسمة ، وهذا يمثل ٤٠٪ من عدد سكان الريف الأردني . ولايزال الأردن يعتمد كليًا على الوقود المستورد مصدرًا وحيدًا للطاقة ، بحيث تجاوزت مستوردات النفط قيمة جميع الصادرات الوطنية في عام ١٩٨٠ م ، وشكلت حوالي ١٢٪ من الإنتاج الوطني الإجمالي .

وقد استهدفت خطة التنمية الخمسية (١٩٨١ - ١٩٨٥) تكثيف عمليات التنقيب

---

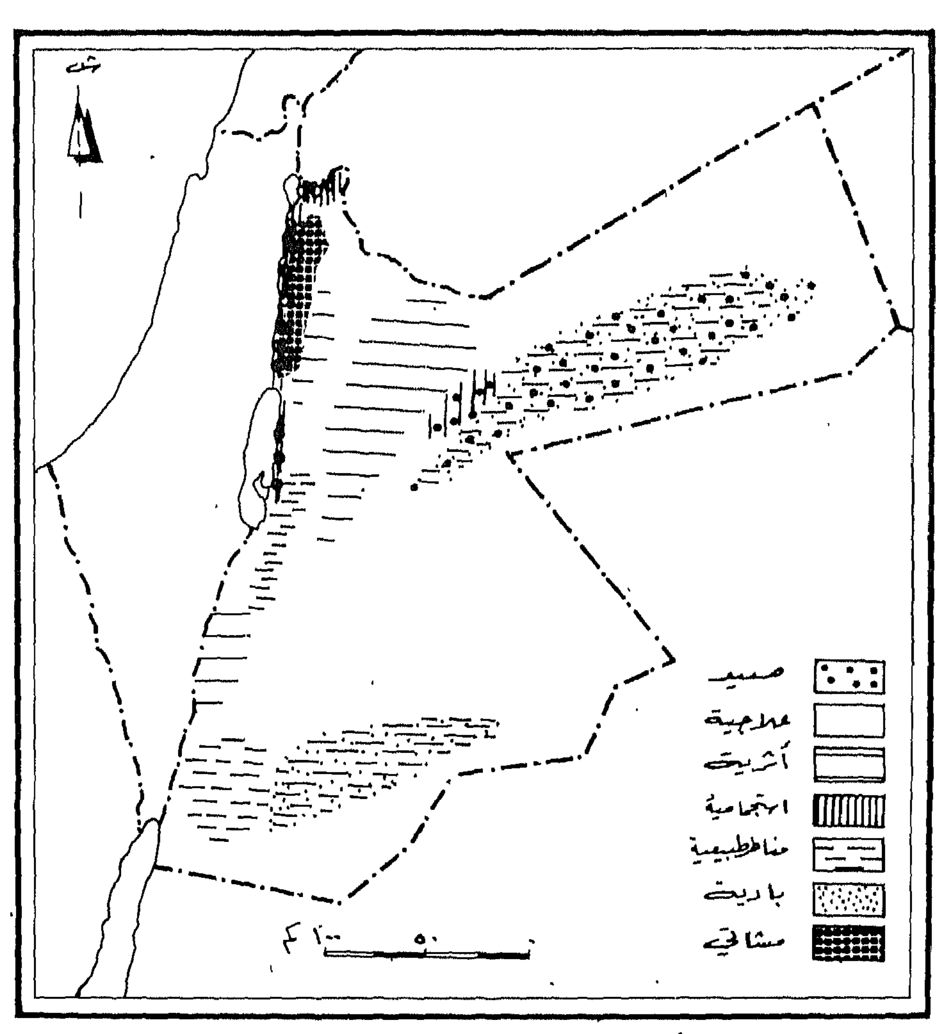
* الجيجاواط يساوي بليون كيلواط ، والميجاواط يساوي مليون كيلواط .

والبحث عن مصادر الطاقة الوطنية ، التقليدية منها والبديلة ، واستغلالها حيثما كان ذلك اقتصاديا . كما استهدفت أيضًا استغلال مصادر الطاقة المائية وخاصة السدود الموجودة ، وإمكانية ربط البحر الأحمر بالبحر الميت . وزيادة القدرة التوليدية لمواجهة تزايد الأحمال الكهربائية من ٣٠٤ ميجاواط في نهاية عام ١٩٨٠ م إلى ٥٨٠ ميجاواط في نهاية عام ١٩٨٥ م . كما استهدفت توصيل الكهرباء إلى حوالي ٣٤١ قرية ، بحيث يرتفع عدد القرى المكهربة من ١٣١ قرية في نهاية عام ١٩٨٠ م إلى ٤٧٢ قرية في نهاية عام ١٩٨٥ م . وبتنفيذ هذه المشروعات يصبح عدد سكان الريف المزودين بالتيار الكهربائي في عام ١٩٨٥ م حوالي ٦٨٨ ألف نسمة ، أي ٩٥٪ من سكان الريف الأردني .

موارد السياحة : تتوافر المقومات السياحية في الأردن من حيث آثاره وتاريخه وجغرافيته . وقد التقت عليه حضارات قديمة لشعوب عديدة ، حيث تركت هذه الحضارات آثارها الباقية في أنحاء عديدة من البلاد . وأهم ما يستحق الزيارة من الآثار في الأردن : الآثار الرومانية ، والأبنية الإسلامية ، والقصور الأموية في البادية ، والقلاع الصليبية والإسلامية . وقد أسهم الموقع الجغرافي ، وطبيعة الأرض المتنوعة ، والمناخ ، في جعل الأردن بيئة سياحية جاذبة للسياح صيفًا وشتاء، وعلى مدار أيام السنة (شكل ١٤).

شهد الأردن حركة سياحية مزدهرة خلال السنوات الأخيرة وأصبحت العائدات السياحية تمثل مصدرًا مهمًّا من مصادر الدخل الوطني . إذ ازداد الدخل السياحي من ٣٥,٧ مليون دينار في عام ١٩٧٥ م إلى ١٦٠ مليون دينار في عام ١٩٨٠ م ، أي بزيادة معدلها ٣٥٪ . ومن العوامل التي أسهمت في زيادة الدخل السياحي التوسع في الترويج والتسويق السياحي في الأسواق التقليدية ، وفتح أسواق جديدة كاليابان واستراليا ، وتشجيع السياحة الجماعية بالتعاون مع الشركات السياحية الأجنبية باجتذاب أعداد متزايدة من السياح إلى مدينة العقبة وخاصة من الدول الإسكندنافية .

ازداد عدد السياح الوافدين للأردن من ٠,٧ مليون سائح في عام ١٩٧٥م إلى ١,٥ مليون سائح في عام ١٩٨٠ م ، أي بزيادة سنوية معدلها ١٦٪ . وقد شكل السائحون



شكل - ١٤ - أنماط النشاط السياحي

العرب ٧٢٪ من مجموع عدد السياح ، بينما كانت نسبة السياح القادمين من الدول الأوروبية والأمريكية ١٣,٢٪ .

واستهدفت خطة التنمية الخمسية (٨١ – ٨٥) زيادة دخل الأردن من السياحة من ١٦٠ مليون دينار في عام ١٩٨٠ م إلى ٢٨٠ مليون دينار في عام ١٩٨٥ م . واستدعى هذا تطوير بعض المواقع السياحية كمنطقة جرش – دبين – عجلون ، بحيث تتمكن من خدمة السياحة المحلية والعربية . كما تطلب أيضًا تطوير القدرة المحلية على إدارة الفنادق والمرافق السياحية ، وتطوير التسويق السياحي وتنسيقه ، وتطوير الحرف والصناعات التقليدية ، وتوسيع الفعاليات السياحية وتنويعها من خلال أنماط جديدة كالسياحة الصحراوية والعلاجية .

القطاع العام والقطاع الخاص : اتسمت عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأردن بالتعاون الدائم بين القطاعين العام والخاص . فقد أتاحت الحكومة للقطاع الخاص مناخًا استثماريا مناسبًا من خلال توفير البني الأساسية الضرورية ، وتشجيع الاستثمار الخاص ومشاركته في مجالات استثمار رائدة ومتعددة .

هذا ، وقد أسهم القطاع الخاص إلى جانب القطاع العام في عملية التطوير الاقتصادي إسهامًا واضحًا . حيث تم تأسيس مجموعة من الصناعات ، منذ الخمسينات ، في مجالات تصنيع الأسمنت ، وتكرير النفط ، وتطوير إنتاج الفوسفات وزيادته ، وصناعة الزيوت النباتية ، وبعض الصناعات الأخرى التي شكلت قاعدة لانطلاقة صناعية .

وتستند خطط التنمية الثلاثية والخمسية الأولى والثانية إلى الفرضيات القائمة على أساس استمرار تجاوب القطاع الخاص مع مجهودات التنمية ، وممارسته دورًا متزايد الأهمية في تحقيق غاياتها عن طريق زيادة مدخراته ، وتوجيهها نحو الاستثمار في المشروعات الإنمائية ، إما مباشرة ، وإما من خلال تقديم القروض للقطاع العام للإسهام في تمويل المشروعات الإنمائية العامة .

وقد قدر حجم الاستثمارات الثابتة والمستهدفة من قبل الخطة الخمسية الأولى (٧٦ – ٨٠) بمبلغ ٧٦٥ مليون دينار ، منها ٣٨٢ مليون دينار تمثل استثمارات القطاع العام ،

و ٣٨٣ مليون دينار استثمارات القطاع الخاص . أما مصادر تمويل استثمارات القطاع العام فتألفت من الوفر الجاري والتحويلات المالية من الخارج ، بالإضافة إلى القروض الخارجية والداخلية . في حين تمثلت مصادر تمويل استثمارات القطاع الخاص في الوفر الجاري والقروض والإسهامات الحكومية ، بالإضافة إلى التحويلات المالية من الحكومة والقروض والإسهامات العربية والأجنبية .

ونتيجة التطبيق العملي للخطة الخمسية (٧٦ - ٨٠) بلغ حجم الاستثمارات ١٢٢٢ مليون دينار بالأسعار الجارية ، أو ما يعادل ٨٤٣,٧ مليون دينار بأسعار عام ١٩٧٥ م ، وذلك مقابل مبلغ ٧٦٥ مليون دينار الذي استهدفته الخطة . وقد افترضت الخطة توزيع الإنفاق المالي مناصفة على التوالي بين القطاعين العام والخاص . غير أن إنفاق القطاع الخاص - بما في ذلك مشروعات الشركات المختلطة بين القطاعين العام والخاص - قد تجاوز ما قدرته الخطة ، بحيث بلغ حوالي ٥٩٪ من مجموع الاستثمارات ، في حين بلغت استثمارات القطاع العام حوالي ٤١٪ منه .

ويقدر حجم الاستثمارات الثابتة والمستهدفة من قبل الخطة الخمسية الثانية (٨١ - ٨٥) بمبلغ ٣٣٠٠ مليون دينار بالأسعار الجارية ، وقد خصص منها حوالي ٦١٪ للقطاع العام ، و ٣٩٪ للقطاع الخاص والمختلط . وعلى سبيل المثال ، فإن استثمارات القطاع الخاص في المشروعات الزراعية ستبلغ نحو ١٣٤ مليون دينار من مجموع الاستثمارات والمقدرة بنحو ٢١٥ مليون دينار . كما أن استثمارات القطاع الخاص في مشروعات التعدين والصناعة بلغت نحو ٩٠ مليون دينار من مجموع الاستثمارات ، والمقدرة بنحو ٧٥٩ مليون دينار . وفي مشروعات السياحة تبلغ استثمارات القطاع الخاص نحو ٤٧ مليون دينار من مجموع استثمارات مشروعات السياحة والمقدرة بنحو ٥٣ مليون دينار .

الدخل القومي والميزان المالي : ارتفع الإنتاج الوطني الإجمالي بسعر السوق من ٣٤٢,٥ مليون دينار عام ١٩٧٥ م إلى ٦٢٣,٥ مليون دينار عام ١٩٧٧ م ، وإلى ٨٨٠,٣ مليون دينار عام ١٩٧٩ م ، وإلى ١٠٧٣,٨ مليون دينار عام ١٩٨٠ م ، أما

الإنتاج الوطني الصافي بسعر التكلفة فقد ارتفع من ٣٣٤,٣ مليون دينار عام ١٩٧٥ إلى ٩٣٩,٢ مليون دينار عام ١٩٨٠ م . وفيما يتعلق بالأهمية النسبية لإسهام القطاعات الاقتصادية في الناتج المحلي الإجمالي ، فإن إسهام قطاع منتجي الخدمات الحكومية بلغت ٢٠,٤٪ ، يليه في الأهمية القطاع الصناعي بنسبة ١٨,٧٪ ، وتجارة الجملة والمفرق بنسبة ١٧,٤٪ . وعلى العموم بلغ إجمالي إسهامات قطاعات الإنتاج المادي نحو ٣٧,٣٪ مقابل ٦٢,٧٪ لقطاعات الخدمات .

جـدول رقم (١٠) : الناتج المحلي حسب المحافظات بسعر السوق لعام ١٩٧٧ م

المؤشـر	الوحـدة	الأردن	إربد	عمان	البلقاء	الكرك	معان
الناتج المحلي	مليون دينار	٤٧١	٩٩	٢٩٩	٢٤	٣١	١٣
	النسبة المئوية	١٠٠	٢١	٦٤	٦	٧	٢
عدد السكان	بالألف نسمة	٢,١٢٧	٦٠٠	١,٢١٩	١٣٨	١١٤	٥٦
	النسبة المئوية	١٠٠	٢٩	٥٧,٣	٦	٥	٢,٧

ومما يسترعي الانتباه في بيانات الجدول رقم (١٠) ، أن سكان محافظة إربد يمثلون ٢٩٪ من سكان الأردن ، وتسهم محافظتهم بنسبة ٢١٪ من مجموع الإنتاج المحلي ، كما أن سكان محافظة معان يمثلون ٣,٧٪ ، وإنتاج محافظتهم المحلي يسهم بنحو ٢٪ . أما بقية المحافظات فإن إسهاماتها في الإنتاج المحلي ذات نسب أعلى من نسب عدد سكانها . وتزيد قيمة الإنفاق على الاستهلاك (العام والخاص) في الأردن عن قيمة الإنتاج المحلي الإجمالي ، حيث بلغت ١٣٣٪ منه في عام ١٩٧٥ ، وحوالي ١٢٣٪ ، في عام ١٩٨٠ م . ويتم تمويل هذا الفارق عن طريق التحويلات الخارجية . وبالرغم من حدوث تحسن في نسبة الاستهلاك إلى الإنتاج المحلي الإجمالي فإن ارتفاع مستواها ينم عن وجود ضعف هيكلي في الاقتصاد الوطني ، يتمثل في قصور الإنتاج عن مواجهة الطلب المحلي ، ويجعله عرضة لتأثير عوامل خارجية .

وبالرغم من أن الإيرادات المحلية قد ازدادت بنسب مهمة خلال فترة الخطة الخمسية الأولى (٧٦ – ٨٠) ، إلا أنها ما تزال قاصرة عن تغطية كامل النفقات الجارية . وتشكل النفقات العامة نسبة عالية من الإنتاج الوطني الإجمالي ، حيث بلغت نسبة النفقات الجارية ٣٢,٢٪ ، ونسبة النفقات الرأسمالية ١٩٪ في عام ١٩٨٠ م .

وتشير أرقام قيمة كل من الإيرادات والنفقات المتضمنة في الموازنة العامة للحكومة المركزية إلى أن العجز هو الطابع الغالب على الموازنة مع تفاوته من سنة لأخرى . ولأول مرة حدث فائض في عام ١٩٨١م مقداره ٢,٨ مليون دينار . وعلى سبيل المثال بلغت قيمة الإيرادات المالية لعام ١٩٧٧ م نحو ٣٢٣ مليون دينار ، وقيمة النفقات نحو ٣٣٨ مليون دينار ، بعجز مقداره نحو ١٥ مليون دينار ، وفي عام ١٩٨٠ م بلغت قيمة الإيرادات ٥٠٧ ملايين دينار ، وقيمة النفقات نحو ٥٦٣ مليون دينار ، بعجز مقداره نحو ٥٦ مليون دينار .

هذا وقد استهدفت الخطة الخمسية الثانية (٨١ – ٨٥) زيادة الإيرادات المحلية في الموازنة العامة ، بحيث تغطي كامل النفقات الجارية ، وتحقق فائضًا متزايدًا للإسهام في تمويل الإنفاق الرأسمالي . وترتفع نسبة الإيرادات المحلية إلى النفقات الجارية من ٧٠٪ في عام ١٩٨٠ م إلى ١٠٠,٤٪ في عام ١٩٨٥ م . كما استهدفت الخطة أيضًا زيادة معدل الدخل للفرد من ٤٥٢,٨ دينار في عام ١٩٨٠ م إلى ٥٤٧,٦ دينار عام ١٩٨٣ م ، وإلى ٦٣٠,١ دينار عام ١٩٨٥ م ، وذلك بإجمالي زيادة في معدل دخل الفرد مقداره نحو ٣٩,٢٪ لفترة الخطة ، وبمعدل نمو سنوي مقداره نحو ٦,٨٪ .

الضرائب : تعتبر الضرائب جزءا من الإيرادات المحلية التي تدخل مع الإيرادات الخارجية لتشملا الإيرادات العامة للموازنة . وقد اتبعت الحكومات الأردنية في سياستها المالية زيادة الإيرادات المالية المحلية عن طريق تحسين أساليب تحصيل الضرائب والرسوم ، وتعديل قوانين الضرائب المباشرة وغير المباشرة . لذا صدرت عدة تشريعات تنظم الشؤون المالية ، وتحدد قيمة الضرائب والرسوم والعوائد وطرق جبايتها ، وأساليب

إنفاقها ، ضمن المخصصات التي ترصد في قانون الموازنة العامة . وتقوم وزارة المالية والدوائر المستقلة المرتبطة بوزير المالية بتطبيق هذه التشريعات وأهمها : قانون ضريبة الدخل ، وقانون الجمارك ، وقانون رخص المهن ، وقانون تنظيم الميزانية ، وقانون ضريبة الأبنية والأراضي ، وقانون ضريبة الأراضي ، وقانون الضريبة الإضافية ، وقانون الضريبة الإضافية للجامعة الأردنية ، وقانون تحصيل الأموال الأميرية ، وقانون الإعفاء من الأموال الأميرية ، وقانون رسوم طوابع الواردات ، وقانون الاستملاك ، وقانون تسجيل الأراضي والرسوم ، وغيرها من الأنظمة المالية .

وتتميز ضريبة الدخل بأنها من أعدل الضرائب وأهم أدوات السياسة المالية التي تستخدم لتقليل الفوارق الاجتماعية بين فئات المواطنين ، إذ إنها وضعت على أسس تصاعدية ضمن قدرة المكلف على الدفع ، ووفقًا لأحكام الدستور . وقد طبقت هذه الضريبة على الدخول المتأتية من الرواتب والأجور في عام ١٩٣٣ م بصدور أول قانون لضريبة الدخل في عهد إمارة شرق الأردن . كما أجريت على القانون عدة تعديلات منذ ذلك الوقت ، وكان آخرها التعديل الذي تم في عام ١٩٨٢ م . ولقد سعت دائرة ضريبة الدخل في السنوات الأخيرة إلى تطوير علاقتها مع المكلفين ، وإيجاد جو من الثقة بينهم وبين المقدرين ضمن إطار المصلحة العامة عن طريق تطوير جهازها العامل ، ورفع مستواه ، الأمر الذي مكنها من زيادة تحصيلاتها .

بلغت الإيرادات الضريبية لعام ١٩٨٠ م ما قيمته نحو ١٧٣ مليون دينار ، منها نحو ٣٣ مليون دينار ضرائب مباشرة ، كضريبة الدخل ، والخدمات الاجتماعية ، والضرائب الأخرى . أما الضرائب غير المباشرة فإنها بلغت نحو ١٤٠ مليون دينار . وقد شكلت الإيرادات الضريبية عام ١٩٨٠ م ما نسبته نحو ٧٧٪ من مجموع الإيرادات المحلية[٣٩] .

المواصلات : تلعب المواصلات البرية والبحرية والجوية دورًا مهمًّا في تنشيط المبادلات التجارية الداخلية والخارجية . وتنعكس أهمية طرق المواصلات على ازدياد حجم النقل ، وتطور العمران ، وربط أجزاء الأردن ببعضها ، إلى جانب ربط الأردن مع العالم الخارجي . وقد استثمر في قطاع النقل خلال فترة الخطة الخمسية (٧٦ –

٨٠) حوالي ٢٦٠ مليون دينار ، تشكل حوالي ٢١٪ من مجموع الاستثمارات الفعلية في هذه الفترة . وارتفع الدخل الناتج عن قطاع النقل والمواصلات من ٢٦,٩ مليون دينار في عام ١٩٧٥ م إلى حوالي ٩١ مليون دينار في عام ١٩٨٠ م ، أي بزيادة سنوية معدلها ٢٩,٦٪ وبالتالي ارتفع إسهامه في الإنتاج المحلي الإجمالي من ٨,٩٪ إلى ١١,٢٪ على التوالي . وقد بلغت أطوال شبكة الطرق العامة في الأردن نحو ٦٨٨٢ كم ، في نهاية عام ١٩٨٠ م ، منها ٢٢٠٢ كم طرق رئيسة ، و ٩٨٨ كم من الطرق الثانوية ، و ٣٦٩٢ كم من الطرق القروية والزراعية . وهناك ٤٩٣٢ كم من الطرق المعبدة ، و ١٩٥٠ كم من الطرق غير المعبدة لمختلف أنواع الطرق . وبذلك استطاع الأردن أن يوفر شبكة طرق تلبي مختلف احتياجاته في الداخل ، سواء كان ذلك للوصول إلى مناطق الإنتاج ، وتسهيل المجال للنقل التجاري والأعمال السياحية ، أو للوصول إلى المدن والقرى ، أو للاتصال بالطرق الإقليمية والدولية ، وخاصة الاتصال بالبلدان العربية المجاورة ، ومن أجل تأمين مواصلات دولية مناسبة .

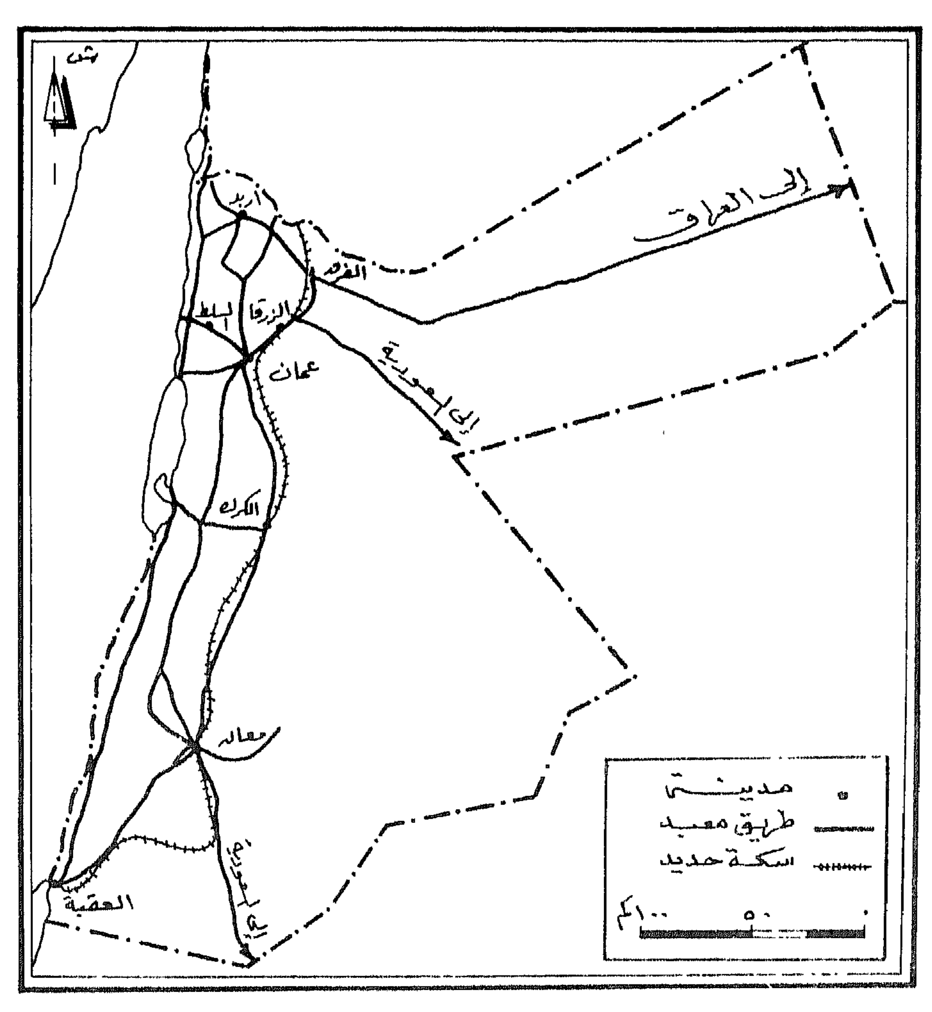
وكان من أهم الطرق التي تم إنجازها خلال فترة الخطة الخمسية (٧٦ – ٨٠) طريق الصافي – العقبة ، وطريق اليرموك – البحر الميت ، وطريق معان – رأس النقب – مثلث وادي رم ، وطريق الأزرق – الحدود السعودية ، وطريق الأزرق ، الأجفايف – الأجفور – الحدود العراقية ، وطريق سويمة – الرارة . وقد ازداد عدد المركبات المرخصة من ٤٧٢٣٣ مركبة في نهاية عام ١٩٧٥ م إلى ١٣٤٥٥١ مركبة في نهاية عام ١٩٨٠ م .

ويمكن أن نذكر من بين مشروعات الطرق البرية في الخطة الخمسية (٨١ – ٨٥) مشروع تطوير الطريق الرئيسة التي تربط شمال الأردن بجنوبه ، بحيث تشمل أربعة مسارب بكامل أجزائها ، ومشروع تحسين وتوسيع طريق إربد – الشونة الشمالية لربط المنطقة الشمالية من الأردن بمنطقة الأغوار الشمالية لتسهيل عملية تسويق المنتجات الزراعية ، وهناك مشروع إنشاء وتحسين طريق عمان – مأدبا – الكرك – الطفيلة ، التي يبلغ طولها بين مثلث الطريق الصحراوية والطفيلة ١٦٥ كم . ومشروع تحسين

وتوسيع طريق السلط – العارضة – الأغوار الوسطى ، ومشروع إنشاء طريق رئيسة جديدة تربط منطقة السلط بالأغوار الوسطى لتسهيل عملية تسويق الإنتاج الزراعي في الأغوار الوسطى . ومشروع إنشاء طريق الرشادية – الطريق الصحراوية لربط منطقة الرشادية بالطريق الصحراوية . حيث سيتم إنشاء مصنع للأسمنت بطاقة مليوني طن في السنة ، وذلك لتسهيل نقل وتصدير الأسمنت . أما مشروع إنشاء طريق الشيدية – بطن الغول فإنه يهدف إلى ربط منطقة الشيدية الغنية بخامات الفوسفات بطريق معان – المدورة قرب بطن الغول . وتستهدف الخطة إنشاء وتوسيع ٢٢٤٠ كم إضافيا من الطرق ، منها ٦٠٠ كم من الطرق الرئيسة ، و ٢٤٠ كم من الطرق الثانوية ، و ١٤٠٠ كم من الطرق القروية والزراعية ، وذلك لتفي بمتطلبات حركة النقل ، والمحافظة على شبكة الطرق بمستوى جيد صالح للاستخدام .

وفي مجال السكك الحديدية تم رفع طاقة نقل الفوسفات على خط سكة حديد الحجاز ، الذي يمتد من الحدود الأردنية السورية شمالًا حتى العقبة جنوبًا ، من ٣٦٠ ألف طن في عام ١٩٧٥ م إلى ٢,٥ مليون طن في عام ١٩٨٠ م . والجدير بالذكر أنه شرع في تسيير القطارات بين محطتي الحسا والعقبة لنقل الفوسفات في نهاية عام ١٩٧٥ م ، وذلك بعد أن تم ربط الحسا بخط سكة حديد الحجاز والذي أصبح يصل إلى العقبة . ويجري حاليًّا تقوية الخط بين الحسا والمنزل ، وتمديد خط فرعي إلى منجم الوادي الأبيض . كما تم إجراء دراسة الجدوى الأولية لإنشاء خط عريض يربط بين دمشق وعمان والمدينة المنورة (شكل ١٥) .

بدأ ميناء العقبة أعماله منذ عام ١٩٥٢ م ، حيث بلغت حركته آنذاك ٥٠ ألف طن . وفي عام ١٩٥٩ م تم تأسيس دائرة ميناء العقبة وأسندت إليها مهمة إنشاء الميناء الحديث ، وإدارته ، وتنميته واستغلاله ، وصيانته وقد أجريت توسعات وتحسينات على الميناء منذ نشأته حتى الآن ، وشملت بناء الأرصفة العميقة لبواخر البضائع ، والفوسفات ، والأسمنت ، كما شملت بناء المخازن والمستودعات والساحات المكشوفة ، إضافة إلى بناء الأجهزة الآلية الحديثة المتحركة لتحميل البواخر بالفوسفات ، وتفريغ الأسمنت والقمح السائب المستورد من الخارج . كما تم شراء وتركيب رصيفين عائمين ورافعتين للحاويات ، وبُوشر بإنشاء الميناء الصناعي لمناولة منتجات الأسمدة والبوتاس ومدخلاتها .



شكل -١٥- طرق المواصلات

وفي عام ١٩٦٨ م ، أنشئت المؤسسة البحرية لميناء العقبة للإشراف على عمليات تفريغ البواخر وتحميلها ، وذلك بالتعاون مع دائرة ميناء العقبة والجمارك وشركات الملاحة والتخليص . وقد ارتفعت طاقة الميناء من حوالي ٧٠٠ ألف طن واردات في عام ١٩٧٥ م إلى ٢,٧ مليون طن في عام ١٩٨٠ م ، ومن حوالي ٩٠٠ ألف طن صادرات إلى حوالي ٣,٥ مليون طن على التوالي . وفي عام ١٩٨١ م بلغت كمية البضائع التي أفرغت في الميناء حوالي ٦,٢ مليون طن ، وتوقع المعنيون أن تزداد هذه الكمية لتصل إلى نحو ١٠ ملايين طن في عام ١٩٨٢ م ، وقد بلغ عدد البواخر التي أمت ميناء العقبة عام ١٩٨١ م نحو ١٧٤٤ باخرة ، بزيادة ٢٧٨ باخرة عن عام ١٩٨٠ م ، ومقابل ٥٨٨ باخرة أمت الميناء خلال الربع الأول من عام ١٩٨٢ م ، أي بزيادة نسبتها ٣٠٪ عن الفترة ذاتها من عام ١٩٨١ م . ويتراوح عدد البواخر التي توجد في الميناء يوميا بين ٢٥ و ٣٥ باخرة . وتجري عمليات التفريغ والتحميل خلال الأربع والعشرين ساعة يوميا باستمرار ، وذلك باستخدام أحدث الأجهزة والآلات اللازمة لهذا الغرض .

وفي مجال الطيران المدني ارتفع عدد المسافرين من حوالي ٦٠٠ ألف مسافر في عام ١٩٧٥ م إلى حوالي ١,٨ مليون في عام ١٩٨٠ م . واستمر العمل في تنفيذ مشروع مطار الملكة علياء الدولي ، وتم توسيع مدرج مطار عمان . وتوقع المعنيون أن يبدأ العمل في مطار الملكة علياء في نهاية عام ١٩٨٢ م ، بحيث يتمكن هذا المطار من استيعاب حركة الطيران المتزايدة عبر الأردن ، ومن استقبال أضخم الطائرات التي تنقل أكبر عدد ممكن من المسافرين ، ومن الشحن الجوي .

تأسست شركة وطنية أردنية للطيران في عام ١٩٦٣ م ، وسميت شركة عالية . وفي عام ١٩٦٨ م أصبحت عالية الخطوط الجوية الملكية الأردنية ، مؤسسة حكومية ، واستطاعت أن تحقق نجاحًا كبيرًا ، فأنشأت شركتي طيران شقيقتين ، الأولى الشركة الأردنية العالمية للشحن الجوي ، والثانية شركة الأجنحة العربية ، وهي أول شركة تاكسي جوي في الوطن العربي ، وقد حققت الشركتان نموا مطردًا منذ تأسيسهما . ولاشك أن مؤسسة عالية تؤدي دورها كاملا في خدمة الأردن على المستويات الوطنية

والاقتصادية ، والإعلامية ، والسياحية . وهي تسهم في دعم ميزان المدفوعات الأردني ، وفي عملية التنمية .

وفي عام ١٩٧١ م تم تأسيس مؤسسة المواصلات السلكية واللاسلكية مؤسسة مستقلة إداريا وماليا . وبدأت المؤسسة تنفذ مشروعاتها لتأمين الاتصالات الهاتفية داخل المدن الكبيرة بواسطة المقاسم الآلية ، وربط بعض المدن بواسطة شبكات ميكروويف ، وربط المدن بالقرى بواسطة شبكة هاتفية ، وإقامة مقسم دولي آلى لربط الأردن مع العالم الخارجي بالنداء الآلي المباشر . وتعمل المؤسسة على إنشاء (ميكروويف) يربط بين الأردن والبلدان العربية المجاورة ، مستفيدة من مشروع القمر الصناعي العربي الذي سيغطي حاجة الأردن . من الخدمات الهاتفية والبرقية والتلكس . وقد توسعت وزارة المواصلات في إنشاء المكاتب البريدية في جميع المدن والقرى الرئيسة ، وربطت هذه المكاتب بشبكة هاتفية . واستهدفت الخطة الخمسية (٨١ – ٨٥) تحقيق توزيع جغرافي أفضل للخدمة الهاتفية بحيث تغطي معظم أنحاء الريف الأردني ، وإيصال الخدمة الآلية الكاملة لكل تجمع سكاني يزيد عن ٥٠٠ نسمة ، أو تغطية حوالي ٣٧٠ بلدة وقرية . كما استهدفت توفير الشعب البريدية لحوالي نصف التجمعات السكانية الصغيرة التي يقل عدد سكانها عن ٥٠٠ نسمة ، مما سيشمل ٣٦٠ تجمعًا سكانيا . وسوف تقدم خدمة (التلكس) لكل راغب في الاشتراك ، بحيث تستطيع أن تخدم ٤٠٠٠ مشترك .

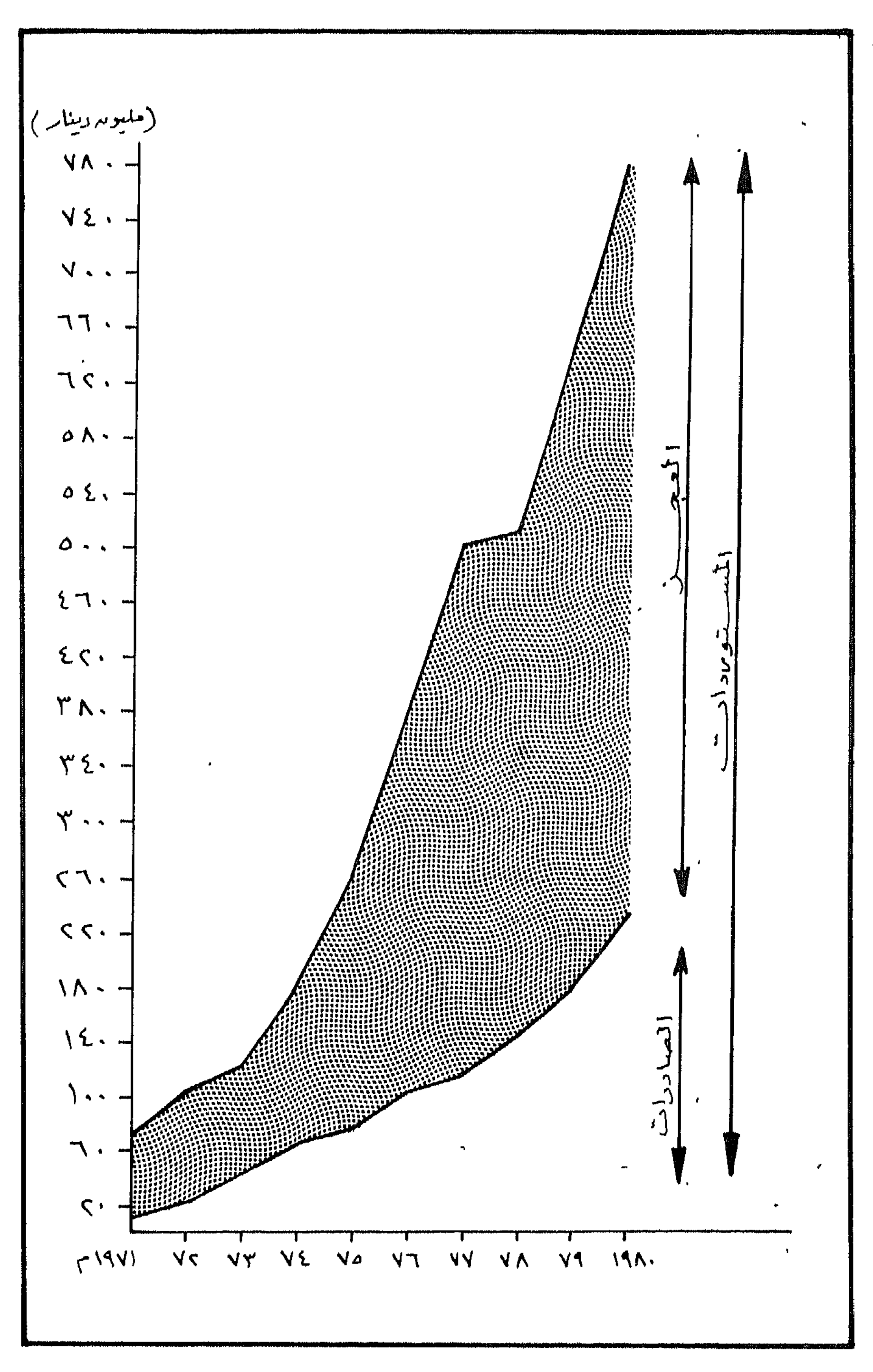
وتنعكس تنمية المواصلات على ازدهار الحركة التجارية في الأردن . فالقطاع التجاري أسهم عام ١٩٨٠ م في الإنتاج الوطني الإجمالي بما نسبته ٨٢,٦٪ . كما أسهم في تطوير القطاعات الأخرى كقطاعات الزراعة والصناعة ، والبناء ، والعمل ، وغيرها . ويعمل القطاعان العام والخاص بجهد مشترك من أجل تنظيم المصالح التجارية ، وإدارة شؤونها ، وتنشيطها في الداخل والخارج من أجل تنمية الصادرات الوطنية عن طريق المؤسسات الحكومية ومؤسسات القطاع الخاص كالغرف التجارية الأردنية واتحاداتها النوعية .

تواصل التجارة الخارجية نشاطها المتزايد من حيث الصادرات والواردات .

إذ ازدادت قيمة الصادرات السلعية الوطنية بالأسعار الجارية من ٤٠,١ مليون دينار في عام ١٩٧٥ م إلى ١٢٠ مليون دينار في عام ١٩٨٠ م ، أي بزيادة سنوية متوسطها ٢٤,٦٪ ، وذلك بالقياس إلى ١٦٩ مليون دينار استهدفتها الخطة . وفي نفس الوقت ارتفعت قيمة المستوردات السلعية من ٢٣٤ مليون دينار إلى ٧٢٠ مليون دينار على التوالي ، أي بزيادة معدلها السنوي ٢٥,٢٪ . أما قيمة السلع المعاد تصديرها فقد زادت من ٨,٨ مليون دينار عام ١٩٧٥ م إلى ٤٠ مليون دينار عام ١٩٨٠ م . ونتيجة لذلك ارتفع العجز في الميزان التجاري من ١٨٥ مليون دينار في عام ١٩٧٥ م إلى ٥٦٠ مليون دينار في عام ١٩٨٠ م ، أي بزيادة سنوية متوسطها ٢٤٪ . وارتفعت نسبة الصادرات للواردات من ٢٠,٩٪ عام ١٩٧٥ م إلى ٢٢,٢٪ عام ١٩٨٠ م . (شكل ١٦) .

ويشير التركيب السلعي للصادرات الوطنية إلى احتلال السلع الاستهلاكية المصدرة المرتبة الأولى من حيث أهميتها النسبية ، حيث بلغت ٤٥,١٪ من مجمل صادرات عام ١٩٨٠ م . وقد شملت هذه الصادرات في معظمها المواد الغذائية وبخاصة السلع الزراعية . أما صادرات المواد الخام فقد أصبحت تزاحم السلع الاستهلاكية على مركز الصدارة ، إذ ارتفعت أهميتها النسبية عام ١٩٨٠ م لتبلغ ٤٢,٧٪ . ويعود السبب في هذا الارتفاع بشكل رئيس إلى زيادة قيمة المصدر من الفوسفات ، الذي يشكل ٩٢,١٪ من صادرات المواد الخام ، نتيجة لبدء الإنتاج في منجم وادي الأبيض ، علاوة على زيادة الطلب العالمي عليه ، وخاصة من مجموعة الدول الاشتراكية . وفيما يتعلق بصادرات السلع الإنتاجية ، فقد بلغت نسبتها إلى مجمل الصادرات الوطنية نحو ١٢٪ ، وتشمل السلع الإنتاجية الصادرات الزراعية كالخضار ، والحمضيات ، والصادرات الصناعية كالأدوية والسجاير ، والأجواخ ، والبلاستيك ، والصابون ، والأثاث ، والأنابيب .

ويشير التركيب السلعي للواردات إلى احتلال السلع الإنتاجية المركز الأول عندما شكلت في عام ١٩٨٠ م نحو ٣٤,٥٪ من إجمالي الواردات وفي العام نفسه شكلت السلع الاستهلاكية نسبة ٣٣,٥٪ ، وشكلت الواردات من المواد الخام نسبة ٣١,٧٪ من إجمالي المستوردات . ويعود السبب في ارتفاع نسبة مستوردات السلع الإنتاجية بشكل رئيس



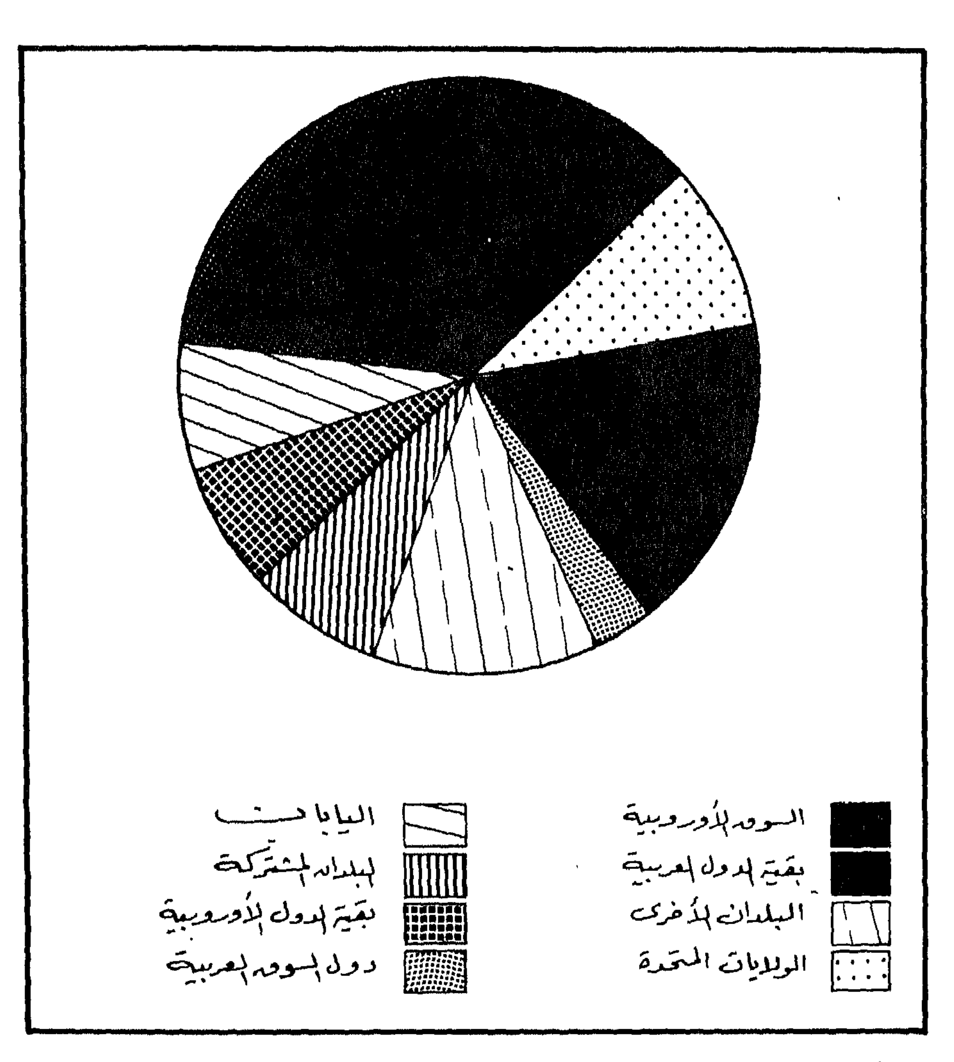
شكل -١٦- الميزان التجاري (٧١ - ١٩٨٠م).

إلى استيراد الآلات اللازمة لتنفيذ بعض المشروعات الأساسية ، خاصة ما يتعلق منها بشركة الأسمدة ، وشركة البوتاس ، كما يعود إلى ترخيص مئات المصانع الجديدة ، وما تتطلبه من تجهيزات صناعية .

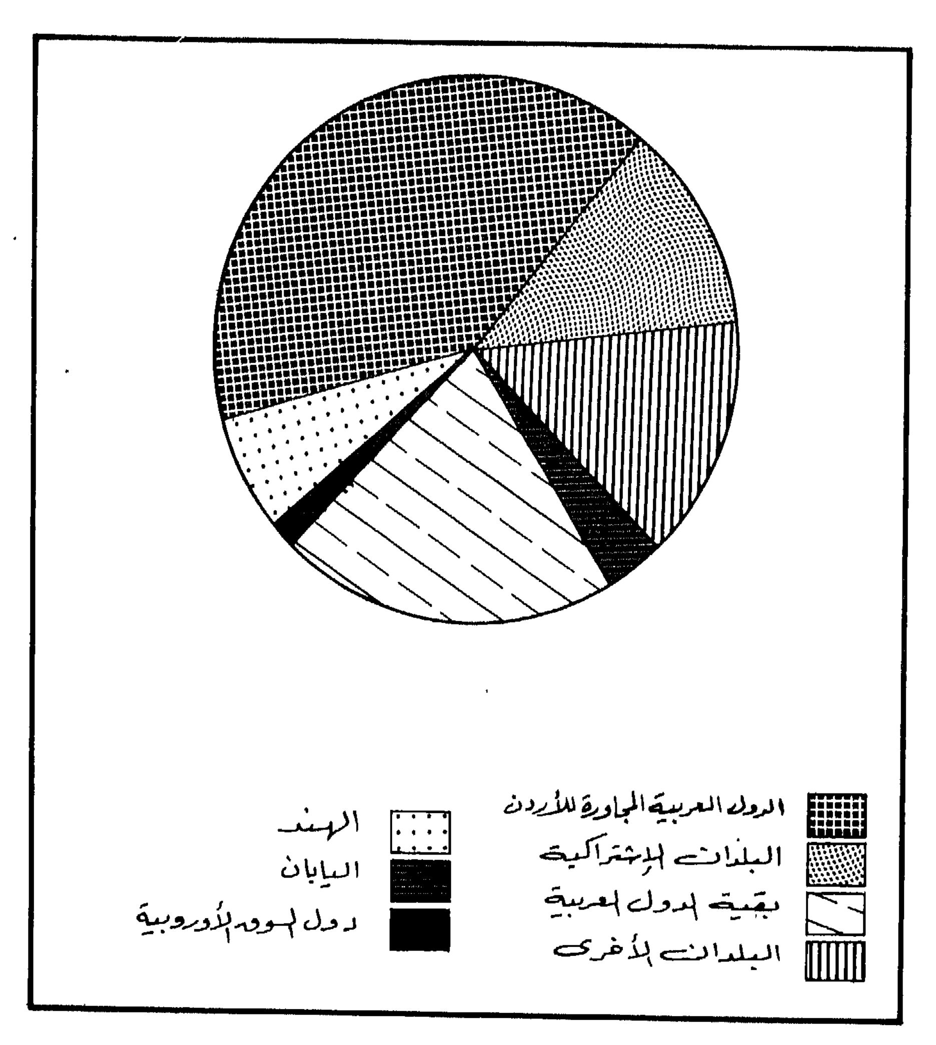
أما عن التوزيع الجغرافي للتجارة الخارجية فيمكن القول بأن دول السوق الأوروبية المشتركة تحظى بالمركز الأول في سد احتياجات الأردن من مختلف السلع خاصة الاستهلاكية منها والرأسمالية . وقد بلغت الأهمية النسبية للمستوردات من هذه المجموعة ٣٦,٣٪ ، يليها الواردات من الدول العربية (٢٠,٨٪) التي يشكل النفط الجزء الأعظم منها (٧٦,٣٪) . وكانت نسبة المستوردات من الولايات المتحدة ٨,٦٪ ، ومن اليابان ٧,٢٪ ، ومن الدول الاشتراكية ٦,٩٪ . وتحتل المملكة العربية السعودية مركز الصدارة بالنسبة لمستوردات الأردن ، إذ بلغت قيمة المستوردات منها ١٥,٩٪ من إجمالي مستوردات عام ١٩٨٠ م ، يليها ألمانيا الاتحادية (٩,٩٪) ، فالولايات المتحدة (٨,٦٪) ، ثم اليابان (٧,٢٪) (شكل ١٧) .

وتمثل أسواق الدول العربية الأسواق الرئيسة للصادرات الأردنية ، إذ بلغت نسبتها ٦٠,٨٪ من مجمل الصادرات الأردنية لعام ١٩٨٠ م . وشكلت السلع الزراعية من الخضراوات والحمضيات نحو ثلث قيمة الصادرات إلى الدول العربية ، بينما شملت بقية الصادرات إليها سلعًا صناعية كالأثاث والسجاير والصابون والأدوية . وقد استوعبت أسواق البلدان الاشتراكية ما نسبته ١٢,٦٪ من مجمل الصادرات ، وذلك نظرًا لطلبها المتزايد على الفوسفات . وتلتها الهند (٦,٧٪) ، ثم اليابان (٣,٣٪) . ويمثل العراق أهم سوق للمنتجات الأردنية المصدرة ، إذ بلغت قيمة ما صدر إليه عام ١٩٨٠ م نحو ٢٨,٣ مليون دينار ، أو ما نسبته ٢٣,٦٪ من إجمالي الصادرات الأردنية ، وتلته المملكة العربية السعودية (١٦,٤٪) ، فالهند (٦,٧٪)[٤٠] ، (شكل ١٨) .

وتلعب تجارة الترانزيت دورًا متزايدًا في الأهمية من حيث التركيز على الأردن باعتباره مكان عبور . وارتفعت كمية البضائع المارة بالترانزيت من حوالي ٤٩٠ ألف طن في عام ١٩٧٥ م إلى ما يزيد على ٥ ملايين طن في عام ١٩٨٠ م .



شكل - ١٧ - التوزيع الجغرافي للواردات عام ١٩٨٠ م



شكل - ١٨ - التوزيع الجغرافي للصادرات الوطنية ١٩٨٠م

(الموسوعة الجغرافية ٢٨/٤)

وبالرغم من العجز الكبير الذي حققه الميزان التجاري ومقداره ٥٤٣,٣ مليون دينار لعام ١٩٨٠ م ، إلا أن بنود ميزان المدفوعات الأردني شهدت تطورات أسفرت عن ارتفاع الوفر المتحقق في مجموع رصيد الحساب الجاري ، وحركة رأس المال لدى القطاع غير النقدي بمقدار ١٤٥ مليون دينار . وقد أسهم ميزان الخدمات الذى حقق وفرا بلغ ٢٥٦ مليون دينار ، وكذلك المساعدات الأجنبية للأردن ، والتي ارتفعت حصيلتها إلى مبلغ ٤٠١ مليون دينار ، أسهم في تحقيق هذا الوفر القياسي .

الأجور ومستوى المعيشة : يتبين من الجدول رقم ١١ أن تكاليف المعيشة في الأردن ارتفعت بشكل ملموس ومتواصل منذ عام ١٩٧٥ م . إذ بلغ معدل الرقم القياسي لتكاليف المعيشة لعام ١٩٨٠ حوالي ١٧٣,٣ نقطة ، على اعتبار أن عام ١٩٧٥ م هو سنة الأساس ١٠٠ نقطة . وقد ارتفع معدل الرقم القياسي لتكاليف المعيشة بنسبة ١١,١٪ بين عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ م . وكان لأسعار المواد الغذائية ، وأسعار السلع الأخرى ، والخدمات دور بارز في إبقاء معدل التضخم عاليًا نسبيا ، إذ ارتفع معدل الرقم القياسي لأسعار المواد الغذائية بما نسبته ١٠,٩٪ ، إسهامًا منها بما يقارب نصف معدل التضخم العام ، وخاصة أن المواد الغذائية تتمتع بأهمية نسبية عالية (٤٨,٢٪) . وكذلك الحال بالنسبة لمجموعة السلع الأخرى والخدمات ، فمع أن أهميتها النسبية متدنية (١٥,٤٪) ، إلا أن أسعارها ارتفعت بنسبة عالية بلغت ٢٠٪ ، وهي أعلى نسبة بين المواد الداخلة في تركيب الرقم القياسي لتكاليف المعيشة .

وإذا قارنا بين المعدلات السنوية لنمو أسعار المواد والسلع الاستهلاكية ، اتضح لنا أن معدلات نمو الأجور – رغم تزايدها التصاعدي المطرد – أخفقت خلال السنوات الأخيرة في مواكبة معدلات نمو الأسعار . إذ كان ارتفاع الأسعار متفوقًا على ارتفاع الأجور في سباقهما معًا ، الأمر الذي يزيد القلق النفسي لدى المسؤولين والمواطنين على حد سواء ، كما أن القيمة الفعلية للنقد الأردني تتعرض للانخفاض من جراء ارتفاع الأسعار ، بحيث أن الأجور مهما ارتفعت فإنها لا تساعد كثيرًا على مواجهة احتياجات الإنسان لشراء السلع ذات الأسعار العالية . وبالرغم من الدعم المالي الذي تقدمه الحكومة

لأسعار بعض المواد الأساسية من الخزينة ، إلا أن المواطنين عليهم أن ينفقوا كثيرًا لمواجهة تكاليف المعيشة .

(جدول (١١) : الأرقام القياسية لتكاليف المعيشة في الأردن (١٩٧٥ م = ١٠٠)

السنة	جميع المواد	المواد الغذائية	المساكن وتوابعها	الملابس والأحذية	المشروبات والتبغ	السلع الأخرى والخدمات
الثقل النسبي	١٠٠	٤٨,٢	٢١,٨	١٠,٢	٤,٤	١٥,٤
١٩٧٦	١١١,٥	١١٤,٦	١٠٦,٨	١٠٧,٦	١٠٥,٨	١١٢,١
١٩٧٧	١٢٧,٧	١٣١	١١٤,٨	١٣٩,٣	١١٢	١٣٢,٨
١٩٧٨	١٣٦,٦	١٣٥,٧	١٢٦,٧	١٤٦,١	١١٦,٨	١٥٢,٦
١٩٧٩	١٥٦	١٤٣,٦	١٦٢,٨	١٨٠,٥	١٢٥,٥	١٧٧,٩
١٩٨٠	١٧٣,٣	١٥٩,٢	١٧٥,٣	١٩١,٢	١٣٥	٢١٣,٥
نسبة التغير ٪ (١٩٧٩ – ١٩٨٠)	١١,١	١٠,٩	٧,٧	٥,٩	٧,٦	٢٠

المصدر : البنك المركزي الأردني ، التقرير السنوي السابع عشر (١٩٨٠ م) .

الحياة الثقافية ومؤسساتها : حقق الأردن تقدمًا كبيرًا في حقل التعليم والثقافة ، ففي مجال التربية والتعليم تبنى الأردن إلزامية التعليم في المرحلتين الابتدائية والإعدادية ، وبقي التعليم الثانوي غير إلزامي ، واتبعت فيه سياسة الباب المفتوح ، خاصة في مجال التعليم الأكاديمي . وبلغت نسبة الطلاب والطالبات في جميع المراحل أكثر من ثلث السكان . وتنوع التعليم الثانوي إلى أكاديمي ، وشامل ، ومهني ، وتجاري ، وصناعي ، وزراعي ، وأنشئت المعاهد المهنية (البوليتكنيك) وكليات المجتمع (دور المعلمين والمعلمات) والجامعات . وتشرف على التعليم وزارة التربية والتعليم بالإضافة إلى مؤسسات أخرى مثل وكالة غوث اللاجئين ، والقوات المسلحة ، ودائرة الشؤون الاجتماعية ، ووزارة الصحة ، ووزارة الإنشاء والتعمير ، والقطاع الخاص . إلا أن مدارس الحكومة تشكل

نحو ٧٠٪ من مجمل مدارس المملكة ، وعدد طلبتها يشكلون نفس النسبة تقريبًا . بينما يلتحق بمدارس الوكالة خُمس طلبة الأردن ، ويلتحق بالمدارس الأهلية عشرهم .

أما التعليم العالي فقد ابتدأ بالجامعة الأردنية عام ١٩٦٢ م ، واستمر منطلقًا بتأسيس جامعة اليرموك في عام ١٩٧٦ م ، ثم صدرت الإرادة الملكية بتأسيس جامعة مؤته في ١٩٨٠/٨/٢٤ م . وهناك أعداد كبيرة من الطلبة الأردنيين يدرسون بالجامعات العربية والأجنبية ، ويقدر عددهم بحوالي ٥٠ (ألف) طالب ، أو ما نسبته ٢٥٪ من مجموع الأشخاص الذين هم في سن التعليم الجامعي .

ازداد عدد الطلبة في مختلف مراحل التعليم في الأردن من ٥٧٧,٤٦٩ طالبًا في العام الدراسي ٧٦/٧٥ إلى ٧٤٢,٢٦٥ طالبًا في العام الدراسي ٨٠/٧٩ م ، وارتفعت بالتالي نسبتهم إلى مجموع السكان من ٢٩,٦٪ إلى ٣٤,٥٪ على التوالي . وتحسنت نسبة الطلبة للمعلمين حيث انخفضت من ٢٩ : ١ في العام الدراسي ٧٦/٧٥ إلى ٢٧ : ١ في العام الدراسي ٨٠/٧٩ .

وبالرغم من الزيادة الواضحة التي تحققت خلال هذه الفترة في عدد الطلبة في الفروع الفنية والمهنية في المرحلة الثانوية ، إلا أن نسبتهم إلى مجموع طلبة هذه المرحلة قد انخفضت من ١٣٪ إلى ١٢٪ على التوالي . وبلغ عدد الطلبة في مؤسسات التعليم العالي المتوسط ١٥,٥٨٧ طالبًا في العام الدراسي ٨٠/٧٩ ، منهم ٥٨٩٩ في مؤسسات وزارة التربية والتعليم .

وفي مجال التعليم الجامعي ازداد عدد الطلبة في الجامعة الأردنية من ٥٣٠٧ في العام الدراسي ٧٦/٧٥ إلى ١١,٣٠٠ في العام الدراسي ٨٢/٨١ . وازداد عدد الطلبة في جامعة اليرموك من ٦٤٠ في العام الدراسي ٧٧/٧٦ إلى ٦ (آلاف) في العام الدراسي ٨١/٨٠ . إن تزايد عدد خريجي المدارس الثانوية المستمر ، وإقبالهم على التعليم الجامعي يشكل ضغطًا على متخذي القرارات ، فهم حريصون على استيعاب نسبة معقولة من أولئك الخريجين في التعليم الجامعي ضمن الإمكانات المتاحة مع المحافظة على النوعية ، وتنمية أسلوب التفكير العلمي .

أسهم التعليم في بناء حياة ثقافية حافلة بالنشاط . وجاء إنشاء وزارة الثقافة والشباب تعبيرًا عن قناعة الدولة بأن الأردن يحتاج إلى وضع تخطيط ثقافي صحيح ، يستند إلى فلسفة نابعة من تراب البلد وطموحاته وتفاعله الإيجابي مع العالم المعاصر ، وتياراته الفكرية والإنسانية . وتتبع وزارة الثقافة والشباب ثلاث دوائر هي : دائرة الثقافة والفنون ، ومؤسسة رعاية الشباب ، ومديرية المكتبات والوثائق الوطنية . وتهدف الوزارة بدوائرها إلى إحياء التراث ، وتشجيع الحركة الفكرية ، وتشجيع الحركة الفنية ، وتعهد نزعات الإبداع الفني والعقلي . كما أن ارتباط رعاية الشباب مع الثقافة والفنون في وزارة واحدة أمر له دلالته ، فالأردن يولي العنصر البشري وخاصة الشباب أهمية بالغة ، ذلك أن الشباب يمثلون نسبة كبيرة من السكان ، ويدل على ذلك أن نحو ثلثي السكان تقل أعمارهم عن الرابعة والعشرين .

وقد أشرفت وزارة الثقافة والشباب على وضع الأنظمة الحديثة لتطوير العمل الثقافي وتشجيعه ، مثل نظام جوائز الدولة التقديرية للآداب والفنون ، ونظام نشر الإنتاج الثقافي وتوزيعه ، ونظام المكتبات والوثائق الوطنية ، وواكب ذلك تطوير البرامج الثقافية في مختلف الميادين خاصة فيما يتعلق بعلاقات التبادل العربي والدولي في مجالات الموسيقى ، والفنون الجميلة ، والأدب ، والمهرجانات الفنية ، وثقافة الأطفال ، والتأليف ، والطباعة ، والمسرح ، والأفلام ، والصور الفوتوغرافية ، ونشر الكتب والمعارض المتنوعة .

ولكي تتمكن الوزارة من النهوض بالحركة الفكرية والأدبية ، عقدت عدة لقاءات مع الكتاب والأدباء ، وأقيم معرض الكتاب الأردني ، وشاركت الوزارة في عدد من مؤتمرات الكتاب والأدباء ، ومعارض الكتب العربية والدولية . وبصدور نظام نشر الإنتاج الثقافي وتوزيعه ، باشرت الوزارة طباعة ونشر الكتب لعدد من المؤلفين الأردنيين على نفقتها . كما واصلت الوزارة دعمها المادي والمعنوي لرابطة الكتاب الأردنيين ، ولجمعية المكتبات الأردنية ، وتدريب العاملين ، في حقل المكتبات ، وتشجيع قيام مؤسسات ومنتديات ثقافية لإثراء الحركة الثقافية في الأردن .

الهوامش

١ – موسى سليمان ، الأردن في التاريخ الحديث ، مجلة العمران ، العدد ٦٣ ، دمشق ، ١٩٧٧ ، ص ص ٢١٨ – ٢٢٩ .

د . حسن صالح ، جغرافية السياحة في الأردن . مجلة دراسات الجامعة الأردنية . العدد (٢) ، المجلد (٢) ، (١٩٧٥) .

٢ – د . صلاح بحيري ، جغرافية الأردن . عمان (١٩٧٣) ، ص ٥ .

٣ – جغرافية الأردن ، مرجع سابق ، ص ٢٠ – ٢١ .

٤ – نفس المرجع ، ص ٢٤ .

5 - Schulman' N., The Structural Frame of the Central Jordan Valley. Isr. Jour. Earth Sci. Vol. 12 (1963), pp. 71-72.

6 - (A) Schulman, N., The Cross-Faulted Structure of Tiberias.TIsr. Jour. Ear. Sci. Vol. 15, (1966), pp. 165-169.

(B) Schulman, N., The Qiryat Shemona (Northern Jordan Valley) Basalt ridge: A Tilted Fault Block.

Isr. Jour. Ear. Sci. Vol. 15, (1966), pp. 161-164.

7 - Dubertret, L., Remarques Sur La Fosse De Lâ\Mer Morte et ses prolongements au Nord Jusqu'au Taurus. Rev. Geog. Phys. etde Geol, dyn. Vol. LX, (1967), p. 11.

٨ – د . عبد القادر عابد ، جيولوجية الأردن . عمان (١٩٨٢)، ص ١٣٦ .

9 - Zurdon, D. J., Handbook of the Geology of Jordan. Amman (1959); pp. 44-45.

10 - Quennell, A. M., The Structural and Geomorphic Evolution of the Dead Sea Rift. Quart. Jour. Geol. Soc. Vol. 114, (1956), pp. 1-18.

11 - Zak, I., and Freund, R., Recent Strike slip Movements along the Dead Sea Rift. Isr. Jour. Ear. Sci. Vol. 15, (1966), pp. 33-37.

12 - Picard, L., Structure and Evolution of Palestine and Neighbouring Countries. Jerusalem (1943), pp. 29-51.

13 - Irwin, W., The Salts of the Dead Sea and River Jordan Geog. Jour. Vol. 61, (1923),pp. 428-440.

14 - Picard, L., (1943), Op. Cit. Circular No. 3, pp. 70-71.

15 - Ben Arieh, Y., Some Remarks on the last Stages of Formation of Lake Tiberias. Isr. Jour.

Ear. Sci. Vol. 13, (1964), pp. 53-62.

16 - Saleh, H.A.K., Problems of Water Erosion in the East Jordan Valley. Fac. Arts Jour.

Univ. Jor. May (1971), p.1.

17 - Schattner, I., The Lower Jordan Valley. Jerusalem (1962), p. 25.

١٨ – د . حسن رمضان سلامة ، منطقة عجلون : دراسة جيومورفولوجية . مجلة دراسات / الجامعة الأردنية . المجلد (٨) ، العدد (١) ، (١٩٨١) ، ص ١٧٤ – ١٧٥ .

١٩ – جغرافية الأردن ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

٢٠ – نفس المرجع ، ص ١٧ .

٢١ – إبراهيم الزقرطي ، أثر المناخ على الزراعة في الضفة الشرقية للأردن . رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة لجامعة القاهرة عام ١٩٧٨م .

22 - National Resources Authority, National Water Master Plan of Jordan. Vol. 13. Amman (1977). Annex 111

A-2.4 and Annex 111 A-4.6

23 - Ibid, Annex 111 A-3.2

٢٤ – دائرة المطبوعات والنشر ، مسيرة ربع قرن مع ملك وشعب (١٩٥٢ – ١٩٧٧) ، عمان (١٩٧٧) ، ص ١٧١ .

٢٥ – المجلس القومي للتخطيط ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٨١ – ١٩٨٥) عمان (١٩٨٠) ، ص ٨٤ .

٢٦ – د . حسن صالح ، موارد المياه الجوفية في الأردن . مجلة البحوث العربية ، القاهرة (١٩٧٨) ، ص ١١٩ .

٢٧ – د . حسن صالح ، جغرافية الأردن الطبيعية ، مجلة العمران (عدد خاص عن الأردن) ، العدد (٦٣) دمشق (١٩٧٧) ، ص ٤٣ – ٤٥ .

28 - (A) Harrison, D.L., The Mammals of Arabia, Vol. 1, London (1964).
(B) Brdyan, N., Azraq Desert Oasis. London (1966).

٢٩ – أنطون البندك ، الأحياء البرية وصيدها في الأردن . مجلة الريم ، العدد (٥) تموز (١٩٨١ م) ، ص ٢ – ٤ .

٣٠ – أدهم الجندي ، تاريخ القبائل العربية في الأردن : أصل القبائل ، ونسبها ، وهجراتها ، وعاداتها ، وأماكن تواجدها . مجلة العمران ، العدد (٦٣) ، (عدد خاص عن الأردن) ، دمشق (١٩٧٧) ص ١١٠ – ١٢٢ .

٣١ – عبد المنعم أبو نوار ، التكوين السكاني في الأردن ، وعلاقته بسوق العمل . مشروع الثقافة السكانية ، وزارة العمل الأردنية ، عمان (١٩٨١) ، ص ١٧٠ – ١٨٠ .
٣٢ – د . حرب الحنيطي ، الارتباط المكاني : تطويره وبرمجته وجوانب من تطبيقه . الجمعية الجغرافية الكويتية نشرة (٢٦) (١٩٨١) ، ص ٢٢ – ٢٣ .
٣٣ – (أ) دائرة الإحصاءات العامة ، تعداد السكان في المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٦١ .
(ب) دائرة الإحصاءات العامة ، تعداد السكان في المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٧٩ .
٣٤ – د . حسن صالح ، مدينة عمان ، دراسة جغرافية . عمان (١٩٨٠) ، ص ٧١ – ٧٨ .
٣٥ – د . جواد العناني ، د . تيسير عبد الجابر ، تجربة الأردن وسياساته حول انتقال القوى العاملة . مشروع الثقافة السكانية – وزارة العمل الأردنية . عمان (١٩٨١) ، ص ١٤٠ .
٣٦ – نفس المرجع ، ص ١١٩ وحربي البنوي وسليم أبو الشعر ، حوالات العاملين في ضوء واقع هجرة الأردنيين إلى الخارج . البنك المركزي . الأردني ، عمان (١٩٨٢) .
٣٧ – (أ) المجلس القومي للتخطيط ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٧٣ – ١٩٧٥) . عمان (١٩٧٢) .
(ب) المجلس القومي للتخطيط ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٧٦ – ١٩٨٠) عمان (١٩٧٥) .
٣٨ – البنك المركزي الأردني ، النشرة الإحصائية الشهرية ، المجلد (١٨) العدد (٣) دائرة الأبحاث والدراسات آذار (١٩٨٢) ، جدول رقم (٤٤) .
٣٩ – نفس المرجع ، ص ٦٥ – ٧٠ .
٤٠ – مسيرة ربع قرن مع ملك وشعب (١٩٥٢ – ١٩٧٧) ، مرجع سابق ، ص ٣٤ – ٣٨ .

المصادر والمراجع العربية :

١ - إبراهيم الزقرطي ، أثر المناخ على الزراعة في الضفة الشرقية للأردن . رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة القاهرة عام ١٩٧٨م .

٢ - أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي ، فتوح الشام . ص ٦٥ - ٦٨ .

٣ - أدهم الجندي ، تاريخ القبائل العربية في الأردن : أصل القبائل ، ونسبها وهجراتها ، وعاداتها ، وأماكن تواجدها . مجلة العمران ، العدد (٦٣) (عدد خاص عن الأردن) .

٤ - الجنرال ا . أكرم ، سيف الله خالد بن الوليد . ترجمة العميد الركن صبحي الجابي . بيروت (١٩٧٩) ص ١٠٣ - ١٠٧ .

٥ - أنطون البندك ، الأحياء البرية وصيدها في الأردن . مجلة الريم ، العدد (٥) تموز (١٩٨١) .

٦ - البنك المركزي الأردني ، النشرة الإحصائية الشهرية ، المجلد (١٨) العدد (٣) دائرة الأبحاث والدراسات آذار (١٩٨٢م) ، جدول رقم (٤٤) .

٧ - جون باجوت غلوب ، الفتوحات العربية الكبرى . تعريب وتعليق خيري حماد بغداد (١٩٦٣) ص ٣١ - ٣٨ .

٨ - د . جواد العناني ، د . تيسير عبد الجابر ، تجربة الأردن وسياساته حول انتقال القوى العاملة ، مشروع الثقافة السكانية - وزارة العمل الأردنية . عمان (١٩٨١م) .

٩ - د . حسن صالح ، جغرافية السياحة في الأردن . مجلة دراسات الجامعة الأردنية العدد (٢) المجلد (٢) ، (١٩٧٥) .

١٠ - د . حسن صالح ، موارد المياه الجوفية في الأردن . مجلة البحوث العربية . القاهرة (١٩٧٨) .

١١ - د . حسن صالح ، جغرافية الأردن الطبيعية ، مجلة العمران (عدد خاص

عن الأردن) ، العدد (٦٣) دمشق (١٩٧٧) .
١٢ – د . حسن صالح ، مدينة عمان ، دراسة جغرافية . عمان (١٩٨٠) .
١٣ – د . حسن رمضان سلامة ، منطقة عجلون : دراسة جيومورفولوجية ، مجلة دراسات الجامعة الأردنية . المجلد (٨) ، العدد (١) ، (١٩٨١) .
١٤ – حرب الحنيطي ، الارتباط المكاني : تطويره وبرمجته وجوانب من تطبيقه . الجمعية الجغرافية الكويتية نشرة (٢٦) ، (١٩٨١) .
١٥ – جربي البنوي وسليم أبو الشعر ، حوالات العاملين في ضوء واقع هجرة الأردنيين إلى الخارج . البنك المركزي الأردني ، عمان (١٩٨٢) .
١٦ – د . عبد القادر عابد ، جيولوجية الأردن . عمان (١٩٨٢) ، ص ١٣٦ .
١٧ – عبد المنعم أبو نوار ، التكوين السكاني في الأردن ، وعلاقته بسوق العمل ، مشروع الثقافة السكانية ، وزارة العمل الأردنية ، عمان (١٩٨١) .
١٨ – د . صلاح بحيري ، جغرافية الأردن . عمان (١٩٧٣) ، ص ٥ .
١٩ – دائرة المطبوعات والنشر ، مسيرة ربع قرن مع ملك وشعب (١٩٥٢ – ١٩٧٧) ، عمان (١٩٧٧) .
٢٠ – دائرة المطبوعات والنشر ، وزارة السيد مضر بدران في عامها الثالث (١٩٧٦ – ١٩٧٩) .
٢١ – دائرة الإحصاءات العامة ، تعداد السكان في المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٦١ .
٢٢ – دائرة الإحصاءات العامة ، تعداد السكان في المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٧٩ .
٢٣ – المجلس القومي للتخطيط ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٧٣ – ١٩٧٥) عمان (١٩٧٢) .
٢٤ – المجلس القومي للتخطيط ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٧٦ – ١٩٨٠) عمان (١٩٧٥) .

٢٥ – المجلس القومي للتخطيط ، خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية (١٩٨١ – ١٩٨٥) عمان (١٩٨٠) ، ص ٨٤ .

٢٦ – محمود الدرة ، تاريخ العرب العسكري . بيروت (١٩٦٤) ص ١٧١ – ١٧٤ .

٢٧ – موسى سليمان . الأردن في التاريخ الحديث ، مجلة العمران ، العدد ٦٣ ، دمشق ١٩٧٧ .

المصادر والمراجع الأجنبية :

1 - Ben Arieh, Some Remarks on the Last Stages of Formation of lake Tiberias. Isr. Jour Ear. Sci. Vol. 13, (1964), pp/53-62.

2 - Burdon, D. J. Handbook of the Geology of Jordan. Amman,(1959). pp. 44-45.

3 - Bryan, N., Azraq Desert Oasis. London (1966).

4 - Dubertret, L. Remarquse surle Fosse de la Mer Morte et Ses probongements au Nord Jusqu'au Taurus. Rev. Geog. Phys., et de Geol., dyn. Vol. I. X, (1967), p. 11.

5 - Harrison, D. L., The Mammals of Arabia, Vol. 1, London (1964).

6 - Irwin, W., The salts of the Dead Sea and River Jordan Geog. Jour, Vol 61, (1923). pp. 428-440.

7 - National Resources Authority, National Water Master Plan of Jordan. Vol. 13. Amman (1977). Annex 111 A-2.4 and Annex 111 A- 4.6.

8 - Picard. L., Structure and Evolution of Palestine and Neighbouring Countries. Jerusalem (1943), pp. 29-51.

9 - Quernell, A. M., The Structural and Geomorphic Evolution of the Red Sea Rift. Quart. Jour. Geol. Soc. Vol. 114, (1956), pp 1-18.

10 - Saleh. H. A. K., Problems of Water Erosion in the East Jordan Valley. Fac. Arts Jour. Univ. Jor. may (1971), p. 1.

11 - Schulman, N. The stuctural Frame of the Central Jordan Valley. Isr. Jour. Earth Sci. Vol. 12 (1963) pp. 71-72.

12 - Schulman, N. The Qiryat Shemona (Northern Jordan Valley) Basalt ridge: A- titled Fault block. Isr. Jour. Ear. Sci. Vol. 15, (1966), pp. 161-164.

13 - Schulman, N. The crosc-Faulted Structure of Tiberias. Isr Jour. Ear. Sci. Vol. 15, (1966) pp. 165-169.

14 - Schsttner, I., The Lower Jordan Valley. Jerusalem (1962), p. 25.

15 - Zak, I., And Freund, R., Recent Strike Slip Movements along the Dead Sea Rift. Isr. Jour. Ear. Sci. Vol. 15, (1966), pp. 33-37.

فهرس الجداول

ملحق إحصائي

« المملكة الأردنية الهاشمية »

١ - المساحة :	٩١٨٨٠كم[٢] .
٢ - السكان في (١٩٩١) :	
- حجم السكان .	٣٤١٢٥٥٣ نسمة .
- معدل نمو السكان .	٤,٢ ٪ .
- معدل المواليد .	٤٦ في الألف .
- معدل الوفيات .	٥ في الألف .
- معدل صافي الهجرة .	واحد فى الألف .
- توقع الحياة عند الولادة .	٧٠ عاما للذكور و٧٣ عاما للإناث .
- معدل خصوبة الإناث .	٧,١ طفلًا للأنثى خلال حياتها .
- التركيب العرقي .	٩٨٪ عرب ، ١٪ أرمن ، ١٪ جنسيات أخرى .
- الوضع التعليمي .	٨٠٪ يقرؤون ويكتبون .
٣ - القوة العاملة في (١٩٨٨م) :	
- إجمالي القوة العاملة .	٥٧٢,٠٠٠ عامل .
- القوة العاملة في قطاع الزراعة .	٢٠٪
- القوة العاملة في قطاع الصناعة .	٢٠٪
- القوة العاملة في القطاعات الأخرى .	٦٠٪
٤ - المدن الرئيسة في (١٩٨٦م) :	
- عَمّان .	٩٧٢,٠٠٠ نسمة .
- الزرقاء .	٣٩٢,٢٢٠ نسمة .

- إربد . ٢٧١,٠٠٠ نسمة .

٥ - نسبة سكان الحضر إلى سكان الدولة (١٩٨٩م):

- درجة التحضر . ٦٦,٣٪

٦ - معدل نمو سكان الحضر (١٩٨٩م) : ٥,٣٪ سنويًّا

٧ - الموارد الطبيعية :

الفوسفات ، البوتاس .

٨ - مشكلات البيئة الطبيعية :

شح الموارد المائية ، انحسار الغطاء الشجري ، الرعي الجائر ، تعرية التربة والتصحر .

٩ - استخدامات الأرض (١٩٩١م) :

- الأراضي الصالحة للزراعة . ٤٪
- الأراضي المزروعة فعلًا . ٠,٥٪
- الأراضي الخضراء والمراعي . ١٪
- الغابات والأشجار المنتجة للأخشاب . ٠,٥٪
- استخدامات أخرى . ٩٤٪
- إجمالي الاستخدامات . ١٠٠٪

١٠ - صافي الناتج المحلي GDP في (١٩٩٠م) :

- صافي الناتج المحلي . ٤,٦ بليون دولار أمريكي .
- إسهام الزراعة في صافي الناتج المحلي . ٥٪
- إسهام الصناعة في صافي الناتج المحلي . ٢٠٪

١١ - متوسط دخل الفرد السنوي (١٩٩٠م) : ١٤٠٠ دولار أمريكي .

١٢ - معدل التضخم السنوي (١٩٩٠م) : ١٥٪

١٣ - إنتاج المحاصيل الرئيسة : بآلاف الأطنان المترية في (١٩٨٨م) :

- القمح . ٨٠
- الشعير . ٤٠
- البرتقال . ٤٠

– الموالح الأخرى .	٩٤
– زيت الزيتون .	٣٠
– الطماطم .	٢٠٠
– البطيخ .	٦٠
– البطاطس .	٦٢

١٤ – الثروة الحيوانية بآلاف الرؤوس في ١٩٨٨م:

– الخيول .	٣
– البغال .	٣
– الحمير .	١٩
– الأبقار .	٢٩
– الجمال .	١٤
– الأغنام .	١٢٢٠
– الماعز .	٤٦٠
– الدواجن .	٦٠,٠٠٠

١٥ – صيد الأسماك بآلاف الأطنان المترية في (١٩٨٧) : ٧٠

١٦ – المعادن الرئيسة بآلاف الأطنان المترية في (١٩٨٧م):

– الفوسفات .	٦٨٤٥,٤
– البوتاس .	١٢٠٣,٢
– الحديد	٢١٧

١٧ – أهم المنتجات الصناعية بآلاف الأطنان المترية (مالم يذكر غير ذلك) في (١٩٨٧م) :

– منتجات النفط .	٢٤٠٤,٥
– الكيماويات ..	١١٠٣,٢

- الأسمدة .	٦٠٤
- الأسمنت .	٢٣٧١,٦
- الكهرباء (مليون كيلوواط ساعة) .	٣١٢٣,٨

١٨ - الصادرات الرئيسة (١٩٩٠م) :

الفاكهة والخضراوات ، الأسمدة والفوسفات .

١٩ - الواردات الرئيسة (١٩٩٠م) :

النفط الخام ، المنسوجات ، السيارات والمواد الغذائية .

٢٠ - النقل والمواصلات (١٩٩٠م) :

- أطوال السكك الحديدية .	٦١٩ (كلم)
- أطوال الطرق السريعة .	٧٥٠٠ (كلم)
- أطوال أنابيب النفط .	٢٠٩ (كلم)
- عدد وحدات النقل البحري .	٢
- عدد الطائرات المدنية .	١٩
- عدد المطارات المدنية .	١٩
- عدد الهواتف .	٨١,٥٠٠

- أهم الموانئ : العقبة .

المراجع والمصادر

١ – الآفاق العالمية المتحدة ، (١٩٩١م) المعلومات ، ط ١ . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي .

٢ – صندوق النقد العربي ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، (١٩٩٠م) : التقرير الاقتصادي العربي الموحد .

3 - The Middle East and North Africa, (1991): 37 th Edition, London: Europa Publications Ltd.

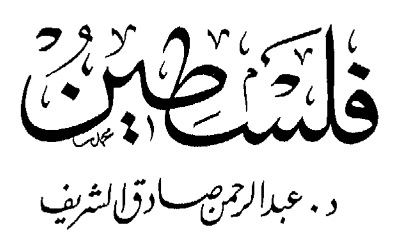
4- The World Factbook, (1991): Central Intelligence Agency. Washington, DC.

5 - The World Bank, (1990): Social Indicators of Development, London: The John Hopkins University Press.

6 - Department of International Economic and Social Affaurs of the U.N., (1990): World Population Charter, New York.

7 - Brian, Hunter: The Statesman's Year Book- Statistical and Historical Annual of the States of the World for the Year 1992-1993.

فهـــرس الأشكال


فلسطين
د. عبد الرحمن صادق الشريف

المحتويات

لمحة تاريخية

تشغل فلسطين الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام أو سوريا الكبرى ، التي تشكل الجناح الغربي من إقليم الهلال الخصيب ، وتاريخها مرتبط بتاريخ هذه المناطق التي تعتبر من أقدم الجهات التي عمرها الإنسان واستقر فيها .

وقد دلت الحفريات على أن فلسطين مرت بالعصور الحجرية القديمة ، وعاش فيها « إنسان الكرمل » فيما بين ٥٠٠٠٠ - ١٠٠٠٠٠ سنة ق . م .[١] ، وبالعصور الحجرية المتوسطة والحديثة ، وعاش فيها « إنسان البحر المتوسط » الذي أنشأ بعد اختلاطه بالموجات البشرية القادمة من الجزيرة العربية حضارات متعددة ، عمل أفرادها في الرعي والزراعة وصيد البر والبحر ، مثل حضارة النطوف وحضارة الغسول وحضارة جازر[٢] .

وتعرضت فلسطين وما جاورها منذ فجر التاريخ لتردد الموجات البشرية السامية من شبه الجزيرة العربية على دفعات منها: موجة العموريين في منتصف الألف الرابع ق . م .[٣] ، وموجة الكنعانيين خلال الألف الثالث ق . م . ، التي ينتمي إليها اليبوسيون والفينيقيون[٤] ، وموجة الآراميين قبيل الألف الثاني ق . م . ومنهم في فلسطين : العمالقة والفرزيون[٥] ، كما جاءت في هذه الأثناء موجة الفلسطينيين عن طريق البحر من كريت[٦] .

كما تعرضت المنطقة لموجات من الغزو لم تستقر طويلا فيها مثل : الهكسوس والحيثيين ، والحوريين ، واليونانيين ، والروم[٧] . وكذلك الغزو العبري في نحو عام ١٢٦ ق . م .[٨] ، والغزو الأشوري الذي قضى عليه . إلا أن جمهرة شعب فلسطين كانت تنحدر من القادمين من الجزيرة العربية . وقد بقي تاريخهم متصلا منذ أقدم الأزمنة كجزء من تاريخ شعب بلاد الشام . ولذلك فإنه بالإمكان أن يقسم تاريخ فلسطين إلى قسمين ، يصل بينهما الانطلاقة العربية الإسلامية في القرن الأول الهجري ، حيث أصبحت فلسطين ، منذ الفتح الإسلامي وحتى جاء الغزو الصهيوني الاستيطاني الحديث جزءا لا يتجزأ من الأمة العربية الإسلامية .

مكانة فلسطين وأهميتها الإسلامية :

تضم أرض فلسطين المسجد الأقصى ، وهو من المعالم الإسلامية المهمة ، باعتباره أولى القبلتين وثالث الحرمين ، فضلا عن أن القدس كانت مسرى النبي ﷺ . وقد واصل أبو بكر رضي الله عنه الجهود لإنجاز ما بدأه الرسول ﷺ ، فسير أربعة جيوش إلى الشام ، وحدد لكل جيش وجهته وميدانه ، وأمر عمرو بن العاص أن يسلك طريق آيلة إلى فلسطين وكانت أولى معارك المسلمين مع الروم بأرض فلسطين عند وادي عربة ، وقد انتصر المسلمون فيها وتقهقر جيش الروم نحو غزة وذلك في سنة ١٣هـ (٦٣٤م)[٩] .

وقد أحس المسلمون بعد سلسلة من الوقائع في فلسطين وشرقي الأردن مع الروم ، بحاجتهم إلى التجمع في جيش موحد . فكانت معركة اليرموك التي دارت في عام ١٥هـ / ٦٣٧م ، بقيادة خالد بن الوليد التي انتصر فيها المسلمون انتصارا حاسما ، ومن ثم انطلقت الجيوش تحت القيادات التي عينها عمر نحو سائر أرجاء الشام فتوجه عمرو بن العاص ثانية بجيشه لفتح فلسطين ، ووقعت معركة أجنادين الفاصلة قرب تل الصافي . وقد انتصر فيها المسلمون وتراجع جيش الروم نحو إيلياء . غير أن المسلمين استطاعوا عزل إيلياء أي بيت المقدس عن معظم الجهات ، وتمكنوا من تحرير أراضي فلسطين الجنوبية والجنوبية الشرقية من أيدي الروم . وحينما حاصر المسلمون إيلياء عام ١٧هـ / ٦٣٨م ، اشترط قائد حاميتها ألا يسلم مفاتيح المدينة إلّا للخليفة عمر بن الخطاب نفسه ، واستجاب عمر وحضر واستلمها وقد أطلق المسلمون على إيلياء بعد الفتح اسم « بيت المقدس » أو « القدس »[١٠] .

أما المدن الساحلية فقد أتاح لها موقعها أن تتلقى إمدادات الروم من البحر وتستمر في المقاومة ، غير أن قيسارية استسلمت في عام ١٩هـ (٦٣٩م) على يد معاوية بن أبي سفيان واستسلمت بعد ذلك عسقلان . وتتابع فتوح مدن الساحل الفلسطيني في عام ٢٠هـ (٦٤٠م) وهكذا استغرق فتح فلسطين زهاء سبع سنوات[١١] .

وقد غدت الأرض الفلسطينية قاعدة لانطلاق جيوش المسلمين نحو الشمال والغرب والجنوب الغربي ، إذ توجه عمرو بن العاص لفتح مصر من الأراضي الفلسطينية ، سالكا الطريق الساحلي الذي كان ممرا لقوافل التجارة قبل الإسلام ، واتخذ المسلمون موانئ

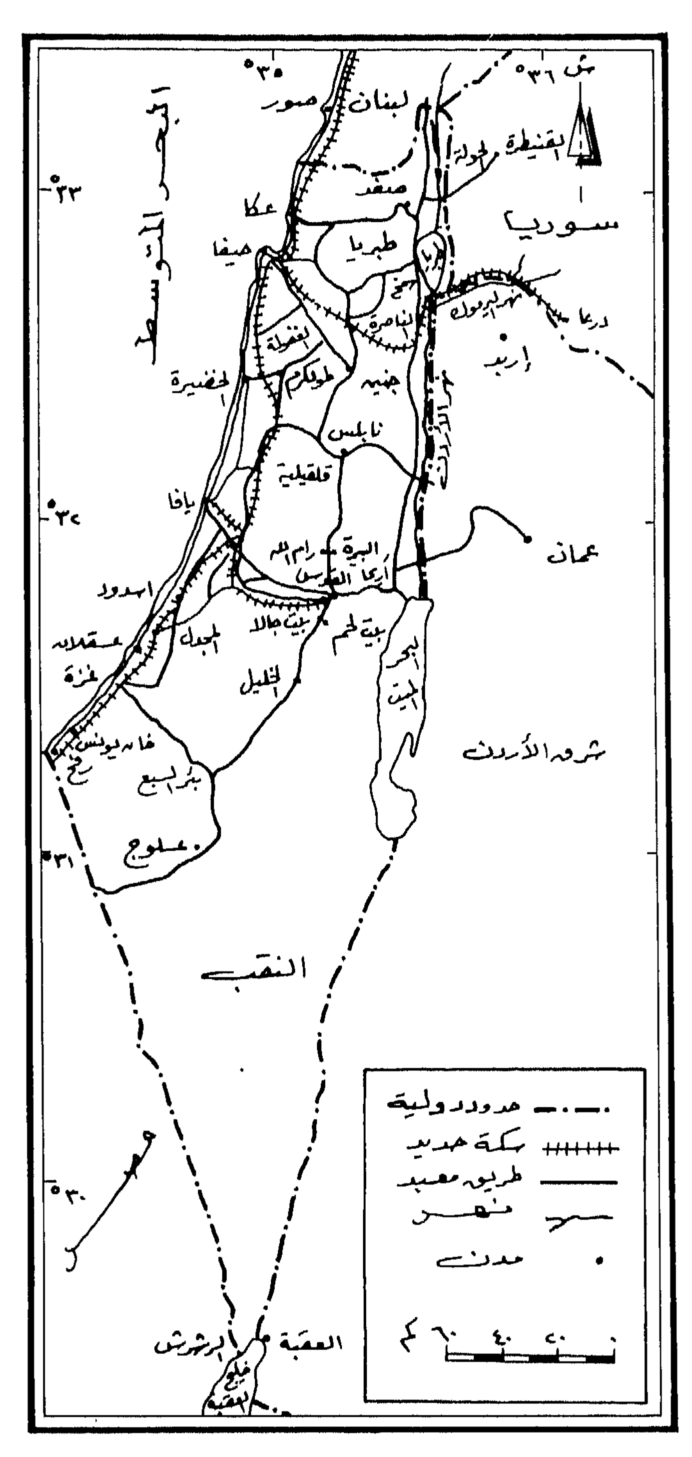
فلسطين قواعد لسفنهم المتجهة لفتح جزر البحر المتوسط .

ومنذ ذلك الوقت أصبح معظم سكان فلسطين من العرب المسلمين ، وقد استمر هذا الوضع طيلة أربعة عشر قرنا من الزمان بقيت خلالها فلسطين بلدا عربيا خالصا شعبا ولغة وديانة ، وكانت تشكل مقاطعة صغيرة في دولة من الدول العربية المتعاقبة ، فتبعت الحكم المركزي في المدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة وإسطنبول رغم تعرضها للعديد من حوادث الغزو والاجتياح ؛ مثل الغزو المغولي والغزو الصليبي ، وأخيرا الغزو الصهيوني الاستيطاني الذي يعمل جاهدا على تفريغ البلاد من سكانها العرب واستبدال المهاجرين اليهود القادمين من مختلف أركان المعمورة بهم .

ولا شك أن كثيرا من حقائق جغرافية فلسطين (شكل ١) قد تأثر بالتغيرات السياسية التي طرأت على هذه المنطقة خلال المائة سنة الأخيرة خاصة الغزو الاستيطاني المذكور ، وقيام الكيان الصهيوني وتفريغ البلاد من سكانها الأصليين . ولذلك فإن الأمر يقتضي إيراد نبذة عن القضية الفلسطينية تتمثل فيمايلي :

الصهيونية والغزو الصهيوني لفلسطين : تنسب الصهيونية Zionism إلى صهيون وهو أحد الجبال التي تقوم عليها مدينة القدس القديمة ، وكان غرض اليهودية العالمية من الانتساب إليه إثارة الشعور الديني والعنصري بين يهود العالم[١٢] ، وتعتقد الصهيونية بضرورة تكوين مجتمع يهودي يحكم نفسه في فلسطين ويحقق أمل اليهود بالعودة إلى الأرض المقدسة . فهي بذلك حركة عنصرية استعمارية أصبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة العرقية[١٣] وزعمت أن الشعب اليهودي يكوّن عرقا نقيا ، ونادت بحل المشكلة اليهودية عن طريق دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين ، زاعمة أن لهم حقوقا تاريخية ودينية فيها ، وتلاقت هذه المطامع الاستيطانية بأهداف الاستعمار الرامية إلى إيجاد قواعد ثابتة له في المشرق العربي عن طريق إقامة دولة يهودية في فلسطين ، وذلك بإرهاب وطرد شعبها العربي الأصيل وإيجاد بؤرة عداء ومصدر صراع دائم في المنطقة .

فالصهيونية عقيدة وفكرة قديمة تتصل بتاريخ اليهود ودينهم ومعتقداتهم ، إذ إنها تستند إلى واقع تاريخ اليهود ، مجموعات وأقليات منبوذة عزلت نفسها عن المجتمعات التي تعيش



شكل - ١ - فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

في كنفها داخل أحياء خاصة تعرف بالجيتو Ghettos ، وتعرضت بالتالي للاضطهاد من قبل تلك المجتمعات . إلا أن رواج مفهوم القوميات في أوروبا في القرن التاسع عشر الذي أدى إلى ظهور حركات قومية في إيطاليا وألمانيا والبلقان وغيرها أعطى للفكرة الصهيونية شكلها التنظيمي والعلني ، وقد تبلورت الفكرة الصهيونية لتتضمن ما يأتي[١٤] :

١ - إن الاضطهاد الدائم ليهود العالم في كل العصور وفي جميع المجتمعات واستحالة عيش اليهود حياة متكاملة وهم متفرقون في تلك المجتمعات يحتم أن تجمعهم دولة واحدة .

٢ - إن مفهوم « الشعب اليهودي » هو أن اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعبا واحدا ينتمي إلى أصل واحد مرجعه أرض فلسطين وليس مجرد مجتمعات دينية متفرقة في العالم .

٣ - إن مفهوم « شعب الله المختار » يعني أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح وقد أدى هذا المفهوم إلى انعزالهم عن المجتمعات الأخرى وجعلهم فئات متعصبة منغلقة على نفسها[١٥] .

٤ - إن مفهوم « الحق التاريخي » للشعب اليهودي في أرض فلسطين ، يعني أنه يجب أن تقوم دولتهم ، ولا يحق لأي فئة احتلال فلسطين ، وإنما هي حق لليهود وحدهم[١٦] .

٥ - يجب على جميع يهود العالم دعم المقصد القومي الصهيوني .

لعبت هذه الأفكار دورا أساسيا في التمهيد لإنشاء الكيان الصهيوني . فعلى أساسها نشأت المنظمات الصهيونية المختلفة ، وحولها عقدت المؤتمرات الصهيونية التي رسمت سياستها . ويعتبر المؤتمر الصهيوني الأول ذروة هذه النشاطات ، وهو المؤتمر الذي عقد برئاسة تيودور هيرتزل (T.Hertzle) في مدينة بال بسويسرا خلال الفترة ٢٩ - ٣١ آب عام ١٨٩٧م / ١٣١٥هـ ، وكان نقطة التحول في الحركة الصهيونية من مرحلة الأفكار إلى مرحلة العمل والإنجاز لترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين ؛ إذ قرر المؤتمرون إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وأقروا علم الدولة المنتظرة ونشيدها القومي ، وحددوا خطوات التنفيذ بتشجيع الاستيطان بفلسطين ، ورسموا هيكل الوكالة اليهودية التي ستتولى تنظيم يهود العالم[١٧] .

وقد أقامت الحركة الصهيونية جمعيات صهيونية في أوروبا وأمريكا أعلنت تعاطفها مع المنظمة الصهيونية العالمية ، وعملت على خلق أدوات الاستعمار الصهيوني المنظم ومنها : المصرف اليهودي للمستعمرات ، والصندوق القومي اليهودي ، ولجنة الاستعمار ، ومكتب فلسطين ، وشركة تطوير الأراضي[١٨] .

ومع أن قادة الصهيونية ركزوا جهودهم أولا على العثمانيين الذين كانوا يحكمون فلسطين إلا أنهم فشلوا في الحصول على موافقة السلطان العثماني على منح اليهود امتيازات دينية تتيح لهم شراء الأراضي وتيسر لهم الهجرة فاتجهوا إلى الدول الأوربية الاستعمارية للحصول على مباركتها ومساعدتها .

ولما كانت الصهيونية حركة استعمارية بطبيعتها ، فقد عد زعماؤها استيطان اليهود لفلسطين امتدادا للإمبريالية الأوروبية[١٩] . فاستمالوا قادة تلك الدول لتأييد مطالبهم بل تبنيها بسبب توافق المصالح والأهداف . خاصة بريطانيا التي كانت تحاول في تلك الفترة إيجاد جبهة استعمارية موحدة تضم بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وأسبانيا لتحاشي الصدام فيما بينها ، وللوقوف أمام ألمانيا وحليفاتها ، وتقطع الطريق على حركات استقلال المستعمرات . يدل على صحة ذلك ما ورد في تقرير اللجنة التي ألفها رئيس وزراء بريطانيا هنري كامبل بانرمان **(H.C.Bannerman)** من خبراء الدول المذكورة في سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، لدراسة مصير الاستعمار الغربي ؛ حيث أكد التقرير أن الخطر الذي يهدد الاستعمار الغربي يكمن في البحر المتوسط الذي يعتبر شريانا حيويا للمصالح الأوربية المشتركة ، والذي يقيم على سواحله الشرقية والجنوبية شعب واحد تتوافر له مقومات الترابط والاتحاد ، ويمتلك بذور النزعات التحررية ، كما يمتلك في أراضيه كنوزا وثروات تتيح لأهله مجال التقدم والرقي . وأوصى التقرير لمواجهة هذا الخطر بأن تعمل الدول الأوربية على محاربة أي اتحاد يقوم بين أجزائها . كما أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي عن الآسيوي ، واقترح إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط بينهما ، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار ومعادية لسكان المنطقة[٢٠] . وقد انسجمت

هذه السياسة مع مطامع الصهيونية في إيجاد دولة لليهود في فلسطين ، تمتد حدودها في مراحل تاريخية تالية من النيل إلى الفرات . بل يمكن القول إن المؤتمرين تأثروا بالأفكار الصهيونية .

دور بريطانيا في إنشاء الكيان الصهيوني :

على ضوء هذه التوصيات سارت سياسة الدول الاستعمارية بزعامة بريطانيا في المنطقة العربية ، وعلى هديها يمكن تفسير مواقفها تجاه جميع القضايا العربية ، ويوضح محتواها التقاء فكرة الصهيونية مع مصالح الاستعمار . وقد كشف عن هذه السياسة بجلاء صدور وعد بلفور ، وهو تصريح سياسي صدر عن وزير خارجية بريطانيا موجها إلى روتشيلد أحد زعماء الصهاينة في ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م وينص على[٢١] : « إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لا يجوز عمل شيء قد يغير الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلاد غيرها » .

وبعد تصريح بلفور بعام واحد انتهت الحرب العالمية الأولى ، وحظيت بريطانيا بإقرار الدول الاستعمارية وعصبة الأمم بانتدابها على فلسطين وموافقتها على إنشاء الوطن القومي اليهودي . وقد التزمت بريطانيا بكل دقة سياسة تهويد فلسطين إذ عينت هربرت صموئيل (H.Samuel) أول مندوب سام لها على فلسطين ، وشكلت الإدارة المدنية[٢٢] ، ووضعت في عهد صموئيل التشريعات التي تضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي . واعترفت بوكالة يهودية لإسداء النصح والمشورة إلى إدارة الانتداب في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية ، وقررت أن تكون اللغات : الإنجليزية والعربية والعبرية لغات فلسطين الرسمية ، وسهلت هجرة اليهود ، ويسرت الاستيلاء على الأراضي الأميرية والأراضي الموات[٢٣] .

وأثناء الحرب العالمية الثانية تنكرت بريطانيا ودول الحلفاء لوعودها للعرب وأخذت

تتسابق إلى إرضاء الصهيونية وكسب ودها متذرعة بمأساة اليهود في ألمانيا . وكانت الولايات المتحدة قد خرجت من الحرب أقوى دولة في العالم واحتلت موقعها زعيمة للمعسكر الاستعماري ، وسعت لبسط نفوذها على كل مكان في العالم ولو على حساب حلفائها ، فوجدت في إيجاد الكيان الصهيوني بمساعدتها مدخلا لها ورأس جسر ثابتا لامتدادها .

وقد أعطت حكومة الانتداب امتيازات توليد الطاقة الكهربائية واستغلال أملاح البحر الميت والأسمنت والزيوت النباتية لليهود ، وفرضت حماية جمركية لصالح منتوجاتهم في حين شجعت استيراد الحبوب والحاصلات التي ينتج مثلها العرب . حدث كل ذلك رغم رفض العرب لهذه السياسية ومقاومتهم السلمية ثم المسلحة لها ، حتى وصل الأمر في سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م إلى وضع رأت فيه بريطانيا وجود « مجتمعين » في فلسطين لا يقبلان المصالحة ، واقترحت تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة لليهود وأخرى للعرب .

وقد أعربت بريطانيا في سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م عن عجزها عن إدارة شؤون البلاد وعن رغبتها في إنهاء الانتداب ، وتركت المسألة للأمم المتحدة التي صوت جُلُّ أعضائها إلى جانب تقسيم فلسطين ، بحيث تمنح دولة اليهود ٦٠٪ من أرض فلسطين ، رغم أن نسبة اليهود لم تزد إلى ذلك التاريخ عن ٣٢٪ من مجموع السكان ، ولم تزد مساحة الأرض التي استولوا عليها على ١٠٪ مما خصص لهم قرار التقسيم .

ولما كانت بريطانيا قد أعلنت انسحابها من فلسطين في ١٥ / ٥ / ١٩٤٨م ، فإنها تركت الأمر مهيئا للحل العسكري بصورة لا تكافؤ فيها ، إذ إن العصابات الصهيونية المدربة التي ازدادت تدريبا خلال الحرب العالمية الثانية ، والمسلحة أحسن تسليح بعلم وتخطيط سلطة الانتداب ، والممولة من الصندوق القومي اليهودي ، بدأت تتوسع وتطرد السكان العرب وتخطط لإدارة جميع المقاطعات التي قامت فيها المستعمرات حتى ولو كان الفلسطينيون يشكلون الأكثرية فيها قبل انسحاب بريطانيا . فتداعى المواطنون العرب ، الذين حرم عليهم التدريب والتنظيم من قبل الانتداب والذين يعانون الفقر والحرمان ،

تداعوا إلى الكفاح لإفشال المخططات الصهيونية ، ودعوا العرب إلى مساعدتهم ، ولبت الدول العربية الدعوة بإرسال قوات رمزية ليست ندا للعصابات الصهيونية ، ومع ذلك فقد اشترطت تجريد المناضلين العرب من أسلحتهم وإخلائهم ميدان المعارك[٢٤] .

وسرعان ما أثبتت العصابات الصهيونية تفوقها العسكري على العرب ، خاصة أن بريطانيا أتاحت للعصابات الاستيلاء على معظم مخازن ومعسكرات الجيش البريطاني . ولذلك فرض على الدول العربية المواجهة لفلسطين توقيع اتفاقيات الهدنة سنة ١٩٤٩ م ، والتي سيطر اليهود بموجبها على ٧٧٪ من مساحة فلسطين[٢٥] ، وطردوا وشردوا سكانها العرب فتحولوا إلى لاجئين في الأجزاء المتبقية من أرض فلسطين وهي : الضفة الغربية التي ضمت للأردن ، وقطاع غزة الذي خضع للإدارة المصرية ، أو في الدول العربية الأخرى . وقد ضمت إسرائيل خلال اعتداءاتها المتكررة وتوسعها في المناطق الحرام في السنوات التالية نحو ٢٪ من مجموع مساحة فلسطين . وبذلك أصبحت تسيطر على ما يقرب من ٧٩٪ من إجمالي المساحة .

سياسة التوسع لدى الكيان الصهيوني :

كانت الادعاءات الإسرائيلية بالنسبة للأراضي التي تتجاوز ما أعطاها إياه مشروع الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين ، والتي وافق عليها قادة الصهيونية ضعيفة طبقا للقانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ومنظماتها ، وضعيفة في التنفيذ الواقعي . لكنها دعمت ادعاءها لتحويل خطوط الهدنة إلى حدود دولية واقعية مرحليا ، فعمدت إلى إغلاق هذه الخطوط تماما ضد الفلاحين الفلسطينيين ، الذين احتشدوا في مخيمات اللاجئين على الجانب الآخر ، والذين ما فتئوا يصرون على محاولة العبور والعودة إلى أراضيهم . وقد تهيأ للصهاينة تنفيذ ذلك بهدم جميع القرى العربية نهائيا ، وإزالة معالمها من على سطح الأرض ، وزرع سلسلة من المستوطنات العسكرية على طول خط الهدنة .

لقد طالبت الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة الكيان الصهيوني مرارا بإعادة اللاجئين إلى ديارهم ، أو تعويضهم بدون اعتبار لأي تنظيم نهائي للسلم أو لحدود دائمة ، واتخذت عشرات القرارات من هذا القبيل . غير أن عودة جموع كبيرة من العرب يتناقض مع

فلسفة إنشاء الكيان اليهودي في الوسط العربي المعادي له .

ولموازنة الوضع السكاني في الدولة الجديدة ، بحيث يتفق والسياسة الرامية إلى فرض الأمر الواقع ، احتاجت الحكومة إلى جموع بشرية كبيرة لتحل محل العرب في المناطق التي أخليت منهم . فأنشأت فيما بين عامي ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ٢١٤ مستوطنة زراعية ، ضمت ٧٠٠٠٠ فرد بالإضافة إلى المستوطنات العسكرية . ولما كان هذا العدد غير كاف ليدعم ادعاء إسرائيل ، فإنها زرعت في هذه المناطق الحدودية ٢٠ بلدة متطورة (مدينة صغيرة) تتسع لنحو ١٧٠٠٠٠ فرد عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م[٢٦] .

ولأسباب أمنية أخضعت سلطات الاحتلال العرب الباقين لديها منذ سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م للقوانين العسكرية ، وضمت جميع المساحات التي لا زالت عربية للإدارة العسكرية . ومع أن سلطات الاحتلال أعلنت أن العرب الباقين مواطنون كاملو المواطنة ، إلا أنهم كانوا يحتاجون إلى تصاريح لمجرد الانتقال من وإلى أماكن إقامتهم أو انتقالهم إلى أماكن عملهم . ولذلك فقد حصروا العرب في أماكن عملهم وعرضوهم للطرد ، والتفتيش ، والحجز ، والاعتقال ، والتعذيب واستمروا كذلك حتى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

وقد نتج عن انتصار قوات الاحتلال العسكري في سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م مزيد من التوسع ، فسيطرت على الضفة الغربية وقطاع غزة بكاملهما ، بالإضافة إلى الجولان وشبه جزيرة سيناء ، وفيما عدا القدس الشرقية التي ألحقتها بالقدس الغربية سنة ١٩٦٨م ، فقد حكمت المناطق المحتلة الأخرىٰ حكما عسكريا .

وقد مارست المؤسسة العسكرية بعد الاحتلال نفس السياسة والأسلوب في زرع المناطق المحتلة بالمستوطنات ، مما يشير إلى أهداف الكيان الصهيوني الحقيقية في الاستيلاء على الأراضي والتوسع . فقبل حرب ١٩٧٣م ، على سبيل المثال ، كانت سلطات الاحتلال قد أنشأت في الضفة الغربية وقطاع غزة أكثر من ٤٠ مستوطنة . وبعد أن استوعبت سلطات الاحتلال صدمة تلك الحرب ، استأنفت برنامج إنشاء المستوطنات بسرعة تزيد

عن السابق ، خاصة بعد مجيء الليكود إلى الحكم سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م حتى زاد عدد المستوطنات الجديدة على ٢٠٠ مستوطنة في منتصف عام ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

وفي جميع الحالات كانت سلطات الاحتلال تختار لمستوطناتها مواقع استراتيجية وأمنية ، بحيث تشرف على المواقع العربية ، وتتحكم فيها كما تتحكم في الطرق المؤدية إليها ، وتهدف من وراء ذلك إلى تقسيم المناطق العربية في المستقبل بواسطة تلك المستوطنات إلى مربعات عازلة بعضها عن البعض الآخر ، مما يوضح الإصرار على زراعة مجتمعات يهودية بين العرب تهيئة لضم هذه الأراضي إليها حينما يحين الوقت المناسب ، كما فعلت في القدس أولا ، وكما فعلت في الجولان السورية في أوائل سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . وكما هو الحال قبل وبعد ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م يجري تنفيذ البرنامج الاستراتيجي الخاص بإيجاد حقائق الاحتلال في المقاطعات المحتلة . وبالفعل فإن محاولة الكيان الصهيوني طمس ذكر الحدود السابقة واضحة منذ منعت ظهور الخرائط التي توضح الأراضي المحتلة كمناطق منفصلة عن ممتلكات الكيان الصهيوني رغم أنها لا تزال تدار كمستعمرات ، ومن إصرار المسئولين فيها على شطب اسم فلسطين أو الضفة الغربية ونعتها بالسامرة ويهودا .

إن إلحاق القدس الشرقية من منطلق إعادة توحيد المدينة المقدسة ، ومن ثم إعلانها عاصمة للكيان الصهيوني ، يتبع بشكل رئيس التخطيط الاستعماري . فمنذ سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م مددت سلطات الاحتلال الحدود البلدية ، ونزعت ملكيات عربية واسعة ، وطردت السكان العرب من أراضيهم ومن بيوتهم مثل حي « المغاربة » المجاور للحرم ، والذي هدمته بعد الاحتلال مباشرة . وأنشأت مشاريع إسكان ضخمة للمستوطنين اليهود الجدد وقد وزعت هذه المشاريع الإسكانية بحيث تجعل الأحياء اليهودية الجديدة تحيط بما تبقي من ممتلكات السكان العرب ، مثل حي « أشكول » في القدس ، و « نيفي يعقوب » في شعفاط .

وهكذا حاول الاحتلال الصهيوني جعل ضم القدس حقيقة واضحة متحديًا إدانة الأمم المتحدة المستمرة له . وقد أعلن الكيان الصهيوني في سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م رسميا

أن القدس الموحدة عاصمته الوطنية متحديًا العالم كله[٢٧] . وفي سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م أعلن تحويل الحكم العسكري في الضفة والقطاع إلى الإدارة المدنية توطئة لضمهما وحينما لاقى هذا المشروع مقاطعة عنيفة من قبل المواطنين العرب ، غزت قوات الاحتلال الصهيوني لبنان واحتلت نصف مساحته تحت شعار « سلامة الجليل » وذلك للقضاء على العنصر الفلسطيني في لبنان ، ولعل هذا يفسر المذابح التي اقترفها الاحتلال الصهيوني في مخيمات اللاجئين .

الموقع

تشغل فلسطين الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام ، وتقع فيما بين الساحل الشرقي للبحر المتوسط ونهر الأردن . وذلك فيما بين خطي طول ١١ َ ٣٤ ْ ، ٣٨ َ ٣٥ ْ ش ودائرتي عرض ٢٩ َ ٢٩ ْ ، ١٦ ٣٣ ْش. وتبلغ مساحتها حسب حدودها الدولية في عهد الانتداب البريطاني ٢٧٠٠٩ كيلو مترات مربعة ، بما في ذلك بحيرة طبرية ونصف البحر الميت .

وتمتد فلسطين بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب (٤٢٥ كم) من بلدة المطلة شمالا إلى رأس خليج العقبة جنوبا . ويختلف عرضها بين ٥٠ كم في الشمال عند خط الحولة – الناقورة ، وحوالي ٩٠ كم في الوسط عند عرض القدس ، ونحو ١١٧ كم في الجنوب عند عرض رفح ، ثم تضيق بعد ذلك على شكل مثلث حاد الزاوية يقع رأسه على خليج العقبة[٢٨] (شكل ١) .

تتميز فلسطين إذن بأنها تقع في منطقة التقاء قارتي آسيا وإفريقية ، وهي بالتالي منطقة اتصال المشرق العربي بمغربه . وكانت خلال تاريخها الماضي حلقة الوصل بين شعوب آسيا وإفريقية ومعبرا لها ولقوافلها ولتجارتها وبالتالي ممرا لغزواتهم ومسرحا لتوسعاتهم ومركزا لتداخل ثقافاتهم .

وتشكل فلسطين مع شبه جزيرة سيناء فاصلا بين البحرين المتوسط والأحمر ، يمثل أداة وصل بينهما ، وهما أقرب الأماكن إلى قناة السويس ، ذلك الشريان الملاحي العالمي الذي يصل بين مياه البحرين المتوسط والأحمر . وتتمتع فلسطين بواجهة بحرية طويلة نسبيا على ساحل البحر المتوسط ، حيث يبلغ طولها ٢٢٠ كم تقريبا وذلك من رأس الناقورة شمالا إلى رفح جنوبا . كما تطل بواجهة بحرية ضيقة على خليج العقبة لا يزيد طولها على ٨ كم فقط . وتتصل من الجهات الأخرى بدون انقطاع بأراضي الأقطار العربية

المجاورة : لبنان وسورية والأردن من الشمال والشرق ومصر من الجنوب الغربي . ويبلغ مجموع أطوال خطوط الحدود معها جميعا ٩٥٠كم . ونظرا للتطورات والملابسات السياسية التي تعرضت لها حدود هذا القطر فإن من المهم تتبع تطور حدودها الدولية .

حدود فلسطين الدولية : لم تعرف فلسطين كما لم تعرف غالبية أقطار الوطن العربي الحدود السياسية بمعناها الحديث حتى القرن العشرين . فقد أدى التنافس الاستعماري إلى تفتيت المنطقة إلى كيانات مستقلة اتخذ كلٌ منها اسما جديدا وفقا لحدود مصطنعة مفروضة . وكانت فلسطين واحدة من بين هذه الكيانات الجديدة التي ظهرت باعتبارها كيانًا سياسيًّا جديدًا تحت نظام الانتداب البريطاني ، عقب الحرب العالمية الأولى .

كانت أراضي فلسطين في أواخر العهد العثماني مقسمة بين ولايتين (إيالتين) عثمانيتين مركزاهما دمشق وبيروت ، باستثناء مدينة القدس التي اعتبرت في سنة ١٨٧٤م متصرفية تتبع الباب العالي . وفي عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م ولأول مرة في تاريخ هذه البلاد سلخت فلسطين عن بلاد الشام وصارت لها حدود سياسية ترسم ويعاد رسمها حسب مخططات الاستعمار والصهيونية وضد رغبات سكانها .

وحين انتهى مؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي (من كانون الثاني إلى حزيران ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) من وضع ميثاق عصبة الأمم ، ومن فرض الانتداب على الأقطار التي كانت تحكمها تركيا وألمانيا ، قرر المجلس الأعلى للحلفاء المنعقد في نيسان ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م في سان ريمو وضع فلسطين وشرق الأردن والعراق تحت الانتداب البريطاني ، ووضع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، استنادا إلى ميثاق العصبة ، ثم أقرت عصبة الأمم مشروع صك الانتداب على فلسطين كما اقترحه اليهود على بريطانيا ، بحيث يقترن بموافقة دول الحلفاء على إنشاء الوطن القومي اليهودي ومسؤولية الدولة المنتدبة في إنشائه[٢٩] .

وبعد نجاح الاستعمار والصهيونية في وضع فلسطين تحت السيطرة البريطانية حاول الصهاينة خلال فترة المباحثات السابقة لإقرار الحدود توسيعها عما كانت تقتضيه اتفاقية سايكس / بيكو ، وقد نجحوا في ذلك ، إذ نصت اتفاقية سايكس / بيكو المبرمة بين

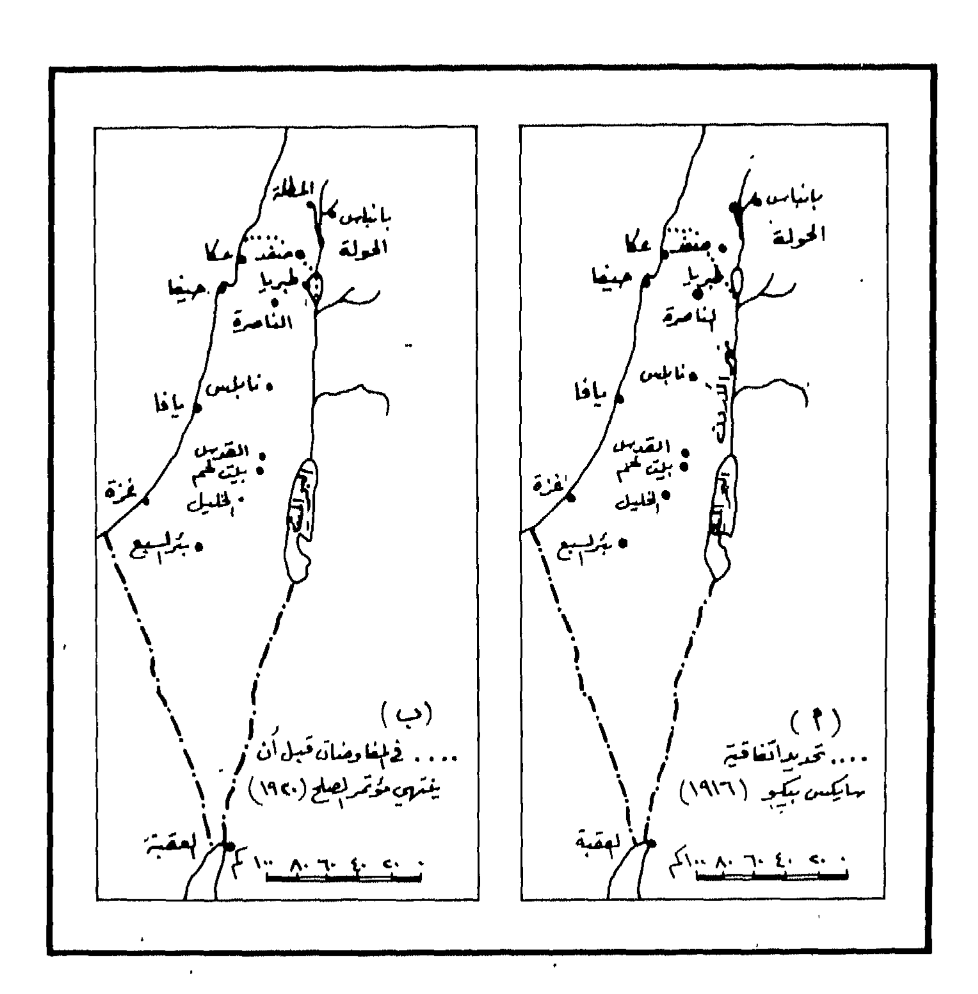
بريطانيا وفرنسا في سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م على أن فلسطين تمتد بين نهر الأردن وساحل البحر المتوسط ، ويفصلها عن مصر صحراء سيناء ويفصلها عن لبنان خط يبدأ من رأس الناقورة على البحر إلى منتصف المسافة بينها وبين بحيرة الحولة ثم يتجه الخط نحو الجنوب الشرقي إلى بحيرة طبرية ثم إلى سمخ على نهر الأردن في جنوب البحيرة مباشرة (شكل ٢) .

وقد استطاع المفاوضون البريطانيون بإلحاح من زعماء الصهيونية تعديل خط الحدين الشمالي والشمالي الشرقي ثلاث مرات لصالح فلسطين قبل الوصول إلى التسوية النهائية[٣٠] . فقد حدث أول تعديل على خط الحدود بمقتضى اتفاق لويد – كلمنصو في ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م ، وأصبح الخط يمتد من رأس الناقورة إلى منتصف المسافة بينها وبين الحولة ، ثم يمتد إلى شمال بحيرة طبرية ، بحيث يُدخِل نصف البحيرة وقسما من أراضي صفد ضمن فلسطين (شكل ٣) .

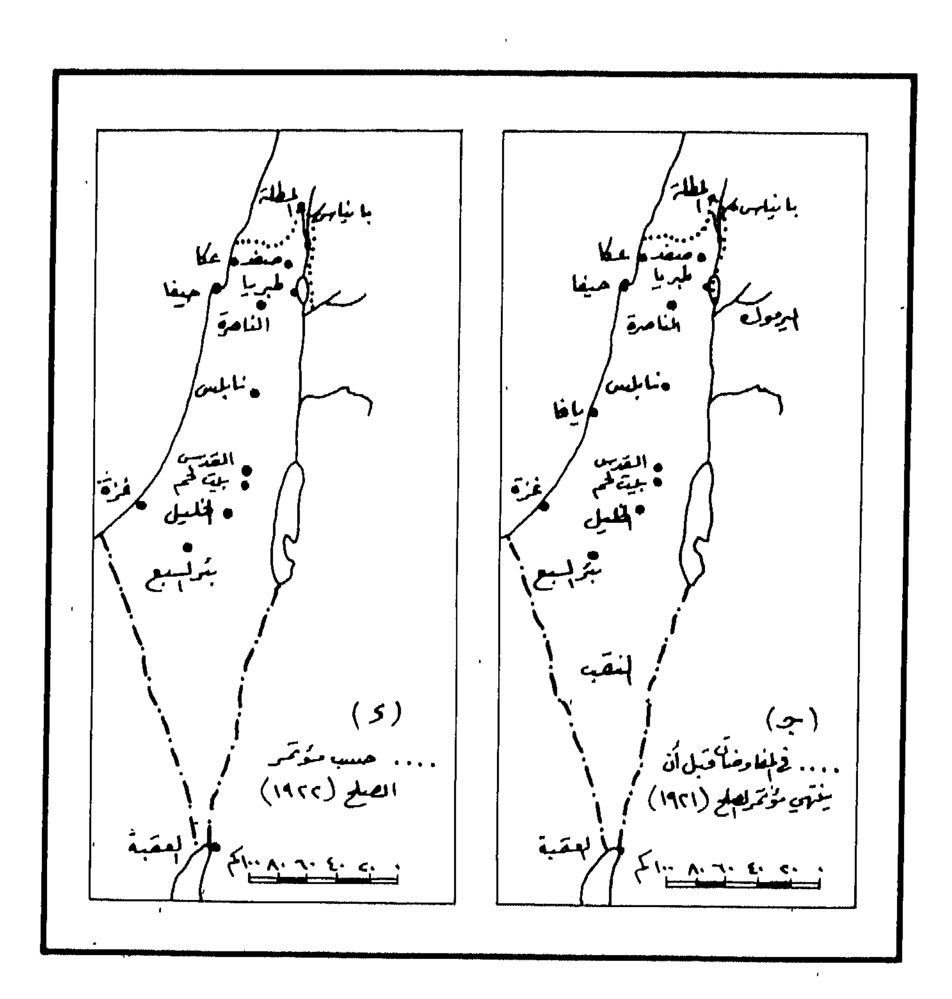
وحدث التعديل الثاني في أواخر أكتوبر ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م حيث توصل الفرقاء إلى وضع حدود مؤقتة تبدأ من الناقورة وتسير إلى الشرق باستقامة إلى مقربة من الحولة ، ثم تسير شمالا مسافة ٢٥ كم إلى نهر الحاصباني ثم شرقا حتى بانياس وبركة رام ، ثم جنوبا بخط مستقيم يقسم طبرية إلى قسمين حتى سمخ . فضمت فلسطين حسب هذا التحديد : « الجليل الأعلى » كله وأصبعا باتجاه الشمال عرضه ١٢ كم حتى يضم معظم موارد مياه الأردن الأعلى (شكل ٣ ، ج) .

ثم زحفت هذه الحدود حسب اتفاقية باريس في ديسمبر ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م شرقا لتضم الطرف الشرقي من مجرى نهر الأردن الأعلى وكل بحيرة طبرية وشريطا ضيقا من ساحلها الشرقي يصل عرضه في جنوبها إلى ٤ كم ، ثم يتجه الخط إلى نهر اليرموك ، بحيث يسير هذا الخط مع النهر المذكور مسافة ١٥ كم قبل أن يصب في نهر الأردن[٣١] (شكل ٣ ، د) . وتفصل هذه الحدود أراضي فلسطين عن أراضي دولتين عربيتين ناشئتين هما لبنان وسوريا ، ويبلغ طول خط الحدود مع الأولى ٧٩كم ومع الثانية ٧٦ كم .

وقد اعتبرت بريطانيا بعد فرضها الانتداب على فلسطين في سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م



شكل - ٢ - تغير الحدود الشمالية لفلسطين (١٩١٦م - ١٩٢٠م)



شكل - ٣ - تغير الحدود الشمالية لفلسطين (١٩٢١ م - ١٩٢٢ م)

الحدود بين مصر وفلسطين تثبيتا لما ورد في الاتفاق بين الحكومة العثمانية وخديوي مصر في عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ، والذي كان يقضي باعتبار الخط الممتد من تل الخرائب في رفح إلى طابا على بعد ثلاثة أميال غربي العقبة خطًّا مُحددًا بينهما[٣٢] . ويبلغ طول هذا الخط ٢٦٥كم .

أما الحدود الشرقية لفلسطين فقد تحددت بمرسوم أصدره المندوب السامي البريطاني المعين على فلسطين في سبتمبر ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م نص على أن الحدود الإدارية بين فلسطين وشرق الأردن تتمثل بخط يبدأ من نقطة التقاء نهر اليرموك بنهر الأردن ويسير جنوبا وسط مياه النهر ووسط البحر الميت وعبر وادي عربة حتى ينتهي إلى شاطئ خليج العقبة ، ويبلغ طول هذا الخط ٥٣١كم .

البنية الجيولوجية والتضاريس

البنية الجيولوجية : كانت أرض فلسطين جزءا من المنطقة الهامشية لبحر تيثس (Tethys) التي ترسبت فيها عبر عصور الغمر طبقات سميكة من الصخور الرسوبية ، واستقرت فوق الأطراف الشمالية من قارة جُندوانا Gondwana . وقد استمرت عصور الغمر في المنطقة خلال الزمنين الأول Palaeozoic Era والثاني Mezozoic ، وأخذ الماء يتراجع عنها في أواخرهما . غير أنه عاد في بداية عصر الأيوسين فتقدم صوب الجنوب نتيجة حركة هبوط عظيمة ، وطغى على أجزاء كبيرة منها . ثم عاد اليابس إلى الارتفاع في نهاية عصر الأيوسين واستمر ارتفاعه في الأوليجوسين ، فانحسر الماء ، وتراجعت مياه الخلجان الداخلية وظهرت الطبقات الكلسية (الجيرية) فوق سطح البحر وظهر جزء منها على هيئة أرض يابسة . هذا وقد تعرضت هذه الأجزاء خلال عصري الأيوسين والأوليجوسين لحركات التوائية وانكسارية وثورات بركانية تعطي التفسير لكثير من الظاهرات التضاريسية الراهنة[٣٣] .

لقد نتج عن الحركات الالتوائية « الجوراسية » غير المعقدة في منطقة سورية الكبرى –

خلال الزمن الثالث – أن استجابت الأرض للحركة ونهضت على شكل محدبين جيولوجيين كبيرين يتجهان من الشمال إلى الجنوب تقريبا ، ويتأثران بالضغوط الأفقية التي جاءتهما من الجوانب . ولم يكن هذان المحدبان ممتدين امتدادا متصلا ، بل إنهما مقسمان بواسطة فواصل معترضة (فتحات) إلى مجموعات مزدوجة من السلاسل لكل منها كتلة شرقية ، وأخرى غربية تحاذيها ، وتمثل جبال وسط فلسطين وجبال شرق الأردن القسم الجنوبي من هذه المجموعة .

وقد أدت الحركات الانهدامية المؤثرة على وسط قارة جُندوانا في نفس الفترة التي أنتجت حفرة انهدام البحر الأحمر إلى استمرار التأثير شمالا عبر خليج العقبة ، ووادي عربة ، والبحر الميت ، ووادي الأردن (الغور) على هيئة أخدود انكساري مقفل من الجنوب ، حدث في وسط المقعر الواقع بين المحدبين الشرقي ويتمثل في مرتفعات شرق الأردن ، والغربي ويتمثل في جبال فلسطين . وأدت الثورانات البركانية في جنوبي سورية إلى اندفاع كميات كبيرة من الصهير البازلتي ، غطى قسما من شمالي فلسطين في منطقة الحولة وشرق الجليل .

وقد نشطت عوامل التعرية بعد ارتفاع اليابس وتراجع مياه البحر خلال عصر الأوليجوسين ففتت الكثير من صخور الجير الأيوسينيه وأزالتها من جهات واسعة . وفي بداية عصر الميوسين تعرض اليابس لحركة هبوط عامة أدت إلى تقدم مياه البحر صوب الشرق ، فكونت نتيجة ذلك مجموعة من الخلجان العميقة خاصة في جنوب فلسطين (في منطقة غزة) . ونتج عنها تجمع إرسابات سميكة داخل هذه الخلجان . ثم تعرض اليابس في نهاية هذا العصر لحركة ارتفاع أدت إلى انحسار الماء عن أجزاء كثيرة وتكررت هذه الحركات مرة أخرى خلال عصر البلايوسين .

وقد استمرت الحركات الالتوائية والانكسارية والثورانات البركانية ، ولم يتوقف نشاط عوامل التعرية في الأجزاء التي تبرز فوق سطح الماء مما أدى إلى ملء الأحواض الداخلية التي تكونت نتيجة الالتواءات والانكسارات بالرسوبيات مثل حوض بيسان .

وفي الزمن الرابع استمر ارتفاع الأرض الذي بدأ في نهاية البلايوسين فانحسر ماء

البحر عن معظم الأراضي التي نعرفها في بلاد الشام ، وزاد ارتفاع الجبال وازداد عمق الأخاديد ، واستمر انتشار الطفوح البركانية وترسبت كميات ضخمة من الحصى والرمال والطين والغرين في المنخفضات والأحواض والأودية مكونة بذلك رواسب عظيمة الأهمية .

التركيب الصخري : لا يظهر شيء يذكر من صخور القاعدة الأركية في فلسطين بسبب الغطاء الرسوبي السميك الذي أخفاها . حتى إن صخور الزمن الأول لا تظهر إلا في أماكن محدودة جدا في فلسطين تقع إلى الشمال مباشرة من خليج العقبة .

أما صخور الزمن الثاني فتشكل النواة الصخرية لهضاب فلسطين وتتكون في مجموعها من حجر الجير والدولوميت والصوان والطباشير . وينتمي معظمها لأواخر الزمن الجوراسي والزمن الكريتاسي . وكان لصخور الجير الكريتاسية نصف المتبلورة التي تظهر في مناطق عديدة من التلال الجبلية دور كبير في بناء البيوت ، والمنشآت العامة ، وفي رصف الطرق ، وعمل المدرجات الجبلية منذ أقدم العصور ، ولا زال لها دور في مثل هذه الأعمال وفي صنع الخرسانة وما إلى ذلك . ونظرا لميزاتها المهمة كأحجار للبناء فقد جرى تصديرها إلى شرق الأردن ، والعراق وبعض مناطق الخليج . وقد نشأ من أجل استثمارها في الضفة الغربية مئات المحاجر وعشرات المناشير الحديثة لقص الحجارة والرخام .

وتنتشر صخور الزمن الثالث حول النواة التي كشفتها التعرية وتغطي أوسع مساحة من فلسطين ، غير أن أهم طبقاتها صخور عصر الأيوسين الجيرية التي تظهر كطبقات مكملة لجير الكريتاسي ، فتغطي معظم مساحة المرتفعات الوسطى ، والطبقتان متشابهتان في الصفات والاستعمالات . وتليها باقي طبقات عصور الزمن الثالث على سفوح المنحدرات حيث تنتهي في السهل الساحلي في الغرب ، وفي أراضي الغور في الشرق ، ويتكون كلاهما من صخور الزمن الرابع الحديث وهي غير متجانسة التركيب . وقد كان لهذا التركيب الجيولوجي عدة نتائج نجمل أهمها فيما يلي :

١ - انتشرت الظاهرات الكارستية على المرتفعات الجبلية التي تتكون من صخور

الجير بسبب سرعة اختفاء المياه السطحية فيها ، لما يتصف به الكلس من ذوبان بالماء ومن وجود شقوق قابلة للتوسع وتمرير المياه ، فأصبحت المناطق التي تنتشر فيها فقيرة بمياهها وبأراضيها الزراعية .

٢ – يظهر قسم كبير من المياه المتسربة على شكل ينابيع في مستويات أدنى من خزاناتها ، ويتسرب قسم من هذه المياه أيضا في شقوق الطبقات الكلسية ، ويتجمع على شكل مياه جوفية في رسوبيات السهل الساحلي ، وهذه المياه كانت عاملا حاسما في وجود زراعات السهل الساحلي ، لاسيما بيارات بساتين الحمضيات .

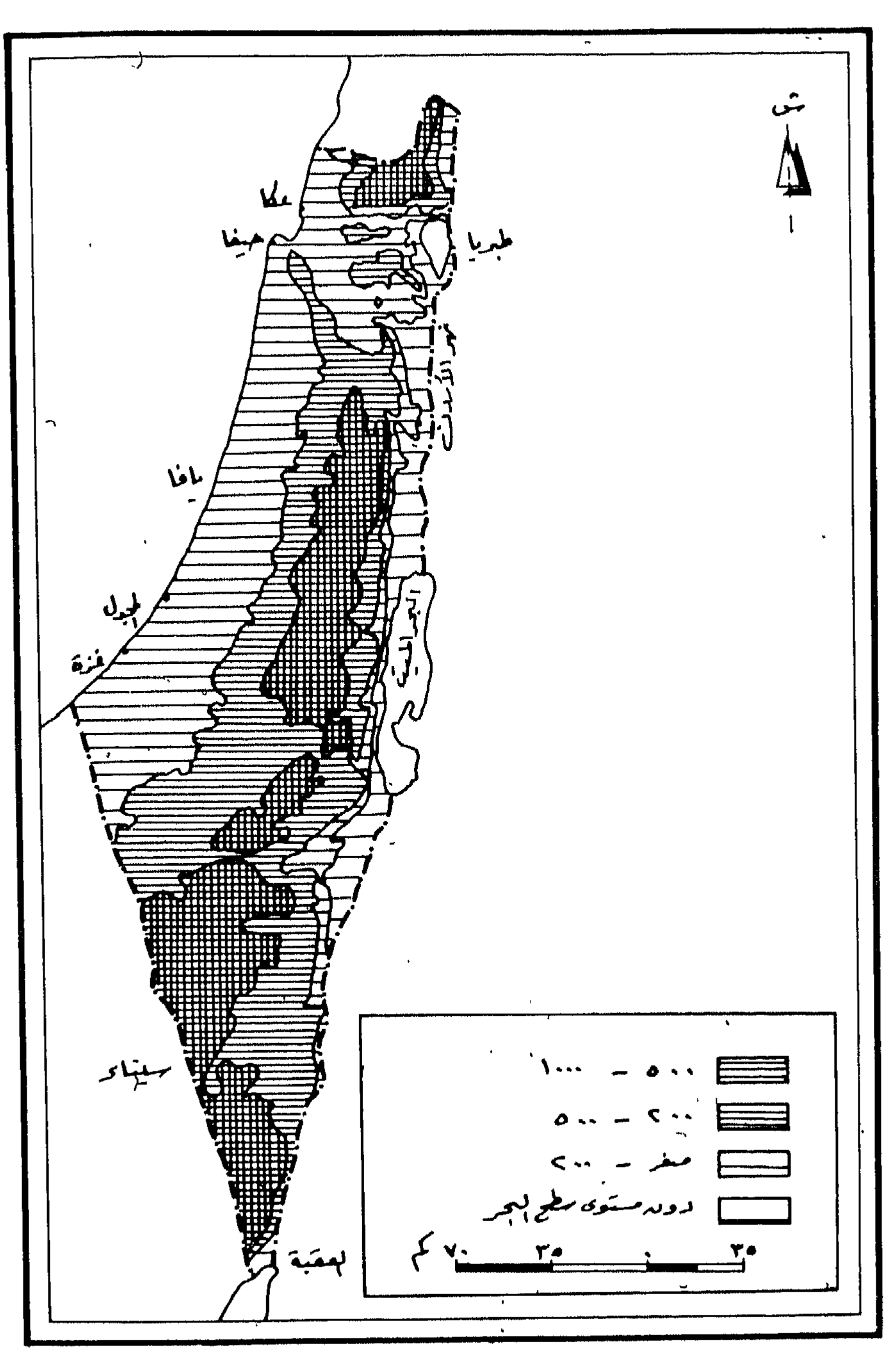
٣ – بالرغم من اختفاء الشبكة السطحية في صخور الكلس ، توجد الوديان العميقة ذات المدرجات المرتفعة بسبب تسرب المياه إلى الطبقات السفلية وسهولة إذابة الصخور الجيرية ، وقد بنيت على حافاتها المدن ، لتشرف على مداخل الوديان وتقوم على حراستها . كما كثرت فيها الكهوف والمغارات التي استعملت مساكن وملاجئ في العصر القديم ، ولطالما اتخذت ملاجئ في عصور الاضطرابات أو الاضطهادات أو في أوقات الغارات والحروب .

٤ – أصبحت المرتفعات الفلسطينية من نوع الهضاب المقطعة ولهذا أثره على صعوبة المواصلات بين أجزائها .

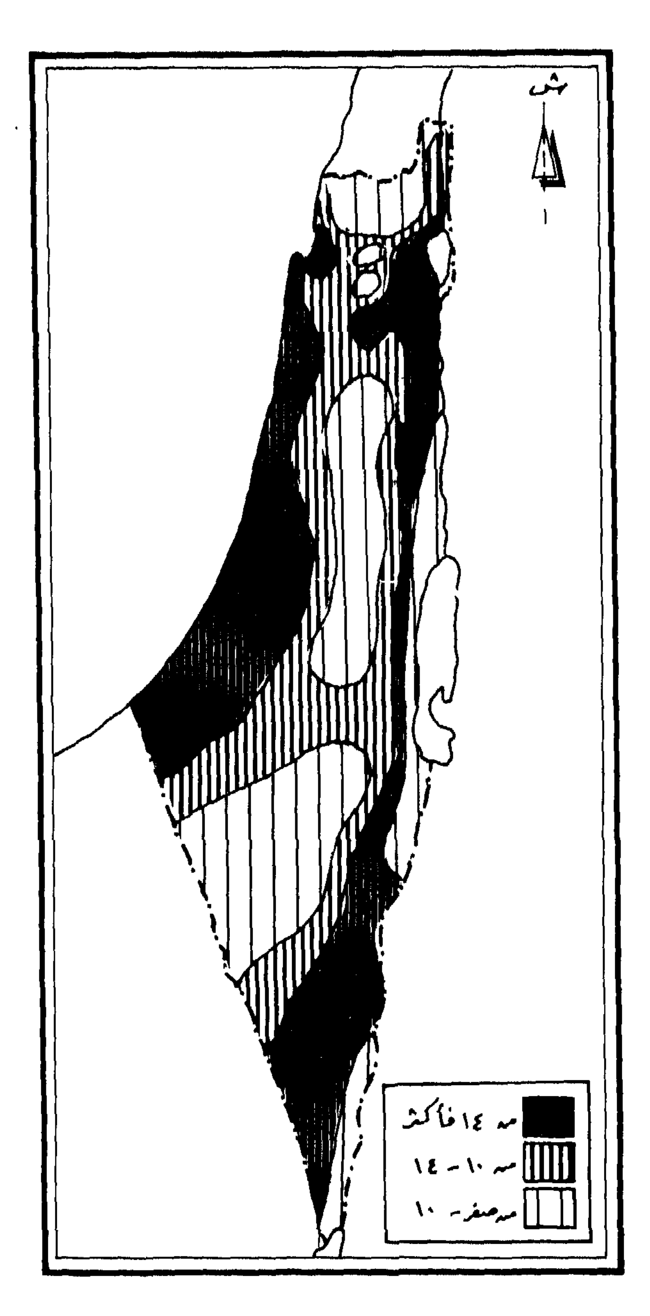
غير أن أهم نتائج التركيب الجيولوجي تنعكس بعد تفاعلها مع عوامل التعرية في صور أشكال الأرض ، أو ما يعبر عنه بالتضاريس .

التضاريس : بالرغم من صغر مساحة فلسطين وبساطة تكوينها يمكن أن نقسم أرضها إلى أربع مجموعات تضاريسية هي : (شكل ٤) .

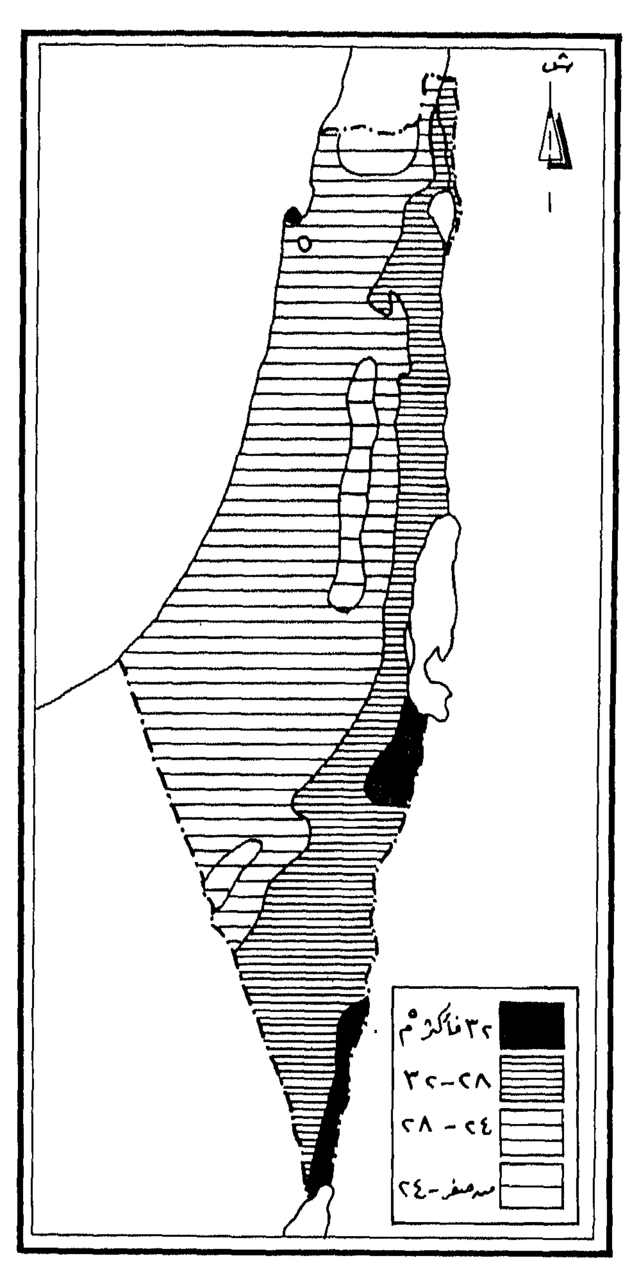
١ – السهل الساحلي : ويمتد من رأس الناقورة عند الحدود اللبنانية شمالًا حتى رفح عند الحدود المصرية جنوبا ، أي بامتداد يبلغ ٢٢٤ كم . ويتكون السهل من رسوبيات حديثة رباعية ، انحدرت إليه من المرتفعات المجاورة وكذلك من الرسوبيات الشاطئية والبحرية خاصة تلك التي تقذف بها التيارات البحرية من الغرب ، والتي جاءت أصلا من النيل . وقد تشكلت بعض الكثبان الشاطئية خاصة في الجنوب . وتبلغ مساحة هذا



شكل -٤- التضاريس



شكل - ٤/٢ - معدل الحرارة (يناير)



شكل - ٤/ب - معدل الحرارة (أغسطس) .

السهل نحو ٢٢٢٠كم مربعا معظمه صالح للزراعة[٣٤] .

ويقسم جبل الكرمل الذي يعتبر امتدادا لجبال وسط فلسطين باتجاه الشمال الغربي نحو الساحل في حيفا ، يقسم السهل الساحلي إلى قسمين : سهل عكا في الشمال ، وهو ضيق إجمالا ، وسهل يافا (سهل سارونة) في الجنوب ويبدأ من حيفا ضيقا ويزداد اتساعا حتى يصل عرضه نحو ٣٢كم عند مدينة خان يونس جنوبا .

٢ - **الهضاب الوسطى** : وهي في الأصل جزء من المحدب الجيولوجي الغربي في بلاد الشام الذي نتج عن الحركة الالتوائية في الزمن الثالث ، وهي إجمالا متوسطة الارتفاع ، تمتد طوليا من الشمال إلى الجنوب ، نظرا لأن الحركة الالتوائية بسيطة « جوراسية » لا يكتنفها العنف ، لأنها حصلت في المنطقة الهامشية للبحر ، وتقسم إلى قسمين .

القسم الأول : جبال الجليل في الشمال ، وتعتبر امتدادا لجبل عامل في جنوب لبنان ، وفيه أعلى قمة في فلسطين (جبل جرمق) . ويقع بالقرب من مدينة صفد ويصل ارتفاعه إلى ١٢٠٨م عن سطح البحر .

القسم الثاني : ويشمل جبال نابلس والخليل التي تمتد طوليا دون فواصل حقيقية لمسافة (١٢٥كم وبعرض يقرب من ٢٠كم ، ويتجاوز ارتفاع بعض قممها ١٠٠٠م عن سطح البحر . ويفصل القسمين عن بعضهما الفتحة الواصلة بين خليج عكا ووادي الأردن ، وهي أراض منخفضة نتجت عن حركات انكسارية أنتجت تموجات منطقة الناصرة وسهول مرج ابن عامر وبيسان .

٣ - **الغور** : وهو منخفض تكتوني عميق يتجه من الشمال إلى الجنوب يجري فيه نهر الأردن الذي ينخفض مستواه بين ٢٠٠ - ٤٠٠م عن مستوى سطح البحر . وتشرف عليه من الجانبين حافتان عاليتان ترتفع ذراهما في بعض الأماكن إلى ١٠٠م فوق منسوب سطح البحر . وتبدو الحافة الغربية (الفلسطينية) متقطعة في قسمها الواقع بين مرتفعات الجليل ومرتفعات نابلس ، فتشكل طريقا للاتصال بين السهل الساحلي عند خليج عكا ، وبين منخفض الأردن في جنوب بحيرة طبريا ، ومنه إلى سورية أو شرق الأردن عبر انقطاع آخر في الحافة الشرقية بين المرتفعات السورية ومرتفعات عجلون ، ويجري في

القطاع الأخير نهر اليرموك .

يهبط قاع هذا المنخفض تحت مستوى سطح البحر في معظم امتداده ، إذ يتراوح انخفاض منطقة الحولة في الشمال بين ٥٠ – ٧٠م عن سطح البحر . ثم يتجه النهر إلى بحيرة طبريا ، التي يهبط سطحها إلى (٢٠٠م) عن مستوى سطح البحر ، ومنها يسير عبر طريق شديد التعريج إلى البحر الميت ، الذي ينخفض سطح مائه ٣٩٤م ، وينخفض مستوى قاعه إلى نحو ٨٠٠م عن مستوى سطح البحر . ولذلك يطلق على هذا المنخفض اسم « الغور » تعبيرا عن هذا الهبوط . ويشغل الجزء الواقع إلى الجنوب من البحر الميت من منطقة الغور وادي عربة ، الذي ينتهي إلى البحر الميت في اتجاه معاكس لاتجاه نهر الأردن .

وتشرف المرتفعات من جانبي المنخفض عليه بسفوح شديدة الانحدار ، مما جعل أسطحها تبدو عارية من التربة في معظم أجزائها، ويقطعها عدد كبير من الوديان، تنحدر في مجار صغيرة مستقلة . وقد تكوّن من الرواسب التي تحملها الوديان في أوقات الفيضان في مناطق التماس بين السفوح والغور سلسلة شبه متصلة من المراوح الغرينية الخشنة(٣٥) .

ويتراوح متوسط عرض الغور بين ٨ – ١٦كم ، وتتكون أرضيته من سهول رسوبية حديثة ذات تربة تميل إلى الملوحة . ويبلغ طول البحر الميت ٧٦كم بينما يبلغ أقصى عرض له ١٦كم ، وترتفع فيه نسبة التبخر ، ولذا ارتفعت نسبة ملوحة مائه إلى ٣٤٠غم / لتر .

٤ – **النقب** : ويتكون من هضبة واسعة قليلة الارتفاع ، تحتل الجزء الجنوبي من فلسطين ، وتبلغ نحو ثلث مساحتها ، وهي على شكل مثلث حاد الزاوية تبدأ قاعدته في الشمال من منطقة بئر السبع ، ويتجه جنوبا حتى يقع رأسه على خليج العقبة بعرض لا يزيد على ٨كم . وتعتبر هذه الهضبة امتدادا لشمال صحراء سيناء باتجاه الشمال الشرقي .

ويمكن تقسيم النقب على أساس تكوين الأرض إلى خمسة أقسام(٣٦) :

– منطقة مسطحة قليلة الارتفاع ، تقع في شمال وغربي النقب وإلى الجنوب مباشرة من مرتفعات الخليل ومن منطقة بئر السبع ، وترتفع أرضها تدريجيا من حدود قطاع

غزة وشمال سيناء باتجاه الجنوب الشرقي حتى جبال النقب ، وتغطي الكثبان الرملية معظم هذه المنطقة .

– جبال النقب ، وتمتد في وسطه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي على شكل سلسلة من الجبال والوديان المتوازية يتراوح عرضها بين ٣٠ – ٤٠ كم ، تتخللها سهول كثيرة الحصباء غير منتظمة ، وترتفع قمم الجبال إلى ما يزيد عن ١٠٠٠م منها ؛ جبل الرمان قرب الحدود المصرية (١٠٣٥م) ، وجبل المقراه وعريف الناقة ، وسماري .

– نجد باران ، ويقع إلى الجنوب والشرق من الجبال المذكورة ، ويبلغ عرضه ٣٠ كم ، ويمتد أيضا من حدود سيناء تقريبا باتجاه الشمال الشرقي بين الجبال وبين وادي عربة ، ولذلك تتجه مياه السيول في هذا الاتجاه إلى وادي عربة وأهمها وادي باران .

– تلال العقبة الوعرة وتقع على بعد نحو ٣٠ كم شمال المرفأ ، وهي ضيقة في الشرق وتزداد تكتلا بالقرب من الحدود المصرية (مع سيناء) .

– منطقة وادي عربة ، يقع وادي عربة في شرقي النقب وإلى الشمال من خليج العقبة وحتى البحر الميت ، وما عدا القسم الذي يلي خليج العقبة مباشرة فإن أرضه تنخفض تدريجيا باتجاه الشمال حتى تصبح دون مستوى سطح البحر ، ويستمر الوادي شمالا حتى ينتهي إلى البحر الميت ، ولذلك فهو يمثل البداية الجنوبية لمنطقة الغور ، وهو مسطح القاع الذي يبلغ عرضه نحو ٥ كم في الجنوب و ٢٠ كم أو يزيد في الشمال ، ويبلغ طوله ١٧٩ كم ويرتفع الجانب الغربي إلى علو ٦٠٠م فوق قعر الوادي ، ويقل ارتفاع هذا الجانب كما يقل انحداره باتجاه الشمال ، وأرضه ملحية وتوجد في جزئه الشمالي سبخات مالحة .

المناخ

نظرا لوقوع فلسطين بين خطي عرض ٢٩َ ٢٩ْ ، ١٦َ ٣٣ْ ش ، وفي الزاوية الجنوبية الغربية لبلاد الشام، أي قرب الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط. فقد وجدت في مكان امتزاج وتناوب بين نوعين من المؤثرات البحرية والقارية ، بحيث يتجلى هذا

التناوب على مستوى الفصول والطقس اليومي على حد سواء[٣٧] . ويفسر تناوب جفاف الصيف وحرارته وظروف الخماسين المغبرة القادمة من الجهات الصحراوية مع الأجواء الصيفية الحارة المعتدلة ، وتناوب الأجواء الشتوية المعتدلة الرطبة مع الأجواء العاصفة الشديدة البرودة .

يسود فلسطين مناخ إقليم البحر المتوسط ، الذي يمتاز بشتاء معتدل الحرارة مطير وصيف حار جاف : ففي فصل الشتاء تقع المنطقة تحت تأثير امتداد الضغط الجوي السيبيري المرتفع ، فتتعرض لكتل هوائية باردة يخفف من شدتها وجود السلسلة الشرقية في الأردن . ولكنها تبقى مدة أطول تحت تأثير البحر المتوسط المعتدل ، فتخضع خلالها لمرور المنخفضات الجوية القادمة من البحر ، التي تسبب هبوب الرياح الرطبة وهطول الأمطار ، وأحيانا الثلوج فوق المناطق الجبلية .

وتقع في الصيف تحت تأثير امتداد الضغط الجوي المنخفض في جنوبي آسيا ، فتسيطر عليها كتل هوائية مدارية برية حارة وجافة . ونظرا لموقع فلسطين بين مكان سيطرة هذا الضغط وبين البحر المتوسط ، فإن الرياح التي تهب عليها تأتي من فوق البحر المتوسط فتعتدل حرارتها ، وترتفع رطوبتها مما يخفف من وطأة الجفاف والحرارة العالية[٣٨] .

وفي حين تكون الحركة العامة للرياح في طبقات الجو العليا هي الغربية ، فإنه يسيطر على فلسطين كتل هوائية متباينة تبعًا للضغط والحركة العامة للرياح . وأهم هذه الكتل في الشتاء :

١ - **الكتلة القطبية البحرية الباردة** : وتأتي عقب المنخفضات المتشكلة في المحيط ، فتفقد الكثير من صفاتها الرئيسة ، وتمتاز برطوبتها ، وعدم استقرارها ، وتؤدي إلى هطول الأمطار .

٢ - **الكتلة الهوائية القطبية البرية الباردة** : وتأتي من شمال غربي روسيا عن طريق البلقان وتركيا ، عقب مرور المنخفضات فوق شرق البحر المتوسط وتتصف بانخفاض الحرارة والجفاف وعدم الاستقرار .

وفي الصيف تسيطر الكتلة الهوائية المدارية البرية الحارة الجافة ، وتأتي من وسط آسيا

عبر إيران وتركيا بسبب خضوع المنطقة لتأثير الضغط المنخفض الهندي . ويمر جزء منها فوق البحر المتوسط بسبب حركة التفاف الرياح حول المنخفض فتكتسب بعض الرطوبة . وتعمل المرتفعات الجبلية على رفع الهواء إلى أعلى ، مما يؤدي إلى تشكل الغيوم ، ويؤدي ارتفاع الرطوبة في بعض المناطق إلى تشكل الضباب أو الندى لاسيما في الصباح .

أما فصلا الربيع والخريف : فهما فصلان انتقاليان ، حيث يتأرجح الطقس بين الحالة الشتوية والصيفية ، إلا أنهما يتصفان بصورة عامة بالاعتدال ، ويعتبر الخريف أكثر استقرارا من الربيع ، حيث تكون الرياح أقل سرعة ويتم الانتقال من الصيف إلى الشتاء بصورة تدريجية . وتتعرض المنطقة خلالهما لمرور نوع خاص من المنخفضات هي الخماسين ، وخاصة في الربيع ، حيث تسبب تشكل العواصف الترابية ، وتتشكل نتيجة تزحزح مواقع الضغط الشتوية باتجاه الشمال لتترك المجال لسيطرة المنخفض الجوي الحراري الموسمي ، ويتقلص امتداد الضغط المرتفع الأزوري تاركا المجال لتشكل المنخفضات الجوية خلف منطقة أطلس وفي الصحراء الليبية المصرية حيث تتحرك شرقا ويصل قسم منها إلى فلسطين ، وتجلب معها الأتربة والغبار . ويحدث مثل ذلك في الخريف ، حيث يبدأ المنخفض الموسمي بالتراجع ، فيما يبدأ المرتفع السيبيري بالامتداد جنوبا وغربا ، وكذلك المرتفع الأزورى بالامتداد فوق شمالي إفريقية ، فتبدأ المنخفضات بالتشكل في شمال الصحراء وفي حوض المتوسط ولكن بنسبة تقل عما يحدث في الربيع . لذلك تكاد تكون الكتل الهوائية السائدة في فلسطين خلال فصلي الربيع والخريف هي الكتل نفسها التي تسود في الشتاء مع اختلاف في التكرار وفي السيطرة .

الحرارة : الحرارة في فلسطين معتدلة بشكل عام ، إذ إن معدلاتها السنوية تتراوح بين ١٧ْم في المناطق الجبلية و ٢١ْ في المناطق الساحلية ، و ٢٣ْ في الأغوار . وتتراوح المعدلات الشهرية يناير، يوليه (كانون ٢، تموز) بين ١١° – ٢٣°م في المناطق الجبلية وتقل عن ٨°م في قمم الجبال ، وبين ١٤ْ – ٢٦ْم في المناطق الساحلية وبين ٢٥ْ – ٣٢ْم في الأغوار والعقبة[٣٩] .

وتعتبر منطقة البحر الميت وخليج العقبة أكثر المناطق ارتفاعا في درجات الحرارة

صيفا ، حيث تزيد معدلاتها عن ٣٢°م . وأشد الأشهر حرارة في فلسطين هو شهر آب ، وقد يكون تموز (يوليه) في بعض المحطات الداخلية ، حيث يزيد معدل الحرارة فيهما عن ٢٠°م في معظم المحطات .

وأبرد الأشهر هو يناير / كانون الثاني ، ولكن لا يقل معدله عن ٨°م في معظم المحطات ، غير أن الحرارة تنخفض في المناطق العالية إلى دون درجة التجمد في أوقات طويلة من فصل الشتاء . ولذلك تعتبر وسائل التدفئة لازمة في جميع مساكن المناطق الجبلية خلال فترة لا تقل عن ثلاثة أشهر متواصلة .

وقد بلغ أكبر معدل لدرجة الحرارة العظمى ٣٩,٤°م في وادي الفارعة (في الغور) في شهر يوليه / تموز ، كما بلغت أكبر درجة حرارة مطلقة في فلسطين ٥١,٢°م ، في شمال البحر الميت في يونيه / حزيران ، و ٥٠,٥°م في أريحا مقابل ٤٠°م في الساحل .

وبلغ أدنى معدل لدرجة الحرارة الدنيا ٤,٦°م في القدس في يناير / كانون الثاني . وقد تنخفض درجة الحرارة خلال فصلي الربيع والخريف نتيجة الإشعاع الحراري الكبير للأرض خلال ساعات أواخر الليل ، وقد تؤدي إلى أضرار كبيرة بالنسبة للخضراوات والأشجار بسبب حدوثها في أحرج أوقات نمو النبات . وقد سجلت أدنى درجة حرارة مطلقة في فلسطين (- ٦°م) في محطة العروب ، و (- ٥°م) في بئر السبع ، و (- ٣,٥°م) في القدس ، و (- ١,٦م°) في حيفا في شهر يناير / كانون الثاني .

ويلاحظ التفاوت الكبير في قيم الحرارة العظمى أو الدنيا مما يؤدي إلى تفاوت كبير في المدى الحراري . إذ يزداد المدى الحراري من الغرب إلى الشرق لتناقص تأثير البحر ، فقد يبلغ الفرق بين معدل درجة الحرارة العظمى في الصيف ومعدل درجة الحرارة الدنيا في الشتاء بين (٢٠°- ٢٢°م) في الساحل ، وبين (٢٤°- ٢٦°م) في المرتفعات الجبلية وبين (٢٨°- ٣٠°م) في الأغوار .

ولنفس الأسباب تتناقص الرطوبة النسبية بصورة عامة من الساحل إلى الداخل ، بسبب بعد المناطق الداخلية (خاصة في الغور) عن مصدر الرطوبة (البحر) ، كما أنها تزداد مع الارتفاع بسبب عامل انخفاض درجة الحرارة .

وتزداد الرطوبة كذلك من الصيف إلى الشتاء نتيجة انخفاض درجة الحرارة باستثناء المناطق الساحلية الجنوبية التي تكون اختلافات الرطوبة فيها قليلة جدا ، مع العلم بأن قيم الرطوبة ترتبط بالإضافة إلى ذلك بنوع الكتلة الهوائية المسيطرة على المنطقة . إذ يتراوح معدل الرطوبة الشهري في العام بين ٧٥ – ٨٠٪ فوق المناطق الساحلية الجنوبية حتى حيفا وبين ٧٠ – ٧٥٪ في المناطق الساحلية الشمالية ، وبين ٦٥ – ٧٠٪ في المرتفعات الجبلية ، ويأخذ في الانخفاض باتجاه الداخل ليصل إلى أقل من ٤٥٪ في جنوب البحر الميت ، وإلى أقل من ٤٠٪ في خليج العقبة .

الأمطار : تهطل الأمطار في فلسطين بسبب المنخفضات الجوية ، وما يرافقها من جبهات خلال فصل الشتاء (أمطار إعصارية) ، أو المنخفضات الخماسينية في فصل الربيع ، أو بسبب تسلق الرياح الرطبة على سفوح المنحدرات الغربية ، أو تيارات الحمل التي تحدث في الربيع والخريف بفعل تسخين الهواء الرطب .

يمتد الفصل الممطر في فلسطين من نوفمبر / تشرين الثاني إلى إبريل / نيسان ، ويتراوح عدد الأيام الممطرة (التي يسقط فيها أكثر من ١ ملم في اليوم) بين ٤٠ – ٧٠ يوما ، ويتناقص عدد الأيام الممطرة إلى عشرة أيام في خليج العقبة . ولكن تسقط معظم أمطار السنة في كانون الأول ، وكانون الثاني ، وشباط : ديسمبر ، ويناير ، فبراير ، حيث يسقط في الشهرين الأولين منهما بين ٤٠ – ٥٠٪ من أمطار العام . وتختلف كمية الأمطار من مكان إلى آخر حسب تباين عوامل سقوط المطر المذكورة أو توافقها . فعدد المنخفضات الجوية التي تعبر الجزء الشمالي من فلسطين أكبر من تلك التي تعبر الجزء الجنوبي ، كما أن سلاسل الجبال في الشمال أعلى منها في الجنوب ، والرياح التي تهب على الجزء الشمالي تمر على مسطح مائي أعرض من ذلك الذي تمر عليه الرياح التي تهب على الجزء الجنوبي ، ولذلك نلاحظ أن المجموع السنوي للأمطار يتناقص باتجاه الجنوب ويتناقص باتجاه الشرق أيضا باستثناء المرتفعات الجبلية التي يتزايد فيها مجموع الأمطار مع الارتفاع ثم يتناقص بنسبة كبيرة بعد اجتياز الرياح لقمم الجبال وانخفاضها في منطقة الغور .

وقد بلغت معدلات الأمطار السنوية للفترة بين ١٩٠١ - ١٩٤٠م في المحطات الساحلية ما يلي : عكا ٦٥٠ ملم ، حيفا ٦٣٥ ملم ، يافا ٥٥٠ ملم ، غزة ٣٧٠ ملم ، خان يونس ٢٦٣ملم . وبلغت في بعض المحطات الجبلية مايلي : المطلة ٩١٢ملم ، الكرمل ٧٠٠ملم ، الناصرة ٦٢٨ملم ، نابلس ٦٣٠ملم ، القدس ٥٨٣ملم ، الخليل ٥٠٢ ملم . وتسود الصفات شبه الصحراوية في النقب ، ففي بئر السبع تصل إلى ١٥٥ ملم ، وتتدرج نحو الصفات الصحراوية باتجاه الجنوب والشرق ، فتصل إلى ٥٠ملم في خليج العقبة . وحتى في الغور تتناقص من الشمال إلى الجنوب ، فتبلغ في بيسان ٣٠٥ملم ، وفي أريحا ١٢٥ملم ، وفي شمال البحر الميت ٨٨ملم فقط .

الموارد المائية

بعد دراسة مناخ فلسطين وظروفها الطبيعية الأخرى يسهل علينا تصور فقرها في الموارد المائية ، فهي أقل من الكمية المطلوبة للاستعمال في المجالات المختلفة ، ورغم تعدد مصادر المياه فإن أهمها التساقط ويليه المياه المخزونة . ففي حين يقدر مجموع المياه المتاحة في السنة في فلسطين ١٠,٠٠٠ مليون متر مكعب ، فإن ما يقرب من ٦٠٪ منها يأتي من التساقط الذي يقلل من أهميته تفاوت توزيعه المكاني والزماني ، بالإضافة إلى أن قسما كبيرا منه يهدر بالتبخر أو في البحر . ويقدر أن المياه الجوفية تشكل ٣٤٪ من مجموع المياه المتوافرة[٤٠] .

وتشكل المياه الجوفية أكبر مصدر للمياه الآن بعد التساقط وستبقى كذلك حتى تتغلب عليها المياه المحلاة من البحر ، وقد تم استغلال الموارد المائية الجوفية السطحية منذ القدم بالوسائل التقليدية ، ولكن بتطبيق الوسائل الحديثة أصبح بالإمكان اكتشاف وتطوير المياه الجوفية السطحية والعميقة . وأهم مناطق الاستغلال ، السهل الساحلي ، إذ توجد المياه على عمق ٥٠م قرب الشاطئ وعلى عمق ١٠٠م في الداخل . وتوجد مصادر أخرى متفرقة أمكن تطويرها ولا يوجد في النقب سوى القليل من المياه الجوفية . ومن

خصائص المياه الجوفية الساحلية أنها لا تخضع للتذبذب وتعطي صبيبًا منتظما ، ولكن الخطر يكمن في استغلالها بشكل يزيد عن طاقتها خاصة في سني الجفاف ، ويضاف إلى ذلك ارتفاع تكاليف استخراجها .

تزيد المقادير المتسربة من ماء المطر إلى باطن الصخور في مرتفعات فلسطين عن المقادير الجارية على السطح بسبب سيادة الحجر الجيري في التركيب الصخري لهذه المرتفعات وبالتالي تعدد المظاهر الكارستية ، إذ تتسرب المياه بين شقوق الصخور الجيرية والفجوات والمفاصل التي تزداد اتساعا بفعل ذوبان الجير . وينشأ عن هذه المياه المتسربة « الينابيع الفكلوزية » في المناطق الجبلية ذاتها ، بسبب وجود طبقات الطين الجيري الصماء المتداخلة ، والتي تمنع تسرب المياه للأعماق البعيدة ، وإلا فإنها تنتهي إلى الطبقات الرملية والجيرية الأخرى في المنخفضات أو السهول ، حيث وجدت فيها الآبار أو « البيارات » كما شاع التعبير عنها محليا .

كانت الينابيع ، ولا تزال ، مصادر مياه مرغوبة في حوض البحر المتوسط ، ومن ميزاتها سهولة الحصول عليها وتوافرها على طول العام . وقد استغلت في فلسطين منذ قدم الأزمنة حيث ارتبط بوجودها معظم مواقع القرى والمدن . وقد استغلت إسرائيل هذا المورد أبعد استغلال حيث وفر لها في سنة ٦٤ / ١٩٦٥م مايقرب من ٣٠٠ مليون متر مكعب أضيفت إلى مياه نهر الأردن المسحوبة من بحيرة طبريا .

ويعتبر نهر الأردن أهم أنهار فلسطين ، وتقع معظم منابعه خارج فلسطين ، ويستمد نهر الأردن معظم مياهه من سفوح جبل الشيخ ، ولو أن تدفقه يختلف حسب المواسم كما أن نسبة الملوحة مرتفعة فيه نسبيا .

يقدر الخبراء أن الماء الذي يوفره نهر الأردن ، والذي يستطيع الإنسان الحصول عليه فعلا من مصادره المختلفة هو ١٤٨٢ مليون متر مكعب ، منها ٧٠٠ مليون من روافده العليا الأربعة : بانياس ، والحاصباني ، وبريغيث ، واللدان (أي عند جسر بنات يعقوب) ، وحوالي ٤٨٠ مليونا من نهر اليرموك ، والباقي من ينابيع تنصرف إليه من الجانبين على طول مجراه ، ومخصوم من هذه الكمية مقدار الضياع بسبب التبخر[٤١] .

ورغم أن نهر الأردن ساعد منذ العصور القديمة على إيجاد مستوطنات مستقرة في

حوضه ، فإن موقعه المتطرف بالنسبة لفلسطين وجريانه في الحوض المنخفض ذي المناخ الصحراوي جعله أقل أهمية من الموارد المائية الأخرى – على فقرها – كالعيون في المناطق الجبلية ، أو الخزانات الجوفية في المناطق الساحلية ، وذلك منذ عهود موغلة في القدم .

غير أن وجود فائض من المياه الجوفية في القسم الشمالي من فلسطين أدى إلى وجود أنهار صغيرة تنبع من المناطق الجبلية وتتجه إلى البحر ، مثل نهر المقطع الذي يصب في خليج حيفا ، ونهر العوجا الذي يصب إلى الشمال من يافا . وهناك أنهار موسمية يجف معظمها ثلاثة أرباع السنة أو يزيد (شكل ٥) .

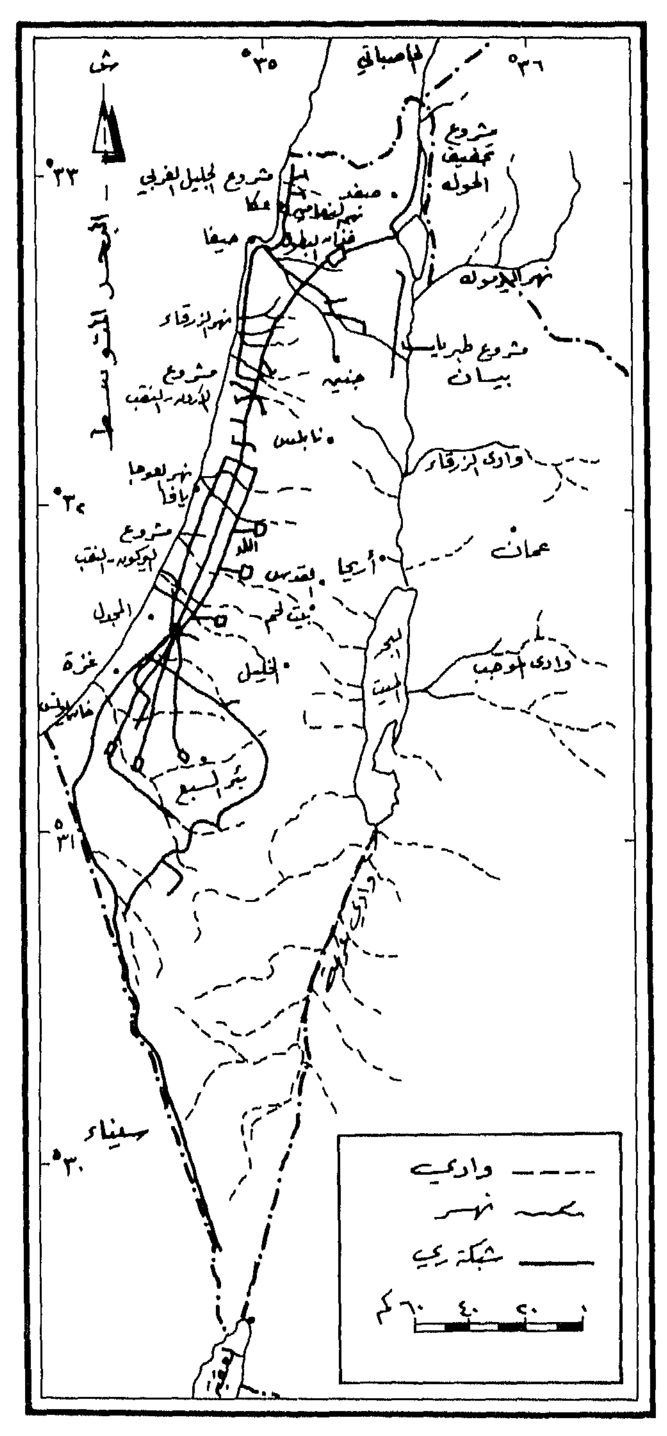
وتتفاوت مائية هذه الأنهار بحسب فصول السنة ، وبالرغم من ارتفاع تكاليف تطوير هذه الموارد بسبب حجمها الصغير وفصليتها ، فقد عمدت السلطات الإسرائيلية إلى تطوير بعضها لاسيما في منطقة السهل الساحلي ، الذي يحتاج إلى المياه مما أثر على منسوب نبع العوجا . وقد جرى حجز المياه في ينابيع أخرى خلال الفيضان لتوفير احتياطي الماء[٤٢].

ونظرا لقلة الأمطار فقد اقتصر التصريف في المناطق الأخرى– خاصة النصف الجنوبي من فلسطين– على وجود وديان كبيرة ذات روافد عديدة ، وأحواض واسعة لها جيومورفولوجية الأنهار ، تجري فيها المياه عقب سقوط الأمطار ، مثل وادي الصرّار الذي يصرف مياه سفوح جبال القدس وبيت لحم ، ووادي الخليل الذي يصرف مياه جبال الخليل في الجنوب .

وليس غريبا أن يلجأ سكان فلسطين منذ عهود بعيدة إلى بناء خزانات لتجميع مياه أمطار الشتاء والاستفادة منها على طول أيام السنة ، إذ اكتشفت خزانات عديدة يعود بناؤها إلى العصر الروماني[٤٣] .

وتحفر الخزانات في الصخور ثم تبنى بملاط جيري حتى تصبح جوانبها وأرضيتها صماء لا تسرب مابها من مياه مخزونة إلى الطبقات المحيطة . وكان يحفر لهذه الخزانات أقنية اصطناعية لتوصيل مياه الأمطار إلى فتحاتها .

وقد انتشرت ظاهرة بناء الخزانات انتشارا واسعا في المناطق الجبلية حتى أصبحت في



شكل ـ ٥ ـ التصريف المائي بفلسطين وشبكة الري التي تمت في زمن الاحتلال الصهيوني.

مطلع القرن العشرين – أي قبل عهد جر مياه الشرب بالأنابيب – الوسيلة الأساسية في تأمين المياه لسكان المدن والقرى . وكان السكان يحرصون على تخزين مياه الأمطار في آبار تحفر في المنازل لاستخدامها في فصول الجفاف . وكانت مياه الأمطار الساقطة على أسطح المنازل تجمع لتصب في هذه الآبار .

و لم تكتف سلطات الاحتلال بسحب مياه نهر الأردن من طبريا إلى منطقة الساحل ، ثم إلى شمال غرب النقب ، فضلا عن سحب مياه الينابيع والأنهار الصغيرة الساحلية ، بل عمدت إلى إزالة ملوحة مياه البحر حتى ذكر أن ١٠٪ من المياه المستهلكة في فلسطين المحتلة في عام ١٩٦٧م كانت مياها من البحر مزالة ملوحتها . وعمدت السلطات اليهودية كذلك إلى تنقية مياه المجاري في منطقة تل أبيب وإضافتها إلى المياه الجوفية ، ووفرت بذلك ما مقداره ١٠٠ مليون متر مكعب في عام ١٩٨٠م استعملت للري[٤٤] .

وقد أخضعت سلطات الاحتلال المياه لرقابة مشددة ، فسنت قوانين تخول الدولة ملكية المياه السطحية والجوفية وحقوق التوزيع ، وإقامة المشاريع الكبيرة والصغيرة التي كان منها : مشاريع نقل المياه من ينابيع ضواحي عكا إلى مزارع وادي المقطع ، ومن بحيرة طبريا إلى بيسان ، ومن الآبار القريبة إلى العقبة وأهم من هذا كله مشروع قناة مياه نهر الأردن .

يقدر أن ٨٠٪ من المياه المستعملة في فلسطين المحتلة تستهلك في الزراعة نحو ١٤٪ للاستخدامات المنزلية ، و ٤٪ للصناعة فقط . وقد زاد الاستهلاك الإجمالي للمياه ببطء بمعدل ١,٥٪ سنويا ، أي أقل من معدل الزيادة السكانية ، وتراوح استعمال الفرد في المناطق العمرانية بين ١٦٠ – ٣٨٢ مترًا مكعبًا في السنة ، وفي المناطق الريفية ٨٠٠ – ١٢٠٠ متر مكعب في السنة[٤٥] ، وذلك خلال الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧م .

التربة

تمثل التربة بأنواعها المختلفة عاملا طبيعيا يتحكم في تحديد النطاقات النباتية والأصناف الزراعية . وفي طاقة النمو والإنتاج لكل منهما . ولا تتوقف خواص التربة على أنواع الصخور التي اشتقت منها فحسب ؛ بل إنها تحمل كذلك أثر العوامل المناخية وخاصة الحرارة والأمطار التي تساعد على تكوينها ، كما أنها تتأثر بشكل التضاريس ومقادير الارتفاع إلى حد كبير ، وتتأثر بالنباتات التي تنمو فيها والحيوانات التي تعيش عليها بسبب ما تخلفه من مواد عضوية تدخل في تركيب التربة .

ونظرا للتنوع الشديد في معظم هذه المظاهر فقد تنوعت التربة في فلسطين تنوعا كبيرا ، داخل مساحات محدودة . ويمكن أن نلخص أهم أنواع التربات في فلسطين ، وأبرز الخصائص لكل منها فيمايلي :

أ – **تربة إقليم البحر المتوسط** : وتتمثل في التربة الجبلية الحمراء ، وفي تربة السهول الساحلية . وتظهر التربة الجبلية الحمراء Terra Rossa على منحدرات جبال فلسطين[٤٦] ، وقد تكونت من تفتت الصخور الجيرية التي ترتفع فيها نسبة السيلكا وبعض الأملاح وأكسيد الحديد الذي يكسبها اللون الأحمر وتقل فيها العناصر العضوية . وقد تطورت هذه التربة نتيجة تحلل صخور الكلس الجوراسية الكريتاسية تحت ظروف مناخ البحر المتوسط ذي الصيف الحار الجاف والشتاء البارد الممطر .

وتحتوي التربة الحمراء على ٥٠٪ من السيلكا وما بين ١٠ – ١٥٪ من الألمونيوم والحديد وهي أقل قابلية للذوبان بالماء . هذا فضلا عن ارتفاع نسبة العناصر الأزوتية ، نتيجة لنشاط العناصر الحيّة في التربة ، التي تمتص الأزوت من الهواء . وقد جمعت بين ميزة تحلل العناصر العضوية التي تكتسبها من الغطاء النباتي الذي ينمو فوقها ، وميزة تجمع هذه العناصر العضوية على السطح[٤٧] .

ولذلك فتربة إقليم البحر المتوسط من أخصب أنواع التربات ، ومن أصلحها للزراعة بل تزداد تحسنا بالاستعمال ، ويؤدي استخدام الأسمدة فيها إلى نتائج حسنة ، فتجود فيها زراعة القمح والكروم والزيتون والفاكهة ، ولكنها تتعرض لمشكلة الانجراف على المنحدرات ، وقد عمد المزارعون منذ القدم إلى إنشاء المدرجات للحفاظ عليها .

وتظهر تربة السهول الساحلية – وهي النوع الثاني من تربات البحر المتوسط – على

الساحل وتتكون من خليط من تربة الجبال المنجرفة مع الترببات الموضعية والرمال ، ولذلك فهي أقرب إلى التربة الصفراء الخصبة التي تحتفظ بالرطوبة في الطبقات السفلية . وتعمل فترة الجفاف الصيفي على خفض مستوى الماء فيها ، وعلى ارتفاع درجة حرارة التربة مما يساعد على تنشيط الكائنات الحية التي تقوم بعملية التأزت (Nitrogen Fixation) ، أي تحول النتروجين إلى أملاح نتروجينية بواسطة البكتريا . ومع ذلك فهي تختلف حسب موقعها ؛ ففي المناطق القريبة من أقدام الجبال تكون صلصالية ثقيلة متماسكة الحبيبات غنية بالمواد المعدنية والعضوية ، داكنة اللون ، الأمر الذي جعلها تلائم كثيرا من الحاصلات كالخضراوات والعلف والحبوب والقطن والمحاصيل الصيفية . وتتحول إلى تربة رملية طفلية شبه ثقيلة في الوسط تعرف باسم التربة الرملية الحمراء ، وتصلح لزراعة كافة أنواع الحمضيات . وفي الأطراف المجاورة للبحر تصبح رملية خشنة يتخللها نطاق من الكثبان وترتفع فيها نسبة الملوحة وتقل المواد العضوية ولذلك فهي غير صالحة للإنتاج .

ب - **التربة الرسوبية الفيضية** : وتتمثل في حوض وادي الأردن الذي يبدأ بنهيرات صغيرة تصب في منطقة الحولة ، ومنها إلى طبريا فالبحر الميت . فالتربة في أودية الحولة صلصالية ناعمة شديدة التماسك غنية بالمواد المعدنية والعضوية ، سوداء اللون ، وهي خصبة تصلح لزراعة المحاصيل الحقلية والعلف والخضراوات . وفي وادي الأردن الأوسط تكون التربة جيرية طينية جيدة الصرف وخصبة ، ولكن خصوبتها تقل بالاتجاه جنوبا لارتفاع نسبة الجير والأملاح وبطء الصرف[٤٨] . وتصلح هذه التربة لزراعة الحبوب لاسيما القمح والشعير والأعلاف والخضراوات ، أما تربة الأجزاء الجنوبية من الوادي فهي مالحة وفي حاجة إلى الغسل حتى تصلح لزراعة كثير من الحاصلات ، خاصة الأرز ومنتوجات المناطق المدارية .

جـ - **تربة الاستبس شبه الجافة أو استبس أطراف إقليم البحر المتوسط** : وتتمثل في تربة شمال النقب[٤٩] . وهي وإن كانت فقيرة نسبيا بالمواد العضوية بحكم فقرها بالغطاء النباتي ، وكذلك قلة الأحياء الحيوانية ، إلا أنها في شمال النقب تعتبر نوعا من

أنواع تربة اللويس ، وهي رواسب غير متماسكة من الطين والتراب غنية بعنصر الجير ويميل لونها إلى الرمادي . وبالرغم من خصوبتها النسبية فهي عرضة للتفتت بمجرد تعرضها للجفاف الصيفي ، ولذا يمكن استصلاحها ، لكنها تكوّن قشرة صلبة عقب سقوط الأمطار الشتوية . وتوجد في جنوب النقب مساحات واسعة من صحارى الحمادة والصحارى الحصوية وحتى صحارى الرق والكثبان .

د - **تربة المنخفضات والأودية الجافة** : وهي من أنواع التربات الصحراوية وتتمثل في وادي عربة وروافده والسيول التي تنتهي إلى البحر الميت ، وتتصف بأنها صلصالية تفتقر إلى المواد العضوية ، وترتفع فيها نسبة الأملاح ، خاصة في جنوب البحر الميت ، حيث تبدو شديدة التماسك ، ولا تصلح للاستثمار إلا بعد غسلها جيدا . وقد وجدت واحات تزرع الشعير والنخيل في هذه التربة عند نقاط التقاء الوديان .

هـ - **التربة البازلتية** : أي الناتجة عن تحلل الصخور البركانية أو الرماد البركاني . وتتمثل في تربة جنوب شرق الجليل وجنوب الحولة ، وتتصف بأنها تربة خصبة متماسكة جيدة الصرف غنية بمختلف العناصر المعدنية الصالحة للإنتاج الزراعي ، وهي تشبه التربة الحمراء في لونها وفي قوامها وتركيبها الكيماوي وقد يميل لونها إلى اللون الداكن .

الحياة النباتية والحيوانية

تعتبر فلسطين جزءا من إقليم غابات البحر المتوسط ، التي يعدّ عماد أشجارها السنديان والبلوط والغار والزيزفون والزيتون والتفاحيات واللوزيات والصنوبريات والكينياء وغيرها ولكن معظم هذه الأشجار قطعت للاستفادة من أخشابها في مجالات مختلفة كالصناعة والأثاث والبناء . ومعظمها استخدم في الوقود ، بالإضافة إلى تطهير الأرض من الأشجار لإخضاعها للزراعة التي لا يزال يمارسها السكان منذ آلاف السنين ، سواء على السفوح الجبلية حيث أقيمت المدرجات ، أو في الأحواض وبطون الأودية والسهول الساحلية .

ومما يؤسف له أنه لم يبق أثر للغابات في المناطق الساحلية في الوقت الحاضر ، في حين أن غابات السنديان كانت تملأ السهل الساحلي كما ذكر محمد كرد علي « بناء على كتابات يوسيفوس واسترابو » الذي ذكر أيضا أن من أشهر غابات فلسطين في القرن السابع عشر الميلادي والقرن الحادي عشر الهجري غابة عسقلان . وهي حرج كبير يمتد إلى نواحي الرملة ، ومنها غابة أرسوف بالقرب من نهر العوجاء وتمتد إلى عكا ، وكان يقال لها غابة قلنسوة[٥٠] .

ومن الطبيعي أن مناطق المرتفعات تصمد أشجارها مدة أطول ، وتستعصي على الاجتثاث مهما بلغ . غير أن عملية اجتثاث الأشجار في الفترة الأخيرة التي صحبت إنشاء السكك الحديدية وتشغيل القطارات بوقود أخشاب الأشجار منذ مطلع هذا القرن ، زادت الطلب على الأخشاب زيادة هائلة وأثّرت بالتالي تأثيرا بالغا على الغابات وعلى الثروة الخشبية عامة . ولم يبق من الأشجار سوى أكمات في بعض المناطق كالسفوح الوعرة العالية أو الوديان السحيقة . وقد تقهقر بعضها إلى مجموعات شجرية نصف شوكية أي « جريج وماكي » والتي عماد أشجارها البلّوط والخروب والسدر والزعرور والسّوّيد والبطم والسرو والحور والكينياء .

وتنتشر بين أشجار هذه المجموعة وخارجها نباتات حولية عبارة عن حشائش استبس البحر المتوسط التي تكثر فيها الحشائش الشوكية التي تعيش عليها الأغنام والماعز منذ الحضارات القديمة . وتكثر في المناطق التي تقل فيها الأمطار ، ولا تخضع أراضيها للزراعة .

ويحوي إقليم الغور أشجار المناطق الحارة التي تنمو على ضفاف الأنهار كالحور والصفصاف والبوص ، وتمتد على جانب نهر الأردن بين طبريا والبحر الميت ، وتوجد على طول الأودية الممتدة إلى سفوح التلال أشجار صغيرة ، وشجيرات مشابهة لتلك التي تنبت في البيداء المعشبة . ويوجد في القسم الشمالي من الغور أي في منطقة الحولة بالإضافة إلى ما ذكر الحلفاء والأثل ، والقصب الفارسي والغزار والسوسن وزنبق الماء وغيرها . وفي القسم الجنوبي سبط السّيال والنخل والعُشر والرّتم والصلّة واللبان والطرفاء

والمّلاح والفَرْقد والنبق والعوسج والسلفادورا والدبق الهندي والزقوم والكَرَد ، أي أنها تتحول إلى نباتات المناطق الصحراوية . وفي جنوب البحر الميت تسود أنواع الأكاسيات التي تختلط مع الأنواع السابقة ومع الحروز والخروع وأجمات من الحشائش كالقبقب . ونباتات وادي عربة في الجنوب نباتات صحراوية خالصة مثل : السّيال (السنط) والطّلح والغَضا واللصف والكَبَر والخزامى والعرعر والطرفا والأثل والقرْذَة وغيرها[٥١] . وقد شعرت حكومة الانتداب البريطاني بواجبها تجاه حماية الثروة الشجرية وتوسيع مساحاتها واستعادة شيء من ماضيها ، فسنت القوانين لتنظيم الحفاظ عليها ، وأنشأت دائرة الأحراج التي أناطت بهاحراسة الأشجار الموجودة ، وزراعة مساحات معينة من الأراضي غير الخاضعة للإنتاج الزراعي .

وتشير إحصائيات أواخر العهد البريطاني أي في سنة ١٩٤٦م إلى وجود ٢٠٠ كيلو متر مربع من الغابات والأحراج الطبيعية والمزروعة ، وحوالي ٧٠٠ كيلو متر مربع من الغابات والأراضي تحت إدارة حكومة الانتداب ، ونحو ١٣٠٠ كيلو متر من الغابات والأحراج المهملة وغير المستعملة فيكون المجموع ٢٢٠٠ كيلو متر مربع أي بنسبة ٨٪ من مساحة فلسطين في ذلك الوقت .

وقد اهتمت حكومة الأردن بالحفاظ على الثروة النباتية بإعادة التشجير والحفاظ على الموجود منها عن طريق دائرة الأحراج ، كما اهتمت سلطات الاحتلال أيضا بحماية الثروة النباتية ، وممارسة أعمال التشجير في نفس الوقت الذي اهتمت فيه بتوسيع المساحات الزراعية حتى إن إحصائياتها تشير إلى وجود ٤٢٣٦,١٥ كيلو مترا مربعا من الأراضي صنفت مراعي وأحراج ، ولا يقل هذا الرقم كثيرا عن مساحة الأراضي الزراعية فيها والتي بلغت ٤٦١٣,٨٥ كيلو مترا مربعا ، وبذلك تكون نسبة الأراضي المستغلة في فلسطين المحتلة ٤٢٪ من مجموع مساحة البلاد .

أما الحيوانات التي تعيش في فلسطين فتوجد في مختلف المناطق وأشهرها القطط ، والغزلان ، والأرانب ، والذئاب ، والنمور ، والخنازير البرية ، والضباع ، والثعالب ، والخلند ، والقنافذ ، والخفافيش . وبالإضافة إليها يوجد في الغور الوبر والطائر المعروف

باسم أبو الزهور ، وفي جنوب البحر الميت توجد في أجمات القبقب الخنازير البـرية ، وفي وادي عربة تكثر الجرابيع والعقارب والأفاعي والقطط الوحشية بالإضافة إلى ما ذكر .

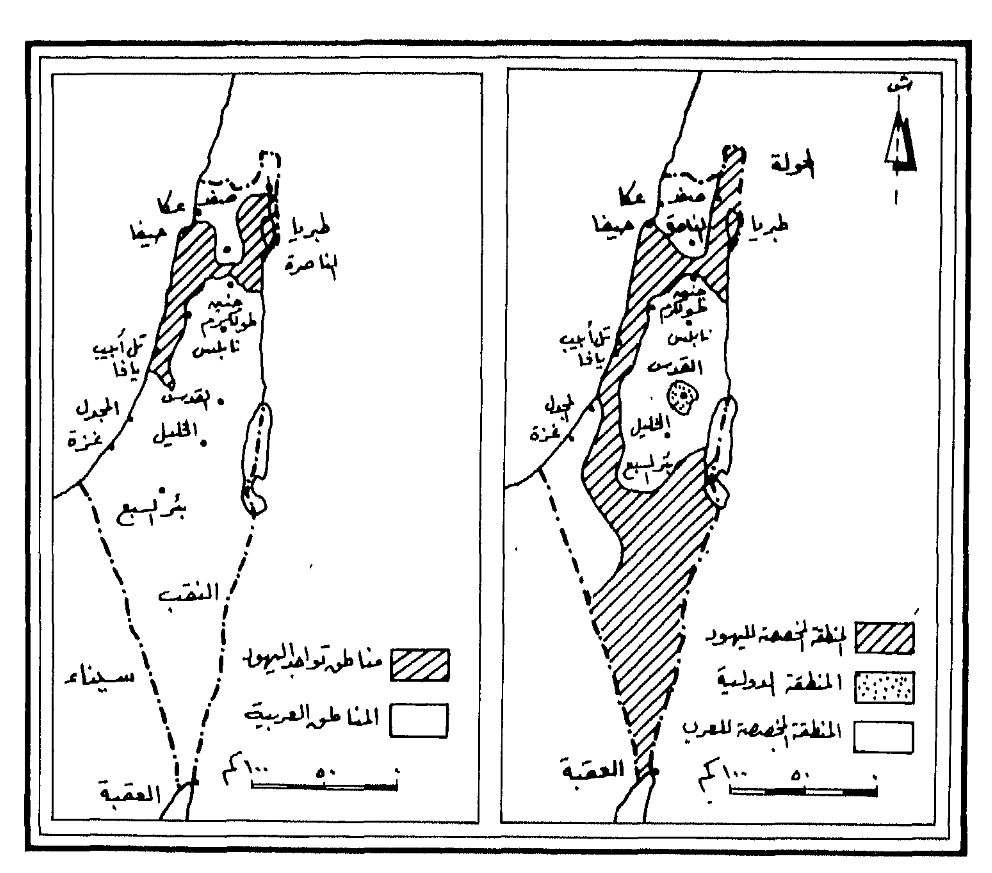
ومن طيورها الدجاج والحمام والبط والأوز والشنّار والحبش والسنونو والحسون والبلبل والعصفور الدوري والقبرة والقاق والغراب والصقر والباز والبوم والعقاب وغيرها . ويزور البلاد في الصيـف الغر (السلوى) ، وفي أوائل الشتاء السماني وأبو الحناء .

وقد منعت سلطات الاحتلال أعمال الصيد منعا باتا وبجميع أشكاله بحجة الحفاظ على الثروة الحيوانية ، ويستطيع المتتبع ملاحظة زيادة كثافة الحيوانات والطيور البرية خلال العقدين الأخيرين في فلسطين المحتلة .

السكان

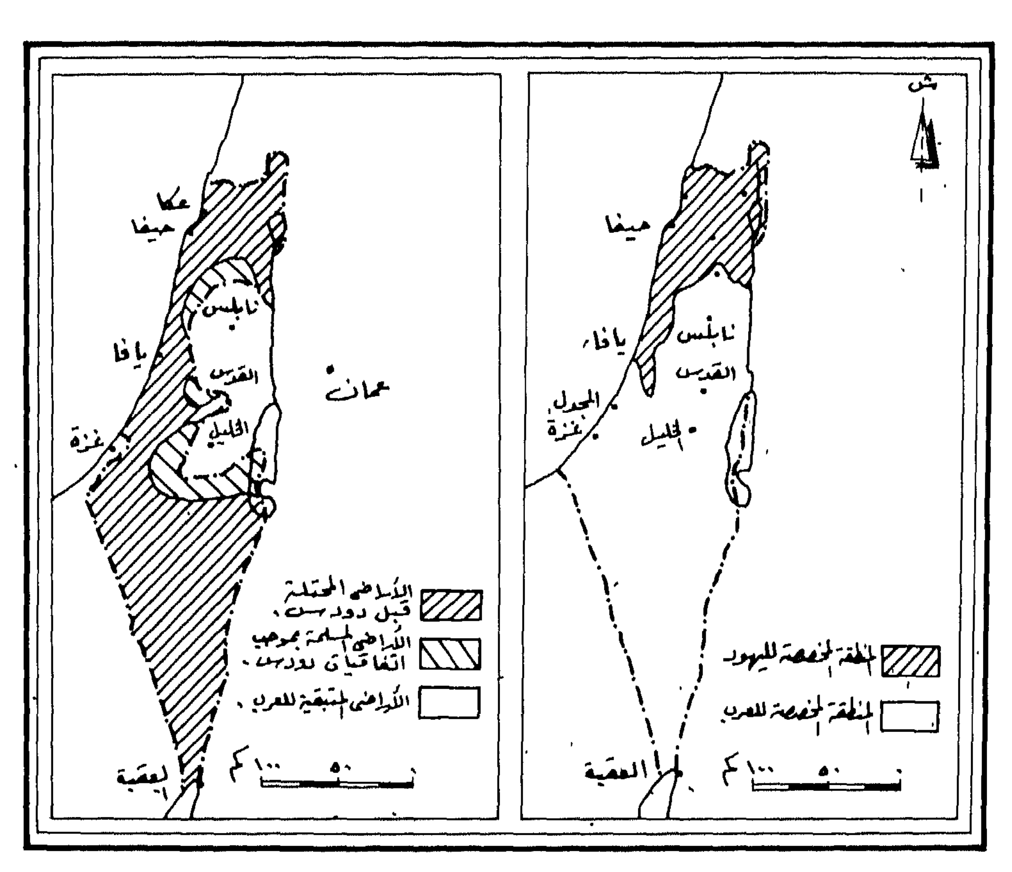
تصعب دراسة الظواهر السكانية وغيرها من الظواهر البشرية في فلسطين بنفس منهج دراستها في الأقطار الأخرى ، وقد نشأت هذه الصعوبة من أن الصهيونية العالمية عملت بالتحالف مع الاستعمار على إيجاد الكيان الصهيوني . وكان من أهداف هذه المؤامرة (التي بدأت منذ القرن التاسع عشر) تغيير الواقع البشري وإيجاد تركيبة بشرية جديدة في فلسطين . وبعد النجاح في إنشاء الكيان الصهيوني في جزء من فلسطين في سنة ١٩٤٨م بقي ذلك التحالف قائما للعمل على تثبيت أركان الدولة وتوسيعها إلى أن سيطرت على فلسطين كلها ، بالإضافة إلى أجزاء من البلاد العربية المجاورة عقب حرب ١٩٦٧م . وصار هدف الصهيونية تهويد فلسطين وذلك بمصادرة الأراضي العربية وطرد أصحابها الشرعيين والتنكيل بهم وإنشاء المستعمرات في المناطق العربية . (شكل ٦) .

لذلك يتضح أن الأحداث التي تمت في فلسطين في عامي ١٩٤٨ ، ١٩٦٧م كانت



«أ» حسب قرار الجمعية العمومية (١٩٤٧م) «ب» الوضع في نهاية الانتداب (١٥/٥/١٩٤٨م)

شكل -٦- مشاريع تقسيم فلسطين



"ج" مشروع الكونت برنادوت (١٩٤٨م)   "د" بعد اتفاقيات رودس (١٩٤٩م)

شكل -٦- مشاريع تقسيم فلسطين

مهمة جدا بالنسبة إلى تنفيذ مخططات تهويد فلسطين وتغيير المعالم البشرية فيها . وهذا يقتضي اتخاذ فواصل زمنية للتمييز بين الظواهر البشرية في فلسطين ، أي قبل عام ١٩٤٨م ، وفيما بين عامي ١٩٤٨م و ١٩٦٧م في كل من فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) والضفة الغربية وقطاع غزة ، وفي هذه المناطق الثلاث في الفترة التالية لاحتلال سنة ١٩٦٧م .

١ - نمو سكان فلسطين وتوزيعهم :

(أ) نمو السكان وتوزيعهم قبل عام ١٩٤٨م :

جرى تعدادان سكانيان بفلسطين في ظل الانتداب البريطاني : الأول في سنة ١٩٢٢م ، والثاني في ١٩٣١م ، ووضعت تقديرات للسكان في السنوات التالية حتى نهاية عهد الانتداب ، وقد بلغ عدد سكان فلسطين في سنة ١٩٢٢م نحو ٧٥٢٠٤٨ نسمة ، وارتفع إلى ٢١١٥٠٠٠ في مايو / أيار ١٩٤٨م ، وبالرغم من أن الفضل الأكبر في هذا التغيير يعود إلى الزيادة الطبيعية ، حيث قدر أنها أسهمت بنسبة ٦٣٪ من الزيادة العامة للسكان فيما بين عامي ١٩٢٢م ، ١٩٤٤م[٥٢] ، وأسهم صافي الهجرة بالنسبة الباقية ، إلّا أن صافي الهجرة يعتبر مهما وحاسما بالنسبة لزيادة عدد اليهود لأنها لم تسهم بشيء يذكر بالنسبة للعرب كما يتضح من بيانات الجدول رقم (١) .

ويتضح من هذا الجدول أن عدد سكان فلسطين زاد بأكثر من ثلاثة أمثال ماكان عليه في عهد الانتداب البريطاني (أي بين ١٩٢٠ - ١٩٤٨م) . وفي حين أن العرب زادوا بنسبة ٢٣٠٪ بفضل الزيادة الطبيعية التي أسهمت بنحو ٩٣٪ من الزيادة الحاصلة ، فإن اليهود زادوا بنسبة ١١٠٦٪ بفضل الهجرة التي فتحت أبوابها لهم على مصاريعها في ذلك العهد ، حيث بلغ عدد المهاجرين اليهود في عهد الانتداب نحو ثلث مليون نسمة ، جاء معظمهم من دول أوروبا ، فارتفعت نسبتهم بذلك من ١٠٪ من سكان فلسطين سنة ١٩٢٠م إلى ٣٤,٥٪ سنة ١٩٤٨م ، وتراجعت نسبة العرب من ٩٠٪ إلى نحو ٦٥,٥٪ .

ومن الجدير بالملاحظة أن عدد اليهود لم يتجاوز ٢٤٠٠٠ نسمة سنة ١٨٥٢م وقد تضاعف عددهم بسبب الهجرة التي تمت قبل عهد الانتداب البريطاني (شكل ٧) .

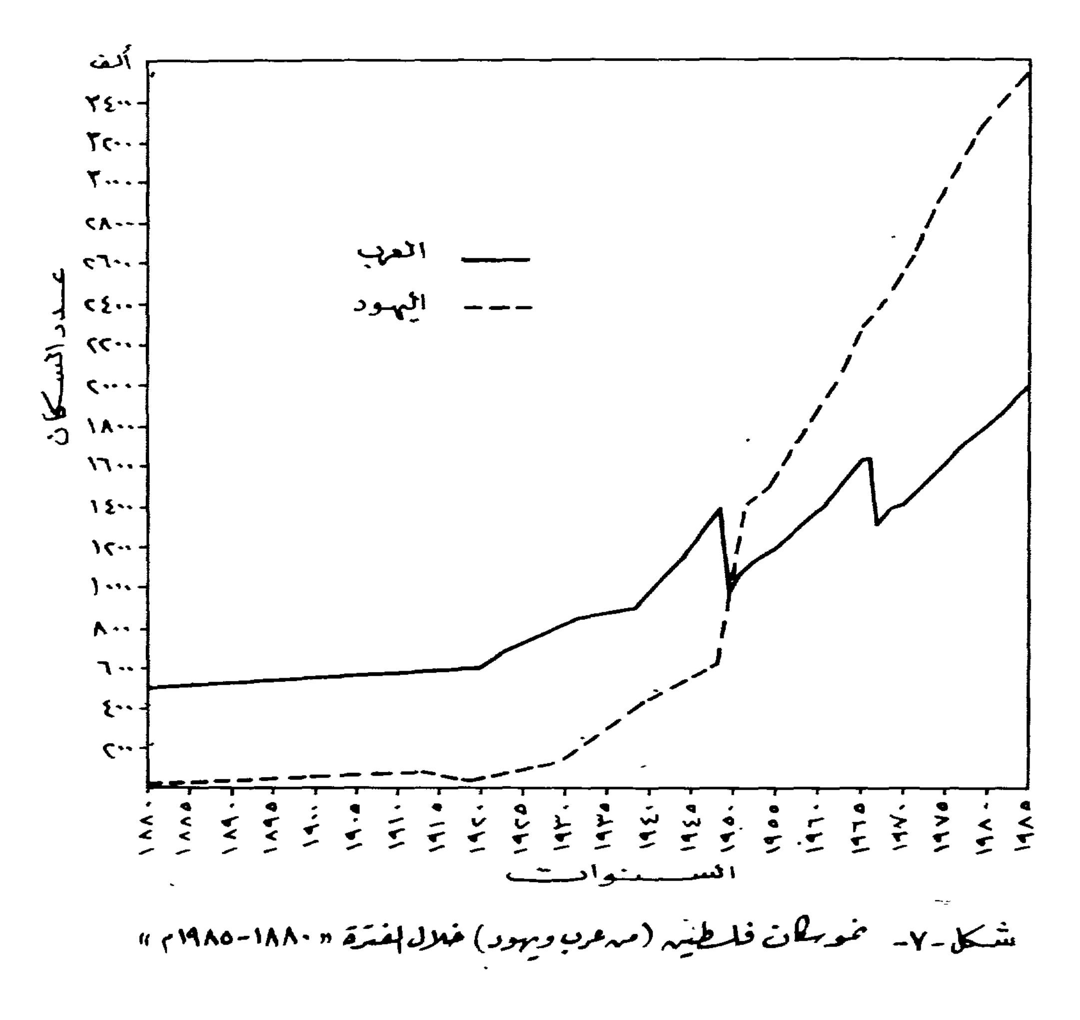
جدول (١) – تطور سكان فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

البيـــان	مجموع السكان	العرب (مسلمون ومسيحيون)	اليهـــود	أقليات عربية أخرى*	نسبة اليهود
تقدير ١٩٢٠م	٦٧٣٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٦٦٠٠٠	٧٠٠٠	٪١٠
تعداد ١٩٢٢م	٧٥٧١٤٨	٦٦٠٦٤١	٨٣٧٩٠	٧٩١٧	٪١١,١
تعداد ١٩٣١م	١٠٣٥٨٢١	٨٥١١١٠	١٧٤٦١٠	١٠١٠١	٪١٦,٩
تقدير ١٩٣٨م	١٢٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠	٢٨٩٠٠٠	١١٠٠٠	٪٢٤
تقدير ١٩٤٤م	١٧٣٩٦٢٤	١١٩٦٨٢٤	٥٢٨٧٠٢	١٤٠٩٨	٪٣٠,٤
تقدير (آذار ١٩٤٧م)	١٩٣٣٦٧٣	١٣٤٧٥٣٨	٦١٤٢٣٩	١٥٨٤٩	٪٣١,٨
تقدير (أيار ١٩٤٨م)	٢١١٥٠٠٠	١٣٨٠٠٠٠	٧٣٠٠٠٠	٣٥٠٠٠	٪٣٤,٥
الزيادة الطبيعية بين إحصائي (١٩٢٢ – ١٩٣١م)	٦٢٢٢٤٧	٤٩٨٩٩٥	١١٧٢٢٦	٦٠٢٦	
النسبة المئوية	٪٦٣	٪٩٣	٪٢٦	٪٩٣	
الزيادة بفعل الهجرة بين ١٩٢٢–١٩٣١م	٣٦٥٢٢٩	٣٧١١٨	٣٢٧٦٨٦	٤٥٥	
النسبة المئوية	٪٣٧	٪٧	٪٧٤	٪٧	

* تضم هذه الفئة الدروز والبهائيين والشيعة وغيرهم .

المصدر : ١ – مصطفى مراد الدباغ – المرجع السابق ، ص ٢٣ – ٣٢ .

٢ – حسن عبد القادر صالح ، المرجع السابق ، ص ٢١ – ٢٥ .



شكل -٧- نمو سكان فلسطين (من عرب ويهود) خلال الفترة «١٨٨٠-١٩٨٥م»

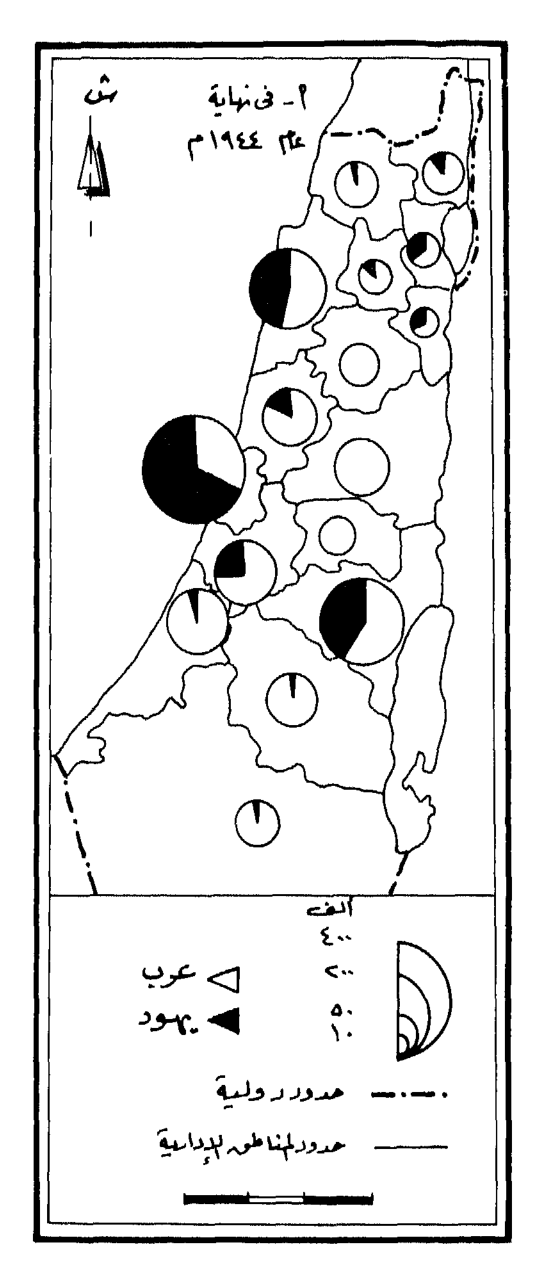
وقد أدت هذه الزيادة في عدد السكان إلى زيادة كثافتهم العامة من ٢٨,٧ نسمة / كم مربع سنة ١٩٢٢م إلى ٣٩,٢ نسمة / كم مربع سنة ١٩٣١م ، ثم إلى ٦٦,٩ نسمة / كم مربع في نهاية سنة ١٩٤٤م[٥٣] . ولكن لم تحصل هذه الزيادة في كل المناطق أو الأقضية بشكل متكافئ ، بل حصل تركيز على الأقضية الساحلية بالإضافة إلى منطقة القدس ، سيما وأن هذه المناطق كانت هدفا للاستيطان الصهيوني لما تتمتع به من خصائص ؛ إذ تتميز الأقضية الساحلية بموقعها المتميز وبخصوبة التربة وتوفر المياه واعتدال المناخ وسهولة المواصلات ، وتتميز منطقة القدس بأهميتها الدينية والسياسية . وقد شهدت الأقضية الجبلية وأقضية وادي الأردن حركة نزوح منها إلى الأقضية السابقة ، (شكل ٨ أ) .

جدول (٢) – توزيع سكان فلسطين وكثافتهم وفقا لتقدير نهاية عام ١٩٤٤م

أقضية فلسطين	عدد السكان	المساحة كم٢	الكثافة نسمة/كم٢	نسبة العرب ٪
١ – قضاء يافا .	٣٧٣٨٠٠	٣٣٥,٣	١١١٤,٨	٢٩,٣
٢ – قضاء القدس .	٢٤٧٩٠٠	١٥٧٠,٨	١٥٧,٨	٥٩,٦
٣ – قضاء حيفا .	٢٢٤٦٠٠	١٠٣١,٨	٢١٧,٦	٥٣,٥
٤ – قضاء غزة .	١٣٧١٠٠	١١١١,٥	١٢٣,٣	٩٧,٩
٥ – قضاء الرملة .	١٢٧٢٠٠	٩٢٦,٧	١٣٧,٢	٧٦,٩
٦ – قضاء الخليل .	٨٩٦٠٠	٢٠٧٦,٠	٤٣,١	٩٩,٩
٧ – قضاء نابلس .	٨٩٢٠٠	١٥٩١,٧	٥٦,٠	١٠٠,٠
٨ – قضاء طولكرم .	٨٦١٠٠	٨٣٥,٣	١٠٣,٠	٨٢,١
٩ – قضاء عكا .	٦٨٣٠٠	٧٩٩,٦	٨٥,٤	٩٥,٧
١٠ – قضاء جنين .	٥٦٨٠٠	٨٣٥,٢	٦٨,٠	١٠٠,٠
١١ – قضاء بئر السبع .	٥٣٧٠٠	١٢٥٧٧,٠	٤,٢	٩٩,٧
١٢ – قضاء صفد .	٥٣٦٠٠	٦٩٦,٠	٧٧,٠	٨٧,٥
١٣ – قضاء رام الله .	٤٧٢٠٠	٦٨٦,٥	٦٨,٧	١٠٠,٠
١٤ – قضاء الناصرة .	٤٦١٠٠	٤٩٧,٥	٩٢,٦	٨٣,٥
١٥ – قضاء طبريا .	٣٩٢٠٠	٤٤١,٠	٨٨,٩	٦٦,٦
١٦ – قضاء بيسان .	٢٣٥٠٠	٣٦٧,٠	٦٤,٠	٧٠,٣
المجموع	١٧٦٣٩٠٠	٢٦٣٧٨,٩	٦٦,٨	٦٨,٦

المصادر : (١) مصطفى الدباغ ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ ، ٣١٩ .

(٢) حسن صالح ، المرجع السابق ، ملحق رقم ٤ والمعتمد على **Government of Palestine, Statistical Abstract of Palestine, 1944, Jerusalem (1945).**



شكل - ٨ - التوزيع النسبي لسكان فلسطين

ويستفاد من بيانات الجدول رقم (٢) أن قضاء يافا الذي لا تشكل مساحته سوى ١,٣٪ من مساحة فلسطين ، ويقع في وسط السهل الساحلي صار يضم ٢١,٢٪ من سكانها ، وارتفعت الكثافة السكانية فيه إلى نحو ١١١٥ نسمة / كم مربع ، بسبب استهداف الهجرة الصهيونية لهذه المنطقة خاصة تل أبيب وعدد من المستعمرات الكبيرة . وصار هذا القضاء ولأول مرة القضاء الوحيد الذي تفوقت فيه نسبة اليهود على نسبة العرب (٧٠,٧٪) . وزادت نسبة اليهود عن نسبتهم عامة بفلسطين كذلك (وهي ٣٠,٤٪) في ثلاثة أقضية أخرى هي حيفا (٤٦,٥٪) ، فالقدس (٤٠,٤٪) فطبريا (٣٣,٤٪) . في حين بقيت بعض الأقضية خالية تماما من اليهود هي أقضية رام الله ونابلس وجنين ، واحتفظ بعضها بنسبة ضئيلة جدا لا تتجاوز ١٪ من سكانها مثل قضائي الخليل وبئر السبع ، وضئيلة لا تتجاوز ٥٪ من سكانها مثل قضائي غزة وعكا .

(ب) نمو سكان فلسطين بعد عام ١٩٤٨م :

دخلت فلسطين مرحلتين ديموغرافيتين جديدتين إثر حربي ١٩٤٨م ، ١٩٦٧م ؛ إذ حينما اعترفت اتفاقيات الهدنة سنة ١٩٤٩م – ولو مؤقتا – بإدارة اليهود على الأراضي المحتلة التي تجاوزت الحدود الممنوحة لهم وفقا لقرار التقسيم وتبلغ ٧٧٪ من مساحة فلسطين ، كانوا قد طردوا ٧٨٠,٠٠٠ عربي من تلك الأراضي وشتتوهم لاجئين فيما تبقى من فلسطين وفي خارجها . ولم يبق في الكيان الصهيوني سوى ١٥٨,٠٠٠ عربي تحولوا إلى أقلية شكلت ١٢٪ من مجموع سكان الكيان الصهيوني ، تعيش في معازل وجيوب محددة . وبالمقابل فتح باب الهجرة أمام يهود العالم كافة ، وكان أكثرهم في هذه الفترة من يهود الشرق الأوسط وشمالي إفريقية .

أما ما تبقى من فلسطين فقد تكون من قسمين منفصلين هما : الضفة الغربية وقد ضمت إلى الضفة الشرقية للأردن في سنة ١٩٥٠م مشكلة معها « المملكة الأردنية الهاشمية » ، وقطاع غزة وقد خضع للإدارة المصرية . وهكذا تشتت شعب فلسطين العربي حيث خضع قسم منه للاحتلال الصهيوني منذ سنة ١٩٤٨م ، وخضع قسم للإدارة المصرية ، وضم الثالث للمملكة الأردنية وتشتت الرابع خارج فلسطين .

على إثر حرب يونية / حزيران ١٩٦٧م احتل الكيان الصهيوني باقي الأراضي

الفلسطينية ، بالإضافة إلى أجزاء من كل من سوريا ومصر . وهجّر المزيد من سكانها ، وأخضع ١٣٣٠,٠٠٠ فلسطيني آخر بقوا في الضفة الغربية وقطاع غزة للاحتلال ، ومارس معهم أبشع أساليب الاستعمار الاستيطاني ، بالإضافة إلى أولئك الذين خضعوا للاحتلال منذ سنة ١٩٤٨م ، والذين ارتفع عددهم إلى نحو نصف مليون عربي في أوائل الثمانينات .

قدر عدد العرب الفلسطينيين في العالم في نهاية عام ١٩٨١م بنحو ٤,٥٦٦,١٥٣ نسمة يعيش منهم ٢,٧٣١,٧٥٣ نسمة خارج فلسطين أي يعيشون في « الغربة » ، ويعيش أكثر من نصف هذا العدد في الدول العربية المواجهة لفلسطين .

أما الفلسطينيون في الأراضي المحتلة فقدر عددهم في ذلك العام بـ ٥٥١ ألفا في فلسطين المحتلة (قبل عام ١٩٦٧م) ، و ٨٣٣ ألفا في الضفة الغربية ونحو ٤٥٢ ألفا في قطاع غزة[٥٤] . (شكل ٧) . ولذلك لابد من دراسة نمو سكان فلسطين بعد عام ١٩٤٨م في هذه الأماكن الثلاثة كل على حدة على نحو مايلي :

– نمو سكان فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) : ازداد عدد سكان الكيان الصهيوني خلال الفترة (١٩٥٠ – ١٩٨٤م) بنسبة ٣٢٠,١٪ ، ويفسّر هذا النمو المرتفع بالزيادة الطبيعية وبالتوسع بضم القدس العربية وبتدفق الهجرة الصهيونية . وقد ازداد العرب في فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) خلال هذه الفترة بنسبة ٣٢٠,٨٪ ، وكانوا يشكلون ١٧٪ من مجموع السكان في عام ١٩٨٤م ، ويفسر هذا النمو المرتفع بسببين ، الأول : ضم القدس العربية إليهم بعد يونيه / حزيران ١٩٦٧م ، والثاني ارتفاع الزيادة الطبيعية لديهم . وكان العرب يتكونون في سنة ١٩٥٠م من مسلمين بنسبة ٦٩,٥٪ ومسيحيين بنسبة ٢١,٥٪ ودروز وآخرين بنسبة ٩٪ ، وقد تغيرت هذه النسبة إلى ٧٨,١٪ ، ١٣,٩٪ ، ٨٪ لتلك الفئات على التوالي في سنة ١٩٨٢م ، بسبب ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية لدى المسلمين وانخفاض نسبة هجرتهم من فلسطين بالقياس للفئات الأخرى .

وقد طرأت بعض التغيرات الديمغرافية الأخرى على عرب فلسطين خلال هذه

الفترة ، حيث انخفض معدل وفيات الأطفال من ٥٦ حالة لكل ١٠٠٠ حالة ولادة في عام ١٩٥٠م إلى ٢١ حالة عام ١٩٨٢م ، وتناقص مجموع الإنجاب للمرأة العربية من ٨ أطفال عام ١٩٦٠م إلى ٥ أطفال عام ١٩٨٢م وانخفض معدل التكاثر الإجمالي من ٣,٨٨ إلى ٢,٦٢ فيما بين العامين المذكورين[٥٥] .

وبالمقابل زاد اليهود في فلسطين بين عامي ١٩٥٠م - ١٩٨٤م بنسبة ٢٩٦٪ ، ويفسر هذا النمو المرتفع بصافي الهجرة ثم بالنمو الطبيعي . إذ بلغ مجموع اليهود الذين قدموا إلى فلسطين خلال الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٨٢م بنحو ١,٧٥ مليون مهاجر ، أو ما نسبته ٤٢,٥٪ من إجمالي السكان في ١٩٨٢م ، بالرغم من أن مجموع المهاجرين الذين غادروا فلسطين و لم يعودوا إليها خلال الفترة نفسها (٣٩١٠٠٠ مهاجر) .

وكان ٢٦,٣٪ من إجمالي يهود فلسطين المحتلة في عام ١٩٥٠م من مواليد فلسطين ، وأن ٢٢,٢٪ من مواليد آسيا وإفريقيا ، في حين أن ٥١,٥٪ من مواليد أوروبا وأمريكا . وقد تغيرت هذه النسب بتغير مصادر الهجرة حيث صارت في عام ١٩٨٢م : ٥٨,١٪ ، ١٨,٦٪ ، ٢٣,٣٪ من يهود فلسطين من مواليد هذه الأماكن على التوالي .

إن معدلات الزيادة الطبيعية لليهود أقل من مثيلاتها عند العرب ، وقد اتجهت إلى التناقص حيث انخفضت من ٢٥,٥٪ عام ١٩٥٠م إلى ١٤,٣٪ عام ١٩٨٢م بسبب ممارسة ضبط النسل وانخفاض حالات الزواج . وقد انخفض معدل المواليد من ٠٣٢٪ إلى ٠٢١,٨٪ ، وارتفع معدل الوفيات من ٠٦,٥٪ إلى ٠٧,٥٪ فيما بين هذين العامين بسبب حروبهم العدوانية وحرب الاستنزاف في الخارج وتعرضهم لعمليات المقاومة العربية في الداخل . ومع ذلك فقد انخفض معدل وفيات الأطفال خلال هذه الفترة من ٠٤٦,٢٪ إلى ٠١١,٦٪ بسبب تحسن الرعاية الصحية للأطفال اليهود ، في الوقت الذي يعاني فيه الأطفال العرب من عدم الرعاية الكاملة . وقد تناقص مجموع الإنجاب للمرأة اليهودية من ٣,٩ عام ١٩٥٠م إلى ٢,٨ عام ١٩٨٢م ، رغم حرص الكيان الصهيوني على ارتفاع لزيادة الطبيعية إلى جانب ارتفاع الهجرة أي حرصهم على عملية النمو السكاني[٥٦] .

نمو السكان في الضفة الغربية : كانت الضفة الغربية تضم نحو ٤٠٠ ألف نسمة حينما

ضمت إلى الضفة الشرقية التي كانت تحوي مثل هذا العدد تقريبا في سنة ١٩٥٠م ، وتدفق نحو ٤٥٠ ألف لاجئ عربي من الأراضي المحتلة إلى الضفتين ، مما جعل عدد سكان الأردن يبلغ ١,٢٥٠,٠٠٠ نسمة . وطبقا لتعداد ١٩٥٢م في الأردن ، بلغ مجموع السكان ١٣٢٩ ألف نسمة منهم ٦٦٧ ألفا يعيشون في الضفة الغربية أي ٥٥٪ من السكان . وطبقا لتعداد ١٩٦١ ارتفع مجموع السكان إلى ١٧٠٦ آلاف منهم ٧٣٠ ألفا في الضفة الغربية مما يدل على أن نموهم فيها يقل عن مثيله في الأردن عامة بسبب نزوح أعداد منهم إلى الضفة الشرقية أو إلى خارج الأردن .

وفي سنة ١٩٦٦م قدر عدد سكان الضفة الغربية بنحو ٨٣٠ ألف نسمة . إلاّ أنه تناقص في عام ١٩٦٧ و ١٩٦٨م على إثر حرب يونيه / حزيران ونزوح العديد منهم ؛ فطبقا للتعداد الذي أجرته سلطة الاحتلال عام ١٩٦٧م بلغ عددهم بما فيه سكان القدس العربية ٦٥٩ ألف نسمة أي بتناقص مقداره ٢٠,٦٪ ، كما انخفض في عام ١٩٦٨م إلى ٦٥٠ ألف نسمة . ومنذ سنة ١٩٦٩م بدأ عدد السكان يزداد تدريجيا بسبب تفوق الزيادة الطبيعية على نسبة النزوح السنوية ، التي لم تنقطع ولو بشكل فردي وعائلي في الفترة التالية بسبب أعمال الطرد أو التهجير أو قطع أسباب العيش . ولم تتمكن هذه الزيادة البطيئة إلا في سنة ١٩٨١م من تعويض الأعداد الكبيرة من النازحين العرب طوال السنوات السابقة فبلغ عدد السكان ٨٣٣ ألف نسمة في ذلك العام واستمر في الارتفاع حتى بلغ ٩١٩ ألفا سنة ١٩٨٤م[٥٧] .

وقد ارتفع معدل الزيادة الطبيعية لسكان الضفة الغربية من ٢٣,٧ في الألف للفترة ١٩٦٨ – ١٩٧٤م إلى ٢٩ في الألف للفترة ١٩٧٥ – ١٩٨٢م ، وانخفض معدل الوفيات من ٢٤ في الألف عام ١٩٦٨م إلى ١٣ في الألف عام ١٩٨٠م، وتراوح عدد المواليد الأحياء لهذه الفترة بين ٤٣ – ٤٥ في الألف ويفسر هذا الانخفاض تزايد معدل الزيادة الطبيعية في أواخر هذه الفترة .

نمو السكان في قطاع غزة : قدر عدد سكان القطاع عام ١٩٤٩م بنحو ٢٠٠ ألف نسمة ، وتزايد إلى أن بلغ ٤٥٤٩٦٠ نسمة عام ١٩٦٦م ثم خضع للاحتلال الصهيوني

عام ١٩٦٧م فنزح العديد من سكانه وبقي ٣٥٤ ألف نسمة ، وانخفض في عام ١٩٦٨م إلى ٣٤١ ألف ، أي أن القطاع فقد ربع سكانه على أثر حرب حزيران ، ومنذ عام ١٩٦٩م بدأ يتزايد ببطء شديد بسبب تفوق الزيادة الطبيعية على نسبة النزوح السنوية التي استمرت في ظل الاحتلال ، ولم تتمكن من تعويض الأعداد الكبيرة من النازحين سوى في عام ١٩٨٢م ، حيث تجاوز عددهم لأول مرة عددهم في عام ١٩٦٦م ، وبلغ ٤٧٦,٣ ألف نسمة ثم ارتفع في عام ١٩٨٤م إلى ٥٠٩٩٠٠ نسمة[٥٨] .

وقد أدى وقوع حرب يونيه / حزيران والأوضاع غير المستقرة الناجمة عن الاحتلال ، وما ترتب عليها من مقاومة وطنية إلى عدم استقرار الزيادة الطبيعية في قطاع غزة خلال هذه الفترة . وقد تراوحت خلال الفترة ١٩٦٨ – ١٩٧١م بين ٢١ – ٢٩ في الألف لكنها تراوحت بين ٣١ – ٣٧ في الألف خلال الفترة التالية . ويفسر هذا الارتفاع في الفترة الثانية بارتفاع معدل المواليد وانخفاض معدل الوفيات . إذ تراوحت معدلات الولادات بين ٤٨ – ٥٤ في الألف ، ومعدلات الوفيات بين ١٣ – ٢٠ في الألف[٥٩] .

(جـ) – التوزيع الجغرافي لسكان فلسطين بعد عام ١٩٤٨م :

حدث نمو سريع لسكان فلسطين المحتلة منذ قيام الكيان الصهيوني ، وقد تمثل هذا النمو في تزايد الكثافة السكانية من ٦٧,٧ نسمة / كم مربع في عام ١٩٥٠م إلى ١٨٧ نسمة / كم مربع في عام ١٩٨٣م[٦٠] . وقد استهدف الاستيطان الصهيوني الذي يعتبر العامل الأساسي في نمو السكان جميع المناطق ، مما جعل منطقة يافا – تل أبيب التي حوت ثلث السكان في أول هذه الفترة تتراجع لتحوي ربعهم منذ سنة ١٩٨٠م ، واشتملت المنطقة الوسطى التي تحيط بمنطقة يافا – تل أبيب وتصلها بمنطقة القدس نحو خمس السكان . ومع ذلك فقد كان الاهتمام باستيطان منطقة القدس واضحا من ارتفاع نسبة اليهود فيها من ٨,٧٪ إلى ١١,٥٪ من المجموع بين عامي ١٩٦٠م ، ١٩٨٢م ، وكذلك المنطقة الجنوبية التي زادت نسبة سكانها إلى مجموع السكان من ٧,٨٪ – ١٢,٢٪ بفضل توجيه الاستيطان إليها . ولذلك تراجعت نسبة ما تحويه منطقتا حيفا والجليل من

٤٧٪ من المجموع بعد إنشاء الكيان الصهيوني إلى ٣٠,٥٪ سنة ١٩٨٢م رغم ضم سكان الجولان السورية إليهما .

أما عرب فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) فقد تركزوا في منطقتي الجليل والمثلث ، وانعزل بعضهم في السهل الساحلي الأوسط ، إذ إنهم تواجدوا في ١٠٥ قرى وفي أربع مدن هي : عكا والطيبة وشفا عمرو وأم الفحم واختلطوا مع اليهود في ست مدن أخرى هي : القدس ويافا والرملة وحيفا وصفد والناصرة .

وتؤلف مواطن تواجد العرب حاجزا متصلا ، يمتد من الحدود اللبنانية في الجليل الأعلى الغربي إلى الجليل الأسفل الشرقي ومرج ابن عامر ، ومن السهل الساحلي (عكا – حيفا) إلى طرف وادي الأردن الأعلى . ومن المناطق الأخرى المأهولة بالعرب منطقة جبل إسكندر في جنوب شرقي حيفا ، ومنطقة النقب وفيها نحو ٥٠,٠٠٠ نسمة معظمهم من البدو ، ويمكن مقارنة توزيع العرب في مناطق فلسطين المحتلة بين عامي ١٩٦١ ، ١٩٨١م من أرقام الجدول رقم (٣) .

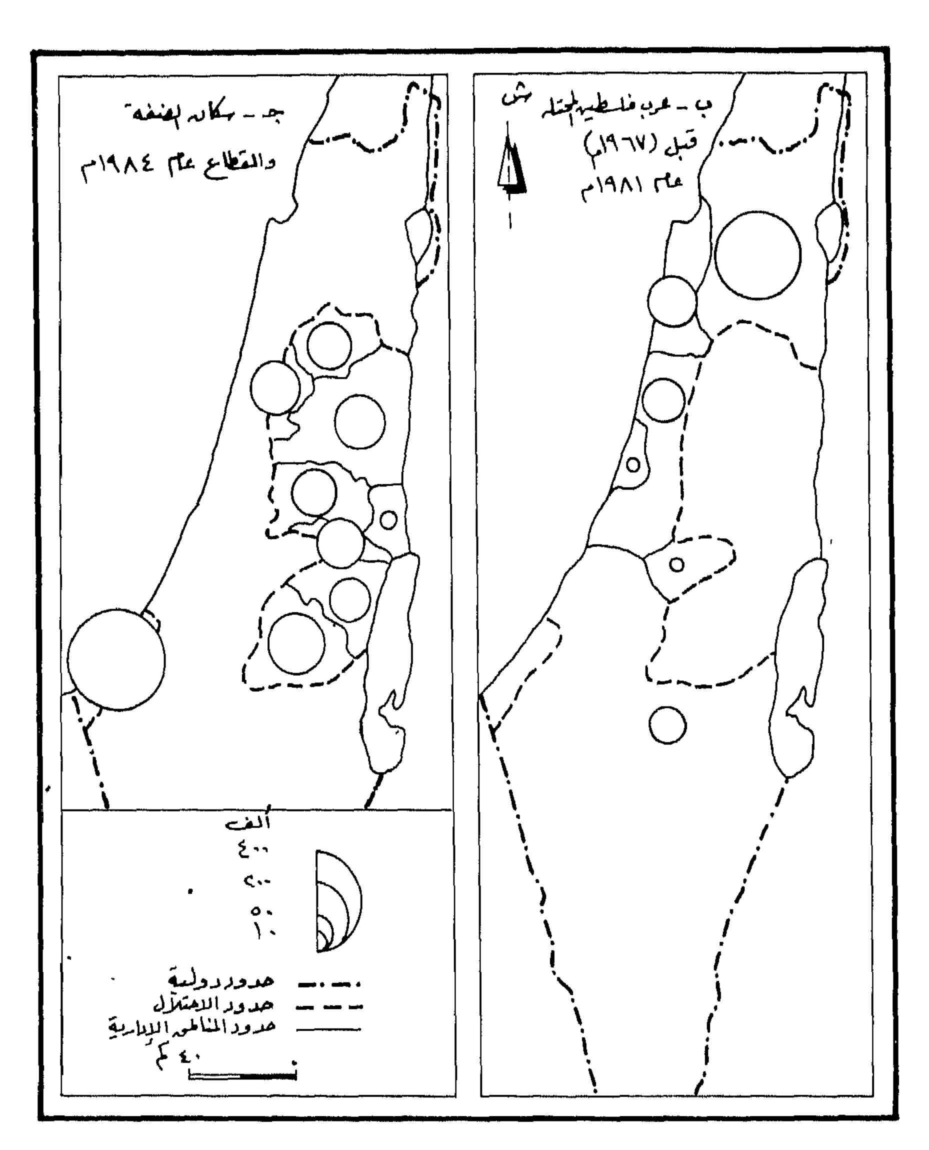
ويتضح من أرقام هذا الجدول أن أكثر من نصف الفلسطينيين العرب كانوا يعيشون في المنطقة الشمالية خاصة قضاء عكا الذي ضم وحده نحو ثلث عرب فلسطين المحتلة ، ويليه قضاء مرج ابن عامر الذي شمل أكثر من خُمسهم ، وضمت منطقة حيفا نحو خُمس العرب خاصة في قضاء الخضيرة . وكانت منطقة القدس أقل المناطق سكانا فلسطينيين إذ لم تزد نسبتهم على ١,٥٪ ، وكذلك كانت منطقة يافا – تل أبيب التي لم تزد نسبة العرب فيها على ٢٪[٦١] في حين أنها كانت تضم ربع مجموع السكان (في عام ١٩٨٣) مما يشير إلى أن العرب فيهما كانوا مستهدفين فطردوا من ديارهم (شكل ٨ ب) .

جدول (٣) توزيع السكان العرب في فلسطين المحتلة (قبل عام ١٩٦٧م)
(في عامي ١٩٦١م ، ١٩٨١م)
(بالألف نسمة)

المنطقة والقضاء	منتصف عام ١٩٦١م		نهاية عام ١٩٨١م	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
١ – المنطقة الشمالية .	١٤٢,٨	٥٧,٧	٣٠٩,١	٥٦,٢
– قضاء صفد وطبريا .	١٠,٩	٤,٤	٢٠,١	٣,٦
– قضاء مرج ابن عامر.	٥٣,٥	٢١,٦	١١٦,٨	٢١,٢
– قضاء عكا .	٧٨,٤	٣١,٧	١٧٢,٢	٣١,٣
٢ – منطقة حيفا :	٤٨,٠	١٩,٤	١٠٦,٥	١٩,٣
– قضاء حيفا .	١٨,٦	٧,٥	٣٤,٧	٦,٣
– قضاء الخضيرة .	٢٩,٤	١١,٩	٧١,٨	١٣,٠
٣ – المنطقة الوسطى :	٢٦,٩	١٠,٩	٦٤,٧	١١,٧
– قضاء صارونا .	١٧,٤	٧,٠	٣٨,٨	٧,٠
– قضاء بتاح تكفا .	٤,٧	١,٩	١٢,٢	٢,٢
– قضاء الرملة ورحبوت.	٤,٨	٢,٠	١٣,٧	٢,٥
٤ – منطقة يافا – تل أبيب	٦,٧	٢,٨	١٠,٧	١,٩
٥ – منطقة القدس*	٤,٢	١,٧	٨,٢	١,٥
٦ – المنطقة الجنوبية	١٨,٦	٧,٥	٥١,٦	٩,٤
– قضاء عسقلان .	٠,٣	٠,١	٠,٦	٠,١
– قضاء بئر السبع .	١٨,٣	٧,٤	٥١,٠	٩,٣
المجموع العام	٤٨٣,٥	١٠٠,٠	١٠٨٢,٧	١٠٠,٠

* لا تشمل عرب القدس الشرقية .

المصدر : حسن عبد القادر صالح ، المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .



شكل - ٨ - التوزيع النسبي لسكان فلسطين

أما عرب الضفة الغربية وقطاع غزة فقد تعرضوا أيضا لتغيرات ديمغرافية مهمة ولكن من نوع آخر ؛ فعلى أثر حرب ١٩٤٨ احتل الكيان الصهيوني ٧٧٪ من مساحة فلسطين ، واستولى في السنوات التالية على ٢٪ أخرى بتوسعه في أراضي المناطق الحرام . ولذلك تضاعف عدد سكان المناطق المتبقية (الضفة الغربية وقطاع غزة) نتيجة لتدفق اللاجئين من المناطق المحتلة . وصارت كثافة العرب فيهما من بين أعلى كثافات السكان في العالم ، إذ بلغت في عام ١٩٦١ نحو ١٢٤ نسمة / كم مربع و ٩٥٢ نسمة / كم مربع على التوالي . وبعد أن انخفضت في عامي ١٩٦٧ ، ١٩٦٨[٦٢] نتيجة نزوح العرب عقب حرب حزيران ، عاودت الارتفاع إلى أن بلغت ١٥٦ و ١٤٤٩ نسمة / كم مربع على التوالي في عام ١٩٨٣م .

ولذلك فإن قطاع غزة إذا اعتبر أحد « أقضية » فلسطين ، فإنه يتفوق عليها جميعا من حيث كثافة السكان ، وهو يعاني من ضغط سكاني شديد على الموارد ، ويزيد في محنته استمرار الصهاينة في مصادرة الأراضي وزرع المستعمرات الصهيونية عليها ، إمعانا في إشاعة سياسة الإرهاب وتضييق الخناق على السكان حتى يتركوا أراضيهم وديارهم ، فيتمكن المستعمرون اليهود من ترسيخ أقدامهم فيها . ويوضح الجدول رقم (٤) تطور توزيع السكان وكثافتهم في محافظات وألوية الضفة الغربية وقطاع غزة (شكل ٨ جـ) .

ويتبين من هذا الجدول مايأتي :

١ – أن كثافة السكان في الضفة الغربية مرتفعة بشكل عام بالرغم من نزوح أعداد كبيرة منهم .

٢ – تحتل محافظة القدس المركز الأول في كثافة السكان ، وتليها محافظة نابلس . ويحتل لواء القدس المركز الأول بين الألوية في كثافة السكان . غير أن لواء طولكرم نافسه على هذا المركز في سنة ١٩٨٠م لأن الأول فقد أكثر من نصف سكانه بعد الاحتلال .

جدول (٤)

توزيع السكان وكثافتهم في الضفة الغربية وقطاع غزة

المحافظات والألوية	المساحة كم مربع	١٩٦١م		١٩٨٠م	
		العدد (بالألف)	نسمة/كم٢	العدد (بالألف)	نسمة/كم٢
محافظة نابلس	٢٥٠٩	٣٣٣,٢	١٣٦	٣٥٨,٢	١٤٢,٧
– لواء نابلس	١٥٨٤	١٧٠,٤	١٠٨	١٢٨,٨	٨١,٣
– لواء جنين	٥٩٢	٧٩,١	١٣٤	١٠٨,٤	١٨٣,١
– لواء طولكرم	٣٣٣	٨٣,٦	٢٥١	١٢١,٠	٣٦٣,٣
محافظة القدس	٢٠٥٩	٣٤٤,٢	١٦٧	٣٢١,١	١٥٥,٩
– لواء القدس	٣٣٣	١٠٦,٩	٣٢١	١١٧,٠	٣٥١,٣
– لواء بيت لحم	٥٨١	٥٤,٧	٩٤	٧٨,١	١٣٤,٤
– لواء أريحا	٣٥١	٦٣,٩	١٨٢	١١,٣	٣٢,٢
– لواء رام الله	٧٩٤	١١٣,٨	١٤٣	١١٤,٧	١٤٤,٤
محافظة الخليل	١٠٨٢	١١٩,٤	١١٠	١٤١,٤	١٣٠,٧
قطاع غزة	٣٦٤	٣٦٠,٠	٩٨٩	٤٤٠,٢	١٢٠٩,٣
المجموع العام	٦٠١٤	١١٥٦,٨	١٩٢,٣٦	١٩٤٠,٢	٣٢٢,٧

المصادر : ١ – دائرة الإحصاءات العامة الأردنية ، التعداد العام الأول ١٩٦١ ، المجلد رقم ١ عمان .

٢ – مركز الدراسات الريفية ، جامعة النجاح الوطنية ، النشرة الإحصائية السنوية للمناطق المحتلة رقم (٢) . نابلس ١٩٨١م ، ص ٧ .

٣ – حسن عبد القادر صالح ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .

٣ – تراجعت الكثافة في لواء أريحا إلى سدس ما كانت عليه سنة ١٩٦١م بسبب تعرضه لأكبر موجة من النزوح خاصة مخيمات اللاجئين التي نزح كل سكانها إلى الضفة الشرقية إثر الاحتلال .

٤ – بالرغم من تزايد الكثافة في محافظة نابلس فإن لواء نابلس فقد أكثر من ربع سكانه وقد يفسر هذا النقصان بعظم مصادرة الأراضي داخل اللواء واضطرار السكان للنزوح .

٥ – تعتبر الكثافة في قطاع غزة من أعلى الكثافات السكانية في العالم . فبالرغم من فقدان القطاع لنحو ربع سكانه عامي ١٩٦٧ ، ١٩٦٨م واستمراره في فقدان السكان ، فإن كثافته لا تزال ترتفع ، فقد بلغت ١٢١٠ نسمة/كم مربع في سنة ١٩٨٠م، وبلغت ١٤٤٩ نسمة/كم مربع سنة ١٩٨٤م .

ويوحي الارتفاع الكبير جداً لكثافات المواطنين العرب في قطاع غزة وفي الضفة الغربية بأن الهدف الأساسي من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني فيهما إنما يتمثل في ممارسة ضغط سكاني على المواطنين العرب ، لإجبارهم على التخلي عن ديارهم وأراضيهم ليتمكن الصهاينة من السيطرة عليها[٦٣] .

٢ – تركيب السكان في فلسطين :

(أ) **التركيب الديني والعرقي** : يعد عرب فلسطين جزءا من الأمة العربية التي يدين معظم أفرادها بالدين الإسلامي . ففي أواسط القرن التاسع عشر قدر عدد سكان المقاطعات التي خضعت فيما بعد للانتداب البريطاني باسم فلسطين بنحو نصف مليون نسمة ، بلغت نسبة المسلمين ٨٥٪ ، منهم ٨٢٪ من المسلمين السُّنة و ٣٪ من أقليات إسلامية أخرى هم : الدروز والشيعة والبهائيون والشركس وقدر عدد العرب المسيحيين بنحو ١٠٪ واليهود ٥٪ فقط[٦٤] .

وبعد الغزو الصهيوني لفلسطين حدث تغير جذري في التركيب الديني والعرقي لسكان فلسطين ، فقد تزايد عدد اليهود بالنسبة للفئات الأخرى ، وبالطبع ينتمي اليهود الوافدون إلى أصول عرقية مختلفة باختلاف الجهات القادمين منها رغم أنهم يحاولون طمس

هذه الحقيقة . ففي سنة ١٩١٤م قدر العثمانيون نسبة اليهود في فلسطين بنحو ٨٪ من مجموع السكان ، وقدرتهم سلطات الانتداب البريطاني عام ١٩٢٠م بنحو ٩,٩٦٪ من المجموع . وارتفعت نسبتهم طبقا لتعداد عام ١٩٣١ لتصل لنحو ١٦,٨٦٪ . وفي عشية عرض القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة في أواخر مارس / آذار عام ١٩٤٧م قدرت بريطانيا أن سكان فلسطين يتكونون من : مسلمين ٦٢٪ مسيحيين ٧٪ ويهود ٣١,٠١٪ .

وقد حصل انقلاب حقيقي في التركيب الديني والعرقي نتيجة حرب ١٩٤٨م ، التي أدت إلى انقسام فلسطين إلى ثلاثة أجزاء منعزلة عن بعضها هي : الكيان الصهيوني ، والضفة الغربية ، وقطاع غزة . وكان التركيب الديني والعرقي لكل قسم منها عرضة للتغير بشكل مختلف وحسب الظروف السياسية .

ففي فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) تحول العرب إلى أقلية تعيش في ظل أكثرية من اليهود ولو أن نسبتهما لم تكن ثابته . ففي عام ١٩٥٠م كانت نسبتا العرب واليهود هي ١٢,٢ ، ٨٧,٨٪ من السكان على التوالي . وفي عام ١٩٨٣م صارت نسبتهما ١٧٪ (بما فيهم سكان القدس العربية) ، ٨٣٪ على التوالي[٦٥] . ويشكل المسلمون غالبية العرب ، إذ كان العرب يتكونون حسب المذاهب على النحو التالي : المسلمون ٧٨,٥٪ ، والدروز والمذاهب الأخرى ١٢,٤٪ ، والمسيحيون ٩,١٪ .

وإذا استثنينا نسبة ضئيلة من المستعمرين اليهود الذين أقاموا في الضفة الغربية وقطاع غزة فإنه لم يطرأ على تركيبهما الديني تغير له شأن . مع أن الزيادة الطبيعية المرتفعة لدى المسلمين ، خاصة الذين سكنوا المخيمات ، وارتفاع نسبة النزوح لدى المسيحيين والفئات الأخرى ، قد رفع نسبة المسلمين في الأماكن التي تواجدوا فيها ، وصار المسلمون يشكلون الأكثرية المطلقة حيث بلغت نسبتهم في الضفة والقطاع ٩٥٪ ، ٩٩٪ على التوالي[٦٦] . ولم يكن فيهما أحد من اليهود قبل نشر المستعمرات الاستيطانية الذي بدأ عقب الاحتلال مباشرة . لكن اليهود يسعون حثيثا لتكثيف الاستيطان من أجل تهويدهما حينما يحققون أكثرية تدين بالدين اليهودي ، مما يقتضي من العرب التفكير في

طرق إفشال مشروعهم هذا .

وينتمي عرب فلسطين إلى سلالة البحر المتوسط التي تتميز بالرأس الطويل والقامة المتوسطة والشعر الأسمر المموج . لقد ظلت مرتفعات فلسطين محتفظة بالصبغة السامية لأنها تعرضت بصورة مستمرة للهجرات السامية القادمة من الجزيرة العربية ، بينما تأثر سكان السهل الساحلي ولاسيما المدن والموانئ بالشعوب الإيجية ، ولذلك ظهرت بينهم الرؤوس المستعرضة والقامة المرتفعة . وباستثناء عدد محدود من اليهود كانوا يقيمون في بلاد الشام إبان الحكم العثماني فإن معظم اليهود في فلسطين قدموا من مختلف أرجاء المعمورة ويمثلون سلالات وعناصر متباينة لا يجمعهم سوى الدين نتيجة اختلاطهم بمختلف الأجناس ، بما فيها الزنوج والمغول . ويتضح ذلك من الاختلافات الكبيرة بين فئاتهم من حيث الصفات الأنثروبولوجية ومن حيث تنوع المورثات(٦٧) . وإلا فما الرابطة والصلة الأنثروبولوجية التي تجمع بين يهود الخزر واليهود البولنديين أو المغاربة أو الفلاشا ؟.

هذا ويمكن جمع يهود فلسطين في ثلاث مجموعات عنصرية متباينة(٦٨) :

١ - السفارديون وهم اليهود الذين طردوا من إسبانيا والبرتغال في نهاية القرن الخامس عشر واستوطنوا جنوب أوربا وإنجلترا وشمال إفريقيا والشرق الأدنى ، ومنهم من هاجر إلى أمريكا (وتعني كلمة سفارديم في الكتاب المقدس إسبانيا) .

٢ - الإشكينازيون وهم أغلب يهود وسط أوربا وشرقها ، وإشكيناز تعني في الكتاب المقدس ألمانيا .

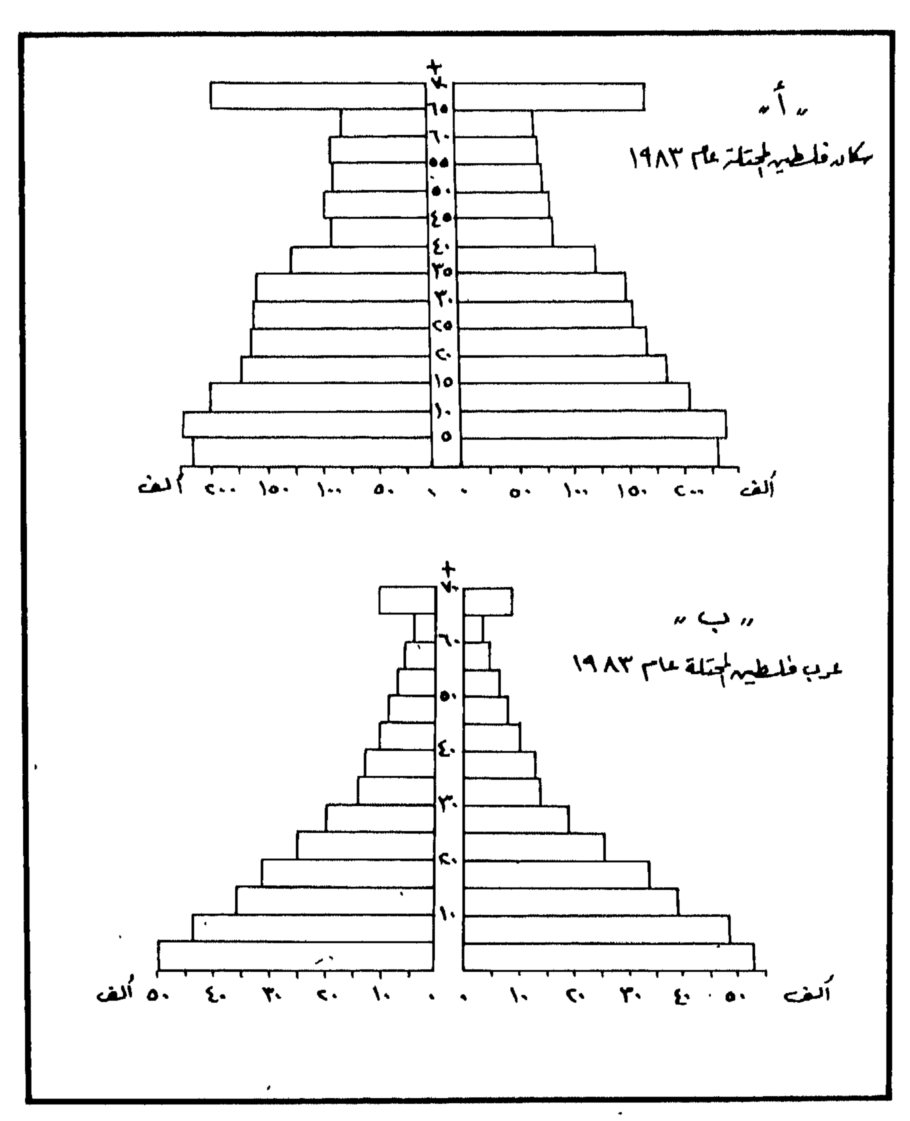
٣ - اليهود الشرقيون وهم الذين كانوا يعيشون في المشرق العربي وتركيا وإيران . وقد قدم معظمهم إلى فلسطين من البلاد العربية في عام ١٩٤٨م وما بعده ، ومنهم اليهود الذين عاشوا في فلسطين قبل الغزو الصهيوني .

سيطر اليهود الإشكنازيون Ashkenazi على مقاليد الأمور في الكيان الصهيوني منذ البداية ، لأن الصهيونية التي أوجدت هذا الكيان هي في الأصل مشروع أوروبي أمريكي . وبالرغم من أن اليهود الشرقيين يشكلون أكثرية عددية ، إلاّ أنهم تحولوا إلى

طبقة تحتية وضاعت مصالحهم في زحمة الصراع بين الإشكينازيين والسفارديين وغلبوا على أمرهم بسبب الاختلاف الحضاري بين الجانبين ، وزادت الشقة بينهما اتساعا اقتصاديا واجتماعيا ، فانعزل اليهود الشرقيون في المناطق الأقل تطورا في جنوب فلسطين وفي شمالها وفي مناطق الحدود .

(ب) **التركيب النوعي والعمري** : عقب إنشاء الكيان الصهيوني وجد أن نسبة النوع مرتفعة جدا في فلسطين المحتلة بسبب ارتفاع نسبة الذكور بين المهاجرين الصهاينة ، إلّا أن هذه النسبة اتجهت إلى الانخفاض التدريجي بسبب استقرار المهاجرين وتناقص نسبة المهاجرين الجدد إلى مجموع السكان ، وارتفاع نسبة وفيات الذكور نتيجة الحروب العدوانية التي استمر اليهود يمارسونها ضد العرب ، إلى أن بلغت نسبة النوع في عام ١٩٨٣م نحو ٩٩,٣٪[٦٩] ، أي أن عدد الإناث بدأ يزيد قليلًا عن عدد الذكور . لكن هذه النسبة بقيت مرتفعة لدى عرب فلسطين المحتلة حيث تراوحت بين ١٠٥,٤ ، ١٠٢,٨ في عامي ١٩٥٦ ، ١٩٨١م على التوالي . وفي حين ارتفع الأجل المرتقب عند الولادة تدريجيا في فلسطين المحتلة حتى بلغ ٧٤,٢٠ عاما لدى الذكور و ٧٩,٧٨ عاما لدى الإناث عام ١٩٨٣م ، فإنه لم يتجاوز ٧٠ عاما عند العرب .

وكانت نسبة صغار السن مرتفعة لدى سكان فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ، إذ بلغت نسبة من هم دون سن الخامسة عشرة ٤٩٪ في سنة ١٩٤٦ م ، لكنها انخفضت عقب الاحتلال واستمرت في الانخفاض إلى أن بلغت في فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) ٣٧,٢٪ عام ١٩٧٠م ثم ٣٢,٦٪ عام ١٩٨٣م . ويعود هذا الانخفاض إلى نقصان نسبة العرب وارتفاع نسبة اليهود . وبالمقابل ارتفعت نسبة من تتراوح أعمارهم بين (١٥ – ٣٩ سنة) من نحو ثلث سكان فلسطين في عهد الانتداب إلى ٣٧,٧٪ في عام ١٩٧٠م[٧٠] ثم إلى ٣٨,٣٪ عام ١٩٨٣م . ويعود السبب في هذا الارتفاع أيضا لتدفق الهجرة الصهيونية التي تتخير الشباب في سن العمل والخدمة العسكرية . وارتفعت كذلك نسبة الشيوخ بسبب تحسن الظروف الصحية إلى أن بلغت ٨,٩٥٪ في عام ١٩٨٣م (شكل ٩ أ) .



شكل - ٩/ ٢،ب - أهرامات السكان في فلسطين

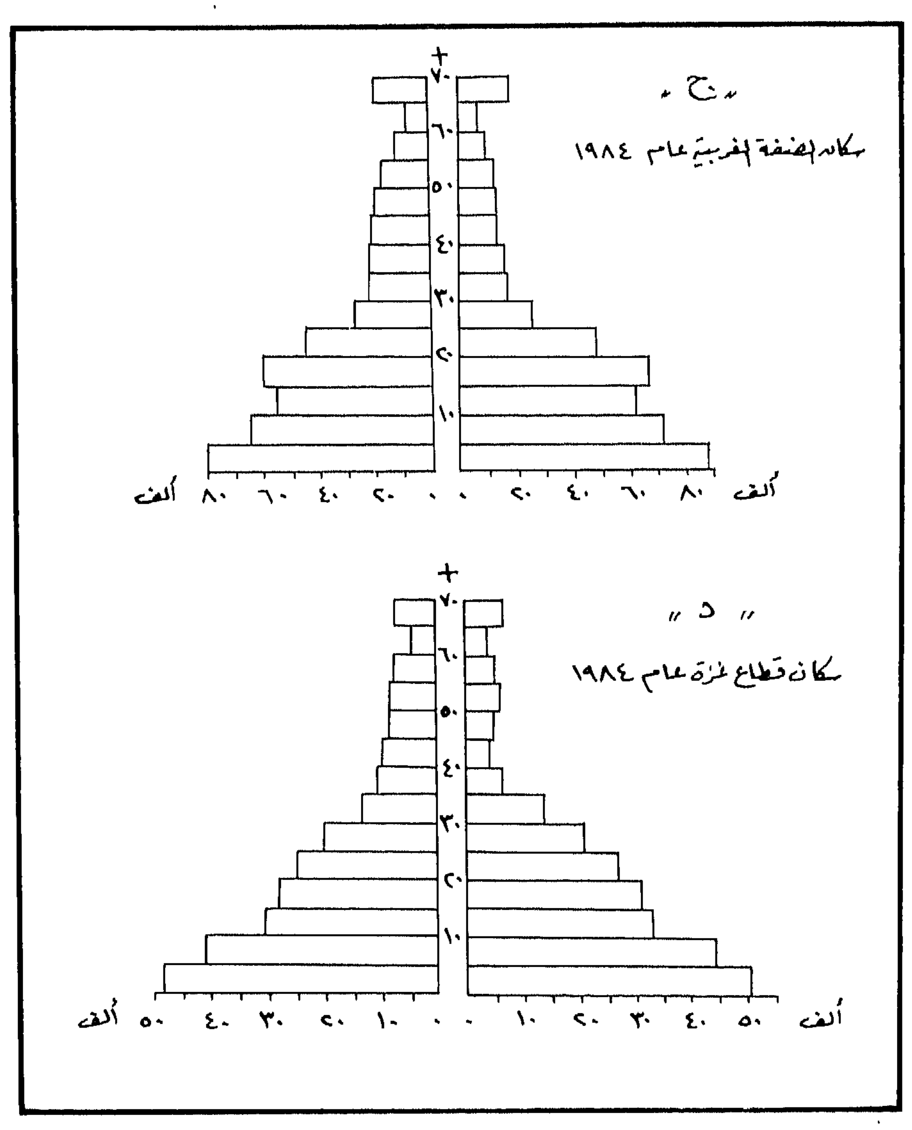
أما عرب فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) فقد حافظوا على ارتفاع نسبة الأطفال (من الجنسين) وتدني نسبة الشباب والشيوخ ، وهذا يدل على أنهم حافظوا على ارتفاع معدل الخصوبة الكلية والتي تبلغ نحو (٥) بالمقارنة مع (٢,٦) في فلسطين المحتلة عامة .

وقد اتجهت نسبة الأطفال العرب ممن تقل أعمارهم عن ١٥ سنة إلى الارتفاع . فبعد أن كانت ٤٥,٦٪ من مجموع العرب عام ١٩٦٠م ارتفعت إلى ٤٨,١٪ عام ١٩٨١م . وارتفعت كذلك نسبة من تتراوح أعمارهم بين (١٥ - ٤٤ سنة) من ٣٩,٥٪ إلى ٤٠,٦٪ ، وانخفضت نسبة الكهول في سن (٤٥ - ٦٤) من ١٠,٥٪ إلى ٨٪ ، وانخفضت كذلك نسبة الشيوخ (٦٥ فأكثر) من ٤,٥٪ إلى ٣,٣٪ في التاريخين المذكورين ، مما يدل على أن أثر تهجير وإبادة العرب الناتج عن الاحتلال الصهيوني لازال ماثلا في ضآلة أعداد الكهول والشيوخ من عرب فلسطين من الجنسين (شكل ٩ ب) .

ومن الجدير بالملاحظة أن الخصوبة ترتفع وتزيد نسبة الأطفال (١٤ سنة فأقل) عند المسلمين بالقياس إلى النصارى ، وهذا ينعكس على ارتفاع العمر الوسيط والأمل المرتقب عند الولادة لدى النصارى أكثر من المسلمين ، وكذلك انخفاض نسبة الإعالة وارتفاع نسبة القوى القادرة على العمل لديهم .

أما الضفة الغربية وقطاع غزة فقد طرأ على تركيبهما النوعي والعمري تغيرات ليست جذرية وقد أبدتا ظروفا متشابهة . إذ أخذت نسبة النوع تنخفض فيهما منذ الاحتلال الصهيوني فبعد أن كانت تزيد عن ١٠١ (أي ١٠١ ذكر مقابل ١٠٠ أنثى) انخفضت في عامي : ١٩٦٧م ، ١٩٦٨م إلى ٩٨,٥ في الضفة و ٩٤ في القطاع بسبب ظروف الحرب والتهجير . إلَّا أنه عاد إلى الارتفاع تدريجيا حتى تعادل عدد الذكور والإناث في الضفة ، وصار عام ١٩٧١م ١٠٠,٤ ، وبقي عدد الذكور متفوقا حتى عام ١٩٨٢م ، حيث بدأ يقل بعدها عن عدد الإناث فوصل ٩٩,١٣ عام ١٩٨٤م[٧٢] . وهذا يدل على تفوق هجرة الشباب من القطاع على هجرتهم من الضفة الغربية .

وتعني قاعدة هرمي السكان العريضة في الشكل (٩ جـ ، د) والخاصة بالضفة والقطاع أن نسبة صغار السن مرتفعة جدا . وقد بلغت نسبة الأطفال الذين تقل أعمارهم



شكل - ٩ / جـ،د - أهرامات السكان في فلسطين

عن ١٥ سنة ٤٥,٦٪ من مجموع سكان الضفة في عام ١٩٦١م ، ٤٩,٩٪ من سكان القطاع في عام ١٩٦٧م . وانخفضت إلى ٤٥,١٪ و ٤٧,٧٪ في عامي ١٩٨٤م في الضفة والقطاع على التوالي . وانخفضت كذلك نسبة الشباب بين (١٥ – ٤٤) إلى ٤٠,٥٪ ، ٤٠,٢٠٪ فيهما على التوالي ، وكانت نسبة الكهول الذين تتراوح أعمارهم بين (٤٥ – ٦٤ سنة) ١٠,٥٪ و ٩,٤٪ ، والشيوخ الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ سنة ٣,٩٪ و ٢,٧٪ فيهما على التوالي . أي أن الشيوخ لم يتجاوزوا فيهما نحو ثلث النسبة في فلسطين المحتلة (قبل عام ١٩٦٧) .

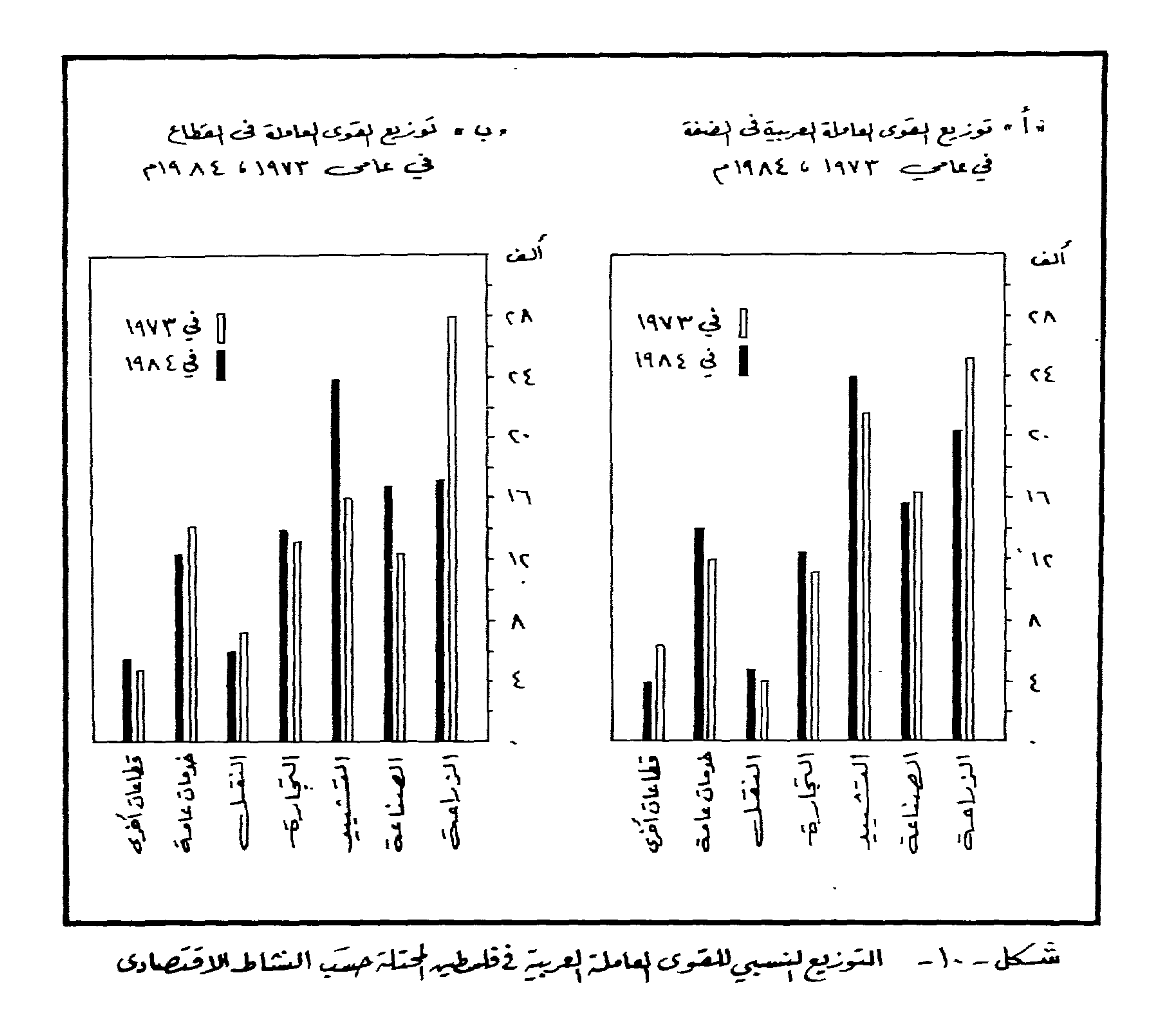
جـ – التركيب المهني للسكان : كانت الزراعة أهم حرف سكان فلسطين في فترة الانتداب البريطاني ، ولو أن أهميتها كانت تتجه للتناقص ؛ فقد أوضح تعداد السكان لعام ١٩٣١ أن ٦٤,٩٪ من القوى العاملة العربية يعملون في الزراعة و ١٢٪ يعملون في الصناعة والبناء و ٨,٩٪ في التجارة ، في حين كان ثلث القوى العاملة اليهودية يعملون في الصناعة والبناء و ١٩,١٪ في التجارة و ١٨٪ في الزراعة و ١١,٦٪ في المهن الفنية[٧٣] .

وبعد قيام الكيان الصهيوني وطرد الفلسطينيين من ديارهم واستبدل بهم مهاجرين قادمين من مختلف أنحاء العالم ، خاصة من دول أوروبا وأمريكا ذوي خبرات مهنية واختصاصات معينة ، تغير التوزيع النسبي للقوى العاملة في فلسطين المحتلة (قبل عام ١٩٦٧م) ، واتجه لصالح الخدمات العامة والصناعة والبناء والنقل والمواصلات على حساب النشاطات الأخرى . ففي عام ١٩٨٣م احتلت الخدمات العامة المرتبة الأولى في الكيان الصهيوني حيث بلغت نسبة العاملين فيها ٢٧,٩٩٪ من إجمالي القوى العاملة ، تليها الصناعة التي استمر الاهتمام بها والتركيز عليها باعتبارها أساسًا من أسس استفحال الاستيطان الصهيوني حيث بلغت نسبة العاملين فيها ٢١,٢٧٪ ، ثم التجارة بنسبة ١٢,١٪ ، والمالية والتأمين بنسبة ٩,٠٢٪ ، والنقل والتخزين ٦,٢٪ والإنشاء ٦,١٪ والخدمات الخاصة ٥,٥٢٪ . وتراجعت نسبة العاملين في الزراعة إلى المرتبة السابعة حيث بلغت ٥,٢٥٪ ، وتوزع الباقون في العمل في الكهرباء والماء والغاز ، والنشاطات

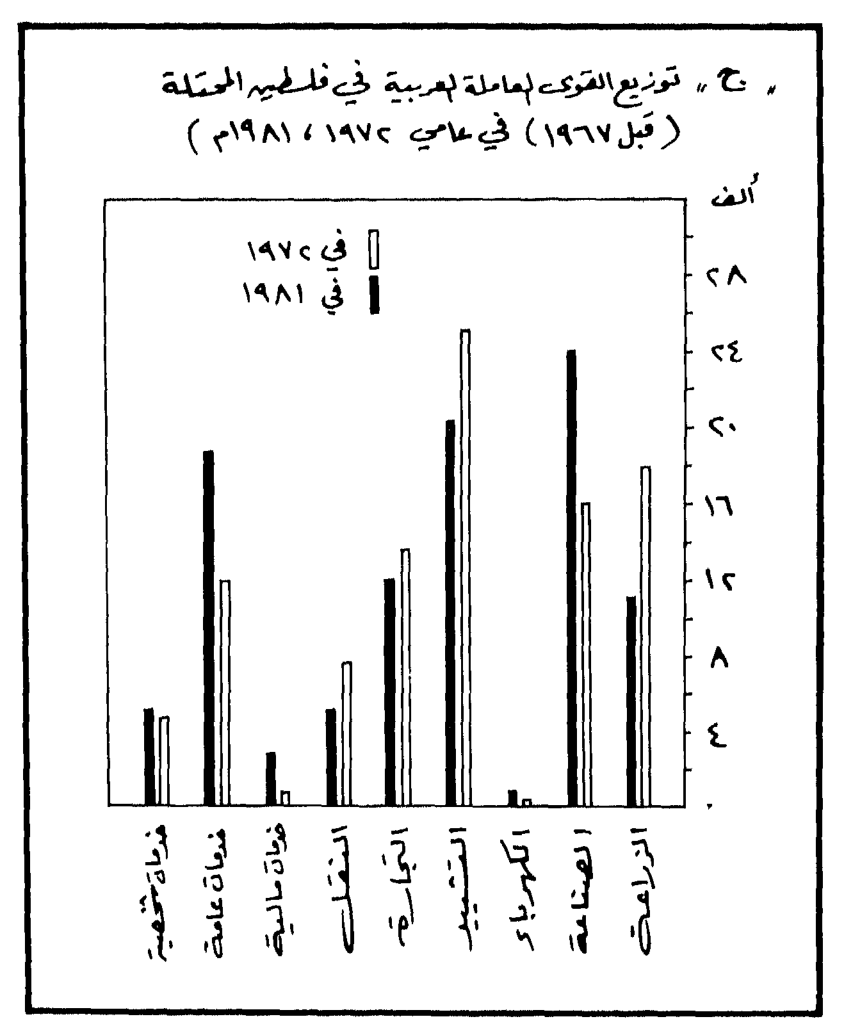
الأخرى[٧٤] . علما بأنه وجد أن ٤,٥٪ من نسبة قوة العمل في ذلك العام خارج العمل .

أما عرب فلسطين المحتلة (قبل عام ١٩٦٧م) فإنهم بعد أن تحولوا إلى أقلية مغلوبة على أمرها توجهوا للعمل في مجالات تخدم مصالح المستعمرين الجدد . إذ تراجع عدد المشتغلين في الزراعة لفقد أراضيهم ، وعملوا في قطاع البناء لإنشاء المستعمرات والأحياء الجديدة والطرق . فبالرغم من تزايد القوة العاملة العربية من ١٠٣ آلاف عام ١٩٧٢م إلى ١٣٣ ألفا عام ١٩٨١م (جدول رقم ٥) ، فقد تراجعت نسبة العاملين في المجالات المهمة مثل الزراعة والغابات والصيد من ١٩,٢٪ إلى ١٢,٤٪ بين هذين التاريخين . وبالمقابل تقدمت نسبة العاملين في الصناعة والتعدين من ١٢,٥٪ إلى ٢٠,٩٪ وأصبحت تحتل المرتبة الثانية بعد البناء . وتقدمت نسبة العاملين في الخدمات العامة من ١٣,٤٪ إلى ١٩,٧٪ ، وتقدمت كذلك نسبة العاملين في الخدمات المالية والتأمين وفي الكهرباء والماء والغاز . وهذا يعني أن ٤٢,٣٪ من العرب كانوا يعملون في عام ١٩٨١م في البناء والصناعة ، ويسخرون في مجالات تخدم الاقتصاد الصهيوني وتخدم مشاريعه الاستيطانية ، كما أن نحو خُمس العاملين يعملون في الخدمات العامة التي يعود نفع قسم منها على المحتلين الصهاينة في الوقت الذي تناقصت كثيرا فيه نسبة العاملين في الزراعة بسبب الاستيلاء على أراضيهم . (شكل ١٠ جـ) .

أما في الضفة الغربية فقد كان عدد المشاركين في النشاط الاقتصادي في عام ١٩٧٣م ١٤٠٢٠٠ عامل ارتفع في عام ١٩٨٤م إلى ١٦٨,٤ ألف عامل ، بالإضافة إلى ١,٨ ألف عاطل عن العمل[٧٥] . في حين أن قطاع الزراعة والغابات والصيد الذي كان يعمل فيه أكثر من نصف العاملين في أواخر عهد الانتداب ، اتجهت نسبتهم إلى التناقص بعد سنة ١٩٤٨م ، واستمرت في التناقص فوصلت نسبتهم إلى ٢٦,٥٪



شكل - ١٠ - التوزيع النسبي للقوى العاملة العربية في فلسطين المحتلة حسب النشاط الاقتصادي



شكل - ١٠/٢- التوزيع النسبي للقوى العاملة العربية في فلسطين المحتلة حسب النشاط الاقتصادي.

جدول (٥) المشتغلون من العرب الفلسطينيين في اقتصاد فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) (١٤ سنة فأكثر) حسب النشاط الاقتصادي (بالآلاف)

النشاط الاقتصادي	١٩٧٢م		١٩٨١م	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
الزراعة والغابات والصيد	١٩,٧	١٩,٢	١٥,٥	١١,٧
الصناعة والتعدين	١٢,٩	١٢,٥	٢٧,٨	٢٠,٩
الكهرباء والماء والغاز	٠,٣	٠,٣	١,١	٠,٨
البناء والإنشاء	٢٧,٣	٢٦,٦	٢٨,٥	٢١,٤
التجارة والمطاعم والفنادق	١٤,٧	١٤,٣	١٦,٥	١٢,٤
النقل والتخزين والمواصلات	٨,٠	٧,٨	٦,٩	٥,٢
الخدمات المالية والتأمين	٠,٨	٠,٨	٣,٦	٢,٧
الخدمات العامة	١٣,٨	١٣,٤	٢٦,٢	١٩,٧
الخدمات الشخصية	٥,٣	٥,١	٦,٩	٥,٢
المجمـــوع	١٠٢,٨	١٠٠	١٣٣	١٠٠

المصدر : المكتب المركزي للإحصاء ، الدائرة الاقتصادية (م . ت .ف .) ، المجموعة الإحصائية الفلسطينية . العدد ٤ ، جدول ١٧/٤ . (دمشق ، ١٩٨٢م) . النسب من حساب الباحث .

من‌عدد العاملين عام ١٩٧٣م ، ثم ٢١,٣٪ عام ١٩٨٤م (جدول ٦) ، فتراجعت إلى المرتبة الثانية بسبب الممارسات الصهيونية التي تؤدي إلى مصادرة الأراضي من ناحية ، وإلى انتزاع الفلاحين من أراضيهم بإغرائهم للعمل في الإنشاءات والصناعة والخدمات العامة ، في الوقت الذي تعرضت فيه المنتوجات الزراعية للكساد . وتفوق قطاع الإنشاء وارتفعت نسبة العاملين فيه من ٢٢,٨٪ إلى أكثر من ربع العاملين ، ويعود ذلك إلى سببين ، الأول : هو تسخير العرب في أعمال الإنشاءات اليهودية ، حيث كان ثلثا عمال

جدول رقم (٦) المشتغلون من العرب في اقتصاد الضفة الغربية (١٤ سنة فأكثر) حسب النشاط الاقتصادي (بالآلاف)

النشاط الاقتصادي	١٩٧٣م		١٩٨٤م	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
الزراعة والغابات والصيد	٣٧,٢	٢٦,٥	٣٥,٦	٢١,٣
الصناعة والتعدين	٣٤,٨	١٧,٧	٢٨,٢	١٦,٧
التشييد والبناء	٣١,٩	٢٢,٨	٤٢,٥	٢٥,٢
التجارة والمطاعم والفنادق	١٦,٢	١١,٦	٢١,٤	١٢,٧
النقل والتخزين والمواصلات	٥,٦	٤,١	٨,٥	٥,٠
خدمات عامة وجماعية	١٧,٥	١٢,٥	٢٥,١	١٤,٩
قطاعات أخرى	٦,٧	٤,٨	٧,١	٤,٢
المجمـــوع	١٤٩,٩	١٠٠	١٦٨,٤	١٠٠

المصدر : المكتب المركزي للإحصاء ، الدائرة الاقتصادية . النشرة الإحصائية الصناعية للضفة الغربية وقطاع غزة ، (دمشق ١٩٨٦م) . الجدول ١/٧/ ب . والنسب من حساب الباحث .

الإنشاء في الضفة الغربية يعملون في فلسطين المحتلة في عام ١٩٨٤م . والثاني : أن باقي عمال الإنشاء عملوا في تشييد المباني لاستثمار فوائضهم المالية في العقارات لضيق المجالات الاقتصادية الأخرى ، وللتشبث بالأراضي وعدم التسليم بانتزاعها منهم بسهولة (شكل ١٠ – أ) .

ومع أن نسبة العاملين في الصناعة والتعدين تراجعت بنحو ١٪ ، إلا أن عددهم زاد بمقدار ٢٦٠٠ عامل بسبب تشغيلهم في مصانع اليهود . أما قطاعات التجارة والمطاعم والفنادق والنقل والتخزين والخدمات العامة والجماعية فقد زادت نسبة العاملين في كل منها في عام ١٩٨٤م عما كانت عليه في عام ١٩٧٣م . ومن الجدير بالملاحظة أن تفاقم الأحوال الاقتصادية في الضفة الغربية نتيجة للاحتلال الصهيوني أجبرت قسمًا من العاملين على التوجه للعمل داخل الكيان الصهيوني حتى بلغت نسبة العاملين داخل الكيان الصهيوني ٣٢,١٪ من مجموع العاملين في الضفة الغربية في عام ١٩٨٤م[٧٦] . وكانوا يعملون في مختلف المجالات ولو أن أهمها مجال الإنشاء حيث وجد فيه ٢٨٣٠٠ عامل ، ثم مجال الصناعة ووجد فيه ٩٧٠٠ عامل ثم مجالا الزراعة والصيد ووجد فيهما ٤٤٠٠ عامل من الضفة الغربية .

أما في قطاع غزة فقد ارتفع عدد المشاركين في النشاط الاقتصادي من ٥٤ ألف عامل عام ١٩٦٨م إلى ٦٨١٠٠ في عام ١٩٧٣م ، وإلى ٨٧٢٠٠ في عام ١٩٨٤م . وأبدى التقسيم المهني تغيرًا مشابهًا لما حدث في الضفة الغربية بسبب تشابه ظروف الاحتلال والخناق الاقتصادي الذي خضع له مواطنو المنطقتين ، ويوضح الجدول (٧) هذا التغير (شكل ١٠ – ب) .

جدول (٧) المشتغلون العرب في قطاع غزة (١٤ سنة فأكثر) حسب النشاط الاقتصادي (بالآلاف)

النشاط الاقتصادي	١٩٧٣م		١٩٨٤م	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
الزراعة والغابات والصيد	٢٠,٠	٢٩,٣٦	١٥,٧	١٨,١
الصناعة والتعدين	٨,٩	١٣,٠٧	١٥,٣	١٧,٥
التشييد والبناء	١١,٥	١٦,٨٨	٢٢,١	٢٥,٣
التجارة والمطاعم والفنادق	٩,٤	١٣,٨٣	١٢,٦	١٤,٤
النقل والتخزين والمواصلات	٤,٩	٧,١٩	٥,٢	٦,١
خدمات عامة وجماعية	١٠,١	١٤,٨٣	١١,٢	١٢,٨
قطاعات أخرى	٣,٣	٤,٨٤	٥,١	٥,٨
المجمـــوع	٦٨,١	١٠٠	٨٧,٢	١٠٠

المصدر : المكتب المركزي للإحصاء (١٩٨٦م) ، مرجع سابق ، الجدول ١ / ٧ / ب . والنسب من حساب الباحث .

لقد استمر عدد المشتغلين في مجال الإنشاء في الارتفاع وزادت نسبتهم من ١٦,٩٪ عام ١٩٧٣م إلى أكثر من ربع العاملين في عام ١٩٨٤م ، واحتل المرتبة الأولى في عدد المشتغلين . وارتفعت كذلك نسبة العاملين في الصناعة من ١٣٪ إلى ١٧,٥٪ ، ويعود السبب في ذلك إلى تشغيلهم في أعمال الإنشاءات والمباني والمصانع الصهيونية . وقد تم ذلك في الوقت الذي انكمش فيه عدد المشتغلين بالزراعة وتقلصت نسبتهم من ٢٩,٤٪ عام ٧٣ إلى ١٨,١٪ عام ١٩٨٤م بسبب حرمانهم من أراضيهم . وقد ارتفع عدد العاملين في التجارة والفنادق والمطاعم والنقل والتخزين وبعض القطاعات الأخرى زيادة محدودة .

ونظرًا لضيق مساحة قطاع غزة وتعرضه لضغط سكاني رهيب منذ احتلال ١٩٤٨م ، فإن الضغوط الاقتصادية التي تعرض لها نتيجة احتلال ١٩٦٧ كانت أبلغ

تأثيرا مما حصل في الضفة الغربية فزادت نسبة نزوح السكان فيه من ناحية ، واضطر الباقي من العاملين إلى الانتقال من حرفهم إلى حرف أخرى . وحيث إن الحرف الأخرى تضيق عن استيعاب أعداد كبيرة منهم ، فإنهم كانوا يتجهون إلى داخل الكيان الصهيوني للعمل فيه ، حتى بلغ عدد العاملين داخل الكيان الصهيوني ٤٠,٢ ألف عامل من قطاع غزة ، أي ما نسبته ٤٦,١٪ من مجموع العاملين في قطاع غزة عام ١٩٨٤م وعملوا في مختلف القطاعات وأهمها : الإنشاء الذي بلغ عدد العاملين فيه (١٨,١ ألف عامل) ، والزراعة (٧,٩ آلاف عامل) ، والصناعة (٧,٣ آلاف عامل)[٧٧] .

(د) **توزيع السكان حسب الريف والحضر** : كان المجتمع الفلسطيني في العهد العثماني مجتمعا ريفيا يشكل الفلاحون فيه نحو ٨٠٪ من مجموع السكان ، وكانوا يتوزعون في نحو ١٠٠٠ قرية مختلفة الحجم والثروة ، وقد توارث الفلاحون أسس الانتفاع بالأرض في نظم متعددة للملكية هي : الميري (السلطاني) والجفتلك ، والملكية في كلا النظامين للدولة ، والملكية الجماعية (المشاع) الذي يحق الانتفاع فيه بالأرض لأفراد القرية بالتعاون ، وملكية الأوقاف ومن أنواعه الأوقاف الخيرية والعامة والأسرية ، والملكية الفردية ، وكان البدو يربون الحيوانات في أراضٍ تعتبر ملكيتها مشاعا للقبائل .

وقد أصدرت الدولة العثمانية قانون الأراضي عام ١٨٥٨م ، ويقضي بتسجيل وثائق حق الملكية على الأراضي الخاصة . وحينما أحجم الفلاحون عن التسجيل اغتنم جامعو الضرائب والمرابون والمنفذون الفرصة فسجلوا الأراضي بأسمائهم ، مما مكن بعض شخصيات المدن كبيروت ودمشق والقدس من امتلاك أحسن الأراضي الفلسطينية ، فوجد آلاف المزارعين أنفسهم بعد عام ١٨٧٠م وقد جردوا من حقوق الملكية وتحولوا إلى مستأجرين عند ملاك الأراضي الجدد[٧٨] .

وما أن حل عهد الانتداب البريطاني حتى أخذت تتبلور علاقات جديدة للإنتاج قوامها انحلال اقتصاد المقايضة ونمو اقتصاد ريفي يتجه إنتاجه للسوق بعد أن كان في السابق لكفاية المنتجين من الغذاء ، وظهور العمل المأجور في الريف وعودة النظام

الإقطاعي الريفي .

وفي إبان هذه التحولات الاجتماعية التي كانت تتم في فلسطين ظهر نشاط الحركة الصهيونية التي عملت على تنظيم هجرة اليهود إلى فلسطين ، وشراء الأراضي لإقامة المستعمرات حتى بلغ عددها ١٤ مستعمرة في عام ١٩١٤م مساحتها ٤٠٠كم مربع وتضم ١٢٠٠٠ فرد . ثم حصلت الصهيونية على دعم بريطانيا لفتح أبواب الهجرة وعدم تقييد بناء المستعمرات ، وذلك بصدور وعد بلفور وخضوع فلسطين للانتداب البريطاني منذ عام ١٩٢٠م .

استمرت هذه التحولات الاجتماعية في الريف الفلسطيني في الوقت الذي بدأت الأعمال المهنية ، التي توظف العمل المأجور تتطور في المدن ، وبدأ ظهور الإنتاج الرأسمالي الذي يعود إلى نمو مجتمع المهاجرين اليهود الغربيين وكأنه امتداد لمراكز رأسمالية أوروبية . وبدأت تظهر في المدن أيضا طبقة جديدة بسبب التوسع في الخدمات ، وفي البنية الأساسية والوظائف الإدارية . فنشأت ظاهرة التوسع المدني قبل تطور الصناعة ، وربطت بريطانيا اقتصاد البلاد نهائيا باقتصادها وباقتصاد أوروبا الغربية .

أدت هذه التحولات إلى تضاؤل جدوى استغلال الأراضي ، فتفاقم فقر الفلاحين ، كما أدت إلى ترسيخ تبعية العمال المأجورين وصغار الموظفين ، فازداد فقرهم أيضا وغرقوا في الديون ، وكانت تلك الأجواء ملائمة للتوسع والاستيطان الصهيوني . ومع ذلك لم يزد ماحصل عليه اليهود حتى قرار التقسيم عام ١٩٤٧م عن ٦,٦٪ من مجموع أراضي فلسطين لكنهم استولوا على ٧٩٪ من أراضي فلسطين نتيجة الحروب والاعتداءات التي تلت قرار التقسيم وجلبوا المهاجرين الصهاينة لاستثمار الأراضي العربية التي استولوا عليها ولتشغيل عجلة الاقتصاد . فأوجد في فلسطين المحتلة مجتمعًا جديدًا يختلف في تركيبه الاجتماعي وفي بنيته ، وفي طريق إنتاجه وفي خصائص سكانه وفي أهدافه ومجال تطوره وكأنه جبهة متقدمة للمجتمع الرأسمالي الغربي . وتحول العرب الباقون إلى مواطنين من درجة سفلية وخضعوا دون غيرهم للحكم العسكري والقوانين التعسفية .

يتضح مما سبق أن مدن فلسطين شهدت نموا سكانيا يفوق نسبة الزيادة العامة بسبب

الضغوط الاقتصادية المتزايدة على الريف والتي منعته من النمو ، وبسبب نمو قطاع الصناعة وقطاع الخدمات الإدارية والمهنية والفنية والخاصة وقطاع التجارة والنقل ، وهي القطاعات التي تستوطن بطبيعتها المدن . ومن ناحية أخرى فإن معظم المهاجرين اليهود جاءوا في الأصل من مناطق حضرية في أوروبا الغربية والشرقية وأمريكا . وقد عجز الكيان الصهيوني عن إغراء الكثير منهم للسكن في الريف فاستقروا في المدن . ولذلك فقد عمدوا إلى إنشاء مدن صغيرة في وسط المناطق الريفية ، وإنشاء أحياء وضواح سكنية جديدة في المدن السابقة أو حولها .

ففي عام ١٩٤٦م تجمع ٨٥٪ من اليهود البالغ عددهم ٦٠٠ ألف يهودي حول المدن : القدس ويافا وتل أبيب وحيفا . وفي عام ١٩٤٨م شكل سكان المدن ٧٣٪ من سكان فلسطين المحتلة . ثم ارتفعت نسبتهم إلى ٧٦,٢٪ في عام ١٩٦٠م ، وإلى ٨٥,٣٪ عام ١٩٧٥م ، وبلغت ٨٩,٦٪(٧٩) عام ١٩٨٣م .

أما عرب فلسطين المحتلة فكانوا يشكلون ٣,٧٪ من إجمالي سكان المناطق الحضرية عام ١٩٦٠م وصاروا ٧,٦٪ عام ١٩٧٠م ثم ١٣,٧٪ عام ١٩٨٢م . وفي الوقت نفسه كانت أعدادهم تعادل ٢٥,٧٪ ، ٣١,٤٪ ، ٦١,٣٪ من عرب فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) في السنوات ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ ، ١٩٨٢م علي التوالي . وكانت نسبة العرب الذين يعيشون في الريف في العام الأخير (١٩٨٢م) هي ٢٨,٢٪ وفي مضارب البادية ١٠,٥٪(٨٠) ومن الملاحظ أن عدد الريفيين لم يتغير في عامي ١٩٦١ ، ١٩٨١م (١٥٣٥٠٠) رغم ارتفاع الزيادة الطبيعية بسبب شدة النزوح منها .

ارتفعت نسبة الحضر في الضفة والقطاع كذلك ولكن بنسب مختلفة لاختلاف ظروف كل منطقة ؛ إذ بلغت نسبة سكان المدن في الضفة طبقا لتعداد ١٩٦١م ، ٣٤,٥٪ وسكان الريف ٦٣,٧٪ وسكان الخيام ١,٨٪، وصارت نسبة سكان المدن وفقا لتعداد ١٩٦٧ ، ٣٩٪ وسكان الريف والخيام ٦١٪ من إجمالي سكان الضفة ، وقدرت نسب هاتين الفئتين ٤٥٪ ، ٥٥٪ على التوالي في عام ١٩٨١م .

وتشير أرقام وكالة الغوث لعام ١٩٨٣م إلى أن عدد اللاجئين الفلسطينيين يبلغ

في الضفة الغربية ٣٤٥ ألف لاجئ منهم ٨٨ ألفًا يسكنون المخيمات القريبة من المدن : نابلس وجنين وطولكرم وأريحا والقدس والخليل ، ويعيش الباقون في المدن والقرى[٨١] .

بلغت نسبة سكان الحضر في قطاع غزة طبقا لتعداد ١٩٦٧ ، ٧٩,٤٪ من إجمالي سكان القطاع ، وارتفعت في أوائل الثمانينات إلى ٨٥٪ وتشير أرقام وكالة الغوث لعام ١٩٨٣م إلى أن عدد اللاجئين في القطاع بلغ ٣٨٢٥٤٩ لاجئ منهم ٢١٠٦٢٥ يسكنون المخيمات : جباليا والشاطئ والبريج والنصيرات والمغازي ودير البلح وخان يونس ، ويسكن الباقون داخل المدن والقرى خارج المخيمات .

وفيما يلي نبذة عن مدن فلسطين التي كان يزيد عدد سكانها عن ٢٥,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٤٧م :

أهم مدن فلسطين

١ - **مدينة القدس** : تعتبر القدس من أقدم مدن العالم ، وقد سميت أسماء متعددة على مر العصور ، وكانت عاصمة الدولة في معظم تاريخها الطويل الذي يمتد إلى أكثر من ٤٥٠٠ سنة ، حينما بناها « اليبوسيون » ، وهم من القبائل الكنعانية ، على مجموعة من التلال المتجاورة في وسط جبال فلسطين ، وعلى ارتفاع نحو ٧٥٠م عن سطح البحر ، وفي موقع يتحكم في الطرق التي تؤدي إلى سائر أنحاء فلسطين . وقد أطلق اليبوسيون عليها اسم « يبوس » وسميت « أورشالم » أي إله السلام لدى الكنعانيين ، وشيدوا حولها سورا حجريا لحمايتها ، وقد أعيد تشييد السور عدة مرات خلال تاريخها الحافل بالأحداث ، وكان آخرها السور الحجري الضخم الذي بني في عهد السلطان سليمان القانوني عام ١٥٤٢م ويبلغ طول محيطه نحو أربعة كيلو مترات وله سبعة أبواب[٨٢] .

أخذت القدس تتسع خارج السور نتيجة لنمو السكان وزيادة المباني منذ أواسط القرن التاسع عشر ، فأخذ العمران يمتد باتجاه طريق القدس - يافا وعلى امتداد الطرق

الأخرى ، فنشأت الأحياء الحديثة فيما عرف « بالقدس الجديدة » ، إضافة إلى القرى التي تحولت إلى ضواح حينما التحمت بالمدينة مثل : شعفاط وبيت حنينا والعيزرية وأبو ديس وسلوان وعين كارم ، أو الأحياء التي أقيمت على الجبال ، مثل المشارف والقطمون والمكبّر ، أو الأحياء التي أنشأها اليهود بعد تدفق موجات الهجرة اليهودية إليها ، مثل حي مشيرم وحي يهودا أو المستوطنات التي أنشأوها بالقرب من القدس[٨٣] .

وبعد أن كانت القدس « سنجقا » من سناجق ولاية دمشق منذ بدء العصر العثماني ، جعل العثمانيون منها « متصرفية » مستقلة مرتبطة بالباب العالي في عام ١٨٧٤م نظرا لقداستها . واعتبرت القدس عاصمة فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ، وصارت أهم وأكبر مدينة فيها إلى أن جاءت أحداث ١٩٤٨م فقسمتها إلى قسمين : القدس الشرقية وتضم القدس القديمة مع الأحياء التي تلي السور في الاتجاه الشرقي والقدس الغربية ، وتضم القدس الجديدة التي تلي الأولى في الاتجاه الغربي ، والتي احتلها اليهود ووصلوها بالأراضي المحتلة في منطقة السهل الساحلي ، وتدخل على شكل جيب في خاصرة الضفة الغربية من الوسط (انظر شكل ٦) .

وقد قدر عدد سكان القدس بنحو ٤٥٠٠٠ نسمة عام ١٨٩٠م ، وبنحو ٩٠٠٠٠ نسمة قبيل الحرب العالمية الأولى . وبعد أن انخفض عددهم بسبب ظروف الحرب ، عاد فارتفع إلى أن بلغ ٦١ ألف نسمة عام ١٩٢٠م واستمر في الارتفاع إلى أن بلغ ١٥٧٠٠٠ نسمة في عام ١٩٤٤م . وبعد الاحتلال والانقسام بلغ عدد سكان القدس العربية في عام ١٩٦١م نحو ٨٠ ألف نسمة ، في حين كان عدد اليهود في القدس الغربية ١٦٧ ألف نسمة . وعلى أثر حرب ١٩٦٧م واحتلال القدس العربية ، انخفض عدد العرب وزاد عدد اليهود ، واستمر في التزايد إلى أن بلغ مجموع سكان القدس حوالي ٤٢٩ ألف نسمة في حزيران ١٩٨٣م[٨٤] ، وكان نحو ربع هذا الرقم من العرب .

لم يكتف الكيان الصهيوني باحتلال القدس الغربية عام ١٩٤٨م بل اعتبرها العاصمة المقدسة له ، ثم احتل القدس الشرقية عام ١٩٦٧م ، وأعلن ضمها إليه تمهيدا لإعلان القدس الموحدة . ووسع حدود البلدية لتضم مجموعة كبيرة من الضواحي والقرى العربية

إمعانا في سياسة التوسع والتهويد من جهة وطمس المعالم العربية للمدينة من جهة أخرى .

لقد لعبت القدس المركز السياحي الرئيس والديني زمن الانتداب البريطاني ، وقد حافظت على هذا المركز في قسميها العربي واليهودي بعد الاحتلال ، لما تتمتع به من مركز ديني وتاريخي وسياسي ، بالإضافة إلى ميزاتها المناخية ، ولتوجيه الدولة لهذه الفعالية وتشجيعها عليها لأسباب سياسية : ففي عام ١٩٦٧م وبعد الاحتلال كان ٥٢٪ من القوى العاملة في القدس يعملون في المصالح العامة أو الخدمات التجارية ، بينما كان يعمل ١٥٪ في قطاع التجارة ونحو ١٥٪ في قطاعي الماء والصناعة[٨٥] .

وكان لمركز القدس السياحي تأثير على تطوير بعض الصناعات الخفيفة المهمة في القدس العربية مثل : صناعة الصوف وخشب الزيتون والصناعات الجلدية والنحاسية والمعدنية بالإضافة إلى مطاحن الحبوب وعصر الزيتون ، وصناعة الغزل والنسيج ومواد البناء وغيرها . وقد أوجد منذ العهد البريطاني في الجهة الجنوبية (حي البقعاء) من القدس الغربية منطقة صناعية أخذت تتطور . وكان لذلك كله تأثير على مركزها بحيث أصبحت مركزا تجاريا وصناعيا مهما ، وقد اقتضت ظروف الاحتلال ومخططاته ظهور مشاريع استيطانية وإسكانية عديدة قبل عام ١٩٦٧م وبعده ، ولذلك قام الكيان الصهيوني بتصميم مخطط هيكلي للقدس الموحدة والعمل على تنفيذ مشروع القدس الكبرى إمعانا في اقتطاع مساحة من أراضي الضفة الغربية المحتلة لإسكان أكبر عدد من المهاجرين اليهود .

٢ - حيفا - عكا : تقع حيفا في الطرف الشمالي للسهل الساحلي الفلسطيني على رأس داخل في البحر في جنوب خليج عكا . وقد شهدت تطورا عظيما خلال الأعوام المائة الماضية نتيجة خصائصها بوصفها ميناء وموقعها في الساحل الخصيب . فقد دخلت حيفا عصرا مدنيا جديدا منذ أن اتصلت بسوريا بالخط الحديدي الحجازي سنة ١٩٠٥م ، ثم بعد أن اتصلت بمصر بواسطة الخط الذي أنشئ إبان الحرب العالمية الأولى ، وكان متصلًا بالخط الساحلي إلى لبنان . وقد تم إنشاء ميناء حيفا عام ١٩٣٣م حيث أصبح ظهيره يمتد إلى حوران والأردن والعراق والجزيرة العربية بالإضافة إلى فلسطين فتوسعت

تجارتها . ومنذ ذلك العام بدأ مد أنبوب النفط لشركة بترول العراق من كركوك إلى مستودعاتها في حيفا ، وإنشاء مصفاة البترول التابعة للشركة . وقد توقف خط الأنابيب عن مد المصفاة بالبترول في سنة ١٩٤٨م .

وقد تميزت حيفا بالطرق المعبدة التي ربطتها بالسهل الساحلي وبداخل فلسطين وبوادي الأردن عبر مرج ابن عامر . لقد جذبت حيفا بوصفها ميناء رئيسا ومركز مواصلات متنوعة ، نشاطات عمرانية مهمة ، مثل الخدمات والنشاطات التجارية والصناعية ، فنشأت فيها مراكز للاستيراد وتجارة الجملة ، كما نشأت بعض الصناعات الأخرى مما ساعد على نموها وتوسعها . وقد تقلص نشاط المرفأ بعد الاحتلال حيث تحولت تجارة (الترانزيت) في المشرق العربي إلى ميناء بيروت ، ولكن حيفا احتكرت تجارة الكيان الصهيوني مع موانئ البحر المتوسط في فترة مهمة جدا وهي فترة تأسيس دولتهم وتدفق موجات الهجرة ، إلى أن أنشئ ميناء أسدود على الساحل الجنوبي وأنشئ ميناء إيلات على خليج العقبة حيث تحولت تجارة فلسطين المحتلة مع المحيط الهندي إلى ميناء إيلات فتأثر مرفأ حيفا ثانية وتقلص عدد سفن الشحن التي تزوره .

وتأتي حيفا بعد تل أبيب - يافا من حيث أهميتها التجارية والصناعية وتأمينها للخدمات ، ولو أن حيفا تركزت فيها الصناعات الثقيلة مثل صهر المعادن والأسمنت وإنتاج معدات النقل والمواصلات ، وتصفية البترول والصناعات الكيماوية إلى جانب الصناعات الخفيفة ، كالمطاحن والمعاصر وصناعة الصابون والصناعات الخشبية والمطابع وصناعة الغزل والنسيج ولفائف التبغ والروائح العطرية .

ولذلك وجد أن ٢٥٪ من العاملين في حيفا يعملون في الصناعة ، كما يشتغل في المواصلات ١٣٪ ، وهذه النسب تفوق مثيلاتها في المدن الأخرى . ويشتغل في قطاع الخدمات ٣٥٪ من العاملين .

وتفسر هذه الميزات التي تتمتع بها حيفا السبب في اتجاه أنظار قادة الحركة الصهيونية والوكالة اليهودية إليها ، وتكثيفهم الاستيطان فيها ، والإكثار من توظيف الاستثمارات خلال عهد الانتداب البريطاني حتى قلبت أوضاعها الديمغرافية رأسا على عقب عشية

احتلالهم إياها وإنشائهم دولتهم . ففي سنة ١٩٢٢م كان يعيش في حيفا ٢٤٦٣٤ نسمة منهم ٦٢٣٠ يهوديا أي ٢٥,٣٪ من سكانها . وفي سنة ١٩٣١م كان يعيش فيها ٥٠٤٧٣ نسمة منهم ١٥٩٢٣ يهوديا أي بنسبة ٣١,٥٪ ، وفي سنة ١٩٤٥م ارتفع العدد إلى ١٢٨٨٠٠ نسمة منهم ٦٦٠٠٠ يهودي أي بنسبة ٥١,٣٪ .

وقد اغتصب اليهود حيفا بالتآمر مع الجيش البريطاني في ٢٢ / ٤ / ١٩٤٨م وأجلوا أهلها عنها وكثفوا هجرة اليهود إليها ، ولذلك انخفض عدد سكانها في ٨ / ١١ / ١٩٤٨م إلى ٨٨٨٩٣ نسمة ، منهم ٨٥٣٢٧ يهوديا[٨٦] أي بنسبة ٩٦٪ ، وارتفع العدد في السنة التالية (١٩٤٩م) إلى ١٢٠٧٠٠ نسمة منهم ١١٥٠٠٠ يهودي ، أي بنسبة ٩٥,٣٪ . ثم استمرت الزيادة إلى أن بلغ عددهم في يناير ١٩٧٩م (٢٢٩٠٠٠) نسمة ، وفي يونيه / حزيران ١٩٨٣م (٢٥٣٧٧٥ نسمة)[٨٧] .

تمتد حيفا على طول شاطئ البحر على أرض مسطحة معظمها خاضع للاستعمال وعلى سفوح جبل الكرمل . ويحتل الميناء الجانب البحري في الشمال بينما يحتل المركز التجاري وسطها ، وتنتشر المنطقة السكنيـة في جنوبها ، وهي محاطة من الشمال الشرقي بمنخفضات وبجبل الكرمل إلى الجنوب من المنخفضات ، وهو يتكون من الصخور الكلسية والرملية ويرتفع بين ٣٠٠ - ٤٠٠م عن سطح البحر ويفصله عن المدينة مصطبة متوسطة الارتفاع . وقد استعمل الجبل والمصطبة في تشييد المساكن الراقية والفنادق ، ويصب نهر المقطع الذي يستمد بعض مياهه من السفوح الشرقية لجبل الكرمل في خليج عكا شمال تلك المنخفضات[٨٨] .

وتتكون المنخفضات من سهل طموي منخفض فيه كثبان رملية ، وقد استعملت في تشييد مشاريع صناعية أهمها مصفاة النفط التي تحولت إلى مركز للصناعات الكيماوية ، وظهرت فيه عدة أحياء سكنية مخططة لإسكان العمال ، وأخذت هذه المنطقة الصناعية التجارية تمتد شمالا باتجاه عكا .

أما مدينة عكا فتقوم على كتلة صخرية عالية وتبرز على شكل رأس داخل في البحر في الطرف الشمالي من خليج عكا ، ويقع بينهما سهل مجاور لشاطئ الخليج على شكل

قوس يبلغ طوله ٢٣ كم وهي المسافة بين المدينتين . ويرتبط ميناء عكا الذي يقع في الجهة الجنوبية بظهيره الخلفي بشبكة طرق وبسكك حديدية مهمة . ومدينة عكا قديمة جدا بناها الجرجاشيون وهم من القبائل الكنعانية في الألف الثالثة قبل الميلاد ودعوها « عكو » . وكانت عاصمة لإحدى الولايات العثمانية قبل أن يتحول المركز إلى صيدا منذ قرنين ، وقد تحول إلى بيروت بعدئذ . ومن مشاهدها التاريخية المهمة جامع الجزار وسور المدينة الأثري الذي تتخلله الخنادق الواسعة والاستحكامات والأبراج والحصون ، وقد عجز عن اقتحامه نابليون بجيوشه القوية . غير أن المدينة عاشت أمجادها وتجمدت و لم تشهد النهضة العمرانية التي حصلت في غيرها من مدن فلسطين ، وتحولت في عهد الاحتلال اليهودي إلى ضاحية من ضواحي مدينة حيفا ، حينما تمددت المنطقة الصناعية والتجارية والعمران في شمال شرق حيفا باتجاه عكا عبر السهل الساحلي المحيط بالخليج .

وكانت عكا تضم نحو ٦٤٢٠ نسمة سنة ١٩٢٢م ثم أخذت ظروفها تتحسن فبلغ عدد سكانها ١٢٣٦٠ نسمة في كانون الأول ١٩٤٦م وكلهم من العرب ، وقد سقطت في يد العصابات اليهودية في ١٦ / ٥ / ١٩٤٨م ، فتشرد معظم سكانها وتقلص عدد الباقين في أواخر سنة ١٩٤٨م إلى ٣١٤٦ عربيا و ٨٧٤ يهوديا ، وارتفع عدد السكان في السنة التالية إلى ٩٠٠٠ نسمة منهم ٥٢٠٠ يهودي[٨٩] معظمهم من المستوطنين الجدد . واستمر نموها في الفترة التالية إلى أن وصلها التطور العمراني من جهة الجنوب ، وأنشئ حولها مشاريع سكنية جديدة ، وارتفع عدد سكانها إلى أن بلغ ٣٥٥٠٠ نسمة منهم ٤٥٠٠ عربي عام ١٩٧٣م . وقد حاولت سلطات الاحتلال إخفاء طابعها العربي فهدمت الأبنية لإقامة الساحات والمناطق السياحية[٩٠] .

وقد بلغ عدد سكان المنطقة العمرانية لحيفا الكبرى ٢٦٤٠٠٠ نسمة سنة ١٩٦١م ثم ارتفع إلى ٣٣٠٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٦٧م أي أنهم زادوا بنسبة ٢٠٪ .

ويعيش نحو ثلثي هذا العدد في مدينة حيفا التي نمت بنسبة ١٥٪ في الفترة التالية للاحتلال ، ويعيش أقل من خمس السكان في الضواحي الصناعية في شمال شرق حيفا التي نمت بنسبة ٣٥٪[٩١] ، ولا تضم عكا سوى نحو خُمس سكان المنطقة العمرانية

لحيفا الكبرى .

٣ – يافا – تل أبيب : بنيت يافا وهي مركز عمراني قديم جدًّا ، على تل مجاور لشاطئ البحر المتوسط إلى الجنوب من مصب نهر العوجا ، وفي منتصف ساحل فلسطين تقريبا . ويافا تحريف لكلمة « يافي » الكنعانية بمعنى الجميلة . وقد احتلت في زمن الانتداب البريطاني المركز الثاني بعد مدينة القدس العاصمة في الحجم والأهمية ، وكانت ميناء البلاد الرئيس قبل إنشاء ميناء حيفا الجديد في الثلاثينات ، وظلت ميناء مهما بعده إلى أن أغلقته سلطة الاحتلال في عام ١٩٦٥م . ويحمي يافا خليجان غير عميقين ، ويحيط بها من الداخل بساتين البرتقال الذي اشتهرت بزراعته وبتصديره منذ القرن التاسع عشر الميلادي خاصة النوع « الشموطي » الذي يعرف في الأسواق الأوربية باسم « اليافاوي » إضافة إلى المزارع الأخرى بسبب خصب تربة هذه السهول وتوفر مياهها .

وقد زاد من أهمية يافا في الماضي إسهام المرفأ في نقل حجاج القدس ووسط فلسطين بعد استعمال قناة السويس ، وتبع ذلك إنشاء خط حديدي بينها وبين القدس . وكانت مركزا تتشعب منه الطرق المعبدة ، وصارت مركزا تجاريا مهما . و لم تلبث أن صارت يافا زمن الانتداب البريطاني مركز النشاط الأدبي والثقافي ، فتركزت فيها مطابع الكتب وصدرت فيها مجموعة من الصحف ، وصارت محورًا لنشاط الأحزاب والجمعيات .

وقد اشتهرت يافا بنشاطها الصناعي أيضا حيث كان فيها مصانع لسكب الحديد وللنسيج والفخار والصابون والزجاج والورق وغزل القطن . وأخذت في التوسع ونشأت فيها الضواحي في وقت مبكر بالقياس إلى المدن الفلسطينية الأخرى ، وزاد عدد سكانها تبعا لذلك .

قدر عدد سكان يافا في عام ١٩٢٢م بـ (٤٧٧٠٩) نسمة ، وارتفع إلى ٥١٨٦٦ نسمة عام ١٩٣١م . وفي ديسمبر / كانون الأول ١٩٤٥م قدر بـ (٦٦٣١٠) نسمة كلهم من العرب . وقدروا في ديسمبر / كانون الأول ١٩٤٦م بنحو (٧٠٧٦٠) عربيا[٩٢] . وقد خضعت للاحتلال اليهودي سنة ١٩٤٨م رغم أنها تقع في الجزء الذي يجب أن يكون عربيا حسب قرار تقسيم الأمم المتحدة ، وطرد سكانها و لم يبق منهم سوى

٣٦٥١ عربيا عزلهم الكيان الصهيوني في حي العجمي ، ثم جرى ضمها إلى تل أبيب في سنة ١٩٥٠م . وتدفق إليها آلاف المهاجرين الصهاينة . وقدر عدد سكانها في أوائل الثمانينات بـ (١٢٠٠٠٠) من اليهود ، ونحو ٢٠٠٠٠ من العرب[٩٣].

وقد نشأت تل أبيب مستعمرة يهودية صغيرة في شمال يافا سنة ١٩٠٩م ، باعتبارها ضاحية من ضواحي يافا ونمت بسرعة بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٤٦ م ، أي في ظل الانتداب البريطاني ، حتى فاق عدد سكانها عدد سكان يافا ذاتها بسبب توطين المهاجرين اليهود . وقد زاد عدد سكانها وتوسعت مساحتها كثيرا بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم بعد إنشاء الكيان الصهيوني . كما اعتبرت يافا ضاحية من ضواحيها وبلغ عدد سكانها ٢٦٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٨م ، وتابعت نموها السريع حيث اعتبرت عاصمة للكيان الصهيوني وبلغ عدد سكانها ٣٢٧,٦ ألف[٩٤] عام ١٩٨٣م .

تمارس تل أبيب منذ الحرب العالمية الثانية وظائفها باعتبارها أهم مركز إداري وتجاري ومالي وصناعي وثقافي وتعليمي . وكان فيها نصف الصناعات الصهيونية في فلسطين قبيل انتهاء الانتداب البريطاني ، كما كان فيها نحو ثلث يهود فلسطين في ذلك الوقت . ولذلك مارست وظيفة العاصمة بعد تأسيس الكيان الصهيوني . ورغم إعلان القدس عاصمة للكيان الصهيوني ، فلا زالت تل أبيب تمارس وظيفة العاصمة الفعلية ، وفيها عدد من الوزارات خاصة وزارة الخارجية والسفارات الأجنبية ورئاسة عدد من الإدارات الحكومية الأخرى .

لقد اتسع القلب التجاري لتل أبيب - وهو لا يبعد كثيرا عن حدود يافا - في الاتجاهين الشمالي والجنوبي ، أي باتجاه منطقة الفنادق والبنوك والمناطق السياحية بمحاذاة البحر وظهرت فيه العمارات العالية . وهناك منطقتان صناعيتان تمتدان خارج الوسط التجاري : الأولى في الجنوب الغربي من الوسط التجاري ، أي منطقة الالتحام بين يافا وتل أبيب من هذه الجهة ، حيث تقوم منطقة مشاغل خفيفة مختلطة مع مناطق التسويق ، والثانية تقع في الشمال الشرقي من المركز على طريق ملبِّس وهي منطقة مصانع ومشاغل تفوق السابقة ثقلًا . ويحتل الميناء قسما من الواجهة البحرية ، وتشغل الأحياء

السكنية ما تبقى منها .

ويمكن تقسيم المدينة إلى قسمين على أساس اجتماعي -- اقتصادي : القسم الشمالي والقسم الجنوبي . ويقع في القسم الشمالي عدد من الضواحي الحديثة ، ولذلك فإن مستوى المساكن في هذا القسم جيد وحديث نسبيا ومعظم سكانه من غير المهاجرين . وتقع تل أبيب القديمة ويافا وجنوب شرق تل أبيب في القسم الجنوبي الذي يتصف بالفقر بالقياس للأول ، وبأن مستوى المساكن فيه منخفض وفقير وأن معظم سكانه من المهاجرين . وقد بقي القسم الأكبر من المساكن والمحلات التجارية والدكاكين التي يملكها العرب من هذا القسم على حاله دون تغيير حتى سنة ١٩٦٧م ، لأن الدولة كانت تسمح للمهاجرين الجدد باستعمالها دون أن تملكهم إياها .

وقد ضمت ضواحي تل أبيب ٤٣٤,٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٦٧م ، وهذا الرقم يزيد بنسبة ٤٠٪ عنه في عام ١٩٦١م ، مما يشير إلى سرعة النمو فيها . وقد حصلت معظم الزيادة في بيت يام وصولون ، وقد نالتا وحدهما نصف النمو السكاني في الضواحي في هذه الفترة ، وصار فيهما ١٣٣,٠٠٠ نسمة وتقعان في جنوب يافا . أما الضاحيتان : رامات يوحانان والخيرية اللتان تقعان في الشمال الشرقي فقد نالتا ربع الزيادة المذكورة وصار فيهما ١٧٢,٠٠٠ نسمة[٩٥] . أما اللد والرملة فكانتا مدينتين عربيتين تقعان على جانبي طريق يافا – القدس المتجهة إلى الشرق فتضمان بيوتًا هزيلة معظمها بيوت أصحابها العرب قبل نحو نصف قرن .

٤ – **نابلس** : وهي أكبر مدينة في الضفة الغربية بعد القدس ومن أقدم مدنها أيضا ، حيث بناها الكنعانيون وأسموها « شكيم » أي الأرض المرتفعة . وتقع في واد يتوسط مجموعة من الجبال أهمها عيبال وجرزيم ، وتتوسط إقليم المرتفعات الجبلية الفلسطينية التي ترتفع قممها إلى نحو ١٠٠٠ متر عن سطح البحر . ومع ذلك يسهل اتصال نابلس بالمناطق المجاورة عبر منافذ طبيعية ، ولذلك فقد انطلقت منها الطرق المعبدة التي تصلها بمختلف أنحاء فلسطين[٩٦] . وتقع على بعد ٦٥كم شمال مدينة القدس ، وتتميز نابلس باعتدال مناخها وكثرة أمطارها بالمقارنة بباقي أنحاء الضفة ، ولذلك اشتهر إقليمها

بالزراعة ، لاسيما الزيتون الذي يعتبر أهم منتوجات الضفة وكذلك الفواكه والخضراوات .

قدر عدد سكان نابلس طبقا لتعداد ١٩٣١م بـ (١٧٤٦٨) نسمة ، وقدر عددهم في عام ١٩٤٥م بنحو ٢٣٢٥٠ نسمة ، أقام معظمهم على طول وادي نابلس وفوق أقدام الجبال . غير أن بلديتها قامت بتنفيذ مشروعات كثيرة أسهمت في زيادة حركة البناء لاسيما بعد عام ١٩٤٨م . وتدفق اللاجئون من الأراضي المحتلة إليها فظهر ما يسمى بنابلس الجديدة ووصل عدد سكانها عام ١٩٦١م إلى نحو ٤٥٧٧٣ نسمة[٩٧] . واستمر في التزايد بسرعة إلى أن حدث الاحتلال الصهيوني عام ١٩٦٧م فهبط عدد سكانها إلى نحو ٤٤ ألفا إلا أنه استأنف نموه ثانية إلى أن بلغ نحو ٦٠٠٠٠ نسمة في عام ١٩٨٠م .

وتتنوع الوظائف التي تقوم بها نابلس منذ القدم بين صناعية وتجارية وزراعية وإدارية وثقافية ، فقد اشتهرت نابلس بمهنها اليدوية ، حيث نشأت فيها صناعة الصابون اعتمادا على زيت الزيتون الذي ذاع صيته ، وكان يصدر منذ أوائل هذا القرن إلى مصر وبلاد الشام . وقامت كذلك الصناعات الخفيفة الأخرى مثل الطحينية والحلاوة والزيوت النباتية والسمن والجلود ، ونشأت فيها صناعة علب الصفيح والكبريت والمنسوجات وأكياس الورق وعلب الكرتون وطحن الحبوب والمرطبات والسكب وغيرها .

وتعتبر نابلس في نفس الوقت مركزا تجاريا مهما بالنسبة للضفة الغربية عامة وإلى محافظتها بشكل خاص . وقد ساعدها على ذلك تدفق رؤوس الأموال عليها من أبنائها العاملين في الخارج . وتتركز معظم الأسواق الرئيسة في وسط المدينة وتتركز الزراعة على سفوح الجبال وفي بطون الأودية وفي خارج عمران المدينة وتنتج أصناف الفواكه والزيتون والحبوب والخضراوات .

وقد كانت نابلس مركز لواء في عهد الانتداب البريطاني وصارت مركز متصرفية في العهد الأردني ، ثم تحولت إلى مركز محافظة في أواخره ، وصار يتبعها ثلاثة ألوية بها ست بلديات و ٣٥ مجلسا قرويا .

٥ - غزة : هي مدينة قديمة أطلق عليها الفرس اسم « هازاتـو » ، وسماهـا العـرب « غزة هاشم » ، وقد أقيمت على تل يرتفع نحو ٤٥ مترا فوق سطح البحر ، ويحيط بها سور ، وتبعد عن الشاطئ في جنوب فلسطين نحو ٤ كم قبل أن يمتد العمران إلى أسفل التل في جميع الاتجاهات . وكانت الكثبان الرملية تحدها في الغرب ، لكنها غرست بالأشجار ، وحينما امتد العمران باتجاهها مؤخرا نشأ « حي الرمال » . وقعت غزة على أبرز الطرق التجارية في العالم القديم ، وكانت حلقة وصل بين مصر والشام . وزادت أهميتها ببناء خط سكة حديد حيفا - القنطرة ، وتفرعت منها الطرق المعبدة التي تصلها بداخل فلسطين فغدت سوقا تجاريا . وكانت مرفأ جنوب فلسطين ومنفذ تجارة بلاد العرب عليه(٩٨) .

كانت غزة مركز اللواء الجنوبي في عهد الانتداب البريطاني ، وأصبحت عاصمة قطاع غزة بعد عام ١٩٤٨م وتقع في شماله ، وصارت مركز تجارته . ورغم أن غزة فقدت معظم أراضيها الزراعية بالاحتلال ، وتناقص عدد العاملين في الزراعة كما تناقص الإنتاج الزراعي ، إلا أن سكانها اضطروا إلى زراعة كل قطعة قابلة للزراعة حتى الرمال الساحلية لإنتاج الحمضيات وغيرها ، حتى صارت الحمضيات أهم منتوجات القطاع إلى أن حدث الاحتلال في ١٩٦٧م الذي عمل على مصادرة الأراضي لإنشاء المستعمرات اليهودية .

لقد اشتهرت غزة منذ القدم ببعض المهن مثل صناعة الفخار والبُسط والعباءات . وبعد عام ١٩٤٨م نقل أهالي المجدل إليها صناعة الغزل والنسيج التي كانت يدوية ثم تحول معظمها إلى صناعة آلية ، وصناعة الصبغ . وفي غزة صناعة الصابون وصناعة السجاير والتنباك وصناعة مواد البناء والمفروشات والمياه الغازية والدباغة وغيرها .

قدر عدد سكان غزة في مطلع القرن العشرين بـ ٢٦ ألف نسمة ، وتطور بين زيادة ونقصان ، فبعد أن بلغ ٣٢ ألف قبيل الحرب العالمية الأولى ، انخفض إلى أقل من ١٥ ألف بعد انتهائها ، ثم استأنف الزيادة إلى أن بلغ ٤٠ ألف عام ١٩٤٧م(٩٩) . وقد تضاعف عدد سكانها وتمدد عمرانها في جميع الاتجاهات بظهور الأحياء الجديدة

ومعسكرات (مخيمات) اللاجئين ، فوصل عدد سكانها ١٠٢ ألف عام ١٩٢٤م و ١٥٠ ألف عام ١٩٦٥ . وبعد أن انخفض عددهم عقب الاحتلال عام ١٩٦٧م إلى ١١٨٠٠٠ عاد واستأنف الزيادة حتى قدر في عام ١٩٧٨م بـ١٧٥ ألف نسمة[١٠٠] .

٦ – **الخليل** : وهي من أقدم مدن فلسطين إذ بناها الكنعانيون وأسموها « قرية أربع » قبل ٥٥٠٠ سنة ، ثم دعيت « حبرون » أو « حبرى » حينما نزلها إبراهيم عليه السلام في نحو ١٨٠٠ق.م. ومات ودفن بها . ونشأ حول مقبرته ومقبرة أسرته مدينة « بيت إبراهيم » . ولما اتصلت حبرون ببيت إبراهيم سميت المدينة باسم « الخليل » نسبة إلى إبراهيم الخليل[١٠١] .

تقع الخليل في قلب هضبة جبلية في واد يرتفع ٩٢٧م عن سطح البحر ، وتحيط به مجموعة من الجبال تقع في الطرف الجنوبي من جبال فلسطين ، التي يزيد ارتفاع قممها عن ١٠٠٠م عن سطح البحر . وتتمتع المنطقة والمدينة بطقس معتدل جميل ، وتسقط بها أمطار متوسطة الكمية (نحو ٥٠٠ ملم سنويا) ، وقد توسطت المدينة منطقة ريفية بها ٨٣ قرية ، بحيث كانت عقدة لطرق القوافل التي توصلها بالمناطق الأخرى خارج إقليمها ، وذلك على بعد ٣٦كم في جنوب مدينة القدس .

وقد اشتهرت الخليل منذ القدم بالمهن اليدوية كصناعة الزجاج التي وجدت على الأرجح منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، ودباغة الجلود والصناعات والجلدية والأحذية ، وصناعة الخزف والفراء ، وظهر فيها الصناعة الحديثة مثل : تعليب الطماطم والفواكه والمربات والصابون والنسيج والملابس الداخلية والأقمشة القطنية والكتانية ، فضلًا عن الصناعات المعدنية والخشبية وصناعة قضبان اللحام والقبانات والموازين ، والأثاث ومناشير الحجارة ، وصناعة التحف السياحية .

ولعبت المدينة دور السوق للفلاحين والبدو المحيطين بها ، وحافظت على هذا المركز بعد عام ١٩٤٨ م ، رغم أنها فقدت نصف قضائها ، فتطورت وتوسعت أسواقها وظهرت فيها مختلف الدوائر الحكومية في عهد الانتداب بحكم كونها مركز قائم مقامية ،

ونمت فيها هذه الدوائر زمن العهد الأردني ، حيث تحولت إلى مركز متصرفية ، ثم إلى مركز محافظة يتبعها بلديتان و ١٠ مجالس قروية .

كانت الخليل صغيرة الحجم بيضاوية الشكل ، تتجمع المساكن في حارات صغيرة مزدحمة وأخذ العمران ينتشر خارج سورها منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وامتد مع امتداد الوادي وعلى سفوح الجبال ، دون مخطط في البداية إلى أن أنشئت فيها بلدية عام ١٩٢٧م ، فأشرفت على تنظيم المدينة . وقد زاد نمو المدينة كثيرًا في العهد الأردني بسبب توسع الخدمات وتطور الإنتاج وتدفق اللاجئين إليها . وانتشر البناء بسرعة أكثر بعد احتلال ١٩٦٧م ، خاصة في وسط كروم العنب تحديًا لسلطة الاحتلال وتشبثًا بالأرض وحماية لها من المصادرة ، حتى التحم عمرانها بالقرى القريبة مثل حلحول على بعد ٧كم في طريق القدس ، غير أن سلطة الاحتلال صادرت ٢٥٠٠ دونم في عام ١٩٦٨م فيما بين جبل الرأس وجبل جوهر ، وفي مكان قريب يشرف على المدينة مباشرة ولا يبعد أكثر من كيلومتر واحد عن الحرم الإبراهيمي ، أنشأت عليها مستعمرة « قريات أربع » ووصلتها بشبكات المرافق وأخذت تتوسع على حساب الأراضي العربية .

إن صغر مدينة الخليل ومحدودية مواردها ، لم تسمح لها في الماضي بتزايد سكانها كثيرا ، فرغم قدم إعمارها فإن سكانها لم يتجاوزوا بضعة آلاف حتى مطلع القرن العشرين . وقد بلغ عددهم طبقا لتعداد ١٩٢٢م (١٦٥٧٧ نسمة) ، وارتفع إلى (٢٤٥٦٠ نسمة) عام ١٩٤٥م[١٠٢] . ثم ارتفع إلى (٣٧٨٦٨ نسمة) طبقا لإحصاء ١٩٦١م[١٠٣] بفضل الزيادة الطبيعية وتدفق اللاجئين . ولذلك فرغم ظروف الاحتلال والطرد والتهجير في سنة ١٩٦٧م ، فقد ارتفع عددهم في سنة ١٩٨٥م إلى نحو ٥٠,٠٠٠ نسمة .

النشاط الاقتصادي

وضعت البذور الأولى للاقتصاد اليهودي في فلسطين منذ بدأ تنفيذ الفكرة الصهيونية بوصول طلائع موجات الهجرة المنظمة إلى فلسطين في ١٨٨٢م ، فبعد أن كان الوجود اليهودي منعدما في الريف الفلسطيني تماما ، وجهت الحركة الصهيونية اهتماما كبيرا للاستيطان الريفي ، الذي تمثل في إنشاء المستعمرات بأنواعها المختلفة ، والذي لازال مستمرا على مدى قرن كامل حتى إن عدد المستعمرات يربو اليوم على ١٠٠٠ مستعمرة . وهذا يماثل عدد القرى في الريف الفلسطيني القديم . وبإنشاء المستعمرات الريفية ، صار لليهود قاعدة زراعية قوية قابلة للنمو قبل إنشاء الدولة .

وحينما اشتدت الهجرة اليهودية في عهد الانتداب كان معظم المهاجرين قادمين من أوروبا وأمريكا وهم في الأصل من سكان المدن ، وممن امتازوا بنيلهم قسطا أوفر من التعليم والتدريب ، أو كانوا من أرباب الصناعات ، وقد أغرتهم الحركة الصهيونية بجلب رأسمالهم لاستثماره في فلسطين . وقد سهلت حكومة الانتداب لهم استقرارهم في المدن ، وممارستهم تلك النشاطات ، فصار لليهود قاعدة صناعية قوية قابلة للنمو أيضا .

وكان الخبراء الاقتصاديون الصهاينة قد وضعوا سياسة اقتصادية متكاملة للحركة الصهيونية في فلسطين في وقت مبكر من هذا القرن . وقد تقيد الكيان الصهيوني بعد إنشائه بتلك السياسة من أجل تحقيق الاستقلال الاقتصادي وتثبيت جذور اليهود في فلسطين ، في محيط واسع من الشعب العربي المعادي لها ، والذي ينتمي اقتصاديا واجتماعيا للعالم الثالث .

عمل الاحتلال الصهيوني في المرحلة الأولى على بناء قاعدة « إحلال الإنتاج المحلي مكان المستورد » عن طريق زراعة ما يمكن زراعته ، وتصنيع ما يمكن تصنيعه محليا ، وعمل في المرحلة التالية على زيادة الإنتاج في بعض فروع الزراعة والصناعة بحيث تزيد عن حاجة الأسواق المحلية ، وبالتالي يتمكن من تصديرها للخارج ، وذلك من أصناف مربحة اقتصاديا ، محاولة تغطية وارداته من السلع المستوردة .

ولقد تجاوزت دولة الاحتلال المشاكل الاقتصادية الناجمة عن حرب (١٩٤٨م) وموجات الهجرة العظيمة ، وانفصال اقتصاد البلاد عن بريطانيا ، بمصادرة بساتين الحمضيات والزيتون وكافة الحقول الزراعية ، والمؤسسات المهنية والمساكن في المدن . وقد استولى الكيان الصهيوني على كافة المرافق العامة القديمة بما في ذلك السكك الحديدية

والطرق ، والموانئ ، والدوائر الحكومية ومعسكرات الجيش ومصفاة البترول ، وكثير من المعامل والمعاهد والمؤسسات المالية . وقد حمت المهاجرين اليهود الجدد من المنافسة الاقتصادية ، بتحديد وعزل ما بقى من الفلسطينيين بقوانين الدفاع والأمن . كما تغلبت على نقص العمالة بتوجيه العاطلين من العرب إلى حيث يحتاجهم الاقتصاد اليهودي ، وبطردهم من سوق العمل حينما تنتهي الحاجة إليهم(١٠٤) .

وقد اعتمد الكيان الصهيوني على التمويل الأجنبي منذ نشأته ، والذي بدونه ما كان يمكنه أن يطور اقتصاده كما فعل ، فقد تسلمت سلطات الاحتلال بلايين الدولارات من تحويلات رأسمالية من جانب واحد بدون فوائد أو شروط . وتضمنت هذه التحويلات هبات من المؤسسات الصهيونية وأثريائها ، وتعويضات من ألمانيا الاتحادية باسم التكفير عن جرائم النازية ، ومنح من الولايات المتحدة الأمريكية . فقد تلقى الاحتلال الصهيوني على سبيل المثال بين عامي ١٩٤٨ ، ١٩٦٢م نحو ٤٣٠٠ مليون دولار ، وبذلك بلغ نصيب كل فرد من يهود فلسطين المحتلة حوالي ٨١٢ دولارا في السنة ، وقد خصص ٧٠٪ من هذه المعونات للاستثمار . وتكمن أهمية المعونات الخارجية في أنها رأسمال جاهز ساعد على التطور الاقتصادي السريع .

وقد تزايد استيراد رأس المال بعد حربي ١٩٦٧م ، ١٩٧٣م بشكل خيالي ، إذ بلغ مجموع مساعدات الولايات المتحدة وحدها بين ١٩٧٣م - ١٩٧٦م حوالي ٧٠٧٥ مليار دولار . وقدمت المؤسسات الصهيونية أكثر من ذلك . وقد بلغت التوظيفات الخاصة الأجنبية المباشرة ربع التمويل منذ تأسيس دولتهم .

وسنتعرض بالدراسة فيمايلي لأهم مجالات النشاط الاقتصادي :

أولا - الزراعة :

أولى الكيان الصهيوني الزراعة بعد سيطرته على معظم فلسطين أهمية بالغة ، وذلك للدور الذي يلعبه في توفير الغذاء . الذي يعتبر أحد عناصر الأمن القومي ، وفي توفير مواد التصدير كالحمضيات أو المواد الخام الصناعية كإنتاج القطن والقصب . والأهم من هذا كله تثبيت الاستيلاء على الأراضي العربية ، وتحويل الوضع إلى أمر واقع .

وهذا يفسر إصراره على زيادة حركة إنشاء المستوطنات في الأراضي التي يحتلها .

وقد موّلت المؤسسات الصهيونية منذ قرن المستوطنات الزراعية ، وحصنتها لتلعب دورا حربيا ، فقد أنشأت أول مستوطنة زراعية (بتاح . تكفا) في سنة ١٨٧٨م .

وقد زاد نشاط الوكالة اليهودية في إنشاء المستعمرات في ظل الانتداب البريطاني حتى بلغ عددها ٢٧٤ مستوطنة سنة ١٩٤٦م[١٠٥] وارتفعت مساحتها من ٤٢٠,٦ كم مربع بين بداية ونهاية عهد الانتداب . وهي تساوي ٦٪ من مساحة فلسطين لكنها تساوي ٢٠٪ من مساحة الأراضي الصالحة للزراعة فيها ، ثم ارتفعت في فترة تأسيس الدولة إلى ٢٤٨٠كم مربع (سنة ١٩٤٩/١٩٥٠م) وإلى ٣٢٥٠كم مربع (سنة ١٩٥٠ / ١٩٥١م) بسبب طرد العرب من أراضيهم والاستيلاء عليها ، ثم أخذت مساحة الأرض الزراعية تتزايد ببطء نسبي حسب تزايد موجات الهجرة ، فبلغت ٤١٣٨كم مربع سنة ١٩٧٢ / ١٩٧٣م ، ثم ٤١٥٣كم مربع سنة ١٩٧٨ / ١٩٧٩م ، وقد استقرت في نحو ٤٢٠٠كم مربع حتى ١٩٨٣م . وسجلت نحو ١٩٢٠كم مربع أرضا مروية ، أي بنسبة ٤٦,٦٪ من مجموع الأرض الزراعية .

وتوسعت في استعمال الآلات لتوفير الطاقة البشرية ، حتى أصبح عندها ٢٢٩٠٠ جرار سنة ١٩٧٧م أي بنسبة جرار لكل ١٨٨ دونما ، وطبقت الأساليب الحديثة واعتمدت على التجارب العلمية ، وعلى توظيف رأس المال لرفع الإنتاجية .

وزاد عدد العاملين في الزراعة مع زيادة إنشاء المستوطنات واتساع مساحة الأرض وتنفيذ خطة الاستيطان الزراعي ، حتى بلغ عددهم ١٠٠٨٠٠ عامل سنة ١٩٥٦م ثم ارتفع إلى ١١٤٤٠٠ سنة ١٩٦٥م ، لكنه نقص إلى ٨٢٨٠٠ عامل فقط سنة ١٩٧٧م ، رغم زيادة مساحة الأرض . وكان من العدد الأخير ما نسبته ٨٪ من عرب المناطق المحتلة سنة ١٩٤٨م ، وحوالي ١٢,٣٪ من عرب المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧م ، وكلهم يعملون بأجر[١٠٦] .

زاد الإنتاج الزراعي في فلسطين المحتلة بنسبة ٦٥٠٪ ، بين ١٩٥٠ – ١٩٧٠م ، وتضاعف دخل الفرد ثلاث مرات ، وزادت مساحة الأرض المروية ٥٤٥٪ . وقد بلغ المعدل السنوي لنمو الإنتاج خلال الخمسينات ١٢٪ ، لكنه انخفض في الستينات ما بين

٥ - ٧٪ . ويعزى هذا النجاح إلى التوسع الأفقي من جهة خاصة في الأراضي العربية التي تمت السيطرة عليها ، سواء أراضي القرى أو الأراضي شبه الجافة في شمال غرب النقب ، وبعد أن وصلتها مياه نهر الأردن ، كما يعزى إلى التوسع الرأسي في تكثيف محاصيل جديدة وبطرق حديثة ، والاهتمام بزراعة المحاصيل النقدية . كما يعزى هذا النجاح أيضا إلى هدوء الجبهات العربية ، والحماية من منافسة الضفة الغربية وقطاع غزة الزراعيين ، وإلى رخص العمالة العربية[١٠٧] ، وإلى المعونات الحكومية العظيمة ، التي بلغت بين عامي ١٩٥٩ - ١٩٦٤م حوالي ٢٣٪ من مدخول المزارعين الصافي .

استطاع الكيان الصهيوني من خلال توظيفه للأبحاث الزراعية إنتاج أكبر كمية من الحبوب في وحدة المساحة ، وتمكن من إطالة فترة قطاف قصب السكر من ٣ إلى ٦ أشهر . وإلى جانب ضمان أمنها الغذائي استطاعت التخفيف من مشكلات ميزانها التجاري بالاهتمام بالمحاصيل النقدية لاسيما الحمضيات . وقد استعملت غرف البلاستيك (الزراعة المحمية) لزراعة الخضراوات والزهور واهتمت بزراعة الأعلاف والفواكه ، ولكن لوحظ انخفاض نسبة العاملين في الزراعة بالنسبة لقوة العمل إلى أن بلغت ٥,٥٪ في عام ١٩٨٣م . ويعزى هذا الانخفاض إلى التطور التقني المذكور ، وكذلك إلى توزع قوة العمل على مجالات النشاط الاقتصادي الأخرى خاصة الصناعة والخدمات والتجارة .

وأولى الكيان الصهيوني كذلك منذ نشأته أهمية خاصة للثروة الحيوانية ، حتى وفر لفلسطين المحتلة حاجتها من اللحوم والألبان والبيض واستطاع أن يغزو الأسواق العالمية بالدجاج ومنتجات الألبان ، فزاد عدد قطعان أبقار الألبان من ٨٨٧٠٠ رأس سنة ١٩٥٧م وإلى ١٩١٤٠٠ رأس سنة ١٩٧٧م ، وقطعان أبقار اللحوم من ٢٧٠٠٠ إلى ٩٧٨٠٠ رأس ، وبلغ مجموع الصنفين ٢٩٠ ألف رأس في عام ١٩٨٢ / ١٩٨٣م ، وزاد عدد الطيور من ٤,٥ مليون إلى ١٩ مليونا في نفس الفترة ، واستقر إنتاجها السنوي من الأسماك عند حدود ٢٤ ألف طن من عام ١٩٧٥م إلى ١٩٨٤م[١٠٨] .

وبذلك ضمن الكيان الصهيوني أمنه الغذائي الزراعي والحيواني ، وكاد يستغني عن

الخارج إلا من بعض المنتجات التي لا تستطيع أو يصعب إنتاجها محليا .

واستطاع أن يعدل ميزانه التجاري بتصدير كميات هائلة من الحاصلات الغذائية فمن أصل ٤٨٤٥ مليون دولار إجمالي وارداته سنة ١٩٧٧م ، لم تبلغ الواردات من المأكولات سوى ٤٦١ مليون دولار أي ٩,٥٪ من مجمل الواردات ، وتتكون من اللحوم ، والحبوب ، والقهوة ، والشاي ، والبهارات ، والسكر .

ونظرًا لأن تطوير الزراعة يأتي ضمن خطة شاملة لتطوير الاقتصاد عامة بمختلف مجالاته ، والتركيز على التصنيع ، وجدنا أن إسهام الزراعة في الإنتاج القومي الإجمالي يتراجع رغم تقدم الزراعة ورغم الاهتمام بها . فبعد أن بلغت إسهاماتها في سنة ١٩٥٤م (١٣٪) من مجمل الناتج القومي تراجعت إلى ١١,٥٪ في أواخر الخمسينات ثم إلى ٨,٧٪ سنة ١٩٦٧م و (٧,٨٪) سنة ١٩٦٨م(١٠٩) . وهذا يساوي (١٧٨٩٣٠٠٠٠٠) ليرة إسرائيلية . وأصبحت قيمة الناتج الزراعي الخام ٢١١٠ ليرة للهكتار المزروع بعد أن كانت ٥٥٠ ليرة سنة ١٩٥٢م . ولم تشغل سوى ١٣٪ من مجموع القوى العاملة وكانت ١٥٪ سنة ١٩٥٥م . في حين سجل الناتج القومي زيادة سنوية قدرها ١١٪ تقريبا خلال الستينات . ولذلك فإن الزراعة لا تشكل الآن دعامة أساسية للاقتصاد اليهودي كما أرادها المخططون الصهاينة .

وقد أسهمت المزروعات بنسبة ٦٠٪ من الإنتاج الزراعي سنة ١٩٦٧م ، كما أسهمت المنتوجات الحيوانية بنسبة ٤٠٪ . ويمكن تقسيم المزروعات إلى أربع مجموعات هي :

- الحمضيات ، وكان العرب يملكون نصف بيارات البرتقال سنة ١٩٤٧م ، وفقدوها بكاملها .
- المنتوجات الحقلية ، كالقطن والقمح والعلف والشمندر .
- الفواكه ، فيما عدا الحمضيات كالعنب والموز وغيرهما من الأشجار المثمرة .
- الخضار والبطاطا والبطيخ .

وبعد أن كانت الحمضيات تسهم بنسبة ٣٨٪ من مجمل الإنتاج الزراعي ، ويصدر

٦٠٪ منها ، وهي تعادل ٧٨٪ من قيمة الصادرات الزراعية ، تراجعت هذه النسبة إلى ٢٠٪ في أول الثمانينات رغم زيادة الإنتاج وذلك بسبب التركيز على الأصناف الأخرى لاسيما الزراعات الصناعية .

ومن أهم أصناف المنتوجات الحيوانية الدجاج ، وذلك بسبب تشجيع الدولة على تنميته لفتح الأسواق الخارجية ، ويسهم بنسبة ٢٠٪ أي مثل إسهام الحمضيات . ويليه الأبقار ، وتسهم بنسبة ١٤٪ من مجمل الإنتاج الزراعي ، الذي كان يخضع أحيانا للتشجيع الحكومي .

أما الزراعة العربية في فلسطين المحتلة فبقيت تماثل الزراعة في إقليم حوض البحر المتوسط وتماثل الزراعة في الضفة الغربية ، ويقوم بها فلاحون عرب يعيشون في قراهم القديمة ، بعد أن عزلتهم سلطات الاحتلال في جيوب خاصة .

ويمكن أن نقسم فلسطين إلى ستة أقاليم زراعية هي :

١ – منطقة السهل الساحلي على البحر المتوسط ، وهي غنية بمواردها الطبيعية . وأراضيها مسطحة متوفرة المياه ، تتكون تربتها من الطمي الرملي الخصيب معتدلة المناخ ، وتتمتع بحرارة في فصل الشتاء ، وفيها أكبر أسواق التصريف للمنتوجات الزراعية .

ولذلك احتلت هذه المنطقة الدرجة الأولى من حيث كمية الإنتاج وقيمته . وتركزت الزراعة فيها على الحمضيات ، والموز ، والخضراوات ، وتنمية الدواجن ، واللحوم ، والمنتوجات الحيوانية ، كالحليب والزبدة والأجبان .

٢ – منطقة سهوب البحر المتوسط ، وتقع فى شمال غرب النقب فيما بين قطاع غزة والضفة الغربية ، وهي منطقة جديدة للاستيطان اليهودي . فبعد أن كانت هذه المنطقة تعتمد على الأمطار غير المضمونة وتزرع الحبوب والتين ، وصلتها مياه نهر الأردن من بحيرة طبريا عبر قناة أسمنتية فتحولت إلى منطقة زراعية مروية لإنتاج الحاصلات النقدية خاصة الشمندر والقطن والخضراوات .

٣ – منطقة الوديان الداخلية : كوادي نهر الأردن ومرج ابن عامر وبيسان ، وهي

ذات تربة طموية خصبة ، غير أن منطقة الحولة في وادي الأردن الأعلى كانت مملوءة بالمستنقعات وبؤرة للأمراض فتم تجفيفها وإخضاعها للزراعة المروية . ويتميز وادي الأردن عن مرج ابن عامر بتوفر المياه ، فتركزت فيه زراعة الأعلاف لإنتاج الألبان والزبدة والخضار والفواكه . وخضع مرج ابن عامر لإنتاج الحبوب والحيوانات ، وتوسعت سهول طبريا وبيسان في زراعة الموز بسبب الدفء النسبي الذي تتمتع به[١٠٩] .

٤ – المرتفعات الشمالية مثل جبال الجليل وجبل الكرمل وجبل إسكندر ، وهي تشبه إقليم مرتفعات البحر المتوسط . ويعيش فيها فلاحون عرب ، بقوا في قراهم القديمة واستمروا في إنتاج مزروعاتهم التقليدية وبأساليبهم التقليدية . ويصعب تطوير هذه المناطق بسبب العزلة التي فرضتها سلطات الاحتلال على أهلها وحرمانها إياهم من أي حوافز تشجيعية ، بل ومحاولة تهجيرهم منها . هذا بالإضافة إلى طبيعتها القاسية ، حيث تتكون من منحدرات تتعرض تربتها للانجراف ، ويصعب الحصول على الماء فيها في فصل الصيف . وقد استمر الفلاحون في زراعة الزيتون والعنب والتين والحبوب والخضار والدخان والبطيخ والفواكه .

٥ – الضفة الغربية : وتتكون في الغالب من منطقة تلال جبلية تشبه جبال الجليل في طبيعتها الجغرافية وفي التقاليد الزراعية الموروثة . وقد ارتبط التطور الحديث للزراعة في هذه المنطقة الزراعية بالاقتصاد الأردني ، وذلك منذ عام ١٩٤٩م . فقد توسع الإنتاج الزراعي كثيرا خلال العهد الأردني أفقيا ورأسيا تحت ظروف تزايد السكان ، نتيجة لتدفق اللاجئين من المناطق المحتلة ، وزيادة الطلب على الحاصلات الزراعية سواء في السوق المحلي أو السوق الخارجي فزادت مساحة الأرض الزراعية حتى قدرت في سنة ١٩٦٧م بنحو ٢٠٠٠كم مربع . وانتشر استعمال الآلات الحديثة والأسمدة بنوعيها ، واستعملت الدورات الزراعية وتحسنت الأساليب وارتفع المستوى الفني للعاملين .

وقد أنتجت الضفة الغربية ما مقداره ٥٧١٩٧٧ طنًّا من الحاصلات الزراعية في سنة ١٩٦٧م . وقد بلغت قيمتها نحو ١٣٥٦٢٣٢٥ دينارا أردنيا ، وهذا يعادل ٥٨,٤٪ من

قيمة الإنتاج الزراعي في المملكة الأردنية في ذلك العام ؛ فقد أسهمت الضفة الغربية بنحو ٦١,٥٪ من إنتاج الفاكهة بالمملكة ، و ٨٢٪ من إنتاج الزيتون و ٢١٪ من إنتاج المحاصيل الشتوية . وقد تراجعت قيمة الإنتاج الزراعي في الضفة الغربية حتى بلغت ٢٧٩,٣ مليون دولار في عام ١٩٨٠ / ١٩٨١م[١١٠] بسبب ظروف الاحتلال وفقدان الفلاحين لأراضيهم .

وقدر إنتاج الضفة الغربية من الثروة الحيوانية بحوالي ٣٥٪ من إنتاج المملكة في عام ١٩٦٧م ، وبذلك تبلغ نسبة إسهام الضفة الغربية في الإنتاج الزراعي والحيواني حوالي ٤٥٪ من إنتاج المملكة الأردنية الكلي ، رغم عدم تنفيذ مشاريع ري مهمة ، كما حدث في الضفة الشرقية (كمشروع قناة الغور الشرقية وسد خالد) ، مما يدل على عظم استثمار الأموال الفردية في الزراعة في الضفة . وقد تراجعت الثروة الحيوانية بعد الاحتلال حتى بلغت أعداد الأبقار في عام ١٩٨١م حوالي ١٤٤٩٨ رأسا ، والضأن ٣٩٤٥٥٠ رأسا ، وحيوانات العمل ٢١٥٧٨ رأسا في عام ١٩٨١م[١١١] .

بقيت الزراعة في الضفة الغربية بعد احتلالها من أهم مجالات النشاط الاقتصادي وذلك رغم سياسة الاحتلال الصهيوني في محاولة تحويل الفلاحين عن الزراعة لتحقيق هدفين : الأول : توجيه الفلاحين للعمل في خدمة الاقتصاد الصهيوني والثاني : إهمال الأرض ليسهل استيلاء اليهود عليها وتهويدها ، فانخفض عدد العاملين في الزراعة من ٨٦ ألف عامل سنة ١٩٦٧م إلى ٥٣ ألف سنة ١٩٦٩م ثم إلى ٣١٣٠٠ عامل سنة ١٩٨٢م[١١٢] . ومع ذلك فقد ارتفعت الإنتاجية وارتفع الدخل المتحصل نتيجة استخدام الطرق الحديثة وتحسن المواصلات ، وزيادة مساحة الخضراوات والمحاصيل الصناعية على حساب المنتوجات الأخرى بسبب المنافسة مع فلسطين المحتلة . حيث قدرت قيمة الإنتاج الزراعي فيها في سنة ١٩٧٦م بحوالي ٣٩,٨ مليون دولار ، ويعادل هذا الرقم ٣٥٪ من قيمة الإنتاج المحلي الإجمالي في الضفة الغربية . وكان محصول الزيتون يعادل ٢٠٪ من قيمة الإنتاج الزراعي[١١٣] .

٦ — قطاع غزة : ويشغل مساحة ضيقة من جنوب السهل الساحلي ، وقد انعزل عن

باقي فلسطين وعن العالم الخارجي في عام ١٩٤٨م ، في الوقت الذي تضاعف عدد سكانه بسبب تكدس اللاجئين من المناطق المحتلة . وكانت الزراعة هي الملاذ الرئيس أمام العدد المتزايد من السكان للحصول على الرزق ، فزاد الاهتمام بالزراعة عامة وبزراعة الحمضيات والعنب والخضراوات بشكل خاص .

وقد بلغت مساحة الأرض الزراعية في قطاع غزة حوالي ٢٠٤ كم مربع ، أي نحو ٥٣٪ من مساحة القطاع الكلية . ولكن زاد من أهميتها أن ٤٤٪ من المساحة المزروعة كانت خاضعة للري (بالمقارنة مع ٥٪ في الضفة الغربية) . وقد بلغت قيمة الإنتاج الزراعي في القطاع في عام ١٩٧٦م نحو ١٥,٥ مليون دينار أردني أي أقل من ٥٠ مليون دولار . ولكن هذا الرقم كان يعادل ٣٣٪ من قيمة الإنتاج المحلي الإجمالي . وقد ارتفعت قيمة الإنتاج الزراعي إلى ٨٥,٧ مليون دولار في عام ١٩٨٠ / ١٩٨١م[١١٤] .

لقد ارتفعت زراعة الحمضيات في القطاع لتكون مادة التصدير الرئيسة إلى الخارج عن طريق مصر (قبل احتلال ١٩٦٧م) وعن طريق فلسطين المحتلة أو طريق الضفة الغربية بعد الاحتلال . فقد تم تصدير ٣١٪ منها عن طريق فلسطين المحتلة و٦٤٪ عن طريق الأردن التى يصل عن طريقها إلى بعض الأسواق العربية ، واتجه ٢٪ لصناعة العصير و لم يستهلك محليا سوى ٣٪ فقط . وتمتاز زراعة الحمضيات بأنها غير متقلبة لاعتمادها على الري ، وقد بلغ إنتاج قطاع غزة من الحمضيات في عام ١٩٨٢م حوالي ٢٠٤٧٢٥ طنا ، وشغلت مساحة قدرها ٧١٤٧٢ دونما[١١٥] .

وكما حدث في الضفة الغربية ، فقد تناقص عدد العمال الزراعيين في القطاع من ١٤ ألف عامل عام ١٩٦٧م إلى ١٢ ألف عامل – أي نحو ٢٧٪ من قوة العمل – في عام ١٩٦٩م . ويعزى ذلك إلى تهجير السكان الناتج عن الحرب ومصادرة وحجز الأراضي الزراعية ، وتوجه قسم من الفلاحين للعمل في مصانع سلطات الاحتلال ، وقد يعود هذا التناقص نوعا ما لتحسين طرق ووسائل الإنتاج الزراعي . وقد انخفض عدد هؤلاء العمال إلى ٨,٣ آلاف عامل في عام ١٩٨٢م فانخفضت نسبتهم إلى ١٠٪ من قوة العمل فقط .

وقد سجل الإنتاج الحيواني زيادة بنسبة ١٥٪ في عام ١٩٧٠م عما كان عليه في العام السابق له ، وفتح للأسماك المصادة في قطاع غزة أسواق الضفة الغربية بعد الاحتلال ، مما شجع على زيادة الإنتاج الذي وصل إلى ١١٨٥ طنا بلغت قيمتها ١,٨ مليون دولار أمريكي سنة ١٩٨٢م[١١٦] .

ثانيا – الصناعة :

وكما سهلت سلطة الانتداب لليهود عمليات الهجرة وتملك الأراضي ، فقد سهلت لهم أيضا توظيف رأس المال في مشاريع صناعية ، وهيأت لهم إمكانية الانتفاع من منتوجات الفلاحين العرب من المواد الخام ، ومنحت منتوجاتهم الحماية ويسرت لهم استيراد الآلات ؛ يدل على ذلك ارتفاع نسبة رأس المال الموظف في الصناعة أو المخصص لاستيراد الآلات فيما بين ١٩٢٥ – ١٩٤٤م ، وبصورة خاصة خلال الفترة ١٩٣٣ – ١٩٣٩م ، وهي فترة سريان مفعول الاتفاقية الموقعة بين ألمانيا والحركة الصهيونية (اتفاقية هاعافارا) سنة ١٩٣٣م ، وبموجبها يتمكن المهاجرون أو الذين يودون الهجرة إلى فلسطين من أن ينقلوا رؤوس أموالهم من ألمانيا إلى فلسطين ، بشرط أن يصدر من ألمانيا إلى فلسطين بضائع مساوية فقط في القيمة لرؤوس الأموال المنقولة[١١٧] ، أي أن قيمة أموال المشمولين بالاتفاقية تسلم للحركة الصهيونية في شكل بضائع ألمانية تباع في فلسطين ، ومن ثمنها يدفع للمهاجرين قيمة أموالهم وممتلكاتهم في ألمانيا .

ويلاحظ المتتبع لتطور القضية في تلك الفترة ظهور صناعات يهودية مهمة في وقت مبكر ، يتعذر وجودها لولا تواطؤ الانتداب مع الحركة الصهيونية في تهيئة الظروف لإيجاد صناعة يهودية ؛ ومن أمثلة ذلك تأسيس شركة إنجليزية يهودية لعصر وتكرير الزيت وعمل الصابون ، وشركة يهودية لصناعة الأسمنت سنة ١٩٢٣م ، وشركة البوتاس الفلسطينية ، وشركة روتنبرج للكهرباء ، وشركة حفظ الثمار الحمضية وعصر البرتقال[١١٨] ، وعدة شركات لغزل ونسيج القطن وصبغه وحياكته وعدة شركات لقطع الماس وصقله وغيرها كثير .

وقد عزز قيام الكيان الصهيوني من إمكانات البيروقراطية الحاكمة ، ووفر لها من الموارد

ما أتاح لها وضع خطتها الشاملة للتنمية ، وقد ساعد على ذلك عوامل مهمة منها :

١ - استندت السلطة الجديدة بالإضافة إلى امتيازاتها السابقة إلى أنها أصبحت المالكة لثروات عرب فلسطين الذين طردوا من أراضيهم وهي ثروات هائلة[١١٩] .

٢ - بالإضافة إلى الموارد المحلية ، وفرت السلطة الحاكمة المصادر الخارجية لرؤوس الأموال التي مكنتها من الاستجابة للطلبات المتناقضة . فقد حصلت على مبالغ طائلة من الهبات والقروض التي لم تلق عليها أعباء مستقبلية ، لأن ٧٠٪ من تلك التحويلات غير قابلة للاسترداد ، والباقي بفائدة رمزية ولآجال طويلة ، إلى جانب أن وارداته الأمنية مغطاة بالكامل تقريبا من المساعدات الخارجية .

٣ - عقد الكيان الصهيوني في سنة ١٩٥٢م اتفاقية للتعويضات مع ألمانيا الاتحادية على شكل برنامج تصنيعي شامل لمدة ثلاثة عشر عاما ، تصل قيمتها إلى ٣٤٠٥ مليون مارك بأسعار سنة ١٩٥٣م . وقسمت إلى خمس مجموعات : الأولى تشمل منتجات صناعة الحديد والصلب (١٦,٣٪) ، والثانية تشمل صناعة الهندسة الميكانيكية (٥٥,٣٪) ، والثالثة تشمل المواد الكيماوية والمنسوجات (١٤٪) ، والرابعة تشمل المنتوجات الزراعية (٣,٨٪) ، والخامسة تشمل الخدمات (١٠,٦٪) ، وقد شكلت شحناتها عنصرا أساسيا واضحا في بناء الصناعة في فلسطين المحتلة[١٢٠] .

٤ - قامت الفكرة الصهيونية على تأمين الهجرة اليهودية إلى فلسطين الأمر الذي مكنها من استيعاب نسبة كبيرة من المهاجرين في القطاع الصناعي ، لاسيما أن معظمهم يملكون تراثا صناعيا وفنيا قبل قدومهم ، فضمنت بذلك الأيدي العاملة الفنية المدربة والأكاديميين بالإضافة إلى ما تخرجه جامعاتها ومعاهدها العلمية .

وسارت تجربة الكيان الصهيوني الصناعية ، وقدمت لها كل التسهيلات الممكنة للصناعة عبر حوافز الإنتاج ، والحماية الجمركية ، ومعونات التصدير والتسهيلات الضرائبية على المنشآت والمشتريات . وقد وجهت الصناعة نحو الأنواع كثيفة المهارة لاعتبارات تتعلق بالربحية ، وبوفرة الأكاديميين المعروضين في سوق العمل .

وبالإضافة إلى ذلك شجعت السلطة الحاكمة القطاع الخاص في مجال الصناعات

الخفيفة وقدمت له نفس التسهيلات والحوافز ، واستطاعت التوفيق بين المتطلبات المتناقضة بين القطاعين العام والخاص ، وبين المنتجين والعاملين ، لا سيما أن الحركة الصهيونية معنية بالحفاظ على المستوطنين الجدد ، وتطمع في استجلاب غيرهم ، وذلك بتوفير مستوى معيشة مرتفع لهم يتناسب ومستوى المعيشة في البلدان التي وفدوا منها .

وحرص الكيان الصهيوني على عقد اتفاقيات مناسبة مع بعض الدول كالولايات المتحدة والسوق الأوروبية المشتركة ، تخدم صناعتها سواء في الاستيراد أو التصدير ، أو الاستفادة من الأبحاث والدراسات التي تنجز فيها . وعقدت اتفاقيات لتشجيع المستثمرين الأجانب على توظيف أموالهم في فلسطين المحتلة[١٢١] ، وتمكنت بذلك من زيادة النمو الصناعي بمعدل سنوي قدره ١٥٪ في المتوسط ، وزادت من حجم وثقل الصناعة خصوصا الصناعة التصديرية ، ويمكن أن نجد مؤشرا لذلك عبر التحولات الكمية والنوعية الحادة التي شهدتها الصناعة .

فمن ناحية ارتفع عدد العاملين في الصناعة ارتفاعا هائلًا حتى بلغ نحو ٣٠٠ ألف عامل في عام ١٩٨٣م ، وهو ما يعادل ٢٢,٣٪ من قوة العمل في ذلك العام . ومن ناحية ثانية رتبت صناعة سلطات الاحتلال في ١٨ فرعا يمكن تقسيمها - فيما عدا المحاجر وصقل الماس والمتفرقات - إلى نوعين : صناعات تحويلية استهلاكية كالأغذية والنسيج والجلود والملابس ، وقد هبطت نسبتها من ٥٠ إلى ٤١٪ من الدخل الصناعي بين ١٩٦٦ - ١٩٧٧م ، وصناعات تحويلية إنتاجية كالمطاط والبلاستيك والكيماويات والزيوت والأدوات المعدنية وغير المعدنية ، وقد ارتفعت نسبتها خلال نفس الفترة من ٤١ إلى ٤٤٪ ، كما ارتفع نصيبها في توليد القيمة المضافة من ٤٩٪ إلى ٦٠٪ في سنة ١٩٧٥ - ١٩٧٦م ، أي أن صناعة الكيان الصهيوني تسير في اتجاه التحول نحو الصناعة المتطورة الثقيلة كثيفة المهارة .

كان الطابع العام لتطور صناعة الكيان الصهيوني حتى سنة ١٩٦٥م هو التوسع الصناعي ، وقد مر في ثلاث مراحل : الأولى مرحلة عهد الانتداب البريطاني ، والثانية مرحلة (١٩٤٨ - ١٩٥٢م) حيث استكمل ابتلاع الصناعة العربية القديمة ، والثالثة

(١٩٥٣ - ١٩٦٥م) وهي مرحلة تنفيذ برنامج التعويضات الألمانية في التصنيع . وقد ارتفع عدد المنشآت الصناعية في نهاية هذه المراحل الثلاث إلى ١٥٤٥٨ منشأة من بينها ٧٩١٤ منشأة توظف أقل من ٥ عمال ، بالإضافة إلى ٩٠٧٠ منشأة لا توظف عمالاً .

وقد حدثت تحولات جذرية بعد هذا التاريخ بحيث هبط عدد المنشآت الصغيرة كثيرا وزاد عدد المنشآت التي توظف أكثر من ٣٠٠ عامل من ٧٦ عام ١٩٦٥م إلى ١٥٥ في عام ١٩٧٧م ، وترتب على ذلك إعادة توزيع اليد العاملة الصناعية على المنشآت ، فقد هبط نصيب المنشآت التي توظف أقل من ٥ عمال من ١٠,٦٪ إلى ٤,٦٪ من مجموع العمال الصناعيين ، وارتفع نصيب المنشآت التي تشغل أكثر من ٣٠٠ عامل من ١٩,٣٪ إلى ٣٩,٢٪ من عدد العمال ، وارتفع متوسط عدد العاملين في مجمل المنشآت الصناعية بين التاريخين من ١٢,٦ إلى ٢٣,٥ عاملاً في المنشأة الواحدة . وارتفع بالنسبة للفئة الأخيرة وحدها من ٥٣٧ إلى ٧١٩ عاملاً . ويتبع الدولة من هذه الفئة ٣٥ مؤسسة توظف ٤٠١٠٠ عامل من أصل ٢٨٤٤٠٠ عامل[١٢٢] .

تناسبت عملية تمركز صناعة سلطات الاحتلال ونشر الاستيطان الصناعي بما يخدم سياسة الاستيطان الزراعي والسكاني عبر توزيع الصناعات على المناطق المختلفة ، فتخصصت منطقة الساحل والوسط في الصناعات الثقيلة التي تستفيد بتمركزها من وفورات الحجم الكبير ، وتركت باقي الصناعات في الأطراف . فقد تبين أن تل أبيب والمنطقة الوسطى تحويان ٦٠٪ من الصناعات ، وتحوي حيفا ٢٣٪ ، كما تحوي كل من المنطقة الشمالية والمنطقة الجنوبية نحو ٦٪ من هذه الصناعات[١٢٣] .

فالمنطقة الوسطى هي أكثر المواقع جاذبية لمعظم أنواع الصناعات ، حيث تتوفر فيها الأسواق والقوى العاملة والعمال المهرة ورأس المال ، ففيها أكثر من نصف سكان الكيان الصهيوني وأكثر من نصف النشاطات المصرفية وتجارة الجملة والمفرق وهي أكثر المناطق توسطا للبلاد . ويتركز في المنطقة الوسطى نحو ٨٠٪ من صناعة الماس والطباعة والنشر ، وما بين (٧٥ - ٨٠٪) من صناعة الجلود والأدوات الكهربائية وغير الكهربائية ، ومعظم صناعة الأغذية والمنسوجات .

وتركزت في حيفا الصناعات الثقيلة كالصناعة البترولية ، والكيماوية والصناعات المعدنية ، وغير المعدنية ، وكان لوجود مصفاة البترول والميناء دور في جذب هذه الصناعات . ثم صناعة الأسمنت والزجاج والمطاط والبلاستيك والورق وصناعة الأغذية والصناعة الخشبية والمنسوجات ومعدات النقل .

وتم التركيز في المنطقتين الشمالية والجنوبية والقدس على بعض الصناعات بفضل المعونات الحكومية التي تهدف إلى التغلب على صعوبات التصنيع فيها ، كالقروض بدون ضمانات والمساعدة في التخطيط والتدريب المهني وخفض أسعار الأراضي وجلب وتوطين العمال المهرة .

وقد نتج عن عملية تمركز صناعة سلطات الاحتلال آثار يمكن اعتبارها أسبابا ونتائج لتنمية الصناعة وتحولها أكثر فأكثر نحو التمركز ، مثل تزايد استهلاك الكهرباء والاهتمام بالبحث العلمي والتوسع في استخدام العقول الإلكترونية ، حيث ارتفع عدد العقول الإلكترونية مثلًا من ٥٦ جهازا تخدم ٣٥ مؤسسة إلى ٦١٠ أجهزة تخدم ٤٠٧ مؤسسات ، منها مؤسسة صناعية تستخدم ١٢٥ جهازا في سنة ١٩٧٧م[١٢٤] .

ولقد وصل الكيان الصهيوني من حيث وضع العمالة إلى مستوى وسط بين الدول الصناعية المتقدمة والدول النامية ، إذ كانت نسبة العاملين فيه تمثل ٣٣٪ من إجمالي السكان سنة ١٩٧٧م ، وكانت نسبة العاملين في الصناعة ٢٤,٥٪ من قوة العمل فيها[١٢٥] . وهنا لا نقلل من أهمية ابتلاع المؤسسة العسكرية لنسبة كبيرة من اليد العاملة .

وثمة سياسة واضحة لرفع الكفاءة الإنتاجية للعاملين عبر التوسع في توظيف رؤوس الأموال في الصناعة ، وهذا ينعكس في تطور استهلاك العامل الصناعي الواحد من الكهرباء ، وفي إعادة توزيع العاملين بين الصناعات المختلفة ، وفي زيادة نصيب الصناعات كثيفة المهارة ذات الإنتاجية العالية . وقد ارتبط تفاوت الإنتاجية مع تفاوت في معدل الأجور بسبب توجيه مزيد من اليد العاملة نحو الصناعات الأكثر إنتاجية حيث تكون الأجور أعلى .

إن توجه قوة العمل نحو مستويات مهنية أعلى أدى إلى هبوط نسبة العمال غير المهرة من بين مجمل المستخدمين ، وترافق هذا مع تزايد دور العمل العربي في الزراعة أولًا ، وفي صناعات محدودة ، وفي مستويات مهنية متدنية . فمن أصل ١,٢٥٩,٢٠٠ شخص كانوا يعملون في اقتصاد الكيان الصهيوني سنة ١٩٧٧م ، كان هناك ١١٥,٠٠٠ عربي من المناطق المحتلة سنة ١٩٤٨م ، أي بنسبة ١٠٪ ، وحوالي ٦٢٩٠٠ عامل من المناطق المحتلة ١٩٦٧م وكان ٤٥٪ منهم يعملون في البناء و ٢١٪ في الصناعة . بالإضافة إلى العمال الموسميين والعمال الذين يقومون بأعمال تتعلق بصناعة سلطات الاحتلال وهم في أماكنهم أو يعملون في مستوطنات الأراضي المحتلة والقدس الشرقية .

لقد وفر العمل العربي للكيان الصهيوني العدد الذي يحتاجه لملء الفراغات الناشئة عن إعادة توزيع اليد العاملة اليهودية ، وسحبها من مواقع إنتاجية معينة وتوجيهها نحو مواقع أخرى ، وهذا يشبه نظام أوروبا في استخدام اليد العاملة الأجنبية في اقتصادها منذ مطلع هذا القرن . غير أنه بالنسبة للعرب ، فإنهم كانوا يعانون من قهر مُركب حيث اقتلعوا من أراضيهم وأعيد استغلالهم في اقتصاد الذين اقتلعوهم منها .

وفي نهاية الحديث عن صناعة سلطات الاحتلال لابد من الإشارة إلى أن الكيان الصهيوني أعطى اهتماما كبيرا لصناعة الأسلحة لأكثر من اعتبار . وتشير كل الدلائل إلى أن جميع الصناعات الحربية – عدا صناعة الطيران – تحقق له أرباحا ، وتوفر له نسبة عالية من احتياجاته مما كان يستورده . ويحاول الكيان الصهيوني أن يحول صناعة الطيران إلى صناعة تصديرية بتحويلها نحو الإنتاج الكبير لتحقيق الربح . وقد تمكن من تعديل الأسلحة المشتراة لتصبح أكثر تناسبا مع احتياجاته ، وتجديد بعض الأسلحة القديمة ، كما تمكن من تجميع خبرة فنية تشكل قاعدة ضرورية لأي تطور في المستقبل . وبالطبع ستستفيد الصناعة المدنية من ثمار أي تقدم تحققه الصناعة الحربية خاصة في مجال الإلكترونيات . هذا فضلًا عن إمكانية استخدام آلات الصناعة الحربية في إنتاج صناعات مدنية جديدة ؛ كالصناعات المعدنية وصناعة المحركات ونحوها .

أما في الضفة الغربية وقطاع غزة فتتركز الصناعة على الصناعات الاستهلاكية المعتمدة

على الزراعة المحلية المتاحة . ولذلك نجد أن إنتاجها يرتبط إلى حد ما بتقلبات الإنتاج الزراعي ، وأنها تتوطن في المدن في محيط من المناطق الزراعية مثل صناعة السجاير والمشروبات والمياه الغازية والصابون وتعليب الطماطم والمربات والزيوت النباتية ، كزيت الزيتون والسمسم ودوار الشمس وبذرة القطن ، وصناعة المأكولات كطحن الغلال والحلويات والشوكولاتة ، ويضاف إلى ذلك بعض الصناعات الأخرى كالصناعات المعدنية والخشبية والبلاستيكية والكبريت والأسمنت والآجر ومناشر الحجارة والصناعات الجلدية والكيماوية والغزل والنسيج وصناعة الأحذية .

وتتسم الصناعة في الضفة والقطاع باستخدام المعدات الصناعية البسيطة . وقد تطور معظمها من مهن يدوية إلى صناعة آلية ، كما تتسم بصغر وحدات الإنتاج ؛ إذ تغلب الوحدات التي توظف ثلاثة عمال أو أقل ، مما يرفع نسبة العمل إلى رأس المال ؛ فقد بلغ متوسط عدد العمال في المنشأة الصناعية الواحدة في عام ١٩٨٤م : ٤,١ ، ٣,٩ عمال في الضفة الغربية وقطاع غزة على التوالي[١٢٦] .

وقد حاولت سلطات الاحتلال ربط اقتصاد الضفة والقطاع باقتصاد الكيان الصهيوني وتحويله إلى تابع يخدم الأول فتجمد تطوره ، فرغم أن الإحصائيات تشير إلى ارتفاع الناتج المحلي الصناعي من ٧٨ مليون إلى ١٣٠ مليون ليرة إسرائيلية في الضفة ومن ١١ مليون إلى ١٣ مليون ليرة في القطاع بين عامي ١٩٦٨م ، ١٩٧١م ؛ فإن القيمة المضافة للمنتجات الصناعية ارتفعت فيما بين التاريخين ارتفاعا محدودا . ويدل على هذا التجمد أن عدد المنشآت الصناعية تغير بين عامي ١٩٧٨م و ١٩٨٤م من ٢٣٣٢ ، و ١٣٧٠ منشأة إلى ٢٣٨٤ ، و ١٦٤٥ منشأة في الضفة والقطاع على التوالي ، وقد تغير عدد العمال الصناعيين من ٩١٨٥ ، و ٥١٥١ عاملًا إلى ٩٧١٠ ، و ٦٣٨٤ عاملًا في الضفة والقطاع على التوالي (جدول ٨) .

وقد حاول اليهود إحداث تعديل في التركيب الصناعي في الأراضي المحتلة بما يتفق مع تركيب اقتصادهم ، فأعلنوا في سنة ١٩٦٩م عن تقديم معونات تشجيعية لاستثمار رأس المال الخاص وفقا للقوانين السارية في الكيان الصهيوني ، وتمخض ذلك عن إبرام

عقود عمل مع بعض المعامل كمعامل الأثاث والخياطة والبلاط والبلاستيك والمواد المعدنية لتقديم السلع النافعة لاقتصاد الكيان الصهيوني ، حتى صار ١٠٪ من عمال الضفة يعملون على تلبية طلبات الاحتلال الصهيوني . وبلغت قيمة العقود من أجلها سنة ١٩٧٠م ٤٠ مليون ليرة ، ولقد نشأت صناعات جديدة باستيراد الآلات من الكيان الصهيوني أو عن طريقه ، إلا أن عدم توفر الإمكانات والمهارات الإدارية والتنظيمية بالقياس إلى ما في الكيان أعاق التقدم الحقيقي .

جدول (٨) : مؤشرات حجم الصناعة في الضفة الغربية وقطاع غزة في عام ١٩٨٤م

	الضفة الغربية			قطاع غزة		
المجموعات الرئيسة	**عدد المنشآت**	**عدد العمال**	**المبيعات الصناعية (بآلاف الدولارات)**	**عدد المنشآت**	**عدد العمال**	**المبيعات الصناعية**
المواد الغذائية والمشروبات	٢٣٣	١٣٩٠	٨٧٦٤	١١٠	٤٣١	٦٥٠
النسيج والملابس	٤٦٨	٢٢٤٩	١٠٤٣	٥٤٨	٢٥٧٢	١٠٢٩
الخشب ومنتجاته	٥١١	١١٩٧	٦٢٢	٣٤٣	١٠٨١	٨٨٦
المعادن ومنتجاتها	٥٣٤	١٥١٢	٩٥١	٣٣٢	١١٣٦	١٧٨٥
الجلود ومنتجاتها	٢١٦	٨١٨	٣٦٢			
المطاط والبلاستيك والكيماوية	٦٩	٩٨٨	٢٨٨٩			
خامات غير معدنية	١٧٣	٨٩١	٧٤٩			
منتجات صناعية أخرى	١٨٠	٦٦٥	١٠٠٥	٣١٢	١١٧٤	٥٨١
المجموع	٢٣٨٤	٩٧١٠	١٦٣٨٥	١٦٤٥	٦٣٩٤	٤٩٣١

المصدر : المكتب المركزي للإحصاء ، منظمة التحرير الفلسطينية ، النشرة الإحصائية الصناعية للضفة الغربية وقطاع غزة (١٩٨٦م) ، الصفحات : ٣٥ ، ٤٧ ، ٤٨ . والجدول من عمل الباحث .

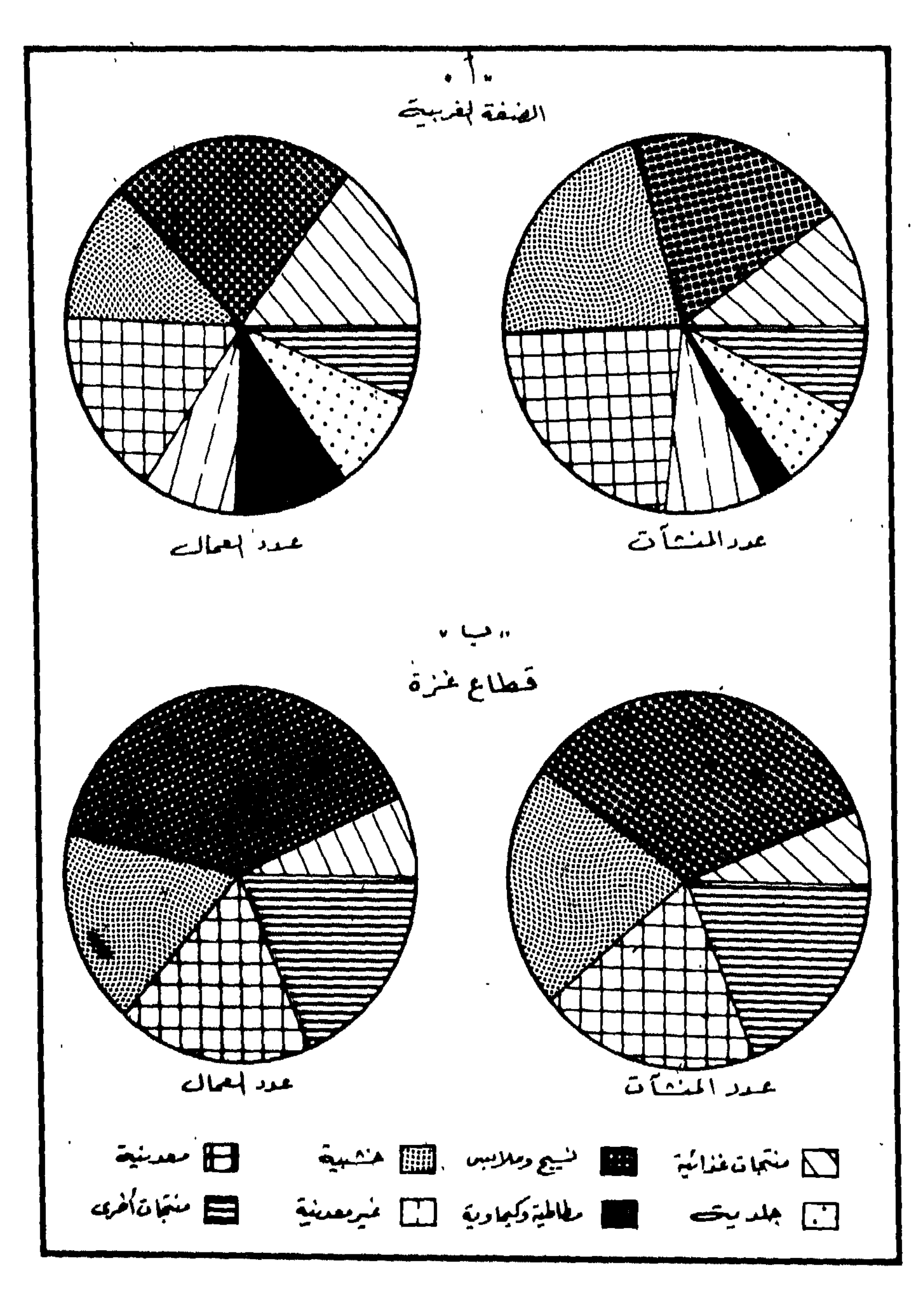
لقد استوعبت الصناعة ٨٪ من مجموع عمال الضفة سنة ١٩٦٧م ، أي ١٥ ألف عامل ، ثم انخفض هذا العدد إلى ١١,٠٠٠ عامل سنة ١٩٦٨م ، لكنه أخذ يرتفع تدريجيا مع إقامة أو تجديد المصانع ، فوصل ١٣٠٠٠ عامل سنة ١٩٦٩م ، وبلغ في نفس الوقت ٧,٠٠٠ عامل في القطاع إلا أنه انخفض في عام ١٩٨٤م إلى ٩٧١٠ ، و ٦٣٨٤ عاملًا[١٢٧] في المنطقتين على التوالي (شكل ١١) .

غير أن عمال الصناعة زاد عددهم في ظل الاحتلال بسبب التوجه للعمل في الكيان الصهيوني حتى ارتفع عدد عمال الصناعة والتعدين في الضفة في سنة ١٩٨٤م إلى ٣٣,٦٠٠ عامل منهم ٩,٧٠٠ عامل يعملون في الكيان الصهيوني ، وبلغ عددهم في القطاع ١٥,٣٠٠ عامل منهم ٧,٣٠٠ عامل يعملون في الكيان الصهيوني[١٢٨] .

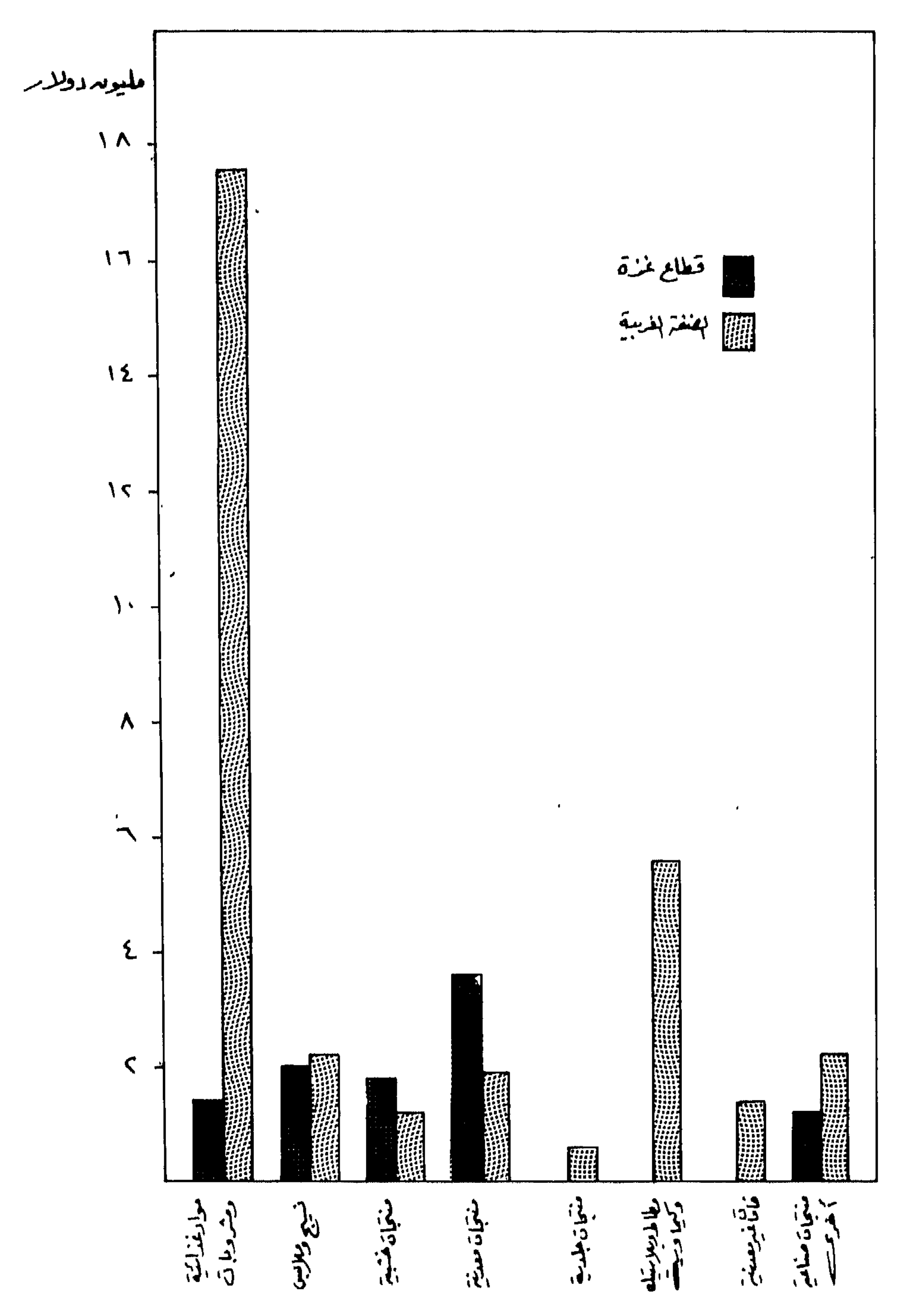
إن ارتفاع أجور العمال في فلسطين المحتلة بالقياس إليها في الضفة والقطاع وظروف البطالة والركود التي أعقبت الاحتلال ، أدت إلى اتجاه عدد من العاملين للعمل فيها ، مما أدى إلى انخفاض عددهم في الضفة والقطاع وإلى انخفاض الناتج الصناعي . ومع ذلك يبدو أن عدد العاملين في القطاع لم ينقص بسبب توجه استثمارات الكيان الصهيوني الكبيرة التي نشأت في المستعمرات الجديدة إلى تشغيل الأيدي العاملة العربية التي تعمل في النسيج والأثاث .

وقد توجه معظم الناتج الصناعي للاستهلاك المحلي بحيث لم تزد نسبة الصادرات الصناعية عن ١٪ من الناتج الصناعي ، وأهم أصنافها : السمن والدخان والزيت والصابون ، وتصدر إلى الضفة الشرقية أولًا لأنها كانت تستهلك هناك ، وقد يصل بعضها إلى الأسواق العربية . (شكل ١٢) .

ومع أن الأساس الصناعي متشابه في فلسطين ، فجميع القطاعات تعاني من نقص المواد الخام وضيق السوق المحلي والاعتماد على التحويلات الخارجية ، إلا أن توافر المهارات الإدارية والتنظيمية وتوجيه الاقتصاد في الكيان الصهيوني أتاح إمكانية تنمية صناعية ، في فلسطين المحتلة ، ذات مزايا مقارنة بعكس ما حدث في الضفة والقطاع . ويعتمد توقع معدلات نمو الإنتاج وزيادة الإنتاجية الصناعية في الضفة والقطاع على الصمود أمام



شكل - ١١ - مؤشرات حجم الصناعة في الضفة والقطاع عام ١٩٨٤م.



شكل -١٣٠- المبيعات الصناعية في الضفة الغربية وقطاع غزة في عام ١٩٨٤م

سياسة الاحتلال الصهيوني السلبية ، وتوجيه اقتصادهما تجاه السلع الاستهلاكية الخفيفة بحيث لا ينتظر إحراز أي تقدم ملحوظ ضمن الظروف السائدة ، ولا يرجى من قطاع الصناعة أن يستوعب المزيد من القوة العاملة ، الأمر الذي سيؤدي إلى مزيد من التهجير .

ثالثا : التجارة الخارجية :

أقيم الكيان الصهيوني في فلسطين ليكون قاعدة استعمارية متقدمة في المشرق العربي ، ويحافظ على خضوع وتبعية اقتصاده للعالم الغربي ، لكنه فوجئ بعدم اعتراف المجتمعات العربية المحيطة به ، وبمقاطعته مقاطعة تامة . فقنع بالانفتاح على مناطق العالم خارج هذا الطوق كخطوة أولى إلى أن تتاح الفرصة لإخضاع مزيد من الجماهير العربية والتعامل معها من مصدر قوة من أجل السيطرة على اقتصادها . ولذلك نجد أنه في الوقت الذي يقوم فيه الكيان الصهيوني بعدوان على العرب يرفع شعار السلام وتطبيع العلاقات التجارية والمدنية معهم .

فمنذ البداية وفي مراحل تأسيس الكيان الصهيوني ووضع الأسس الراسخة لمختلف فروع الاقتصاد ، اهتم هذا الكيان اهتماما كبيرا بالعلاقات التجارية مع كافة الدول التي يتعامل معها ، وذلك لاهتمامه بالتجارة الخارجية وبتعديل ميزان المدفوعات ، حتى إن المؤتمر الاقتصادي الثالث لكبار أثرياء يهود العالم ورجال الأعمال اليهود عقد في أوائل السبعينات في مدينة القدس تحت شعار « التصدير أو الموت » .

ولذلك شهدت التجارة الخارجية في فلسطين المحتلة تطورات مهمة كانت انعكاسا للتطورات التي شهدها اقتصاد الكيان الصهيوني بمجموعه ، وخاصة التغيرات البنيوية التي لحقت بصناعته . وكان لها أعمق الأثر على وضع التجارة عامة والتجارة الخارجية خاصة ، ولقد بينت إحصائيات عام ١٩٨٣م وجود نحو ١٧٠ ألف فرد يعملون في التجارة[١٢٩] .

وسوف نستند في دراستنا لوضع الميزان التجاري في فلسطين المحتلة على معيار نسبة الصادرات إلى الواردات ، ونرى المنحنى العام الذي تحركت به هذه النسبة لنعرف هل هي تتجه نحو التدهور أم نحو التوازن . ولندقق في أرقام الجدول رقم (٩) .

جدول (٩) واردات وصادرات الكيان الصهيوني إلى جميع أنحاء العالم بما في ذلك الضفة الغربية :

السنة	الواردات (مليون دولار)	الصادرات (مليون دولار)	مقدار العجز (مليون دولار)	نسبة الصادرات إلى الواردات ٪
١٩٥٠	٣٠٠	٣٥	٢٦٥	٪١١,٧
١٩٥٥	٣٣٤	٨٩	٢٤٥	٪٢٦,٦
١٩٦٠	٤٩٥	٢١١	٢٨٤	٪٤٢,٦
١٩٦٦	٨١٧	٤٧٦	٣٤٠	٪٥٨,٤
١٩٦٧	٧٥٨	٥٣١	٢٢٧	٪٧٠,١
١٩٦٨	١١٠٧	٦٥٢	٤٥٤	٪٥٩,٠
١٩٦٩	١٣١٨	٧٥٦	٥٦١	٪٥٧,٤
١٩٧٠	١٤٥١	٨٠٧	٦٤٤	٪٥٥,٦
١٩٧١	١٨٤١	١٠١٧	٨٢٤	٪٥٣,٧
١٩٧٢	٢٠٠٢	١٢٣٦	٧٦٥	٪٦١,٨
١٩٧٣	٣٠٣٥	١٥٨٦	١٤٤٢	٪٥٢,٢
١٩٧٤	٤٢٨٣	٢٠٣٩	٢٢٤٤	٪٤٧,٦
١٩٧٥	٤٢٣٠	٢٢٠٢	٢٠٢٨	٪٥٢,١
١٩٧٦	٤٢٢٠	٢٦٩٨	١٥٢٢	٪٦٣,٩
١٩٧٧	٤٩١٥	٣٤١٦	١٤٩٨	٪٦٩,٥
١٩٧٨	٥٦٥٨	٣٧١٦	١٩٤٢	٪٦٥,٧
١٩٧٩	٧٣٣٣	٤٢٩٥	٣٠٣٨	٪٥٨,٦
١٩٨٠	٧٩١٠	٥٢٦٥	٢٦٤٥	٪٦٦,٦
١٩٨١	٧٨٤٧	٥٣٢٨	٢٥١٩	٪٦٧,٩
١٩٨٢	٧٩٦٠	٥٠١٦	٢٩٤٤	٪٦٣,٠
١٩٨٣	٨٣٧٠	٤٩٩١	٣٣٧٩	٪٥٩,٦

المصادر : ١ - حسين أبو النمل ، المرجع السابق ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

٢ - The Europa Year Book, 1980, 1982, 1985.

يؤخذ من أرقام هذا الجدول أن الكيان الصهيوني يعاني من عجز دائم في ميزانه التجاري، ولكن مع تحسن مطرد حيث ارتفعت نسبة الصادرات إلى الواردات بشكل شبه منتظم من ١١,٧٪ سنة ١٩٥٠م إلى ٧٠,١٪ سنة ١٩٦٧ ، وهو عام الحرب أو عام ابتلاع باقي أراضي فلسطين . ويلاحظ أن الفترة (١٩٦٧ - ١٩٧٧م) تنقسم إلى مرحلتين من الصعود والهبوط حيث حققت تصاعدا مستمرا في الفترة (١٩٦٦ - ١٩٧٢م) ، ولكن سرعان ما عادت لتهبط في عامي ١٩٧٣ ، ١٩٧٤م حتى وصلت ٤٧,٦٪ . ثم عادت للتحسن المطّرد وتراوحت بين ٥٩ - ٦٩٪ في السنوات التالية حتى سنة ١٩٨٣ م .

وقد أدى هذا التحسن في الميزان التجاري إلى هبوط العجز فيه من ٢٢٤٤ مليون دولار سنة ١٩٧٤م إلى ١٤٩٨ مليون سنة ١٩٧٧م . وهذا يشبه العجز الذي كان في سنة ١٩٧٣م. ثم ارتفع إلى نحو ٣,٣ آلاف مليون في عام ١٩٨٣م ، رغم الارتفاع الكبير في الأسعار والتضخم الهائل الذي شهده العالم الرأسمالي ككل . وبذلك تكون سلطات الاحتلال قد تجاوزت آثار حرب أكتوبر / تشرين على وضع ميزانها التجاري ، كما تجاوزت آثار ارتفاع أسعار النفط الذي بلغت نسبته ١٥٪ من جملة الواردات في سنة ١٩٧٧م ، الذي زادت قيمته في هذا العام إلى ثلاثة أمثال ما كان عليه في سنة ١٩٧٣م[١٣٠] . ومن المعلوم أنها تُعدل ميزانها التجاري بالأموال التي تتدفق عليها باستمرار .

ليس هذا فحسب ، بل هناك اتجاه أكثر أهمية ، وهو أن الكيان الصهيوني زاد نصيب الصادرات الصناعية من مجمل الصادرات ، إذ بلغت الصادرات الصناعية ٧٥,٥٪ من جملة الصادرات في سنة ١٩٦٧م ، وارتفعت إلى ٨٥,٩٪ سنة ١٩٧٧م . وزاد نصيب الصناعات المتطورة والثقيلة من ٣٦٪ من مجمل الصادرات الصناعية سنة ٦٧ إلى ٦١٪ سنة ١٩٧٧م .

وقد كان لتطور نصيب الصادرات الصناعية وخاصة الصناعات المتطورة والثقيلة أثر على تراجع نسبة صادراته من المواد الزراعية ، التي كانت تتصدر قائمة الصادرات

في الخمسينات . فبالرغم من تزايد قيمة الصادرات من الحمضيات على سبيل المثال الأكثر من مثلي ما كانت عليه فيما بين عامي ١٩٦٧ ، ١٩٧٧م ، فإن نصيبها من تجارة الصادر تناقصت من ٣٧٪ إلى ١٢٪ .

أما الألماس فبالرغم من ضخامة الصادر منه والذي تزايدت قيمته بنحو سبعة أمثال ما كانت عليه ، وتناقصت نسبة الصادر منه من ٤٦٪ في سنة ١٩٦٧م إلى ٤١٪ سنة ١٩٧٧م ؛ فإن نصيبه من الواردات ضخم أيضا ، بحيث إن المردود الفعلي للصادرات من هذه السلعة بلغ ٦٥,٢ مليون دولار في السنة الأخيرة منهما .

توزع صادرات وواردات الكيان الصهيوني على مناطق مختلفة من العالم ، ومع ذلك فإن نصيب الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية يتصدر القائمة ، حيث بلغت صادراته إليها ٥٣,٤٪ من مجمل الصادرات سنة ١٩٧٧م ، ٥٠,٩٪ من الصادرات الصناعية ، و ٤١,٤٪ من الصادرات الصناعية عدا الألماس . بل إن الصادرات إلى أربع دول منها هي : المملكة المتحدة والولايات المتحدة وألمانيا وسويسرا بلغت في سنة ١٩٦٨م (٥٠٪) من صادراته علما بأن الكيان الصهيوني يصدر عددا محدودا من المواد ، إذ أن قيمة صادراته من الألماس والحمضيات وحدهما بلغت في سنة ١٩٧٧م (٥٣٪) من جملة الصادرات .

كما بلغ نصيب الولايات المتحدة ودول أوروبا ٧٠,٧٪ من مجمل واردات الكيان الصهيوني ١٩٧٧م ، وكان نصيب الدول الأربع الأولى المذكورة ٦٠٪ من مجمل وارداته وكان نصيب الدول العشر الأولى ٨٠٪ من مجمل الواردات[١٣١] . وقد بدأت الولايات المتحدة تتصدر قائمة التعامل مع الكيان الصهيوني في الاستيراد والتصدير بعد سنة ١٩٦٧م ، وتلتها المملكة المتحدة ، ثم هونج كونج .

أما المناطق المحتلة في سنة ١٩٦٧م ، فقد بلغ نصيبها في عام ١٩٧٧م (١٢,٨٪) من مجمل الصادرات للكيان الصهيوني ، و ١٩,١٪ من الصادرات الصناعية عدا الألماس وبذلك تكون هذه المناطق المحتلة أكبر مستورد منفرد منه ، في حين لم يزد نصيبها من

الواردات عن ٣٪ من جملة وارداته ، وهنا يكمن لب المشكلة الفلسطينية ، وهو الاستعمار .

هذا وقد شهدت تجارة المنطقة فائضا في ميزانها التجاري في تعاملها مع إفريقيا وآسيا ، وشهدت عكس ذلك في تعاملها مع المراكز الصناعية المتقدمة ، وهذا يعني أن الربحية في تجارة الكيان الصهيوني الخارجية هي في تجارته مع المناطق المتخلفة (النامية) وأكثر من ذلك مع الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧م ؛ الأمر الذي يحكم توجهات الكيان الصهيوني المستقبلية أو تطلعه إلى توسيع تجارته مع مزيد من الأراضي العربية ، وهذا يفسر إصرار الكيان الصهيوني على تطبيع العلاقات مع الدول العربية .

ومن الجدير بالملاحظة بالنسبة للواردات أن نصيب السلع الاستهلاكية وإلى حد ما السلع الاستثمارية في واردات الكيان الصهيوني اتجه إلى الهبوط حتى بلغ في سنة ١٩٧٧م (٧,١٪) ، وبالمقابل اتجه نصيب المواد الخام إلى الزيادة . وتأتي غالبية المواد الخام من أوروبا الغربية ، والولايات المتحدة ، وقد بلغت نسبة ما جاء من هذه المناطق ٧١,٥٪ في ذلك العام . وهذا يعبر عن التوسع في التنمية ، وزيادة القدرات التصنيعية .

وإذا كان من الطبيعي أن يستورد الكيان الصهيوني معظم السلع الاستثمارية من الدول الصناعية المتقدمة (٩٤,٥٪) من مجمل وارداته من السلع الاستثمارية كانت من دول السوق المشتركة ومنطقة التجارة الحرة واليابان والولايات المتحدة وكندا ، فإنه من الغريب أن تتحول نفس هذه المناطق إلى مُصدِّر للمواد الخام له والتي يتزايد الاستيراد منها باطراد ، إذ كانت المواد الخام مسؤولة عن ٩٤٪ من الزيادة الحاصلة في مجمل الواردات بين عامي ١٩٧٦ / ١٩٧٧م .

وتنقسم المواد الخام المستوردة إلى ماس غير مصقول ومواد خام عادية لأغراض صناعية ، وقد تكون نصف مصنعة ، وقد استورد الكيان الصهيوني جميع الألماس غير المصقول من الدول الصناعية المتقدمة سالفة الذكر ، كما استورد ٦٢,٧٪ من المواد الخام العادية منها ، وهذا يعني أن هذه المناطق تلعب دور الطرف الثالث في تزويده بالمواد الخام وبالسلع نصف المصنعة ، وتلعب نفس الدور في تصريف منتجاته الصناعية

فتتلافى آثار المقاطعة العربية .

أما تطور نصيب الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م من تجارة الصادرات والواردات ، للكيان الصهيوني ، فهي إن دلت على شيء فإنما تدل على إحكام قبضته على حياة العرب الخاضعين للاحتلال . ويتضح ذلك من تحليل أرقام الميزان التجاري المتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة في ظل الاحتلال والتي تشير إلى أن تجارة الصادر زادت فيما بين عامي ١٩٧٦م / ١٩٨٤م بنسبة ٦١٪ ، و ١٠٪ في الضفة والقطاع على التوالي ، وزادت تجارة الوارد بنسبة ٨٣٪ ، و ٥٩٪ فيهما على التوالي فيما بين التاريخين . ولكن الواردات كانت تزيد عن الصادرات بأكثر من الضعف في جميع الحالات ، فقد بلغ العجز في الميزان التجاري بينهما مقدار ٢٣٢,٩ و ١٧٨,٣ مليون دولار في الضفة والقطاع على التوالي في عام ١٩٨٤م . ويوضح الجدول رقم (١٠) الميزان التجاري فيهما خلال عام ١٩٨٤م .

جدول (١٠) صادرات وواردات الضفة والقطاع في عام ١٩٨٤م (مليون دولار)

البيان	الضفة الغربية				
	المجموع	سلع صناعية	إلى فلسطين المحتلة ومنها	إلى الأردن ومنها	إلى مناطق أخرى ومنها
الصادرات	١٩٥,١	١٥١,٥	١٠١	٩٣,١	١,١
الواردات	٤٢٨,٠	٣٥٩,٨	٣٨١,٥	٩,٩	٣٦,٦
			وقطاع غزة		
الصادرات	١١٠,٦	٨٦,٦	٩٥,٦	٩,٤	٥,٦
الواردات	٢٨٨,٩	٢٤٦,٧	٢٦٥,٢	—	٢٣,٧

المصدر : المكتب المركزي للإحصاء (م . ت .ف) النشرة الإحصائية الصناعية للضفة الغربية وقطاع غزة (١٩٨٦م) ، ص – ص ٧١ – ٧٤ . والجدول من عمل الباحث .

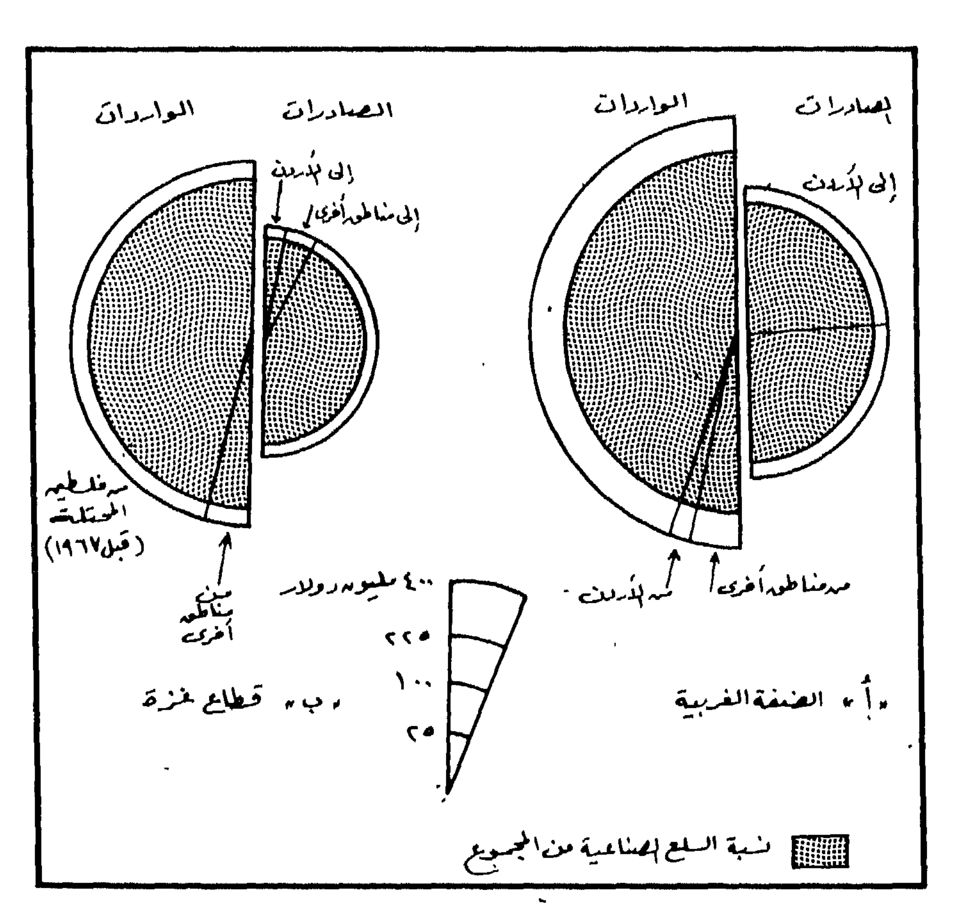
ونستدل من هذه الأرقام على أن سلطات الاحتلال سلخت سكان الأراضي المحتلة اقتصاديا من الأردن ، بحيث جعلت من نفسها المصدر لـ ٨٩٪، و٩١,٨٪ من تجارة الوارد للضفة الغربية وقطاع غزة على التوالي . وأجبرتهما على استيراد الباقي عن طريقها بحيث لم تستورد الضفة سوى ٢٪ من وارداتها من الأردن ولم يستورد القطاع منه شيئا (شكل ١٣) .

وبالمقابل فإن ٥١,٧٪ ، و ٨٥,٤٪ من تجارة الصادر في المنطقتين على التوالي تذهب إلى فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) ، وهي في الغالب بضائع نصف مصنعة أو خامات تخدم الصناعة اليهودية في حين أن ٤٧,٧٪ ، و ٨,٥٪ من صادرات المنطقتين على التوالي وصلت الأردن في ذلك العام (١٩٨٤م) . وهي في الغالب من المنتوجات الزراعية كالحمضيات والخضراوات والفواكه والزيتون وبعض المنتوجات المصنوعة في الضفة الغربية .

رابعاً – السياحة :

حظيت أماكن كثيرة في فلسطين خاصة القدس بمكانة فريدة في العالم لأهميتها الدينية التي جعلت منها بلدا مقدسا تشد إليه الرحال ، وتهفو إليه قلوب الملايين في العالم ، ففيه المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ومسرى الرسول الكريم وفيه مربط البراق . وفي الخليل المسجد الإبراهيمي وجميعها هدف لملايين المسلمين . وفي القدس أيضا كنيسة القيامة وفي بيت لحم كنيسة المهد بالإضافة إلى مواقع مقدسة في الناصرة وفي طبريا وفي وادي الأردن ، يزورها النصارى .

وفلسطين من أقدم الأماكن التي تواجدت فيها الحضارات القديمة واستمرت عمارتها عبر عصور التاريخ ، فحوت مواضع أثرية عديدة تعود إلى آلاف السنين مثل عين الفشخة ، وقصر هشام ، وقمران ، وتليلات الغسول ، وتل الفارعة ، وسبسطية ، وحرم الرامة ، وآثار القدس ، وأسوار المدن وغيرها . هذا بالإضافة إلى ما تتمتع به المناطق الجبلية من طقس معتدل جميل في فصل الصيف ، وما تتمتع به مناطق السهول من صفاء ودفء ، وما تتمتع به مناطق الغور والبحر الميت من طقس دافئ في فصل الشتاء .



شكل - ١٣- حجم ونسب صادرات وواردات الضفة الغربية وقطاع غزة في عام ١٩٨٤م .

وحينما نشأ الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨م وسيطر على جزء كبير من فلسطين بما يحويه من أماكن أثرية أو دينية ، حاول الاستفادة من وجود هذه الأماكن في تشجيع السياحة لأسباب سياسية ودعائية ، وكذلك اقتصادية كرد فعل للمقاطعة العربية . وكان أكثر القادمين لفلسطين المحتلة من رعايا الولايات المتحدة ودول غربي أوربـا .

أما بالنسبة للضفة الغربية فقد حاولت الحكومة الأردنية تطوير السياحة فيها أيضا ، وقد نظرت إلى السياحة على أنها نوع من التجارة غير المنظورة التي عن طريقها يمكن تعديل الميزان التجاري ، وخاصة بعد أن استولى اليهود على أحسن الأراضي إنتاجا وعلى الممتلكات والثروات . والأردن قليل الموارد ويعاني من العجز في ميزان المدفوعات باستمرار . لذا تم استثمار وجود هذه الأماكن الأثرية والدينية لاسيما أن معظمها لم يخضع للاحتلال ، فاجتذبت العديد من رعايا الأقطار العربية لقضاء إجازات الصيف والشتاء ، فنشطت الأعمال والتجارة وكثرت الفنادق السياحية ، وأنشئت الاستراحات السياحية للزوار .

ويدل على هذا الاهتمام أن من بين ٢١٠ متاجر سياحية رخصت من قبل سلطة السياحة الأردنية في عام ١٩٦٦م وحده ، كان هناك ١٩٠ متجرا في الضفة الغربية ، تعرض مصنوعات فنية ودقيقة من الصدف أو خشب الزيتون أو الزجاج أو الخزف العادي والمزجج والمطرزات والملابس التقليدية والفراء والتحف النحاسية والمعدنية . وقد بلغ عدد الفنادق السياحية في الضفة الغربية في ذلك العام ٦٧ فندقا تحوي ٢٤٨٦ غرفة فيها ٤٩٠٩ أسرة يتركز معظمها في القدس . وقد بدأت دائرة السياحة أيضا ببناء استراحات في أماكن السياحة : في القدس وبيت لحم والخليل منذ عام ١٩٦٢م ، وأعدت مشاريع تنموية سياحية في الضفة تضمنت إنشاء مراكز للصناعات اليدوية ومراكز استقبال واصطياف وخدمات ، كما تضمنت مشاريع تطوير وتجميع بعض المواقع السياحية ، ونظمت شركات نقل سياحية[١٣٢] .

ولم تتوقف هذه المشاريع بسبب الاحتلال في عام ١٩٦٧م فحسب ، بل توقف معها ورود السياح نهائيا عن طريق الأردن ، وسيطر عليها اليهود وصاروا يستثمرونها

لصالحهم ويوجهون إليها السياح عن طريق فلسطين المحتلة بعد زيارتهم لها . أي أن السياحة في الضفة الغربية وقطاع غزة أصبحت جزءا تابعا ومكملا للسياحة في فلسطين المحتلة ، وخاضعة لتخطيطات اليهود ومشيئتهم . وبالرغم من أن السلطات شجعت السياحة من فلسطين المحتلة إلى كل من الضفة والقطاع فتدفقت عشرات السيارات يوميا إلى معظم نواحيهما ، إلا أنها منعت السياح من المبيت في أي منهما (ما عدا مدينة القدس) بحجة الأسباب الأمنية . ويدل على اهتمام الكيان الصهيوني بالسياحة أنه تم افتتاح ٢٠ مكتبا سياحيا حكوميا في الخارج ، ووزعت نشرات دعائية وصور لأماكن مقدسة وأثرية ، ولوحات تحوي تراثا عربيا وإسلاميا خالصا ولكنها تعرضه على أنه تراث يهودي لتغري السياح . وقد أثمرت هذه الجهود بأن وصل فلسطين ١١٦٦٨٢٠ سائحا في عام ١٩٨٣م ، بعد أن كان ٦١٩,٥٥٤ في عام ١٩٧٥م[١٣٣] .

ولا ينكر أن لورود أعداد كبيرة من سياح فلسطين المحتلة إلى الضفة الغربية وقطاع غزة قيمة اقتصادية لا بأس بها ، حيث عوض سكان الضفة والقطاع عما فقدوه من مصادر سياحية كانت تأتيهم عن طريق الأردن أو مصر ، لكن ذلك كان له أثر دعائي ومادي أكبر لصالح الكيان الصهيوني .

إن من الصعب الحصول على أرقام تتعلق بالدخل السياحي الإجمالي وعدد العاملين في المجال السياحي بعد الاحتلال ، ولكن يمكن القول بأن هذه الأرقام كانت في ازدياد بدليل ارتفاع العائد السياحي لفنادق الضفة من ٢٢٧ ألف ليرة إسرائيلية سنة ١٩٧٠م إلى ٧٤٤ ألف ليرة سنة ١٩٧٢م ، وهذا يعني أنه نما بمتوسط نمو سنوي يبلغ ٧٦٪ ولا تتضمن هذه الأرقام المركز الرئيس للسياحة وهو القدس[١٣٤] . ويقدر أن الدخل السياحي الفندقي بلغ حوالي ٠,٤ مليون دينار أردني سنة ١٩٧٦م[١٣٥] . ويجب أن لا يغرب عن بالنا هنا انخفاض أسعار العملة الإسرائيلية المستمر بالنسبة للدينار .

وباختصار فإن قطاع السياحة في الأرض المحتلة يحتاج إلى تعديلات وإضافات في التجهيز ليشكل مصدرا مهما للعمالة وللدخل .

خامساً – طرق المواصلات :

كان في فلسطين في أواخر عهد الانتداب البريطاني شبكة من الطرق المعبدة والسكك الحديدية والجوية لا بأس بها بالنسبة لحجمها ، وبالقياس إلى الدول العربية المجاورة . وبعد الاحتلال الصهيوني وسيطرته على معظم هذه المرافق عام ١٩٤٨م ، تم تطويرها جميعا بما في ذلك تمديد هذه الشبكات ، وتحسين وضع الموانئ والمطارات وإنشاء موانئ جديدة ومطارات محلية ، بحيث تتناسب وأهداف الصهيونية . فقد استولى الصهاينة على جميع خطوط السكك الحديدية والمحطات والقطارات وزادوا أطوالها من ٢٩٠كم سنة ١٩٤٩م إلى ٤٨٤كم سنة ١٩٧٦م وإلى ٥٧٣كم في سنة ١٩٨٣م ، وكانت أهم تلك الزيادات خط حديد إيلات – أسدود . وهي زيادة بسيطة فيما لو قورنت بالزيادة التي طرأت على طاقة عربات سكك الحديد ودرجة تشغيلها ، إذ أن طاقة التشغيل وطاقة النقل للكيلومتر الواحد زادت من ١٣٨ طن / كم سنة ١٩٤٩م إلى ٤١٤طن / كم سنة ١٩٥٥م ، وإلى ٦٩٢ طن / كم سنة ١٩٦٥م وإلى ٩٥٤ طن / كم سنة ١٩٧٦م[١٣٦] ، أي أنها تضاعفت نحو سبعة أمثال ما كانت عليه .

أما الطرق المعبدة فقد زاد طولها من ٢٩٧٥كم سنة ١٩٦١م إلى ٤٦٠٠كم سنة ١٩٨٣م . وقد رافق هذه الزيادة تطور مشابه في وسائل النقل البرية من سيارات خاصة وسيارات أجرة وسيارات شحن وثلاجات وناقلات أخرى . إذ قدر عدد السيارات العاملة عام ١٩٨٣م بـ (٤٧٣٦٠٠ سيارة) .

وقد استولى الكيان الصهيوني على مطار اللد فوسعه وأدخل عليه تحسينات كبيرة ، ثم أنشأ عددا من المطارات الداخلية وأسس شركة العال الحكومية ، التي ربطته بمختلف أنحاء العالم ، ونافست كثيرا من الشركات العالمية في مجالي النقل والسياحة . واستولى بعد احتلال ١٩٦٧ م على مطار القدس العربي (مطار قلنديا) وحوله إلى مطار داخلي .

واستولى الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨م على ميناء حيفا ، وكان يعتبر أهم ميناء في المشرق العربي ، وصار ميناءه الرئيس إلى أن تم بناء ميناء أسدود على الساحل الجنوبي ، ثم ميناء إيلات على خليج العقبة سنة ١٩٥٦م للاتصال بالمحيط الهندي .

وقد طرأ تطور كبير على الخدمات التليفونية ، إذ ارتفع عدد الأجهزة من ٢١ ألف جهاز سنة ١٩٥٠م أنجزت ٨٩ مليون مخابرة أي بمتوسط ١٣٨٧ مخابرة سنويا لكل جهاز ، إلى ١٢٣ ألف جهاز أنجزت ٣٠٥ ملايين مخابرة سنة ١٩٦٠م ، وإلى ٩٩٣ ألف جهاز أنجزت ٢٥٦٥ مليون مخابرة أي بمتوسط ٢٧٣٥ مخابرة للجهاز الواحد سنة ١٩٧٧م . وقد تحسنت المخابرات السلكية مع الخارج تحسنا ملحوظا ، بدليل ارتفاع الوقت الذي استغرقته المكالمات مع الخارج ، حيث قفز من ٣,٤٦٦ ألف ساعة سنة ١٩٦٠م إلى ٦٠٥ آلاف ساعة ١٩٧٧م .

وتوسع الكيان الصهيوني خلال الفترة (٦٠ - ١٩٧٦م) في الاستفادة من خدمات أجهزة التلكس ، إذ ارتفع عدد الأجهزة المستعملة من ٢٨٠ آلة سنة ١٩٦٠م أنجزت ٢٦٢٩ مخابرة محلية وخارجية إلى ٢٧٧٠ آلة سنة ١٩٧٧م أنجزت ٢٦٦٠١ مخابرة(١٣٧) .

ومع أن الضفة الغربية وقطاع غزة فقدا ما كان فيهما من خدمات الطيران والملاحة البحرية ، إلا أن الطرق البرية والمواصلات الأخرى تطورت تطورا بطيئا بالقياس إلى ما حصل في الكيان الصهيوني ، وفي حدود خدمة اقتصاد سلطات الاحتلال ، لأنه قطاع لا يحقق مردودا ماديا ، وقد نُفِّذَت فيه خطوط برية عريضة في مواقع معينة بقصد ربطها بالشبكة الداخلية للكيان الصهيوني ، أو بقصد عزل المناطق العربية الكثيفة بالسكان عن بعضها ، أو بقصد هدم عدد من المباني العربية الكثيفة كما حصل في مخيم جباليا بغزة .

أما عدد وسائل النقل ، فقد زادت في الضفة الغربية بين عامي ١٩٧٠ ، ١٩٧٣م من ٤٨٩٣ إلى ٨٧٩٢ ، أي بمعدل ٧٩٪ أو بمعدل سنوي مقداره ١٦٪ ، وفي قطاع غزة من ٢٤٧٤ إلى ٥٨٠٥ أي بمعدل ٦٧٪ أو بمعدل سنوي مقداره ١٤٪ .

تهويد فلسطين

نشأت الحركة الصهيونية في أوربا انطلاقا من واقع اليهود الذين تعرضوا للتشتت في مختلف أرجاء المعمورة ، كما تعرضوا لسلسلة من المذابح والاضطهادات نتيجة سلوكهم الشاذ وعزلهم أنفسهم عن مواطني البلاد التي يعيشون فيها ، ففكر قادتهم الذين شهدوا نجاح تجارب الحركات القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر ، أن لاخلاص لليهود من محنتهم سوى تجميعهم في بقعة واحدة واستقلالهم فيها بإنشاء دولة خاصة بهم . ووقع اختيارهم على فلسطين لاستثمار بعض الأوهام والشعور الديني والعاطفة التاريخية بإذكاء فكرة « أرض الميعاد » ، وكانت فلسطين حتى ذلك الوقت بلدا عربيا خالصا ، إذ قدر عدد اليهود في فلسطين في عام ١٩٤٠م بنحو عشرة آلاف يهودي . ولم يكن بفلسطين ممن يدينون باليهودية سوى ٢٣ ألف يهودي عام ١٨٨٠م[١٣٨] . وبذلك كانت فلسطين من أقل مناطق العالم وجودًا لليهود .

ولذلك رسم زعماء الصهيونية منذ البدء خططهم لتغيير الطابع العربي والإسلامي لفلسطين ، وإيجاد أوضاع تهيىء لهم إنشاء « الوطن القومي » الذي يتطلعون إلى إنشائه في فلسطين ، أو بكلمات أخرى العمل على تهويد فلسطين . ويمكننا أن نتتبع خطط التهويد من خلال النقاط التالية :

١ – تغيير الوضع السكاني بالهجرة اليهودية .

٢ – تغيير الوضع الحقوقي بسلب الأراضي العربية .

٣ – تغيير المعالم الجغرافية ببناء المستوطنات اليهودية .

٤ – تغيير البنية الهيكلية للاقتصاد الفلسطيني ليصبح اقتصادا يخدم أهداف الصهيونية .

أولًا – تغيير الوضع السكاني بالهجرة اليهودية :

اعتبرت الصهيونية موضوع تهجير يهود العالم إلى فلسطين هدفا أساسيا من أهدافها . ولذلك يحسن بنا أن نتتبع الهجرة اليهودية بتقسيمها إلى مراحل تاريخية .

(أ) **الهجرة اليهودية في أواخر العصر العثماني** : بدأت الهجرة اليهودية الفردية إلى فلسطين في وقت مبكر من القرن التاسع عشر ، غير أن الهجرة المنظمة بدأت عام ١٨٨٢م ، بعد حصول موجة اضطهاد ضد اليهود الروس على أثر اغتيال القيصر ، كان

من جرائها هجرة عدد كبير منهم إلى دول أوروبا الغربية وأمريكا ، واتجه نحو ألفين منهم إلى فلسطين . ثم نشأت في روسيا وأوروبا جمعيات تدعو إلى الهجرة لفلسطين . وحينما عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بال تم تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية التي كان لها الدور الأكبر في تهجير اليهود إلى فلسطين من خلال جمعيات ومنظمات ومكاتب انبثقت عنها ، وأشرفت فعلًا على تهجير مايقرب من ٢٥ ألف يهودي إلى فلسطين في الموجة الأولى ، التي امتدت بين عامي ١٨٨٢ – ١٩٠٣م[١٣٩] .

وقد قدم إلى فلسطين ما بين ٣٥ إلى ٤٥ ألف يهودي في الموجة الثانية الممتدة بين ١٩٠٤ – ١٩١٣م ، معظمهم من العمال الروس ، أقاموا مستعمرات قصروا العمل فيها على اليهود . وكانت هجرة اليهود قد انتعشت في عهد متصرف القدس العثماني « أحمد رشيد بك » (١٩٠٤ – ١٩٠٦ م) ، كما انتعشت ثانية حينما تسلم الحكم في الدولة العثمانية جماعة « تركيا الفتاة » لوجود شخصيات يهودية بينهم ، فبلغ مجموع يهود فلسطين ٨٥ ألفًا عام ١٩١٣م بفضل الهجرة .

وقد تعذر حصول هجرة يهودية منظمة أثناء الحرب العالمية الأولى لسوء الأحوال الاقتصادية الناجمة عن الحرب ، وتوقف المساعدات الأوربية والأمريكية التي تقدم للمهاجرين اليهود ، مما دعا قسما منهم إلى مغادرة فلسطين حتى قدر عدد اليهود عام ١٩١٨ م بنحو ٥٥ ألف يهودي . غير أنه دخل إلى فلسطين من ١٩١٨/١٢/٩ م (يوم احتلال بريطانيا للقدس) إلى ٣١ / ٥ / ١٩٢١م حوالي ١٤,١٠١ يهودي[١٤٠] .

(ب) **الهجرة اليهودية في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢٠م – ١٩٤٨م** : اصطبغت الهجرة اليهودية في عهد الانتداب بصبغة شرعية وكانت تحت رعاية الوكالة اليهودية التي اعترفت بها بريطانيا عام ١٩٢٠م ، وفي ظل قانون الهجرة الذي سنته بريطانيا عام ١٩٢٢م خصيصا لذلك . ففي العقد الأول من هذا العهد ١٩٢٠م – ١٩٢٩م ، قدم إلى فلسطين نحو مائة ألف مهاجر ، وصل أكثر من نصفهم بين عامي ١٩٢٤ – ١٩٢٦م ، وكان معظمهم من بولندا وروسيا ورومانيا واليونان ، والباقي من العراق واليمن وألمانيا والنمسا وغيرها . وقد أسهم المهاجرون في رفع عدد يهود فلسطين

إلى ١٥٠ ألف يهودي في نهاية عام ١٩٢٩م .

وحينما خفت الاضطرابات في السنوات التالية لثورة العرب عام ١٩٢٩م ضد الهجرة والصهيونية والاستعمار ، شهدت البلاد موجة واسعة من الهجرة حيث قدم إلى فلسطين نحو ١٥٠ ألف يهودي في الفترة من ١٩٣٠ – ١٩٣٥م ، وكان نصيب السنة الأخيرة وحدها نحو ٦٢ ألف مهاجر معظمهم من بولندا وألمانيا ورومانيا ، وذلك بعد اعتلاء النازيين على الحكم ، وتواطؤ الصهيونية مع بعض قادة النازية لاضطهاد اليهود وتهجيرهم[١٤١] . وجاء الباقي من اليمن والولايات المتحدة واليونان والنمسا وتشيكوسلوفاكيا ، وكان من بينهم نسبة من أصحاب رؤوس الأموال ومن العمال المهرة ، مما أسهم في تطوير الاقتصاد اليهودي .

وقد أدّت هذه التطورات إلى تفجر ثورة العرب خلال الفترة (١٩٣٦ – ١٩٣٩ م) والتي بدأت بإضراب شامل لمدة ستة أشهر احتجاجا على سياسة بريطانيا لتهويد فلسطين . فانخفض سيل الهجرة ، وبلغ ٥٣ ألف يهودي للفترة من ١٩٣٦ – ١٩٣٨م . وهكذا بلغ عدد يهود فلسطين في نهاية عام ١٩٣٩ نحو ٤٤٢ ألف يهودي . ونظرا لظروف الحرب العالمية الثانية وتنفيذا للقيود التي التزمت بها بريطانيا بموجب الكتاب الأبيض الذي أصدرته عام ١٩٣٩م ، والقاضي بتحديد المهاجرين بـ ٧٥ ألف خلال خمس سنوات اعتبارا من ١ / ٤ / ١٩٣٩م ، ووضع قيود على شراء الأراضي فقد دخل فلسطين في سنوات الحرب بطريقة رسمية وغير رسمية نحو ٩٢ ألف يهودي[١٤٢] أي أكثر مما سمح به الكتاب الأبيض .

وبعد انتهاء الحرب سمحت بريطانيا باستمرار الهجرة بمعدل ١٥٠٠ فرد شهريا رغم أن هذا الرقم يتعارض مع القدر (الكوتا) التي نص عليها الكتاب الأبيض ، ورغم معارضة أصحاب البلاد . ولذلك قدم إلى فلسطين عام ١٩٤٦م نحو ١٨ ألف مهاجر ومثلهم في عام ١٩٤٧م ، بالإضافة إلى ١٢ ألفًا قدموا خلسة وكان معظمهم من اللاجئين اليهود في أوربا . وهكذا دخل فلسطين في عهد الانتداب البريطاني ٤٨٢,٨٥٧ مهاجرا بمتوسط ١٦,٤٤٠ مهاجرا في السنة ، وهذا الرقم لا يضم الذين دخلوا بطريق غير رسمي[١٤٣] .

(جـ) الهجرة اليهودية منذ قيام الكيان الصهيوني : أقرت الجمعية العامة قرار تقسيم فلسطين في ٢ / ١١ / ١٩٤٧م ، فحددت بريطانيا يوم ١٥ / ٥ / ١٩٤٨م موعدا لانتهاء الانتداب ، وتخلت عن واجباتها القانونية ، وتركت البلاد تعيش في حال من الفوضى . وبقي عرب فلسطين تحت رحمة المنظمات الإرهابية الصهيونية التي اجتاحت البلاد وطردت السكان العزل من بيوتهم وممتلكاتهم قبل انسحاب بريطانيا وبعدها ، وهيأتها لإيواء اللاجئين اليهود . وكان أول ما عمله الكيان الصهيوني هو إصدار « قانون العودة » الذي يغري كل يهودي في العالم بالقدوم إلى فلسطين ليزداد عدد اليهود . وقد استعملت الصهيونية مختلف الوسائل والأساليب المشروعة وغير المشروعة لتحقيق هذا الهدف ، فاستعملت الإغراء والإرهاب والرشوة وإذكاء الدعوة العنصرية وإثارة الروح والنعرة الدينية ، وافتعال الظروف والحوادث لتشجيع الهجرة . وأصدر الكيان الصهيوني قانون الجنسية عام ١٩٥٢م ، الذي يُمكن كل مهاجر يهودي من الحصول على الهوية الإسرائيلية . ومع ذلك فقد شهدت السنوات التالية لتأسيس الكيان الصهيوني فترات مختلفة من حيث ارتفاع أو انخفاض تيار الهجرة لأسباب مختلفة[١٤٤] ؛ فخلال الفترة (١٩٤٨ – ١٩٥١م) شهدت فلسطين سيلًا جارفا من الهجرة ، حيث قدم ٦٨٦,٧ ألف مهاجر ، نتج عن قدومهم ارتفاع عدد يهود فلسطين من ٦٥٠ ألفا عام ١٩٤٨م إلى ١,٤ مليون عام ١٩٥١م . وتغير تركيب المجتمع اليهودي ، حيث كان نصف المهاجرين في هذه الفترة من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مثل : اليمن والعراق وليبيا وإيران وتركيا ومصر والمغرب وتونس ، والنصف الثاني من مخيمات اللاجئين في أوروبا الغربية ومن بلدان أوروبا الشرقية والغربية خاصة رومانيا وبولندا .

وخلال الفترة (١٩٥٢ – ١٩٥٤م) تراجعت الهجرة كثيرا نتيجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الهجرة في الفترة السابقة . فرغم استغلال اليهود كل المساكن والممتلكات العربية التي طرد أصحابها منها ، فقد ارتفع عدد المقيمين في المخيمات المؤقتة وفي المعبرات ، وتفاقمت مشكلة الاستيعاب والإسكان ، وانتشرت البطالة وعانى اليهود الشرقيون الاضطهاد على أيدي اليهود الأوربيين ، فوضعت شروط لاختيار المهاجرين

حدث من أعدادهم . وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود خلال هذه الفترة ٥٤ ألف مهاجر ، وبلغ عدد المغادرين ٣٢ ألف مهاجر .

وخلال الفترة ١٩٥٥ – ١٩٦٠م انتعشت الهجرة اليهودية مرة أخرى بسبب تحسن الحالة الاقتصادية نتيجة لتدفق الإعانات والمساعدات من الدول الاستعمارية ومن يهود العالم ، وبسبب انخفاض الهجرة والقدرة على استيعاب العمال في مجالات الإنتاج ، لذا بلغ عدد المهاجرين خلال هذه الفترة ٢٤٠ ألف مهاجر ، قدموا من مختلف القارات والدول ، فارتفع عدد يهود فلسطين المحتلة من ١,٥ مليون في نهاية ١٩٥٤ إلى ١,٩ مليون مع نهاية عام ١٩٦٠م .

وشهدت الفترة (١٩٦١ – ١٩٦٧م) موجة واسعة من الهجرة ، تميزت بأنها ثابتة ومتواصلة بمعدل ٥٠ ألف مهاجر سنويا ، جاءوا من مختلف القارات ، وكان أهم مصادرهم : المغرب (٨٠ ألفا) ، ورومانيا (٨٠ ألفا) ، وتونس (٤٠ ألفًا) ، والجزائر (١٥ ألفا) ، والمجر (١٠ آلاف) . وقدر عددهم بنحو ٢٩٠ ألفا ، أسهموا في رفع عدد اليهود إلى ٢,٣ مليون عام ١٩٦٥م(١٤٥) ، كما أسهموا في جعل اليهود الشرقيين يشكلون ٥٠٪ من سكان فلسطين المحتلة عام ١٩٦٦م .

وفي الفترة (١٩٦٧ – ١٩٧٤م) ، قام الكيان الصهيوني بعدوان ١٩٦٧م على البلاد العربية لتحقيق أهدافه التوسعية ، وتغيير الظروف الداخلية بالتخلص من البطالة والركود الاقتصادي ، وزيادة اهتمام يهود العالم والاستعمار العالمي – وذلك بحجة أنهم مهددون من البلاد العربية – وجمع الأموال والحصول على المساعدات العسكرية والمالية ، وقبول المتطوعين الشباب . وقد تحقق لهم ذلك وبنوا المستعمرات في الأراضي العربية لإيواء المهاجرين الجدد ، والتوسع في السيطرة على الأرض ، وأخضعوا اقتصاد البلاد العربية المحتلة لاقتصادهم وفرضوا منتجاتهم على العرب . كل ذلك مهد السبيل لاستئناف وارتفاع الهجرة فوصل فلسطين نحو ٢٢٧ ألف يهودي خلال الفترة (١٩٦٩ – ١٩٧٣م) ، و ٩٣ ألف يهودي خلال الفترة (١٩٧٤ – ١٩٧٧م) . كما وصل ١١٠ آلاف يهودي خلال الفترة (١٩٧٨ – ١٩٨٢م) . وتميزت هذه

الفترات بأن اليهود جاءوا من مختلف جهات العالم . ولكن في العامين ١٩٨٣ ، ١٩٨٤م قدم ٢٣,٠٥٢ يهوديا كان معظمهم من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والأرجنتين .

والخلاصة أن حركة الهجرة اليهودية في فترة الاحتلال الصهيوني لفلسطين تعرضت لتذبذب بفعل عوامل سياسية واقتصادية وعسكرية داخل فلسطين ، ولظروف أخرى خارجها . وكانت الهجرة قد وصلت قمتها عام ١٩٦٧م (٧١ ألف مهاجر) . وهبطت إلى أدناها عام ١٩٥٣م (١١ ألف مهاجر) ، ولم يزد المهاجرون في عام ١٩٨١م على ١٢,٦ ألف مهاجر وأصبحت نسبة اليهود الشرقيين ٧٠٪ من إجمالي يهود فلسطين المحتلة عام ١٩٨٢م(١٤٦) .

ثانيا : تغيير الوضع الحقوقي بسلب الأراضي العربية :

إذا كان موضوع تهجير يهود العالم إلى فلسطين هدفًا أساسيا من أهداف الصهيونية ، فإن موضوع استملاك أراضي فلسطين هدف آخر لايقل أهمية عن الأول ، بل هو متمم له ، لأن استملاك الأراضي يهيئ مكانا للاجئين اليهود يلجؤون إليه ، ويثبتهم في البلاد ويوفر لهم وسيلة الإنتاج . والواقع أن الاتجاه إلى استملاك الأراضي في فلسطين رافق النشاط الصهيوني منذ بداية خطواته في النصف الثاني من القرن الماضي ، وكان له أصداؤه في كل تاريخ القضية الفلسطينية .

(أ) **سلب الأراضي العربية قبل عهد الانتداب البريطاني** : لم يكن لليهود أي أملاك في فلسطين في النصف الأول من القرن الماضي باستثناء مساكن اليهود من سكان مدن : القدس والخليل وصفد وطبريا ، والذين لم يكن يتجاوز عددهم ألفي فرد . وقد بدأت عملية استملاك اليهود للأراضي في عام ١٨٥٥م من قبل « موشي منتفيوري » اليهودي البريطاني الذي قام بشراء بستان حمضيات مساحته ١٠٠ دونم قرب يافا ، وتبعه آخر في سنة ١٨٥٩ بشراء قطعة أرض في موزا قرب القدس ، وثالث في ملبِّس في عام ١٨٧٨م . ثم اشتريت أراض في سنة ١٨٨٢م في عيون كاره والجاعونه وزمارين . ومع نهاية عام ١٨٨٢م أي بعد وصول طلائع الموجة الأولى من الهجرة اليهودية أصبح اليهود

يملكون ٢٢ ألف دونم في فلسطين[١٤٧] .

لقد نشطت عملية شراء الأراضي في فلسطين بعد عام ١٨٨٢م وكانت صدًى لنشاط الحركة الصهيونية في الخارج ، إذ نص البرنامج الصهيوني الذي أقره المؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام ١٨٩٧م على أن أول وسيلة لتحقيق الهدف الصهيوني تكمن في عملية استعمار فلسطين ، عن طريق العمال الزراعيين اليهود بالطرق المناسبة[١٤٨] . وقد قُدم للمؤتمر اقتراح بإقامة شركة لاستملاك الأراضي في فلسطين ، وأقر الاقتراح في المؤتمر الصهيوني السادس ١٩٠٣م ، وسميت الشركة « هاكيرن هاكاييمت ليسرائيل » أي الصندوق الدائم لإسرائيل ، أو « الصندوق القومي اليهودي » ونفذت أول عملية شراء لحساب المنظمة الصهيونية سنة ١٩٠٥م[١٤٩] .

نمت هذه المؤسسة لتصبح أكبر مؤسسة تعمل على شراء الأراضي بفلسطين ، وغدت تشكل رأس رمح الاستعمار الاستيطاني الصهيوني . وقد تميز نشاط هذا الصندوق منذ تأسيسه بصفتين رئيستين ؛ الأولى أن المسؤولين عنه لم يروا أي حرج في اتباع جميع الطرق المتاحة لاستملاك الأراضي بالإقناع أو الخداع أو بالإغراء أو الرشوة أو التزوير ، والثانية أنهم كانوا يدعون إلى « احتلال العمل » بعد « احتلال الأرض » ، أي حصر استغلال الأرض في أيدي اليهود فقط . ومن ناحية ثانية كان شراء الأراضي في فلسطين قبل وجود الصندوق يقوم على أساس الملكية الخاصة ، وصار بعد وجوده يتوجه للسيطرة على الملكية العامة ، أي الأراضي التي تعتبر بعد شرائها ملكا أبديا لليهود ، لا يجوز بيعها أو التصرف فيها عن غير طريق تأجيرها .

(ب) **سلب الأراضي العربية بفلسطين في عهد الانتداب البريطاني** : وقد تركز نشاط الحركة الصهيونية على تدعيم هذه المؤسسة (الكيرن كاييمت) ، وتذليل ما يعترض طريقها من عقبات ، إذ كانت النقطة الأساسية في البرنامج اليهودي المقدم لوزارة الخارجية البريطانية في أكتوبر / تشرين الأول ١٩١٦م تنشد إنشاء شركة مساهمة يهودية لإعادة توطين اليهود في فلسطين ، وقد تضمن البرنامج المقترحات العملية لتحقيق ذلك .

ونصت مذكرة « وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية إلى « سايكس » رئيس الوفد

البريطاني في المباحثات مع الصهيونيين على وجوب منح المهاجرين اليهود تسهيلات خاصة لحيازتهم الأرض ، ومنح الشركة السلطة الكاملة في حيازة الأرض ، مع تسهيلات خاصة في تملك أراضي الدولة . وقد تجسد مبدأ المساندة البريطانية لإنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين في تصريح « بلفور » في نوفمبر ١٩١٧م ، وفي إرسال لجنة « وايزمان » لفلسطين « لجمع المعلومات والتقارير عن احتمالات تطوير أماكن الاستقرار اليهودي في فلسطين بصفة عامة »(١٥٠) . وقد وصل التمادي البريطاني إلى حد أن المادة الثانية من صك الانتداب نصت على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي ، ونصت المادة الرابعة على « حشد اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات » . كما نصت المادة السادسة على « أن على إدارة فلسطين أن تشجع التعاون مع الوكالة اليهودية » ، ونصت المادة الحادية عشرة على « أن على إدارة فلسطين إيجاد نظام للأراضي يلائم احتياجات البلاد ، مراعية في ذلك الرغبة في تشجيع حشد السكان في الأراضي وتكثيف الزراعة .

اعتبر صك الانتداب منطلقا لإصدار القوانين والتشريعات التي تهدف إلى حيازة اليهود للأراضي الفلسطينية ، وأنيطت بالمندوب السامي جميع الحقوق في الأراضي ، وله أن يهب أو يؤجر أية أرض من الأراضي العمومية أو أي معدن أو منجم(١٥١) .

ولما عين هربرت صموئيل الصهيوني أول مندوب سام على فلسطين كان أول ما عمله إلغاء القوانين العثمانية لنظم ملكية الأراضي التي كانت تحد من امتلاك اليهود لأراضي فلسطين واستبدالها بقوانين جديدة تسمح بنقل الأراضي العربية إلى اليهود . ومن ذلك أنه أمر بتأسيس دائرة الطابو برئاسة الصهيوني « نورمان بنتريتش » وفي ظل أحكام قانون انتقال الأراضي لعام ١٩٢٠م ، التي اشترطت فيمن يمتلك العقار أن يكون مقيما في فلسطين ، وأن تتوفر لديه نية زراعتها بنفسه ، وعلى أن لا تزيد مساحة الأرض الزراعية على ثلاثمائة دونم . وقد نتج عن هذا القانون حالات بيع لأكثر من ٣٠٠ دونم لمقيمين خارج فلسطين(١٥٢) . وأصدر المندوب السامي قانون انتقال الأراضي رقم (٢) لعام ١٩٢١م ، الذي « يجيز للمحاكم أن تأمر ببيع أموال غير منقولة أو وفاء لرهن» .

وفي مايو عام ١٩٢١م أمر بتشكيل محاكم للأراضي للنظر في المنازعات الناشبة على الملكية يشرف عليها الصهيوني « نورمان » ، وأمر بإغلاق البنك الزراعي العثماني ، مما اضطر المزارعين العرب إلى الاعتماد على المرابين اليهود ، خاصة أنهم قد أرهقوا بجسامة الضرائب التي فرضت عليهم . وصدرت أوامر بمنع تصدير منتجاتهم الزراعية (الحبوب والزيت) ، بل سمح باستيراد ما يشبه منتجاتهم ، فانخفضت الأسعار وغرق الفلاحون في الديون ، واضطروا إلى رهن أراضيهم للمرابين أو بيعها ، وإذا رفضوا الدفع ولجأوا إلى المحاكم فالمحاكم جاهزة لتأمر بنزع الملكية .

وقد أصدر « صموئيل » أيضا قانون الأراضي المحلولة لسنة ١٩٢٠م بغية إيجاد أراض لتوطين المهاجرين اليهود . ويقضي هذا القانون بوضع اليد على أي أرض محلولة ، لانقطاع ورثة المالك أو عدم زراعتها . كما أصدر في ١٦ / ٢ / ١٩٢١م قانون الأرض الموات الذي يمنع العرب من استصلاح أو استزراع الأراضي إلا بموافقة مدير الأراضي . وأصدر كذلك قانون تنظيم المدن لعام ١٩٢١م ، وقانون تمليك الأراضي للجيش وقوة الطيران التابعة للحكومة البريطانية لعام ١٩٢٥م ، وكان قد أصدر في عام ١٩٢٠م قانون العشر المعدل . وبعد ذلك صدر في عهد لورد بلومر قانون ملكية الأراضي رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٦م . وفي عام ١٩٢٧ أصدر قانون استبدال الأعشار ، ثم صدر بعد ذلك قانون تسوية حقوق ملكية الأراضي وتسجيلها لعام ١٩٢٨م[١٥٣] . وهكذا وضعت بريطانيا الأسس الراسخة لتسهيل انتقال الأراضي العربية إلى اليهود .

وتشير المراجع البريطانية إلى أنه تم انتقال ٣٦٩٥٧٤ دونما من الأراضي العربية لليهود في الفترة من ١٩٢٠ – ١٩٢٥م أي في عهد صموئيل ، وانتقال ١٤٤٠٠٥ دونم في الفترة ١٩٢٦ – ١٩٢٩م ، أي في عهد بلومر ، في حين أنه لم يكن في حوزة اليهود قبل عام ١٩٢٠م سوى ٦٥٠ ألف دونم . وبذلك بلغ ما يملكه اليهود في نهاية عام ١٩٢٩م نحو (١١٦٣٥٧٥) دونما ، أي ٤,٣٪ فقط من مجمل مساحة فلسطين . ولكن كان منها نحو مليون دونم من الأراضي الصالحة للزراعة ، وبذلك يرتفع ما كان بحوزتهم إلى ١٤,٤٪ من الأراضي الصالحة للزراعة بفلسطين[١٥٤] .

واستمرت عملية انتقال الأرض العربية لليهود بعدئذ ، فبين عام ١٩٣١م – ١٩٣٩م تم انتقال ٣١٢٢٥٤ دونما ، كان أكثرها في عام ١٩٣٥م (٧٣ ألف دونم) . وصار مجمل مساحة الممتلكات اليهودية من الأرض الزراعية حسب تقرير الوكالة اليهودية ١,٤٥٥,٩١٧ دونما في عام ١٩٣٨م . وبالرغم من ظروف الحرب العالمية والقيود التي ادعت بريطانيا فرضها طبقا لنصوص الكتاب الأبيض للحد من بيع الأراضي لليهود ، فإن أراضي فلسطين كانت موزعة في عام ١٩٤٥م كما هو موضح في الجدول رقم (١١) .

جدول (١١) حيازات أراضي فلسطين عام ١٩٤٥م

الأراضي	مجمـــوع الحيـــازات		الحيـــازات المـــزروعـــة	
	المساحـــة	٪	المساحـــة	٪
حيازات عربية	١٢٧٦٦٥٢٤	٤٧,٢٤	٧٧٩٧١٢٩	٨٤,٧٠
حيازات يهودية	١٤٩١٦٩٩	٥,٥٢	١١٧٦٧٤٥	١٢,٧٨
أراضي عامة	١٤٩١٦٩٠	٥,٥٢	٢٣١٦٦٤	٢,٥٢
منطقة بئر السبع (بادية عربية)	١٠٥٧٣١١٠	٣٩,١٢	.	
مساحات مائية	٧٠٤٠٠٠	٢,٦٠		
المجموع	٢٧٠٢٧٠٢٣	١٠٠,٠٠	٩٢٠٥٥٣٨	١٠٠,٠٠

المصدر : محمد عبد الرؤوف سليم ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

استمرت عمليات الشراء والاستيلاء على الأراضي العربية حتى بلغت المساحة التي يملكها اليهود عشية الإعلان عن قيام دولتهم عام ١٩٤٧م حوالي ١,٧٣٤ مليون دونم ،

أي ٦,٤٪ من مجموع مساحة فلسطين ، للصندوف القومي اليهودي منها نحو ٩٣٣ ألف دونم[١٥٥] . وقد بلغ مجموع ما اشتراه اليهود من حكومة الانتداب ٥٠٠ ألف دونم ، منها ٢٠٠ ألف دونم دون مقابل ، ومجموع ما تمكن اليهود من شرائه من العرب غير الفلسطينيين ٦٢٥ ألف دونم موزعة على النحو التالي : ٤٠٠ ألف دونم في مرج ابن عامر ، وقد نجم عنها رحيل ٩٠٠ عائلة كانت في ٢٢ قرية ، و ١٦٥ ألف دونم أراضي امتياز الحولة مما أدى إلى طرد ١٥٠٠٠ عربي ، ونحو ٣٢ ألف دونم أراضي وادي الحوارث مما تسبب في طرد ١٥٥٠٠ عربي ، ونحو ٢٨ ألف دونم في مناطق الناصرة وصفد وعكا وبيسان وجنين وطولكرم . وبلغ مجموع ما تمكن اليهود من شرائه من العرب الفلسطينيين خلال هذه الفترة ٣٠٠ ألف دونم[١٥٦] .

(جـ) **سلب الأراضي العربية بعد قيام الكيان الصهيوني** : تغير الوضع جذريا بعد قيام الكيان الصهيوني ؛ فقد أسفرت حرب ١٩٤٨م عن تسلط الكيان الصهيوني على نحو ٢١ مليون دونم من أرض فلسطين ، واستيلائه على مساحات أخرى بموجب اتفاقيات الهدنة ، ونتيجة التوسع في الأراضي الحرام بعد الاتفاقيات . هذا وقد أنشأ الكيان الصهيوني « دائرة أملاك العرب » لمراقبة الأملاك العربية المحتلة ، وعين في تموز قيّما عاما على أملاك الغائبين ، ولكن هذا الإجراء لم يمنع من استيلاء اليهود على أملاك اللاجئين العرب وأراضيهم التي قدرت في ذلك الوقت بـ ٣,١٧٥ مليون دونم ، عدا منطقة النقب التي تحولت إلى المستوطنات والأفراد أو الشركات .

ورأت سلطات الاحتلال اتخاذ العديد من الإجراءات القانونية والإدارية لإضفاء الشرعية والدوام على عمليات الاستيلاء على الأراضي العربية مثل : قانون أموال الغائبين لعام ١٩٥٠م ، وقانون نقل الأموال إلى سلطة التعمير والإنشاء لعام ١٩٥٠م .

كما اتخذت إجراءات تحويل ملكية الأراضي من هيئة يهودية إلى أخرى وتسليمها للمستوطنات أو الأفراد أو المؤسسات اليهودية لاستغلالها . وحولت المباني في المدن إلى شركة « عميدار » لإسكان المهاجرين اليهود فيها سنة ١٩٥٢م . وفي ٢٦ من يونيه/ حزيران عام ١٩٥٣م تم بيع ٢٣٧٣٦٧٧ دونما من « أراضي الدولة » وأراضي سلطة

التعمير والإنشاء إلى الصندوق القومي اليهودي(١٥٧) . وكان الصندوق لا يمتلك الأرض إلا إذا كانت خالية من كل قيود .

عمدت سلطات الاحتلال إلى طمس المعالم العربية بهدم القرى العربية والاستيلاء على أراضيها ، فمن بين ٨٠٧ قرى ومدن عربية كانت قائمة في فلسطين عام ١٩٤٥م لم يبق في عام ١٩٦٧م إلا ما مجموعه ٤٣٣ قرية ومدينة كان منها في الضفة الغربية وقطاع غزة ٣٢٨ ، وفي فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) ١٠٥ قرى ومدن أي أن ٣٧٤ قرية ومدينة عربية (أي ٤٥٪ من المجموع) قد أزيلت من الوجود ، أي هدمت لتحويلها إلى أراض زراعية أو لغرس الأشجار الحرجية . وقد سن الكيان الصهيوني قوانين عديدة تمنع نقل أراضي الدولة أو أراضي الصندوق القومي بالبيع أو غيره . وفي نفس الوقت قام بإجراءات أخرى ، كانت لها نتائج خطيرة تتعلق بالعرب الذين بقوا في الأراضي المحتلة ، بدأت بمصادرة مساحات شاسعة من أراضيهم الخاصة وتحويلها إلى المستوطنين ، وانتهت بمنعهم من العمل حتى كعمال أجراء في تلك الأراضي بعد مصادرتها . فخلال ثلاثين سنة من الاحتلال (١٩٤٨ – ١٩٧٨م) صادرت السلطات اليهودية نحو ٤٠٪ من الأراضي التي يمتلكها عرب فلسطين المحتلة ، ولم يتبق في أيديهم سوى نصف مليون دونم(١٥٨) .

وقد طبق الكيان الصهيوني نفس القوانين والإجراءات والأساليب على أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة بعد سقوطهما على أثر حرب حزيران ١٩٦٧م ، وما زالت هذه الأراضي خاضعة للحكم العسكري ، باستثناء القدس العربية التي أعلنوا ضمها للقدس الغربية واعتبروها جزءا من الكيان ، وما زالت تعاني من الاستيلاء على الأراضي بشتى الوسائل بالإضافة إلى القوانين ، كقانون « الحاضر – الغائب » ، وقانون « الأراضي البور لعام ١٩٤٨م » وقانون « التصرف لعام ١٩٥٣م » ، وقوانين « الطوارئ الانتدابية » .

بدأ اليهود بعد الاحتلال مباشرة يدمرون القرى العربية ويصادرون الأراضي ، فقد صادروا معسكرات الجيش والشرطة والأراضي العامة وأغلقوا بعض الأراضي لأغراض

أمنية ، وامتدت المصادرات إلى أراضي الوقف الإسلامي والمسيحي ، واستغلوا سلطة حماية الطبيعة لحجز الأراضي ، ومن ثم مصادرتها . وعمليا فقد وضعت سلطات الاحتلال يدها على نحو ٢٥٪ من مساحة الضفة الغربية بالإضافة إلى ٨٪ هي أراضي الغائبين . كما وضعت يدها على ٣٣٪ من مجموع مساحة قطاع غزة[١٥٩] . ووضعت يدها على ١١ ألف منزل في الضفة الغربية وحدها . وبخلاف المصادرات الرسمية فإن أعمالاً منظمة لشراء الأراضي العربية أخذت تتم منذ عام ١٩٦٧م ، ومعظمها يتم بعمليات مشبوهة ، فقد طفحت الصحف بثبوت قضايا التزوير والتزييف ، وسياسة مصادرة وشراء الأراضي في الأراضي المحتلة التي ما زالت قائمة ، وأرقام المصادرات في تغير يومي مستمر . ويقدر أن ما استطاع اليهود السيطرة عليه من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة في أوائل الثمانينات نحو نصف مساحتهما .

ثالثا – تغيير المعالم الجغرافية بإنشاء المستعمرات اليهودية وهدم القرى العربية :

إن إنشاء المستعمرات في فلسطين هو الهدف الأساسي الثالث من أهداف الصهيونية ، وهو مرتبط بالهدفين السابقين . فلتنفيذ المشروع الصهيوني لابد من العمل في ثلاثة محاور متوازية : تهجير يهود العالم إلى فلسطين ، وتفريغ البلاد من سكانها العرب الأصليين والتخلص منهم والاستيلاء على أراضيهم ، وإنشاء المستوطنات في وسط الأراضي التي يتم الاستيلاء عليها لإيجاد مأوى ومجال عمل للمهاجرين الجدد . وقد بحثنا الموضوعين الأولين في الفقرات السابقة وجاء دور بحث الموضوع الثالث الذي سنقسمه إلى فترات تاريخية أيضا :

(أ) **الاستيطان اليهودي خلال فترة الحكم العثماني** : لم يكن هناك استيطان يهودي في فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية بالمعنى الذي يرتبط بالأرض ، فجميع اليهود كانوا يسكنون المدن ، وقد بدأ الاستيطان الزراعي عندما حصلت مجموعة من يهود القدس على دعم خارجي في عام ١٨٧٨م ، وتوجهت لإنشاء أول مستوطنة زراعية في السهل الساحلي سميت « بتاح تكفا » .

ومع ظهور الحركات الصهيونية في الخارج وبداية موجات الهجرة عام ١٨٨٠م

أمكن إنشاء بعض المستوطنات الزراعية على غرار القرى الزراعية التي سادت الدول الأوربيـة ، فقد تم تأسيس مستوطنات : « ريشون لتسيون » و « زخرون يعقوب » و « روشي بيناه » في عام ١٨٨٢م ، ومستوطنات : « يسود همعليه » و « أكرون » في عام ١٨٨٣م ، و « جديرا » في عام ١٨٨٤م . والواقع أنه لولا اعتماد هذه المستوطنات على الدعم الخارجي لانهارت بسبب تعرضها للخسائر . وقد سجل أكبر دعم وأبرزه في هذه الفترة للبارون روتشيلد (١٨٨٥ – ١٩٠٠م)[١٦٠] وبهذا الدعم استمر إنشاء المستوطنات .

كانت مسؤولية رعاية المستوطنات اليهودية منوطة بأثرياء اليهود خارج فلسطين ، إلى أن عقد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول عام ١٨٩٧م . واعتبر أن وسيلة تحقيق الهدف الصهيوني تكمن في دفع عملية الاستيطان . ثم عقد المؤتمر الصهيوني الثاني عام ١٨٩٨م ، وأقر قانون المنظمة الصهيونية العالمية ، التي تأخذ على عاتقها كافة الشؤون المتعلقة باستيطان فلسطين . وبدأ نشاطها بإنشاء الأجهزة المالية التي تكلف بتنفيذ القرارات ، فأسست « صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار » في عام ١٨٩٩م ، والذي تحول في عام ١٩٥١م إلى « بنك لئومي إسرائيل » ، وأسست الصندوق القومي اليهودي « كيرن كاييمت لإسرائيل ليمتد » في عام ١٩٠٧م ، ليقوم بتمويل وتطوير الممتلكات لتكون وقفا أبديا للشعب اليهودي ، ولا يشتغل فيها سوى اليهود ، وأسست في عام ١٩٢٠م الصندوق التأسيسي المحدود « كيرن هايسود ليمتد » وقد نشأت بعدئذ مؤسسات مالية صغيرة أخرى مثل : بنك السلفيات الصغيرة في عام ١٩٣٥م ، والبنك الزراعي اليهودي في نهاية عام ١٩٣٥م ، والبنك المركزي للمؤسسات التعاونية ١٩٣٧م ، وبنك العمال ١٩٣٧م ، وشركة « نبر ليمتد » وغيرها[١٦١] .

ارتفع بذلك عدد المستوطنات اليهودية في فلسطين من ٢٢ مستوطنة يسكنها نحو ٤٩٠٠ مستوطن إلى ٤٧ مستوطنة ، أقيم ١٤ منها بدعم المنظمة الصهيونية ويسكنها نحو ١٢ ألف مستوطن في عام ١٩١٤م ، وقد تباينت أغراضها ، وأصبحت مستعمرات زراعية وعمالية ومؤسسات دينية وخيرية وعلمية . لكن فترة الحرب العالمية الأولى شهدت

توقف عمليات الاستيطان اليهودي .

(ب) **الاستيطان اليهودي خلال فترة الانتداب البريطاني** : ومثلما فتح العهد البريطاني الأبواب المغلقة أمام الهجرة الصهيونية لفلسطين ، وسهل الاستيلاء على الأراضي العربية ، فإنه ذلل الصعوبات التي تعترض الاستيطان اليهودي في فلسطين ، فانتشر في عهده انتشار السرطان في الجسم السليم . وكأن الانتداب البريطاني لم يحصل إلا لتنفيذ أهداف الصهيونية . فسماح بريطانيا بشرعية الهجرة ، والاعتراف بالوكالة اليهودية واستحداث القوانين التى تساعد على نقل ملكية الأراضي العربية لليهود ، وتدفق المساعدات المنتظمة من الخارج ، وتأسيس المؤسسات اليهودية بفلسطين ، كل ذلك وسع النشاطات الاستيطانية ونشر مشاريعها لتشمل معظم جهات فلسطين ، بل ونشط المنظمة اليهودية لإقامة نقاط قوية فى المناطق التي لم يسكن بها اليهود فى السابق ، بهدف خلق خريطة سكانية يهودية تشمل أوسع مساحة جغرافية ممكنة . فجرى تركيز عمليات الاستيطان في سهل بيسان والجليل الأعلى ؛ حيث أقيمت ٥٣ مستوطنة جديدة بين عامي (١٩٣٦م – ١٩٣٩م) ، وأقيم عدد من المشاريع الاستيطانية مثل : مشروع الألف عائلة الذي أدى إلى إقامة عدة مستوطنات في السهل . وخلال فترة الحرب العالمية الثانية وبعدها أقيمت ٩٤ مستوطنة جديدة . وقد تميزت المستوطنات خلال هذه الفترة بأنها كانت ذات طابع زراعي عسكرى . ولذلك فرغم سعى المنظمة الصهيونية لنشر الاستيطان في جميع مناطق فلسطين ، إلا أن السهل الساحلي استأثر بأكبر نصيب من المستوطنات حيث إن أرضه تتميز بالجودة ووفرة المياه . فحتى عام ١٩٤٨م كان ٥٤٪ من المستوطنات اليهودية تقع في سهول الخضيرة ويافا وطبريا والحولة وبيسان ، ١١٪ في سهول الجليل الأسفل ومرج ابن عامر[١٦٢] . وقد توجه اهتمام الاستيطان في عامي ١٩٤٦م ، ١٩٤٧م إلى منطقة النقب . وهكذا تطور إنشاء المستوطنات بسرعة ، وهو ما يوضحه الجدول رقم (١٢) .

جدول (١٢) المستوطنات اليهودية في فلسطين حتى ١٥/ ٥ / ١٩٤٨م(*)

السنة	مدينة	موشاف	كيبوتز	أخرى	العدد	السكان
حتى ١٩٠٠م	٢١	–	–	١	٢٢	٥٢١٠
١٩١٤	٣٢	٣	٤	٨	٤٧	١١٩٩٠
١٩٢٢	٣٤	١١	١٩	٧	٧١	١٤٩٢٠
١٩٤١	٤٥	٩٤	٨٧	٥	٢٣١	١١٣٠٠٠
١٩٤٤	٤٤	٩٩	١١١	٥	٢٥٩	١٤٣٠٠٠
١٩٤٨/٥/١٥	١٥	٩٩	١٥٩	٤	٢٧٧	١١٠,٦٣١

المصدر : عبد الرحمن أبو عرفة ، الاستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية ، ص ١٣٥ .

* المستوطنات اليهودية عدة أنواع منها :

الكيبوتز : مستوطنة زراعية تعتمد على العمل الجماعي والملكية الجماعية .

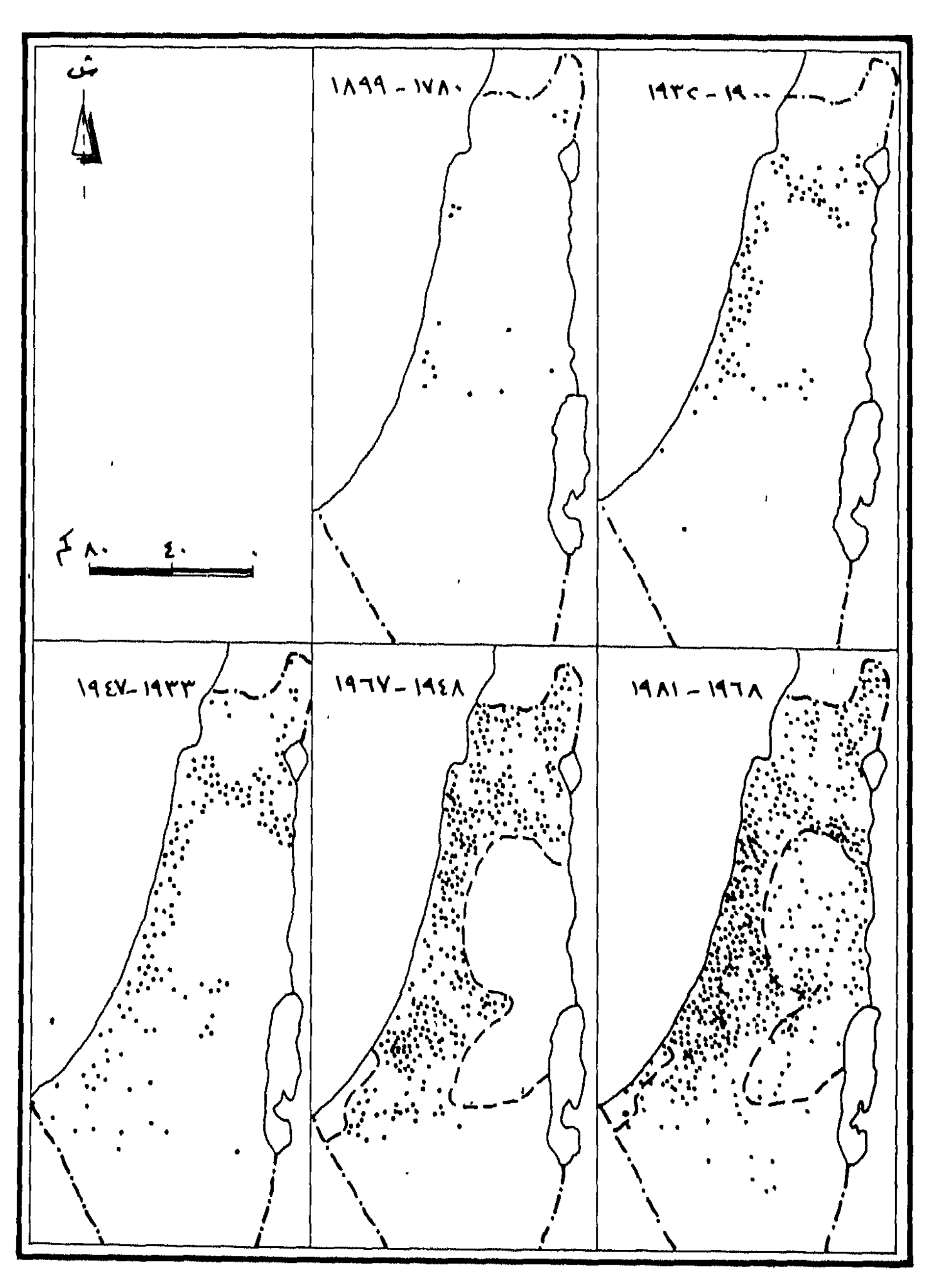
الموشاف : مستوطنة زراعية تعتمد على العمل الجماعي والملكية التعاونية .

الناحال : الشباب الطليعي المحارب ، وهو تنظيم عسكري زراعي يرتبط إداريًا بوزارة الدفاع .

انظر خيرية قاسمية وعلي الدين هلال وإبراهيم كروان ، المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ١٦ .

تدل هذه الأرقام على أنه أنشئ في فلسطين نحو ٢٢٠ مستعمرة يهودية في ظل الانتداب البريطاني بمعدل تسع مستعمرات في السنة الواحدة ، وصارت تضم نحو ثلث اليهود الذين كانوا في فلسطين في نهاية هذه الفترة (شكل ١٤) .

(جـ) **الاستيطان اليهودي بعد إنشاء الكيان الصهيوني** :أسفرت الحرب العربية اليهودية عام ١٩٤٨م واتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩م عن قيام ما يُسَمَّى بالدولة اليهودية على ٧٨٪ من مساحة فلسطين ، وترتب على ذلك تهجير قسري للغالبية العظمى من الشعب الفلسطيني وتركهم مدنهم وقراهم وأراضيهم . ولذلك بدأت عملية استيطان يهودية واسعة شملت المساكن العربية الفارغة في مدن : حيفا ويافا والرملة واللد



شكل - ١٤ - تطور الاستعمار الاستيطاني الصهيوني لفلسطين .

وعسقلان وبئر السبع وطبريا وصفد وبيسان وعكا والقدس الغربية ، والمدن الصغيرة والقرى العربية التي لم تزل ، كما شملت إقامة ٣٩ نقطة استيطانية ، فوق الأراضي العربية التي تركها أصحابها قبل نهاية عام ١٩٤٨م .

وفي الفترة من ١٥ / ٥ / ١٩٤٨م حتى نهاية عام ١٩٥٣م ، كان قد أقيم ٣٤٥ مستوطنة جديدة (٢٥٠ موشاف و ٩٦ كيبوتز) ، استوطن بها نحو ٢٠ ألف عائلة على مساحة ١,١٥ مليون دونم بالإضافة إلى نحو ٢٠٠ قرية عربية . ويوضح الجدول رقم ١٣ تطور إنشاء المستوطنات في فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) بعد إنشاء الكيان الصهيوني .

جدول (١٣) المستوطنات اليهودية التي أقيمت في فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م)
[بعد إنشاء الكيان الصهيوني]

السنوات	العدد	موشاف	كيبوتز	أخرى
قبل ١٥/٥/١٩٤٨م	٢٧٧	٩٩	١٥٩	١٩
١٩٤٨-١٩٥١	٢٨٥	٢٠٣	٨٢	٠
١٩٥٢-١٩٥٦	١٠٦	٨٠	٢٦	٠
١٩٥٧ - ١٩٦٠	١٨	١٤	٤	٠
١٩٦١-١٩٦٤	١٢	٢	٤	٦
١٩٦٥-١٩٦٧	١٠	٢	٢	٦
١٩٦٨-١٩٧٧	٢٧			
١٩٧٨-١٩٨٢	٢٠			
١٩٨٣-١٩٨٤	٤٤			
المجموع	٧٩٩	٤٠٠	٢٢٧	٣١

المصدر : عبد الرحمن أبو عرفة ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

تشير أرقام هذا الجدول إلى أن سرعة الاستيطان التي تمت في فلسطين المحتلة خلال السنوات الأربع التالية لإنشاء الكيان الصهيوني ، والتي رافقها استيطان القرى والمدن العربية قد خفّت سرعتها في الفترات التالية لصعوبة الاستيعاب . فبعد أن كانت تتم في الفترة الأولى بمعدل ٧١ مستعمرة في العام انخفضت إلى معدل ٨,٥ مستعمرات في العام للفترة (١٩٥٢ – ١٩٦٧م) ، أي بمعدل لا يقل عما كانت عليه هذه السرعة في عهد الانتداب البريطاني ، بل انخفضت في الفترة بين عامي ١٩٦٨ – ١٩٨٤م بمعدل ٣,٥ مستوطنات سنويا .

ومع أن حمّى إنشاء المستعمرات تؤكد اهتمام الكيان الصهيوني بالاستيطان الريفي واعتباره أساس الاستيطان الصهيوني ووسيلة تطبيقه ، إلا أن هذا لا يحجب ظاهرة تجمع اليهود في المدن بنسبة أكبر وبصورة متزايدة ، حتى صارت نسبة اليهود الذين يعيشون في المدن ٩٠٪ من مجموع السكان اليهود في فلسطين عام ١٩٧٨م . ففي المراحل الأولى للاستيطان تحول الكثير من سكان المستوطنات الزراعية إلى مراكز مدنية كبيرة ، واقتضت سياسة الاحتلال إنشاء مدن أطلق عليها اسم « مدن التطوير » بلغ عددها ٢٥ مدينة . وأقيم بالإضافة إلى ذلك مستوطنات مدنية في ضواحي المدن وفي الأماكن الاستراتيجية ، بلغ عددها ٥٤ مستوطنة مدنية ، سكنها نحو نصف مليون يهودي في أوائل الثمانينات[١٦٣] .

ففي عام ١٩٨٣م كان في فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧م) ثماني مدن يزيد عدد سكان كل منها على ١٠٠٠٠٠ نسمة ، ونحو ٧٠ مدينة يزيد عدد سكان كل منها على ١٠٠٠٠ نسمة[١٦٤] .

أما وقد سقطت الضفة الغربية وقطاع غزة بكاملهما في أيدي سلطات الاحتلال الصهيوني على أثر حرب ١٩٦٧م ، فإنهما أصبحتا لقمة سائغة للصهيونية لتطبق عليهما مشروعها الصهيوني الاستعماري ، الذي يتمثل في طمس المعالم العربية فيهما والتخلص من أكثرية سكانهما وسلب أراضيهما وممتلكاتهما . ولقد أظهرت الحرب أن الآلة العسكرية الصهيونية تفوقت على مؤسسات الصهيونية الأخرى وكانت قدرة الأولى على

احتلال الأرض أكبر من طاقة تلك المؤسسات على تهويد البلاد . ولذلك استمر إخضاع المنطقتين للحكم العسكري الذي لم يزل فيهما حتى الآن ، وفي نفس الوقت عمدت القيادة إلى الانتشار الاستيطاني القائم على اعتبارات (سياسية – أمنية) . وعملت على تجريد العامل الجغرافي من طابعه العربي بالاستيطان السياسي المتستر وراء الذرائع الأمنية .

تعرضت الضفة الغربية لأكبر هجمة استيطانية من حيث عدد المستوطنات ومساحة الأراضي المصادرة ومن حيث نتائجهما السلبية على المواطنين العرب ، لأن المستوطنات تستنزف مصادر الإنتاج الرئيسة وهي : الأراضي الزراعية ومصادر المياه .

فبالنسبة للقدس العربية بدأت سلطات الاحتلال خلال الشهر الأول من احتلالها إجراءات تهويد المدينة ، وأعلنت توحيد شطريها تحت إدارة الكيان الصهيوني ، وبدأت بإجلاء قسم كبير من السكان ، وهدم عدد من الأحياء ، ووضعت يدها على ٥٦ ألف دونم من القدس العربية ، وعملت على إسكان اليهود في مساكن العرب الخالية ، وهدمت أو استعملت جميع المباني الإدارية (في السابق) ومنعت العرب من بناء المساكن ؛ وبنت الحي اليهودي على أنقاض الحي القديم في القدس القديمة[١٦٥] . وأقامت كتلا استيطانية ضخمة على شكل طوق يحيط بالمدن ، تكون من ٩٣,٣٨٠ وحدة سكنية بالإضافة إلى مجمع لسكن الطلاب ومنطقة صناعية ، وهذه الكتل هي[١٦٦] :

١ – **في الشمال** : كتلة الجامعة العبرية وهداسا على جبل سكوبس ورامات وأشكول وفيها ٢٢٠٠ وحدة سكنية ، والكتلة الفرنسية بين سكوبس وأشكول وتربط بينهما ٥٠٠٠ وحدة سكنية .

٢ – **في الجنوب** : حي جيلو ويقع إلى الغرب من طريق القدس بيت لحم ، ويضم ١٠٠٠٠ وحدة ، وتلبيوت ويقع في شرق طريق القدس – بيت لحم على جبل المكبر وسور باهر ويضم ٥٠٠٠ وحدة سكنية .

وأقرت سلطات الاحتلال في أواخر عام ١٩٧٥م إنشاء منطقة صناعية في خارج المدينة لتستوعب ٧٠٠ مصنع تشغل ١٤٠ ألف عامل ، وذلك في « معالية أوديم » على طريق أريحا (قرب الخان الأحمر) .

ولتدعيم استيطان القدس أقامت مجمعات سكنية تطل على المناطق العربية الشمالية وهي :

١ – **راموت** : بين شعفاط وبيت حنينا ، وبين رامات أشكول أي بالقرب من النبي صومويل .

٢ – **النبي يعقوب** : على طريق القدس – رام الله ، وتضم ٤٠٠٠ وحدة سكنية .

٣ – **عطروت** : وتقع قرب مطار القدس . وقصدت من كل ذلك تحقيق أغلبية يهودية في مدينة القدس تصل نحو ٧٠٪ من السكان ، وتوسيع مساحتها لتصبح نحو ١٠٨ آلاف دونم(١٦٧) .

وأما المنطقة الثانية التي تركز فيها الاستيطان الرسمي اليهودي في الضفة الغربية ، فهي منطقة غور الأردن ، التي تشكل خط الاستيطان الأول والتي لها دلالات أمنية استراتيجية وسياسية واقتصادية كبيرة . لذلك أقامت سلطات الاحتلال حزاما من المستعمرات يمتد من جنوبي بيسان حتى عين جدي ، يبلغ طوله ١١٥ كم وعرضه ٢٠ كم وبهذا المشروع يضم الكيان الصهيوني منطقة مساحتها ٢٥٠٠ كم ، أي نحو ٤٠٪ من مساحة الضفة الغربية . وحتى نهاية عام ١٩٨٠م تم إنشاء ٢١ مستوطنة ذات طابع عسكري ، وحفر ٣٠ بئرًا ارتوازيا صادر الكيان الصهيوني من أجلها ٨٩ ألف دونم . وفي الفترات التالية أنشأ عددًا من المستوطنات حول أريحا .

والمنطقة الثالثة التي تركز فيها الاستيطان في الضفة الغربية في وقت مبكر هي منطقة الخليل – بيت لحم ، فهي ظهير مدينة القدس ، والتحكم فيها يعني التحكم في طرق المواصلات لجنوب فلسطين . لذا أنشأت سلطات الاحتلال فيها حتى سنة ١٩٨٠م نحو ١٥ مستوطنة ، بالإضافة إلى حي قريات أربع ، وقد بدأت في بنائه في نيسان ١٩٦٨م في جنوب شرق الخليل ، ويشرف على المدينة مباشرة ، وقد أخذ يتوسع على حساب المدينة . وبالإضافة إلى ذلك أقام الكيان الصهيوني خطا من المستعمرات يسير بجوار خط الهدنة لعزل عرب الضفة عن عرب فلسطين المحتلة . وتحت ستار التنقيب عن الآثار أقيمت هذه المستعمرات داخل معسكرات الجيش بالحجة السابقة وبحجة توسيع

المستعمرات . وقد تركز إنشاء المستعمرات بعد معاهدة كامب ديفيد على طول محور مدن : جنين ونابلس ورام الله والقدس وبيت لحم وأريحا ، ثم اعترفت الدولة بالمستعمرات غير الرسمية .

هذا وقد بلغ مجموع المستوطنات التي تم إنشاؤها في الضفة الغربية بين عامي (١٩٨١ - ١٩٨٤م) ٦٤ مستعمرة جديدة ، عدا ضواحي المدن .

أما قطاع غزة فقد بدأت عملية مصادرة الأراضي لإنشاء المستعمرات فيه عام ١٩٦٩م ، ونشأت أول نقطة للناحال في أواخر ١٩٧٠م باسم « كفار دروم » واستمرت عمليات مصادرة الأراضي وإنشاء المستعمرات في جنوب غزة ، وقد نشطت فعلا عقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد ، وقرار التخلي عن مستوطنات سيناء ، فحولت سلطات الاحتلال نقاط الناحال إلى مستوطنات دائمة ، وصادرت مزيدا من الأراضي ، وأقامت كتلة قطيف : وهي مجموعة من المستعمرات تفصل بين رفح وغزة وتحيط بالثانية ، وصادرت ١٤٠ ألف دونم من أراضي البدو في مشارف رفح ، وأُجْلت ١٥٣٠ عائلة بدوية . وبدأت شق قناة البحر المتوسط - البحر الميت عبر قطاع غزة تأكيدا لنيتها في ضم الجزء الجنوبي إلى النقب ، وبنت ميناء ياميت في الجنوب . ووصل عدد المستوطنات إلى ٢٦ مستعمرة دائمة حتى نهاية عام ١٩٨٤م[١٦٨] .

نفذت عمليات الاستيطان بواسطة مجموعة من المشاريع المعدة من قبل جهات استيطانية عديدة تختلف ظاهريا وتتفق عمليا ، وكانت نتيجتها هي الحصيلة الضخمة من المستوطنات في مختلف مناطق الاحتلال : فحتى نهاية عام ١٩٨٤م أنشأت سلطات الاحتلال ٢٣٢ مستعمرة جديدة في مناطق الاحتلال ، منها ١٧٨ مستعمرة في الضفة الغربية و ٢٦ مستعمرة في قطاع غزة و ٢٨ مستعمرة في الجولان ، هذا غير المستعمرات التي بنيت في مشارف رفح وشمال سيناء[١٦٩] ، وغير ضواحي المدن ، وقد أثبت الواقع أن هناك اتفاقا بين جميع الزعماء اليهود على ضرورة استثمار حرب يونيه/ حزيران في تفريغ قرار الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م من محتواه ، وإكمال عملية تهويد فلسطين عن طريق خلخلة الأوضاع السكانية في الأراضي المحتلة . ومن المشاريع

الاستيطانية التي أعلن عنها : مشروع ألون ، ومشروع شارون ، وخطة غوش آمونيم ، وخطة متياهو دروبلس ، وخطة رعنان فايتس ، وبرنامج الحزب الديني القومي « المعدال »[١٧٠] وغيرها مما لا يتسع المجال لشرح مضمون أي منها .

رابعا : تغيير البنية الهيكلية للاقتصاد الفلسطيني :

لقد استهدف هذا التغيير جميع العوامل التي تتحكم في بنية الاقتصاد الفلسطيني ، وفي مختلف عوامل الإنتاج بحيث تسخرها جميعا لخدمة أغراض المشروع الصهيوني الاستعماري . وقد سبق أن أوضحنا في الفصل المتعلق بدراسة الخصائص الاقتصادية لفلسطين التوجه العدواني لتطور الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها من النشاطات الاقتصادية قبل إنشاء الكيان الصهيوني وبعده ، وقد هدفت هذه النشاطات إلى تهديم الاقتصاد العربي وتدعيم اقتصاد الحرب والعدوان على أنقاض الأول . ويمكن إلقاء مزيد من الضوء على طبيعة هذا التغيير من خلال دراسة النقاط التالية :

(أ) **السيطرة على الموارد المائية بفلسطين** : كانت المياه هي الهدف الرئيس لعمليات التوسع الاستعماري الصهيوني في فلسطين لتحكمها في جميع مجالات التنمية الاقتصادية والحياة البشرية . وهذا يفسر اهتمام قادة الصهيونية بتوسيع حدود فلسطين الشمالية والشمالية الشرقية أثناء المفاوضات والمباحثات السابقة لإقرار صك الانتداب البريطاني على فلسطين (١٩١٩ – ١٩٢٢م) وذلك حتى تضم أكبر مجموعة من منابع نهر الأردن (شكل (٣) . ويفسر كذلك اهتمام الكيان الصهيوني ومن ورائه الاستعمار الغربي بمشاريع استغلال مياه نهر الأردن ، وتعطيلها بالقوة جميع المشاريع العربية القائمة عليه.

لقد حقق قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م لليهود السيطرة على المياه الجوفية والأنهار والسيول في الأراضي المحتلة ، فبادروا بعد الاحتلال مباشرة بالإفادة من ذلك بإقامة عدد من المشاريع المائية ، وقد ربطوا بينها بحيث يجمعها مشروع واحد ، أطلقوا عليه اسم « مشروع كل إسرائيل »[١٧١] وفر لهم ما ينوف على ألفي مليون متر مكعب من المياه .

وأهم المشاريع المنجزة خلال الخمس عشرة سنة الأولى من قيام الكيان الصهيوني هي :

– مشروع الجليل الغربي ويتضمن تجميع ما يفيض عن حاجة الاستهلاك المحلي من وديان القرن والحلزون ونهر المقطع ومياه العيون وما يصفى من مياه المجاري ، وسحبها وضخها إلى خزان « كفار باروخ » والاستفادة منها في الزراعة في مرج ابن عامر .

– مشروع اليركون – النقب : ويقوم على تجميع ما يفيض عن حاجة الاستهلاك المحلي من مياه نهر العوجا والعيون ، وما يصفى من مياه المجاري ونقلها بالأنابيب إلى جنوب فلسطين .

– مشروع وادي الحصى الذي ينبع من سفوح جبال الخليل ، ويتضمن الاستفادة من فيضاناته ومن المياه الجوفية فيه للزراعة في جنوب فلسطين (شمال النقب) .

– مشروع ري الأراضي ذات المستوى العالي في الجليل ، في جنوب غرب الحولة ، ويقوم على تجميع مياه السيول والعيون في غربي الحولة وضخها لري المناطق المرتفعة في شرق الجليل .

– مشروع تجفيف بحيرة ومستنقعات سهل الحولة واستصلاح أرضها وزراعتها .

– مشروع بحيرة طبريا – بيسان – مثلث اليرموك ، ويقوم على سحب مياه بحيرة طبريا لري أراضي بيسان ومثلث اليرموك وللوفاء بحاجة السكان في سهل بيسان .

– مشروع نهر الأردن – النقب ، ويقوم على سحب مياه نهر الأردن من بحيرة طبريا وضخها وخزنها في خزان « البطوف » وسحبها من البطوف بقنوات أسمنتية عبر السهل الساحلي جنوبا إلى شمال النقب . ويتضمن هذا المشروع إنشاء قناة من الحولة إلى طبريا ، وإنشاء محطات كهربائية عليها عند سقوطها في طبريا وشق نفق عيلبون ، وحفر قنوات وبناء خزان وخطوط أنابيب أسمنتية .

– وأخيرًا لجأ الكيان الصهيوني إلى تقطير مياه البحر المالح لتلبي الحاجة المتزايدة إلى الماء .

وقد حققت حرب ١٩٦٧م سيطرة الكيان الصهيوني على باقي الأراضي الفلسطينية ، وبالتالي السيطرة على جميع الموارد المائية في البلاد . وقد سنت القوانين التي تحرم العرب

من حفر الآبار في أراضيهم – على اعتبار أن المياه الجوفية ملك للدولة المسيطرة – وتعطل استفادتهم من الموارد المائية التي كانت متاحة لهم ، وتحاول ربط حاجة التجمعات السكانية الكبيرة من المياه بالشبكات المائية التي تزود المستعمرات القريبة من تلك التجمعات حتى تحكم سيطرتها تماما عليها . ومن الجدير بالملاحظة أن حرب يونيه / حزيران مكنت اليهود من السيطرة على جبل الشيخ الذي تنبع من سفوحه جميع ينابيع نهر الأردن وبعض ينابيع نهر الليطاني كما أن اجتياحهم لبنان عام ١٩٨٢م مكنهم من السيطرة على مياه نهر الليطاني ، وقد يكون هذا من أهم دوافع اليهود لاحتلال جنوب لبنان .

(ب) **السيطرة على موارد الثروة المعدنية** : تعتبر فلسطين نظرا لتركيبها الجيولوجي وصغر مساحتها من البلاد الفقيرة في ثروتها المعدنية ، ولكنها في نفس الوقت تحتوي على ثروة معدنية فريدة من نوعها تتمثل في أملاح البحر الميت . والبحر الميت بحيرة داخلية كبيرة يصب فيها نهر الأردن من الشمال ، وتقع البحيرة والنهر بين فلسطين وشرق الأردن في منطقة طولية ومنخفضة يطلق عليها « الغور » . ويبلغ طول البحر الميت الذي يمتد (شمال – جنوب) ٧٦كم وأعظم عرض له عند عين جدي ١٧كم ، وتبلغ مساحته ١٠٥٠كم مربع وكان ينخفض سطحه ٣٩٤م عن مستوى سطح البحر ، ويبلغ متوسط عمقه ٣٩٩م[١٧٢] ، وترتفع نسبة ملوحة الماء فيه بفضل التبخر والتركيز إلى ٣٠٠غم / لتر ، فيشكل بذلك أهم مصدر للأملاح المعدنية والتي من أهمها[١٧٣] :

– كلوريد البوتاسيوم ويستعمل في صناعة الأدوية ويقدر الاحتياطي منه بنحو ٢٠٠٠ مليون طن .

– كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ويقدر الاحتياطي منه ب ١١ مليون طن .

– كلوريد المغنيسيوم ، ويستعمل في الصناعات الكيماوية ويقدر الاحتياطي منه بـ ٢٢٠٠٠ مليون طن .

– كلوريد الكالسيوم ، ويستعمل عاملًا مجففًا ، ويقدر احتياطيه بـ ٦٠٠٠ مليون طن .

– بروميد المغنيسيوم ، ويستعمل في الأدوية وفي الأسلحة ويقدر احتياطيه ب ٩٨٠ مليون طن .

لقد منحت سلطة الانتداب في عام ١٩٣١م امتياز استثمار أملاح البحر الميت إلى شركة يهودية هي « شركة البوتاس الفلسطينية » ، وكانت تصدره للخارج . وخلال أحداث عام ١٩٤٨م حطم العرب منشآت المصنع الواقع في شمال غرب البحر الميت ، فأنشات الشركة مصنعا جديدا في جنوب غرب البحر الميت بطاقة كبيرة بلغت ١٥٠٠٠٠ طن من كلوريد البوتاسيوم وكميات مختلفة من باقي الأملاح ومن الماء الثقيل في عام ١٩٦٠م . ولا زال المصنع قائما ويشكل ركنًا من أركان إنتاج السلع التصديرية لليهود .

ويتألف جبل أصدم الذي يقع في جنوب غرب البحر الميت وقرب شاطئه من الملح الصخري ، وكان العرب يستثمرونه بطريقة بدائية ، وذلك بتقطيعه وتعبئته بأكياس ونقله والاتجار به ، وكان يشكل مصدر ملح الطعام في فلسطين في الماضي ، كما كان يشكل مجال رزق لعدد كبير من المواطنين ، حتى حصل الاحتلال في عام ١٩٤٨م وحرم العرب من الوصول إليه .

وجبال فلسطين غنية بالحجر الجيري نصف الرخامي ، وقد استعمل منذ أقدم الأزمنة في بناء المساكن والمساجد والمباني العامة ، ولا يزال يستعمل في تعمير المدن وفي رصف الطرق وفي إنشاء المدرجات الجبلية لزراعتها وفي صنع الخرسانة ومنه أنواع رخامية كاملة التبلور ، بني من أجلها مناشير آلية لصناعة حجارة البناء والبلاط والمزايكو ، خاصة في جبال الخليل والقدس والجليل والأعلى . وكانت هذه الحجارة تصدر حتى إنها وصلت العراق في الخمسينات واستعلمت في الضفة الشرقية بعد الاحتلال . غير أن سلطات الاحتلال منعت عبورها الجسور مؤخرا احتياطا لمشاريع الإسكان اليهودية الضخمة التي ينوون القيام بها .

وتوجد الصخور اللازمة لصناعة الأسمنت في مناطق متفرقة من فلسطين ، وقد قامت عليها مصانع الأسمنت قرب حيفا والقدس في زمن الانتداب ، ولا يزال بعض أهالي

الخليل يحاولون إنشاء مصنع فيها ، ولكنهم لم يحصلوا على تصريح الحاكم العسكري . وتصنع أنواع جيدة من الزجاج من بعض رمال فلسطين المنتشرة على طول الساحل ، كذلك انتشرت صناعة القرميد من الطفل الطيني ، واستعملت في بناء بعض المباني الجيدة .

ويوجد خام الفوسفات في أماكن كثيرة في المنحدرات المطلة على الساحل الغربي للبحر الميت وفي شرقي بيت لحم ، وتوجد أحسن أنواعه في منطقة « النبي موسى » . ويقدر احتياطي الفوسفات في فلسطين بحوالي ٢٢٥ مليون طن ، وقد بلغ إنتاج الكيان الصهيوني ١٩٦٦ ألف طن في عام ١٩٨٣ م[١٧٤] . كما يوجد في هذه الأماكن أو قربها خام الكبريت ، وكذلك يعتقد وجود عدد كبير من المعادن الأخرى ، ولكن بنسب بسيطة وقد لا يكون استثمارها اقتصاديا في الوقت الحاضر .

(ج) **احتكار مصادر الطاقة** : استمر أهالي فلسطين يعتمدون على الخشب والفحم النباتي للحصول على الطاقة الحرارية حتى نهاية الحكم العثماني . وقد بدأوا التعرف على مشتقات البترول المستوردة في عهد الانتداب البريطاني ، وزادوا من اعتمادهم عليها شيئا فشيئا حتى أصبح استهلاكها أساسيا خاصة بعد أن تم إنشاء مصفاة البترول في مدينة حيفا من قبل شركة نفط العراق (IPC) . وزاد الاعتماد عليها بسبب رخص أسعارها بالمقارنة بالمستورد ما عدا فترة الحرب العالمية الثانية . غير أن مصفاة النفط سقطت في أيدي اليهود في عام ١٩٤٨م ، حيث عملوا على زيادة طاقتها بالرغم من توقف خط الأنابيب الذي كان يزودها بالبترول الخام من حقوله في كركوك – العراق ، وصاروا يعتمدون على البترول الخام الذي يصلهم عن طريق ناقلات النفط في الفترة الأولى ، إلى أن بنوا خطا للأنابيب بين ميناء إيلات (أم الرشرش) على خليج العقبة وميناء أسدود (في عسقلان) على البحر المتوسط وخطا آخر من أسدود إلى حيفا لتزويد المصفاة بالبترول الخام الذي توصله ناقلات النفط إلى إيلات .

وقد تمكنت سلطات الاحتلال من العثور على مكامن بترولية في منطقة النقب بفلسطين سرعان ما أخضعتها للاستغلال ، كما أنها أخضعت للاستغلال بترول ساحل

خليج السويس المصري (ساحل سيناء) خلال فترة احتلال سيناء (١٩٦٧ - ١٩٧٦م) وضاعفت طاقة استثمارها له عدة مرات ، حتى كادت تستنفذ كل رصيده قبل أن تعيده إلى السلطات المصرية .

وقد اعتمد قطاع غزة على مشتقات البترول المستوردة من الأسواق المصرية خلال الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٦٧م ، وكذلك اعتمدت الأردن على المشتقات البترولية التي كانت تستوردها في أول الأمر ، ثم على مشتقات البترول التي صارت تنتجها مصفاة البترول الأردنية بعد إنشائها في الزرقاء في سنة ١٩٥٤م . وبعد الاحتلال (عام ١٩٦٧م) ارتفعت أسعار البترول ومشتقاته في الأراضي المحتلة مرات عديدة حتى صارت أسعاره من أعلى الأسعار في العالم .

أما الكهرباء فقد بدأ عهد فلسطين بها حينما منحت سلطة الانتداب البريطاني امتياز استغلال مياه نهر الأردن لتوليد الطاقة الكهربائية لشركة يهودية هي « شركة روتنبرج » ، التي تولت توزيع الكهرباء في شمال فلسطين والوسط حتى القدس ، وقد امتد نفوذ هذه الشركة إلى الأراضي المحتلة بعد حرب ١٩٤٨م ثم امتد إلى باقي فلسطين بالقوة بعد احتلال ١٩٦٧م على حساب نفوذ الشركات العربية في تلك الأراضي .

وفي ذلك الوقت الذي كانت تنمو فيه شركة روتنبرج وتزدهر في ظل الانتداب كان الريف العربي كله والمدن العربية محرومة من الكهرباء ، إلى أن انتهى الانتداب ، فنشأت شركات فردية أهلية في الضفة الغربية وقطاع غزة وأحيانا من قبل البلديات ، تولت تركيب مولدات تعمل على مشتقات البترول لتوليد الطاقة الكهربائية في مناطقها . ولذلك لم تصمد هذه الشركات الصغيرة طويلا بعد احتلال ١٩٦٧م أمام منافسة الشركة اليهودية الكبيرة . فصارت تسقط واحدة بعد الأخرى . وكانت قضية عدم امتثال شركة كهرباء القدس العربية لتنفيذ تصفية نفسها ومحاولاتها الاستمرار عدة سنوات مثالا لصمود المؤسسات العربية أمام أعتى هجمة استعمارية عرفها التاريخ .

أعطى الكيان الصهيوني للطاقة الكهربائية اهتماما متزايدا ، وذلك إيمانا بدورها في تنفيذ خطط التنمية بمختلف أشكالها ، لاسيما تحقيق التطورات الكمية والكيفية التي

لحقت بالصناعة وزيادة ثقلها في الإنتاج . ويمكن اتخاذ معيار تطور استهلاك الكهرباء مؤشرًا لهذا الاهتمام بسبب إمكانية قياس تطوره . فقد زاد إنتاج الكهرباء بمعدلات كبيرة منذ إنشاء الكيان الصهيوني وهو ما يوضحه الجدول رقم (١٤) .

جدول (١٤)

إنتاج الكهرباء في الكيان الصهيوني ومقدار المباع للصناعة بالمليون ك و س

السـنة	إجمالي الكهرباء المباعة	نصيب الصناعة
١٩٥٠	٤٦٤	١٤١
١٩٥٥	١٠٤٧	٣٠٢
١٩٦٠	١٨٥٧	٦٦٩
١٩٦٥	٣٤٥٠	١٢١٠
١٩٧٠	٥٦٩٧	١٨٧٨
١٩٧٥	٨٢٥٥	٢٨٥٠
١٩٧٧	٩٣٣١	٣٢٤٧
١٩٨٠	١٢٦٧٧	
١٩٨١	١٢٠٨٩	
١٩٨٢	١٣٣٦٣	
١٩٨٣	١٤٠٤٢	
نسبة ١٩٧٧ إلى ١٩٥٠م	٢٠ ضعفا	٢٣ ضعفا
نسبة ١٩٨٣م إلى ١٩٥٠م	٣٠ ضعفا	

المصادر : ١ – المجموعة الإحصائية لسنة ١٩٧٨م ، ص ٤٧٣ ومنقولة عن حسين أبو النمل ، ص ٦٩ ؛ وكذلك :

٢ – The Europa Year Book, 1980, 1982, 1985.

ويتضح من أرقام هذا الجدول أن زيادة استهلاك الكهرباء السنوية تفوق زيادة عدد السكان في الكيان الصهيوني ، إذ بـلغ إنتاج عام ١٩٧٧م عشرين ضعفا بالنسبة لإنتاج

عام ١٩٥٠م ، كما بلغ إنتاج عام ١٩٨٣م ثلاثين ضعفا بالنسبة لإنتاج عام ١٩٥٠م . ولكن يلاحظ أن القسم الأكبر من استهلاك الكهرباء كان يذهب لقطاع الصناعة ، ولذلك فإن تزايد مقدار المباع من الكهرباء لقطاع الصناعة يفوق نسبة زيادة جميع عناصر الإنتاج الصناعي بما في ذلك عدد العاملين في الصناعات ، إذ يقدر أن عدد العاملين في الصناعات عامة قد زاد بين عامي ١٩٦٦م و ١٩٧٢م بنسبة ٥٢٪ ، في حين زادت كمية ما استهلكته الصناعة من الكهرباء خلال هذه الفترة بنسبة ١٣٤٪ . ولهذا فإن المستهلك من الكهرباء في قطاع الصناعة زاد بين عامي ١٩٥٠م ، ١٩٧٧م بنحو ٢٣ ضعفا ، مما يدل على التوسع الشديد في الصناعة الآلية الثقيلة التي تعتمد على الطاقة أكثر من غيرها من عناصر الإنتاج .

(د) **إدارة الاقتصاد الصهيوني وهيمنة الملكية العامة** : تتميز الملامح الاقتصادية والاجتماعية في دولة الكيان الصهيوني بمميزات خاصة ، فهي ليست – بالقطع – دولة اشتراكية رغم زعم اليهود أنهم طبقوا نوعا خاصا من المزارع التعاونية أو المزارع الجماعية ، ورغم هيمنة الملكية العامة على معظم الأراضي الزراعية والصناعة الثقيلة . ولا تبدو أنها دولة رأسمالية كالبرجوازيات الغربية رغم أنها انبثقت من أحشائها ووجدت بمشيئتها لتكون قاعدة لها في المنطقة . لقد اكتسبت هذه الدولة ملامحها من خصائص خاصة وتطورات تاريخية معينة ، وامتزجت فيها العوامل والمؤثرات والأسباب بالمسببات مثل : تدفق السكان وتدفق الأموال والموارد الرأسمالية ، ومجابهة تقاليد وإرث المستوطنين الأوائل مع التقاليد والإرث الحضاري للمستوطنين الجدد ، والتباين الطبقي بين المستوطنين الغربيين والمستوطنين الشرقيين وبين أولئك والسكان العرب أهل البلاد الأصليين ، وتضارب مصالح المستثمرين اليهود في الداخل مع مصالح المشتغلين ، وتلاحم مصالحهم في الخارج مع مصالح كبار الرأسماليين في العالم .

لقد فطنت الحركة الصهيونية منذ وقت مبكر إلى أن تنفيذها للمشروع الصهيوني يتوقف على تخطي هذه الصعاب وتجنب تلك التناقضات والسلبيات ، وذلك بسيطرة فكرة التخطيط المركزي للحركة بقيادة شخصيات مؤهلة ، جاءت من دول أوروبية

وأمريكية متقدمة . وقد انتظمت هذه القيادة بعد إنشاء الكيان الصهيوني في ثلاث دوائر تشترك في ملكية وفي إدارة المؤسسات الاقتصادية هي : الوكالة اليهودية والدولة اليهودية والهستدروت . فقد أناطت المنظمة الصهيونية بالوكالة اليهودية التي أسستها في سنة ١٩٢٢م في فلسطين التهيئة لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بمساعدة سلطة الانتداب البريطاني . فعملت بالإضافة إلى تنظيم الهجرة وتوفير الأموال لشراء الأراضي وبناء المستعمرات ، على دعم اقتصاديات المهاجرين وإسكانهم وتشغيلهم ، وكانت تتصرف باستقلالية داخل الكيان الصهيوني .

ونشأت منظمة الهستدروت أي « منظمة العمل اليهودي » كاتحاد للعمال اليهود في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني أيضا ، حينما اتسعت القاعدة العمالية اليهودية ، ولكنها تحولت إلى مؤسسة اقتصادية سياسية حملت جانبا كبيرا من مسؤولية قيادة الحركة الصهيونية وتنفيذ مخططاتها .

وقد ترتب على قيام الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨م جملة ظروف محلية ودولية ، دفعت حركة الاقتصاد اليهودي بفلسطين إلى الأمام . فقد نسقت هذه المؤسسات فيما بينها وعملت على تقديم الدعم المالي ، وتحكمت في السيطرة على حركتي الاستيراد والتصدير ، وعلى التوزيع التجاري الداخلي وعملت على تحديد الأسعار . واستغلت الأراضي العربية التي طرد أصحابها ، وأقامت المستوطنات في الأراضي العربية ، وأشرفت على إنشاء الأحياء والضواحي في المدن القديمة وعلى إنشاء المدن الجديدة حسب مخططات مدنية اقتصادية شاملة .

وباتحاد هذه المؤسسات معا وتعاونها تكون جهة مركزية واحدة قد أشرفت على تنفيذ مخططات مركزية لاستغلال الموارد المادية المتاحة في الداخل ، والموارد المالية التي زاد تدفقها من الخارج . فبقيت الدولة والهستدروت – وقد ضعف نشاط الوكالة بعد قيام الكيان الصهيوني – حتى الآن ، رغم تغير الحكومات أو تغير الأحزاب الحاكمة ، تنفذان خطة اقتصادية سياسية مركزية واحدة الأمر الذي جنب الكيان الصهيوني التضارب والمنافسة بين قوى السوق المختلفة ، ومكّنها من حل المتناقضات وضبط الاحتكاكات

الخطيرة التي تنشأ بين أصحاب رأس المال والعمال أو بين الدولة وموظفيها .

نشأ الكيان الصهيوني من العدم على حساب الأراضي والممتلكات والمؤسسات العربية ، وقامت على مراحل مهدت لها إجراءات امتدت على مدى قرن من الزمان . فطبقا لسياسة الاستيلاء على الأرض ، امتلكت سلطات الاحتلال والصندوق القومي اليهودي معظم الأراضي الزراعية في فلسطين ، إذ بلغت نسبة ما تملكه الدولة من الأراضي الزراعية في عام ١٩٦٢م نحو ٧٦,٥٪ ، وتشمل أراضي الموشاف . وبلغ ما يملكه الصندوق القومي ١٨٪ هي أراضي الكيبوتزات ، أي أن مجموع ما تملكه المؤسستان معا ٩٤٪ من مجموع الأراضي الزراعية[١٧٥] . وتدل هذه الأرقام على تزييف امتلاك اليهود لأراضي فلسطين ، إذ لم يبق للملكيات الفردية سوى ٦٪ من مجموع الأراضي بما فيها أراضي العرب التي سيطر عليها الأفراد اليهود .

ولقد امتلكت سلطات الاحتلال كذلك الصناعات الثقيلة والاستراتيجية لأسباب سياسية واستراتيجية وتخطيطية ، وقد استطاعت ذلك اعتمادا على الأموال والهبات التي كان يتزايد تدفقها من الخارج . وترك للقطاع الخاص استثمار أمواله في الصناعات الاستهلاكية الخفيفة ، ونال التشجيع والدعم والحماية كما نالت الصناعة الثقيلة . وخضعت الصناعة بنوعيها الثقيل والخفيف لهيمنة منظمة العمل اليهودي « الهستدروت » ، وهذا هو ما أعطى القطاع العام ثقله وأهميته لدرجة توحي بالريبة والخلط في هويته ، فهو أبعد ما يكون عن القطاع العام أو عن الاشتراكي ، وذلك لأنه قد تحكمت فيه طغمة رأسمالية لها أوثق الارتباط بأكبر الاحتكارات الرأسمالية في العالم .

أما في الضفة الغربية وقطاع غزة فقد استمر الإنتاج الاقتصادي بمجمله كما كان بأيدي القطاع الخاص ، ولو أنه خضع للتوجيه والإشراف الحكومي ، فبقيت الأراضي الزراعية بأيدي أصحابها يستثمرونها ويطورونها كما يشاءون ، لا يدفعهم سوى المطامح الفردية ومنافسة الأسواق ، وقد تطورت بعض الصناعات القديمة ونشأت بعض الصناعات الجديدة من قبل الأفراد ، ومعظمها صناعات استهلاكية ، دفعت إليها أيضا الطموحات الفردية وحاجة الأسواق المحلية . وحتى يوم الاحتلال لم ينشأ في الضفة والقطاع أي

مشروع صناعي حكومي يذكر ، كما لم ينشأ فيهما صناعة ثقيلة ، وقد سحب ذلك على مجالات الإنتاج الأخرى كالتجارة والنقل .

ولكن بعد الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية وقطاع غزة خضع اقتصادهما بمختلف فروعه وشتى عوامله لتوجيه سلطات الاحتلال الحاكمة وللعمل لصالحها . ولا يعني هذا أن اقتصادهما اندمج في اقتصاد باقي فلسطين ، بل أصبح تابعا وذيلا له ، ويتحمل معه السلبيات كارتفاع الأجور وتضخم الضرائب وانخفاض مستوى المعيشة .

(هـ) **مستوى الدخل والضرائب والأجور** : من المفيد مقارنة الدخل القومي بالأسعار الثابتة بتزايد السكان لمعرفة التطور الحقيقي للاقتصاد ، لأن حجم الموارد الجديدة المتاحة في بلد من البلدان ، هو الذي يحدد مقدار تحسن مستوى معيشة السكان .

ويلاحظ أن سكان فلسطين المحتلة زادوا خلال عشرين عاما (١٩٦٥ – ١٩٨٤م) بنسبة ٦١,٤٪ أي بمتوسط زيادة سنوية بلغت ٢,٤٪ ، علما بأن نسبة زيادتهم كانت تتناقص حيث بلغت في الفترة (١٩٦٥ – ١٩٧٧) ٣٪ . وكانت زيادة الدخل في هذه الفترة تقدر بـ ١٠٦٪ ، أي بمتوسط زيادة سنوية قدرها ٥,٧٪ على أساس الأسعار الثابتة لسنة ١٩٧٥م . وقد حدثت أعظم زيادة سنوية في عام ١٩٧٢م (١٢٪) . وهذا يعني أن متوسط الزيادة في الدخل العام بلغ حوالي ٢,٤٪ أي ضعف متوسط الزيادة في السكان ، وقد تحقق ذلك بفضل تدفق المساعدات والهبات من الخارج .

ولقد ساعدت هذه الزيادة الكبيرة في الدخل القومي السلطة المحتلة على إرساء قواعد اقتصادية قوية مكنتها من تجاوز مرحلة الدول النامية ، فاقترب مستواها شيئا فشيئا من مستوى الدول الصناعية ، وقد بلغ مجمل الدخل القومي فيها ١٣,٦٤٠ مليار دولار عام ١٩٧٦م مقابل ١٢,٣ مليار دولار في أكبر دولة عربية وهي مصر[١٧٦] .

ومع ذلك يلاحظ وجود تذبذب في النمو الاقتصادي بحيث يمكن تسجيل أزمة اقتصادية عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧م ، حيث بلغت الزيادة السنوية نحو ١٪ ، وذلك بعد ازدهار كبير حصل في أوائل الستينات ، بلغ متوسط الزيادة السنوية وقتها

١٧,٦٪ . ويمكن تسجيل ازدهار في الفترة بين عامي ١٩٦٨ – ١٩٧٢م حيث تراوحت الزيادة السنوية بين ٧٪ ، ١٤٪ ، وأزمة اقتصادية ثانية في الفترة بين عامي ١٩٧٣ – ١٩٧٧م حيث بلغت (١ – ٥٪) .

ويمكن تفسير الأزمة الأولى بأنها أتت في أعقاب المرحلة التي استكمل بها تنفيذ برنامج التصنيع الممول باتفاق التعويضات الألمانية الغربية ، فوصلت إلى مرحلة « أزمة فيض الإنتاج » التي لا حل لها إلا من خلال إيجاد منافذ تصديرية جديدة يترتب عليها زيادة الإنتاج وهذا ماحدث بعد الاحتلال .

ويمكن تفسير الازدهار التالي بأنه حصل في أعقاب حرب ١٩٦٧م التي ترتب عليها وقوع باقي فلسطين إضافة إلى سيناء والجولان تحت الاحتلال الصهيوني . فتحولت إلى أسواق تصريف للبضائع اليهودية ، وإلى مورد لليد العاملة الرخيصة ، بما يعني ذلك من زيادة لإنتاج الكيان الصهيوني ، وتشغيل للطاقة الإنتاجية العاطلة في الصناعة اليهودية ، واختفاء مشكلة البطالة أي حل أزمة فيض الإنتاج المذكورة ، ويدل على ذلك أن نسبة الصادرات اليهودية إلى المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧م تراوحت بين ١٠ و ١٦,٧٪ من مجموع الصادرات فيما بين عامي ١٩٧١ – ١٩٧٧م . هذا بالإضافة إلى أشكال مختلفة لانسياب البضائع اليهودية في أسواق المناطق المحتلة بحكم التداخل الذي حدث بين منطقتي الاحتلال السابقة واللاحقة .

أما الفترة التالية (١٩٧٣ – ١٩٧٧م) فقد شهدت مؤثرات متناقضة ، لأنها قد شهدت عقد المؤتمر الاقتصادي الثالث لأصحاب الملايين اليهود ، الذي هدف إلى زيادة الإنتاج والتصدير ومعالجة البطالة الناتجة عن الهجرة ، ومعالجة العجز في ميزان التجارة الخارجية ، وذلك عبر مشاركة أصحاب الملايين اليهود في الخارج في الاقتصاد الصهيوني . وشهدت كذلك حرب أكتوبر / تشرين التي أدت إلى تعطيل الإنتاج واستمرار التعبئة العامة وضخامة تكاليف الحرب ، مما دعا الكيان الصهيوني إلى اتخاذ إجراءات اقتصادية تتناسب وآثار تلك الحرب ، فأمكنها تعويض خسائرها المادية من المساعدات الأمريكية التي بلغت ٣٣٧٧,٥ مليون دولار ، ومن الإعانات والهبات التي

تجمعها لها المنظمات الصهيونية في الخارج . وعلى سبيل المثال نجد أن ديون الكيان الصهيوني الخارجية بلغت ٢٤٠٠ مليون دولار في عام ١٩٨٣م ، ولم يكن لحرب أكتوبر / تشرين أية آثار ضارة على القاعدة الصناعية أو البنية التحتية للاقتصاد اليهودي ، بحكم أن الحرب جرت خارج حدودها ، وقد احتوت الآثار المباشرة للحرب تدريجيا ، وعاد الإنتاج إلى سابق عهده مع الهدوء الذي رافق توقيع اتفاقيات فك الاشتباك على الجبهات(١٧٧) .

وأخيرًا شهدت هذا الفترة توقيع اتفاقيتين على جانب كبير من الأهمية من الناحية الاقتصادية للكيان الصهيوني ؛ الاتفاقية الأولى بين الكيان الصهيوني والسوق الأوروبية المشتركة سنة ١٩٧٥م ، وتبعتها اتفاقية ثانية أكثر سخاء من الأولى مع الولايات المتحدة من أجل زيادة الصادرات ، حيث أعطت الاتفاقيتان أفضليات ضخمة للصناعة اليهودية في التصدير ، فزادت الصادرات اليهودية إلى أوروبا مثلا بين عامي ١٩٧٤ ، ١٩٧٧ م من ٦٩٨,٧ مليون إلى ١٠٩٧ مليون دولار . وارتفعت قيمة الصادرات اليهودية إلى الواردات خلال نفس الفترة من ٣٥٪ إلى ٥٦٪(١٧٨) .

وثمة ملاحظة مهمة وهي أن الاقتصاد الصهيوني قائم على نشاطات الدرجة الثالثة ، كالخدمات ، وتوزيع السلع ، والوظائف الحكومية ، وأن نشاطات الدرجة الأولى والثانية قائمة على خدمة نشاطات الدرجة الثالثة . فقد ارتفعت نسبة إسهام نشاطات الدرجة الثالثة من الإنتاج القومي من ٥٥٪ إلى ٦٢٪ بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٦٧م(١٧٩) ، وانخفضت نسبة إسهام نشاطات الدرجتين الثانية والأولى لنفس الفترة من ٤٥٪ إلى ٣٨٪ بفضل سرعة تطور السابقة .

ومع ذلك فقد أوضحت الإحصائيات أن نصيب الصناعة من الإنتاج القومي الصافي ، وهي من نشاطات الدرجة الثانية ، كان يتزايد واستمر في التزايد بعد تلك الفترة ، إذ إنه تزايد من ٢٢٪ سنة ١٩٦٦م إلى ٢٧٪ سنة ١٩٧٧م ، بسبب محافظة الصناعة على وتيرة نمو متصاعدة بلغ معدلها السنوي ١٥٪ في المتوسط(١٨٠) .

وتتركز نشاطات الدرجة الثالثة في المناطق العمرانية خاصة في المدن الكبيرة ، إذ تضم تل أبيب – يافا على سبيل المثال ١٤٪ من السكان و ١٧٪ من مجموع القوى العاملة

ونحو ٢٥٪ من مجموع القوى العاملة في نشاطات الدرجة الثالثة ، ونحو ذلك في قطاعي المال والتجارة .

نظام الضرائب : فرض حكم الانتداب البريطاني على فلسطين نظاما ضرائبيًّا مشتقا من الأنظمة السائدة في الغرب خاصة في بريطانيا ومستعمراتها ، قوامه مجموعة من الضرائب تفرض على الأراضي ، والممتلكات ، والمساكن ، والإنتاج ، والمعاملات التجارية والرسمية . وكانت تفرض أحيانا ضرائب شخصية تجمع على الرأس ، كما كانت أحيانا تفرض ضرائب مؤقتة لإقامة مشروع كان من المفروض أن تموله الدولة كبناء مدرسة أو مستشفى ، أو تعبيد طريق وما إلى ذلك .

وحينما ضمت الضفة الغربية للأردن فرضت الأخيرة أنظمتها الضرائبية عليها ، كما أن مصر فرضت أنظمتها الضرائبية على قطاع غزة . وكانت الضرائب تشكل في المنطقتين الجانب الرئيس من إيرادات الدولة . وقد انقسمت هذه الضرائب إلى عدة أنواع فهي في الضفة الغربية على سبيل المثال[١٨١] :

١ - الضرائب المباشرة مثل ضريبة الدخل ، وضريبة الحرس ، وضريبة الخدمات الاجتماعية وضريبة المواشي ، وضريبة الأراضي ، وضريبة الأبنية في المدن والضريبة الشخصية في القرى .

٢ - الجمارك والمكوس وتفرض على الواردات التجارية .

٣ - إيرادات الخدمات كالرسوم التي تفرض على المعاملات والرخص والطوابع .

٤ - الغرامات والجزاءات .

وبالرغم من سيطرة الكيان الصهيوني على ممتلكات وأموال وموارد العرب الذين طردوا من ديارهم ، وعلى ممتلكات الدولة ومؤسساتها . وبالرغم من سيل الموارد المتدفق عليها من الخارج ، فقد اعتمدت اعتمادا أساسيا على الضرائب المفروضة على السكان . وكانت هذه الضرائب تتزايد في نسبها وفي أنواعها بتزايد حاجة الدولة إلى الأموال ، خاصة من أجل التسليح والاستعداد لتمويل الحروب التي فرضتها على العرب في كل مرحلة

من مراحل توسعها ، حتى أصبحت فلسطين المحتلة في مقدمة دول العالم في ضخامة الضرائب التي تفرض على سكانها ، وحتى قيل إن الدولة تقاسم الناس أقواتهم اليومية . وكان آخر إجراءاتها الظالمة زيادة نسبة الضريبة المضافة إلى أن بلغت ١٥٪ من قيمة المبيعات ، وقد تحدثت الصحف عن فرض ضرائب جديدة لتغطية نفقات غزو لبنان في صيف ١٩٨٢م .

مستوى الأجور : بالرغم من أن اقتصاد الكيان الصهيوني نشأ وتطور في ظروف خاصة . إلا أنه ارتبط منذ البدء باقتصاد البرجوازيات الغربية ، ونشأ في رحمها ، واعتمد عليها اعتمادا كاملًا بدءًا من الطاقة البشرية ، والخبرة الفنية ، والتمويل ، والقروض والهبات ، وانتهاء بتجارة الصادر والوارد والاتفاقيات والمعاهدات الاقتصادية المحابية . ولذلك ظهر وكأنه امتداد لاقتصاد تلك البرجوازيات أو كأنه طليعة ونموذج لها في المشرق العربي .

وحيث إن وجود الاحتلال الصهيوني اعتمد في الأصل على تدفق الهجرة ، فقد حرص منذ البدء على رفع مستوى معيشة القادمين ، ومستويات أجورهم إلى مايقرب من مستوى الدول التي جاءوا منها ، حتى لا يشعروا بالغبن من المجيء فتغريهم على البقاء ، وتغري غيرهم باللحاق بهم . وكان ذلك يتم على حساب الأرصدة التي تجمعها الحركة الصهيونية وتخصصها لهذه الغاية .

ولما كانت فلسطين جزءا من البلاد النامية ، ذات مستوى المعيشة والأجور المنخفضة بالقياس إلى الدول العربية ، فقد ظهرت فجوة – مع وجود الكيان الصهيوني وتطوره – في مستوى المعيشة وفي معدلات الأجور تزيد على الضعف . وقد بلغت هذه الفجوة في سنة ١٩٧١م بين الضفة الغربية وفلسطين المحتلة نسبة ١ : ٣(١٨٢) .

ومما لا شك فيه أن الضفة الغربية وقطاع غزة تأثرتا بعد الاحتلال بعض التأثر بالاقتصاد الصهيوني ، فارتفعت الأسعار لارتفاع الضرائب ، وزادت الأجور لزيادة الطلب على العمل ، خاصة أن بعد توجه قسم من سكان المنطقتين (الضفة والقطاع) للعمل في فلسطين المحتلة بأجور تقع في معدل وسط بين المستويين . وقد أخذت الأجور

تتزايد خلال عهد الاحتلال ، بسبب استمرار انخفاض سعر الليرة الإسرائيلية بالقياس إلى الدينار الأردني ، وبالتالي استمرار ارتفاع الأسعار .

وقد أدى تخفيض سعر تحويل العملة الإسرائيليةباستمرار إلى ضعف الثقة بالليرة ، وإلى اكتناز الدينار ولذلك وجد سعران للتحويل : السعر الرسمي والسعر الحر . وبعد أن كان سعر التحويل في يوليه / تموز ١٩٦٧م (٩,٨ ، ٩,٩٧) ليرة إسرائيلية للدينار الواحد انخفض إلى ١٥ ، ٢٠ ليرة في ديسمبر / كانون الأول ١٩٧٤م ، أي أن سعر الدينار زاد بنسبة ٨٠٪ رسميا ، و ١٠٠٪ بالسعر الحر ، واستمر انخفاض سعر الليرة بعد ذلك بشكل سريع حتى بلغ ٧٥٠ ليرة (أو ٧٥ شيكل) للدينار الواحد في صيف ١٩٨٢م ، أي أنها انخفضت نحو ٨٠ مرة في ١٥ سنة . ثم وقع الانخفاض شبه المنتظم إلى أن بلغ سعر التحويل ٤٢ شيكل أو ٤٢ ألف ليرة للدينار الواحد في صيف ١٩٨٦م ، وهذا يعني أن سعر تحويل العملة الإسرائيلية انخفض بالنسبة للدينار الأردني (٤٣٠٠) مرة خلال فترة ٢٠ سنة من الاحتلال (١٩٦٧ - ١٩٨٦م) .

وبطبيعة الحال كان يتبع كل تخفيض في سعر العملة ارتفاع مماثل في أسعار السلع مباشرة ، إذ قدر أن الأسعار ارتفعت بمعدل ٢٠ إلى ٢٥٪ سنويا في أوائل السبعينات ، وقد بلغت هذه النسبة ٤٠٪ في عام ١٩٧٧م وحده . وقدر أيضا أن تكاليف الحياة ارتفعت بنسبة ١١٧٣,٥٪ في عام ١٩٨٣م بالقياس إلى عام ١٩٨٠م[١٨٣] ، وكان من المفروض أن يتبع ذلك ارتفاع مشابه في الأجور والرواتب . ولكن ما حدث فعلًا أن الرواتب والأجور كانت تزيد أيضا ، ولكن بنسبة تقل عن نسبة تزايد الأسعار وعن نسبة تخفيض العملة . وهنا تكمن الحكمة من تلك التخفيضات الكبيرة والمستمرة وهي تعويض الفروق للدولة . وقد أدى هذا إلى تناقص مستمر في القيم الفعلية لدخول الناس ، حتى وصل الأمر في كل المناطق المحتلة في عام ١٩٨٦م إلى حدوث حالة من البؤس .

الهوامش

١ – محمد أديب العامري ؛ عروبة فلسطين في التاريخ ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ص ٤٣ – ٤٦ .

٢ – فيليب حتى ؛ لبنان في التاريخ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٥٩م ، ص ٧٤ .

٣ – فيليب حتى ؛ تاريخ العرب المطول ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٩م ، ص ٣ .

4- Martin Noth; The History of Israel Adam and Charles Black, London, 1960, P. 24.

5- W.F Albright; The Archaeology of Palestine, Penguin Books, Baltimore, USA, 1961, P. 180.

٦ – جيمس بريستد ؛ العصور القديمة ، ترجمة داود قربان ، بيروت ، ١٩٢٦م ، ص ١٣٢ .

٧ – نفس المرجع ، ص ١٣٢ .

8- K.M. Kenyon; Digging up Jericho, Benn Ltd., London, 1927, PP. 258-259.

٩ – البلاذري ؛ فتوح البلدان . مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ص ١١٥ – ١١٧ .

١٠ – محمد السيد غلاب وآخرون ؛ البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، الرياض ، ١٩٧٩م ، ص ص ١٥٦ – ١٥٨ .

١١ – نفس المرجع .

١٢ – إسماعيل ياغي ؛ الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني ، الرياض ، ١٩٨٦م ، ص ٧ .

١٣ – فايز صايغ ؛ الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، ترجمة عبد الوهاب كيالي ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ٣ .

14- Jerry Hale; Diaspora Versus Ghorba, The Territorial Restructuring of Palestine, in: Tension Area of the World, P. 13.

١٥ – إسماعيل ياغي ؛ المرجع السابق ، ص ١١ ، ١٢ .

١٦ – محمد طلعت الغنيمي ؛ قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الإسكندرية ، ١٩٧٦م ، ص ١٩ ، ٢٠ .

١٧ – أكرم زعيتر ؛ القضية الفلسطينية ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٥م ، ص ٢٨٨ .

١٨ – السيد رجب حراز ؛ صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ٤٠ .

١٩ – إبراهيم أبو لغد ؛ تهويد فلسطين . ترجمة أسعد رزوق ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ٣٢ .
٢٠ – وزارة الإرشاد القومي المصرية ، الهيئة العامة للاستعلامات ؛ ملحق وثائق فلسطين ، الجزء الأول ، ص ٥٧ .
٢١ – محمد عبد الرحمن حسين ؛ العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، (بدون تاريخ) ، ص ١٥٣ .
٢٢ – إسماعيل ياغي ؛ المرجع السابق ، ص ٣٦ .
٢٣ – حسن صبري الخولي ؛ سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ص ٤٣٤ – ٤٣٦ .
٢٤ – شفيق أرشيدات ؛ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، بيروت ، ١٩٦١م ، ص ص ٢٥٣ – ٢٥٦ .
٢٥ – أكرم زعيتر ؛ المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

26- Jerry, Hale; Op. cit, P. 15.
27- Ibid. P. 16.

٢٨ – سعيد الصباغ ؛ خريطة فلسطين ، ١ : ٢٥٠٠٠٠ ، بيروت : مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية .
٢٩ – عبد الرحمن صادق الشريف ؛ ما طرأ على حدود فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى ، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد الرابع ، الرياض ، ١٩٨٤م ، ص ص ٣٥٥ – ٣٨٨ .
٣٠ – كامل محمود خلة ؛ فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ – ١٩٣٩م ، بيروت : مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٤م ، ص ٨٤ ، ٨٦ .
٣١ – الهيئة العربية العليا لفلسطين ؛ كارثة اغتصاب المياه العربية ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ص ١٣ – ١٥ .
٣٢ – محمود توفيق محمود ؛ الجغرافيا السياسية لإسرائيل ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧م ، ص ٩٣ .
٣٣ – محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون ؛ الوطن العربي : سكانه وموارده ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ص ١٧ – ٢٠ .
٣٤ – إبراهيم شريف؛ نهر الأردن ومشاريع الري ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٢م ، ص ص ٨ – ١٧ .
٣٥ – المرجع نفسه ، ص ص ٢٣ – ٢٥ .

٣٦ – جيمس هدسون ؛ جغرافية فلسطين المحتلة ١٩٤٨ – ١٩٦٧م ، بيروت : مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٩م ، ص ٢٢ .

٣٧ – صلاح الدين البحيري ؛ أرض فلسطين : طبيعتها وحيازتها واستعمالاتها ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ١١ .

٣٨ – المنظمة العربية للتنمية الزراعية ؛ المناخ الزراعي في الوطن العربي (فلسطين) ، الخرطوم ، ١٩٧٦م ، ص ٦١ .

٣٩ – المرجع نفسه ، ص ٩١ ، ٩٢ .

٤٠ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ٤١ .

٤١ – إبراهيم شريف ؛ مرجع سابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

٤٢ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ٤٨ .

٤٣ – محمد إبراهيم حسن ؛ الوطن العربي ، الإسكندرية ، ص ٤٦ .

٤٤ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ٤٩ .

٤٥ – المرجع نفسه ، ص ٥١ .

٤٦ – محمد إبراهيم حسن ، مرجع سابق ، ص ٢٨ . وكذلك : Fisher; The Middle East, P. 64.

٤٧ – محمد صحبي عبد الحكيم وآخرون ؛ مرجع سابق ، ص ٨٤ .

٤٨ – صلاح الدين البحيري ؛ مرجع سابق ، ص ٢٦ .

٤٩ – محمود توفيق محمود ؛ مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

٥٠ – مصطفى مراد الدباغ ؛ بلادنا فلسطين ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ١٩٦٥م ، ص ٢٨ .

٥١ – المرجع نفسه ، ص ٩٧ .

٥٢ – حسن عبد القادر صالح ؛ سكان فلسطين ديمغرافيا وجغرافيا ، ١٩٨٥م ، ص ٢١ .

٥٣ – المرجع نفسه ، ص ٢٧ – ٢٩ .

٥٤ – منظمة التحرير الفلسطينية ، المكتب المركزي للإحصاء ؛ المجموعة الإحصائية الفلسطينية ، العدد الرابع ، دمشق ، ١٩٨٢م ، ص ٣٢ .

٥٥ – المرجع نفسه ، ص ٥٨ ، ١٤٦ .

٥٦ – المرجع المذكور ونفس المكان ؛ وحسن صالح ؛ نفس المرجع والمكان .

٥٧ – المرجع نفسه ، ص ١١ .

٥٨ – حسن عبد القادر صالح ؛ مرجع سابق ، ص ٥٥ .

٥٩ – المكتب المركزي للإحصاء ؛ مرجع سابق ، ص ١٢ .

٦٠ – حسبت هذه المعدلات من واقع الأرقام المطلقة الواردة في المرجع التالي :

- The Europa Yearbook, 1985, Vol. 2, P. 1868.

61- Ibid.

62- Ibid.

٦٣ – حسن عبد القادر صالح ؛ المرجع نفسه ، ص ٧٥ .

64- Jerry Hale; Op. Cit. P. 4.

65- The Europa Yearbook, Op. Cit., P. 1867.

٦٦ – حسن عبد القادر صالح ؛ مرجع سابق ، ص ٨١ .

٦٧ – محمد عبد الرحمن حسين ؛ مرجع سابق ، ص ٤٨ ، ٤٩ ؛ وكذلك :

محمد السيد غلاب ؛ سكان فلسطين ودراسة تاريخهم الجنسي ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد رقم ٥ ، ١٩٥٦م .

٦٨ – محمد عبد الرحمن حسين ؛ مرجع سابق ، ص ٥٠ ، ٥١ .

٦٩ – جميع الأرقام الخاصة بعام ١٩٨٣ م مأخوذة من المصدر التالي :

- U.N; Demographic Yearbook, 1984, PP. 176-204.

٧٠ – حسن عبد القادر صالح ؛ مرجع سابق ، ص ٨٣ – ٨٩ .

٧١ – المرجع السابق ؛ ص ٨٨ ، ٨٩ .

٧٢ – المكتب المركزي للإحصاء؛ النشرة الإحصائية الصناعية للضفة الغربية وقطاع غزة ، دمشق ١٩٨٦م ، ص ١٣ .

٧٣ – حسن عبد القادر صالح ؛ مرجع سابق ، ص ٩١ .

74- The Europa Yearbook, Op. Cit P. 1968.

٧٥ – المكتب المركزي للإحصاء (١٩٨٦م) ؛ مرجع سابق .

٧٦ – المرجع السابق ، الجدول ١ / ٥ / أ .

٧٧ – المكتب المركزي للإحصاء (١٩٨٦م) ؛ مرجع سابق . الجدول ١ / ٥ / ب .

78- J, Hale.; Op. Cit, P. 4-5.

79- U.N., Op. Cit. P. 176, and Europa Pubication, The Middle East and North Africa U.K. 1986, PP. 449-486.

٨٠ – المكتب المركزي للإحصاء (١٩٨٢م) ؛ مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

٨١ – حسن عبد القادر صالح ؛ مرجع سابق ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

٨٢ – هيئة الموسوعة الفلسطينية ؛ الموسوعة الفلسطينية ، المجلد ٣ ، دمشق ، ١٩٨٤م ، ص ص ٥٠٨ – ٥١٦ .

٨٣ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ٢٠ .

84- The Europa Yearbook, 1985, P. 1868.

٨٥ – مصطفى مراد ؛ مرجع سابق ، ص ٢٤٨ .

٨٦ – المرجع السابق ؛ ص ١٩٣ ، ١٩٥ .

87- The Europa Yearbook; 1980, Vol. 1, P. 570 and 1985, P. 1868.

٨٨ – الموسوعة الفلسطينية ؛ المجلد ٢ ، ص ٢٩٨ ، ٣٠٦ .

٨٩ – مصطفى مراد الدباغ ؛ مرجع سابق ، ص ١٩٣ .

٩٠ – الموسوعة الفلسطينية ؛ المجلد ٢ ، ص ص ٢٩٠ – ٢٩٦ .

٩١ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ١٧ ، ١٨ .

٩٢ – مصطفى مراد الدباغ : مرجع سابق ، ص ٢٧١ .

٩٣ – الموسوعة الفلسطينية ؛ المجلد ٤ ، ص ص ٦٠٧ – ٦١٦ .

94- The Europa Yearbook, (1985), P. 1868.

٩٥ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ص ١٣ – ١٥ .

٩٦ – الموسوعة الفلسطينية ؛ المجلد الرابع ، ص ص ٤١٥ – ٤١٩ .

٩٧ – مصطفى الدباغ ؛ مرجع سابق ، ص ٢١٧ .

٩٨ – الموسوعة الفلسطينية ؛ المجلد الثالث ، ص ٣٨٩ – ٣٩٣ .

٩٩ – مصطفى الدباغ ؛ مرجع سابق ، الجزء الأول ، ق ٢ .

١٠٠ – الموسوعة الفلسطينية ؛ نفس المكان .

١٠١ – الموسوعة الفلسطينية ؛ المجلد ٢ ، ص ٣٥٢ – ٣٥٥ .

١٠٢ – مصطفى مراد الدباغ ؛ مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ق ٢ .

١٠٣ – المملكة الأردنية الهاشمية ، دائرة الإحصاءات العامة ؛ التعداد العام الأول للسكان والمساكن ١٩٦١م .

104- Jerry Hale; Op. Cit., P. 17-18.

١٠٥ – خليل أبو رجيلة ؛ الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة ، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفسلطينية ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص ١٥ .

١٠٦ – المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

107- Jerry Hale; Op. Cit P. 18.

108- The Europa Yearbook, (1985), P. 1869' and (1982) PP. 584-590.

١٠٩ – خليل أبو رجيلة ؛ مرجع سابق ، ص ٢٢١ .
١١٠ – وديع شرايحة ؛ التنمية الاقتصادية في الأردن ، القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨م ، ص ص ١٣٦ – ١٧٧ .
١١١ – المرجعان السابقان ونفس الأمكنة .
١١٢ – الجمعية العلمية الملكية ، دائرة الأبحاث الاقتصادية : اقتصاديات المناطق المحتلة ، عمان ، ١٩٧٥م ، ص ٣ .
– والمكتب المركزي للإحصاء (١٩٨٢م) ، مرجع سابق ، ص ١٩ .
١١٣ – الجمعية العلمية الملكية ، دائرة الأبحاث الاقتصادية ؛ انعكاسات الإجراءات الاقتصادية الإسرائيلية ، ١٩٧٧م ، ص ٣ .
١١٤ – المرجع السابق ، ص ٣ .
١١٥ – المجموعة الإحصائية الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص ٩٨ .
١١٦ – نفس المرجع ، ص ٢٢ ، ١١٦ .
١١٧ – سعيد حمادة ؛ النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ، ١٩٣٩م ، ص ٥٣١ .
١١٨ – يوسف مجلي ؛ مرجع سابق ، ص ص ٨١ – ٨٦ .
١١٩ – يوسف صايغ ؛ الاقتصاد الإسرائيلي ، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ص ص ٩٣ – ١٢٦ .
١٢٠ – حسين أبو النمل ؛ الصناعة الإسرائيلية ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٣٠ ، ٣١ .
١٢١ – المرجع نفسه ؛ ص ص ٣٠ – ٣١ .
١٢٢ – المرجع نفسه ؛ ص ص ٥٠ – ٦٠ .
١٢٣ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ٢٨ .
١٢٤ – حسين أبو النمل ؛ مرجع سابق ، ص ص ٧٦ – ٨٤ .
١٢٥ – الكتاب السنوي لإحصائيات العمل لعام ١٩٧٧م ، مكتب العمل الدولي ، جنيف ، سويسرا .
١٢٦ – المكتب المركزي للإحصاء ؛ النشرة الإحصائية الصناعية للضفة الغربية وقطاع غزة ؛ ص ١٩– ٢٠ .
١٢٧ – الجمعية العلمية الملكية ؛ انعكاس الإجراءات الاقتصادية الإسرائيلية (١٩٧٧) ، مرجع سابق ، ص ٢١ ، ٢٢ ؛ والمكتب المركزي للإحصاء ، المرجع السابق .

١٢٨ – المكتب المركزي للإحصاء ؛ المرجع السابق .

129- The Europa Yearbook, Op. Cit., P. 1968.

١٣٠ – حسين أبو النمل ؛ مرجع سابق ، ص ص ١٢١ – ١٢٤ .

١٣١ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ص ٣٩ – ٤٠ .

١٣٢ – وزارة الثقافة والإعلام ؛ دائرة المطبوعات والنشر : الأردن في خمسين عاما ١٩٢١ – ١٩٧١م .

133- The Europa Yearbook, 1985, Vol. 2., P. 1867. and 1982 P. 576.

١٣٤ – الجمعية العلمية الملكية (١٩٧٥م) ؛ مرجع سابق ، ص ٢٦ .

١٣٥ – الجمعية العلمية الملكية (١٩٧٧م) ؛ مرجع سابق ، ص ١٤ .

١٣٦ – حسين أبو النمل ؛ مرجع سابق ، ص ٢٤ و. The Europa Yearbook, (1985), P. 1867

١٣٧ – المرجع السابق ؛ ص ٢٥ .

١٣٨ – حسن عبد القادر صالح ؛ مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

١٣٩ – إلياس سعد ؛ الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ص ١٤ – ١٦ .

١٤٠ – محمد عبد الرؤوف سليم ؛ نشاط الوكالة اليهودية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص ١١٤ .

١٤١ – المرجع نفسه ؛ ص ص ١٥٧ – ١٦١ .

١٤٢ – المرجع نفسه ؛ ص ٢٣٤ .

١٤٣ – حسن عبد القادر صالح ؛ مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

١٤٤ – إلياس سعيد ؛ مرجع سابق ، ص ص ٤٧ – ٩٨ .

١٤٥ – المرجع نفسه ؛ ص ص ٤٧ – ٩٨ .

١٤٦ – حسن عبد القادر صالح ؛ مرجع سابق ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

١٤٧ – عبد الرحمن أبو عرفة : الاستيطان والتطبيق العملي للصهيونية ، دار الجليل ، عمان ، ١٩٨٦م ، ص ١٧ .

١٤٨ – محمد عبد الرؤوف سليم ؛ مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

١٤٩ – صبري جريس ؛ العرب في إسرائيل ، ص ص ١٣١ – ١٣٢ .

١٥٠ – محمد عبد الرؤوف سليم ؛ مرجع سابق ٢٤٢ .

١٥١ – المرجع نفسه ، ص ٢٤٦ .

١٥٢ – محمد عبد الرحمن حسين ؛ مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

١٥٣ – محمد عبد الرؤوف سليم ؛ مرجع سابق ، ص ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

١٥٤ – المرجع السابق ، ص ص ٢٥٠ – ٢٥٤ .

١٥٥ – صبري جريس ؛ مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

١٥٦ – عبد الرحمن أبو عرفة ؛ مرجع سابق ، ص ١٨ – ١٩ .

١٥٧ – صبري جريس ؛ مرجع سابق ، ص ص ١٣٥ – ١٣٧ .

١٥٨ – عبد الرحمن أبو عرفة ؛ مرجع سابق ، ص ٢٢ .

١٥٩ – المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

١٦٠ – المرجع السابق ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

١٦١ – محمد عبد الرؤوف سليم ؛ مرجع سابق ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

١٦٢ – عبد الرحمن أبو عرفة ؛ مرجع سابق ، ص ص ١٣٢ – ١٣٥ .

١٦٣ – المرجع نفسه ، ص ١٣٨ ، ١٤٠ .

164- The Europa Yearbook (1985), P. 1868.

١٦٥ – خيرية قاسمية ؛ مرجع سابق ، ص ص ٢٣ – ٢٥ .

١٦٦ – وليد الجعفري ؛ المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ، (١٩٦٧ – ١٩٨٠م) ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٨٠م ، المقدمة .

١٦٧ – وليد الجعفري ؛ نفس المرجع والمكان ، وعبد الرحمن أبو عرفة ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٦ – ١٦٢ .

١٦٨ – عبد الرحمن أبو عرفة ؛ مرجع سابق ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ .

١٦٩ – المرجع نفسه ، ص ص ١٩٠ – ٢٢٤ .

١٧٠ – المرجع نفسه ، ص ١٦٦ – ١٧٤ .

١٧١ – إبراهيم شريف ؛ نهر الأردن ومشاريع الري ، ص ص ٨٧ – ١٠٥ .

١٧٢ – يوسف مجلي ؛ فلسطين والمظهر الجغرافي لمشكلتها ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

١٧٣ – مصطفى الدباغ ؛ مرجع سابق ، القسم الأول ، ص ص ٨٣ – ٩١ .

١٧٤ – يوسف مجلي ؛ نفس المرجع والمكان ، وكذلك : The Europa Yearbook, Op. Cit. P. 1869.

١٧٥ – حسين أبو النمل ؛ مرجع سابق ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

١٧٦ – المرجع نفسه .

١٧٧ – المرجع نفسه ص ص ٣٤ – ٣٩ وكذلك .The Europa Yearbook (1984)

١٧٨ – المجموعة الإحصائية لسنة ١٩٧٨م ، ص ٢٢٣ ، ولسنة ١٩٧٥م ، ص ١٩٩ .

١٧٩ – جيمس هدسون ؛ مرجع سابق ، ص ٢٥ .

١٨٠ – حسين أبو النمل ؛ مرجع سابق ، ص ٤٢ .

١٨١ – وزارة الإعلام الأردنية ؛ الاقتصاد الأردني حجمه ونموه ، ١٩٦٦م ، رقم ٦ .

١٨٢ – الجمعية العلمية الملكية؛ (١٩٧٥م) ، ص ٧ .

183- The Europa Yearbook (1985), Op. Cit P. 1870.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

– إبراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين ، ترجمة أسعد رزوق ، بيروت ١٩٧٢م .

– إبراهيم شحاتة : الحدود الآمنة والمعترف بها ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٤م .

– إبراهيم شريف : نهر الأردن ومشاريع الري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٢م .

– أحمد إسماعيل ياغي : الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٩٨٦م .

– أحمد عبد الغفور : عروبة فلسطين والقدس أصيلة منذ عشرات الآلاف من السنين ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ١٩٧٤م .

– أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥م .

– البلاذري : فتوح البلدان ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

– السيد رجب : صفحات من تاريخ الصهيونية وإسرائيل ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

– السيد ياسين ، وعلي الدين هلال : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين (١٨٨٢ – ١٩٧٣م) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

– إلياس سعد : دراسات فلسطينية ، الهجرة اليهودية إلى فلسطين (م . ت . ف) ، بيروت : مركز الأبحاث ١٩٦٩م .

– بسام الساكت وآخرون : الاحتلال واستعمار إسرائيل للأراضي العربية ، الدائرة الاقتصادية بالجمعية العلمية الملكية ، عمان ١٩٨٣م .

– تيسير النابلسي : حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧م ، مركز الأبحاث (م . ت . ف) بيروت ١٩٧١م .

– جانيت أبو لغد : الطبيعة الديمغرافية للشعب الفلسطيني ، ترجمة زياد الحسيني ، جمعية الدراسات العربية ، القدس ، ١٩٨٢م .
– جريس صبري : العرب في إسرائيل ، ط ٢ ، مركز الأبحاث ، (م . ت . ف) ، بيروت ١٩٦٧م .
– جيمس برستد : ترجمة داود قربان ، العصور القديمة ، المطبعة الأمريكية ، بيروت ١٩٢٦م .
– جيمس هدسون : جغرافية فلسطين المحتلة ، ١٩٤٨ – ١٩٦٧م . بيروت ، مركز الأبحاث ، (م . ت . ف) ، ١٩٦٩م .
– حبيب قهوجي : عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م : انتماء وصمود ، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ، دمشق ١٩٧٦م .
– حسن صبري الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين ، المجلد الأول ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ – ١٩٧٢م .
– حسن عبد القادر صالح : سكان فلسطين ديمغرافيا وجغرافيا ، دار الشروق ، عمان ١٩٨٥م .
– حسين أبو النمل : الصناعة الإسرائيلية ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨١م .
– خليل أبو رجيلى : الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة ، مركز الأبحاث في منظمة التحرير ، بيروت ، ١٩٧٠م .
– خليل السواجيدي : الفلسطينيون والتهجير القسري والرعاية الاجتماعية ، سلسلة دراسات صامد الاقتصادي ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٦م .
– خيرية قاسمية وآخرون : المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
– سامي هنداوي : الحصار المر ، فلسطين بين عامي ١٩١٤ ، ١٩٧٩م ، ترجمة فخري يغمور ، منشورات رابطة الجامعيين في محافظة الخليل ، عمان ١٩٨٢م .
– سعيد الصباغ ، خريطة فلسطين ، مقياس رسم ١ : ٢٥٠٠٠٠ ، الناشر ، مركز

الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .
– سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ١٩٣٩م .
– شفيق الرشيدات ، فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ، بيروت ١٩٦١م .
– صلاح الدين البحيري : أرض فلسطين والأردن : طبيعتها وحيازتها واستعمالاتها ، القاهرة ، ١٩٧١م .
– عبد الرحمن أبو عرفة : الاستيطان والتطبيق العملي للصهيونية ، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ، عمان ، ١٩٨٦م .
– عبد الرحمن الشريف ، ما طرأ على حدود فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى : بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، المجلد ٤ ، ص ص ٣٥٥ – ٣٨٨ ، الرياض ١٩٨٤م .
– عبد المؤمن علي : بعض الخصائص الديمغرافية لسكان فلسطين وتوزيعاتهم المختلفة ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، الأردن ١٩– ٢٤/ ٤ / ١٩٨٠م .
– عزت جرادات : المستوطنات الصهيونية في الضفة الغربية ، مكتب المؤتمر الإسلامي العام لبيت المقدس في عمان (١٩٨٢م).
– غازي السعدون وآخرون : الكتاب السنوي ١٩٨٢م ، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة ، دار الجليل للنشر ، عمان ١٩٨٣م .
– فايز صايغ : الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، ترجمة عبد الوهاب كيالي ، ط ١ بيروت : منظمة التحرير : ١٩٦٥م .
– فيليب حتى : لبنان في التاريخ . ترجمة أنيس فريحة ، مراجعة نقولا زيادة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٩م .
– فيليب حتى إدوار جرجي وجبرائيل جبور : تاريخ العرب المطول (الجزء ١) ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٦١م .
– قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، مركز الأبحاث بمنظمة التحرير ، بيروت ١٩٦٩م .

- كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ - ١٩٣٩م ، مركز الأبحاث بمنظمة التحرير ، بيروت ، ١٩٧٤م .
- محمد إبراهيم حسن : الوطن العربي ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .
- محمد أديب العامري : عروبة فلسطين في التاريخ ، بيروت ١٩٧٢م .
- محمد السيد غلاب وآخرون : البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ، الرياض ١٩٧٩م .
- محمد حافظ : المشكلة الفلسطينية على ضوء القانون الدولي .
- محمد صبحي عبد الحكيم وآخرون : الوطن العربي أرضه وسكانه وموارده ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦م .
- محمد طلعت غنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الإسكندرية ١٩٧٦م .
- محمد عبد الرحمن حسين : العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، بدون تاريخ .
- محمد عبد الرؤوف سليم : نشاط الوكالة اليهودية لفلسطين منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل ١٩٢٢ - ١٩٤٨م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٢م .
- محمد توفيق محمود : الجغرافيا السياسية لإسرائيل - معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، (تسعة أجزاء) ، طباعة رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل ، بيروت ١٩٦٥م .
- وديع شرايحه : التنمية الاقتصادية في الأردن ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨م .
- وليد جعفري : المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة (١٩٦٧ - ١٩٨٠م) ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٨١م .
- يوسف صايغ : الاقتصاد الإسرائيلي ، مركز الأبحاث ، (م.ت.ف)، بيروت ١٩٦٦م .

- يوسف مجلي : فلسطين والمظهر الجغرافي لمشكلتها ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٤٩م .

ثانيًا : التقارير والنشرات الإحصائية والخرائط :

- الأمم المتحدة : المستوطنات الإسرائيلية في غزة والضفة الغربية بما في ذلك القدس ، طبيعتها والهدف منها ، نيويورك ، ١٩٨٢م .
- الجمعية العلمية الملكية : دائرة الأبحاث الاقتصادية ، انعكاسات الإجراءات الاقتصادية الإسرائيلية ، عمان ، تشرين ١٩٧٧م .
- الجمعية العلمية الملكية (بالأردن) : دائرة الأبحاث الاقتصادية ، اقتصاديات المناطق المحتلة ، عمان ، آيار ١٩٧٥م .
- دائرة الإحصاءات العامة (الأردن) : التعداد العام الأول للسكان والمساكن ، ١٩٦١م ، عمان ١٩٦٤م .
- دائرة الإحصاءات العامة (الأردن) : الاقتصاد الأردني ، الدراسة الصناعية لعام ١٩٦٥م ، عمان ، تموز ١٩٦٧م .
- دائرة الإحصاءات العامة (الأردن) : حسابات الدخل القومي ، ١٩٦٧ - ١٩٦٩م .
- دائرة الإحصاءات العامة (الأردن) : دراسة الهجرة الداخلية والعد الشامل لمدن عمان والقدس في ١ / ٦ / ١٩٦٧م .
- دائرة الإحصاءات العامة (الأردن) : السكان والعمالة في القطاع الزراعي في عام ١٩٦٧م ، عمان ، آب ١٩٦٨م .
- دائرة الأبحاث في بنك إسرائيل : تقرير عن التطورات الاقتصادية بالضفة الغربية وقطاع غزة بين ١٩٧٠م - ١٩٨٠م ، القدس ١٩٨١م .
- دائرة الأبحاث في وزارة العمل الأردنية : آثار السياسات والممارسات الإسرائيلية على أوضاع العمال العرب في الأراضي العربية المحتلة خلال الربع الأول من عام ١٩٨٤م ، ملحق ١ ، مجلة العمل عدد ٢٥ ، ٢٦ .
- المكتب المركزي للإحصاء ، الدائرة الاقتصادية بمنظمة التحرير الفلسطينية : المجموعة الإحصائية الفلسطينية ، العدد ٤ دمشق ١٩٨٢م .

- المكتب المركزي للإحصاء ، الدائرة الاقتصادية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، النشرة الإحصائية الصناعية للضفة الغربية وقطاع غزة ، العدد الرابع ، ١٩٨٦م .
- المكتب المركزي للإحصاء : الدائرة الاقتصادية (م.ت.ف) النشرة الإحصائية الزراعية للضفة الغربية وقطاع غزة ، العدد الرابع ١٩٨٢م .
- مكتب العمل الدولي : الكتاب السنوي لإحصاءات العمل ، جنيف ، سويسرا ، ١٩٧٧ .
- منشورات فلسطين المحتلة السياسية السكانية العامة لمجتمع الحرب الإسرائيلي ، بيروت ١٩٨١م .
- المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، جامعة الدول العربية ، المناخ الزراعي في الوطن العربي ، فلسطين ، الخرطوم ١٩٧٦م .
- هيئة الموسوعة الفلسطينية : الموسوعة الفلسطينية ٤ مجلدات ، دمشق ١٩٨٤م .
- الهيئة العربية العليا : كارثة اغتصاب المياه العربية ، أيلول ، ١٩٦٤م .
- الهيئة العامة للاستعلامات : ملحق وثائق فلسطين الصادر عن وزارة الإرشاد القومي المصرية ، الجزء الأول ، القاهرة .
- وزراة الثقافة والإعلام: دائرة المطبوعات والنشر، الأردن في خمسين عامًا ١٩٢١ - ١٩٧١م .
- وزارة الإعلام (الأردن) : الاقتصاد الأردني حجمه ونموه ، رقم ٦ سنة ١٩٦٦م .
- وزراة الإعلام (الأردن) : الشؤون البلدية والقروية ، حقائق وأرقام رقم ٩ لسنة ١٩٦٦م .

ثالثا : المراجع غير العربية :

- Albright W.F: The Archaeology of Palestine, Penguin Books. Baltimore, USA, 1961.
- Central Bureau of Statistics, Statistical Abstract of Israel. No 34 (1987).
- The Europa Yearbook, A WorldSurvey 1980, 1981, 1982, 1983, 1984, 1985, London.
- Fisher, W.B.; The Middle East. London and New York, 1956.
-Friedlander, D. and C. Goldscheider; The Population of Israel, New York, 1979.
- Hale, Jerryi, Diaspora Versus Ghorba, The Territorial Restructuring of Palestine, In: Tension Area of The World.
- Karmon,Y.; Israel, A Regional Geography. Wiley Interscience. London, 1971.
- Kenyon, K.M.; Digging up Jericho. Benn Ltd. London, 1957.
- League of Arab States; JewishImmigrationto Palestine 1882-1955.
- EUROPA PUBLICATION; The Middle East and North Africa, U.K. 1986.
- Noth, Martin; The History of Israel, Adam and Charles Black, London, 1960.
- Orni, E. and E. Efran; Geography of Israel, Jerusalem, 1971.
- UN; Statistical Yearbook, 1981-1984, 1986. N.Y.
- UN, Demographic Yearbook, 1984, 1986. New York.

قائمة الجداول

قائمة الأشكال

ملحق إحصائي

« فلسطين »

١ – **المساحة :**	٢٠,٧٧٠ كم٢ .
٢ – **السكان في (١٩٩١) :**	
– حجم السكان .	٤,٤٧٧١٠٥ نسمة .
– معدل نمو السكان .	١,٥٪ .
– معدل المواليد .	٢١ في الألف .
– معدل الوفيات .	٦ في الألف .
– معدل صافي الهجرة .	صفر في الألف .
– معدل وفيات الرضع .	٩ في الألف .
– توقع الحياة عند الولادة .	٧٦ عامًا للذكور و٧٩ عامًا للإناث .
– معدل خصوبة الإناث .	٢,٩ طفلًا للأنثى خلال حياتها .
– التركيب العرقي .	٨٣٪ يهود ، ١٧٪ عرب .
– الوضع التعليمي .	٩٢٪ من السكان يقرأون ويكتبون .
– اللغة الرئيسة .	العبرية ، العربية .
٣ – **القوة العاملة في (١٩٨٤م) :**	
– إجمالي القوة العاملة .	١,٤٠٠,٠٠٠ عامل .
– القوة العاملة في قطاع الخدمات العامة .	٢٩,٣٪ .
– القوة العاملة في قطاع الصناعة والتعدين .	٢٢,٨٪ .
– القوة العاملة في قطاع التجارة .	١٢,٨٪ .
– القوى العاملة في قطاع الأعمال والمال .	٩,٥٪ .

- القوى العاملة في قطاع النقل والتخزين والمواصلات . ٦,٨٪ .
- القوى العاملة في قطاع الأعمال الشخصية والخدمات الأخرى . ٥,٨٪ .
- القوى العاملة في قطاع الزراعة والغابات وصيد الأسماك . ٥٪ .
- القوى العاملة في قطاع الكهرباء والماء . ١٪ .

٤ - **المدن الرئيسة (١٩٨٨) :**

- القدس . ٤٩٣,٥٠٠ نسمة .
- تل أبيب . ٣١٧,٨٠٠ نسمة .
- حيفا . ٢٢٢,٦٠٠ نسمة .
- الخليل . ١٤٦١٠٠ نسمة .
- بتاح تكفا . ١٣٣٦٠٠ نسمة .

٥ - **نسبة الحضر إلى سكان الدولة :** (غير مبين)

٦ - **معدل نمو سكان الحضر :** (غير مبين)

٧ - **الموارد الطبيعية :**

النحاس ، الفوسفات ، البروميد ، البوتاس ، الأسفلت ، المانغنيز ، خام النفط والغاز الطبيعي .

٨ - **مشكلات البيئة الطبيعية :**

العواصف الرملية ، محدودية الأراضي القابلة للزراعة والمياه ، انحسار الغطاء النباتي والشجري .

٩ - **استخدامات الأرض (١٩٩٠) :**

- الأراضي الصالحة للزراعة . ١٧/ .
- الأراضي المزروعة فعلًا . ٥٪ .
- الأراضي الخضراء والمراعي . ٤٠٪ .
- الغابات والأشجار المنتجة للأخشاب . ٦٪ .

- استخدامات أخرى . ٣٢٪ .
- إجمالي الاستخدامات . ١٠٠٪

١٠ - صافي الناتج المحلي (GDP) في (١٩٩٠) :

- صافي الناتج المحلي . ٤٦,٥ بليون دولار .
- إسهام الزراعة في صافي الناتج المحلي . ٥٪ .
- إسهام الصناعة في صافي الناتج المحلي . ٤٠٪ .

١١ - متوسط دخل الفرد السنوي (١٩٩٠) : ١٠,٥٠٠ دولار .

١٢ - معدل التضخم السنوي (١٩٩٠) : ١٨٪ .

١٣ - إنتاج المحصولات الرئيسة بآلاف الأطنان المترية في ١٩٨٨م :

- القمح . ٢١١,٠
- الذرة الشامي . ١٠٥,٣
- البطاطس . ٢١٥,٧
- بذرة القطن . ١٠٣,٩
- القطن . ٦٣,٠
- زيت الزيتون . ٣٩
- الطماطم . ٢٤٥,٣
- التفاح . ١١١,٧
- الموالح . ١٢٧٣,٥
- خضروات أخرى . ٣٩٣

١٤ - الثروة الحيوانية بآلاف الرؤوس في ١٩٨٨ :

- الأبقار . ٣٥٧
- الدواجن . ٢٥٢٤٠
- الأغنام . ٣٩٤
- الماعز . ١٢٥

١٥ - صيد الأسماك بآلاف الأطنان المترية في (١٩٨٧) :

- أسماك المياه العذبة .	١٣,٥
- الأسماك البحرية .	١٣,٤
- الإجمالي .	٢٦,٩

١٦ - استخراج المعادن الرئيسة بآلاف الأطنان المترية في (١٩٧٧) :

- خام النفط .	٢١
- الغاز الطبيعي .	٤١
- الفوسفات (خام) .	٢٥٤٨
- البوتاس .	٢٠٤١

١٧ - أهم المنتجات الصناعية بآلاف الأطنان المترية (مالم يذكر غير ذلك) في ١٩٨م :

- دقيق القمح .	٠٠٥٢٨
- الزيوت النباتية .	٦٩٥٩٧
- الخيوط القطنية .	١٣٥٤٣
- الورق والورق المقوى .	١٧٦٢٩٤
- الإطارات (بالآلاف) .	٥٧٣
- الأمونيا والأمونيا الكبريتية .	١٣٠,٠٠٠
- حامض الكبريتيك .	٣٣,٨٠٤ .
- الغاز السائل .	١٩٧٥١٧
- البويات .	٣٢٢٢٧
- الأسمنت .	٢٣٢٦
- الكهرباء (كيلو واط ساعة) .	١٨٧٦١

١٨ - الصادرات الرئيسة : (١٩٩٠) :

الموالح والفواكه الأخرى ،
المنسوجات ، الأغذية ، الأسمدة ، الماس
الصناعي ، الكيماويات ، المعدات
العسكرية ، والإلكترونيات .

١٩ - الواردات الرئيسة (١٩٩٠) :

خام الماس ، الكيماويات ، الماكينات
والمعدات الثقيلة ، الحديد والحديد الصلب .

٢٠ - النقل والمواصلات (١٩٩٠) :

- أطوال السكك الحديدية . ٥٩٤ (كلم) .
- أطوال الطرق السريعة . ٤٥٠٠ (كلم) .
- أطوال أنابيب النفط . ٧٠٨ (كلم) .
- عدد الهواتف . ١,٨٠٠,٠٠٠
- أهم الموانئ : أشدود ، حيفا وإيلات .

المراجع والمصادر

١ – الآفاق العالمية المتحدة ، (١٩٩١) المعلومات ، ط ١ . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي .

٢ – صندوق النقد العربي ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، (١٩٩٠) : التقرير الاقتصادي العربي الموحد .

3 - The Middle East and North Africa, (1991): 37 th Edition, London: Europa Publications Ltd.

4- The World Factbook, (1991): Central Intelligence Agency. Washington, DC.

5 - The World Bank, (1990): Social Indicators of Development, London: The John Hopkins University Press.

6 - Department of International Economic and Social Affaurs of the U.N., (1990): World Population Charter, New York.

7 - Brian, Hunter: The Statesman's Year Book- Statistical and Historical Annual of the States of the World for the Year 1992-1993.

الجمهورية اللبنانية

ا. د. جودة حسنين جودة

المحتويـــــات

الموضوع	الصفحة

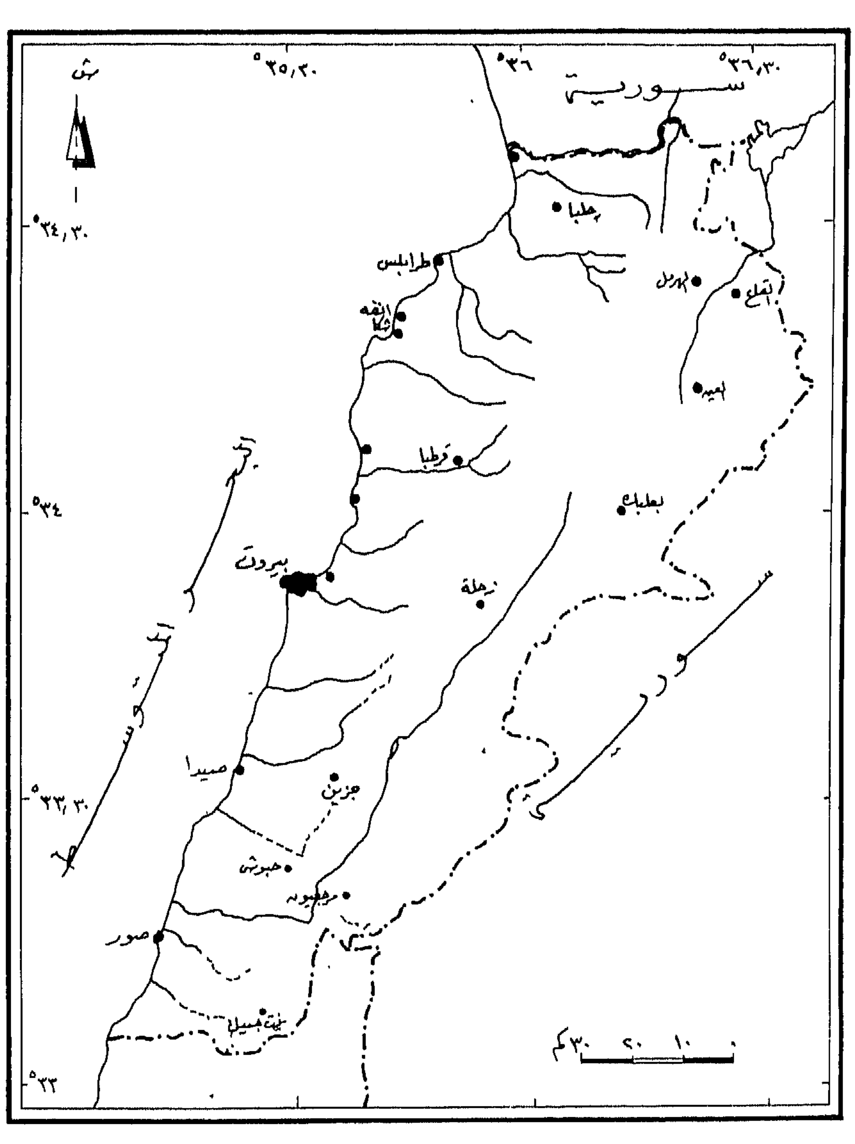
الموقع الجغرافي

يقع لبنان في غربي قارة آسيا ، بين دائرتي العرض ١٠َ ٣٣° ، ٣٥َ ٣٤° شمالًا ، وبين خطي طول ١٥َ ٣٥° ، ٣٠َ ٣٦° شرقًا . ويطل على الساحل الشرقي للبحر المتوسط . ولبنان جمهورية صغيرة تبلغ مساحتها نحو ١٠٤٠٠ كم٢ . وهي تمتد في نطاق مستطيل الشكل يبلغ طوله في المتوسط ٢١٠ كم ، بينما يتراوح عرضه بين ٢٥ و ٥٠ كم . وتحيط بجمهورية لبنان سورية من جهات الشمال والشرق والجنوب الشرقي ، وفلسطين من الجنوب .

ولقد ارتبط تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ارتباطًا قويًّا بموقعه الجغرافي . فهو يطل بجبهة طويلة على البحر المتوسط ، ويقع في مركز متوسط بين الأقطار التي كانت مهدًا للحضارة ، وعند ملتقى ومفترق الطرق العالمية . وهو جزء من الطرق الدولية التي كانت وما تزال تصل بين قارات العالم القديم الثلاث . وكان لهذا الموقع الفريد أثره البعيد المدى في تشكيل تاريخ لبنان .

وقد كان البحر المتوسط أول طريق بحري تجري فيه تجارات الشعوب المتحضرة ، وتتبادل بلدان سواحله السلع والمنافع المادية والثقافية . وكان لبنان يتوسط أراضي الشعوب التي أنشأت الحضارة الأولى ، واستوطنت وادي النيل في مصر من جهة ، وبلاد الرافدين من جهة أخرى . ويمتد لبنان على شكل ممر بين البحر الذي أعطاه الكثير ، وبين سهول سورية التي تنتهي إلى الصحراء . وكانت تتاخمه في الشمال مواطن الحيثيين ، وتلامسه في الجنوب أرض فلسطين مهبط الديانة اليهودية ثم النصرانية . وهكذا صار لبنان بقعة تحتك فيها الحضارات وتتبادل ، وتتفاعل فيها الأفكار وتتغير ، ومركزًا للاتصال بالعالم الخارجي ، وملتقى للتجارة ، وميدانًا لصراع القوى (شكل / ١) .

وقد كان الشعب الكنعاني السامي ، أقدم شعب استوطن لبنان[1] . وهو الذي



شكل - ١ - الموقع

أسس الحضارة الكنعانية أو الفينيقية . ولفظ فينيقية لفظ إغريقي أطلقه الإغريق على جماعة الكنعانيين الذين كانوا يتجرون معهم . وحضارة كنعان أساس قامت عليه الحضارة العبرية في فلسطين ، والحضارة الآرامية في سورية . وكانت فينيقية عبارة عن مدن مستقلة في الحكم والإدارة مما جعل البلاد مجزأة إلى مجموعات شبه قومية تشعر بالاستقلال ، وبالاكتفاء الذاتي حتى يومنا هذا . ويرجع ذلك إلى طبيعة أرض لبنان حيث الجبل والوادي يفصلان بين مختلف سكانه ويجعلان منهم وحدات منعزلة .

وكانت أرض لبنان منذ أقدم عصور التاريخ بقعة تستهوي وتجذب إليها سيلا من المهاجرين من شعوب البحر المتوسط ، والشعوب السامية والهندية والجرمانية (الفارسية والرومية) . وكانت بمثابة جسر يربط بين أجزاء عظيمة من الأرض ذات أهمية كبيرة ، وفي الوقت ذاته كانت ملجأ يعزل هذه الجماعات ويحميها . وتَمَثَّل الجسرُ في السهل الساحلي وسهل البقاع ، أما الملجأ والملاذ فكان ذُرى لبنان وشواهقه . وكانت فينيقية في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد جسرًا حرًّا تمر عليه السلع المصرية في طريقها إلى بابل ، والبضائع البابلية في طريقها إلى مصر ، ولم يقتصر الأمر على السلع المادية بل تعداها إلى انتقال الأفكار والتيارات الحضارية .

وقد أنشأ الفينيقيون على شواطىء البحر المتوسط الشمالية والجنوبية مستعمرات كانت لهم مراكز إشعاع حضاري . وكانت « قرطاجة » ربيبة « صور » ومنافسة روما في السيطرة على أواسط البحر المتوسط مُرتكزهم على ساحله الجنوبي . وقد صنع الفينيقيون مراكب من خشب الأرز ، واجتازوا بها أعمدة هرقل ، وأقاموا لأنفسهم مستعمرات غربيها ، وبذلك شقوا الحجب التي كانت تفصل بين العالم القديم المعروف ، والعالم المجهول وراء البحار .

وكما أن الفينيقيين استسلموا للفاتح المصري قبلا ، ومكثوا ضمن الإمبراطورية المصرية ردحًا طويلًا من الزمن ، وجدوا أنفسهم مرة ثانية أمام عاصفة هبت عليهم هذه المرة من الشرق . فقد دخلوا ضمن ملك آشور (في عام ٨٧٩ ق . م) الممتد من أعالي دجلة عبر الفرات إلى فينيقية . وكانت غزوة ناجحة تشبه إلى حد بعيد الغزوة التي قام بها قبلا

تحتمس الثالث المصري بحوالي ستة قرون . وقد دفعت المدن الفينيقية المزدهرة الجزية إلى الفاتح الأشوري ، ومنها جبيل وصور وصيدا[٢] .

ومن بعد الأشوريين استسلمت فينيقيا للغزاة البابليين (المحدثين) (في عام ٥٩٧ ق . م) ورثة آشور . لكن حكمهم لم يدم سوى ٥٩ سنة ، إذ سقطت بابل في أيدي الفرس ، وانتقلت بذلك فينيقيا إلى الحكم الفارسي (سنة ٥٣٨ ق . م) وكان انتقالا سهلا لم يصحبه شيء من العنف والخراب . ودام الحكم الفارسي قرابة قرنين من الزمان ، إلى أن جاءها الإسكندر الأكبر فأخذت المدن الفينيقية تُفتح أبوابها في وجه الفاتح الجديد الواحدة تلو الأخرى ، ابتداء من طرابلس في الشمال إلى جبيل وبيروت فصيدا في الجنوب[٣] .

ولما ضم القائد الروماني « بومبي » سورية إلى الإمبراطورية الرومانية في عام ٦٤ ق . م ، جعلها إقليمًا عُرف فيما بعد بالإقليم السوري ، وجعل لبنان وفلسطين جزءًا من هذا الإقليم ، وبهذا لم يعد لفينيقيا كيان مستقل . وقد أبقى الرومان على الحقوق والامتيازات التي كانت تتمتع بها المدن اللبنانية الرئيسة صور وصيدا وطرابلس ولم يُتح لأي من هذه المدن أن تقوم بأي دور سياسي مهم ، إلى أن جاء الصليبيون فيما بعد . وقد ظهرت النصرانية إبان الحكم الروماني واعتنقها سكان لبنان الذين تعرضوا لاضطهاد الرومان فترة من الزمن . وقد انتعشت المدن اللبنانية أثناء العهد الروماني ، واحتلت كل من بعلبك وبيروت مركزًا مرموقًا باعتبارهما مستعمرتين رومانيتين ، وكانتا قبل ذلك مدينتين مغمورتين . فأصبحت الأولى مركز حياة دينية ، حيث شيدت فيها الهياكل العظيمة ، والثانية مركز إشعاع حضاري حيث أنشئ فيها معهد للحقوق[٤] .

وقد دخل الإسلام إلى لبنان على أثر فتح أبي عبيدة عامر بن الجراح – رضي الله عنه – مدينة دمشق في عام ٦٣٥م . وكانت أول مدينة لبنانية تحظى بدخول الإسلام إليها هي مدينة بعلبك . ولم تمض بضع سنوات حتى استطاع المسلمون السيطرة على سهل البقاع بكامله بالإضافة إلى جبال لبنان الشرقية ومعظم جباله الغربية . ثم ما لبثت مدن الساحل أن تتابعت في الدخول في أيدي المسلمين . وهكذا صارت الأراضي اللبنانية

تحت لواء الخلافة الإسلامية ، وانتشر فيها الإسلام الذي تركز في سهل البقاع والسهل الساحلي بمدنه الكبرى ، وجنوب لبنان . وأصبح ساحل لبنان قاعدة لانطلاق الأسطول الإسلامي في أنحاء البحر المتوسط(٥) .

وفي بداية القرن الثاني عشر الميلادي تعرض لبنان للغزوات الصليبية . ففي عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م سقطت مدينة طرابلس في أيدي الصليبيين بعد حصار طويل الأمد . وفي عام ٥٠٤هـ / ١١١٠م حاصر جيش صليبي مدينة بيروت ١٣ يومًا ثم سقطت ودخلها الجند فأعملوا فيها السلب والنهب ، وقتلوا واليها المسلم وكثيرًا من سكانها المسلمين . وفي ذات العام سقط البقاع ومدينة بعلبك ، كما استولى أسطول صليبي على صيدا ولم يبق في أيدي المسلمين سوى صور . وقد قام الصليبيون بمحاولة للاستيلاء عليها عام ٥٠٦ هـ/ ١١١٢ م ولكنهم أخفقوا ، غير أنهم استطاعوا أخيرًا الاستيلاء عليها في عام ٥١٨هـ / ١١٢٤م .

وفي عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م التحم جيش المسلمين بقيادة صلاح الدين مع جيش الصليبيين في حطين قرب بحيرة الجليل (طبرية) . وهناك أحاطت جيوش المسلمين بجيوش الإفرنج وأمطروها وابلا من النبال والقذائف فحصدوها حصدًا . ولم ينج من جيش الإفرنج الذي كان عدده حوالي ٢٠ ألفا سوى عدد قليل . أما الأسرى فقد كان على رأسهم ملك بيت المقدس الذي استقبله صلاح الدين استقبالًا ينم عن كرم ونبل . وأصبح السبيل بعد ذلك ممهدًا أمام جيوش المسلمين للاستيلاء على أرض لبنان ومدنه الساحلية ، وهكذا عادت لبنان مسلمة ترفرف على أرجائها راية الإسلام .

وعند منصرم القرن الخامس عشر شهد حوض البحر المتوسط انقلابًا جذريًا في التجارة الدولية ، وتغييرًا في الطرق التجارية الرئيسة . وكان لهذا الانقلاب أثر سيء في لبنان . فقد تم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وصار بإمكان تجارة أوروبا الوصول إلى شرقي إفريقية والجزيرة العربية والهند والصين بحرًا . وهو طريق أبعد مسافة لكنه أقل تكلفة ، فضلًا عن أن هذا الطريق مكّن التجار من الاستغناء عن المرور بالموانى اللبنانية (والسورية والمصرية) . وكان سبب ازدهار لبنان أنه كان يعتمد أولًا وآخرًا على مرور

التجارة . وقد تقوضت الآن أركان هذا الازدهار . ولم يعد البحر المتوسط بعد أن انحرفت عنه الطرق التجارية « بحرًا يتوسط العالم المتمدن » كما كان قبلًا . وكان عليه أن ينتظر إلى عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م حينما تم فتح قناة السويس ، التي أعادت إلى المنطقة بعض ما فقدته من مكانة تجارية .

وما أن استهل القرن السادس عشر حتى شهد العالم انقلابًا سياسيًّا في توازن القوى الدولية الرئيسة[٦] : فقد أصبح الأتراك العثمانيون قوة عظيمة السؤدد ، وشعر المماليك المصريون بخطرها على ممتلكاتهم في سورية ولبنان . فزحف قانصوه الغوري على رأس جيش مصري إلى شمال سورية . والتقى بجيش السلطان سليم العثماني في مرج دابق ، شمالي حلب في عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م . ولحقت الهزيمة بجيش المماليك . ودخل السلطان العثماني مدينة حلب دخول الظافر ، وزحف منها إلى دمشق حيث لاقاه سكانها بترحاب . وهكذا انتقلت سورية ولبنان من حكم المماليك إلى الحكم العثماني سلمًا[٧] .

ودخلت تركيا الحرب العالمية الأولى في عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م إلى جانب الألمان ، وخرجت منها مهزومة . وفي مؤتمر سان ريمو الذي عقد في سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م أعطيت فرنسا ، باعتبارها من ورثة السلطنة العثمانية المنحلة ، الانتداب على كل من لبنان وسورية . وبعد سنتين تم التوقيع على صك الانتداب الذي وضع العلاقات الفرنسية اللبنانية على صعيد دولي رسمي تحت رعاية عصبة الأمم .

وظل لبنان تحت الحكم الفرنسي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . وفي عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م حصل على استقلاله التام حين تم جلاء جميع الجيوش الأجنبية عن أرضه[٨] .

وهكذا نرى أثر موقع لبنان واضحًا في تشكيل ظروفه السياسية والاستراتيجية عبر عصور التاريخ . بل إن لبنان كان قاعدة ومرتكزًا للانطلاق حضاريًّا وسياسيًّا وتجاريًّا . وإن ما قدمه هذا البلد من خدمات للحضارة العالمية بدأها الكنعانيون – الفينيقيون – لم ينته أمرها في العالم القديم ، بل استمرت إلى الفترة الهلينية . وكانت بيروت ، عاصمة لبنان

اليوم ، مركزًا لمعهد الحقوق في العهد الروماني . وقد ظل هذا المعهد المشهور – إلى أن دمرت المدينة في الزلزال الذي وقع في أواسط القرن السادس الميلادي – يحتفظ بالمقام الأول بين جميع المعاهد الشبيهة به في الولايات الرومانية كلها . وقد ازدهرت في العصور المتوسطة تجارة وصناعة جاليات لبنانية في كثير من المدن الأوروبية ، وذلك للمقايضة بين بضائع الشرق والغرب على غرار ما كان يفعله الفينيقيون أسلافهم .

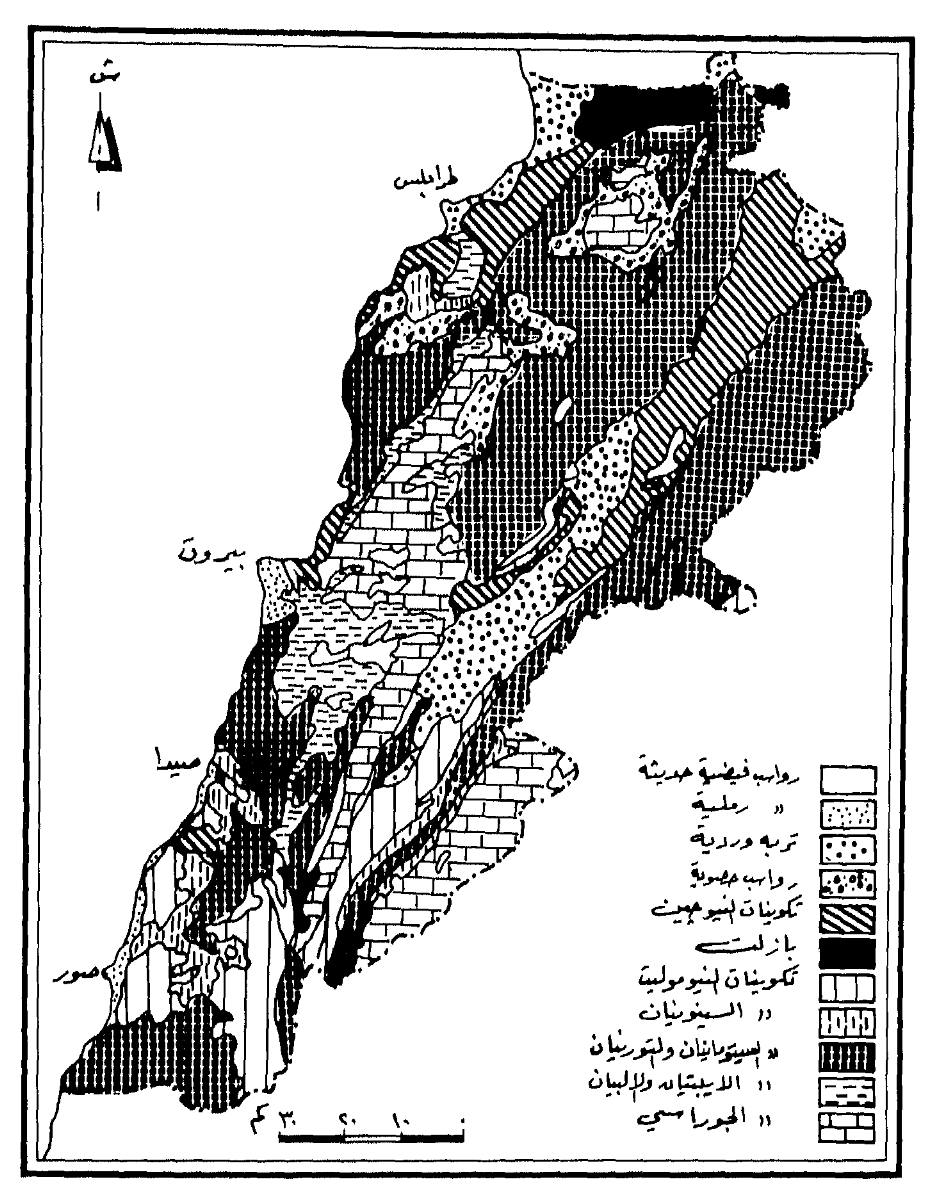
ولبنان اليوم كلبنان أمس ، جمهورية يتألف شعبها في الدرجة الأولى من تجار ورجال أعمال . ومن يهبط أرض لبنان يتملكه الشعور بهذا الجو التجاري الذي يزخر بالحركة والحيوية والنشاط . ولبنان كان وما يزال من أهم المنافذ التي تطل منها أقطار العرب الآسيوية على العالم الغربي .

« البنية والتاريخ الجيولوجي »

تتألف أرض لبنان من صخور متباينة النوع ، متفاوتة العمر ، وأغلبها صخور رسوبية : جيرية وطباشيرية ورملية وصلصالية ، تتخللها طفوح بركانية . وتنتمي أقدم الصخور إلى العصر الجوراسي(٩) .

وفوق هذه القاعدة الصخرية الجوراسية ترتكز صخور العصر الكريتاسي . وهي تبلغ سمكًا عظيمًا في لبنان ، كما تتميز بالتنوع مما دعا إلى تقسيمها إلى ثلاث مجموعات رئيسة هي : مجموعة الكريتاسي الأعلى ، والكريتاسي الأوسط ، ثم الكريتاسي الأسفل .

ويلي الطبقات الكريتاسية إلى أعلى طبقات رسوبية أحدث عمرًا ، تتمثل في الصخور الجيرية النيوموليتية التابعة لعصور الزمن الثالث . وترتكز فوقها رواسب الزمن الرابع . وفيما يلي دراسة موجزة للخصائص الرئيسة للتركيب الجيولوجي لأرض لبنان لما له من أهمية وارتباط بالتضاريس وبالمياه الجوفية وأنماط التصريف النهري (شكل / ٢) .



شكل - ٢ - البنية والتركيب الجيولوجي ١

a - Dubertret , L. (1955)Carte Geologique du Liban au 1/200, Beyrouth.
b - Dubertret, I. et Weulersse,J. (1940)Manuel de geographie de la Syrie et du Procr Orient. Beyrouth.

أولًا : تكوينات الزمن الجيولوجي الثاني :

١ -**تكوينات العصر الجوراسي** : تتألف من طبقات عظيمة السُّمك ، يتراوح سُمكها بين ٦٠٠ - ١٢٠٠ متر . وتتركب من صخور الدولوميت ، والحجر الجيري الحبيبي ، والصخر الجيري المارلي . وتتخللها مستويات رقيقة من الصلصال والإردواز الأزرق الملون .

وتظهر الصخور الجوراسية في جهات متفرقة : في جنوب جبال لبنان الشرقية خاصة في جبل الشيخ (حرمون) ، وفي ذرى جبال لبنان الغربية ، خاصة في القرنة السوداء ، والأرز وصنين من قمم الشمال ، وفي الباروك ونيحا من شوامخ الجنوب . وتقدر المساحة الإجمالية التي تظهر فيها الصخور الجوراسية بنحو ١٥٠٠ كم٢ .

وتتميز هذه الصخور بتمزقها ، وكثرة تشققها ، وتقطعها بواسطة الفواصل الرأسية ، وبمساميتها العالية ، وبقدرتها العظيمة على حفظ المياه وتخزينها . وتلعب هذه الطبقات الرسوبية دورًا مهمًّا في تغذية الينابيع خلال فترات الجفاف . وفيها تشق الأنهار لنفسها أودية خانقية عميقة كالنهر البارد ، وقاديشا والجوز وإبراهيم ، والكلب وبيروت والدامور .

٢ - **تكوينات العصر الكريتاسي**(١٠) : تتألف تكوينات العصر الكريتاسي من ثلاث مجموعات من الطبقات الصخرية المتعاقبة . أقدمها مجموعة من الصخور الرملية ، والرملية الطينية ، تعلوها مجموعة ثانية من الصخور الجيرية والجيرية المارلية ، ثم مجموعة عليا أخيرة تتركب من المارل الصلصالي . ويبلغ سُمك تكوينات العصر الكريتاسي نحو ٢٠٠٠ متر . ونظرًا لعظم سُمكها وتنوع صخورها قسمها الجيولوجيون إلى ثلاثة أقسام هي :

(أ) **تكوينات الكريتاسي الأسفل** : تشمل طبقات صخرية رقيقة السُّمك متنوعة التركيب ، تتألف من حجر رملي لونه أحمر أو برتقالي بسبب انتشار أكاسيد الحديد في ثناياه ، بالإضافة إلى صخور جيرية بيضاء، وأخرى طينية ومارلية وطفلية وصلصالية .

وتتداخل بين التكوينات شرائح فحمية رقيقة السُّمك من نوع اللجنيت الرديء الذي تنخفض فيه نسبة الكربون . ويبلغ السُّمك الإجمالي لهذه الطبقات نحو ٤٠٠ متر .

وأكثر مناطق ظهورها في المرتفعات الغربية حيث تغطي مساحة ١٠٠٠كم^{2}تقريبًا ، خاصة في مناطق بحمدون وعالية وعبيَّة ، والحوض الأدنى لنهر الدامور ، وعند أقدام جبل نيحا ، وبين جزين ومشغرة ، ومنحدرات جبل المكمل . في حين لا تغطي سوى ١٠٠كم^{2} في جبل حرمون والمرتفعات الشرقية . وتتصف هذه التكوينات بسرعة نفاذ الماء فيها وتناوُب الطبقات المسامية والصماء العازلة ، مما يؤدي إلى ظهور بعض الينابيع الصغيرة بتصريف لا يزيد على ١٠٠ لتر في الثانية .

(ب) **تكوينات الكريتاسي الأوسط** : وتتألف من طبقات من الصخور الجيرية : بعضها جيري مارلي ، وبعضها الآخر جيري دولوميتي . فهي بذلك أكثر تجانسًا من الوجهة الليثولوجية (الصخرية) من تكوينات الكريتاسي الأسفل . ويتراوح سمك طبقات الكريتاسي الأوسط بين ٦٠٠ – ١٠٠٠ متر . وتفصلها عن طبقات الكريتاسي الأسفل طبقة من المارل الأخضر اللون لا يتجاوز سمكها ١٠٠ متر .

وتنتشر صخور الكريتاسي الأوسط في معظم الأراضي اللبنانية ، وخاصة المرتفعات الغربية حيث تغطي مساحة تزيد على ٣٠٠٠كم^{2} ، في حين تظهر في مساحة تناهز ٢٢٠٠كم^{2} في جبال لبنان الشرقية وجبل حرمون ، بالإضافة إلى أنها تدخل في تكوين هضاب لبنان الأوسط والشمالي وبعض هضاب منطقة جبل عامل .

وتتصف الصخور الجيرية الكريتاسية بعظم مساميتها ، لهذا تغور فيها المياه ، ولا يظهر فوقها جريان مائي سطحي ، وتتعرض بشدة لفعل التجوية الكيميائية والتعرية الكارستية ، فتظهر فيها بالوعات الإذابة . وعند التقاء هذه الصخور المسامية بتكوينات الكريتاسي الأسفل (صخور البيان **Albien**) الصماء العازلة ، غالبًا ما تتفجر العيون والينابيع التي تغذي المجاري النهرية بالمياه خلال فترة الجفاف . ويتراوح تصريف هذه الينابيع بين ١٠٠ و ١٠٠٠ لتر في الثانية . وتشكل تكوينات الكريتاسي الأوسط أعظم خزان لمياه لبنان الجوفية ، رغم مظاهر الفقر التي تبدو على سطحها .

(جـ) **تكوينات الكريتاسي الأعلى** : تتألف من صخور جيرية دولوميتية بيضاء اللون ، وأحيانًا بيضاء مصفرة . ويتراوح سمكها بين ١٠٠ و ٥٠٠ متر . وتظهر هذه الصخور في مناطق عديدة متفرقة منها : عدة مواضع في شرقي صور حول قرى عين بعال ، وجويا ، وباقلية ، ودير قانون النهر ، والعباسية . وفي جنوبي صيدا في الحوض الأدنى لنهر الزهراني . وتتفجر في هذه التكوينات ينابيع موسمية فقيرة لا يزيد تصريف كل منها على ٥ لتر في الثانية .

ثانيًا : تكوينات الزمن الجيولوجي الثالث :

يسمى القسم الأسفل من هذا الزمن في لبنان باسم فترة التكوينات النيوموليتية ، نظرًا لشيوع كائنات النيموليت البحرية فيها ، وكثرة احتواء صخورها لبقايا هذه الكائنات . وتشمل عصري الإيوسين والأوليجوسين . أما القسم الأعلى من الزمن الثالث فإنه يعرف باسم النيوجين ، ويشمل عصري الميوسين والبليوسين[١١] .

(أ) **الفترة النيوموليتية** : ترسبت تكوينات هذه الفترة في بحر جيولوجي قديم هو بحر « تيثيس » أثناء عصر الإيوسين ، ثم ارتفعت وظهرت فوق سطح المياه نتيجة لحركات الرفع التكتونية التي حدثت في أثناء عصر الميوسين . وهي تتألف من صخور جيرية بيضاء ، وأحيانًا تكون ناصعة البياض ، وصخور المارل الأبيض ، وتشكل جميعًا تلالًا صغيرة الحجم ، متوسطة الارتفاع بيضاوية الشكل .

وتتوزع مناطق ظهورها في مساحة لا تزيد على ٦٠٠ كم٢ في مجمل أراضي لبنان . وتظهر عند أسافل المرتفعات الشرقية والقسم الجنوبي من سهل البقاع ، حيث يتراوح سمك الطبقات بين ١٠٠ و ٨٠٠ متر . وفي منطقة جبل عامل لاسيما حول النبطية وشوكين وبنت جبيل . بالإضافة إلى النطاق الواقع شرقي الساحل الممتد من مصب الزهراني جنوبي صيدا . حتى دير قانون النهر جنوبي صور . ويتراوح سمك طبقات الصخور الجيرية النيوموليتية هنا بين ١٠٠ و ٢٠٠ متر . والتصريف المائي لينابيع هذه التكوينات متوسط لا يتجاوز ١٠٠ لتر في الثانية .

(ب) **فترة النيوجين**[١٢] : تتألف تكوينات هذه الفترة من صخور جيرية هشة ، وأحجار جيرية مارلية ، تعلوها وترتكز عليها طبقات طينية وجيرية مارلية ، ورملية مارلية متعاقبة . ويبلغ مجمل سمكها زهاء ٥٠٠ متر . وقد كان البحر خلال عصري الميوسين والبليوسين يطغى على اليابس اللبناني المجاور ، دون الجبال ، ويرسب تكويناته ، ثم ينحسر عنها فيعطي الفرصة لتراكم الرواسب القارية ، وهي إما بحيرية أو فيضية النشأة . وهكذا توالى الإرساب البحري والقاري طوال فترة النيوجين .

وتوزيع صخور النيوجين البحرية محدود . فهي تظهر في جبل تربل شرقي طرابلس ، وجبل كلهات بجنوبيها . وتنكشف مكونة لحافات تطل على البحر فيما بين رأس شَكّا شمالًا ورأس القبة جنوبًا ، وفي جنوب خليج جونية . وتظهر تكوينات البليوسين البحرية أيضًا في سهل عكّار حيث يتعاقب فيه ظهور صخور جيرية بيضاء ، وجيرية مارلية ، ومارلية رملية . وتتمثل رواسب النيوجين القارية بصورة واضحة في سهل البقاع حيث يصل سمكها إلى ٩٠٠ متر .

ثالثًا : تكوينات الزمن الجيولوجي الرابع :

تتمثل تكوينات الزمن الرابع في عدد من مجموعات الرواسب التي تتباين بحسب نشأتها ومصادرها ، والظروف التي أدت إلى ترسيبها[١٣] . وهي على أية حال لا تنتظم في هيئة طبقات صخرية متماسكة . وتتألف من رواسب رملية تفترش الشريط الساحلي في مناطق متفرقة . منها ما يوجد حول طرابلس ، وفيما بين بيروت وخلدة . وهي تتركب من حبيبات تغلب فيها نسبة الكوارتز أحيانًا كما في الرمال الساحلية بمنطقة سهل عكار ، وأحيانًا أخرى تكثر فيها المواد العضوية البحرية فترتفع بها نسبة كربونات الكالسيوم كرمال الساحل الجنوبي ، خاصة حول صور .

ومن مجموعات رواسب الزمن الرابع تلك التكوينات التي حملتها الأنهار ورسبتها في مناطق متفرقة من أحواضها ، ومنها الرواسب الرملية والطينية في حوض نهر أبو علي وحوض نهر البارد . بالإضافة إلى الرواسب النهرية في سهل البقاع ، ورواسب السفوح

شائعة الوجود في لبنان الجبلي . وهنا نجد ظواهر عديدة لتحرك المواد ، كزحف التربة ، وعمليات الانسياب الأرضي ، والتساقط الصخري ، والتدفق الأرضي ، والتدفق الطيني ، والانزلاقات الأرضية . وتُشاهد هذه الظواهر كثيرًا فوق المنحدرات الجبلية خاصة فوق سفوح جبال لبنان الغربية حيث تساعد الظروف المناخية على كثرة حدوثها .

الطفوح البركانية :

يظهر الطفح البركاني في مناطق متفرقة من أرض لبنان[١٤] . وهو ليس من نوع البراكين المركزية التى تصدر من مراكز تغذية محدودة ومعلومة في جوف الأرض ، وإنما من نوع براكين الكسور التي تخرج اللافا من خلال كسور تكتونية . ولهذا فإنها لا تتخذ الشكل المخروطي ، وإنما تتوزع اللافا التى تنبثق وتنتشر على السطح في شكل هضاب وقباب . وقد خرجت لافا لبنان على مراحل : أقدمها الطفوح البازلتية التي تتخلل طبقات صخور أواخر العصر الجوراسي وأوائل العصر الكريتاسي . وتوجد مبعثرة في مناطق مختلفة منها شمال بكفيا وأعالي نهر الكلب شمال شرقي بيروت ، وحول مرجعيون وراشيا بجنوب لبنان .

وحينما دب النشاط التكتوني العظيم في عصر الميوسين ، الذي أدى إلى تكوين السلسلتين الالتوائيتين الغربية والشرقية ، وإلى إحداث الفوالق والكسور والأغوار ، نشطت براكين الكسور ، وأخرجت الكثير من الطفوح البازلتية التي غطت أجزاء متفرقة من سطح لبنان ، أظهرها ما يوجد منها في جنوب لبنان على جوانب نهير الحصباني رافد نهر الأردن ، بالإضافة إلى هضاب عكار البازلتية المنتشرة في الحوض الأوسط لنهر « الكبير الجنوبي » بشمال البلاد .

أدوار ظهور اليابس اللبناني :

تمكن الباحثون من دراسة التطور الطبوغرافي للأرض اللبنانية ، وتوضيح العلاقة بين يابس لبنان والبحر منذ بداية ظهوره حتى وقتنا الحاضر[١٥] ، وذلك من خلال من دراسة التراكيب الصخرية وتوزيعها الجغرافي . وقد تبين أن لبنان قد مر بعدد من الأدوار في

تاريخه الجيولوجي تم خلالها تكوين أرضه وتشكيلها حتى أصبحت بهيئتها ومعالمها الحالية . ويمكن تلخيص تلك الأدوار فيما يلي :

الدور الأول : كانت المساحة اليابسة التي يشغلها لبنان حاليًّا جزءًا من قاع بحر جيولوجي قديم يدعى بحر تيثيس ، وذلك خلال القسم الأكبر من العصر الجوراسي . وترسبت خلال تلك الفترة الصخور الجيرية الجوراسية التي تمثل مرتكزًا لأرض لبنان .

الدور الثاني : في أواخر العصر الجوراسي حدثت حركات رفع تكتونية محلية أدت إلى ظهور جزئيٍّ لأرض لبنان يتمثل في كتلة جبل الشيخ . كما حدث ثوران بركاني في الشمال أدى إلى ظهور مخاريط بركانية فوق مياه البحر الضحلة .

الدور الثالث : في أوائل العصر الكريتاسي أخذت مياه البحر تطغي تدريجيًّا على ما ظهر من يابس ، بحيث أصبح لبنان كله في الكريتاسي الأوسط جزءًا من البحر مرة أخرى . وفي أثناء هذا الطغيان البحري الذي استقر أمدًا طويلًا حتى اقتربت نهاية الكريتاسي الأعلى – تم ترسيب طبقات جيرية عظيمة السُّمك ، هي التي تشكل الآن أوسع الصخور انتشارًا في أرض لبنان .

الدور الرابع : عند نهاية الزمن الجيولوجي الثاني ، وبداية الزمن الجيولوجي الثالث بدأت بعض معالم سطح لبنان تظهر لكن ببطء شديد . فلم تظهر أجزاء ذات بال من أرض لبنان فوق مستوى مياه البحر إلا خلال القسم الأوسط من عصر الإيوسين . وكانت تلك الأجزاء اليابسة أشبه بجزر فسيحة تعلو فوق مياه البحر ، وتتوزع في بعض مواضع الجبال الحالية .

الدور الخامس : بحلول عصر الميوسين حدث نشاط تكتوني عظيم أدى إلى رفع الطبقات الرسوبية من قاع البحر ، وإظهارها فوق مستوى مائه ، مكونًا المرتفعات الالتوائية التي تعرف الآن بالسلسلتين الساحلية والخلفية ، أو بجبال لبنان الغربية والشرقية . وتراجعت مياه البحر وانحسرت عن اليابس اللبناني الحالي ، وصار خط الساحل قُرب امتداده الحالي . وبدأ نظام التصريف المائيّ يأخذ شكله العام .

الدور السادس : في أواخر الزمن الجيولوجي الثالث نشطت البراكين في الجنوب وفي الشمال ، وازدادت التضاريس حدة ووضوحًا ، وحدثت الفوالق والصدوع . وأخذت الأنهار تشق لنفسها وديانا ازدادت عمقًا بمرور الزمن . وهكذا تكونت الخوانق النهرية القائمة الجوانب مثل خوانق أنهار قاديشا والجوز وإبراهيم والكلب والدامور .

الدور السابع : بحلول الزمن الرابع كانت معالم سطح لبنان قد تحددت ، وأصبحت بشكلها الذي نراه الآن ، باستثناء اختلافات يسيرة في النطاق الساحلي الذي تأثر بالذبذبة في منسوب البحر بين ارتفاع وانخفاض ، وبالتالي بين طغيان وانحسار . وتبعًا لذلك فقد تكونت أرصفة بحرية هي التي تشكل اليوم سهول لبنان الساحلية . وتبدو هذه الأرصفة على شكل درجات متتالية ، تنضوي في ثلاث مجموعات ، أعلاها على ارتفاع ١٠٠ — ٩٠ مترًا ، وأوسطها على ارتفاع يتراوح بين ٧٠ و ٤٥ مترًا ، وأسفلها على ارتفاع بين ١٥ و ٣ أمتار فوق مستوى سطح البحر الحالي .

التضاريس

الطابع الذي يميز تضاريس لبنان هو تعاقب امتداد نطاقات من الأرض المنخفضة ، والأرض العالية على امتداد خط يسير بوجه تقريبي من الشمال الشرقي صوب الجنوب الغربي . فإذا ما سرنا من البحر غربًا نحو سورية شرقًا فإننا نعبر أربعة نطاقات مستطيلة من هذا التناوب التضاريسي بين انخفاض وارتفاع . هذه النطاقات هي[١٦] :

١ — السهل الساحلي .
٢ — الجبال الغربية .
٣ — سهل البقاع .
٤ — الجبال الشرقية .

وتتألف جمهورية لبنان من هذه النطاقات الأربعة : من البحر غربًا حتى نطاق تقسيم الميله في أعالي جبال لبنان الشرقية شرقًا ، وذلك حسب التحديد الذي جرى وثبت منذ

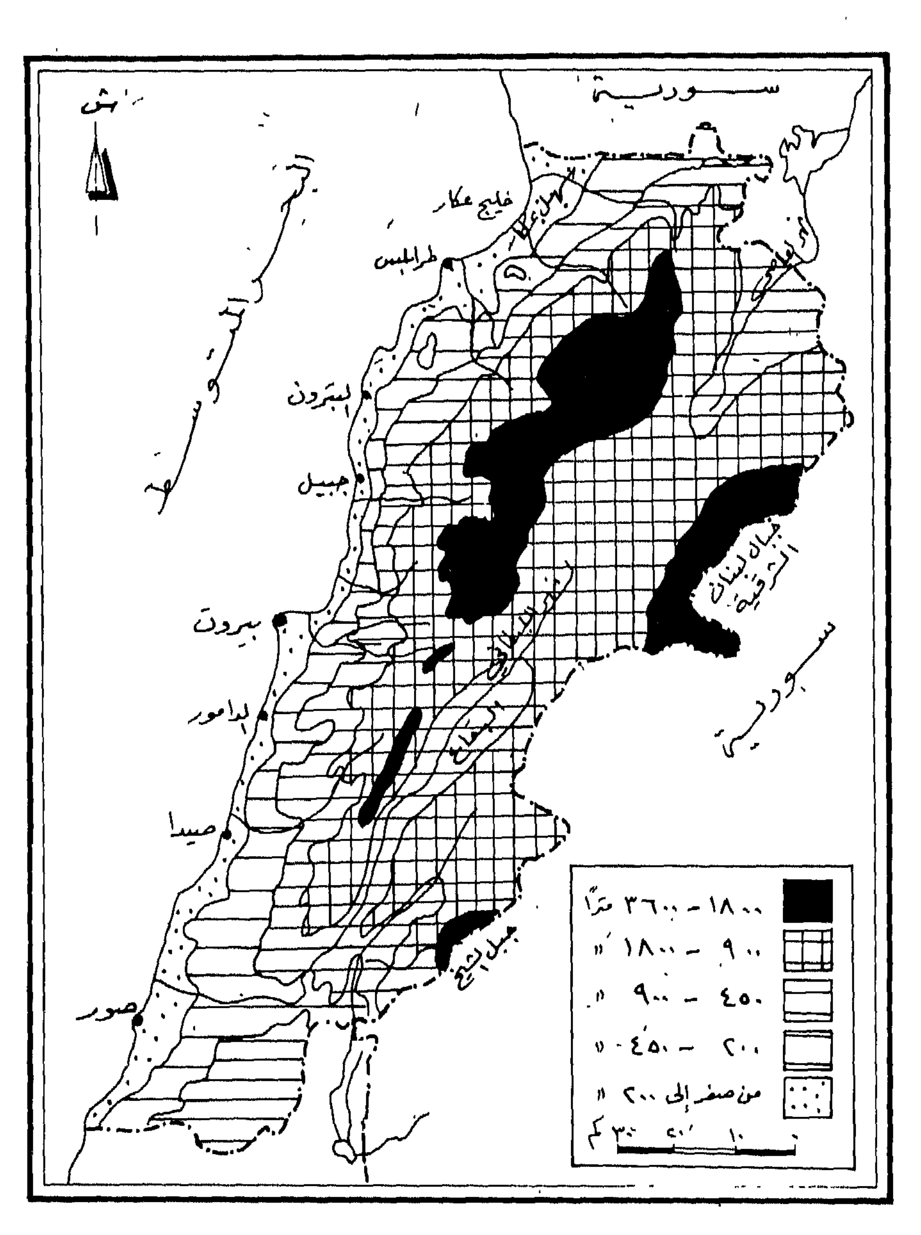
عام ١٩٢٠م . وفيما يلي دراسة لهذه الأقسام (شكل ٣) .

١ - السهل الساحلي :

يبلغ طول السهل الساحلي اللبناني نحو ٢٢٥ كيلومترا . ويمتد بين البحر المتوسط وجبال لبنان الغربية في هيئة شريط مواز للبحر . ويتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي بين بلدة « عريضة » عند مصب نهر « الكبير الجنوبي » شمالًا ، وجنوبي رأس الناقورة جنوبًا حيث الحدود اللبنانية مع فلسطين . ويقع هذا النطاق الساحلي عند منتصف ساحل أطول هو الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، الذي يمتد من خليج الإسكندرونة في الشمال ، وينتهي عند صحراء سيناء جنوبًا . ويمكن القول بوجه عام بأن الساحل اللبناني ساحل صخري ، يضيق فجأة هنا ويختفي تارة هناك . وهو على الخريطة خط مستقيم قليل التعاريج فلا خلجان تتعمق في اليابس ، ولا مصاب أنهر خليجية تصلح أن تُكون مواني طبيعية ، ولذا لا نجد ميناء طبيعيًا مميزًا على الساحل اللبناني . ورغم أن رؤوسًا تبرز منه في البحر ، وتحمي وراءها خلجانا ، إلا أنها خلجان قوسية الشكل ضحلة .

ويختلف اتساع السهل الساحلي من موقع لآخر . فهو متسع نسبيًّا في الشمال بين بلدتي عريضة والبترون ، وفي الجنوب بين صيدا وحدود لبنان مع فلسطين . لكنه يضيق في الوسط . ويعزى ذلك التفاوت في اتساع السهل بين موقع وآخر إلى امتداد جبال لبنان الغربية ، فحيثما تقدمت هذه الجبال نحو البحر ضاق السهل ، وحيثما تراجعت نحو الداخل أتاحت السبيل لسهل أوسع . وكثيرًا ما تغزو السهل وتبرز في البحر رؤوس صخرية لتلك الجبال ، فلا تدع مجالا لتكوين سهل ساحلي كما هي الحال في رأس شكًّا وبيروت والناقورة .

ولا ينبغي أن نتوهم أن السهل الساحلي اللبناني منبسط السطح ، فهو أبعد ما يكون عن الاستواء . ويتشكل بظواهر تضاريسية متباينة النوع والمنسوب . أهمها المدرجات البحرية التي نشأت بفعل ذبذبة منسوب البحر إبان الزمن الرابع ، والتلال المتخلفة ، والكثبان الرملية . بالإضافة إلى الجروف المصاحبة للدرجات ، والكهوف البحرية ،



شكل - ٣ - التضاريس

والشطوط الرسوبية التي تبدو على هيئة حافات وضلوع حصوية . كما تزركش خط الساحل غير بعيد عنه ، مسلات بحرية رائعة كمسلتي الروشة قبالة رأس بيروت .

ويبلغ السهل أقصى اتساع له في الشمال فيما يعرف بسهل عكّار ، حيث يصل عرضه نحو ١٦ كم . ويتقوس الساحل هنا فيما بين بلدتي عريضة وطرابلس في هيئة هلال يضم خليجًا فسيحًا ضحلا هو خليج عكار . والامتداد العام لخط الساحل ، والسهل الساحلي الممتد من شمال طرابلس إلى رأس شكا ، يكاد يسير موازيًا تمامًا لمحاور الثنيات المحدبة لجبل تربل وجبل كلهات وهضبة الكورة . ويتكون هذا السهل من رواسب طينية رملية خصبة تصلح لإنتاج محاصيل زراعية متنوعة . وفي شرقي السهل تبرز تلال عكار البازلتية البناء ، التي يتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠ و ٥٠٠ متر .

وتوجد التربة الطمية في المجاري السفلى لأودية الأنهار التي تخترق السهل وتصب في البحر ، مثل أودية النهر الكبير الجنوبي ، والنهر البارد الذي يصب في البحر جنوب بلدة العبدة ، ونهر أبو علي الذي يصب في خليج الميناء في شمال شرقي طرابلس . وتجلب هذه الأنهار كميات كبيرة من الرواسب تنشرها في السهل ، كما تلقي بأخرى في البحر .

ويضيق السهل كلما اتجهنا جنوبًا . ولا يزيد اتساع السهل في المسافة المحصورة بين البترون وبيروت على ٥ كم . وفي الغالب تقترب منحدرات الجبال من خط الساحل حتى إن أمواج البحر تلاطم أقدامها في بعض المواقع كما هو الحال حول خليج جونية ، وهو خليج صغير وإذا ما اتجهنا جنوبًا وصلنا إلى مصب نهر الكلب بين جونية وبيروت ، وهو المشهور بالصخرة الخالدة التي نقش عليها القادة العظام أعمالهم الحربية . وهنا يصل الجبل إلى البحر . هذا الرأس الداخل في البحر له موقع استراتيجي استخدمه أهل البلاد موقعًا حربيًّا للدفاع عن المنطقة ، وعند طرفه وجدت بقايا بشرية في مغاور في الصخر كانت ملجأً للإنسان في العصر الحجري القديم .

ويظل السهل الساحلي على حاله من الضيق فيما يلي بيروت جنوبًا حتى صيدا. ويكاد يختفي في بعض المواضع حيث تشرف الحافات الصخرية الجيرية الكريتاسية على البحر مباشرة . وتمتد منها رؤوس داخل البحر مثل رأس السعديات ، ورأس النبي يونسّ ، ورأس

الصحري . وحينما تتراجع الجبال نحو الداخل تتيح المجال لتكوين سهل ساحلي تغطيه الرمال ، كالشريط الساحلي بين بيروت وخلدة ، والسهل الضيق حول بلدة الدامور . وتسهم الأنهار التي تجري وتنتهي إلى البحر في هذه الشقة في جلب الرواسب وتوزيعها فوق السهل الضيق . مثل وادي بيروت الذي يصب في خليج سان جورج شرقي بيروت . ونهر الدامور الذي ينتهي في البحر جنوبي بلدة الدامور . ونهر الأوّلي ويصب في البحر شمالي مدينة صيدا .

وتكثر الرؤوس أيضًا في الشقة من ساحل لبنان الممتد من صيدا إلى الحدود الجنوبية كرأس الشق ، ورأس صور ، ورأس البياضة ، ورأس الناقورة . وعندها وحولها يضيق السهل أو ينعدم . لكن عند المجاري الدنيا للأنهار يتسع السهل نسبيًّا إلى نحو ٧ كم . وفي الحوض الأدنى لنهر الليطاني يبلغ متوسط اتساعه زهاء ٢٥ كم . وما يلبث أن يضيق صوب الجنوب لاقتراب سفوح جبل عامل من البحر ، فلا يكاد يبلغ ٧ كم اتساعًا . ويخترق السهل نهر الزهراني ونهر الليطاني ، ويصبان في البحر بين بلدتي صيدا وصور .

٢ - جبال لبنان الغربية :

عرفت سلسلة جبال لبنان الغربية منذ العهد الروماني باسم لبنان . بينما كان يطلق على سلسلة الجبال الشرقية « أنتيلبانوس » أي لبنان المقابل . ويبدو أن السلسلتين حين النشأة الأولى كانتا سلسلة جبال واحدة . والواقع أن لبنان قسم من سلسلة جبال وهضاب مرتفعة تبدأ في جبل اللكام في شمالي سورية ، وتنتهي بجبال سيناء[١٧] . ولبنان أعلى جزء في هذه السلسلة ، وأكثرها وعورة ، وأروعها منظرًا . واسم لبنان مشتق من لفظ سامٍ « لبن » ومعناه البياض ، بياض اللبن . وذلك لأن الثلوج تغطي قممه العالية في النصف الشتوي من السنة .

هذه السلسلة وحدة طبيعية متميزة ، يحدها شمالًا النهر الكبير ، ويفصلها عن جبال النصيرية في سورية . ويحدها جنوبًا نهر القاسمية . وهي بذلك تمتد مسافة تبلغ نحو ١٧٠ كم في اتجاه عام من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، أيْ في اتجاه يوازي على وجه التقريب اتجاه الساحل اللبناني . ويختلف عرض السلسلة كثيرًا . فبينما هو بالقرب من

طرابلس نحو ٥٠ كم ، نجد أنه في الجزء الجنوبي لا يتجاوز ٩ كم في منطقة الباروك ، بل يضيق إلى نحو ٣ كم في منطقة مرجعيون .

وكما أن السلسلة عريضة في الشمال ، فهي هناك عظيمة الارتفاع أيضًا . ويبلغ العلو شأوه في مجموعة مرتفعات الأرز ، التي تتضمن أعلى القمم ممثلة في قمة القرنة السوداء وارتفاعها ٣٠٩٠ مترا في جنوب شرقي طرابلس . ويبلغ علو القمة القريبة منها ، ظهر القضيب ، التي تحتضن أكبر وأشهر غابة من بقايا أرز لبنان ٣٠٤٠ مترا .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية شقت طريق تخترق الجبل قرب هذه القمة ، وتربط بعلبك بطرابلس . وبالقرب من هاتين القمتين ترتفع قمة ثالثة ، فم الميزاب ، التي يبلغ علوها أكثر من ٣٠٠٠ متر بقليل . وقد أنشئ مصعد كهربائي من غابة الأرز إلى قمة قم الميزاب لهواة التزلج والرياضة الشتوية . ونظرًا لعظم ارتفاع الجبال هنا فقد تأثرت بالتعرية الجليدية منذ عصر البليوستوسين ، التي تركت آثارها في حلبات جليدية تبدو واضحة في ذرى الجبال . وينبع من هذه المجموعة الجبلية نهرا الجوز ، وأبو علي ، والنهر البارد .

وفي وسط هذه السلسلة الجبلية الغربية يرتفع جبل صنين (نحو ٢٥٥٠ مترا) وجاره جبل الكنيسة (٢٢٠٠ متر) . وغير بعيد عنهما الفتوح ، وكسروان ، والمهولة ، وكلها قمم تتراوح ارتفاعاتها بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ متر (شكل / ٤) .

والقسم الجنوبي من السلسلة ضيق ومنخفض . وأعلى قممه الباروك (١٩٨٠ مترا) الواقع شرق بلدة عين داره ، والنان (١٩٢٠ مترا) الذي يقع شرقي عين زحلتا ونبع الصفا ، وجبل نيحا (١٨٠٠ متر) . وتتحول السلسلة في أطرافها الجنوبية إلى منطقة تلالية تعرف إلى الجنوب من نهر القاسمية باسم جبل عامل .

وتتألف سلسلة جبال لبنان الغربية من صخور رسوبية جوراسية وكريتاسية تغلب فيها الأحجار الجيرية والدولوميتية . والسلسلة كلها تمثل التواء محدبًا عظيم الأبعاد يمتد محوره من عكار في الشمال إلى مرجعيون في الجنوب . وهو التواء منتظم إلى حد كبير ، إذ تميل الطبقات على كلا جانبيه بدرجات متقاربة . وقد تعرض الالتواء أثناء الرفع إلى



شكل - ٤ - خريطة كنتورية

انكسارات متعددة جعلت أعاليه تشرف على سهل البقاع بجروف شديدة الانحدار . وعلى امتداد محور هذا الالتواء المحدب العملاق ، تشكلت الطبقات الصخرية بعديد من الالتواءات الثانوية المتمثلة في ثنيات محدبة وأخرى مقعرة ، وتأثرت جميعها بالتكسر والتصدع والتفلق ، لكن محاورها جميعًا تتخذ اتجاه الالتواء المحدب الرئيس من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي .

وقد شقت المجاري المائية في تكوينات سلسلة جبال لبنان الغربية أودية عميقة ذات جوانب شاهقة ، كانت يومًا ملجأ وملاذًا للجماعات الدينية المستضعفة الهاربة إليها من القمع والعسف . وأحد هذه الأودية وادي قاديشا (ومعناه المقدس) الذي احتفظ باسمه السرياني إلى يومنا هذا ويبدأ عند سفح غابة الأرز الشهيرة ، ثم يأخذ في الانحدار السريع صانعًا منعطفات عديدة حتى يصل الساحل فالبحر قرب طرابلس .

وينبع النهر من مغارة أسفل غابة الأرز ، وتنضم إليه مياه نبع مار سركيس (سرجيوس) في إهدن ، ويتابع جريانه السريع على سلسلة من المساقط المائية المتتالية إلى أن يصل إلى بعد نحو عشرة كيلومترات من البحر ، حيث يتغير اسمه إلى نهر « أبو علي » . والمغارة التي تنبع منها مياه نهر قاديشا من الأماكن السياحية التي يقصدها الناس ، كما يؤمون مغارة جعيتا التي ينبع فيها نهر الكلب ، الذي يصب في البحر إلى الشمال من مدينة بيروت . وتستخدم مياه نهر « أبو علي » لتوليد الكهرباء ، ولإرواء أراضي القرى المجاورة لمجراه ، وأراضي ساحل طرابلس .

ومن الأنهر الأخرى التي تشق مجاريها في القسم الشمالي من سلسلة جبال لبنان الغربية نهر إبراهيم ، الذي كان يُعرف قديمًا باسم وادي أدونيس . وينبع النهر الذي تسيل مياهه في هذا الوادي من عند سفح جبل عال يشبه الملعب المدرج ، كان قديمًا موضعًا لمزار مقدس شهير (كان يسمى أفاكا Aphaca) يدعى الآن أفقا . والنهر شديد الانحدار ، سريع الجريان ، ذلك أن معظم مجراه فوق أراض يتراوح ارتفاعها بين ١٢٠٠ و ١٦٠٠ متر ، وأقله فوق أرض منسوبها دون ١٢٠٠ متر . وعلى بعد نحو عشرة كيلومترات من مصبه جنوبي بلدة جبيل ، أنشئت مولدات للكهرباء لإنارة بيروت وضواحيها . وفي

هذين الواديين ، وادي نهر إبراهيم وقاديشا ، تقع عين الرائي على أجمل المناظر الطبيعية في جبل لبنان .

وقد تمكنت أنهار جبلية لبنانية أخرى من قطع الصخور الجيرية رأسيًّا ، وحفر خوانق عظيمة العمق ، تتميز بجوانب ذات جدران قائمة عالية . وساعدها على تنشيط عمليات النحت الرأسي تعرض مناطق أحواضها لحركات الرفع التكتوني ، ومن ثم ارتفاع منسوب مجاريها عن مستوى القاعدة العام المتمثل في البحر المتوسط . ومن أشهر هذه الخوانق ، عدا ما ذكرنا ، خانق « تنورين الفوقا » في أعالي نهر الجوز ، وخانق « بسكنتا » في أعالي نهر الكلب ، وخانق عين زحلتا في أعالي نهر الدامور ، وخانق بشرى، في أعالي نهر الأوَّلي . وقد برع اللبنانيون في تهذيب السفوح الجبلية المطلة على الأودية النهرية ، وتنظيمها في هيئة مدرجات غرسوا فيها الأشجار المثمرة . وعليها حتى القمم تنتشر قرى جميلة تطل على شواهق صعبة المرتقى ، يخالها الرائي من بعيد وكأنها تتشبث بالصخر كي لا تنزلق إلى الوادي السحيق .

وتتميز جبال لبنان الغربية بأشكال سطح أخرى تنفرد بها الأراضي الجيرية الرطبة ، تدعى ظواهر[١٨] الكارست . ذلك أن الجبال تتركب ، كما أسلفنا ، من قاعدة صخورها جوراسية العمر ، جيرية النوع ، عظيمة السمك . ترتكز عليها تكوينات مندمجة صماء أكثر سمكًا من الصخور الكريتاسية الجيرية والدولوميتية ، قاومت تأثير التعرية ، لذا تظهر عند السفوح ناتئة في هيئة مدرجات . وفوقها ، خصوصًا قرب القمم ، غطاء سميك من صخور كريتاسية جيرية أخرى تتصف بالمسامية . وعند نطاق تلامس النوعين من الصخور الصماء والمسامية تنبثق العيون ، وتتفجر الينابيع بمياه الأمطار الغزيرة التي تسربت أصلًا في الحجر الجيري المسامي . وقد استطاعت المياه المتسربة خلال الصخور الجيرية أن تنشئ العديد من ظواهر الكارست ، كالتشرشر الجيري (بوجاز) ، والحفر الغائرة ، وبالوعات الإذابة ، والأحواض البيضاوية والهلالية والمستطيلة (أوفالا ، بوليي) ، والمجاري المائية الباطنية ، والتلال الجيرية المنعزلة (الشواهد) ، والكهوف والمغاور .

وتتعدد المغاور في جبال لبنان الغربية ، ولعل أشهرها وأجملها مغارة جعيتا ، ثم مغارة قاديشا . وتقع مغارة جعيتا في القسم الأدنى من نهر الكلب على مسافة نحو ١٨ كم من بيروت . والمغارة مركبة من مغارتين إحداهما فوق الأخرى . وتمتلىء السفلى منهما بالمياه أثناء فصل الشتاء بسبب ارتفاع منسوب الماء الجوفي . وتحوي المغارة كل الظواهر الجيرية التي تتميز بها المغارات الجيرية. ففيها تكتمل أشكال الأعمدة الجيرية الصاعدة (ستالا جميت) والنازلة (ستالاكثيت)، ويتصل بعض من هذه وتلك ، فيرتبط سقف المغارة بقاعها بواسطة أعمدة جيرية متصلة . ويوجد بالمغارة أيضًا ما يعرف بالهيليكتايت ، وهي رسوبيات جيرية متبلورة ذات أشكال كثيرة التنوع : فقد تكون رفيعة كالخيط ، وتنتظم في هيئة مغزلية ، أو في شكل عقد وأنشوطات ، كما أن بعضها يترتب في حبال منظومة من الحبات الجيرية المتبلورة . ونمو هذه الأشكال عادة ما يكون في اتجاه أفقي ، وأحيانًا في اتجاه مائل ، وحينئذ تسمى الأعمدة المائلة .

٣ - سهل البقاع :

يبدو سهل البقاع المرتفع أشبه بإسفين عظيم الامتداد يفصل بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية . ويبلغ طول السهل من شماليه إلى جنوبيه قرابة ١٧٥ كيلومتر ، ويتراوح عرضه باتجاه شرقي غربي بين ٩ و ١٦ كيلو متر . ومتوسط ارتفاعه عن سطح البحر ٨٠٠ متر . وهو في أواسطه أعرض مما هو عليه عند طرفيه[١٩] ، ويشكل السهل نحو خُمسي مساحة لبنان . وكان يعرف أيام الإغريق والرومان باسم « سورية المجوفة » . ويشقه نهرانَ ينبعان بالقرب من بعلبك ، يفصل بين نبعيهما مسافة ١,٥ كم . هذان النهران هما نهر العاصي الذي يجري شمالًا إلى سهول سورية ، ويصبح من أهم أنهارها ، ونهر الليطاني الذي يتجه جنوبًا ، ثم ينحرف فجأة إلى الغرب عند سفح قلعة شقيف ، فيسمى نهر القاسمية ، ثم يسل نحو البحر بين صيدا وصور . أما لفظة بقاع فهي جمع بقعة ، ومعناها مكان فيه ماء آسن ، أو هي لفظ سرياني معناه الشق أو التصدع كما يدل عليه تكوينه الطبيعي كما سنرى بعد قليل .

وهناك رأيان في نشأة السهل : رأي يدعي أنه جزء من ثنية التوائية مقعرة كبيرة تنحصر بين الثنيتين المحدبتين الرئيستين اللتين تشكلان السلسلتين الجبليتين الشرقية والغربية . ورأي ثان يقول بأن السهل هو الجزء الأوسط من أخدود عظيم يبدأ شمالًا عند منعطف نهر العاصي في سورية ، ويمتد جنوبًا إلى وادي نهر الأردن فوادي عربة إلى خليج العقبة فالبحر الأحمر . ومما يعزز الرأي الثاني هذا التناسق في الامتداد العام لسهل البقاع مع اتجاه الانكسارات الرئيسة من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي .

وكان المؤرخون والجغرافيون العرب يقسمون البقاع إلى قسمين : البقاع البعلبكي والبقاع العزيزي (نسبة إلى العزيز بن صلاح الدين الذي توفي عام ١١٨٨م أو نسبة إلى الخليفة الفاطمي العزيز) ، وهو تقسيم طبيعي صائب يتفق مع تقسيمه إلى بقاع شمالي يجري به ويرويه نهر العاصي ، وبقاع جنوبي يسيل فيه ويسقيه نهر الليطاني . ويتركب سطح السهل في معظمه من رواسب حديثة تنتمي للزمن الرابع . وهنا وهناك تظهر تكوينات أقدم بعضها قاري كالرمال والحصى البليوسيني ، وبعضها من أصل بحري كالصخور الجيرية والمارلية النيوموليتية البيضاء اللون .

ويبدأ البقاع من الجنوب واسعًا عند مرجعيون ، ولكنه لا يلبث أن ينقسم في شمالها بقليل إلى قسمين بواسطة لسان جبلي يبرز من جبل الشيخ (جبل حرمون) يسمى جبل الغربي . ويبدو القسمان في هيئة ممرين طويلين محدودي الاتساع ، فلا يزيد عرض كل منهما على ثلاثة كيلومترات . ويجري في القسم الشرقي منهما نهر الحصباني أهم الروافد الشمالية لنهر الأردن . ورغم ضيق هذا الدهليز فإنه يمثل الشريان الرئيس لحركة النقل والمواصلات فيما بين مرجعيون وبقية أنحاء البقاع . أما القسم الغربي فهو أكثر ضيقًا ووعورة ، وينحصر بين هوامش جبلية عالية شديدة الانحدار ، حيث تشرف عليه حافات جبل الغربي (وارتفاعه ١٥٠٠ متر) من الشرق ، وحافات جبل نيحا من الغرب . ويجري نهر الليطاني خلاله في واد عميق قليل المنعطفات والروافد . وفي هذا النطاق الضيق أقيم سد القرعون الذي يعترض المجرى حوالي بلدة القرعون . ويحجز السد أمامه المياه في بحيرة القرعون .

ويأخذ البقاع الجنوبي في الاتساع إلى الشمال من بلدة جب جنين ، حيث تبدأ خطوط الارتفاعات المتساوية في التراجع ، ويبلغ أقصى اتساع له في المنطقة من السهل التي يجتازها طريق بيروت دمشق الدولي . ويبلغ متوسط اتساع السهل فيما بين بلدتي جب جنين وزحلة نحو ١٢ كيلومتر . ويغطي سطح السهل في هذه المسافة رواسب رملية وحصوية ترتكز على تكوينات من الصخور الجيرية الكريتاسية . ويجري نهر الليطاني خلال هذه الرواسب صانعًا الكثير من التعاريج والمنعطفات .

ويعود السهل إلى الضيق النسبي فيما بين خط عرض الرياق – زحلة جنوبًا حتى بعلبك – حوش الذهب شمالًا ، حيث ترتفع الأرض إلى علو يزيد على ١٠٠٠ متر فيختفي البقاع الجنوبي تمامًا . وفي هذه الشقة يعود السهل إلى الضيق فلا يزيد عرضه في أكثر جهاته اتساعًا على ٨ كم ، كما يتميز بتباين المنسوب ، وعدم وضوح نظام معين للمجاري النهرية بسبب ما يعترضها من مناقع . وتتركب تكوينات السهل في هذه المسافة من رواسب بليوستوسنية ، وأخرى رملية حصوية تنتمي للبليوسين .

ويبدأ البقاع الشمالي شمالي بعلبك – حوض الذهب . وهو بصفة عامة أكثر اتساعًا من البقاع الجنوبي . ويتركب سطحه من تكوينات قارية النشأة تنتمي لأواخر الزمن الجيولوجي الثالث ، تجري خلالها أعالي نهر العاصي . وتحف بالسهل من كلا جانبيه هوامش جبال لبنان الشرقية والغربية ، وتطل عليه بحافات عالية شديدة الانحدار ، وتزوده بعدد من المجاري المائية ترفد نهر العاصي ، من بينها وادي رأس بعلبك ووادي الفاكهة ، وهما ينبعان من الجبال الشرقية ، ووادي شربين ووادي زعزين ويصدران من الجبال الغربية .

هذا وتتميز الهوامش الشمالية الشرقية لجبال لبنان الغربية المطلة على البقاع الشمالي بوجود منخفضات مستطيلة الشكل وعميقة تشغلها البحيرات . وهي ناشئة عن انكسارات محلية صاحبت الانكسار الأخدودي العظيم ، الذي يعتبر القطاع جزءًا منه . ولاشك أن العمليات الكارستية قد أسهمت في تشكيلها وتعديل مظهرها الذي تبدو به الآن . ومن أشهر هذه المنخفضات منخفض اليمّونة .

٤ – جبال لبنان الشرقية :

تقابل سلسلة جبال لبنان الغربية وتوازيها سلسلة جبال شرقية تعادلها طولًا وارتفاعًا وقد عرفت هذه السلسلة قديمًا بأنتيليبانوس (أي لبنان المقابل) والتي نعرفها اليوم باسم لبنان الشرقي[٢٠] . تبدأ هذه السلسلة جنوبي حمص بسورية ، وتمتد إلى جبل الشيخ ، ومنه تأخذ في الانحدار السريع خارج حدود لبنان إلى أن تندمج بهضبة حوران وتتصل بشرق الأردن إلى أن تنتهي عند الطريق الجنوبي للبحر الميت . والسلسلة كلها تمثل التواء محدبًا كالسلسلة الغربية ، وتأثرت بالانكسارات العظيمة الممتدة على طولها من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي ، ولهذا فإن سفوحها شديدة الانحدار . وتجري حدود لبنان الشرقية في معظم طولها متتبعة قممهاوقمم جبل الشيخ . وتتألف طبقات جبال لبنان الشرقية من صخور جيرية ودولوميتية تنسب للعصر الجوراسي ، تُري ظاهرة في جبل الشيخ ، أما القسم الشمالي من الجبال فتظهر فيه الصخور الجيرية الكريتاسية العمر .

ويشطر وادي بردى سلسلة لبنان الشرقية إلى شطرين : شمالي وجنوبي . أما الشطر الشمالي فيتميز بجبال شديدة التضرس عظيمة الاتساع والارتفاع ومن بين قممه العالية جبل حليمة الذي ترتفع ذراه إلى ٢٤٦٤ مترا ، وأرض الحمرة وارتفاعه ٢٣٧٢ مترا . وتتخللها مسالك قليلة وعرة . منها مسلك يصل بين بلدتي رياق في لبنان وسرغايا في سوريا . وتكاد تنعدم مظاهر الحياة على السفوح الغربية لهذا الشطر الشمالي . فهو قاحل بسبب قلة الأمطار وتسرب معظمها خلال مسام الصخور الجيرية .

ويتميز الشطر الجنوبي من سلسلة جبال لبنان الشرقية بغناه النسبي ، وعلى سفوحه الغربية تقوم قرى عامرة عديدة ، منها قرى درزية. وأبرز قممه جبل الشيخ الذي يصل علوه ٢٨١٤ مترا . ويفصل جبل الشيخ عن بقية السلسلة ممرات جبلية طبيعية تصل البقاع اللبناني بسورية ، منها ممر بين بلدتي مجدل العنجر في لبنان وديماس في سورية . وحدُّ لبنان الشرقي يمر من فوق جبل الشيخ ، ثم يدور حول التلال ذات الانحدار الشديد في منطقتي الزيداني وبلودان (في سورية) ، ويتابع سيره إلى أعالي سلسلة لبنان الشرقية . أما نهر بردى فإنه يجري في اتجاه جنوبي شرقي إلى أرض سورية فيحيي فيها

مساحات كبيرة ،ولولا مياهه لكانت صحراء قاحلة . وإن مدينة دمشق وغوطتها الشهيرة لمدينتان بحياتهما لبردى النابع من أعالي جبل لبنان الشرقي .

ولاشك أن جبلى الشيخ بفضل تكوينه الطبيعي وموقعه الجغرافي ، أجمل قمة في هذه السلسلة ، واسمه « حرمون » عبراني الأصل ومعناه مقدس . وقمته التي تشرف على عدد من التلال المتداخلة والأودية المتشعبة مجللة بالثلج على مدار السنة ، ومن فوق قراه . يمكن للمرء أن يرى نهر الأردن الذي ينبع من سفوحه ، كما يستطيع أن يرى دمشق وغوطتها ، وصور ، وجبل المكمل ، وتلال الجليل وسهوله ، ومنخفض الحولة وبحيرة طبرية .

المناخ

يتوقف مناخ لبنان على عدة عوامل جغرافية تؤثر فيه بأشكال خاصة ، وبدرجات متفاوتة ، لكنها تتضافر فيما بينها للتحكم في عناصره ، وفي تكوين نوع مناخي متميز يسود أراضي لبنان . ويمكننا تلخيص أهم هذه العوامل فيما يلي[٢١] :

١ - الموقع :

يشغل لبنان مساحة صغيرة فيما بين دائرتي عرض ١٠َ ٣٣° و ٤٠َ ٣٤° . ويتوسط الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، ويطل عليه بواجهة طولها نحو ٢١٠ كيلومتر ، وبعرض متوسطه خمسون كيلومتر . وبهذا يكون لبنان واقعًا في الهامش الجنوبي للمنطقة المعتدلة ، ومجاورًا للعروض المدارية . فيتأثر بالدورة الهوائية المعتدلة ، والدورة الهوائية المدارية ، ويخضع لفعلهما تبعًا لانتقال الشمس الظاهري . ففي فصل الشتاء يقع تحت تأثير الرياح الغربية وأعاصيرها الممطرة . وفي فصل الصيف يخضع لتأثير الرياح التجارية القارية الجافة .

٢ - التضاريس :

تغلب على هذا البلد الصغير الذي تبلغ مساحته ١٠٤٠٠ كم٢ الصبغة الجبلية إذ تنتظم

تضاريسه في سلسلتين جبليتين تمتدان من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي على موازاة ساحل ضيق متقطع أحيانًا . وتحتضنان سهلًا مفتوحًا من الشمال والجنوب ، هو سهل البقاع . ولاشك أن لتنوع أشكال التضاريس على هذا النحو أثرًا كبيرًا على تنوع الظروف المناخية في لبنان من مكان لآخر .

وأثر الارتفاع على الحرارة قوي جدًّا ، فمتوسط حرارة شهر يناير فوق الجبال يبلغ ١,٣ درجة مئوية ، وفي بيروت ١٢,٨°م . أما في يوليو فإن المعدل الحراري فوق الجبال يبلغ ١٧,١°م ، وهو في بيروت ٢٦,٢°م . ومن ثم فإن المدى الحراري السنوي فوق الجبال يصل إلى ١٥,٨°م ، بينما هو في بيروت ١٣,٤°م[٢٢] .

وهناك علاقة وثيقة بين التضاريس والمطر ، فيلاحظ أن السفوح الجبلية الغربية التي تواجه الرياح العكسية وأعاصيرها تكون كثيرة المطر ، إذ تسقط عليها منه كميات تبلغ ١٢٥٠ملم ، بل قد تربو على ذلك فوق قمم جبال الأرز وشواهق صنين والكنيسة والباروك ونيحا . وبينما تقل الأمطار في سهل البقاع الواقع في ظل المطر فتتراوح بين ٥٠٠ و ٢٥٠ملم .

٣ - البحـــــر :

يبدو تأثير البحر المتوسط واضحًا بالنظر إلى الاختلاف البين في ظروف مناخ كل من مدن الساحل ومدن الداخل والجبل . فالمدى الحراري الفصلي في مدن الساحل صغير نسبيا ، فهو في بيروت يبلغ ١١,٧°م (متوسط حرارة يناير ١٤,٢°م ، ويوليو ٢٥,٨°م) ، وفي طرابلس يصل إلى ٧,٨°م (متوسط حرارة يناير ١٥,٨°م ، ويوليو ٢٣,٦°م) . فإذا ما انتقلنا للداخل ازداد المدى الحراري الفصلي كثيرًا ، واتضحت قارية المناخ . ففي مرجعيون بالجنوب يصل المدى الحراريالفصلي إلى ١٦°م (متوسط حرارة يناير ٥,٥°م ، ويوليو ٢١,٤°م) . وفي رياق بالبقاع الأوسط شرقي زحلة ، يبلغ المدى ١٧,٧°م (متوسط حرارة يناير ٥,٢°م ، ويوليو ٢٢,٩°م) وفي الفاكهة بوادي العاصي في الشمال ١٨,٩°م (متوسط حرارة يناير ٥,٥°م ، ويوليو ٢٤,٤°م) .

وبالمثل يتضح تأثير البحر المتوسط فى المدى الحراري اليومي بمدن الساحل ، حيث نجده صغيرًا بالقياس إلى المدى الحراري اليومي لمدن الداخل الواقعة على نفس دوائر العرض . ففي طرابلس يبلغ المدى اليومي ٢°م ، وفي الفاكهة بالداخل على نفس دائرة العرض ٧°م ، ويبلغ المدى اليومي في خلدة الواقعة على الساحل جنوبي بيروت ٣°م ، بينما يزداد إلى ٩°م في كسارة الواقعة بالداخل بالبقاع الأوسط وعلى نفس دائرة العرض .

وغني عن البيان أن الرطوبة النسبية ترتفع في المناطق الساحلية عنها في المناطق الداخلية الجبلية والسهلية . فهي تبلغ في بيروت نحو ٧٠٪ ، وفي شواهق الأرز حوالي ٦٠٪ ، وفي البقاع الداخلي ٥٨٪ ، (المتوسط السنوي) .

٤ - توزيع نطاقات الضغط :

يؤثر توزيع نطاقات الضغط المختلفة فوق الكتل القارية ، والمسطحات المائية البحرية تأثيرًا بالغًا على مناخ لبنان في مختلف فصول السنة .

ففي فصل الصيف : عندما تكون أشعة الشمس متعامدة على مدار السرطان ، ينتقل بسببها شمالًا نطاق الضغط المرتفع ، الذي يكون واضحًا تمامًا فوق مياه البحر المتوسط . كما تسوده كتل من الهواء المداري ضعيفة الحركة ، وحارة وجافة . أما التيارات الهوائية الشمالية الغربية الباردة التي تؤدي إلى نشوء الاضطرابات فوق البحر المتوسط ، فتتجه في هذه الأثناء نحو أوربا الوسطى بعيدًا عن البحر المتوسط . ولهذا تسود البحر ولبنان في هذا الفصل أكثر الفترات هدوءا واستقرارا في أحوال المناخ .

أما في فصل الشتاء : فإن أشعة الشمس العمودية تتراجع جنوبًا إلى مدار الجدي ، وتتراجع معها نطاقات الضغط الجوي . ويتكون على شرقي أوربا ووسطها وأحواضها الجنوبية ، بسبب البرودة ، نطاق من الضغط المرتفع ، ويكون الهواء فوقها باردًا وساكنًا بدرجة كبيرة . كما يمتد نطاق الضغط المرتفع الأزوري ويرابض فوق شمال إفريقية . ويتشكل بين هذين النطاقين المرتفعي الضغط نطاق من الضغط المنخفض ، فوق مياه

البحر المتوسط بسبب دفئها . وإليه تهب من المحيط الأطلسي رياح دفيئة رطبة ، هي الرياح العكسية ، كما تهب عليه رياح باردة جافة من وسط أوربا وشرقها ، ورياح مدارية حارة من الصحراء الكبرى . ويؤدي التقاء هذه الرياح التي تتباين في درجات حرارتها ورطوبتها ، إلى تكوين العديد من الجبهات الإعصارية التي تتحرك نشطة من الغرب إلى الشرق . وهكذا يسود البحر ولبنان في هذا الفصل أكثر الفترات اضطرابًا وتقلبًا في أحوال الجو(٢٣) .

١ - الحــــرارة :

يتأثر توزيع الحرارة في لبنان بعدد من العوامل نجملها فيما يلي :

١ - الموقع الجغرافي المحلي للأراضي اللبنانية : فمن أراضيه ما هو قريب مجاور للبحر ، فيتأثر به تأثرًا مباشرًا ، كالسهول الساحلية ، والسفوح الغربية لجبال لبنان الغربية ، ومنها ما هو بعيد محجوب بسلسلة الجبال الغربية ، فيقل تأثره بالبحر كسهل البقاع وجبال لبنان الشرقية .

٢ - الموقع الفلكي : ويظهر أثره في تناوب الفصول الحرارية ، وفي توزيع الحرارة على مختلف بقاع لبنان تبعًا لتبادل تعامد الإشعاع الشمسي على مداري السرطان والجدي إبّان فصلي الصيف والشتاء الشماليين .

٣ - التضاريس : وأثرها بيِّن شديد الوضوح في توزيع الحرارة بلبنان بين السهل والجبل ، سواء اختص التوزيع بالمتوسطات الحرارية الحقيقية فصليًّا أو يوميًّا ، أو بالمدى الحراري الفصلي واليومي أو بالنهايات الحرارية الصغرى والعظمى .

وفي ضوء هذه العوامل المؤثرة ، وبالاستعانة بمختلف ، خرائط التوزيعات الحرارية ، وجدول المتوسطات الشهرية والسنوية الموزعة بين الساحل والجبل والداخل يمكننا أن نعطي صورة واضحة عن التوزيع الجغرافي الفصلي واليومي للحرارة .

فمن دراسة خريطة خطوط الحرارة المتساوية للمتوسط السنوي ، يظهر بوضوح التوافق التام بين توزيع درجات الحرارة الفعلية وتوزيع التضاريس ، فالخط الحراري ٢٠°م يحيط

بكل السهل الساحلي اللبناني حتى ارتفاع ١٠٠ متر . ونظرًا لقرب الجبال من البحر ، يبدو النطاق بشكل شريط ضيق يمتد من الشمال إلى الجنوب ، باستثناء سهل عكّار بأقصى الشمال ، الذي يتأثر بالكتل الهوائية الآسيوية الباردة . أما خط الحرارة ١٥°م فيكاد ينطبق على خط ارتفاع ٩٠٠م على السفح الغربي لسلسلة الجبال الغربية ، بينما يصعد الخط عاليًا فوق السفح الشرقي لنفس السلسلة بسبب انعزالها عن المؤثرات البحرية . ويرتبط خط الحرارة ١٥م ومساره بالبقاع بالموقع الداخلي . ويلاحظ أن الخط الحراري ١٠°م يحيط بالقسم الأكبر من السلسلة الشرقية ، كما يرسم ثلاثة نطاقات منعزلة عن بعضها فوق سلسلة الجبال الغربية ، وكلها على ارتفاع ١٨٠٠ متر . ويحيط خط الحرارة ٥°م بمنطقة صغيرة شاهقة الارتفاع فوق منسوب ٢٧٠٠ متر . ويتراوح المتوسط السنوي لدرجة الحرارة في النطاق الساحلي بين ٢٠°م في طرابلس و ٢١,١°م في بيروت . وفي سلسلة الجبال الغربية بين ١٥,٢°م في جزين على ارتفاع نحو ١٠٠٠م ، و ٩,١°م على ارتفاع نحو ٢٠٠٠ متر في الأرز[٢٤] .

ويتضح من جدول متوسطات الحرارة الشهرية ومن خريطة خطوط الحرارة المتساوية أن شتاء لبنان معتدل دافىء فوق النطاق الساحلي . وفوق السفوح الغربية للسلسلة الجبلية الغربية التي لا يزيد ارتفاعها على ٦٠٠ متر . فهنا لا ينخفض المعدل الحراري عن ٨م في أي شهر من شهور الشتاء . وهو معتدل بارد فوق المنحدرات الغربية للسلسلة الغربية التي يتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠ متر و ١٢٠٠ متر ، حيث لا ينخفض المعدل الحراري في العادة عن ٥°م . وبارد فيما بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ متر . وقارس البرودة فوق ارتفاع ١٥٠٠ متر في أعالي السلسلتين الجبليتين الغربية والشرقية كلتيهما . ففي ذرى جبال الأرز وكاكاترا وعيناتا وصنين ، يبلغ المتوسط الحراري لشهر يناير الصفر وما دونه . وفي سهل البقاع الذي لا يزيد ارتفاعه على ٩٠٠ متر يبقى المعدل الحراري حول ٥°م ، فهو بارد إلى بارد نوعًا ما (شكل ٥) .

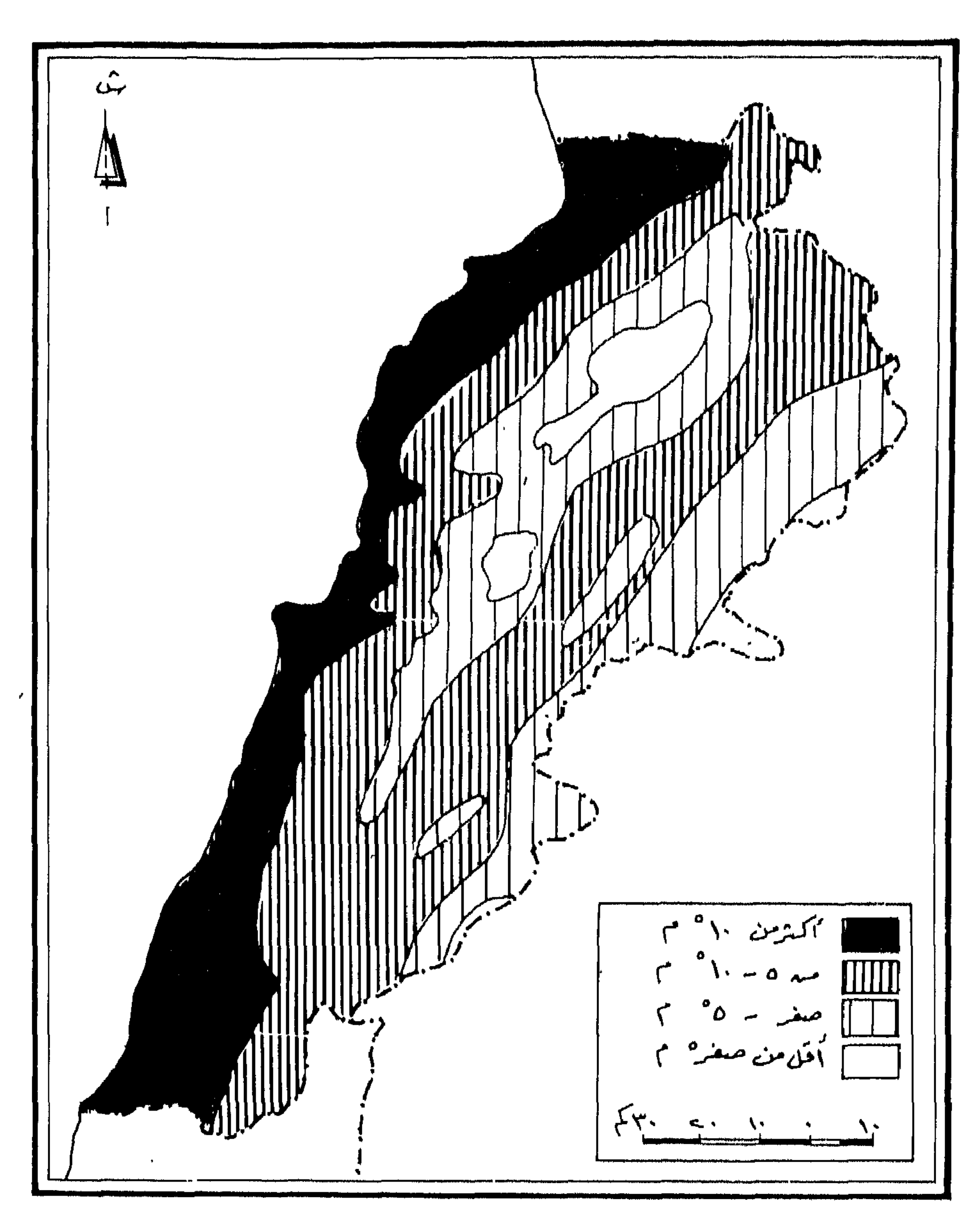
وفي فصل الربيع يبدو التباين بين الساحل والسهل والجبل أكثر وضوحًا ، إذ يبلغ الفرق بين متوسط حرارة الساحل وقمم الجبال العالية أكثر من ١٠°م . ويدفأ الجو وتصعد خطوط الحرارة صوب أعالي الجبال ، إذ يحيط خط الحرارة ١٥°م في شهر

جدول رقم (١) المتوسطات الشهرية والسنوية لدرجات الحرارة لمحطات مختارة موزعة بين الساحل والجبل والداخل (بالدرجات المئوية)

المنطقة	الساحل			الجبل			الداخل		
الناحية	الشمال	الوسط	الجنوب	الشمال	الوسط	الجنوب	الشمال	الوسط	الجنوب
المحطة	طرابلس	بيروت	القاسمية	الأرز	بحمدون	جزين	الفاكهة	كسارة	مرجعيون
الارتفاع بالمتر	٤	٣٤	٣	١٩٢٥	١١٣٠	٩٤٧	١٠٦٠	٩٢٠	٧٦٠
يناير	١٢,٨	١٣,٦	١٤,٦	٠,٣	٦,٩	٧,١	٥,٥	٥,٨	٨,٣
فبراير	١٣,٣	١٤,٠	١٣,٢	٠,١	٧,١	٧,٦	٦,٥	٦,٩	٨,٧
مارس	١٤,٩	١٥,٩	١٥,٤	٢,٢	٩,١	١١,٠	٩,٢	٩,٦	١٠,٩
ابريل	١٧,٥	١٩,٠	١٨,٠	٧,١	١٢,٩	١٤,٣	١٣,٣	١٤,١	١٤,٤
مايو	٢١,٣	٢٢,٧	٢١,٧	١٢,٠	١٦,٨	١٧,٣	١٨,٨	١٨,٥	١٨,٤
يونيو	٢٤,٠	٢٥,٩	٢٤,٤	١٤,٨	٢٠,١	٢٠,٧	٢٢,٥	٢١,٨	٢٠,٩
يوليو	٢٦,٢	٢٨,١	٢٦,٣	١٧,٥	٢١,٨	٢١,٥	٢٤,٤	٢٤,٠	٢٢,٣
أغسطس	٢٧,١	٢٨,٧	٢٧,٢	١٨,٠	٢٢,٢	٢١,٩	٢٤,٩	٢٤,٣	٢٣,٠
سبتمبر	٢٥,٧	٢٧,١	٢٦,٣	١٥,٣	١٩,٤	٢٠,١	٢١,٣	٢١,٧	٢١,٥
أكتوبر	٢٢,٨	٢٤,٠	٢٣,١	١١,٩	١٧,١	١٨,٤	١٨,٦	١٨,١	١٩,٦
نوفمبر	١٩,٠	١٩,٤	١٩,٩	٧,٠	١٢,٦	١٣,٧	١٣,٢	١٢,٥	١٥,٢
ديسمبر	١٤,٦	١٥,٣	١٦,٥	٣,٥	٩,١	٩,١	٨,١	٧,٧	١٠,٢
المتوسط السنوي	٢٠	٢١,١	٢٠,٥	٩,١	١٤,٦	١٥,٢	١٥,٤	١٥,٤	١٦,١

المصدر : Ministere de Travaoux : Atlas Climatique du Liban, pp. 24-27.

إبريل بمرتفعات غرب لبنان على ارتفاع ٨٠٠ متر ، وخط الحرارة ١٠°م على ارتفاع ١٢٠٠ متر ، بينما يكتنف خط الحرارة ٥°م بالشواهق المكللة بالثلوج . ويظهر خط الصفر الحراري محيطاً بأعالي قمة جبل المكمل وقمة جبل الشيخ .



شكل - ٥ - خطوط الحرارة المتساوية الفعلية لشهر يناير

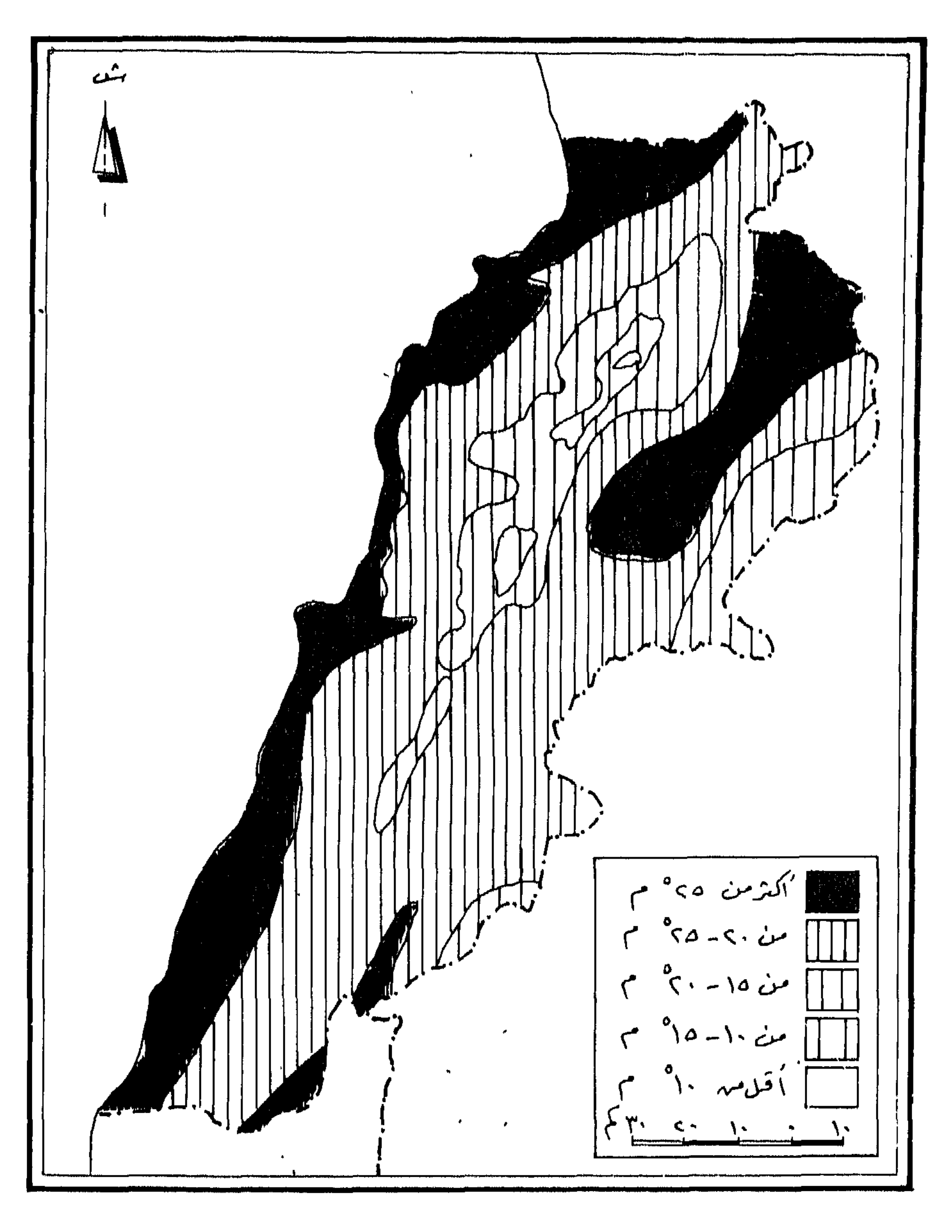
وفي فصل الصيف لا يحدث تغيير ذو بال في هذه العلاقة الوطيدة بين توزيع الحرارة والتضاريس وتأثير البحر . وهكذا تبقى الخطوط الحرارية صورة لطبيعة التضاريس والقرب أو البعد من البحر . وفي هذا الفصل ترتفع درجة الحرارة كثيرًا ، خاصة في الداخل عنها في الساحل الذي يتأثر نسبيا بنسائم البحر الملطفة . ففي شهر يوليو تبلغ حرارة طرابلس ٢٦,٢م، وبيروت ٢٨,١م، بينما تبلغ حرارة الفاكهة ٢٤,٤م، وكسارة ٢٤°م ، والأخيرتان تقعان بالداخل ، لكن ينبغي أن لا ننسى عامل الارتفاع ، فالفاكهة على ارتفاع ١٠٦٠ مترا ، وكسارة على ارتفاع ٩٢٠ مترا (شكل ٦) .

وتنخفض الحرارة بالارتفاع بمعدل يتراوح بين ٠,٦ و ١°م لكل مائة متر . وهذا هو السبب في اعتدال حرارة جبال لبنان الغربية صيفًا ، فمعدلاتها الحرارية خلال شهري يوليو وأغسطس ، وهما أحرّ الشهور في لبنان ، يتراوح بين ١٠°م و ١٥°م . أما جبال لبنان الشرقية فتبقى الحرارة فوقها مرتفعة ، فلا تقل عن ٢٠°م في الصيف (شكل ٧) .

وتجدر الإشارة إلى أن أحر الشهور بالنطاق الساحلي هو شهر أغسطس ، وليس شهر يوليو كما هو الحال بالداخل . وتلك سمة تختص بعموم المناطق الساحلية التي تتأثر بالبحر . فالمسطحات المائية تكتسب الحرارة ببطء وتفقدها ببطء ، وتبعًا لذلك يتأخر ظهور الحرارة العظمى إلى أغسطس . على عكس الداخل ، حيث اليابس يكتسب الحرارة بسرعة ، فتظهر الحرارة العظمى فيه مبكرة في شهر يوليو . ويبقى الجو معتدلًا في ربوع لبنان في فصل الخريف ، ويظهر أثر التضاريس والبحر أيضًا في خفض المتوسطات الحرارية . فبينما نجد متوسط الحرارة بالنطاق الساحلي حول ٢٣°م ، نجده فوق الجبال حول ١١°م ، وبالداخل المرتفع حول ١٩°م (مرجعيون بالداخل على ارتفاع ٧٦٠ مترا) .

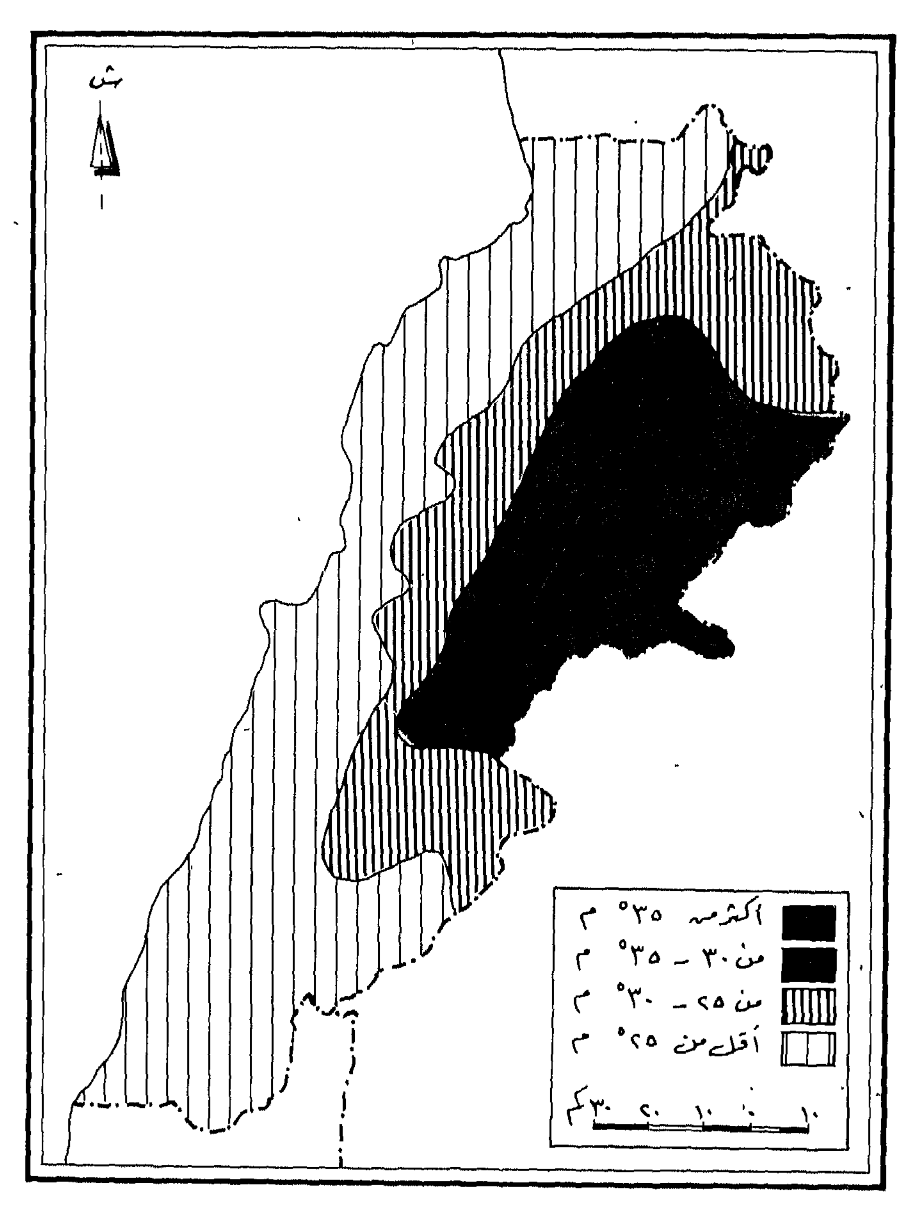
٢ - الضغط الجوي والرياح :

الضغط الجوي : يتضح من بيانات الجدول رقم (٢) ، أن الضغط الجوي يبلغ أقصى ارتفاع له فوق الساحل والجبل أثناء شهري ديسمبر ويناير (١٠١٧,٢



شكل - ٦ - خطوط الحرارة المتساوية الفعلية لشهر أغسطس

a - Atlas Climatique du Liban , Tome 1 , Beyrouth , 1967



شكل ـ ٧ ـ المتوسط السنوي للمدى الحراري اليومي

ملليبارا) ، بينما يبلغ ذروته فوق باقي الأراضي اللبنانية أثناء شهر نوفمبر بسبب تعرض البقاع للبرودة السريعة التي تؤدي إلى ركود الهواء فيه ، بينما يكون الساحل ما يزال متأثرًا بمياه البحر الدافئة . وبعد انتهاء شهر يناير يأخذ الضغط الجوي في الانخفاض التدريجي فوق لبنان كله حتى شهر إبريل ، ثم يأخذ بالانخفاض السريع حتى يبلغ نهايته الصغرى في شهر يوليو ، وبعده يعود إلى الارتفاع من جديد[٢٥] .

جدول رقم (٢) متوسطات الضغط الجوي المعدل لمستوى سطح البحر

محطة الأرصاد الشهر	بيروت (بالمليبار)	كسارة (بالمليبار)	محطة الأرصاد الشهر	بيروت (بالمليبار)	كسارة (بالمليبار)
يناير	١٠١٧,٢	٩١١,٦	يوليو	١٠٠٦,٨	٩٠٥,٦
فبراير	١٠١٦,٤	٩١٠,٤	أغسطس	١٠٠٧,٦	٩٠٤,٨
مارس	١٠١٤,٤	٩١٠,-	سبتمبر	١٠١١,٢	٩١٠,-
إبريل	١٠١٣,٢	٩٠٩,٦	أكتوبر	١٠١٥,٢	٩١٢,٤
مايو	١٠١٢,٤	٩٠٩,٢	نوفمبر	١٠١٦,٨	٩١٣,٢
يونيو	١٠١٠,-	٩٠٨,-	ديسمبر	١٠١٧,٢	٩١٢,٨

المصدر : نسيب محمد خزعل : الجغرافيا المناخية للبنان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٢م . ص ٤٥ .

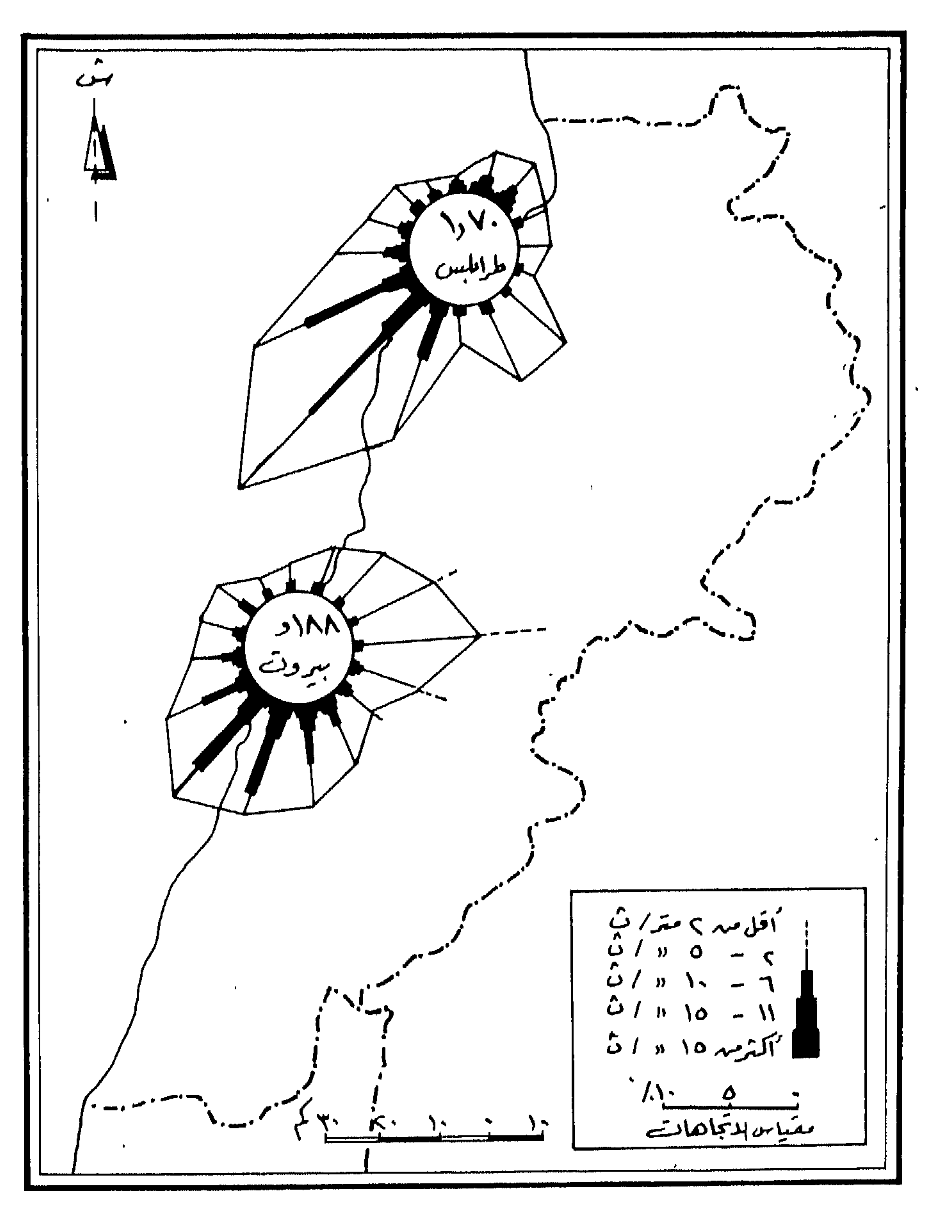
ويعزى انخفاض الضغط فوق لبنان إلى أدناه في شهر يوليو إلى وقوع أراضيه تحت تأثير نطاق الضغط المنخفض الهائل فوق القارة الآسيوية ، والذي يتخذ من شمال غرب الهند أحد مراكزه ، كما يظهر له مركز ضخم فوق الخليج العربي . ويرجع سبب ارتفاع الضغط الشتوي إلى امتداد لسان من الضغط المرتفع الأوراسي فوق لبنان . ويتسبب تراخي وبطء تزحزح نطاق الضغط المرتفع الأزوري الممتد فوق لبنان أثناء رحلته نحو الجنوب إلى ارتفاع الضغط في شهري أكتوبر ونوفمبر ، كما يؤدي بطء تزحزحه نحو الشمال في فصل الربيع إلى انخفاض الضغط فوق لبنان أثناء شهر إبريل .

الرياح : يؤدي التباين في توزيع نطاقات الضغط الجوي فوق لبنان والمناطق المجاورة له إلى اختلاف مصادر الرياح التي تهب عليه من فصل لآخر ، وبالتالي إلى تباين اتجاهاتها وسرعاتها . ففي النصف الشتوي من السنة يقع لبنان في مهب الرياح البحرية الجنوبية الغربية (العكسية) وأعاصيرها . وتتصف هذه الرياح برطوبتها وعدم انتظام سرعتها التي تتراوح بين ١ و١٦ مترا في الثانية . وتبلغ ذروة سرعتها إبان أشهر يناير وفبراير ومارس . وتصبح رياحا عاصفة عندما يرابض قرب لبنان منخفض جوي شديد التدرج والعمق إذ تزيد سرعتها حينئذ على ٥٠ مترا في الثانية (شكل ٨) .

وبالإضافة إلى هذه الرياح البحرية الجنوبية الغربية تهب على لبنان شتاء رياح شمالية وشمالية شرقية من قارة أوراسيا ، وتنفذ إليه خلال وادي العاصي وممر حمص . وتتميز هذه الرياح بجفافها وبرودتها وقوتها ، فسرعتها تتراوح بين ٦ و ١١ مترا في الثانية ، ويتفاوت مدى تأثيرها على أراضي لبنان من مكان لآخر ، لكنها تؤدي إلى خفض الحرارة إلى حوالي الصفر وما دونه في كثير من الأحوال .

وفي النصف الصيفي من السنة يقع لبنان تحت تأثير الدورة الهوائية المدارية ، التي تخضعه لهبوب الرياح التجارية الشمالية الجافة ، التي يتعذر عليها النفوذ إلى لبنان عن طريق وادي العاصي ، وممر حمص بسبب وجود حاجز من الضغط المرتفع النسبي يمتد من شمال غربي سوريا . لذلك تضطر إلى الدوران حول قبرص قبل وصولها إلى لبنان على هيئة رياح غربية وجنوبية غربية . وتتميز هذه الرياح باعتدال سرعتها ، وانتظام هبوبها . ورغم رطوبتها لاجتيازها البحر المتوسط فإنها لا تسقط مطرًا كالرياح الشتوية بسبب دفء اليابس اللبناني أثناء الصيف ، فلا تتهيأ الظروف المناسبة للتكاثف ، كما أنها غير مصحوبة بالأعاصير المطيرة . ولكنها تعمل على رفع نسبة الرطوبة فوق الساحل ، كما تعمل على نشر الضباب أحيانًا فوق السفوح الغربية لجبال لبنان الغربية فيما بين ارتفاعي ٦٠٠ و ١٢٠٠ متر .

ويتعرض لبنان أثناء فصل الربيع لرياح صحراوية حارة ، تزيد سرعتها في بعض الأحيان على ٥٠ مترا في الثانية ، وهي تصله من الجنوب الشرقي والشرق وهي ناشئة



شكل - ٨ - المعدل السنوي لاتجاهات الرياح وسرعتها في طرابلس وبيروت

عن تشكيل الانخفاضات الصحراوية الخماسينية فوق صحراء مصر الغربية ، التي تتحرك شرقًا ثم تنحرف نحو الشمال الشرقي فوق فلسطين وسوريا ولبنان ، والرياح الجنوبية الشرقية والشرقية التي تثيرها هذه الانخفاضات تكون شديدة الحرارة والجفاف ، وتجلب معها من الصحراء كميات هائلة من الغبار والرمال التي تجعل الجو مكفهرًا مصفرًا . ويدوم هبوب رياح الخماسين نصف يوم أحيانًا ، وقد يطول إلى ثلاثة أيام أو أربعة . ويتعرض الجو في لبنان ، عندما يسوده طقس خماسيني ، لتغيرات فجائية وعنيفة ، إذ تبلغ درجة الحرارة الذروة (وصلت في بيروت إلى ٤٤,٨°م في العاشر من مايو عام ١٩٤٤م) والرطوبة نهايتها الصغرى (تهبط من ٨٠٪ إلى ٢٠٪ في بيروت) .

وتهب رياح الخماسين الحارة المتربة في مقدمة الانخفاضات الصحراوية . وفي أعقاب تلاشي هذه الانخفاضات تهب على لبنان رياح غربية باردة نسبيًا ، فتنخفض درجة الحرارة (إلى نحو ١٧° م)، وتزداد الرطوبة النسبية (من ٢٠٪ إلى ٨٠٪) ، كما قد تتساقط أمطار موحلة (مختلطة بذرات الأتربة) متفاوتة الكمية وتسمى هذه الرياح المحلية الساخنة في لبنان باسم رياح الشلوق .

ويلاحظ أن السكون يسود جو لبنان في بعض أوقات الشتاء والربيع لمدة أسبوع أو أسبوعين ، بسبب امتداد ألسنة من الضغط المرتفع فوق الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، كما تسوده فترة سكون طويلة أثناء شهري أكتوبر ونوفمبر لوقوعه حينئذ تحت تأثير الضغط المرتفع دون المداري .

وتبدو ظاهرة نسيم البر ، ونسيم البحر أكثر وضوحًا في الفصل الحار من السنة ، نظرًا لوضوح الفرق بين حرارة اليابس وماء البحر المجاور للبنان . أما ظاهرة نسيم الوادي ، ونسيم الجبل فتنشط في لبنان بصورة ملحوظة جدًا ، نظرًا لطبيعته الجبلية . ويزداد وضوح هذه الظاهرة في الأودية التي تمتد من الشرق إلى الغرب ، بالإضافة إلى الأودية الضيقة والمغلقة . وقد يؤدي ركود الهواء في الأودية إلى حدوث انقلاب حراري يضر بالمزروعات .

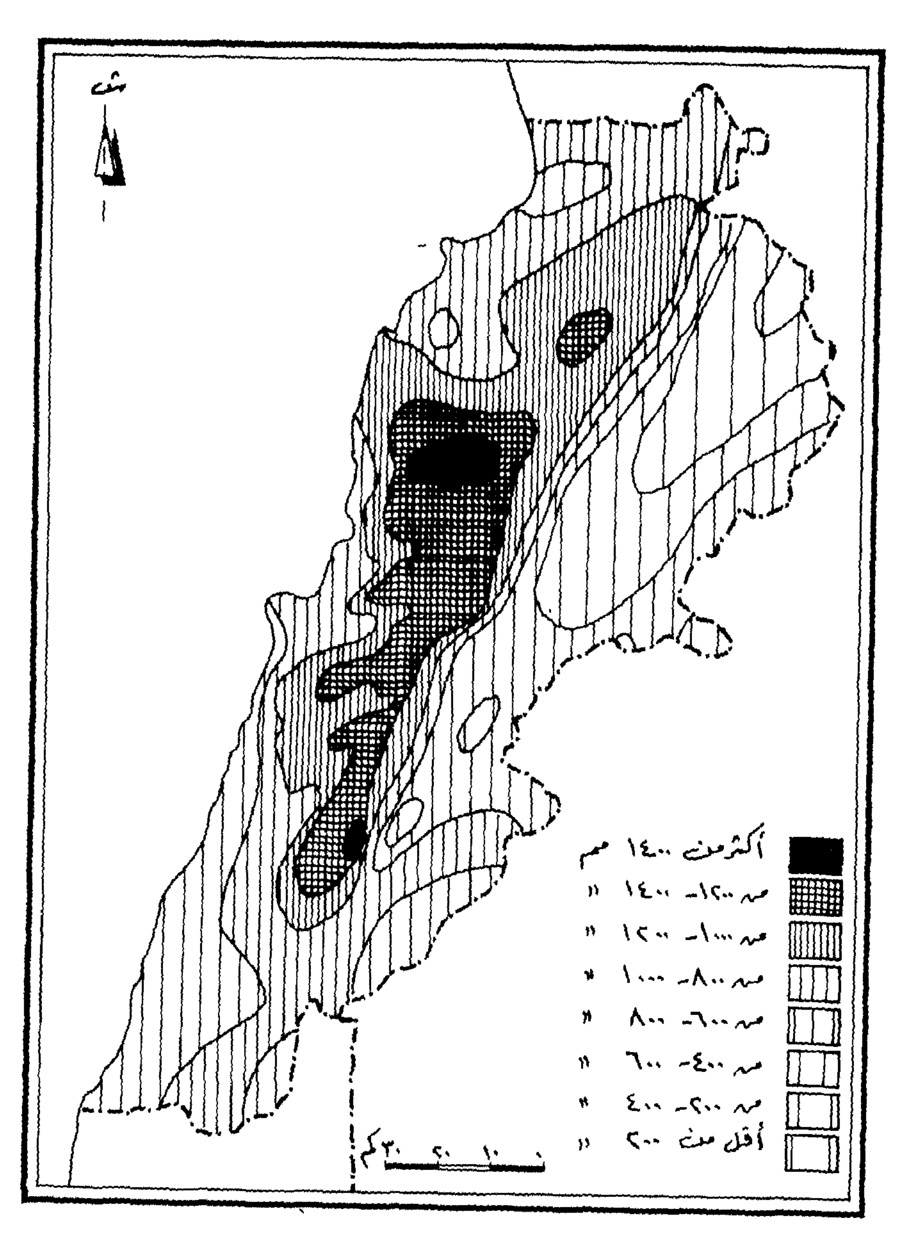
٣ – التساقط

الأمطار : الأمطار أهم مظاهر التكاثف في لبنان ، ومن أهم عناصر مناخه ، فإليها يرجع الفضل في تكوين ينابيعه ، وجريان أنهاره ، وتنوع نباتاته وأحراجه ، وتباين غلاته الزراعية ، وتشكيل مظاهر سطح أرضه ، وهي التي تميزه عن أقطار المشرق العربي المجاورة له .

ويستفاد من بيانات الجدول رقم (٣) ؛ ومن خريطة توزيع الأمطار (شكل ٩) أن هناك علاقة وثيقة بين الأمطار والتضاريس والقرب أو البعد عن البحر . فامتداد السلسلة الجبلية الغربية بحذاء الساحل يجبر الرياح الغربية والجنوبية الغربية وما يصحبها من أعاصير على الارتفاع كى تعبرها ، مما يؤدي إلى تكاثف الرطوبة العالقة بها ، وتساقطها في صورة أمطار وثلج وبَرد على سفوحها الغربية ، بينما يقل المطر على سفوحها الشرقية التي تقع في ظل المطر . وتتناقص كمية المطر فوق جبل عامل ، الذي يشكل الجزء الجنوبي من السلسلة الغربية ، لقلة ارتفاعه النسبي .

أما المناطق الداخلية كالبقاع فلا يصيبها كثير من المطر لأنها واقعة خلف السلسلة الغربية التي تستحوذ على معظم ما تحمله الرياح الغربية والأعاصير من رطوبة ، كما أن وقوع الجبل الشرقي وراء أكثر أجزاء السلسلة الغربية ارتفاعًا وعرضًا يؤدي إلى قلة أمطاره . بينا يحظى جبل حرمون بقدر من المطر يزيد كثيرًا عما يسقط فوق الجبل الشرقي ، لأنه يقع خلف القسم الجنوبي من السلسلة الغربية الذي يتميز بالضيق والانخفاض النسبي . وينبغي هنا أن نشير إلى أن قسمًا كبيرًا من أمطار لبنان من النوع التضاريسي .

وإذا ما أردنا التعرف على التوزيع الجغرافي للأمطار ، فإننا سنجد النطاق الساحلي يحظى بأمطار غزيرة نسبيًا بين ٨٠٠ و ٩٠٠ ملم في السنة ، وذلك لإشرافه المباشر على البحر برياحه وأعاصيره ، ومحاذاته للسلسلة الجبلية الغربية . وتتفاوت المعدلات السنوية للمطر من مكان لآخر على الساحل بسبب التباين في المواقع المحلية . ففي القاسمية في الجنوب يبلغ معدل الكمية السنوية ٦٦٠ملم ، وفي بيروت ٨٨٧ملم ، وفي البترون ١٠٠٠ملم ، وفي طرابلس ٩٢٠ملم ، وفي حلبا ٧٤٢ملم . وترتبط غزارة الأمطار



شكل -٩- المعدّل السنوي لكمية المطر

بالمحطات التي تتميز بموقع ملائم لهبوب الرياح والأعاصير ، وبوقوف الجبال وراءها عالية شامخة ، وهذا ما تمتع به البترون وطرابلس وبيروت ، وما تفتقده حلبا والقاسمية[٢٦] .

وتزداد غزارة الأمطار كلما ارتفعنا عن الساحل فوق السفوح الغربية للجبل الغربي ، خصوصًا حيثما يشتد انحدار السفح ويواجه الرياح الغربية وأعاصيرها في اتجاه عمودي . وهذا يفسر لنا سقوط المطر بنفس الكمية (١٣٠٠ملم) على كل من ظهر البيدر الذي يزيد ارتفاعه على ١٥٠٠ متر ، وبحمدون التي يصل ارتفاعها إلى نحو ١١٣٠ مترا . وتتمثل أغزر مناطق السفوح الغربية في طورزيا واللقلوق وأعالي نهر إبراهيم حيث يبلغ المعدل السنوي للمطر ١٤٠٠ملم ، وفوق جبل الباروك حيث يبلغ المعدل ١٣٠٠ملم ، وفي سفوح جبل نيحا (جزين ٩٤٧مترا) يبلغ المعدل السنوي ١٣٢٠ملم .

وتتناقص معدلات المطر السنوي سريعًا على السفوح الشرقية للجبل الغربي في اتجاه سهل البقاع . فبينما تبلغ كمية المطر السنوية في اليمونة على ارتفاع ١٣٦٠مترا ٩٦٤ملم ، لا يسقط في شليفا الواقعة إلى الشرق منها ببضعة كيلومترات سوى ٤١٧ملم . وتتلقى قاع الريم في منطقة جبل حسنين على ارتفاع ١٣٢٠ مترا قدرا من المطر يبلغ ١٢٢٥ملم ، بينما لا يصيب زحلة التي تبعد عنها بضعة كيلومترات شرقًا سوى ٦٢٥ملم . وتزداد هذه الظاهرة وضوحًا في منطقة جبل نيحا ، إذ تحظى مشغرة على ارتفاع ٧٩٥ مترا بكمية كبيرة من المطر السنوي تبلغ ١٤٤٠ملم ، بينما يشح المطر في بلدة راشيا الوادي الواقعة على مقربة منها شرقًا فلا تزيد كميته على ٥١٧ملم . وغير بعيد عنهما تقع قرية القرعون التي يسقط فوقها ٥٦٠ملم من المطر سنويًّا .

ويلاحظ أن كمية المطر تقل كلماَ اتجهنا شمالًا في سهل البقاع . ففي القرعون بالجنوب يبلغ معدل المطر السنوي ٥٦٠ ملمم ، وفي بعلبك ٤١٠ ملم ، وفي الفاكهة بشمال البقاع ٢١٠ملم . ويعزى هذا إلى قلة ارتفاع واتساع السلسلة الغربية في الجنوب ، مما يسمح بنفاذ الرياح الغربية وأعاصيرها إلى الداخل ، فيكثر المطر في جنوب البقاع ، بينما يعظم ارتفاع واتساع السلسلة في الشمال ، فتحجب تأثير البحر فيقل المطر بشمال البقاع .

ويكثر المطر على المنحدرات الغربية لسلسلة الجبل الشرقي عنه فوق سفوحه الشرقية الواقعة في ظل المطر . وتتراوح الكمية على السفوح الغربية بين ٤٠٠ و ٧٠٠ملم ، وقد تزيد عن ذلك لظروف خاصة ، كما هي الحال على السفح الغربي لجبل حرمون لعظم ارتفاعه (٢٨١٤ مترا) ، وقربه النسبي من البحر من جهة ، ويسبب قلة ارتفاع جبل عامل الواقع غربه والذي تستطيع المؤثرات البحرية الغربية أن تعبره إلى جبل حرمون . وتتناقص كمية المطر كلما ابتعدنا عن السفوح الشرقية للجبل الشرقي ، ففي دمشق لا تزيد كمية المطر السنوي عن ٢١٠ملم[٢٧] .

وفيما يختص بالتوزيع الفصلي للأمطار سنجد أن نظامه بسيط في لبنان . فالبلاد تحظى بفترة أمطار تمتد من أوائل أكتوبر حتى آخر مايو ، لكنها تعاني الجفاف أثناء الفترة من أوائل يونيو حتى أواخر سبتمبر .

وأمطار الخريف متقطعة غير منتظمة . فقد يبدأ سقوطها في أواخر سبتمبر ، وقد يتأخر إلى أواسط أكتوبر ، بل إلى أواسط نوفمبر في حالات شاذة . ويتركز سقوط المطر في أشهر الشتاء الثلاثة . ففي ديسمبر ويناير وفبراير يسقط ما بين ٦٠٪ و ٧٠٪ من جملة المطر السنوي . وأمطار يناير أغزرها جميعًا . ويصحب هطول الأمطار في الشتاء عواصف الرعد والبرق والرياح العاصفة ، كما تتساقط الثلوج والبرد . وتتناقص كمية الأمطار في الربيع ، وتزداد وتطول فترات الطقس الصحو . أما أثناء فصل الصيف فيسود لبنان جفاف تام خلال شهري يوليو وأغسطس ، وشبه تام في يونيو وسبتمبر .

وتمتاز أمطار لبنان عمومًا بالتقلب وعدم الانتظام بسبب ارتباطها بمرور الأعاصير غير المنتظم ، كما أنها تتفاوت في عمقها . ولهذا تسقط أمطار لبنان إما على هيئة وابل ، أي في زخات غزيرة مصحوبة بعواصف مرعدة ، وإما في شكل زخات خفيفة متقطعة كما تتذبذب كمية الأمطار السنوية بين ازدياد ونقصان ، تبعًا لكثرة ورود الأعاصير أو قلتها وبحسب مدى عمقها وضحولتها .

هذا ويبلغ عدد الأيام المطيرة سنويًا في الساحل ٥٠ يومًا في الجنوب ، ٧٩ يومًا في الوسط (بيروت) ، ٧٣ يومًا في الشمال (طرابلس) . وفي سلسلة الجبال الغربية

لا يزيد العدد غالبًا على ٧٩ يومًا ، ويقل أحيانًا إلى ٧٥ يومًا كما في الأرز . وفي البقاع يصل عدد الأيام المطيرة في جنوبه ٧٢ يومًا ، وفي وسطه ٦٥ يومًا ، وفي شماله ٤١ يومًا . وفوق السلسلة الشرقية يتراوح عدد أيام المطربين ٤٠ و ٦٠ يومًا ، باستثناء جبل حرمون الذي يصل عدد أيامه المطيرة إلى ٧٠ يومًا .

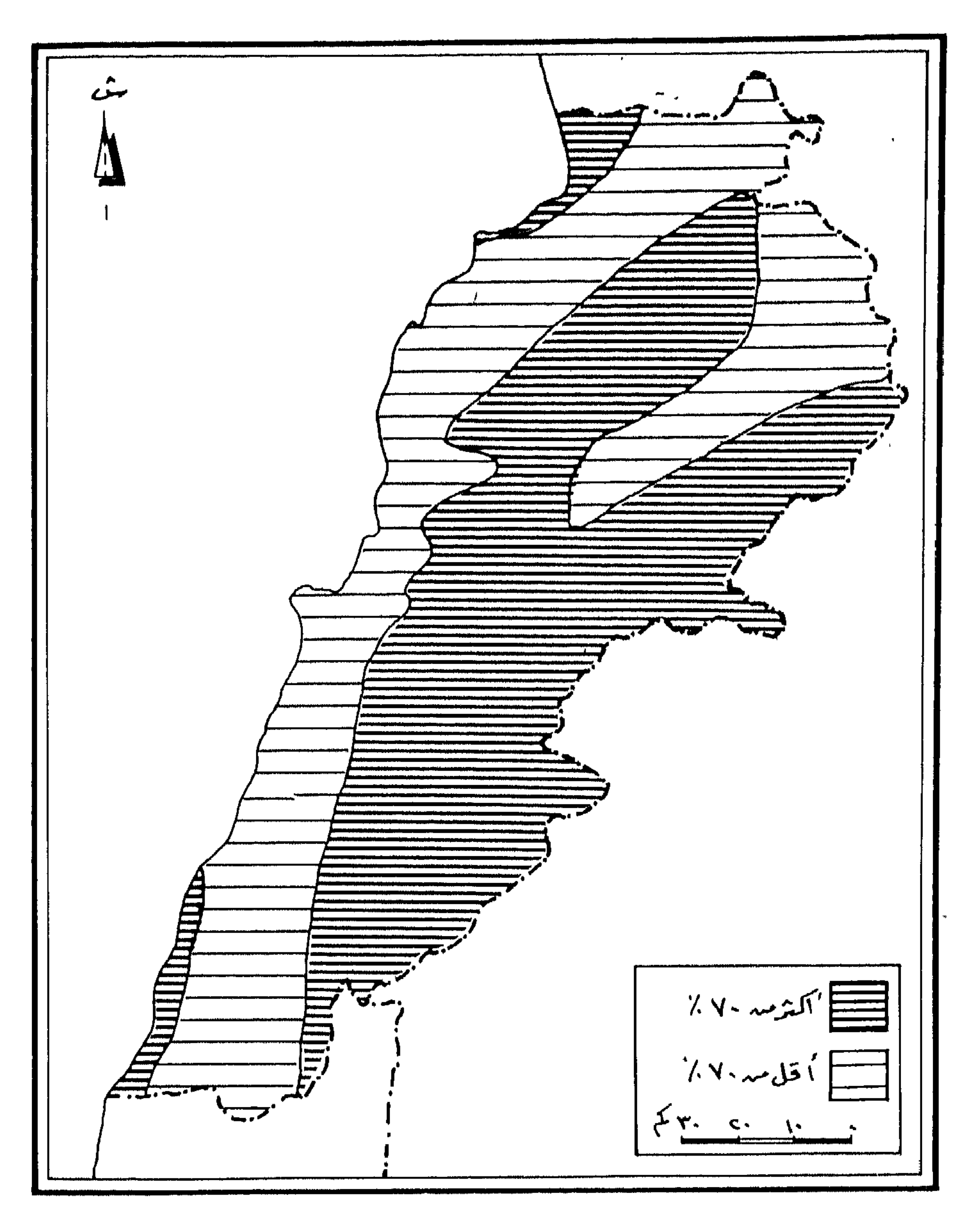
جدول رقم (٣) : « الرطوبة النسبية والأمطار وعدد الأيام المطيرة وأيام سقوط الثلج »

المحطة	الارتفاع بالمتر	الرطوبة النسبية %		الأمطار		
		شتاء	صيفا	كمية الأمطار السنوية بالمليمتر	عدد الأيام المطيرة	عدد أيام سقوط الثلج
المنطقة الساحلية						
طرابلس	٤	٧٠	٧٤	٩٦٠	٧٣	–
بيروت	٣٤	٦٦	٧٣	٨٩٠	٦٥	–
صيدا	١٠	٥٨	٦٥	٦٨٥	٥٥	–
القاسمية	٣٠	٥٦	٦٣	٦٦٠	٤٢	–
المنطقة الجبلية						
طورزويا	٨٨٠	٥٣	٥٦	١٤٢٠	٦٩	٧
ظهر البيدر	١٥١٠	٨٢	٥٣	١٤٤٥	٨٠	٢٩
بحمدون	١١٣٠	٧١	٥٩	١٣٠٣	٧١	٣٢
الأرز	١٩٢٥	٧١	٥٢	٧٤٣	٧٧	٤٩
المنطقة الداخلية						
رياق	٩٢٠	٤١	٧٨	٦٣٢	٦٧	٤
كسارة	٩٢٠	٣٦	٧٥	٦٣٦	٧٤	٤
جب جنين	٩٢٠	٣٥	٧٣	٦١٦	٦٨	٨
الفاكهة	١٠٦٠	٧٢	٣٣	١٣٥	٣٨	٣
اليمّونة	١٣٦٠	٧٤	٣٩	٧٢٥	٧٦	٨
حوش الدهب	١٠٠٩	٨٢	٥٤	٣٦٦	٤٧	٣
بعلبك	١١٥٠	٧٠	٥٠	٣٢٤	٥٠	٧
القاع	٦٦٠	٧٥	٥١	١١٠	٣٤	–

الرطوبة النسبية : تتميز المناطق الساحلية برطوبة نسبية عالية طوال السنة ، إذ تزيد فيها على ٧٠٪ . وتتراوح الرطوبة النسبية السنوية بين ٦٠٪ و ٧٠٪ فوق السفوح الغربية للجبل الغربي ، وبين ٦٠٪ ، ٦٥٪ فوق سفوحه الشرقية وأجزاء من البقاع ، وتهبط إلى أقل من ٦٠٪ فوق سلسلة الجبل الشرقي ، وجبل حرمون وأجزاء أخرى من البقاع . وترتفع الرطوبة في الصيف عنها في الشتاء في النطاق الساحلي . لكن هواء الصيف أجف فوق الجبل . كما تزداد الرطوبة شتاء في سهل البقاع والجبل الشرقي فتبلغ ٧٠٪ وتهبط صيفًا إلى ٥٠٪ . الأشكال ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

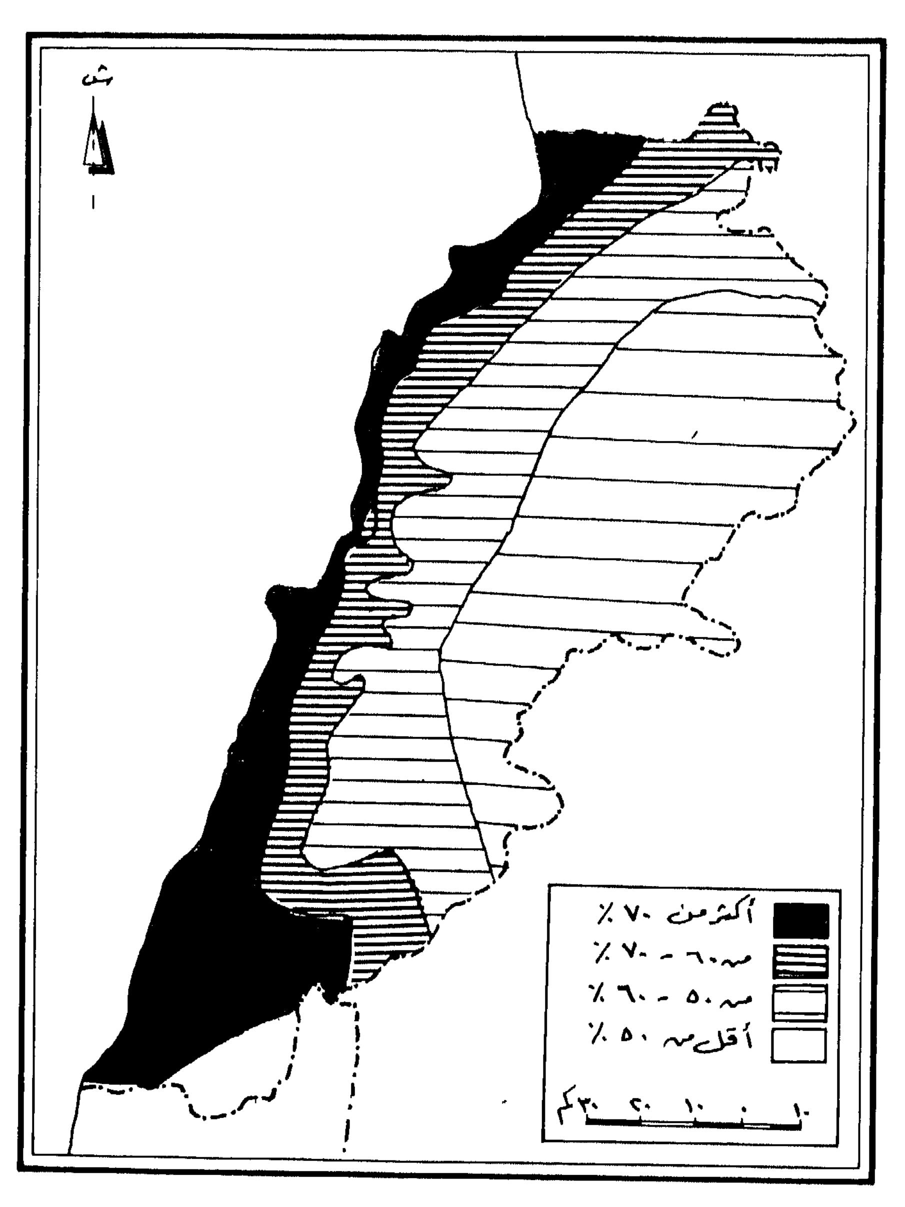
الثلـــج : يتساقط بعض الثلج في لبنان أثناء فصلي الخريف والربيع ، لكن معظمه يتساقط أثناء الشتاء ، حينما يغطي مساحات واسعة من أعالي الجبال بطبقة هشة في البداية لاحتوائها على بعض الهواء ، لكنها لا تلبث أن تتماسك مكونة طبقة من الجليد . وتتباين مدة بقائها من مكان لآخر ، لكنها تطول بازدياد الارتفاع . ويساعد سقوط الثلج المبكر على حماية الحبوب التي تبذر في سفوح جبال لبنان أثناء الخريف من صقيع الشتاء وبرده القارس ؛ لهذا يقول أهل ريف الجبل « الثلج خميرة الأرض » . كما يُعاون الثلج في إمداد النباتات الحرجية ، والينابيع والأنهار بالماء حينما يأخذ في الذوبان بحلول فصل الربيع من كل عام .

ويندر سقوط الثلج في النطاق الساحلي ، فمنذ عام ١٨٩٠م وحتى عام ١٩٧٠م لم يسقط فوق بيروت ثلج إلا في شتاء ثلاثة أعوام فقط هي ١٩٥٠م ، ١٩٥٩م ، ١٩٦٤م . وتزداد أيام سقوط الثلج في العام بالارتقاء فوق سفوح الجبال . فعلى سفح الجبل الغربي المواجه للبحر يسقط الثلج في يوم واحد في السنة على ارتفاع ٤٠٠ متر ، وبين ٣ و ٤ أيام على ارتفاع ٩٠٠ متر (بكفيا) ، ونحو ٣٣ يوما على ارتفاع ١٥١٠ أمتار (ظهر البيدر) ، و ٤٩ يومًا فوق الأرز على ارتفاع ١٩٢٥ مترا ، ويبقى الجليد مغطيًا لقمم الأرز نحو ١١٥ يومًا ويقل عدد أيام سقوط الثلوج بالداخل ، فيتراوح بين

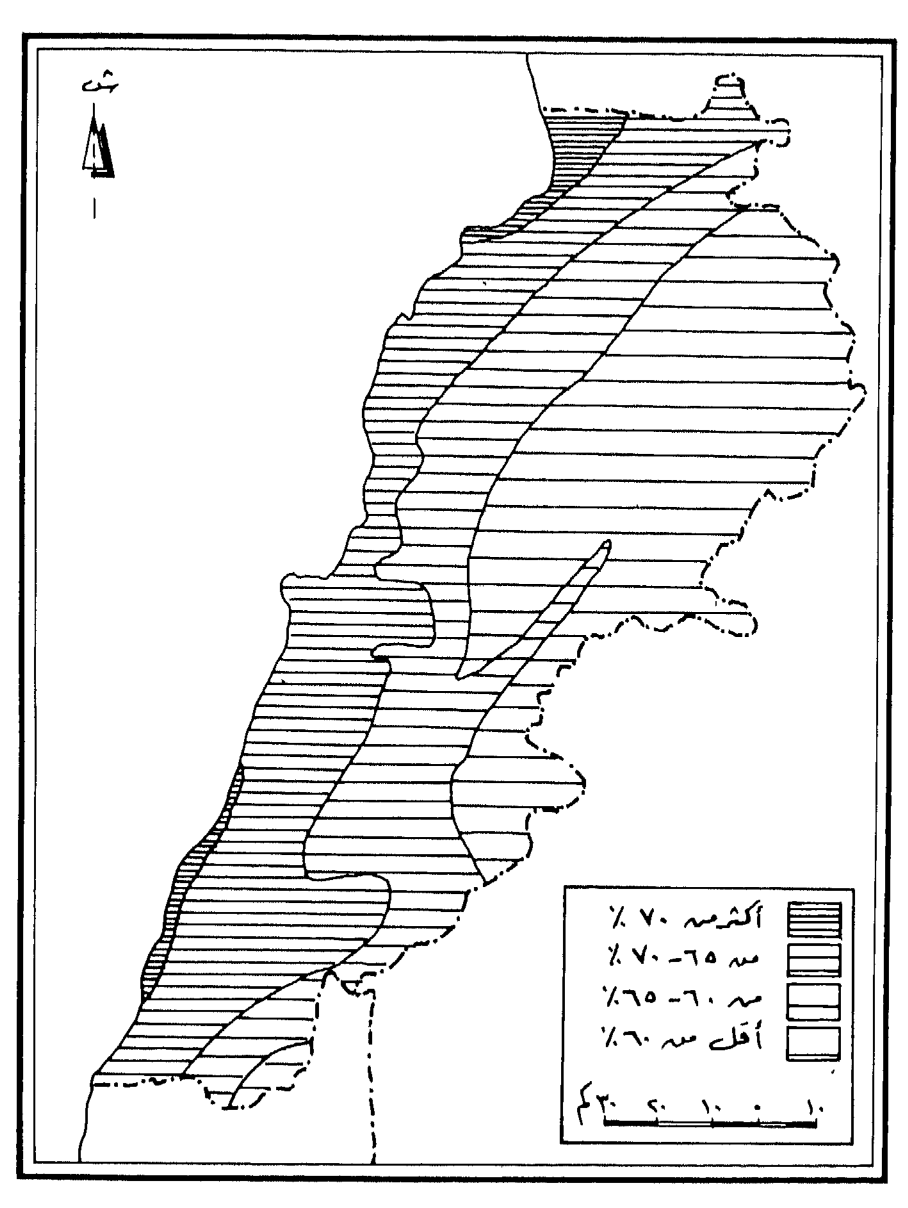


شكل ـ ١٠ ـ الرطوبة النسبيّة خلال فصل الشتاء

المصدر: Atlas Climatique du Liban (1967).



شكل -١١- الرطوبة النسبية خلال فصل الصيف



شكل - ١٢ - الرطوبة النسبية خلال السنة

١٦ يومًا (في قاع الريم) ، و ٨ أيام (في اليمونة) ، وفي الجنوب بين ١٠ و ٦ أيام (في راشيا) . (شكل ١٣) .

البَـــرَد : وهو عبارة عن كرات صغيرة من الثلج ، تتساقط عند حدوث العواصف المرعدة ، ويتراوح حجمها بين حجم حبة الحمص وحجم الجوزة . ويتعرض لبنان لتساقط البرد أثناء عواصف الخريف والربيع ، ويبلغ تساقطه الذروة أثناء أنواء الشتاء . ويتفاوت معدل سقوطه من مكان لآخر، ففي النطاق الساحلي يتراوح معدل سقوطه بين يوم وأربعة أيام في السنة . ويزداد المعدل فوق سفوح جبال لبنان الغربية فيتراوح بين ١٤ و ٢٤ يومًا . ويقل تعرض المناطق الداخلية لسقوط البرد ، وفيها يتراوح المعدل بين خمسة أيام (اليمونة) و ١١ يومًا (في قاع الريم) . ويترتب على سقوط البرد بكميات كبيرة وبسرعة عظيمة وأحجام كبيرة إتلاف الكثير من محاصيل لبنان الزراعية . ويشتد ضرره في الربيع ، وهو موسم الإزهار وتفتح البراعم ونمو النبات الرقيق .

٤ - الأقاليم المناخية :

في ضوء دراستنا السابقة لمختلف عناصر المناخ يمكن تقسيم لبنان إلى عدة أنواع مناخية تضمها ثلاث مجموعات نجملها فيما يلي (شكل ١٤)[٢٨] :

المجموعة الأولى : مناخ البحر المتوسط الرطب ، ويشمل :

١ - مناخ البحر المتوسط الرطب في السهل الساحلي .

٢ - مناخ البحر المتوسط الرطب فيما يلي الساحل حتى ارتفاع ٨٠٠ متر.

٣ - مناخ البحر المتوسط الرطب في الجبل الغربي .

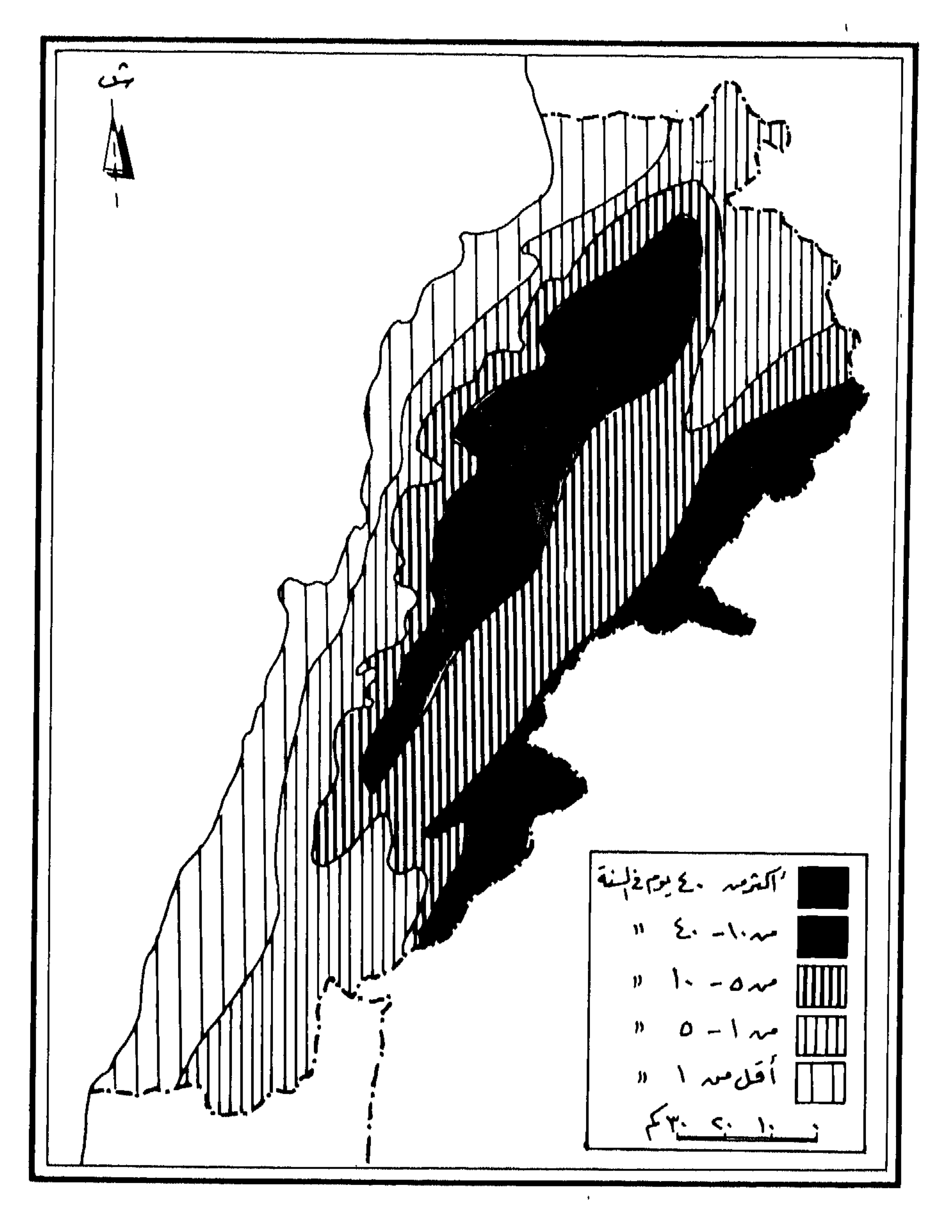
المجموعة الثانية : مناخ البحر المتوسط القاري ، وتضم :

٤ - مناخ البحر المتوسط القاري في البقاع .

٥ - مناخ البحر المتوسط القاري في الجبل الشرقي .

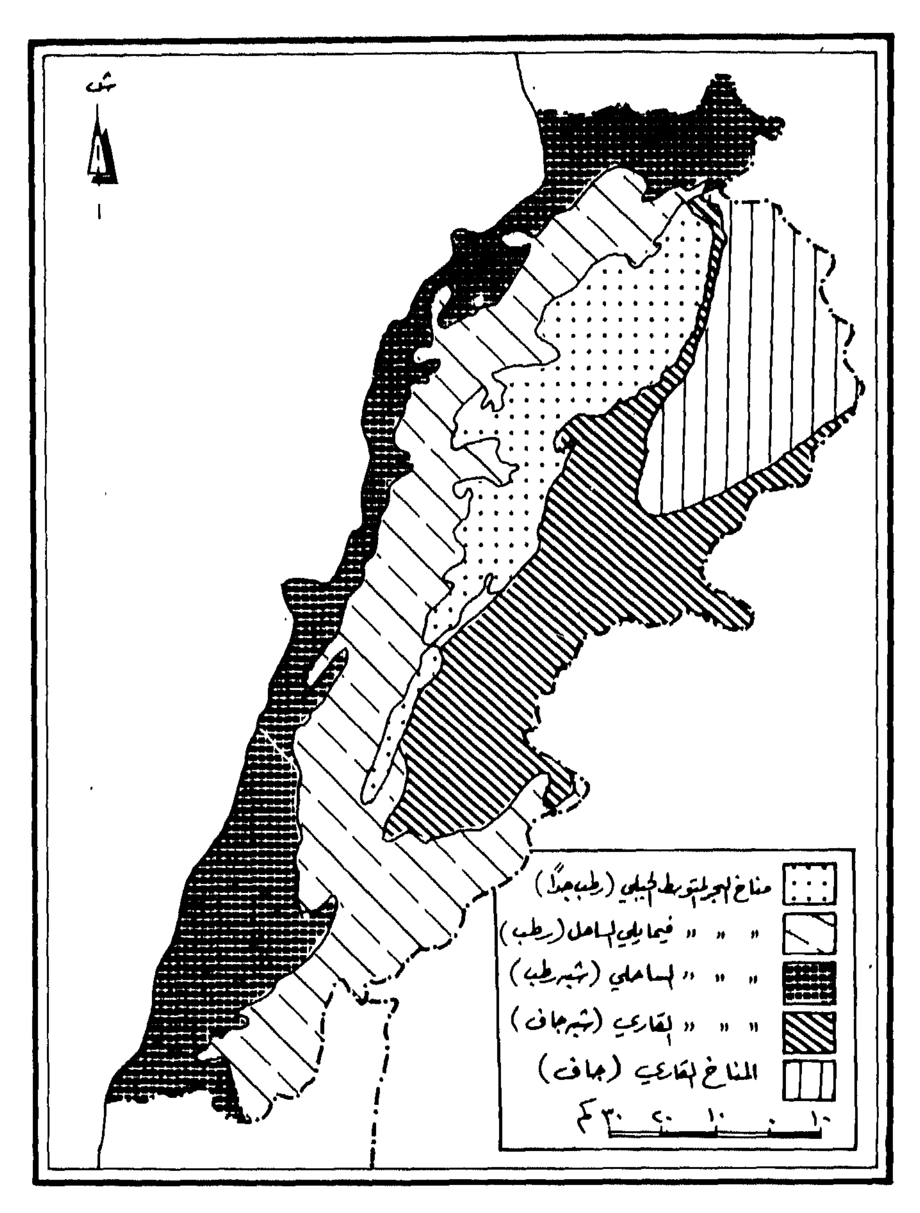
المجموعة الثالثة : المناخ القاري الجاف ، وتشمل :

٦ - المناخ القاري السوري في شمال البقاع .



شكل -١٣- معدل أيام سقوط الثلج

المصدر: نسيب خزعل (١٩٧٢) مرجع سبق ذكره. شكل ٩٧ من الأطلس



شكل -١٤- الأقاليم المناخية

المصدر: Atlas Climatique du Liban. (1967).

٧ – المناخ القاري الصحراوي في شمال البقاع :

وفيما يلي دراسة موجزة لسمات كل نوع من تلك الأنواع المناخية :

المجموعة الأولى : مناخ البحر المتوسط الرطب :

١ – مناخ البحر المتوسط الرطب في السهل الساحلي :

ويسود هذا النوع المناخي الشريط الساحلي الضيق الممتد من سهل عكار شمالًا إلى رأس الناقورة جنوبًا . ويمتاز بالاعتدال شتاء ، فلا تنخفض الحرارة عن ٩°م ، وبالحرارة صيفًا فيرتفع معدلها إلى ٢٨°م . ويبلغ المتوسط الحراري السنوي ٢٠°م . ولا يتعرض الساحل لهطول الثلوج والبرد وحدوث الصقيع إلا نادرًا . ويتأثر مناخ الساحل بفعل البحر فيقل فيه المدى الحراري اليومي الذي يتراوح بين ٥°م و ٨°م، والمدى السنوي الذي يتراوح بين ٩°م و ١٤°م . ويتميز الساحل بالرطوبة النسبية العالية التي يبلغ متوسطها السنوي ٧٠٪ ، وهي في الصيف عالية (٨٥٪) مما يجعل الجو خانقًا صعب الاحتمال .

وتهب أربعة أنواع من الرياح على النطاق الساحلي هي : الرياح العكسية الجنوبية الغربية شتاء ، وهي رطبة وتجلب معها الأعاصير الممطرة ، والرياح الجنوبية الغربية الجافة صيفًا ، والرياح الشمالية الشرقية الشتوية الباردة الآتية من الضغط المرتفع الأوراسي ، وأخيرًا رياح الخماسين التي تهب في فصل الربيع ، وهي رياح حارة جافة متربة ، وتهب من الجنوب ومن الجنوب الشرقي في مقدمة الانخفاضات الجوية الخماسينية آتية من الصحراء .

والصيف جاف ، والشتاء ممطر . وتزداد كمية الأمطار السنوية على امتداد الساحل من الجنوب إلى الشمال ، ففي القاسمية تبلغ الكمية ٦٦٠ملم ، وفي بيروت ٩٠٠ملم ، وفي طرابلس ٩٢٠ملم .

٢ – مناخ البحر المتوسط الرطب فيما يلي الساحل حتى ارتفاع ٨٠٠ متر :

بالاتجاه نحو الشرق إلى حضيض الجبال وحتى ارتفاع ٨٠٠ متر تأخذ أحوال المناخ في التباين

التدريجي . فالحرارة تنخفض بصورة عامة ، فيبلغ معدلها السنوي ١٥°م . ولا يزيد معدل حرارة الصيف على ٢٢°م . وشهر يوليو هو أشد حرًّا من غيره . وتتفاوت كمية المطر من مكان لآخر حسب الموقع بالنسبة للرياح والأعاصير ، وهي عمومًا أكبر منها في الشريط الساحلي . فكمية المطر في ريفون تبلغ ١٢٦٠ملم ، وفي بكفيا ١٣٤٠ملم ، وفي رأس المتن ١١١٥ملم ، ولكنها قد تهبط إلى ٩٥٠ملم كما في ريحان ، بل إلى ٨٠٠ملم كما في جرجوع .

٣ - مناخ البحر المتوسط الرطب الجبلي :

وتتميز به الجبال فوق منسوب ٨٠٠ متر ، حيث يكون الشتاء باردًا تنخفض فيه درجة الحرارة عن ١٠°م . بينما يبلغ معدل حرارة الصيف نحو ٢١°م ، لكن حرارة نهار الصيف تكون أعلى من ذلك بسبب جفاف الجو وصفاء السماء ، وتبعًا لذلك فإن المدى الحراري اليومي والفصلي كبيران ، والتساقط غزير في فصل الشتاء ، وهو على هيئة مطر وثلج . ويتفاوت مقداره من موقع لآخر ، لكنه يتراوح بين ١٠٠٠ملم و ١٦٠٠ملم . والمطر يسقط على هيئة وابل ، وتجري المياه مسرعة على السفوح فتجرف معها التربة ، لذلك فقد تطلب الأمر تسوية المنحدرات في شكل مدرجات برع في بنائها اللبنانيون على مر العصور حماية للتربة من الانجراف . وفوق القمم العالية يكون معظم التساقط ثلجا . وتسهم هذه الثلوج حين تذوب في مدّ أنهار لبنان بكثير من المياه في فصل الربيع وأوائل الصيف .

المجموعة الثانية : مناخ البحر المتوسط القاري :

٤ - مناخ البحر المتوسط القاري في البقاع :

يعتبر البعد عن البحر ، والوقوع خلف الجبال الغربية هما العاملان اللذان يعطيان لهذا النوع المناخي سماته الرئيسة . فمتوسط درجة الحرارة السنوية ١٥°م . ويوليو هو أشد حرًّا من باقي الشهور ، ومعدل حرارته ٢٤°م ، ويناير أشدها بردًا ، ومعدل حرارته ٦°م . وهكذا تتضح القارية ، إذ يبلغ المدى الحراري الفصلي ١٨°م ، كما أن المدى الحراري اليومي كبير أيضًا . ويسقط المطر شتاء ، وكميته السنوية صغيرة نسبيًّا ، إذ تبلغ ٦٠٠ملم . وتقل كمية المطر كلما اتجهنا شمالًا . فبينما يسقط على القرعون في

الجنوب ٧٥٠ ملم ، يسقط على بعلبك في الشمال ٦٠٠ملم . لكن كثرة الندى تعوض الشح في المطر ، فقد وجد أن الندى يمد تربة البقاع بما يوازي ٢٠٠ملم من ماء المطر .

٥ – مناخ البحر المتوسط القاري في الجبل الشرقي :

وهنا تشترك التضاريس مع عامل البعد عن البحر في إعطاء هذا النوع المناخي صفاته الخاصة . فالمتوسط الحراري السنوي يهبط إلى ١٣°م . ومعدل حرارة الشتاء ٥°م ، وفي القمم يصل إلى الصفر وما دونه ، ومعدل حرارة الصيف ٢٣°م ، وقد تزيد عن ذلك . وبالتالي تتضح القارية كثيرًا ، فالمدى الحراري الفصلي يناهز ١٨°م ويزيد . والرطوبة النسبية منخفضة صيفًا ، فهي لا تزيد على ٤٠٪ ، لكنها تزداد شتاء فتصل إلى نحو ٧٠٪ ، وهذا يخالف النطاق الساحلي . وتتفاوت كمية الأمطار الساقطة من مكان لآخر ، فهي تتراوح بين ٢٥٠ و ٧٥٠ملم . وتسقط الثلوج على القمم العالية ، وتتراوح أيام سقوطها بين يوم واحد و ١٥ يومًا .

المجموعة الثالثة : المناخ القاري الجاف : ٦ ، ٧ ويشمل نوعين مناخيين هما : **المناخ السوري القاري** ، **والمناخ الصحراوي القاري** في شمال البقاع ، ويتمثلان في سورية ، لكنهما يظهران أيضًا في أجزاء من شمال البقاع الواقع خلف الجبال الغربية حيث يعظم ارتفاعها واتساعها ، فتحجب عنه تأثير البحر . ويتميز هذان النوعان في شمال البقاع بارتفاع الحرارة صيفًا ، فيصل معدلها نحو ٢٧°م ، وانخفاضها شتاء حيث يهبط المعدل الحراري إلى ٧°م ، ومن ثم يصل الفرق الحراري الفصلي إلى نحو ٢٠°م . ورغم ارتفاع الحرارة صيفًا ، التي قد تبلغ نهاية عظمى مقدارها ٤٣°م ، إلا أنها محتملة بسبب الجفاف ، فالرطوبة النسبية متوسطها ٤٠٪ ، وقد تهبط في بعض شهور الصيف إلى ٣٠٪ ، لكنها قد تزيد إلى ٥٠٪ . أما في الشتاء فترتفع إلى ٧٠٪ ، وأحيانًا إلى ٨٠٪ ، وتسقط الأمطار شتاء ، وتتراوح كميتها السنوية بين ١٠٠ و ٥٠٠ملم .

موارد المياه والتصريف النهري

إلى جانب مياه الأمطار تتمثل أهم موارد المياه في لبنان فيما يأتي[٢٩] :

١ – المجاري المائية .

٢ – الينابيع والآبار .

٣ – البرك والبحيرات .

وتتغير كمية المياه في هذه الموارد من فصل إلى آخر ، فهي أكثر ما تكون في فصل الشتاء بسبب هطول الأمطار ، وفي فصل الربيع نتيجة لذوبان الثلوج . وتقل كثيرًا في أواخر الصيف وأوائل الخريف قبل بداية موسم المطر . وتتفاوت كميتها من سنة لأخرى تبعًا لتذبذب كمية التساقط من مطر وثلج ، فقد تبلغ في أعوام وفرة التساقط أضعاف ما تصله في سني الجفاف . ويبلغ المعدل السنوي للمياه السطحية في لبنان حوالي ٣,٦٥ مليار م^3 موزعة على النحو التالي :

– المياه التي تجزي في نهر العاصي	,٤٥٠ مليار م^3
– المياه التي تجري في نهر الحاصباني	,١٧٥ مليار م^3
– مياه باقي الأنهار وتصريف العيون والينابيع	٣,٠٢٥ مليار م^3

وفيما يلي دراسة للموارد المائية الرئيسة الثلاثة بلبنان :

١ – المجاري المائية : يبلغ عدد الأنهار التي تجري في أرض لبنان سبعة عشر نهرًا رئيسًا ، منها ثلاثة لا يملك لبنان سوى بعض أجزاء من مجاريها وهي : نهر الكبير الجنوبي ، ونهر العاصي ، ونهر الحاصباني . أما الأنهار الأخرى وعددها أربعة عشر فتجري فوق السفوح الغربية للسلسلة الجبلية الغربية ، ما عدا نهر الليطاني الذي يجري في البقاع نحو الجنوب ثم الغرب ليصب في البحر المتوسط . وهكذا نجد التضاريس تتحكم في اتجاه الأنهار ومدى انحداراتها ، فتنصرف مياه الجانب الغربي للجبل الغربي في البحر المتوسط ، وهذه قد شقت لنفسها وديانا خانقية عميقة . وتتميز هذه الوديان – عدا العمق وشدة الانحدار – بالقصر وسرعة الجريان ، والامتلاء بالمياه أثناء الشتاء والربيع ، لكن مجاريها تتحول في فصل الصيف الجاف وأوائل الخريف إلى مسيلات صغيرة ضحلة المياه ، حتى إن بعضها يكاد يبدو جافًا[٣٠] .

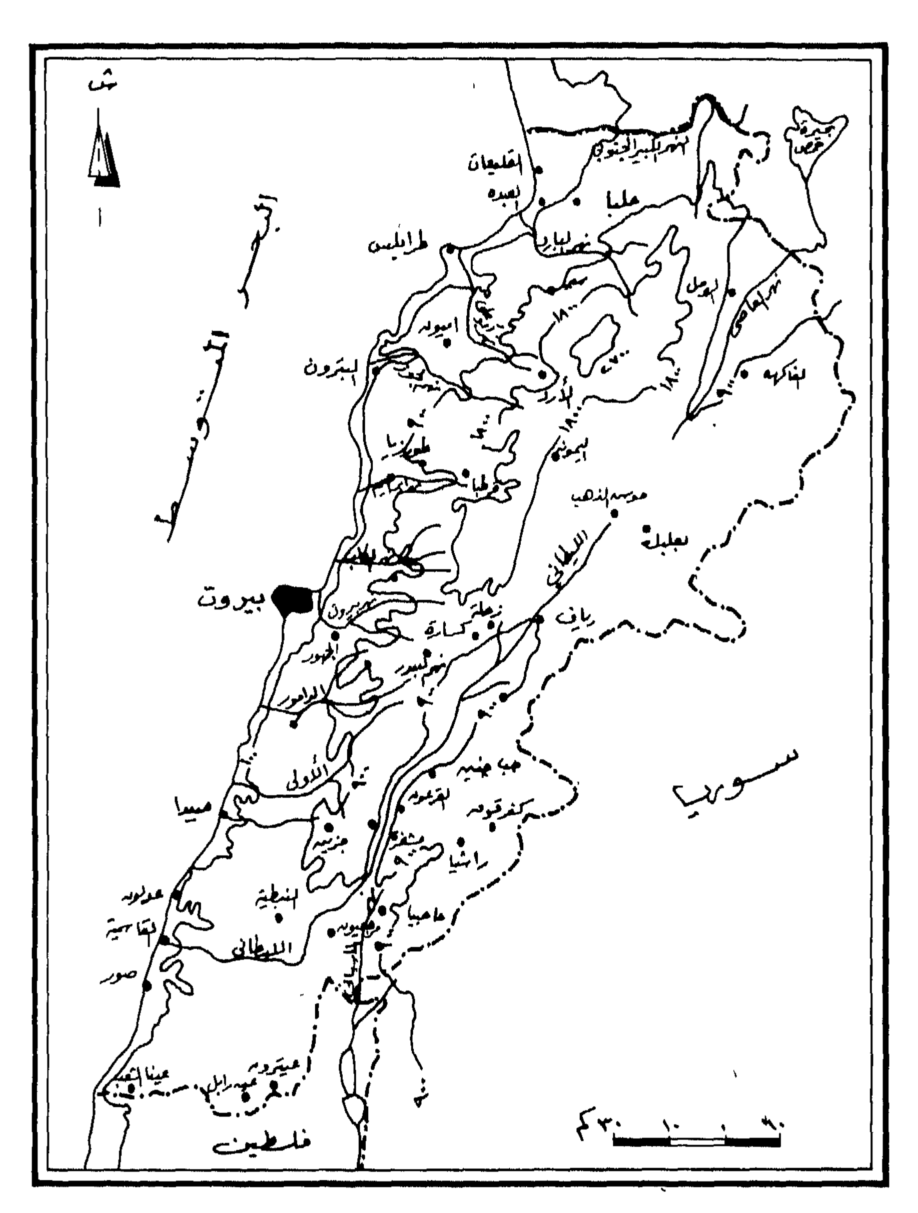
وفيما يلي عرض لأهم الخصائص العامة للمجاري المائية الدائمة بلبنان :

١ – **نهر الكبير الجنوبي** : يشكل النهر الحدود السياسية بين لبنان وسورية . ويأتي قسم من مياهه من جبل العلويين وقسم آخر من جبل عكار ، ويصب في خليج عكار . ويبلغ طوله ٥٨ كم ، وهو بهذا يعد ثاني أنهار لبنان ، بعد الليطاني ، من حيث الطول . وتبلغ مساحة حوضه نحو ٣١٠ كم٢ . وتكثر مياه النهر شتاء ، وهو موسم الأمطار ، فيصل تصريفه ١٧م٣/ ثانية . وتقل صيفًا ، حين الجفاف ، فيهبط تصريفه المائي إلى أقل من ٠,٣م٣/ثانية . وتغذية مياه عدد من الينابيع مثل عين داود ، إضافة إلى مياه المطر . ونظرا لأنه يجري في قسم كبير من مجراه فوق سهل عكار ، فإنه هين الانحدار بطيء الجريان ، بالقياس إلى أنهار السفوح الغربية للجبل الغربي ذات المجاري السيلية (شكل/١٥) .

٢ – **نهر البارد** : وهو ينبع أيضًا من جبل عكار ويصب في وسط خليج عكار ، ويبلغ طوله نحو ٣٤ كم ، ومساحة حوضه ٢٧٧ كم٢ . وهو يتغذى – عدا المطر – بعدد من العيون التي تقع في أعاليه أهمها السماق والسكر ومر جحيم . والنهر شديد الانحدار ، سريع الجريان ، عظيم النحت الرأسي ، ومن ثم فهو نهر شاب .

٣ – **نهر قاديشا – أبو علي** : ويطلق لفظ « قاديشا » ومعناه المقدس بالسريانية على القسم الأعلى من هذا النهر ، بينما يطلق تعبير « أبو علي » على قسمه الأدنى . وهو من أشهر أنهار لبنان ، وأغزرها ماء ، وأشدها وعورة . وترجع تسميته بالوادي المقدس (قاديشا) إلى العصور الوسطى ، عندما وجد نساك الموارنة ورهبانهم في كهوفه ومغاراته ملاجىء أمينة . ودير قنوبين (اسم يوناني يعني دير) ، مقر البطريركية المارونية سابقًا ، ليس سوى واحد من تلك الأديرة العديدة التي أنشئت على جنبات الوادي المقدس .

وتأتي بعض روافد النهر نابعة من منطقة القرنة السوداء ، وظهر القضيب وهما أعلا شواهق لبنان ، وتجللهما الثلوج شطرا عظيمًا من السنة ، ويأتي البعض الآخر من مغارة قاديشا ، وتنضم إليه مياه نبع مارسركيس (سرجيوس) في إهدن ، ويتابع نهر قاديشا جريانه السريع منحدرًا فوق شلالات كثيرة ، ومنعطفات متتالية إلى أن يصل إلى بعد



شكل- ١٥- المجاري النهرية

عشرة كيلومترات من البحر حيث يتغير اسمه إلى نهر أبو علي . ويبلغ طول مجري النهر نحو ٤٢ كم ، ومساحة حوضه حوالي ٤٨٥ كم^{2} ، ومتوسط تصريفه السنوي ٥,٦ م^{3}/ ثانية . وتشح المياه فيه صيفًا وأوائل الخريف .

٤ - **نهر إبراهيم** : وكان يعرف قديمًا بوادي أدونيس . وهو نهر كثير المياه ، يصدر بعضها من مغارة أفقا عند سفح جبل عال يشبه ملعبًا مدرجًا ، ويأتي البعض الآخر من نبع العاقورة . وينحدر النهر بشدة ، وتجري مياهه في سرعة وصخب حتى ينتهي إلى البحر المتوسط على بعد ستة كيلومترات جنوبي جبيل (بيبلوس) . ويبلغ طول النهر ٣٠ كم ، ومساحة حوضه ٣٢١ كم^{2} . ويتفاوت تصريفه المائي من فصل لآخر . ففي الشتاء يعظم التصريف ويصل إلى نحو ١٨ م^{3}/ ثانية . أما في الصيف فينخفض التصريف إلى ٣م^{3}/ ثانية .

٥ - **نهر الكلب** : تصدر مياه هذا النهر من نبعي اللبن والعسل في السفوح الغربية لمرتفعات الفتوح وجبل صنين ، وتصب في البحر المتوسط إلى الجنوب من بلدة جونية بعد أن تقطع مسافة مقدارها ٣٠ كم تقريبًا . وللنهر حوض تبلغ مساحته ٢٦٠ كم^{2} وتستفيد بيروت من مياهه في موقع يصل فيه متوسط تصريفه السنوي حوالي ٨م^{3}/ ثانية . ويهبط التصرف في زمن التحاريق إلى ٠,٣ م^{3}/ ثانية ، حين يعتمد النهر في مائيته على مياه الينابيع : العسل واللبن وفاريا ومجموعة ينابيع جعيتا الواقعة على ارتفاع ٥٦ مترا . وتمثل مغارة جعيتا مخرجًا لنهر باطني يمتد لمسافة ٦ كم في الصخور الجوراسية الجيرية . وبالقرب من هذا المخرج تشاهد ينابيع كشكوش التي تشكل بدورها موردًا له أهميته فى تصرف النهر .

٦ - **نهر بيروت** : وينبع أحد رافديه العلويين من نبع حماتا الواقع في سفح جبل الكنيسة ، أما الآخر فتصدر مياهه من الأمطار الساقطة فوق السفوح الغربية لجبلي الكنيسة وصنين . ويتشكل النهر من التقاء الرافدين قرب بيت مري ، ويجري ليصب في النهاية في خليج سان جورج في شرق بيروت . وتغذيه ينابيع كثيرة منها دلبة وشاغور .

ويبلغ طول النهر نحو ٢٩كم ، ومساحة حوضه حوالي ٢٣٠كم[٢] ، ومتوسط تصرفه السنوي ٤,٣م[٣]/ ثانية ، وفي وقت التحاريق يقل التصرف ويصبح ٠,٣م[٣]/ ثانية .

٧ – **نهر الدامور** : لهذا النهر منابع كثيرة تأتي من جبل الباروك ، كما يستمد قسمًا كبيرًا من مياهه من عدد من الينابيع أهمها نبع الصفا ، ونبع دارا ، ونبع القاع ، ويقطع النهر من منبعه مسافة ٣٤كم حتى مصبه في البحر المتوسط جنوبي بلدة الدامور . وتبلغ مساحة حوضه حوالي ٢٨٠ كم . ومتوسط تصرفه السنوي نحو ٥,١٣ م[٣]/ ثانية عند جسر القاضي .

٨ – **نهر الأوّلي** : ويعرف أحيانًا باسم نهر الغراديسي ، ويتزود بمياه دائمة تأتيه من عدد من الينابيع ، يتفجر بعضها في جبل الباروك ، حيث نبع الباروك الذي يغذي رافده العلوي الشمالي ، وبعضها الآخر في السفح الغربي لجبل نيحا التي تغذي مع نبع جزين رافده العلوي الجنوبي ، ويجري النهر في قسم منه في خانق عميق ، ويعترض مجراه الكثير من المساقط والمسارع . وطول النهر نحو ٤٥كم ، ومساحة حوضه حوالي ٣٠٠كم[٢] . وهو يصرف في البحر شمالي صيدا كمية من المياه متوسطها السنوي ٤,٨م[٣]/ ثانية .

٩ – **نهر الليطاني** : هو أهم أنهار لبنان وأطولها . وينبع من هضبة بعلبك التي يعلو منسوبها إلى أكثر من ١٠٠٠ متر عند بقعة تقع على بعد عشرة كيلومترات غربي مدينة بعلبك . ويجري بجميع طوله البالغ ١٧٠كم داخل الأراضي اللبنانية ، حتى يصب في البحر عند بلدة القاسمية إلى الشمال قليلا من بلدة صور . وتسير حدود حوض نهر الليطاني في الشمال مع عتبة بعلبك التي تفصل بينه وبين حوض نهر العاصي ، الذي يجري شمالا متجهًا إلى سوريا ، وفي الغرب مع أعالي قمم جبال صنين والكنيّسة والباروك ونيحا ، وفي الشرق مع قمم المرتفعات الشرقية ، وفي الجنوب مع أعلى جبل عامل .

ويمكن تقسيم الليطاني إلى ثلاثة أقسام تختلف فيما بينها اختلافًا واضحًا :

(أ) **القسم الأعلى** : ويبدأ من منطقة المنبع وينتهي عند بلدة القرعون ، أي فيما بين منسوبي ١٠٠٠ و ٨٠٠ متر . ويجري النهر في سهل البقاع على امتداد مسافة مقدارها

٧٤كم فوق رواسب حديثة التكوين ، بانحدار يتراوح مقداره بين ١,٥ و ٢,٥٪ . ويسير ببطء شديد أحيانًا حتى لتهبط نسبة انحدار مجراه إلى أقل من ٠,١٪ كما هي الحال عند بلدة المنصورية . وتفسير بطء جريان النهر هنا أن هذه المنطقة كانت تشكل قديمًا قاع بحيرة كانت تنصرف إليها مياه حوض النهر ، وحينما تمكن الليطاني من إيجاد مخرج لمياهه إلى البحر انصرفت مياه البحيرة وجفت وانحصرت المياه في مجرى النهر الحالي .

ويلتقي بالليطاني في هذا القسم الأعلى من مجراه أهم روافده التي تمده بالمياه الدائمة مثل نهر البردوني ، الذي ينبع من جبل صنين ويمر بمدينة زحلة ، وقب الياس وشتورة ، وهذه كلها تصله من الغرب . كما ترفده من جهة الشرق أنهار غزيل وفاعور والبياضة وشمسين وعنجر .

(ب) **القسم الأوسط** : ويمتد من القرعون إلى الخردلة . ويجري النهر في هذا القسم البالغ طوله ٤٦ كم تقريبًا خلال صخور حديثة التكوين. والوادي ضيق يتضح فيه أثر النحت الرأسي ، بل إنه ليبدو في هيئة خانق عميق أحيانًا . وتجري فيه المياه مسرعة ، ذلك أن انحداره كبير يصل إلى ١١٪ في موضع الخانق ، لكن متوسط الانحدار بين ٢ و ٥٪ .

(جـ) **القسم الأدنى** : وهو الممتد من الخردلة حتى بلدة القاسمية شمال مدينة صور ، حيث يصب في البحر . ويتميز هذا القسم من المجرى بقلة انحداره ، وبطء جريان المياه فيه ، ويبلغ متوسط انحداره ٠,٣٥٪ ، ١٨,٪ قبل المصب . وينفذ النهر إلى السهل الساحلي من البقاع الجنوبي عبر فتحة خانقية تقع بين مرتفعات النبطية في الشمال والقسم الشمالي من جبل عامل في الجنوب .

مائية نهر الليطاني : تبلغ مساحة حوض نهر الليطاني ٢١٦٨كم٢ ، ويقع بكامله داخل حدود لبنان ويستحوذ البقاع على نحو ٨٤٪ من جملة مساحته أو ما يعادل ١٨٨٢كم٢ ، في حين تستأثر السفوح المتوسطة للمرتفعات الغربية وجبل عامل بنحو ١٦٪ . ويبلغ المعدل العام للأمطار الساقطة فوق حوض النهر حوالي ٧٥٠ملم ، أي ما يعادل ١٦٦٥مليون م٣ . ويتفاوت هذا المعدل من سنة لأخرى ، كما يتباين من مكان

لآخر داخل الحوض . ففي شواهق جبال صنين ، والباروك ، ونيحا ، يتراوح المتوسط السنوي للمطر بين ١٣٠٠ و ١٥٠٠ملم ، بينما يهبط إلى نحو ٧٠٠ملم حول منطقة المصب ، وإلى ٤٥٠ملم في شمال شرقي الحوض .

ويتركز سقوط الأمطار بين شهري نوفمبر وإبريل ، أي أثناء فترة لا تزيد على ستة أشهر . وتتوزع ما بين فاقد بالتبخر ، ومتسرب إلى جوف الأرض ، وجريان سطحي في النهر إلى البحر يصل المعدل السنوي لكميته نحو ٤٠٠ مليون م^{٣} . وتتفاوت كميات المياه التي يصرفها الليطاني كل عام في مختلف المواقع على طول مجراه . كما تتباين من سنة لأخرى في نفس المواقع . فعند موقع القرعون يبلغ معدل التصرف السنوي حوالي ٤١٠ مليون م^{٣} . لكنه يعظم أحيانًا ويصل إلى ٧٠٥ مليون م^{٣} كما حدث في عام ١٩٥٤م ، ويتدنى أحيانًا إلى ١٠٧ مليون م^{٣} كما سجل في عام ١٩٦٠م . ويبلغ معدل التصرف السنوي في الخردلة ٦٥٠ مليون م^{٣} ، وهو معدل يقع بين تصريف أقصاه ١٠٤٠ مليون م^{٣} تم تسجيله عام ١٩٥٤م ، وتصريف أدناه ٢٢٥ مليون م^{٣} سجل سنة ١٩٦٠م .

ويستفاد من بيانات الجدول رقم (٤) ، أن نهر الليطاني يتلقى كميات كبيرة نسبيًّا من المياه الجوفية عن طريق ما ينتهي إليه من تدفقات الينابيع ، والعيون ، تبلغ جملتها السنوية نحو ٢٠٤ مليون م^{٣} .

جدول رقم (٤) التصريف السنوي للينابيع إلى نهر الليطانى

النبع	الكمية (مليون م^{٣})	النبع	الكمية (مليون م^{٣})
عنجر	٦٣,٥٠	اميك	٢٢,٤٤
اشمسين	١٤,٧٠	بداس العين	٧,٠٤
بردوني	٤٤,٥١	فاعور	٣,٦٤
شتورا	١٤,٥٠	عين البيضة	٨,٣١
جديتا	٤,١٤		
قب الياس	٢١,٥١		
		الجملة	٢٠٤,٢٩

ونهر الليطاني من أهم الأنهار اللبنانية ، فهو يروي مساحات واسعة من سهول البقاع وصيدا وصور . كما يمد عددًا من الحلّات العمرانية بمياه الشرب . هذا وقد أقيم سدٌّ عليه عند بلدة القرعون لخزن مياهه . والاستفادة منها في أغراض الري وتوليد الكهرباء . وسنعود إليه عند الحديث على مشاريع الري في لبنان ، ويبلغ متوسط تصرفه السنوي عند القرعون ١٢,٥م٣/ ثانية ، وعند الخردلة ٢٩,٠م٣/ ثانية .

١٠ – نهر العاصي : وهو نهر كبير ، وليس مجرد مجرى سيلي كمعظم أنهار لبنان . ويستمد النهر مياهه من نبعين : أولهما ، نبع اللبوة ، ويقع إلى الشمال من مدينة بعلبك والثاني ، نبع عين الزرقاء ، ويقع إلى الجنوب من بلدة الهرمل . ويجري شمالا إلى سورية . ويجتاز منطقتي الغاب والعمق إلى ممر أنطاكية حيث ينحرف غربا إلى خليج السويدية حيث يصب في البحر المتوسط . ويبلغ طول رحلته هذه أكثر من ٦٠٠ كيلومتر ، يقطع منها مسافة ٤٥ كم داخل حدود لبنان ، والباقي داخل الحدود السورية ، ويمر خلال رحلته الطويلة بثلاث مدن سورية مهمة هي حمص وحماة وأنطاكية (وهي الآن تابعة لتركيا)، وتبلغ مساحة حوضه ٦٣٠٠٠ كم٢، يقع منها ضمن حدود لبنان نحو ٢٥٠٠ كم٢.

ونهر العاصي نهر شاب ، شديد الانحدار ، سريع الجريان في أعاليه ، ذلك أنه ينحدر مترا في كل مائة متر . ويخترق النهر بحيرة حمص البركانية النشأة ، ويخرج منها ليجري في وادٍ ضيق ذي جوانب شديدة الانحدار ، إلى أن يلاقي شلال الفجر ، وبعده بعدة كيلومترات يعود إليه الهدوء حتى يدخل مناقع الغاب ، بعدها يعود مجراه إلى الانحدار الشديد ، وقبل وصوله إلى أنطاكية ينحرف جنوبًا بغرب ليصب في البحر .

ورغم أن العاصي ينبع في البقاع الشمالي الذي يسوده مناخ شبه جاف ، وتتراوح كمية المطر السنوية بين ٢٥٠ و ٤٠٠ملم وهي تسقط شتاء ، إلا أن النهر يتميز بانتظام جريانه ويرجع السبب في ذلك إلى أن النهر محاط بـأراضٍ جيرية مسامية منفذة ، تتشرب كميات كبيرة من مياه المطر الشتوي ، ومن مياه الثلوج الذائبة في الربيع ، لتظهر بعد ذلك في قاع النهر وواديه وحوله عند حضيض المرتفعات التي تكتنفه في شكل عيون وينابيع وتغذيه بمياه دائمة التدفق طوال العام ، ومنها عين الزرقا التي يبلغ معدل تصرفها

السنوي ١١م٣/ ثانية (١٢,٥م٣/ ثانية في مايو ، ٩,٥م٣/ ثانية في ديسمبر) . ونذكر من الينابيع والعيون الأخرى : النبي عثمان ، بونين ، نحلة ، رأس بعلبك ، اللبوة ، ويتراوح معدل تصرفاتها السنوية بين ٨ و ١٢م٣/ ثانية . وتبلغ كمية تصرف العاصي السنوية ٤٣٠ مليون م٣ في مجراه الأعلى ، لكنها تزيد على ٢,٧ مليار م٣ في السنة عند مدينة أنطاكية . ويبلغ متوسط تصرف النهر السنوي عند قنطرة الهرمل ١٤,٦م٣/ ثانية .

١١ - **الحاصباني** : وهو أحد الروافد المهمة لنهر الأردن . وهو ينبع من جبل الشيخ وينحدر جنوبًا إلى منخفض الحولة في فلسطين . ويبلغ طول النهر نحو ٢١ كم ومساحة حوضه ٢٥١ كم٢ ، ومن أهم الينابيع التي تغذيه عين حاصباني والدردارة ، والوزاني ، والجوز . ويبلغ متوسط تصرف النهر نحو ٤,م٣/ ثانية وقت التحاريق (الجفاف) .

٢ - الينابيع والآبار :

(أ) **الينابيع** : في عرضنا السابق للمجاري المائية في لبنان ، لمسنا ما للمياه الجوفية من أهمية كبرى في تغذية الأنهار بالمياه خاصة في مواسم الجفاف . بل إن الجريان الدائم لكثير من الأنهار الكبيرة في لبنان ، يعزى إلى المياه التي ترد إليها من الينابيع الدائمة التدفق . وقد ذكرنا مع دراسة كل نهر عددًا من الينابيع التي تغذيه بالمياه فتعينه على دوام الجريان . ذلك أن قسمًا كبيرًا من مياه الأمطار الساقطة ، والثلوج الذائبة تتسرب إلى باطن الأرض ، متخللة الشقوق والفواصل في الصخور الجيرية المسامية . ومع أن بعضًا من هذه المياه يعود ثانية إلى السطح بالجاذبية الشعرية ، وبما تمتصه جذور النباتات إلا أن جزءًا عظيمًا منها يبقى مختزنًا في جوف الأرض ، مكونًا أحواضًا مائية ذات مناسيب متباينة . وتظهر المياه الجوفية حينما يتوفر شرط من شروط انبثاقها في هيئة عين أو ينبوع . فمن ينابيع لبنان ما يرتبط وجوده في جوانب الجبال بطبقة صخرية منفذة تقع فوق طبقة صخرية صماء . ومنها ما يوجد مرتبطًا بصخور كثيرة الفواصل في منطقة تلالية . وكثير منها ما نراه أسفل واجهات الكويستات خصوصًا في المناطق التي تتركب من صخور

جيرية أو طباشيرية ترتكز على صخور صماء . وينشأ نوع من الينابيع حيثما يتعاقب وجود طبقات منفذة وصماء ، تميل جميعها ميلا هينا . وتظهر الينابيع في جنبات الأودية حيثما استطاعت الأنهر السيلية أن تشق لنفسها بالنحت الرأسي أودية عميقة تصل إلى منسوب الماء الجوفي وما دونه[٣١] .

وبناء على ذلك يمكن تقسيم ينابيع لبنان إلى أربع مجموعات رئيسة هي :

١ - **الينابيع السيالة** : وتتفجر هذه الينابيع بالمياه عند أسافل طبقات الصخور الجيرية العظيمة المسامية التابعة للكريتاسي الأوسط ، وعند مناطق ارتكاز هذه الطبقات على تكوينات الكريتاسي الأسفل الأقل مسامية . سواء كانت تلك الطبقات مائلة أو شبه أفقية . وتعد هذه الينابيع من أهم أنواع ينابيع لبنان من حيث انتظام وقوة تصريفها ، ويكاد ينحصر وجودها في القسم الشمالي من السلسلة الغربية . ومن ينابيع هذه المجموعة ينابيع أنهار قاديشا وإبراهيم والكلب .

٢ - **الينابيع المنبثقة** : وتقع عند حضيض الكتل الجيرية على طول التقائها بالتكوينات الأقدم الأقل مسامية . وتمثل ينابيع عنجر ، وجعيتا ، والصفا هذه المجموعة خير تمثيل . ففي مغارة جعيتا يقع النبع في التكوينات الجيرية الجوراسية ، وساعد انكسار محلي على انبثاق مياه النبع الذي يغذي نهر الكلب بالمياه[٣٢] . وقد أثبتت الدراسات التي أجريت في سهل البقاع - حيث ينابيع عنجر ، وعميق ، وفي السفح الغربي لجبل الباروك حيث نبع الصفا - أن تغذية الينابيع اصطناعيًّا في موسم وفرة المياه ممكنة ، حتى يُستفاد منها وقت الجفاف ، إذ تم التأكد من وجود بعض الفوالق والانكسارات في أعماق الطبقات الصخرية ، تسمح بتخزين مياه الأمطار والثلوج الذائبة ، والاحتفاظ ببعض الاحتياطي منها .

٣ - **الينابيع المرتبطة بالانكسارات** : يحدث أحيانًا نتيجة لتحرك الطبقات على طول الأسطح الانكسارية أن تصبح طبقة مسامية عظيمة السمك ، مشبعة بالمياه قبالة طبقة صماء غير منفذة ، فتظهر المياه الجوفية منبثقة في هيئة عيون مائية ، كما هي الحال في عين شبعا ، وعين بنياس وعيون جبل حرمون . ولعل نبع الباروك الغني بمياهه ينتمي

لهذه المجموعة ، حيث تعاون الكسور في المنطقة على اندفاع المياه إلى أعلى قبالة تكوينات صلصالية غير منفذة . وبالمثل نبع « عميق » في البقاع شمال بلدة المنصورة ، حيث تحتجز المياه الجوفية التي تتخلل الصخور الجوراسية من ارتفاع ١٥٠٠م ، أمام سطح انكسار البقاع فتندفع المياه الجوفية إلى أعلى منبثقة من فوهة نبع « عميق » الواقع على ارتفاع ٩٨٠ مترا . كما أن نبع اليمونة المشهور يقع في القسم الأوسط من الجانب الغربي لمنخفض اليمونة الانكساري ، عند حضيض السفح الشرقي لجبل ضهر القضيب وواضح أن الانكسارات عملت على ظهور الماء الجوفي في عدد من الينابيع أهمها ينبوع اليمونة أو نبع الأربعين[٣٣] .

٤ - **الينابيع البحرية** : وتوجد في قاع البحر على مقربة من الساحل أمام منطقة شكا ، وجنوبي مدينة صور ، حيث تنبثق المياه العذبة خلال مياه البحر المالحة . ويرجع اندفاع المياه العذبة هنا إلى وجود شقوق وفوالق طبيعية في الطبقات الصخرية تنبثق من خلالها المياه . وتبلغ مساحة الحوض المائي الجوفي المغذي لهذه الينابيع حوالي ٢٠٠ كم٢[٣٤] .

هذا ويقدر عدد الينابيع في أرض لبنان بنحو ١١٢١ نبعًا ، يتركز أغلبها في السفوح الغربية للسلسلة الغربية . ويبلغ التصريف المائي للينابيع أقصاه في فصل الشتاء ، باستثناء الينابيع التي تعتمد اعتمادًا كبيرًا على ذوبان الثلوج مثل نبع عين الزرقاء ، وجعيتا . ويكون أعلى تصريف لبعض الينابيع مبكرًا في شهر يناير كينابيع عنجر بالبقاع . وبعضها يتأخر إلى فبراير كنبع الصفا ، أو إلى مارس كنبع البردوني . أما أعلى تصريف لنبع جعيتا فيكون في إبريل ، ولنبع عين الزرقاء يكون في مايو ، ويقل التصريف المائي للينابيع في فصل الصيف عقب انتهاء موسم الأمطار الشتوي ، وموسم ذوبان الجليد في الربيع ، أي في الفصل الجاف الذي تشتد فيه الحاجة إلى المياه .

(ب) **الآبار** : وهي أكثر الأنواع التي تظهر بها المياه الجوفية شيوعًا في لبنان ، إذ يتم حفرها حيثما وجد الإنسان حاجة إلى الماء . وقد استخدمها سكان لبنان منذ القدم للشرب ، والاستعمالات المنزلية ، وسقاية الحيوان ، والزراعة .

والآبار في لبنان نوعان : آبار عادية ، وآبار ارتوازية .

الآبار العادية : وقد أحصي منها في لبنان نحو ١٤٧٠ بئرًا .

وتعتمد الزراعة الصيفية في كثير من مناطق البقاع الجنوبي وسهل عكار – بالإضافة إلى أجزاء من السهل الساحلي – على مياه الآبار ، حيث يستطيع الزراع حفر آبار ضحلة والاستفادة من مياهها التي يتم رفعها بالطلمبات في ري حقول صغيرة لزراعة الخضر كما في سهل عكار ، أوْ ريّ الغلات النقدية كالتبغ ، والشمندر السكري في البقاع الجنوبي وقد تم في أواخر الستينات وأوائل السبعينات – بالتعاون مع بعثة الأمم المتحدة للتنمية – حفر عدد كبير من الآبار بالطرق الآلية الحديثة ، وإقامة المضخات لرفع كميات كبيرة من المياه للاستفادة منها في مختلف الأغراض ، وذلك في المناطق التي يكون فيها منسوب الماء الباطني عميقًا لا تصله إمكانات الزراع .

الآبار الارتوازية : ويوجد منها في لبنان عشرة آبار تم حفرها حتى بداية السبعينات . ومنها تندفع المياه تلقائيًّا إلى السطح من مخزون حوض الماء الارتوازي . وتنتظم الطبقات الصخرية في الحوض الارتوازي في هيئة ثنية مقعرة ضحلة هينة الانحدار . ويتركب الحوض من طبقتين صخريتين غير منفذتين تحصران بينهما طبقة منفذة ، تبرز هوامشها ظاهرة فوق السطح ، وتنفذ مياه الأمطار إلى الطبقة المنفذة من مخارجها ، وتتشبع تلك الطبقة بالماء ، وتدعى حينئذ مخزن ماء جوفي . ومثل هذه التراكيب والآبار نجدها ممثلة في بعض آبار الساحل اللبناني الممتد من جنوبي صيدا حتى رأس العين جنوبي صور وفي الساحل الشمالي عند بلدة العريضة ، وفي البقاع .

٣ – البرك والبحيرات الجبلية :

توجد في السفح الشرقي لسلسلة الجبال الغربية بلبنان بعض الكسور العميقة والفجوات الطبيعية ، تتجمع فيها مياه الأمطار والسيول والثلوج ، كما تنصرف إليها مياه ينابيع المرتفعات المحيطة بها ، فتمتلئ بالمياه شتاء ، لكن أغلبها يجف صيفًا . ويطلق عليها تجاوزا اسم « بحيرات » وهي في الواقع لا تعدو أن تكون مجرد برك ، وأشهرها ما يلي :

بحيرة اليمونة : وهي من أكبر برك لبنان وأهمها . ومساحتها حوالي ٢ كم٢ وتقع على السفح الشرقي لجبل المنيطرة على ارتفاع ١٣٦٠ مترا . وتستمد البركة مياهها من مصدرين : مياه الأمطار والسيول والثلوج ، ومياه الينابيع التي تنبثق في المرتفعات المحيطة بها ، ومن أشهرها ينابيع اليمونة . ويستفاد من مياهها في ري نحو ٢٢٠٠ هكتار ، سوف تزداد في المستقبل إلى نحو ١٠٠٠٠ هكتار[٣٥] .

بركة الزيتية : وتقع إلى الجنوب من بحيرة اليمونة على ارتفاع ١٨٠٠ متر ، وتزيد مساحتها قليلا على نصف كيلومتر مربع . وتقل فيها المياه صيفًا حتى لتبدو جافة ، ذلك أن تزويدها بالمياه أثناء الصيف يكاد يتوقف ، كما تتسرب مياهها خلال الشقوق والكسور في قاعها وتنحصر أهميتها في ري بضعة هكتارات ، وإمداد التجمعات السكانية من حولها بمياه الشرب .

بركة رام الزينية : ومساحتها تقل قليلا عن نصف كيلو متر مربع ، وتتعرض مثل السابقة للجفاف التام في الصيف ، لتسرب المياه خلال الشقوق والكسور في قاعها ، ولعدم إمدادها أثناء ذلك الفصل بمياه تعوض الفاقد بالتسرب والتبخر . وأهميتها محصورة في ري بضعة هكتارات حولها .

بركة رأس العين : وهي نوع من البرك الموجودة في جنوب لبنان وتختلف في تكوينها عن البرك السابقة . وبركة رأس العين تقع جنوبي صور ، وهي بركة ارتوازية تتغذى بالمياه الجوفية وتستغل مياهها في أعمال الري ، وفي تزويد مدينة صور وما يجاورها بمياه الشرب .

التربـة

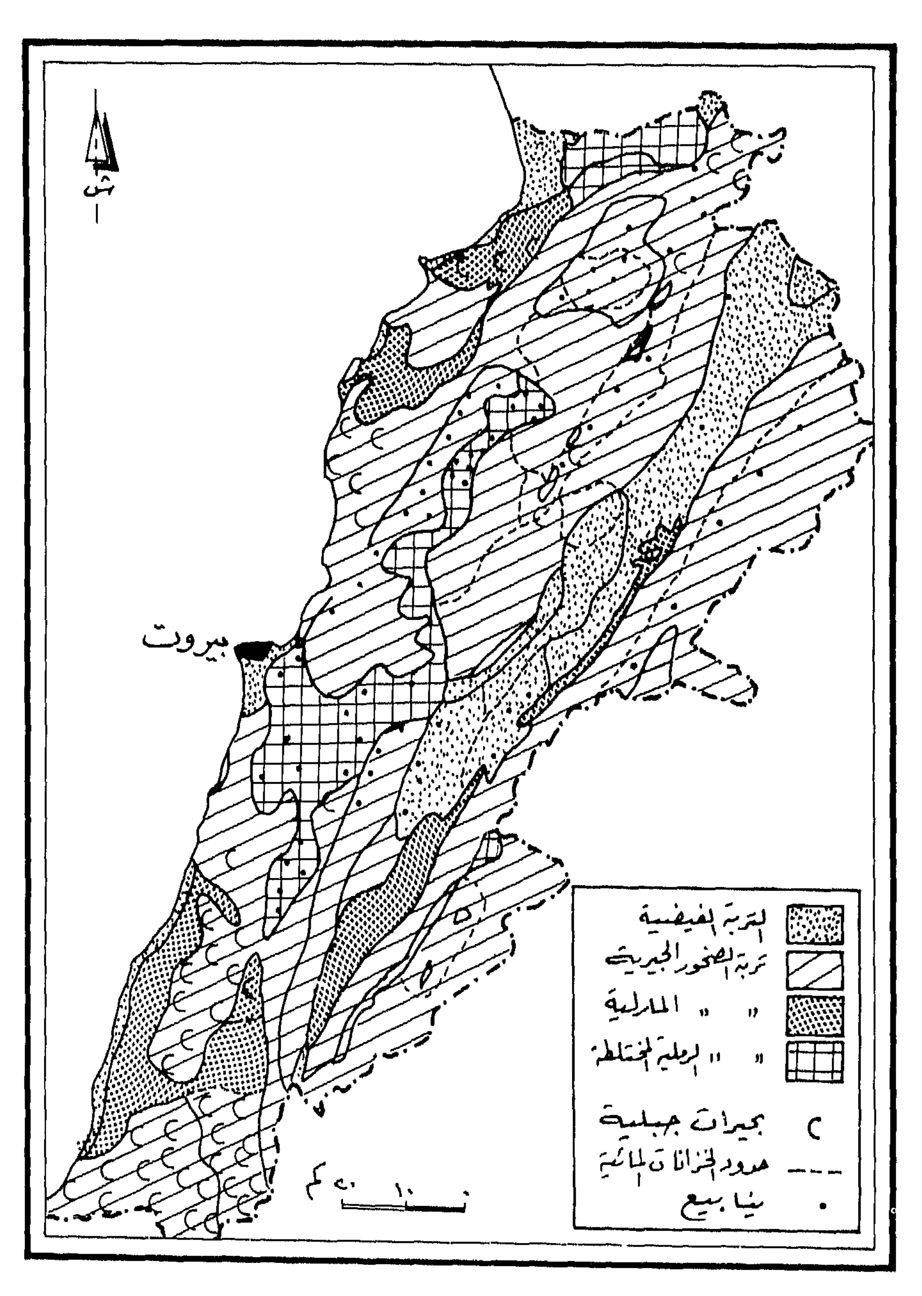
تتنوع التربة في لبنان تنوعًا كبيرًا (شكل ١٥أ) تبعًا لتأثرها بعدد من العوامل التي تتمثل في التركيب الصخري ، وأشكال السطح ، والظروف المناخية ، والنبات الطبيعي ، وفعل الإنسان ، ثم الزمن الذي انقضى منذ بداية تشكيل التربة . وقد وجدنا من دراستنا السابقة تفاوتا في التكوين الصخري لأرض لبنان رغم سيادة الصخور الجيرية . وتنوعًا في مظاهر السطح بين سهل وجبل ، واختلافا في الظروف المناخية سواء في التفاوت الحراري ، أو في اختلاف كميات المطر الساقطة في مختلف مناطق لبنان . أضف إلى ذلك تنوع النبات وانتشاره قديمًا ، وأثر الإنسان في القضاء على معظمه ، ومن ثم تعريض التربة للانجراف ولهذا كله فإننا نتوقع تنوعًا كبيرًا في تربات لبنان ، نذكرها ونجمل أهم خصائصها في الدراسة التالية[٣٦] .

أولًا : التربات التي تنشأ في الصخور الجيرية :

وهي تربات تنشأ من تحلل الصخور الجيرية ، فهي مشتقة منها ومما تحويه من تكوينات طينية . وهي على ثلاثة أنواع تبعًا لمحتواها من تكوينات الطين والرمال والجير والأكاسيد الحديدية .

١ - **التربة الحمراء** : وهي تربة ثقيلة ، وتعد نوعًا من التربات الصلصالية ، وقد نشأت واشتقت من الصخور الجيرية ، وتلونت بلون الأكاسيد الحديدية . وهي تربة غنية بالمواد الجيرية ، ولكنها فقيرة في مواد الدبال ، وقيمتها محدودة ، وتشغلها عادة مزارع الكروم والزيتون . وتبلغ نسبة المحتوى الجيري في التربة ٦٪ ، لكن تسودها المواد الصلصالية التي تزيد نسبتها على ٦٠٪ . أما نسبة الأكاسيد الحديدية فتبلغ نحو ١٥٪ . والباقي يتألف من الرمال بأحجامها المختلفة وقد تمكن زراع لبنان من خلط هذه التربة بالرمال وإضافة مختلف أنواع الأسمدة اللازمة إليها فأدى ذلك إلى جودتها .

هذا وتتوزع التربة الحمراء على امتداد الشريط الساحلي ابتداء من سهل عكار ، ومنطقة طرابلس وزغرتا . كما تشاهد في النطاق الممتد بين بيروت والدامور جنوبًا . ويمكن رؤيتها فوق السفوح الغربية للجبل الغربي على ارتفاع يزيد على ١٥٠٠ متر . ويُحسن اللبنانيون استخدامها وانتقاء المحاصيل التي تجود فيها بحسب ما تتلقاه من الأمطار ، وما يتوفر لها من موارد مياه أخرى فحيثما يقل الماء يزرع اللوز والتين ، وحيثما



شكل -١٥/٢- التربة

يكثر يزرع الزيتون والكروم ، وحيثما توفرت وسائل الري تزرع الحبوب والتبغ . وفي الشريط الساحلي الجنوبي حيثما توافرت موارد مياه دائمة مع درجات الحرارة الملائمة تنتشر زراعة الخضر والموز والحمضيات .

٢ – التربة البنية :

وهي تربة حمراء قاتمة أو بنية ، تنشأ فوق السفوح الجبلية حتى ارتفاع لا يزيد على ١٥٠٠ متر . وتتألف من تحلل الصخور الجيرية . وهي تربة ثقيلة تغلب فيها أحيانًا نسبة الصلصال حتى تصل إلى ٧٥٪ ، وتتراوح نسبة الجير فيها بين ٥ و ١٠٪ . وحين تقل نسبة الصلصال وتزداد نوعًا ما نسبة الرمال تصلح التربة وتتحسن صفاتها . ويرجع لونها البني إلى احتوائها على نسب متفاوتة من الأكاسيد الحديدية .

٣ – التربة الصفراء :

وهي تربة جبلية ، تنتشر في جبال لبنان في مستويات تزيد على ١٥٠٠ متر وهي تربة جيرية أيضًا ، تنشأ من تحلل الصخور الجيرية كيميائيًّا ، ومن تفككها ميكانيكيًّا بفعل التجمد والذوبان ، بسبب التفاوت الحراري نهارًا وليلًا . وهي أقل من التربة البنية احتواءً على الصلصال ، فلا تزيد نسبته فيها على ٤٠٪ وأقل احتواء أيضًا على الأكاسيد الحديدية ، ولهذا فهي مصفرة اللون .

ثانيًا : الترباتُ التي تنشأ في صخور المارل :

وهي تربات تنشأ من تحلل صخور المارل كيميائيًّا ، وتفككها ميكانيكيًّا . ولما كانت صخور المارل في لبنان تنتشر في مستويات عدة متخللة الصخور الجيرية ، فإن توزيع هذه التربات يتخلل مناطق توزيع التربات السابقة . فنجدها محمرة اللون في وسط التربات الحمراء والبنية في النطاق الساحلي ، وعلى السفوح المتوسطة حتى ارتفاع ١٥٠٠ متر . وهنا نجدها تتميز بنسبة معتدلة من الصلصال تتراوح بين ٢٠ و ٣٠٪ ، لكن المحتوى الجيري فيها مرتفع يصل إلى ٥٠٪ . بينما تقل نسبة الصلصال عن ذلك في التربة المارلية بأعالي الجبال ، نظرًا لأن التفكك بواسطة التجمد والذوبان صفة غالبة ، فتتراوح ، بين ١٠ و ٢٠٪ أو تقل نوعًا نسبة المحتوى الجيري فلا تزيد على ٣٠٪ . وفي

سهل البقاع توجد التربة المارلية الرمادية والداكنة اللون المائلة إلى السواد . وفيها تتراوح نسبة الصلصال بين ١٥ و ٣٠٪ ، وتبلغ نسبة المحتوى الحديدي حوالي ١٥٪ ، ونسبة الجير نحو ٤٠٪ .

ثالثًا : الترابات التي تنشأ من الصخور الرملية :

وهي - كما يدل اسمها - مشتقة من الصخور الرملية ، لكنها تتفاوت في تركيبها وخصائصها وألوانها تبعًا للظروف المحلية ، ولمدى اختلاطها وتأثرها بعمليات تكوين التربة أثناء مراحل تطورها . ففي منطقة بيروت وسهل عكار ، وأجزاء أخرى متناثرة في السهل الساحلي توجد تربة رملية يضرب لونها للاحمرار ، وتتراوح نسبة الرمال فيها بين ٦٠ و ٩٠٪ . وتتألف الرمال من حبيبات كوارتيزية دقيقة ، وحبيبات أخرى جيرية تمثل بقايا أصداف وهياكل كائنات بحرية . ونسبة الجير فى هذه التربة نحو ١٠٪ ، وبالتربة نسبة من الصلصال الأحمر تتراوح بين ١٥ و ٢٠٪ . وتوجد تربات رملية مشابهة في جهات متعددة من لبنان بعضها فوق صخور دولوميتية ، وبعضها الآخر قد اختلط بمجمعات الحصى والرمال السيليكية عند قواعد التكوينات الكريتاسية كما في شرق بيروت ، وإقليم جزين ، ومرجعيون وسفوح جبل حرمون ، وفي مناطق بحمدون ، وصوفر ، والحوض الأعلى لنهر الدامور والتربات الرملية الخشنة تتعرض لعمليات الغسل الطبيعية ، ومن ثم فهي فقيرة في مواد الدبال ، لكن حيثما اختلطت بالتربات الحمراء ، وتعهدها الزراع بالتسميد ، تحسنت نوعيتها وقوامها ونسيجها ، وجادت فيها الزراعة ، كما هي الحال في أجزاء كثيرة على امتداد السهل الساحلي .

رابعًا : التربات التي تنشأ في الصخور البازلتية :

تنتشر التربة البازلتية في مناطق توزيع الطفوح البركانية المختلفة الأعمار ، في شمال شرق لبنان ، وفي سهل عكار ، وفي شمال مرجعيون ، وغرب راشيا . وتتفكك الصخور البازلتية ميكانيكيًا ، وتتحلل كيميائيًا بسهولة ، فينشأ عن ذلك تربة تتميز بلونها الرمادي الداكن ، وأحيانًا يضرب اللون إلى الاحمرار ، ونسبة الصلصال في التربة عالية

نوعًا ما . فهي تتراوح بين ٣٠ و ٤٠٪ ، والمحتوى الجيري منخفض يتراوح بين ١ و ٥٪ ويناسبها زراعة الحبوب كما في سهل عكار .

خامسًا : التربات الرمادية الداكنة :

توجد هذه التربات مبعثرة في مناطق مختلفة بطول السهل الساحلي اللبناني ، فهي موجودة في الشمال في سهل عكار ، وفي منطقة شكا ، وجبيل ، وبيروت في الوسط وحول صيدا وصور في الجنوب . كما توجد في أجزاء من وسط سهل البقاع . وتختلف خصائصها تبعًا لتباين الظروف المحلية التي نشأت بتأثيرها . ففي سهل عكار تتميز التربة الرمادية الداكنة بقوام ثقيل ، إذ تتراوح نسبة الصلصال فيها بين ٤٠ و ٦٠٪ ، بينما[٣٧] تهبط النسبة إلى ١٠٪ في تربة سهل البقاع الرمادية الداكنة . وبالمثل تتباين نسب المواد الحديدية والجيرية تباينًا كبيرًا من جهة لأخرى ، بحسب توافر تلك المواد في الصخور المحلية والمحيطة . مثال ذلك تتراوح نسبة الجير بين ٥ و ٨٥٪ ، ونسبة المحتوى الحديدي بين ١٠ و ٢٠٪ . وتجود في هذه التربة زراعة الموز والخضر في السهل الساحلي ، خصوصًا حول صيدا وصور ، وزراعة الحبوب في كل من سهل عكار والبقاع الأوسط .

سادسًا : تربات الإستبس والتربات شبه الصحراوية :

وهي تنشأ – كغيرها من التربات – بتأثير كل من التركيب الصخري وظروف المناخ في المنطقة . وتربات الإستبس في لبنان من نمطين : تربة كستنائية داكنة ، وتربة كستنائية فاتحة اللون . أما الداكنة ذات اللون البني المحروق ، فلكثرة ما فيها من محتوى حديدي يصل إلى نحو ٢٠٪ ، ولغلبة المواد الصلصالية في تركيبها ، إذ تصل نسبتها إلى نحو ٦٠٪ ، وتناسب هذه التربة زراعة الموالح والموز .

أما التربة الكستنائية الفاتحة فتوجد في البقاع الأوسط ، وقد نشأت في ظروف قارية وبتأثير معدلات مطر تتراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ ملم سنويًا . وتتفاوت نسب الصلصال فيها تفاوتًا كبيرًا ، إذ تتراوح بين ٥٠ و ٧٠٪ ، والمواد الجيرية بين ١٥ و ٣٠٪ ، وأكاسيد الحديد بين ١٠ و ٢٠٪ .

وتوجد التربة الصفراء في البقاع الشمالي ، حيث تسود ظروف مناخية شبه جافة ، إذ تقل كمية الأمطار ، فلا تكاد تصل إلى ٣٠٠ ملم . ويبدو أن الرياح قد شاركت ، وما تزال تشارك في تكوينها ، كما فعلت وتفعل في مناطق توزيع تكوينات اللويس . ونسبة الغرين (السيلت) في هذه التربة مرتفعة تتراوح بين ٤٠ و ٦٥٪ ، بيما تقل نسبة الصلصال فلا تتعدى ١٠٪ . وتتراوح نسبة المواد الجيرية بين ٣٠ و ٤٠٪ ، وتحتاج التربة للتسميد العضوي والآزوتي كي تتحسن إنتاجيتها .

مشكلات انجراف التربة في لبنان :

من بين المشكلات التي تعانيها مناطق لبنان الجبلية عمليات جرف التربة . فكثيرًا ما تسقط أمطار الشتاء بغزارة مسببة لسيول تجرف معها تكوينات التربة على امتداد المنحدرات الجبلية الشديدة ولا تسلم السهول ذاتها من أذى السيول ، وفي فصل الصيف الجاف تسفي الرياح القوية مواد التربة الناعمة المفككة . ولقد أدى قطع الغابات وسوء استغلالها في الماضي إلى تعرية التربة ، وتعريضها لتأثيرات عوامل التعرية مما تسبب في سرعة انجرافها واجتياحها . يضاف إلى ذلك رعي الماعز التي تأكل الحشائش وتقتلعها من جذورها وتلتهم الشجيرات الغضة حديثة الإنبات . ويحاول أهل لبنان جهدهم للحد من عمليات جرف التربة ، وذلك بإنشاء المدرجات فوق سفوح الجبال ، وحمايتها بإقامة الحواجز ، وإنشاء مصدات الرياح عن طريق التشجير أو البناء . وتشرف الحكومة على إعادة تشجير المنحدرات الجبلية ، وعلى الحد من رعي الماعز .

النبات الطبيعي

نبات لبنان هو انعكاس لتفاوت ظروفه المناخية ، وتنوع أشكال سطحه ، وتباين ترباته . كما أن العامل البشري له أثره في توزيعه الحالي . فقد كانت الغابات تغطي فيما مضى مساحات أكبر اتساعًا وانتشارًا من أراضي لبنان . لكن البلد معمور منذ القدم ، لذلك فقد قام الإنسان – كما فعل في كل حوض البحر المتوسط الشهير بحضاراته ،

القديمة – يقطع الكثير من الأشجار لاستخدام أخشابها في مختلف الأغراض وأخصها بناء السفن . فاستغل غابات لبنان على مدى التاريخ البشري كل من الفينيقيين والفراعنة المصريين ، والإغريق ، والرومان ، والعرب المسلمين ، والمماليك المصريين والعثمانيين . ولم يجر تعويض ما قُطع بغرس جديد ، هذا فضلا عما أصاب الغابات من إتلاف طبيعي عن طريق الحرائق وجرف التربة . كما قام اللبنانيون أنفسهم خلال القرنين الأخيرين بقطع الكثير من الأشجار وإخلاء السفوح المناسبة لتسوية المدرجات لاستزراعها . وهكذا لم يبق من غطاءات لبنان النباتية إلا بقايا متناثرة تشهد بغناه القديم بثروة خضراء أُتلفت أغلبَها يدُ الإنسان(٣٨) .

وتدل الإحصاءات على أن نحو ٧٪ من أرض لبنان مكسو بالغابات ، وهي نسبة توازي نحو ٧٠ ألف هكتار (نحو ١٧٥ ألف فدان) . ولاشك أنها مساحة منخفضة لا تتناسب مع ما يتمتع به لبنان من ظروف مناخية مواتية . وتملك الدولة من هذه المساحة نحو ٦٢٪ أما الباقي فجزء منه على المشاع ، وجزء آخر ملك للأفراد . وتغل الغابات سنويًّا نحو ٧٠٠٠ طن من أخشاب الصناعة و٥٠٧٧ طنًّا من خشب الوقود ، وحوالي ٤٠١٧ طنًّا يتم تحويلها إلى فحم نباتي . ومنتجات الثروة الغابية بحالتها الراهنة لا تكفي احتياجات لبنان ، فهو يستورد سنويًّا نحو ٦٠ ألف طن من مختلف أنواع الأخشاب ويسعى لبنان لزيادة الرقعة الغابية عن طريق الجهود التي يبذلها القائمون على المشروع الأخضر ، ومشاريع وزارة الزراعة ويطمح من خلال ذلك إلى الوصول بالمساحة الغابية إلى نسبة ٢٠٪ من مساحته الإجمالية .

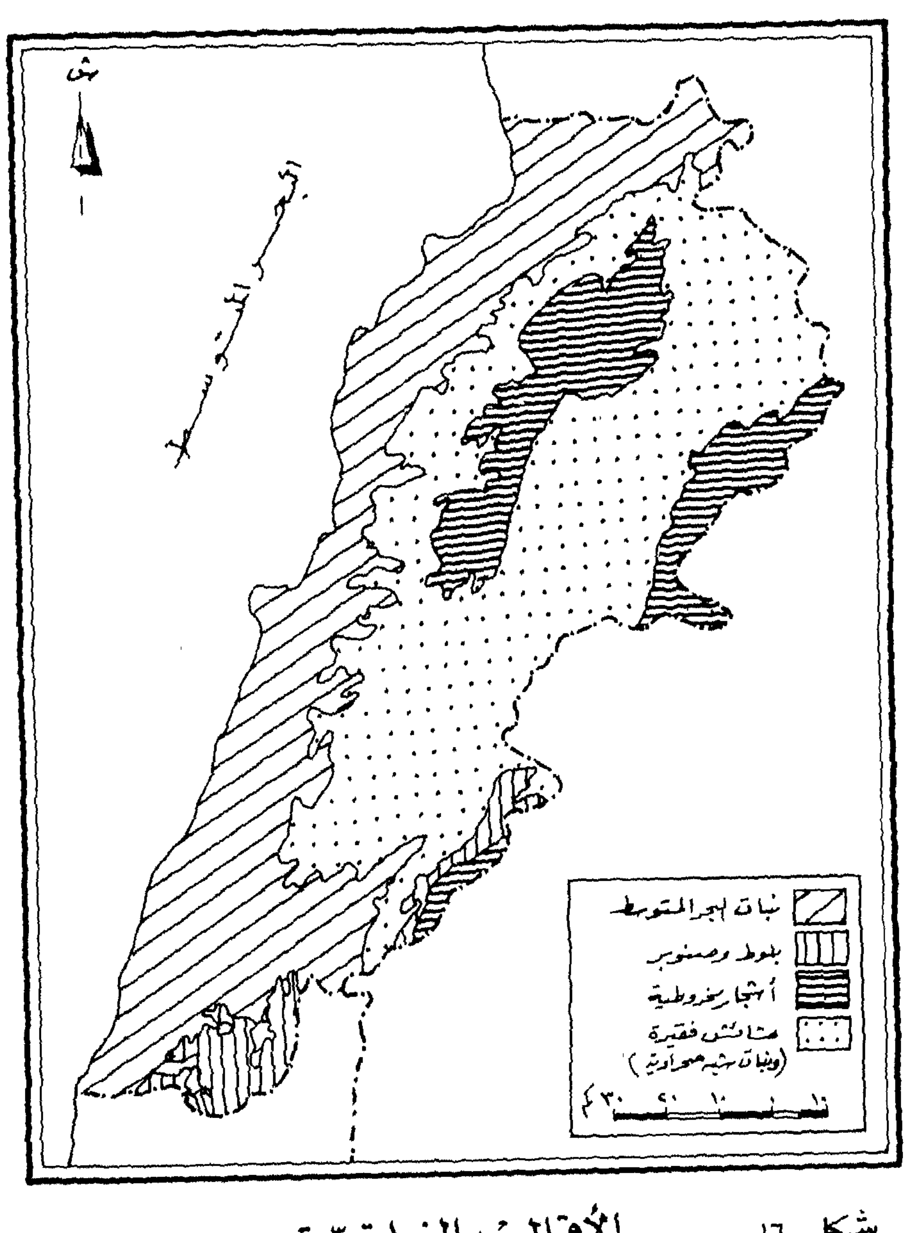
والبلوط بأنواعه المختلفة هو أكثر الأشجار انتشارًا في لبنان ، إذ تبلغ جملة المساحات التي يغطيها نحو ٤٣٢٠٠ هكتار (نحو ١٠٧٥٠٠ فدان) كما أنه ينبت على كل المستويات حتى ارتفاع ٢٠٠٠ متر . ومن أنواع البلوط في لبنان البلوط النفضي ، الذي يتخلص من أوراقه شتاء بسبب البرودة ، ويرى في منطقة جزين وفوق السفوح الغربية بجبل نيحا ، على مناسيب تتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ متر ، بل إن بعض أشجاره تنمو فوق ذرى جبل الشيخ على ارتفاع يزيد على ٢٠٠٠ متر . ويختلف البلوط الدائم الخضرة عن

البلوط النفضي في أن أوراقه خشنة الملمس ، وأكثر سمكًا ، وذات أطراف حادة مدببة . ويتم تجديد الأوراق ونفضها على فترات ومراحل بحيث تظل الشجرة مورقة خضراء . وهذا النوع من البلوط يوجد فوق السفوح الغربية للجبل الغربي ، وكذلك على منحدرات الجبل الشرقي ، فوق مستويات لا يزيد ارتفاعها على ١٨٠٠ متر . (شكل ١٦) .

وتأتي الأشجار الصنوبرية في المرتبة الثانية من حيث الانتشار في ربوع لبنان فهي تحتل مساحة مقدارها ١٦ ألف هكتار (نحو ٤١٥٠٠ فدان) . وهي على أنواع في لبنان ، منها الصنوبر المثمر ، الذي تستخدم ثمارة في صناعة الحلويات والأطعمة اللبنانية والسورية . وتوجد أشجاره في شرقي بيروت ، وحوض نهر بيروت ، وأعالي الدامور . وهناك أنواع أخرى تنمو في جهات متفرقة كالصنوبر الحلبي . وتتميز جميعها بسيقان طويلة رفيعة ، تنتهي بتيجان ذات أغصان وأوراق إبرية ، يتم إبدالها بأوراق جديدة على مراحل ، وبذلك تظل دائمة الاخضرار . وتنمو الأشجار الصنوبرية في لبنان في الشريط الساحلي ، وعلى السفوح الغربية للجبل الغربي حتى ارتفاع ١٠٠٠ متر وعلى سفوحه الشرقية حتى ارتفاع ١٥٠٠ متر . كما تنمو على منحدرات الجبل الشرقي حتى ارتفاع ١٧٥٠ مترًا[٣٩] .

وتلي الأشجار الصنوبرية في الانتشار أشجار العرعر ، وتبلغ جملة مساحة مناطق توزيعها نحو ١٢٠٠٠ هكتار (نحو ٣٠٠٠٠ فدان) . وهي أشجار مخروطية تنمو في الجبال اللبنانية على مناسيب تتراوح بين ١٠٠٠ و ٢٧٠٠ متر خاصة في القسم الشمالي من الجبل الغربي ، وفوق جبل الشيخ وأجزاء من السلسلة الشرقية . ومن مميزات هذه الأشجار قدرتها على التكيف وتحمل الظروف المناخية المتطرفة من برودة وجفاف . وتتفاوت أشجار العرعر في أحجامها ، وارتفاعاتها بين مترين وعشرين مترا ويستخرج من أخشابها بالتقطير زيت أسود اللون يستخدم دهانا لمعالجة بعض الأمراض الجلدية .

وشجرة الأرز اللبنانية شهيرة شهرة جبل لبنان نفسه ، وهي رمز لبنان وعلامة رايته . وقد بقي على الزمن بعض منها يتوج ذروة جبل الأرز ، وقمم مرتفعات المكمل ، وأعالي



شكل - ١٦ - الأقاليم النباتية

المصدر: Vaumqs(1954), op . cit. Fig 45 P. 261.

منطقة بشرى على مستويات تناهز الألفي متر ، ويقال إن عمر بعض هذه الأشجار هنا يزيد على ألف سنة . ويبلغ ارتفاع الشجرة بين ٢٠ و٣٠ مترا . وما تزال مجموعة شبيهة من أشجار الأرز تغالب الزمن فوق سفوح جبل الباروك ، لكنها أقل حجمًا وارتفاعًا . وتبلغ جملة المساحات التي تشغلها أشجار الأرز نحو ٢٠٠٠ هكتار .

وتنمو أشجار الشربين كالأرز فوق ارتفاع ١٥٠٠ متر . وهي مخروطية الشكل أيضًا وتتوزع في عدد محدود من المناطق الجبلية كمنطقة إهدن ومنطقة مارسركيس وتبلغ جملة مساحة الأراضي التي تظهر فيها أشجار الشربين نحو ١٧٥٠ هكتارا .

ويتضح من عرضنا السابق التفاوت في حجم الغطاء النباتي وتنوعه وتوزيعه مما يسمح بتقسيم لبنان إلى أقاليم نباتية على الوجه التالي :

١ - **الإقليم الساحلي** : ونقصد به نطاق الشريط الساحلي وسفوح السلسلة الجبلية الغربية من حضيضها حتى ارتفاع ٩٠٠ متر . وهو بذلك يشمل نوعين مناخيين هما : مناخ البحر المتوسط الرطب في السهل الساحلي ، ومناخ البحر المتوسط الرطب فيما يلي الساحل حتى ارتفاع ٩٠٠ متر . وتبعًا لذلك فإن النبات السائد هو من نوع نباتات إقليم البحر المتوسط . فتنمو هنا الأشجار الدائمة الخضرة مختلطة بالشجيرات الشوكية في مجموعات متفرقة تفصل بينها مساحات من أراضٍ عشبية وأخرى جرداء . وقد أزيل معظم الغطاء النباتي الطبيعي لتحل محله محاصيل زراعية كالحبوب والخضر ، والأشجار المثمرة كالموالح والتين والزيتون والموز ونخيل البلح .

وتتميز فصائل النبات في الإقليم الساحلي بقدرتها على تحمل جفاف الصيف ، واحتفاظها بخضرتها رغم الجفاف . وهي تتحايل بطرق شتى كي تحتفظ بأكبر قدر من المياه في داخلها ، ولتحصل على مزيد منه من أعماق التربة . فقد زود بعضها - للإقلال من عملية النتح - بلحاء سميك ، وبأوراق إبرية الشكل كالصنوبر والكافور ، أو بأوراق دهنية تسد المسام ، ومصقولة السطح ناعمة كي تعكس الإشعاع الشمسي ، مثل أوراق الزيتون وشجر الخروب . وشكلت سيقان أشجار أخرى - للحيلولة دون فقدان المياه - بالعقد الكثيرة والأغصان الضامرة كأشجار التين والفستق . أما أشجار

الكروم العريضة الأوراق فإنها تمتص حاجتها من الماء في الصيف – حيث الجفاف – من أعماق التربة بواسطة جذورها الطويلة المتشعبة .

وتوجد مراعي البحر المتوسط مبعثرة هنا وهناك ، وقيمتها محدودة للغاية . وهي عبارة عن حشائش وأعشاب خشنة من صنف الماكي المنتشر في جنوب أوروبا ، وتتخللها شجيرات قزميـــة وقصيرة مبعثرة مثل شجيرات الآس والرمان والتربنتين . كما تنمو نباتات عشبية أخرى تختزن المياه في أغصانها ، وبعضها له رائحة عطرية جميلة كنبات الخزامي والنرجس . وتنمو في الإقليم الساحلي أيضًا أشجار البلوط والقسطل والحور والجوز . أما أشجار المشمش والبَرقوق والخوخ والسفرجل واللوز والكمثرى ، فإن البريّ منها نادر الوجود حاليًا ، لكن زراعتها تنتشر بنجاح عظيم .

٢ – **إقليم الجبال** : تتنوع النباتات فوق سفوح جبال لبنان بالارتفاع تبعًا لتنوع الظروف المناخية وأنماط التربة . وقد تأقلم النبات الطبيعي مع الظروف المناخية المتغيرة من فصل لآخر فهو يستطيع تحمل برودة الشتاء وجفاف الصيف .

وتكثر الأنواع النباتية وتتعدد في جبال لبنان حتى ارتفاع ٢٠٠٠ متر . فتنمو أشجار البلوط في التكوينات الجيرية بين ارتفاعي ٩٠٠ و١٨٠٠ متر فوق منحدرات الجبل الغربي والجبل الشرقي على حد سواء . وتتميز فصائل أشجار البلوط بتنوعها وتعددها . فمنها البلوط النفضي والبلوط الدائم الخضرة على نحو ما أسلفنا .

وتتخلل أشجار البلوط حشائش الماكي وأعشابه وشجيراته ، وبعض من شجيرات البحر المتوسط الدائمة الخضرة كأشجار الخروب والزمبق والفستق . كما تظهر فوق المنحدرات ذات المناسيب التي تتراوح بين ٩٠٠ و١٥٠٠ متر شجيرات عديدة من الحناء والنبق واللوز والكازورينا والتوت والإسفندان والكافور ، والحور والراوند[٤٠] .

وفي نفس المستويات الجبلية ، وفي التكوينات الرملية الكريتاسية التي تتركب منها أجزاء من مرتفعات لبنان الغربية ، تنمو أشجار الصنوبر بأنواعه المختلفة وتكشف الوثائق التاريخية أن أشجار الصنوبر كانت تغطي مساحات واسعة من سفوح الجبل الغربي أخذت تتناقص على مر الزمن ، بسبب عمليات القطع والإزالة والحرق التي مارسها الإنسان عبر التاريخ .

وتنمو الأشجار **المخروطية** فوق ارتفاع ٢٠٠٠ متر من جبال لبنان ، نظرًا لتوافر عوامل نموها . إذ تتميز شواهق لبنان بعظم كمية التساقط من مطر وثلج في فصل الشتاء وبرطوبة التربة ، بالإضافة إلى برودة الشتاء ، وانخفاض الرطوبة النسبية صيفًا . وتوجد الأشجار المخروطية في أماكن معلومة من الجبل الغربي على الخصوص ، ففي غابة إهدن وحول نبع مارسركيسَ توجد مجموعات من أشجار السرو الإيطالي ، التي تتميز بحجمها الكبير ، وارتفاع الساق وتعدد الأغصان . وفي ذات المناطق يرافق السرو ظهور أشجار الشربين والتنوب . أما **الأرز** فيظل مكللا هامة الجبل المسمى باسمه ، إضافة إلى منطقتي أعالي المكمل وخانق قاديشا حيث غابة أرز بشرى . وتتوج أشجار العرعر المخروطية جبل الشيخ والقسم الشمالي من الجبل الغربي . هذا ولا تحوي مرتفعات لبنان الشرقية من الأشجار المخروطية سوى أشجار العرعر .

٣ – **إقليم سهل البقاع** : يقع البقاع في حمى جبال لبنان الغربية ، فلا تؤثر فيه الرياح الغربية وأعاصيرها كثيرًا . وتبعًا لذلك فإن أمطاره قليلة نسبيًّا ، وهي في الجنوب أكثر تنوعًا منها في الشمال الذي لا يحظى إلا بـ ٢٥٠ ملم من المطر السنوي ، يتساقط في أشهر الشتاء . أما الصيف فهو جاف وحار . وبسبب قارية المناخ وعدم كفاية الرطوبة والمطر ، فإن البقاع فقير في ثروته النباتية الطبيعية . ففي جنوب البقاع وعلى هوامشه الشرقية والغربية تنمو حشائش فقيرة هي أقرب في طبيعتها إلى حشائش السهوب شبه الصحراوية منها للإستبس المعتدلة . وحيثما ازدادت رطوبة التربة بالقرب من مصادر المياه سواء كانت عيونًا أو ينابيع ، وعلى امتداد المجاري المائية تنبت أشجار الصفصاف .

ويزداد الغطاء النباتي الطبيعي فقرًا في البقاع الشمالي ، حيث تشتد حدة ظروف المناخ القاري ، ويشح المطر ، ويشتد الجفاف . فلا تظهر سوى الأنواع النباتية التي تلائم حياتها بالأحوال شبه الصحراوية . فهي فصائل شوكية لها القدرة على اختزان المياه والاحتفاظ بها ، ولها إمكانية امتصاص المياه من عمق التربة بجذورها الطويلة ، وأهمها الصبر والصبير ، والتين الشوكي ، وشجيرات العبل .

السكان

شهد عام ١٩٢١م أول تعداد لسكان لبنان ، ثم أعقبه تعداد آخر في عام ١٩٣٢م . وكانت نتيجة الأول ٥٥٩ ألف نسمة ، والثاني ٧٩٥ ألف نسمة . وكلاهما مشكوك في صحته ويعتقد أنهما أقل من الحقيقة . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية تطلب توزيع مواد التموين التعرف على أعداد السكان ، فأدى ذلك إلى محاولة عمل إحصاء عام . وبالفعل أجريت عمليات التعداد في معظم نواحي الدولة في عامي ١٩٤١م ، ١٩٤٢م ، إلا أن نتائج ذلك التعداد لم تعلن . ومنذ ذلك التاريخ لم يجر إحصاء لسكان لبنان على الإطلاق .

وقد ظهرت عدة تقديرات لسكان لبنان . ففي عام ١٩٥٣م نشر أحد الجغرافيين الفرنسيين وهو (دي فوما) تحليلا تفصيليًا للموقف السكاني[٤١] ، مصحوبًا بأرقام مفصلة ، ولم يذكر المؤلف شيئا عن مصادر هذه الأرقام التي تعبر عن الوضع السكاني حوالي عام ١٩٥٠م ، كما لم يناقش مدى صحتها أو دقتها وإمكانية الاعتماد عليها . وبلغت جملة عدد السكان حسبما أوردها نحو ١,٣ مليون نسمة . وفي نشرة إحصائية رسمية عام ١٩٦٥م أعطت الحكومة اللبنانية تقديرات سكانية لعام ١٩٥٨م (١,٦ مليون) . ولعام ١٩٦٥م (٢,٣٦٧ مليون نسمة) أما مصادر الإحصاء الأمريكية بواشنطون ، فقد قدرت جملة عدد سكان لبنان في عام ١٩٦٩م بنحو ٢,٦ مليون نسمة ، بنمو سكاني معدله ٢,٥٪ سنويًا . وفي عام ١٩٧٠م قامت الإدارة المركزية للإحصاءات بتقدير عدد السكان بالعينة ، وانتهت إلى الرقم ٢,٤٨٠,٠٠٠ نسمة ، وبالنسبة لبيروت ٧٠٠,٠٠٠ نسمة . وفي تقدير آخر تم في عام ١٩٧١م ، بلغت جملة سكان لبنان ٢,٦ مليون نسمة كتقدير عام ١٩٦٩م ، وفي عام ١٩٧٥م وصل التقدير إلى ٢,٩ مليون نسمة[٤٢] . ومما يزيد الأمر تعقيدًا ، أن التقديرات السكانية تشمل اللبنانيين المهاجرين حتى الذين يقيمون منهم في الخارج إقامة دائمة ، كما أنها لا تشمل عدد السكان الأجانب المقيمين في لبنان ، خاصة الفلسطينيين الذين يقيمون في المخيمات .

الأصول العرقية للسكان :

تدل الشواهد الأثرية والتاريخية على أن الأساس العرقي أو السلالي لسكان لبنان يتمثل في موجة سكانية كبيرة من العنصر الكنعاني ، وفدت إلى ساحل لبنان من شبه الجزيرة العربية في عام ٢٨٠٠ ق . م ، وهو عنصر سام وفرع من سلالة البحر المتوسط ، وهو العنصر الذي أسس في لبنان حضارة متميزة عرفت بالحضارة الفينيقية . وظلت بيروت عاصمة لحضارة فينقيا حتى عام ٦٤ ق . م ، حين تعرض لبنان لغزوات الأشوريين ثم البابليين ، الذين كان لهم أثر في التركيب العرقي لسكان لبنان . و لم تنقطع الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية إلى لبنان حتى القرن السابع الميلادي حين وفد المسلمون العرب ، وأصبح لبنان في ظل لواء الإسلام . وفي عام ١٥٠٠ ق . م وصل الآراميون إلى لبنان ، ومن بعدهم الأنباط في عام ٥٠٠ ق . م ، ثم الغساسنة في القرن الثاني بعد الميلاد . ورغم وصول هجرات وغزوات غير سامية إلى لبنان عبر التاريخ ، كالحيثيين والأشوريين ، والبابليين ، ثم الفرس واليونان ، وفي العصور الوسطى التتار والأتراك ، وفي العصور الحديثة الأكراد والأرمن ، والأتراك – من آل عثمان – إلا أن الهيمنة السلالية للعرق السامي العربي ظلت وبقيت على الزمن ، ساندها وعاونها شيوع اللغة العربية ، والدين الإسلامي الحنيف ، وسيادة العادات والتقاليد العربية[٤٣] .

وتشير الأدلة الأثرية والتاريخية إلى أن **جبال لبنان** كانت حتى العهد الروماني تجللها الغابات ، ولهذا لم يكن يقطنها سوى عدد قليل جدًا من السكان . وبينما كانت أرض فلسطين – والتي تميزت بأنها أقل رطوبة وارتفاعًا – عامرة بمجموعات بشرية منتظمة في شكل دول متباينة الحجم والتأثير ، كانت بقعة لبنان الحالي لا تحوي إلا عددًا قليلًا من الممالك الصغيرة الساحلية ، أو تجمعات مدنية كانت تعيش على التجارة والصناعة اليدوية كالنسيج ، ومعالجة المعادن ، وصنع الزجاج ، والأدوات الفخارية ، وكلها محصورة في النطاق الساحلي . أما **الجبال** فكانت مصدرًا للأخشاب ، يتم استغلالها من مراكز ساحلية كصور وجبيل ، و لم يكن يسكن الظهير الغابي لهذه المراكز سوى قلة من الناس . وكان خشب الأرز ذا أهمية وشهرة ، جلبته من لبنان واستخدمته ممالك فارس وبابل وآشور

ومصر . ولاشك أن قلة البقايا الأثرية من هذه الفترة في السفوح والتلال بالقياس لكثرة ما عثر عليه منها في النطاق الساحلي تدل بوضوح على ندرة سكان الداخل الجبلي آنذاك .

نمو السكان :

لا يمكن أن نجري دراسة دقيقة شاملة لسكان لبنان في غياب التعداد وإحصاءاته الحيوية . وسنحاول في السطور التالية شرح ما تيسر من خصائص حركة السكان في ضوء ما لدينا من أرقام وبيانات . وتشير التقديرات إلى أن الزيادة السكانية في لبنان في الفترة بين عامي ١٩٥٥م و١٩٧٥م تراوحت بين ٢,٥٪ ، ٣٪ سنويًا . ومنذ بداية السبعينات لم تزد على ٢,٥٪ وليس أدل على هذا النمو من تقديرات السكان للفترة من ١٩٢١م حيث أجري أول تعداد حتى عام ١٩٧٥م (جدول رقم ٥) .

جدول رقم (٥) : [تقديرات السكان (١٩٢١م – ١٩٧٥م)]

السنة	عدد السكان بالألف	السنة	عدد السكان بالألف
١٩٢١م	٥٥٩	١٩٦١م	٢١٥٢
١٩٣٢	٧٩٥	١٩٦٣	١٩٥٥
١٩٤٤	١٠٦٤	١٩٦٤	٢١٨٠
١٩٥٠	١٣٠٠	١٩٦٥	٢٣٦٧
١٩٥٣	١٤١٦	١٩٦٩	٢٦٠٠
١٩٥٦	١٤٤٥	١٩٧٠	٢٤٨٠
١٩٥٨	١٦٠٠	١٩٧١	٢٦٠٠
١٩٥٩م	١٦٢٦	١٩٧٥م	٢٩٠٠

المصدر : تم تجميع هذه البيانات من عدة مصادر إحصائية كإدارة الأحوال الشخصية بوزارة الداخلية ، ومكتب الإحصاء بوزارة التموين ، ونشرات مكتب خبرة دوكسياديس ، والمركز الإسلامي للتربية .

وهناك أمر مهم ، وفي نفس الوقت بالغ الحساسية يتعلق بالاختلاف في معدل المواليد عند المسلمين والنصارى ، ومع هذا فلا تتوافر حتى الأرقام العامة . وفي دراسة مفصلة أجريت عامي ١٩٥٨م ، ١٩٥٩م ، تبين ما يلي :

١ - أن خصوبة المرأة المسلمة والمرأة النصرانية عالية بوجه عام . لكن الأرقام تدل على أن خصوبة الأولى أعلى منها عند الثانية ، رغم ما يشاع بأن الفرق هامشي ، مع احتمال خطأ يوازي الفرق النسبي في أعداد كل من الطائفتين .

٢ - لا يوجد اختلاف ملحوظ بين النساء المسلمات في المدينة والقرية ، فخصوبتهن متقاربة جدًّا . لكن التباين واضح بين النصرانيات . فخصوبة النصرانية في المدينة أقل منها عند النصرانية في القرية .

٣ - للتعليم أثر في تحديد النسل ، وبالتالي في خفض الخصوبة .

وحتى الأربعينات من هذا القرن الميلادي ، كانت أجزاء من لبنان موبوءة بحمى الملاريا ، لكن تبدلت الأحوال بعد ذلك . فقد أتاح ازدياد الثروة الوطنية العناية بتحسين الخدمات الصحية والاجتماعية ، وأصبحت المدن اللبنانية تتمتع بمستوى صحي متقدم ، قد يتفوق على مثيلة في الريف الجبلي الذي أشتهر بطيب هوائه ونقاء جوه . ولا توجد في لبنان أمراض طفيلية كالبلهارسيا والإنكلستوما ، ذلك لأن أسباب انتشار هذه الأمراض غير موجود في لبنان ، فهو لا يحوي أنهرًا كبيرة بطيئة الجريان ، ولا مشروعات ري وصرف على نطاق واسع . وتتمتع المدن ومعظم القرى بالمياه النقية . ولهذا وذاك فقد انخفضت نسبة الوفيات ابتداء من الخمسينات انخفاضًا كبيرًا . ومع ارتفاع نسبة المواليد ، فإن معدل النمو السكاني قد ارتفع بدرجة ملموسة خاصة في المدن .

التركيب النوعي والعمري للسكان :

يتضح من البيانات المتاحة ، أن التركيب النوعي للسكان متعادل ، فأعداد الإناث تضاهي أعداد الذكور في التقديرات السكانية الحديثة حتى عام ١٩٧٥م . و لم تكن هذه هي الحال خلال القرن التاسع عشر الميلادي . وأثناء فترة الحربين العالميتين الأولى

والثانية . فقد كان ينشأ عن هجرة الشباب اللبناني من الذكور إلى الخارج ارتفاع في نسبة أعداد الإناث إلى الذكور ، وانعكس هذا الخلل في التركيب النوعي على البناء الاجتماعي ، بظهور مشكلة العوانس . وفي اعتقادنا أن هذا الخلل سيزداد تفاقمًا ، طالما استمرت الحرب الأهلية ، وما نجم عنها من وفيات في الذكور الشباب ، إضافة إلى هجرة الشباب إلى الخارج .

ويتبين من دراسة أعمار سكان لبنان من الجنسين أن شعب لبنان شعب فتي وأن هرم السكان شاب ، إذ يتألف من قاعدة متسعة تتكون من فئات العمر التي تقل عن ٢٠ عامًا ، وقمة ضيقة تمثل فئة العمر التي تزيد على ٦٠ عامًا، (جدول رقم ٦) والتي لا تزيد نسبتها على ٨٪ . ولبنان لا يختلف في ذلك عن الدول النامية ، وهي ظاهرة تنتج عن التزايد في مستويات الخصوبة وانخفاض أمد الحياة .

جدول رقم (٦) التركيب العمري لسكان لبنان
حسب تقديرات عام ١٩٧١م

فئة العمر	عدد السكان من الجنسين	النسبة المئوية
٤	٤١٣٧٠٠	١٥,٩٢
٥–٩	٤٠٥٤١٠	١٥,٥٩
١٠–١٩	٥٦١٠١٠	٢١,٥٨
٢٠–٤٩	٨٢٤٨٨٠	٣١,٧٤
٥٠–٦٤	٢٤١٢٣٠	٩,٢٧
أكثر من ٦٥	١٥٣٤٧٠	٥,٩٠
المجموع	٢٥٩٩٧٠٠	١٠٠٪

المصدر : مصلحة النشاطات الإقليمية ، المجموعة الإحصائية لعام ١٩٧١م .

الهجرة :

الهجرة الخارجية عنصر مهم في دراسة سكان لبنان . وقد بدأت منذ حوالي سنة ١٨٨٠م إلى إفريقيا والعالم الجديد ، ويمكن الاعتماد هنا على الإحصاءات الخاصة بالدول المضيفة التي تسجل أعداد وجنسيات المهاجرين إليها . ففي عام ١٨٦٩ م لم يكن بالولايات المتحدة من الوافدين السوريين (كان لفظ « سوري » يطلق على الوافدين من سورية ولبنان على السواء) سوى اثنين فقط . أما في عام ١٨٩٩م فقد بلغ عدد الوافدين ٣٧٠٨ أشخاص . كما قُدّر عدد المهاجرين من « السوريين » بنحو ١٢٠٠٠ شخص في الفترة الممتدة بين عامي ١٨٦٥م و١٩٠٤م ، بمعدل سنوي مقداره ٣٠٠٠ شخص . هذا وتنبغي الإشارة إلى أن الغالبية العظمى ممن كان يطلق عليهم « السوريون » هم من لبنان كما دلت الإحصاءات الشاملة الدقيقة فيما بعد .

ويستفاد من بيانات الجدول رقم (٧) أن الهجرة اللبنانية (السورية) إلى الولايات المتحدة الأمريكية قد بلغت ذروتها في عام ١٩١٣م ، ففي تلك السنة وفد إليها من لبنان نحو ٩٢١٠ أشخاص . كما وصل إلى البرازيل في الفترة بين سنتي ١٩٠٤ و١٩١٣م من « السوريين » (أغلبهم من لبنان) ٤٦٠٠٣ أشخاص .

جدول رقم (٧) المعدل السنوي للمهاجرين اللبنانيين إلى الخارج (١٨٧١–١٨٩٠م)

إلى الولايات المتحدة الأمريكية		إلى البرازيل	
الفترة الزمنية	المعدل السنوي للهجرة	الفترة الزمنية	المعدل السنوي للهجرة
١٨٧١–١٨٨٠م	٦٧	١٨٨٤–١٨٩٣م	٩٦
١٨٨٠–١٨٩٠م	٢٢٢٠	١٨٩٤–١٩٠٣م	٧٢١٤

المصدر : فيليب حتى : لبنان في التاريخ ، ترجمة أنيس فريحة ، بيروت ١٩٥٩ ص ٥٧٧ .

وفي خلال نفس الفترة بدأ غرب إفريقيا يجذب مهاجرين من لبنان وسوريا ، ولكن هجرتهم في معظمها لم تكن دائمة . وكانت الأعداد قليلة نسبيًّا ، وقدرت جملتها بنحو ٤٠٠٠ مهاجر بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨م .

وفيما بين عامي ١٩٠٤ و١٩١٩م بلغ عدد المهاجرين من لبنان وسورية نحو ٢٢٥٠٠٠ مهاجر ، بمتوسط سنوي مقداره ١٥٠٠٠ شخص ، منهم مالا يقل عن ١٠٠٠٠ شخص من لبنان .

وقد بدأت أعداد المهاجرين تتناقص ابتداء من عام ١٩١٩م ، وبلغ معدلها السنوي ٤٤٠٠ مهاجر في الفترة بين سنتي ١٩٢١ و ١٩٣٩م . وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥م) ازدادت الهجرة من جديد ، لكنها ما لبثت أن تناقصت مرة أخرى إلى نحو ١٠٠٠ مهاجر كل عام .

وقد اشتغل كثيرٌ من اللبنانيين عمالًا في مصانع السيارات في ديترويت وغيرها ، أما في إفريقيا المدارية فقد مارسوا التجارة ، وقد وصل تيار الهجرة اللبنانية إلى إفريقيا إلى مداه قبيل الحرب العالمية الثانية ، فبلغ عدد اللبنانين في عام ١٩٣٩م نحو ١١٠٠٠ مهاجر توزعوا في المستعمرات الأوروبية آنذاك – (جدول رقم ٨) – على النحو التالي :

جدول رقم (٨) المهاجرون اللبنانيون في المستعمرات الأوربية السابقة بإفريقيا المدارية حتى سنة ١٩٣٩م .

في المستعمرات البريطانية	العدد	في المستعمرات الفرنسية	العدد	في المستعمرات البرتغالية	العدد
سيراليون	١٠٠٠	سنغال	٤٤٠٠	غينيا	٤٠٠
ساحل الذهب	١٠٠٠	غينيا	١٦٠٠		
نيجيريا	٧٠٠	ساحل العاج	٧٠٠		
جامبيا	٣٥٠	داهومي	٤٠		

المصدر : بسام كرد علي وآخرون ، سورية ولبنان ، دمشق ، ١٩٤٩م ، ص ص ١٢٤ – ١٢٦ .

وقد هاجر إلى مصر عدد من اللبنانيين أغلبهم من الموارنة والأرثوذكس . وكانت مصر أول بلد يستهوي اللبنانيين . وذلك أن حاكم مصر ، الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩م) – الذي بدأ في إعادة تنظيم الحكم والإدارة تنظيمًا يتفق مع رغباته في جعل مصر بلدًا عصريًّا مقتفيًا في ذلك أثر جده محمد على – وجد في خريجي الجامعات الأوروبية في بيروت موظفين أكفاء ، فاستعان بهم . كما وفد إلى مصر عدد كبير منهم بعد الاحتلال الإنجليزي في عام ١٨٨٢م ، واشتغلوا بالأعمال التجارية التي درت عليهم ثروات طائلة . وفي أواسط الخمسينات من القرن العشرين الميلادي ، قدر عدد اللبنانيين في مصر بنحو ٣٠,٠٠٠ نسمة .

وتجدر الإشارة إلى أن الغالبية العظمى من المهاجرين اللبنانيين من الشباب من الفئة العمرية ١٥ – ٢٩ سنة . ومعظمهم أيضًا من الذكور .

ويوضح الجدول رقم (٩) البلاد المضيفة وأعداد اللبنانيين الوافدين إليها في سنوات مختارة تشير إلى تذبذب تيار الهجرة .

ويلاحظ من الجدول أن تيار الهجرة قد ازداد كثيرًا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ثم عاد فضعف مع بداية الخمسينات حتى عام ١٩٧٥م ، وذلك بسبب حلول الاستقرار ، وتحسن الأحوال الاقتصادية ، وانتعاش التجارة ، وتوظيف الأموال الأجنبية في لبنان ، وازدهار السياحة . وفي أعقاب اندلاع الحرب الأهلية خرجت من لبنان موجات إثر موجات من البشر ، انتشرت في أنحاء المعمورة خاصة في مصر والبلاد العربية ، والأوربية . وما زال لبنان يشهد عملية تفريغ بشرية على نطاق واسع . إضافة إلى الهجرة الداخلية الجماعية المتتالية من الجنوب اللبناني إلى صيدا وبيروت وما بينهما ، بسبب عمليات الغزو والهجمات العسكرية الإسرائيلية المتكررة .

ويقدر عدد المهاجرين اللبنانيين في بلاد العالم بنحو ١,٢١٥,٠٠٠ نسمة ، أغلبهم من النصارى . وهم يتوزعون في أنحاء المعمورة ، وأكثرهم في الأقطار الآتية حسب تقديرات سنة ١٩٦٠ م :

جدول رقم (٩) بلاد المهجر وأعداد المهاجرين اللبنانيين في سنوات مختارة

السنة	الولايات المتحدة	البرازيل	الأرجنتين	أورجواي	إفريقيا البريطانية	السنغال	بلاد أخرى	المجموع
١٩٢٣م	٧٧٨	٢٣٢٧	١٨٤٤	١٠٠	٢٧	٦٦٤	٢٨٧٤	٨٦١٤
١٩٢٨	٣٤١	١٧٩٧	٨٣٨	١١٥٨	٢٨٣	٢٦٨	١٤١٣	٦٠٩٨
١٩٣٣	١٣٥	٤٤٣	١٢٧	١٩	٢١٢	٢٠١	٣٧٩	١٥١٦
١٩٣٨	٦١	١٣٩	١٤٥	١١	٢٢٩	٤٣٦	٤١٨	١٤٣٩
١٩٤٦	غ. م(*)	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	٥٢٢٧
١٩٤٨	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	٦٣١٤
١٩٥١	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	٤٠٧٧
١٩٥٣	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	٣٣١٥
١٩٥٦	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	٣٢٨٨
١٩٥٩م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	غ . م	١٤٣٤

Source: Safa, E., L'Imigration Libanaise, Beyrouth, 1960, pp. 15-28.

(*) غ . م = غير مبين .

الولايات المتحدة الأمريكية	٤٠٠,٠٠٠ نسمة
البرازيل	٣٥٠,٠٠٠ نسمة
الأرجنتين	٢٦٠,٠٠٠ نسمة
المكسيك	٤٠,٠٠٠ نسمة
مصر	٣٠,٠٠٠ نسمة
أستراليا	٢٥,٠٠٠ نسمة
فنزويلا	١٥,٠٠٠ نسمة
أورجواي	١٥,٠٠٠ نسيمة
كوبا	١٢,٠٠٠ نسمة
السنغال	١٠,٠٠٠ نسمة

وينتشر القسم الباقي منهم في بلاد أخرى كثيرة .

ومن دراسة أعداد المهاجرين من كل محافظة ، يتضح أن محافظة شمال لبنان تحتل المركز الأول تليها محافظة البقاع . ففي عام ١٩٥١م كان نصيبهما من جملة المهاجرين نحو ٥٤٪ . وفي عام ١٩٥٤م بلغت نسبة المهاجرين من الشمال نحو ٢٨٪ ، ومن جبل لبنان ٢٧٪ ، ومن البقاع ١٧٪ . وبحلول عام ١٩٦٠م تقاربت أعداد المهاجرين من كل المحافظات الخمس ، كما اضمحلت إلى حد كبير . (جدول رقم ١٠) .

ولا تقتصر هجرة اللبنانيين على الخارج ، بل هناك هجرة داخلية نشطة ، لا ينقطع سيلها من الريف إلى المدن ، خاصة إلى بيروت وطرابلس وصيدا ، هذا على الرغم من اعتناء الدولة بشؤون الريف ، وجهودها الدائبة لرفع مستوى معيشة أبناء القرى وتدريبهم على مختلف الحرف والصنائع للمعاونة في زيادة دخولهم . كما عملت الدولة على إدخال الكهرباء إلى كل القرى وتزويدها بالمياه وربطها بالمدن بشبكة محكمة من الطرق المرصوفة ومع هذا فإن سيل المهاجرين مستمر من الريف إلى المدن ، لكثرة الفرص المتاحة للإثراء عن طريق الأعمال التجارية والحرفية .

جدول رقم (١٠) عدد المهاجرين من محافظات لبنان في سنوات مختارة

المحافظة	١٩٥١م	١٩٥٤	١٩٥٦	١٩٥٨	١٩٦٠م
بيروت	٤٦٩	٤٣٦	٤٤٦	١٤٧	٣٠١
البقاع	١٠٤٣	٧١٦	٦٧٩	٢٠٢	٣٣٦
شمال لبنان	١٣٣٤	١١٠٧	٥٧٩	٢٥٥	٢١٦
جنوب لبنان	٤٨٨	٦٨٥	٥٣٩	١٢٥	٢٠٥
جبل لبنان	٧٤٣	١٠٨٢	١٠٤٥	٢٧٤	٣٧٦
جملة	٤٠٧٧	٤٠٢٦	٣٢٨٨	١٠٠٣	١٤٣٤

المصدر : وزارة التصميم العام اللبنانية ، مديرية الإحصاء المركزي ، المجموعة الإحصائية اللبنانية (١٩٦٣م) . ص ٢٣ ، ٣١ .

التوزيع والكثافة :

نظرًا إلى طبيعة الإحصاءات السكانية بلبنان التي تتسم بالاضطراب وعدم الدقة والانتظام ، لظروف سياسية غير مواتية ، فإن دراسة توزيع السكان وكثافتهم لابد أن يغلب عليها طابع التعميم .

ويعطي أحد الباحثين الفرنسيين (دي فوما) رقمًا للكثافة السكانية في عام ١٩٥٠م بلبنان هو ١٧٧ شخصًا لكل كيلومتر مربع . وإذا ما استبعدنا من مساحة لبنان سهل البقاع وجبال لبنان الشرقية ، وهما إقليمان يتميزان بانخفاض الكثافة السكانية ، فإن الكثافة ترتفع في باقي رقعة الدولة إلى ٢١١ شخصًا في الكيلومتر المربع . وإذا ما أخذنا بالرقم التقديري لتعداد لبنان في عام ١٩٦٩م ، ومقداره ٢,٦ مليون نسمة ، فإن الكثافة العامة ترتفع إلى ٢٥٠ شخصًا في الكيلومتر المربع ، بزيادة مقدارها ٤٢٪ في نحو عشرين

عامًا ، وهي نسبة تبدو منخفضة نوعًا بالقياس إلى تقدير نُشر في عام ١٩٧٢م للزيادة السكانية السنوية مقداره ٢,٥٪ . ومع هذا يمكن قبول هذه النسبة إذا ما أعتبرنا أنها تتأثر – ولا ريب – بحجم الهجرة الخارجية الكبيرة . (شكل ١٧) .

ولعله من المفيد هنا أن نناقش توزيع السكان في مختلف الأقضية (الأقسام الإدارية) في لبنان كما ذكرها « دي فوما » وذلك بالإستعانة بأرقام الجدول رقم (١١) .

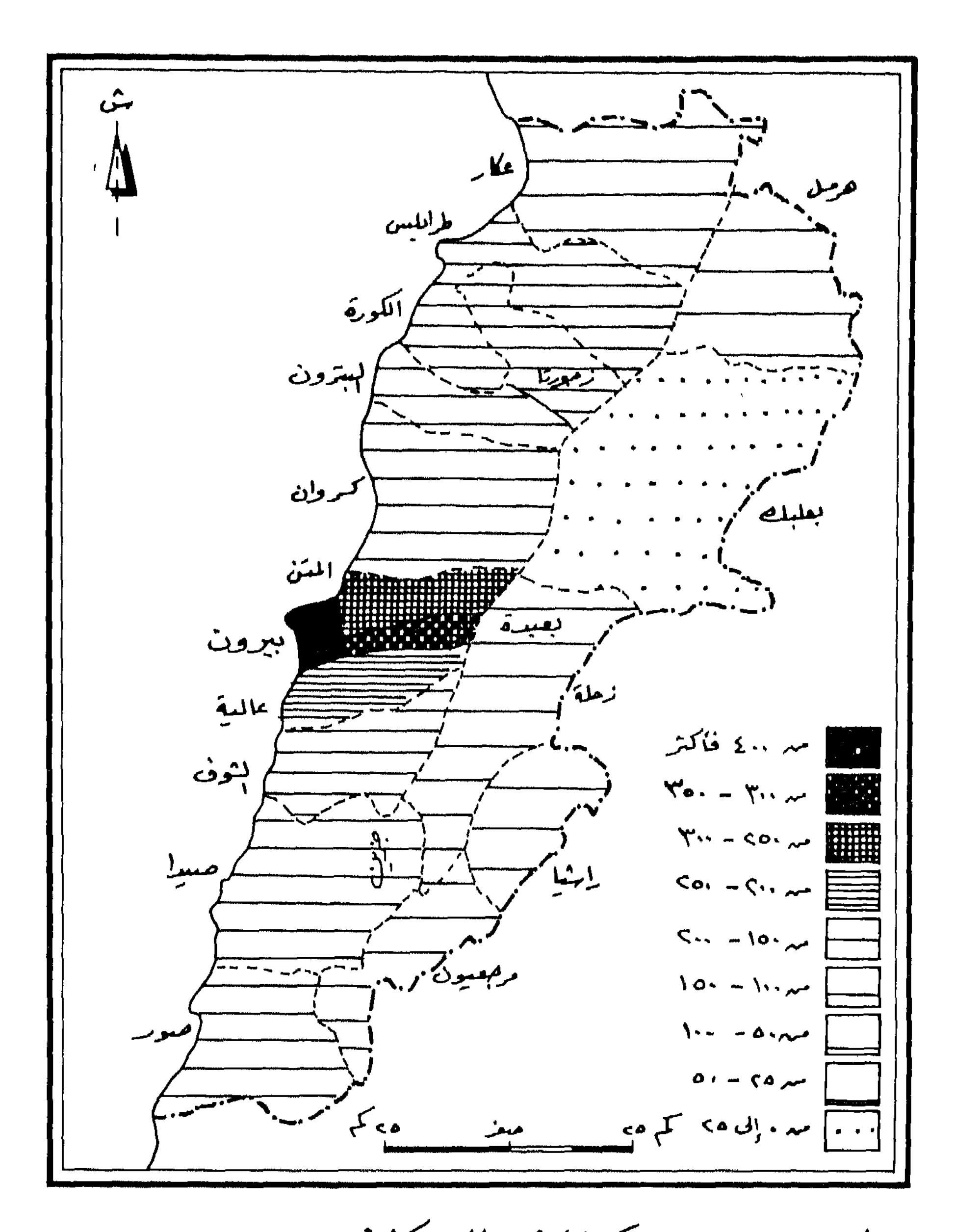
جدول رقم (١١) الكثافات السكانية في أقضية لبنان لكل كيلومتر مربع بما في ذلك المدن

القضـــاء	الكثافة	القضـــاء	الكثافة
عكار	٩٠	صيـــــــدا	١٤٢
طرابلس	١٩٣	جزيـــــــن	٩٧
زغورتا	١٨٤	صور	١٠٩
الكورة	١٥٢	مرجعيـــــون	٨٦
بترون	١٠٣	راشيـــــــا	٢٥
كسروان	١٠٤	زحلـــــــة	٩٢
المتن	٢٧٣	بعلـــــبك	٢٤
بعبدا	٣٥٧	هرمـــــــل	٢٠
عالية	٢٤٧	لبنــــان الشرقي	أقل من ٥
الشوف	١٧٥		

المصدر : Vaumas, E., la Rep. de la Papulation du Riban, 1953, p. 14.

من الجدول السابق يمكن أن نلاحظ ما يلي :

١ – تبلغ الكثافة السكانية أقصاها في الجزء الأوسط من جبال لبنان الغربية ، فيما جاور مدينة بيروت التي لم يأت ذكرها في أي من الأقسام الإدارية التي يحتويها الجدول ،



شكل - ١٧ - كثافة السكان

a - Vaumas (1933)op. citFig. 5

ب - بعثة إرفد ١٩٦٤

نظرًا لأنها وحدة إدارية مستقلة . ومع هذا فإن تعداد طرابلس ورد جزءًا من أرقام الأقضية . ونرى بوضوح أن الكثافات السكانية تتناقص بالاتجاه جنوبًا وشمالًا (باستثناء قضاء طرابلس) . ويرجع ذلك التناقص للظروف الطبيعية غير المواتية . ففي الشمال – خصوصًا في منطقة عكار – نجد التربة ضعيفة قليلة الخصوبة ، والصرف غير مناسب . وفي الجنوب يشحّ المطر ، كما أن الصخور التي تتألف منها التلال جيرية ومارلية مسامية ومنفذة ، والسطح خشن ممزق لا يسمح بسهولة ري الأرض الوعرة .

وتتدخل العوامل الاجتماعية والبشرية أيضًا . فسهل عكار ، قصيّ في الشمال وملاك الأراضي فيه يعيشون بعيدًا عنه في بيروت . أما سكان الجنوب فإنهم يفلحون الأرض بالمشاركة في المحصول . ولاشك أن عامل الهجرة الفلسطينية منذ عام ١٩٤٩م له آثار بعيدة المدى في اقتصاد الجنوب وفي سكانه . كما أن الهجرة من الجنوب زادت وأصبحت جماعية مع كل هجوم تشنه دولة الاحتلال في فلسطين منذ الاجتياح الأول في مارس سنة ١٩٧٨م .

٢ – كثافات السكان في الجانب الغربي من جبال لبنان الغربية عالية جدًّا . فهي أكثر ارتفاعا بكثير من الجبال المماثلة في تركيا والعراق وإيران ، بل إنها أعلى من كثير من جبال أوربا التي تطاولها ارتفاعًا . وعلى الرغم من أن الأرقام بعامة ليست عالية بالقياس إلى أرقام السكان في جنوب آسيا مثلا ، فإن الحقيقة تبقى واضحة في ظاهرة التركز المرتفع لسكان الريف اللبناني فوق أرض صعبة المعاملة والاستغلال . ويشتغل بعض سكان الريف بالزراعة ، وبعضهم يعمل في المدن المجاورة ، أو يتبادل العمل في القرية والمدينة أجيرًا . ولهذا فإن تعبير « سكان الريف » في لبنان اصطلاحي محض .

وتتميز صخور المناطق الجبلية التي تعلو الطبقات الصماء بمساميتها وتقطعها ووعورتها ، وجفاف سطحها ، ولهذا وبسبب علوها الشاهق أيضًا فإنها منذ العهد الروماني تكاد تخلو من السكان . وتمتد مرتفعات الصخور الجيرية الكريتاسية في شمال لبنان ، ويتواصل ظهورها بشكل محدود نسبيًّا حتى مرجعيون في الجنوب ، والحد الطبوغرافي الذي تشكله ، والذي يبدو في هيئة خط متصل من الجروف أو الحافات

الشامخة يمثل حدًّا ديموغرافيًّا واضحًا أيضًا ، يفرق بين نطاق التلال الوسطى الغني بسكانه ، والشواهق الخالية من السكان .

٣ – أدى التحول إلى غرس أشجار التفاح وزراعة الخضر للتسويق فوق المستويات الوسيطة ، وإلى زراعة الموالح والموز في المستويات الدنيا ، إلى ظهور تأثير مهم – وإن كان محدودًا – في توزيع السكان . فقد اتسعت مساحات الوحدات الزراعية ، وحلت محل الوحدات المحدودة الضيقة الملتزمة بالمدرجات .

وتضاءلت زراعة الحبوب التقليدية العتيقة ، وتعاظم نظام الزراعة الموجّه لأسواق المدن الذي يستخدم الآلات كلما أمكن ، خصوصًا في ظهير مدينة بيروت ، وترتب على ذلك تناقص الطلب على الأيدى العاملة .

٤ – جبال لبنان الشرقية تكاد تخلو من السكان . ويتميز البقاع بكثافات سكانية منخفضة جدًّا . والقضاء الوحيد الذي تعلو فيه الكثافة على ٣٠ شخصًا في الكيلو متر المربع هو قضاء زحلة ، الذي يشمل مدينة زحلة وتعدادها حينذاك كان ٣٥٠٠٠ نسمة .

ويزداد حجم القرى بالاتجاه نحو الشرق ، حيث يصل في بعض المواضع ضعف حجم قرى الغرب . ففي قضاء راشيا وصل متوسط حجم القرى بين ١٠٠٠ و ١١٠٠ نسمة ، بينما كان في غرب لبنان بين ٦٠٠ و ٧٠٠ نسمة . ويقابل هذه القرى المندمجة المتباعدة فوق أراضٍ يقل فيها السكان بالاتجاه شرقًا – قرى الغرب التي تبدو أصغر حجمًا ، لكنها موزعة توزيعًا أكثر تناسقًا وانتظامًا .

وهناك عامل آخر مهم في مجال التوزيع والكثافة السكانية ، يرتبط بتغير طبيعة الكثير من القرى الغربية القريبة من مدينة بيروت . فقد أضحت امتدادًا لضواحي المدينة ، كما أن عامل السياحة أدى إلى نمو بعض القرى السالفة لكي تصبح مدنًا صغيرة كمدينة عالية .

سكان الريف وسكان الحضر :

يتوزع سكان لبنان بين الريف والمدن توزيعًا متعادلًا إلى حد كبير . فإذا ما أخذنا بالبيانات التقديرية المتوفرة لعام ١٩٦٠م والتي يوضحها جدول رقم (١٢) نجد أن عدد سكان الريف بلغ ٨١٦٠٠٠ نسمة ، أي حوالي ٥٠,٧٥٪ من جملة السكان ، بينما بلغ عدد سكان المدن ٨١٠٠٠٠ نسمة أي حوالي ٤٩,٢٥٪ . لكن هذا التساوي لا يتحقق في مختلف المحافظات . ففي العام نفسه بلغ سكان المدن في محافظتي بيروت وجبل لبنان ٥٢٠٠٠٠ نسمة ، وهو ما يوازي نسبة قدرها ٦٦٪ من جملة سكان المحافظتين التي بلغت ٨٢٢٠٠٠ نسمة (أي ما يساوي نحو نصف سكان لبنان) والباقي وقدره ٣٠٢٠٠٠ نسمة أو ٣٤٪ في الريف . وكان يسكن مدن المحافظتين نحو ٣٧٪ من جملة سكان المدن بلبنان كله .

وتتضاءل نسبة سكان المدن في المحافظات الثلاث الأخرى وتقل عن المعدل فقد بلغت في محافظة الشمال نحو ٤٤,٥٪ ، وفي محافظة الجنوب نحو ٣١,٥٪ ، وفي البقاع ٢٨,٥٪ من جملة سكان كل محافظة .

جدول رقم (١٢) توزيع سكان الريف والحضر حسب المحافظات (١٩٦٠م)

المحافظة	سكان المدن بالألف		سكان الريف بالألف		جملة السكان
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
لبنان الشمالي	١٥٠	٤٤,٤٪	١٨٨	٥٥,٦٪	٣٣٨
جبل لبنان	٧٠	١٨,٩٪	٣٠٢	٨١,١٪	٣٧٢
لبنان الجنوبي	٧٥	٣١,٥٪	١٦٣	٦٨,٥٪	٢٣٨
البقاع	٦٥	٢٨,٥٪	١٦٣	٧١,٥٪	٢٢٨
بيروت	٤٥٠	١٠٠,٠٪	—	—	٤٥٠
جملة السكان	٨١٠	٤٩,٣٪	٨١٦	٥٠,٧٪	١٦٢٦

المصدر : معهد التدريب على الإنماء : لبنان عند المنعطف ، بيروت ، ١٩٦٣م ، ص ١٣ .

ويزداد عدد سكان المدن عامًا بعد عام ، ليس بسبب الزيادة الطبيعية وحدها وإنما على حساب الريف بالهجرة المستمرة منه إلى المدن ، إضافة إلى استمرار معظم العائدين من بلاد المهجر في المدن الكبرى خاصة في بيروت لاستثمار أموالهم .

الأحوال الاجتماعية :

تشير الدراسات الإحصائية والتحليلية التي قام بها بعض الاقتصاديين اللبنانيين ، بالإضافة إلى ما جاء في دراسة بعثة « إيرفد » (I.R.F.D) الفرنسية – التي أسهمت في تحليل معطيات لبنان الاقتصادية – إلى أن معدل النمو السنوي في الدخل الوطني لسنوات ما قبل الحرب الأهلية التي بدأت منذ عام ١٩٧٥م ، هو ٧٪ . ومتى عرفنا أن معدل نمو السكان يتراوح بين ٢,٣٪ و ٢,٦٪ ، كان معدل نمو دخل الفرد بين ٤,٣٪ و٤,٧٪ سنويًا . ويُستفاد من الدراسات الإحصائية التي أجريت حول توزيع الدخل الوطني ، أن هناك تفاوتًا كبيرًا بين مختلف فئات الشعب وطبقاته ، فقد أظهرت الإحصائيات أن نسبة ضئيلة من الشعب اللبناني تستأثر بمعظم الدخل ، وتحيا حياة الأثرياء ، بينما يعيش نصف الشعب اللبناني معيشة البؤس والفقر . وقد تمكنت بعثة « إيرفد » من تصنيف فئات الشعب اللبناني حسب دخل الفرد إلى الطبقات الآتية(٤٣) :

الطبقة الاجتماعية	نسبتها المئوية إلى مجموع السكان	الدخل السنوي بالليرات
البائسة	٩	١٢٠٠
الفقيرة	٤٠	٢٥٠٠
المتوسطة الحال	٣٣	٤٠٠٠
الميسورة	١٤	١٠٠٠٠
الغنية	٤	أكثر من ١٥٠٠٠

وبالنسبة لبيروت تبين أن ٢٠٪ فقط من جملة سكانها يعيشون معيشة اليسر (١٥٪) والغنى (٥٪) . بينما يعيش ٨٠٪ من سكانها بين بائس وفقير ومتوسط الحال . وإذا كانت النسبة العامة للطبقتين البائسة والفقيرة تبلغ ٤٩٪ ، فإنها تزيد في بعض أحياء بيروت عن ذلك كثيرًا فهي فى حى المدوّر ٩٠٪ (الطبقة المتوسطة ١٠٪) ، وفي كل من حيّ طريق الجديد وأبو موت ٨٥٪ (الطبقة المتوسطة ١٥٪) ، وفي حيّ كرم الزيتون ٦٥٪ (الطبقة المتوسطة ٢٠٪ ، والميسورة ٥٪) ، وفي حيّ السّراي ٦٠٪ (المتوسطة ٣٠٪ ، والميسورة ١٠٪) وفي حيّ الوطي ٥٠٪ (المتوسطة ٤٠٪ الميسورة ١٠٪) . أما الأحياء الغنية فمحدودة العدد وفي مقدمتها فرن الشباك والحمراء وسرسق ، وفيها ترتفع نسبة الطبقتين الميسورة والغنية فتتراوح بين ٤٠٪ و٧٠٪ وتنعدم الطبقة البائسة ، وتقل نسبة الطبقة الفقيرة (١٠٪) .

هذا وتهتم حكومة لبنان وطوائفه المختلفة بأمور الصحة والتعليم . ومن الناحية الصحية يمكن القول إن الحالة الصحية في لبنان مرضية ، كما أن الجهاز الطبي والتجهيز الصحي لا بأس بهما . ويبلغ عدد المستشفيات في لبنان نحو ١٥٠ ، منها ١٨ مستشفى حكومية ، والباقي مستشفيات خاصة تملكها الجمعيات والأفراد .

ويبلغ مجموع المدارس الحكومية ١٣٥٤ مدرسة ، والمدارس الخاصة ١٩٢٧ مدرسة ، ويقوم بمهمة التعليم نحو ٤٠٠٠٠ مدرس . وفي لبنان ١٢ مؤسسة للتعليم العالي بينها ٤ جامعات في بيروت هي الجامعة اللبنانية ، ولها فروع في طرابلس وصيدا وجامعة بيروت العربية ، والجامعة الأمريكية ، والجامعة اليسوعية (جامعة القديس يوسف) . ويتركز العديد من دور النشر والمؤسسات الصحفية في بيروت . وبالمدينة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومراكز ثقافية تابعة لمختلف الدول العربية والأجنبية .

المـــدن

لقد تحقق في لبنان نمو حضري كبير منذ أواسط هذا القرن ، بفضل ما ساده من أمن واستقرار ، قُدّر لهما البقاء حتى عام ١٩٧٥م حين اندلعت نيران الحرب الأهلية ، وبسبب تكاثر الفرص المتاحة للأعمال التجارية في المدن . وأهم مدن لبنان هي مدن الموانى الساحلية الثلاث : بيروت ، وطرابلس ، وصيدا . أما المدن الداخلية فهي مدن محدودة الأهمية وقليلة الشأن ، وأشهرها زحلة ، وبعلبك .

بيروت[٤٤] : في كل دولة تظهر الخاصية المألوفة التي تتمثل في بزوغ المدينة المهيمنة ، وهي في لبنان العاصمة بيروت . ولا ريب في أن لهذه الهيمنة أصولًا في الموقع ، وجذورا في التاريخ ، وأسبابا في المؤثرات الخارجية المرتبطة بالتغيرات السياسية والاقتصادية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط قديمًا وحديثًا .

أما الموقع فبالغ الأهمية في وسط الساحل اللبناني . والمدينة بهذا الموقع الفريد أضحت بوابة بحرية برية بين عالم البحر المتوسط وأوربا من جهة ، ودول الشرق العربي من جهة أخرى . وأهميتها لا تقتصر على ظهيرها المباشر في لبنان . بل تتعداه إلى سوريا والأردن ، بل إلى العراق ودول الخليج . وكما كان لهذا الموقع المتميز أثره في ظهور المدينة المعمورة منذ أقدم العصور ، وفي استمرار وجودها وبقائها على مر التاريخ كان له الفضل في تطورها السريع خلال القرنين الماضي والحالي ، فتوسعت في رقعتها العمرانية توسعًا شغل كل الرقعة التي سمح بها موضعها المحلي ، وتزايد سكانها وتضخم عددهم ، حتى أضحت بيروت مع توابعها القريبة مجمعة عمرانية فاق سكانها المليون نسمة ، تحمل على عاتقها وظائف محلية كالقيادة السياسية والإدارية ، ووظائف محلية وإقليمية ، بل وعالمية كالريادة التجارية والثقافية والتعليمية .

وقد ظل التوسع العمراني للمدينة ملتزمًا لموضعها السهلي ، ومحصورًا فيه بأسوار عالية للحماية طوال عصور التاريخ ، حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي ، حين أخذ العمران يتخطى الأسوار إلى الأراضي المموجة والأكثر ارتفاعًا ، شرقًا إلى الأشرفية حيث تعلو الأرض إلى نحو ١٠٠ متر في المتوسط ، وجنوبًا في البسطة والمزرعة ، ثم غربًا في رأس بيروت ، خاصة منطقة قريطم التي يناهز ارتفاعها ٩٠ مترًا .

ولمدينة بيروت تاريخ قديم حافل . ففي مغاورها وكهوفها الساحلية وجد الإنسان البدائي فيما قبل التاريخ حصنًا وأمنًا وحماية . وازدهرت المدينة ميناء مهمًا إبان العهد الفينيقي ، وجاء ذكرها في لوحات تل العمارنة في مصر عام ١٥٨٠ قبل الميلاد ، حين كانت بيروت كغيرها من مدن فينيقيا قسمًا من إمبراطورية مصر الفرعونية أثناء عهد الأسرة الثانية عشرة ، وظلت كذلك ردحًا طويلًا من الزمن ، فقد ورد ذكرها في عهد رمسيس الثاني المصري عام ١٤٠٠ ق . م باعتبارها جزءًا من امبراطوريته . وتعاقب عليها الغزاة من آشور وبابل وبلاد الإغريق . وتعرضت للتدمير عام ١٤٩ ق.م ، ثم لحريق هائل عام ١٤٠ ق . م ، وشهدت المدينة مرحلة انتعاش تحت حكم الرومان في أثناء حقبة امتدت بين عامي ٦٤ ق . م و٥٦٠ ميلادية ، حين تميزت عن غيرها من مدن الساحل بجعلها مستعمرة رومانية ، وأضحت مدينة تجارية ، ومركزًا ثقافيًا وفكريًا مرموقًا بإنشاء مدرسة القانون فيها ، ثم توالت عليها النكبات ابتداء من منتصف القرن السادس الميلادي ، حيث تعرضت للزلازل التي دمرتها تدميرًا . وبقيت بيروت ثاوية على خرابها زمنًا طويلًا امتد حتى القرن التاسع الميلادي ، وإن كانت قد حظيت ببعض العناية في عهد الدولة الأموية التي اتخذتها ميناء لدمشق . وتعرضت المدينة لزلازل أخرى في القرن التاسع م . وفي العاشر م خضعت لسلطان مصر الفاطمية ، ثم لبيزنطة . وفي أوائل القرن الثاني عشر خضعت للصليبيين ، وفي أواخره لمصر الأيوبية ، وفي القرن الثالث عشر وحتى أوائل السادس عشر وعلى فترات لمصر المملوكية حين حظيت المدينة بنهضة شملت الميناء ، فزادت حركة السفن ، وازدهرت العلاقات التجارية بينها وبين دول أوربا ، وصارت ملتقى لكل شعوب البحر المتوسط . ثم أصبحت ابتداء من عام ١٥١٦م تابعة للدولة العثمانية ، وعادت إلى حكم مصر في عام ١٨٣٠ حتى عام ١٨٤١م حين رُدَت لآل عثمان . وهكذا بدأت بيروت مرحلة جديدة من مراحل تاريخها الحافل الذي استطاعت أن تجتاز نوائبه ، وتظل محلة عمرانية ساحلية ، وأعانها على البقاء موقعها الجغرافي المتميز . وعلاقاتها المتبادلة مع ظهيرها من جهة ، ومع البحر وما وراءه من جهة أخرى .

وعلى امتداد النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين ،

حدثت بالمدينة نهضة اقتصادية وعمرانية كبيرة ، واتسعت رقعتها نتيجة لربطها بدمشق ومدن سورية بطريق بري للمواصلات السريعة ، وسكة حديدية ، فصارت تقوم بدور الميناء الرئيسة لظهير واسع . وتخطى العمران سورها القديم (سور الجزار) بعد أن هدمه جيش مصر عام ١٨٤٠م ، الذي كان يحيط برقعة عمرانية لا تزيد مساحتها كثيرًا على نصف كيلومتر مربع ، وتوسعت في محيطها الذي كان يحوي حدائق وحقولا تشغلها الآن أحياء الأشرفية والبسطة ورأس بيروت . وهكذا ظلت بيروت رغم تاريخها الحافل وموقعها الجغرافي المهم محلة عمرانية صغيرة بلغ سكانها في أواخر القرن الثامن عشر ٦٠٠٠ نسمة ولم يزيدوا على ١٥٠٠٠ نسمة حتى منتصف القرن التاسع عشر . لكنها بدأت تنمو سريعًا في أعقاب عام ١٨٦٠م ، حين بدأ تدفق الهجرات الريفية إليها ، نتيجة للفتنة الطائفية التي حدثت بين الموارنة والدروز ، والتي تعرضت خلالها قرى جنوب لبنان للحرق والتدمير ، فوصل عدد سكانها ٦٠٠٠٠ نسمة . وأصبحت بيروت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي مركزًا ثقافيًّا للشرق الأوسط ، وتضاعف فيها النشاط الصحفي والطباعة ، وشيدت فيها العمائر الضخمة مدنية وعسكرية ودينية .

وقد استمرت بيروت قائمة بدورها المحلي والإقليمي في أوائل القرن العشرين لكنها انتكست أثناء الحرب العالمية الأولى ، ثم اكتسبت أهمية خاصة حين اختيرت عاصمة للبنان الكبير عام ١٩٢٠م ، فاتسعت وشمل عمرانها الأشرفية ورأس بيروت ، وامتدت جنوبًا حتى غابة الصنوبر .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية قام الكيان الصهيوني ، وقاطعته الدول العربية سياسيًّا واقتصاديًّا ، فاختفت حيفا من المنافسة ، وورثت بيروت تجارة المرور ، التي كانت تقوم بها موانئ فلسطين ، فانتعش اقتصادها ، وانتقلت رؤوس الأموال إليها ، كما أدى إغلاق قناة السويس مرتين في عامي ١٩٥٦م و١٩٦٧م ، إلى تحول جزء من تجارة دول شبه الجزيرة العربية إليها ، إضافة إلى استفادة أسواقها المالية من ودائع دول النفط العربية ، واتجاه جزء منها للاستثمار العقاري ، ثم استكمال تجهيز مرفئها ، وتكثيف الاهتمام بصناعة السياحة . وهكذا أضحت بيروت مركزًا اقتصاديًّا ماليًّا وتجاريًّا وسياحيًّا وإنشائيًّا كبيرًا ،

ومدينة جذب للعمالة ترد إليها مهاجرة من الداخل ومن الخارج ، فازداد عدد سكانها زيادة كبيرة ، وامتد عمرانها وتحولت بعض أحيائها إلى وظائف أخرى تجارية وسياحية ، عدا الوظيفة السكنية .

وقد استمر النمو السكاني مع زيادة رقعة المعمور باطراد منذ عام ١٨٦٠م حين كان عدد سكان بيروت ٦٤ ألف نسمة ، يعيشون فوق مساحة قدرها ١٣٤ هكتارا - إلى عام ١٩٦٥م ، حين وصل عدد سكانها إلى ٤٥٠ ألف نسمة ، بينما بلغت مساحتها نحو ١٧٧٠ هكتارا . وإضافة إلى الزيادة الطبيعية ، أسهمت كل من الهجرة الريفية التي يتجه ثلثاها إلى بيروت ، والهجرة الخارجية في نمو سكانها إسهامًا كبيرًا . فقد هاجر إليها خمسون ألفا في أعقاب مذابح الأرمن بتركيا سنة ١٩١٤ م ، واستقروا في أطرافها ، كما استوطنها نحو مائة ألف لاجئ فلسطيني تدفقوا إليها عقب نشوب حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ، نزلوا في معسكرات داخل المدينة وفي هوامشها الجنوبية ، وهكذا تتميز بيروت دون سائر العواصم العربية بمجموعات عرقية متباينة ، ذات فاعليات حضرية وسياسية متنوعة ، كما تنفرد بنمو متعدد النوعيات ارتبط بتعدد الطوائف والمجموعات العرقية .

وقد شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية طفرة في النمو السكاني والعمراني لمدينة بيروت ، يدل عليها زيادة عدد السكان من ٢٢٠ ألف نسمة سنة ١٩٣٥م إلى نحو ٣٠٠ ألف نسمة عام ١٩٥٠م ، واتساع رقعة العمران من ١٠٥٦ هكتارا إلى ١٤٠٠ هكتار . بكثافة سكانية مقدارها ٣٠ ألف نسمة في الكيلومتر المربع . وفي عام ١٩٦٥م قدر عدد سكان بيروت بنحو ٤٥٠ ألف نسمة ، زادوا إلى ٤٧٥ ألف نسمة في عام ١٩٧٠م ، أي أن سكان المدينة قد زادوا بنسبة ٢,١٦٪ في فترة ٣٥ عامًا بين سنتي ١٩٣٥ و١٩٧٠م . فلا عجب أن تصبح بيروت مركز ثقل سكاني عظيم ، فهي تُؤوي وحدها نحو ٢٢٪ من سكان لبنان ، ومع توابعها نحو ٤٤٪ بمجموع عددي مقداره ٩٣٩ ألف نسمة في عام ١٩٧٠م ، ويقطن الضواحي من هذا العدد ٤٦٤ ألف نسمة أي نحو نصف سكان المجمعة البيروتية التي وصل تعدادها في عام ١٩٧٥م - سنة اندلاع الحرب

الأهلية – أكثر من مليون شخص . وتسهم الزيادة الطبيعية في النمو السكاني بنحو ٢,٣٥٪ ، والهجرة بنحو ١,٣٥٪ ، وبذلك يكون معدل النمو السكاني للمجمعة البيروتية ٣,٧ سنويا في الفترة من ١٩٦٠ – ١٩٧٠م ، مقابل ٢,٤٪ للدولة كاملة .

ويوضح التركيب العمري لسكان بيروت أن مجتمعها فتي ، إذ تبلغ نسبة من يقلون فيه عن ١٥ سنة نحو ٤٠٪ من عدد السكان . كما ترتفع نسبة متوسطي السن (١٥ – ٤٤ سنة) فتبلغ ٤٣٪ مقابل ٣٧٪ في الدولة كلها ، ولا يختلف الهرم العمري النوعي لسكان بيروت عنه في مدن العالم النّامي ، فهو يتميز باتساع القاعدة ، وضيق القمة ، بسبب الزيادة في معدل الخصوبة ، وانخفاض أمد الحياة . (شكل ١٨) .

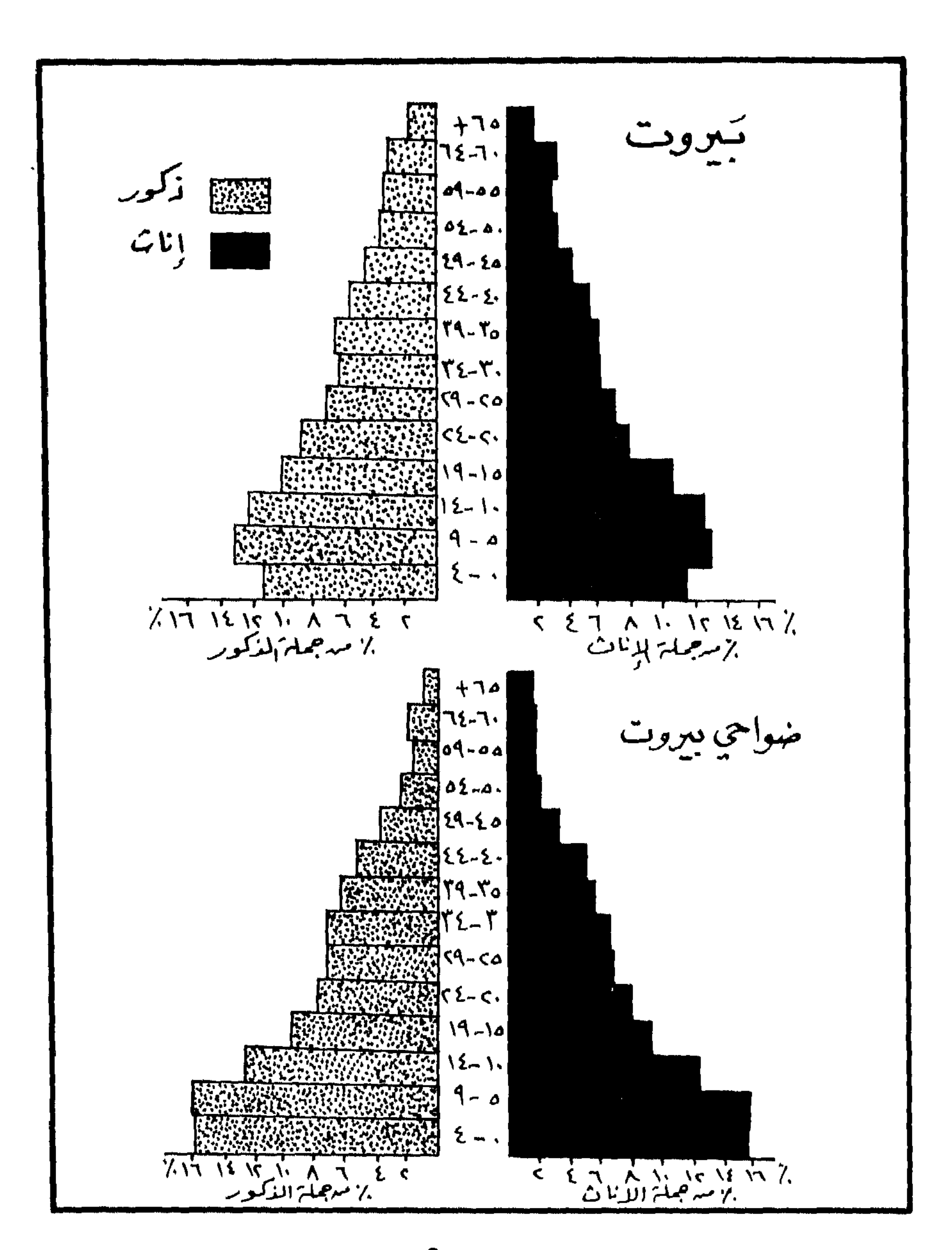
ونسبة الأمية في بيروت منخفضة ، إذ تبلغ ١٦٪ بين الذكور ، مقابل ٢١,٥٪ في لبنان ، ونسبتها بين الإناث ٣٠,٧٪ مقابل ٤٢,١٪ في لبنان . وذلك بسبب تركز الخدمات التعليمية وتعددها في بيروت منذ أمد بعيد .

ويرتفع متوسط سن الزواج في بيروت إلى نحو ٣٠ سنة للذكور ، ٢٤ سنة للإناث مقابل ٢٨ سنة ، و٢٢,٥ سنة في الضواحي . فالزّواج متأخر في بيروت إذا ما قورنت بغيرها من المدن العربية الأخرى ، ويقترب من مدن بعض دول أوروبا .

وبيروت مدينة مزدحمة ، يسكنها حسب تقدير ١٩٧٠م نحو ٤٧٥ ألف نسمة ، بكثافة مقدارها ٢٦٤٠٠ نسمة لكل كيلومتر مربع من مساحتها التي بلغت حينذاك ١٨كم^2 (للمقارنة : كثافة السكان بالقاهرة كانت ١٩٦٠٠ نسمة/كم^2 في عام ١٩٦٦م) .

ويتفاوت توزيع السكان في أحياء بيروت الاثني عشر تفاوتًا كبيرًا ، فتستأثر أحياء المزرعة والمصطبة والأشرفية والمدوّر بأكثر من نصف سكانها ، وتصل الكثافة أقصاها في حيّ البسطا ، حيث تزيد على ٥٠ ألف نسمة/كم^2 ، يليه حيّ المزرعة بكثافة تتراوح بين ٤٠,٠٠٠ – ٥٠,٠٠٠ نسمة . وتقل الكثافة في الأحياء الحديثة في جنوب المدينة وغربها .

وقد اتسمت بيروت بالنمو العشوائي ، فلم تتبع خطة محددة ذات قطاعات واضحة ،



شكل - ١٨ - الهرم العمري النوعي لسكان بيروت والضواحي

وتبعًا لذلك فهي تبدو غير متجانسة في وظائف أحيائها ، وفي مورفولوجيتها العامة وتُظهر أنماطا متناقضة من العمران الحضري، يظهر في اختلاط أنماط استخدام الأرض ، ونماذج العمارة ، وفنونها الهندسية ، ورغم هذا فهناك خصائص عامة تميز بعض أحياء المدينة يُمكن في ضوئها تقسيمها إلى أقسام تعكس نوع وظائفها الأساسية . وأظهرها حيّ التجارة والأعمال ، الذي يشمل معظم بيروت القديمة ، وما يتاخمها من أحياء مجاورة وقد تدهور هذا الحي منذ عام ١٩٧٥م ودُمرت أسواقه تدميرًا ، وانتقلت أنشطته إلى مناطق أخرى بالمدينة التي انقسمت طائفيا إلى بيروت الغربية المسلمة ، وبيروت الشرقية النصرانية .

ولبيروت هيمنة حضرية في لبنان ، فهي تهيمن على مجرى الحياة في الدولة سكانيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا . فهي تضم مع ضواحيها ٤١٪ من جملة سكان لبنان . وهي نسبة تعادل ٧٢٪ من سكان مدنه . وهي عاصمة تستقطب كل نشاط سياسي ، وتستأثر بغالب المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ففيها كل الوزارات ، ونحو ٧٩ سفارة وقنصلية ، وأكثر من ٩٠٪ من المصارف ، ومعظم المحامين ، و٨٢٪ من المهندسين ، و٧٥٪ من الأطباء والممرضين والممرضات ، و٦٠٪ من المؤسسات التجارية والصناعية . وهي بجانب ذلك كله أهم مركز للإشعاع الثقافي والإعلامي والتعليمي في لبنان يمتد أثره إلى المشرق العربي . ففيها أربع جامعات ، وثمانية معاهد عليا ، بلغ عدد طلابها جميعًا في عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣م نحو ٥٠,٤٠٠ طالب وطالبة ، أكثر من نصفهم (٥٤٪) أجانب . وحتى عام ١٩٧٥م كان يصدر فيها ٤٠ صحيفة يومية ، و٥٠ صحيفة أسبوعية . ويوجد فيها ٢٩ دارًا للنشر ، تقوم بطبع ونشر الكتب العلمية والثقافية في لبنان وسائر الدول العربية . وهكذا وضعت بيروت في الظل مدنًا كانت لها مكانتها التاريخية والاقتصادية كطرابلس وصيدا .

طرابلـــس : تقع مدينة طرابلس على الساحل الشمالي للبنان . وهذا موقع مهم يربط عالم البحر المتوسط بشمال لبنان وسورية . وكان لهذا الموقع أهميته في ظهور طرابلس محلة عمرانية منذ أقدم العصور ، وفي استمرار بقائها على مر العصور . وموضعها -

كبيروت – على رأس ممتد في البحر يسمى رأس الميناء ، كان على ما يبدو مؤلفًا من جزيرة كبيرة وعدد من الجزر الصغيرة المتجاورة ، التحمت فيما بينها ، واتصلت بالساحل .

ولمدينة طرابلس – كبيروت – تاريخ قديم طويل حافل . فهي مدينة فينيقية تجارية ، خضعت لمملكة آشور في بداية القرن التاسع قبل الميلاد ، ثم بعد ذلك للحكم الفارسي ، فالسلوقي ، فالروماني والبيزنطي ، إلى أن فتحها المسلمون في أواسط القرن السابع الميلادي . واتخذها معاوية قاعدة للأسطول الإسلامي الذي فتح به قبرص ، ثم وقعت في قبضة الصليبيين زهاء قرنين من الزمن ابتداء من عام ١١١٠م ، وحتى عام ١٢٨٩م حين حررها المصريون ، وبقيت في حمايتهم وضمن ممتلكاتهم زهاء قرنين ونصف ، حتى جاء الأتراك المسلمون في عام ١٥٣٨م ، وظلت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية إلى أن احتلها الفرنسيون عام ١٩١٨م . ومنذ إعلان لبنان الكبير سنة ١٩٢٠م أصبحت طرابلس المدينة الثانية في جمهورية لبنان .

وقد كان للمدينة تاريخ في التجارة الدولية . فقد أدت دورها ميناء لمدينة حلب ، وظهيرها السوري في عهد الإمبراطورية الرومانية ، والإمبراطورية الإسلامية . لكن أحوالها تدهورت في العهد العثماني كغيرها من مدن الشرق الأوسط . واضمحل نصيبها في التجارة الدولية إلى حد كبير . وقد بدأ التأثير الأوربي على طرابلس إبتداء من أواسط القرن التاسع عشر الميلادي فشرع الأوربيون يساعدون النصارى في مجال التجارة والتعليم ، كإنشاء مدارس ومعاهد الروم الكاثوليك ، والبروتستانت الأمريكيين .

وكان ، وما يزال ، غالبية سكان طرابلس مسلمين سُنيين . وكان اليهود والنصارى يعيشون في أحياء خاصة فيها . وكانوا تجارًا ، وعلى علاقة وثيقة بالمجتمعات التجارية في أنطاكية واللاذقية والإسكندرية . أما المسلمون فكان أساس ثرائهم العمل الزراعي ، وثمار الحدائق في ظهير المدينة .

وقد ازداد سكان طرابلس باطراد فيما بين عامي ١٨٣٠ و١٩١٤م ، من ١٥ ألف نسمة إلى ٥٠ ألف نسمة ، رغم النوائب التي حلت بالمدينة وبلبنان أثناء تلك الفترة ،

وترتب عليها هجرة جماعية إلى خارج لبنان ، وقد عاون المدينة على الصمود ظهيرها الزراعي الغني بإنتاجه من الحرير ، وزيت الزيتون ، والتبغ ، والقمح ، والموالح . وقد أدت التحسينات في وسائل المواصلات في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى إحياء سوق طرابلس ، وبعث دورها وإنعاشه باعتبارها ميناء لسوريا . ففي عام ١٨٩٥م تم وصلها بخط حديد دمشق ، وفي عام ١٩٠٩م تم ربطها ببيروت بطريق جديدة ، ثم بسكة حديدية ، واتصلت في عام ١٩١١م بكل من حلب وحمص عن طريق السكة الحديدية وأجريت تحسينات في مرفئها الذي استقبل في عام ١٩١٠م نحو ٢٦٠ سفينة .

وقد كان للانتعاش التجاري بالمدينة آثار متنوعة انعكست على التوسع العمراني فيها . فحينما أنشئ خط الترام الذي كانت تجره الخيول ، وطوله ٣ كم ، لربط المدينة بالميناء ، انتشر العمران على كلا جانبيه . كما أنشئ المزيد من الطرق في الميناء وحوله ، وبينه وبين المدينة . وامتدت المدينة وتوسعت خارج أسوارها في اتجاه الطريق إلى سورية . ويذكر أحد الرحالة أن طرابلس كانت تحوي في عام ١٩١٢م أربعة عشر مسجدًا ، وعددًا مساويًا من الكنائس ، رغم أن النصارى لم يكونوا يبلغون سوى خُمْس السكان ، والسبب في ذلك يرجع إلى تعدد مذاهب النصارى وطوائفهم ، فلزم لكل طائفة كنيسة خاصة .

والمدينة تتألف من قسمين متميزين كما رأينا : قسم يشرف على البحر وهو المعروف باسم الميناء ، وقسم آخر داخلي يسمى المدينة . ويربطهما ، كما ذكرنا ، طرق سريعة تمر خلال بساتين الموالح ، والعمائر الحديثة ، وتشتهر طرابلس بأحيائها القديمة التي تضم الكثير من الآثار القديمة خاصة الآثار الإسلامية ، ولهذا فقد غدت مركزًا مهما للسياحة . وتتميز الأحياء الحديثة بالنمو المتناسق ، فعمائرها عالية ، لكن طرقاتها واسعة ، وبذلك فقد سلمت من النمو العشوائيِّ ، فلا يعيبها ذلك التراكم والازدحام والتنافر الذي نشاهده في بيروت .

والمدينة مركز صناعي وتجاري مهم ، وأهم الصناعات فيها هي صناعة نسج القطن التي حلت محل نسج الحرير ، وتحصل علي القطن الخام من مزارع حمص ، كما تصنع

الصابون مستعينة بزيت الزيتون المحلي . وهي سوق تجارية لجزء كبير من لبنان الشمالي ، وهي تُقاوم جذب بيروت حتى لا تسلبها ما تبقى لها من أهمية تجارية وصناعية . ورغم أن مرفأها هو الثاني بعد بيروت ، فهو بحالة سيئة بسبب قلة تجهيزاته ، وهيمنة ميناء بيروت ، وتحسين مرفأ اللاذقية السوري ، الذي يُغني شمال سورية عن الاعتماد على ميناء طرابلس . ويقتصر نشاطه على أعمال مصفاة النفط ، واستقبال الناقلات لتصدير النفط العراقي ، واستيراد البضائع الأجنبية

صيدا : هي أهم مدن لبنان الجنوبي ، وثالثة المدن اللبنانية بعد بيروت وطرابلس من حيث الأهمية الاقتصادية وعدد السكان والمساحة . وهي تقع جنوب بيروت بنحو ٤٥ كم في الموضع الذي ولدت فيه في عهد الفينيقيين . وهي مدينة عريقة ذات تاريخ تليد يشهد له ما تزخر به من آثار يقصدها الزوار والسائحون . وقد كانت صيدا من أهم الموانئ الفينيقية في الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، بل إنها وأنطاكية في الشمال كانتا أهم ميناءين يقومان بالوساطة التجارية بين أقطار الشرق والغرب .

وقد خضعت صيدا مثل بقية المدن الفينيقية لحكم مصر الفرعونية في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وورد ذكرها ميناء مهما في لوحات تل العمارنة سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد ، ثم فيما كتب في عهد رمسيس الثاني سنة ١٤٠٠ ق . م .

وقد مرت صيدا في مراحل نموها التاريخي – باعتبارها مركزًا عمرانيا حضريا – بدورات هبوط وصعود ، فقد تعرضت للتدمير على أيدى غزاة هاجموها في فترات تاريخية متباينة ، وشهدت عصور تأخر واضمحلال تحت الحكم الآشوري ، والبابلي ، والفارسي . ثم نعمت المدينة بشيء من الازدهار أثناء الحكم الإغريقي ابتداء من عام ٣٣٣ ق . م . لكنها مالبثت أن تعرضت للتخريب والتدهور أثناء حكم السلوقيين والرومان والبيزنطيين . وانتعشت صيدا بدخول الإسلام إليها في النصف الأول من القرن السابع الميلادي ، وتغير اسمها من « صيدون » – وهو اسمها القديم – إلى صيدا . وبقيت المدينة بوابة بحرية برية مهمة بين البحر والداخل أثناء الحكم الأموي والعباسي إلى أن استولى عليها الصليبيون . وتعرضت لغزو المغول في عام ١٢٦٠م ، فأعملوا في سكانها السيف ، ودمروها تدميرًا .

ورغم الركود الذي أصاب مدن الساحل اللبناني أثناء الحكم العثماني ، فقد كانت صيدا تقوم بوظيفة تجارية نشطة ، خصوصًا في القرن السابع عشر الميلادي بفضل الجهود التي بذلها الأمير فخر الدين المعنى لإصلاح أحوالها . وظلت صيدا حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي مدينة لبنان الأولى ، تأتيها السلع من البحر فتحملها القوافل عبر سهل البقاع إلى دمشق . وما أن فتح طريق بيروت دمشق ، حتى قضى على وساطتها التجارية بين الساحل والداخل وخاصة دمشق ، وقوض دعائم كيانها الاقتصادي تقويضًا ، فهجرها كبار التجار إلى بيروت ، واقتصر دورها على العلاقة مع الجنوب الفلسطيني .

وحين اختيرت بيروت عاصمة للدولة اللبنانية ، تحول إليها كل ما بقي من نشاط تجاري لصيدا ، وذلك بإيعاز وتشجيع من الحكومة ، التي سنّت تشريعًا في عام ١٩٤٥م، يقضي بمنع تفريغ حمولة السفن التي تزيد قيمة رسومها الجمركية على ٥٠٠ ليرة لبنانية في ميناء صيدا . وكان هذا الإجراء ضربة قاصمة لمرفأ صيدا الذي اضمحل وهبط إلى مرفأ لقوارب الصيد . ولم تمض أكثر من ثلاث سنوات حتى أجهزت كارثة فلسطين ١٩٤٨م على كل نشاط تجاري للمدينة عبر الحدود اللبنانية . وأضحت صيدا مجرد سوق إقليمية لريف الجنوب اللبناني .

ورغم إنشاء مصفاة لنفط المملكة العربية السعودية الذي ينقل إليها عبر خط من الأنابيب ، وإقامة مرفأ لشحنه في الزهراني قرب صيدا ، إلا أن وجودها لم يهيئ شيئا من فرص العمل لأهالي صيدا ، فالمنشآت مغلقة على الأجانب ، ومستقلة استقلالًا تامًا عن محيطها . ويشهد ميناء صيدا منذ عام ١٩٧٥م حركة نشطة لتموين أهل الجنوب بالمنتجات الأجنبية وتجري بالمرفأ تحسينات لهذا الغرض ، بعد تعذر استخدام مرفأ بيروت لتلبية متطلبات سكان الجنوب ، بسبب استمرار اشتعال الحرب الطائفية .

وعمران صيدا يجمع بين القديم والحديث . ففي صيدا القديمة عمائر يرجع تاريخ بنائها إلى أواسط القرن الماضي ، ويميزها تلك الحواري الضيقة ، والأزقة المغلقة والمساكن الصغيرة المتراكمة ، وسكانها المتكاثفون . ذلك أن معظم سكان مدينة

صيدا (نحو ٨٠٪) يتركزون في هذه المدينة القديمة ، التي تفتقر إلى التجهيزات الصحية . وفي صيدا الحديثة ، حيث المباني الصحية ، والشوارع الواسعة ، تعيش الطبقتان المتوسطة والغنية .

ويسكن صيدا نحو ٥٠ ألفا ، قسم منهم من اللاجئين الفلسطينيين . وحسب تصنيف أجرى عام ١٩٧٠م ، ينتمي ١٦٪ من السكان للطبقة البائسة ، و٦٧٪ للطبقة الفقيرة ، و١٧٪ للطبقة المتوسطة .

وصيدا مركز محافظة لبنان الجنوبي ، وهي حاضرة اقتصاده وخدماته . ففيها يتم تسويق منتجاته من الموالح والموز والخضر ، وحولها وفي زمامها نحو ٥٠٠٠ دونم من الحدائق ذات الأشجار المثمرة التي تدر دخلًا كبيرًا لسكانها . وفضلًا عن ذلك تقوم بنشاط صناعي وحرفي طيب ، فهي تشتهر بصناعة الحلوى الوطنية ، وعصر زيت الزيتون وصناعة الأحذية ، والصابون ، وصناديق تعبئة الحمضيات ، والمفروشات ، وصناعة الأسمنت . وقد تأثر اقتصادها كثيرًا بالحرب الأهلية ، وبالتوتر الذي تعيش فيه دائمًا لوقوعها في متناول الاعتداءات والهجمات التي تطولها من داخل الحدود الجنوبية والخارجية .

زحلة : هي عاصمة البقاع وأهم مدنه . وعدد سكانها نحو ٥٠ ألف نسمة . ويسكن زحلة طائفة من النصارى تدعى بالروم الكاثوليك . وهم أسلاف طائفة تركت الكنيسة الأرثوذكسية وانضمت إلى روما سنة ١٧٢٤م ، اقتناعًا بالأعمال التبشيرية التي كان يقوم بها المبشرون الكاثوليك . ويقيم بطريركهم في لبنان تارة وفي مصر تارة أخرى . وزحلة هي المركز الرئيس لهذه الطائفة في لبنان .

وكانت زحلة منذ زمن بعيد أكبر مدن الداخل ، وكانت – كما هي الآن – سوق البقاع . لكنها تعرضت للنكبات بسبب الفتن التي حلت بلبنان بين عامي ١٨٤٠ و١٨٦٠م . وقد سلمت في بداية الأحداث المؤلمة بين الدروز والموارنة ، بل أضحت ملجأً للعائلات النازحة من جبل لبنان الذي انتشر فيه الرعب والفزع ، لكن في عام ١٨٦٠م وصل إليها تيار المذابح ، وكان عدد سكانها حينذاك ١٢ ألف نسمة ،

وصمدت أول الأمر ، ثم غلبت على أمرها ، فلم ينج بيت واحد فيها من الحريق .

وقد أخذت المدينة بعد ذلك في النمو عمرانيا وسكانيا . ولجأ إليها نحو ٣٥٠٠ مهاجر من الأرمن بين عامي ١٩٢٠ و١٩٣٠م . وازداد العمران فيها حينما سهل الاتصال بينها وبين أجزاء لبنان . ففي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي (حوالي عام ١٨٩٠م) عبدت الطريق الرئيسة التي تربطها وعالية وكفر شيما ودير القمر ببيروت وأصبحت صالحة لمرور العربات ، وازدادت أهميتها كذلك بإنشاء سكة حديد بيروت – دمشق . وأصبحت سوقًا مهمة ومحطة توزيع لمنتجات البقاع إلى بيروت من جهة ، وإلى دمشق من جهةٍ أخرى . وهي الآن بفضل ما جرى من تقدمٍ عظيمٍ في إنشاء الطرق الجبلية مركز مهم لطرق برية رئيسة وأخرى فرعية ، تقطع الجبال وتصلها بالساحل غربًا ، وبالبقاع وسورية شرقًا .

وقد هاجر من زحلة منذ القرن الماضي عدد كبير يقدّر بثلاثة أمثال سكانها الحاليين . وهم مصدر أرزاق كثيرة لأهلهم في زحلة ، وسبب من أسباب انتعاشها وانتشار العمران فيها . فلم يكن بالمدينة سنة ١٨٨٥م سوى بناية واحدة فقط مبنية بالحجارة وهي الكنيسة ، ولكن بعد مرور ربع قرن من الزمن لم يعد في زحلة بناء واحد من الطين . وفي زحلة شارع رئيس يعرف بشارع البرازيل إشارة إلى بلد المهجر وفضلها على قاطنيه .

ومدينة زحلة تحتل مكانة مرموقة بين مراكز الاصطياف في لبنان . فهي مدينة طيبة الهواء ، قليلة الحرارة صيفًا ، تقبع في أحضان وادي البردوني الذي ينساب من سفح جبل صنين . وتبدو المنازل المقامة على جنبات الوادي معلقة في السفوح يخالها الرائي متشبثة بالصخر كي لا تنزلق إلى الوادي . والجبل والوادي والماء المنساب وشجيرات الكروم ، كلها تؤلف سلسلة من المناظر الرائعة التي تأنس لها العين وتطيب لها النفس . هذه المناظر الطبيعية الخلابة كانت مصدر وحي لأمير الشعراء أحمد شوقي الذي سماها « جارة الوادي » ونظم فيها قصيدته المشهورة .

النشاط الاقتصادي

أولًا : الزراعـــــة :

واقعها وأهميتها : الزراعة اللبنانية زراعة كثيفة ، وقد زُرعت معظم الأراضي القابلة للاستثمار الزراعي ، وذلك بفضل وفرة الأمطار ، خصوصًا فوق السفوح الغربية للجبل الغربي . ورغم ذلك فإن لبنان ما يزال يعتمد على الخارج في استيراد الحبوب ، لأن الضغط السكاني بالغ الشدّة على الأراضي الزراعية لضيق رقعتها بسبب الطبيعة الجبلية للبلاد ، مما حدا بعدد كبير من أبناء الريف إلى الهجرة إلى المدن والاشتغال فيها بأعمال غير زراعية ومع هذا فإن دخل المزارع اللبناني أعلى من دخل زميله في الدول المجاورة .

وتسهم الزراعة في الدخل القومي بقدر صغير لا يتعدى ١٠٪ ، بينما تشارك الصناعة بنحو ١٧٪ ، والبناء بحوالي ٥٪ . أما إسهام التجارة والخدمات (منها السياحة والاصطياف والصيرفة) فتبلغ ٦٨٪[٤٥] ، وهي نسبة ليس لها نظير في العالم . وعلة هذا التركيب الاقتصادي تكمن في صغر الرقعة الزراعية ، وفقر الموارد المعدنية مقابل ثراء في مُرغبات التجارة كالموقع الجغرافي المتميز ، ومغريات السياحة كالمناخ المعتدل ، والتضاريس المتباينة ، والمناظر الطبيعية المتنوعة ، والآثار التاريخية الغنية .

وبرغم ضآلة ما تسهم به الزراعة في الدخل القومي ، فإن حوالي ٤٥٪ من سكان لبنان يعتمدون في دخلهم عليها بصورة كلية أو جزئية ، ويُقدر عدد العمال الزراعيين بنحو ٤٠٪ من جملة القوى العاملة التي يبلغ عددها نحو ٣٠٠ ألف نسمة . كما أن معظم صناعات لبنان ، وقسم كبير من تجارتها يعتمد على المنتجات الزراعية . وتسهم صناعة المنتجات الزراعية بنحو ٣٠٪ من مجمل صادرات لبنان .

ولاريب في أن الضرورة تقتضي تنمية القطاع الزراعي من أجل إيجاد توازن بينه وبين سائر القطاعات الاقتصادية ، وخاصة قطاع التجارة والخدمات الذي يستأثر بنصيب الأسد في الاقتصاد اللبناني ، رغم حساسيته الشديدة ، وتأثره السريع بالأحداث والتطورات المحلية والإقليمية والعالمية ، وخير شاهد على ذلك أحداث لبنان منذ عام

١٩٧٥م ، وما ينتاب قضية الشرق الأوسط من تغيرات آنية .

التوزيع الجغرافي للأراضي الزراعية : يتبين من دراسة الأرقام الرسمية لعام ١٩٧٣م ، أن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في لبنان تبلغ ٣٩١ ألف هكتار ، أي ما يساوي ثلث مساحة لبنان ، يزرع منها نحو ٢١٦ ألف هكتار أي حوالي ٥٥٪ . ويقف في سبيل استثمار القسم الباقي – وقدره ١٧٥ ألف هكتار (٤٥٪) إضافة إلى نحو ١٤٠ ألف هكتار من الأراضي الحرجية القابلة للاستصلاح – عدم توفر موارد المياه من جهة ، وارتفاع كلفة استثمارها من جهة أخرى . ويزرع على الري نحو ٦٤ ألف هكتار ، قد تزيد في المستقبل إلى نحو ١٠٠ ألف هكتار عندما يتم تنفيذ مشاريع الري الحكومية والخاصة .

جدول رقم (١٣) توزيع الأراضي الزراعية في مختلف محافظات لبنان بالهكتار[٤٦] :

المحافظة	المساحة البعلية	المساحة المروية	المساحة القابلة للزراعة
جبل لبنان	٥١١٩٤	١٠٥٣٥	٣٦٩٦٦
لبنان الشمالي	٤٦٥١٠	١٧٦٣٦	١٣٧٠٩
لبنان الجنوبي	٨٨٠٢٢	١٠١٧٣	٤٤٤٠٦
البقاع	١٤١٢١٨	٢٥٧٣٥	٧٩٦٦٤
المجموع	٣٢٦٩٤٤	٦٤٠٧٩	١٧٤٧٤٥

ويستفاد من الجدول رقم (١٣) تركز المساحة الزراعية في البقاع ، فهو يستأثر وحده بنحو ٤٣,٢٪ من جملة مساحة الزراعة البعلية ، ونحو ٤٠,١٪ من جملة المساحة الزراعية المروية ، وهذا أمر طبيعي مرده إلى اتساع مساحة السهول في البقاع . وتُوزع أكثر المساحة الزراعية في البقاع الأوسط والبقاع الغربي . وتأتي محافظة لبنان الجنوبي بعد

البقاع في المساحة ، فهي تستأثر بنحو ٢٥٪ من جملة المساحة المزروعة بعليا وبواسطة الري معًا . وهذه المساحة تتركز بصورة رئيسة في أقضية صيدا وصور والنبطية . وما تبقى من المساحة المزروعة تتقاسمها مناصفة تقريبًا كل من محافظتي جبل لبنان ولبنان الشمالي .

أنماط الزراعة : النمط الغالب على زراعة لبنان هو البعلي ، فهي زراعة مطرية ، أو جافة من الدرجة الأولى . فالجفاف يسود البلاد صيفًا ، وبالتالي تستحيل الزراعة على المطر . ولا تزرع محاصيل صيفية كالذرة الشامية (البيضاء) والذرة العويجة (الصفراء) إلا حيثما توفر ماء للري في جهات محدودة بسهلي البقاع وعكار .

وبحسب إحصاء رسمي سنة ١٩٧٣م بلغت جملة الأرض المزروعة ٢١٦١٧٨ هكتارا ، (أي ما يوازي ٥٥,٢٧٪ من جملة مساحة الأراضي القابلة للزراعة) منها ١٥٢ ألف هكتار (أي ٧١٪) زرعت زراعة بعلية . بينما بلغت مساحة الأرض المروية نحو ٦٤ ألف ، أي ما يعادل ٢٩٪ من الأرض المزروعة[٤٧] .

ولا تنتظم الأراضي الزراعية المروية في مساحات واسعة ، فهي في الواقع أقرب ما تكون إلى بقع متفرقة تفصل بينها مساحات بعلية أو بور . ونسبة الأرض المروية كما رأينا صغيرة ولهذا تقضي الضرورة بالتوسع في مشاريع الري الكبرى لتوفير مياه الري لأكبر مساحة ممكنة . لأن إنتاجَ الأرض المروية يفوق إنتاج الأرض البعلية عدة مرات ، إضافة إلى أن محصول الأرض البعلية قد يفشل من سنة لأخرى ، بسبب تذبذب المطر في كميته وفي فصليته ، فتبور الأرض ، ويهملها الزراع ، ويهجرونها إلى المدن طلبًا للرزق مما يزيد المشاكل الاجتماعية تعقيدًا .

وفي لبنان يندر أن تزرع الأرض أكثر من مرة واحدة في السنة . فالقاعدة هي إنتاج محصول واحد كل عام حتى في المناطق المروية . وهذا فارق مهم بين الزراعة في لبنان والزراعة في مصر حيث تشغل الأرض بالزراعة طوال العام ، فتنتج محصولين أو ثلاثة في السنة كما أن غلة الهكتار محدودة بالقياس إلى غلته في مصر ، والواقع أن الزراعة في لبنان تعاني من عوامل طبيعية وبشرية ينشأ عنها عقبات تحول دون تطورها المنشود .

ولعل المطر هو أهمها ، فعلى قدر كميته السنوية يكون المحصول ناجحًا أو فاشلًا . ومن العوامل المعوقة الأخرى ضيق الرقعة المزروعة وتبعثرها ، وقلة خصوبتها خاصة في الجبال حيث تنتج غلات متواضعة . وتشكو الزراعة في أكثر الجهات من التخلف ممثلًا في بدائية الآلات ، وقلة استخدام الأسمدة وعدم الاهتمام بانتقاء البذور ، واختفاء التأمين والتعاون الزراعي ، ولا ريب أن زراعة لبنان تتحسن وتصبح في مركز أفضل لو أمكن تلافي هذه السلبيات ، وتوفير ماء الري لأغلب الأراضي ، ولو تم وقف انجراف التربة ، وتحسين أحوال عمال الزراعة .

الإنتاج الزراعي : تحتل المحاصيل النقدية كالفواكه والخضر المكانة الأولى فى الاقتصاد الزراعي بلبنان . وهي تعتمد على مياه الري بصورة أساسية . أما الحبوب وهي من المحاصيل التقليدية التي تعتمد في زراعتها على المطر ، فتأتي في مرتبة ثانوية . وتتفاوت إنتاجية الهكتار من مختلف المحاصيل من سنة لأخرى ، وهي على كل حال منخفضة إذا قورنت بالمستويات العالمية . فعلى سبيل المثال يبلغ متوسط إنتاج الهكتار في الأراضي البعلية في سنة متوسطة الأمطار طنًّا واحدًا من القمح ، و٩, . طنًّا من الشعير ، و٤,٦ طنًّا من اللوز . أما متوسط إنتاج الهكتار في الأراضي المروية فيبلغ ١٠٥,٨ طنًّا من الحمضيات ، ١٦,٥ طنًّا من الموز و٢١,٤ طنًّا من الخس .

ويستفاد من بيانات الجدول رقم (١٤) أن كل غلة من الغلات الزراعية في لبنان تتعرض للتفاوت في إنتاجها ، وفي مساحة الأراضي المزروعة فيها من سنة لأخرى ، وذلك تبعًا للتباين في كمية الأمطار الساقطة ومياه الري ، ثم التعرض للآفات الزراعية ، وتذبذب الأسعار العالمية ، والمنافسة الأجنبية . فقد يقل الإنتاج منها في بعض السنين بحيث يضطر لبنان لاستيرادها من الخارج لسد حاجة الاستهلاك المحلي كالحبوب ، أو يزداد الإنتاج منها ويفيض عن حاجة البلاد فيصدر الفائض إلى الخارج كالحمضيات والتفاح والخضر . ويتضح من الجدول مدى التذبذب في المساحة والإنتاج في أعوام ١٩٦٧ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٣م .

جدول رقم (١٤) – إنتاج ومساحة المحاصيل الزراعية في لبنان – (١٩٦٧ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧٣م)

المحصول	١٩٦٧ م		١٩٧٠ م		١٩٧٣ م	
	المساحة بالهكتار	الإنتاج بالطن	المساحة بالهكتار	الإنتاج بالطن	المساحة بالهكتار	الإنتاج بالطن
قمح	٦٦٥٢٢	٦٧٦٩٠	٤٧٥٦٢	٤٣٠٠٥	٥٠١٢٥	٥٥١٣٨
تفاح	١٠٨٥٠	٥٧٠٢١	١٣٠١٧	٧٤٣٥٦	١٢٢٩١	٦٦١٧٧
حمضيات	١١٠٢٨	٢٢٨١٣٤	١١٧٦٧	٢٧١٦٦٨	١١٩٣٩	٣٠٦٧٣٥
خضر	١٦٥٧٧	١٨٨٣٨١	١٦٦٩٠	٢١٤٥٢٢	١٦٨٧٥	١٩٧٠٣٨

المصدر : وزارة الزراعة : التقرير السنوي لأعمال المشروع الأخضر ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص ٢ .

وتنبغي الإشارة هنا إلى أن إنتاج القطاع الزراعي لا يمكنه أن يعيل أكثر من خمس أهالي لبنان بمستوى معيشة يرقى لمستوى معيشة سكان المدن . ولهذا تعمد الدولة إلى إنماء المحاصيل أفقيًّا ورأسيًّا ، وذلك عن طريق استصلاح الأراضي ، وإقامة مشاريع الري الكبرى ، وتحديث الوسائل المتبعة في الزراعة . وفيما يلي دراسة موجزة للمنتجات الزراعية الرئيسة ، نُتبعها بالأقاليم الزراعية ، ثم بعرض لعمليات استصلاح الأراضي ، والتنمية الزراعية ومشاريع الري .

الحبوب والبقول : تعتمد زراعة **الحبوب** أساسًا على المطر ، فهي زراعة بعلية . ولما كانت الحبوب تحتاج إلى كميات معتدلة من المياه ، فإنها تركزت في سهل البقاع ، حيث تقل الأمطار بسبب وقوعه في ظل المطر ، خلف السلسلة الساحلية ، وتحتل الحبوب ، وخاصة القمح ، مكانة خاصة في الاقتصاد اللبناني . ولما كانت مطالب **القمح** من تربة ومياه غير متوفرة في أجزاء كثيرة من لبنان تحددت زراعته بنحو ٥٠ ألف هكتار كل سنة . وبالتالي فالإنتاج محدود لا يكفي الاستهلاك المحلي وتستورد الحكومة منه كميات لاستكمال المطالب المحلية . وتحاول الدولة بكل الوسائل تحسين الأنواع الموجودة من القمح ورفع غلة

الهكتار . ويزرع في لبنان نوعان من القمح : الأول منهما اسمه القمح الصلب ، ومن أنواعه الحوراني ، والكابلي . أما النوع الآخر فيسمى القمح اللين ومن أنواعه السلموني .

ويزرع **الشعير** في مساحة تتراوح بين ١٠ و ٢٠ ألف هكتار سنويا ، ومتوسط إنتاج الهكتار طن واحد كالقمح تقريبًا . أما **الذرة البيضاء** فمساحتها بين ألف وخمسة آلاف هكتار ، وقد انكمشت مساحة **البقوليات** في السنين الأخيرة، وأهم ما يزرع منها بلبنان الفاصوليا والفول والعدس والحمص والبازلاء ، ومساحتها الإجمالية تصل إلى نحو خمسة آلاف هكتار كل سنة . ويمكن القول عامة إن مساحة الحبوب في تناقص مستمر . ويعزى هذا الانكماش لأسباب عدة ، لعل أهمها : اعتماد زراعة الحبوب على الأمطار السنوية التي تتذبذب كميتها من سنة لأخرى وعدم استكمال النقص في كمية المطر باستخدام وسائل الري الممكنة ، وضعف التربة وتدهورها وعدم الاعتناء بها ، والنقص في استخدام المخصبات الزراعية ، وعدم الدراية باستعمال أنسبها ، وتعرضها للإصابة بالآفات الزراعية ، واستخدام وسائل الزراعة البدائية . هذا ويفضل ذو اليسار من المزارعين – الذين في مقدورهم العناية بالأرض وإدخال الوسائل الحديثة في فلاحتها – زراعة الأرض بالمحاصيل النقدية كالفواكه والخضر ، ويعزفون عن زراعة الحبوب التي يمكن استيرادها من الخارج بأسعار معتدلة تقل في كثير من الأحيان عن تكلفة إنتاجها في لبنان .

الفواكه : والفواكه محصول نقدي . وقد أخذت زراعتها تحتل مكانة مهمة في الاقتصاد الزراعي اللبناني ، فزادت مساحتها ، وانتشرت في الأراضي التي قامت فيها مشاريع الري الحديثة . وبالبلاد أكثر من عشرين نوعًا من الفواكه والأشجار المثمرة . ومن أهم الفواكه : العنب والتفاح والتين والموز والدراق والمشمش والرمان والكرز والخوخ والفريز ، ومن الأشجار المثمرة نذكر : الحمضيات والزيتون والصنوبر واللوز والجوز . وقد ساعد على هذا التنوع الكبير الظروف المناخية المناسبة ، والتباين في أنماط التربة ، والتفاوت في أشكال السطح ، ثم الموقع الفلكي الذي يساعد على نضج الثمار مبكرة عن

مثيلتها في جنوب أوربا ، مما يناسب عمليات التسويق ، إضافة إلى سهولة التصدير عن طريق ميناء بيروت ، كما أن السوق المحلية كبيرة ومستواها مرتفع ، وهي تستهلك أكثر من نصف الإنتاج السنوي .

وتشغل أشجار الفواكه نحو ثلث المساحة الزراعية بلبنان ، وهي في نمو مستمر . وتحتل أشجار الكروم أكبر مساحة ، فهي تغطي نحو ٣٠ ألف هكتار ، يليها التفاح ١٢٣٠٠ هكتار ، ثم الحمضيات نحو ١٢ ألف هكتار ، ثم التين ٤٠٠٠ هكتار ، فالموز ٣٥٠٠ هكتار . وتتفاوت مساحة الأصناف الأخرى من الفواكه بين ٥٠٠ و ٢٠٠٠ هكتار . وتهتم الدولة بتحسين إنتاج الفاكهة ، ومساعدة الزراع . كما أنشأت معاهد زراعية متخصصة لدراسة مشاكل الفاكهة ، ووسائل النهوض بها ، وانتخاب السلالات الجيدة لأنواعها المختلفة ، إضافة إلى مكتب الفاكهة الذي أنشىء في عام ١٩٥٩م لدراسة مشاكل الإنتاج والتسويق داخليا وخارجيا . وهكذا ارتفع الإنتاج من حوالي ٢٥٠ ألف طن عام ١٩٥٦م ، إلى نحو ٤٥٠ ألف طن سنة ١٩٦٣م ، ثم إلى ما يزيد على ٦٠٠ ألف طن سنة ١٩٧٣م . وتركزت الزيادة أساسًا في الحمضيات خاصة في البرتقال والليمون الحامض وفي التفاح . وتعتبر الحمضيات والتفاح والموز أهم أنواع الفاكهة التي تدخل في التجارة الخارجية للبنان ، والدول العربية هي أهم مستورد لها[٤٨] .

ولبنان حديث العهد **بالتفاح** ، فقد عرفه مصدرًا للثروة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وتوسع اللبنانيون في زراعته في المناطق الجبلية . ونمت مساحته الزراعية من ٧٣٧٥ هكتارا في عام ١٩٥٦م إلى ١٠٨٥٠ هكتارا في عام ١٩٦٧م ، إلى ١٣٠١٧ هكتارا في عام ١٩٧٠م . كما ارتفع الإنتاج خلال تلك الفترة من ٢٩ ألف طن عام ١٩٥٦ م إلى ٥٧ ألف طن سنة ١٩٦٧ م ، ثم إلى ٧٤ ألف طن سنة ١٩٧٠ م . وبينما كان إنتاج الهكتار ٣,٩ طنا سنة ١٩٥٦م ، ارتفع إلى ٦,٨ أطنان سنة ١٩٧٠م . ولكن يبدو أن حدائق التفاح في انكماش بالمقارنة بالسنين السابقة ، فقد نقصت مساحتها إلى ١٢٢٩١ هكتارا سنة ١٩٧٣م ، كما هبط إنتاجها في ذات السنة إلى نحو ٦٦ ألف طن . ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى انخفاض أسعار التفاح من جراء المنافسة الإيطالية . ويقدر عدد أشجار التفاح بأكثر من ٢,٥ مليون شجرة .

وتنتج الشجرة ما بين ٤٠ و ٧٥ كيلوجرام في السنة . وأهم حدائق التفاح وأفضلها ما هو قائم منها في التربة الرملية الجيرية الجيدة الصرف فوق السفوح الجبلية التي يزيد ارتفاعها عن ألف متر . ويستهلك نصف الإنتاج محليا ، ونصفه يُصدّر للخارج ، معظمه (نحو ٩٠٪) إلى البلاد العربية .

وتتركز زراعة **المولح** أو **الحمضيات** في السهل الساحلي ، وفي السفوح السفلى للجبال حتى ارتفاع ٥٠٠ متر . وقد عرف اللبنانيون زراعتها منذ أواسط القرن الماضي على أيدي الفلسطينيين . وجاءت أزمة الحرير الطبيعي وتربية دودة القز في مستهل هذا القرن فاتجه اللبنانيون إلى التوسع في زراعة الموالح . وعاونهم في ذلك أن السهل الساحلي مثالي لغرسها ونموها من الناحية الطبيعية ، فالحرارة تبقى في الغالب فوق الصفر شتاء والمياه متوفرة لسقايتها . ويفضل المناخ الملائم يوجد الليمون في السوق على مدار السنة ، كما أن ثمار البرتقال تنضج مبكرة عن غيرها في دول البحر المتوسط بنحو شهر وهي ميزة تخدم التسويق الخارجي لبرتقال لبنان . ومساحة الموالح وإنتاجها في زيادة مطردة ، بفضل إدخال الأساليب العلمية الحديثة في غرسها وتعهدها ، وإدخال أنواع جديدة تتميز بالجودة وحسن الغلة . فقد كانت المساحة عام ١٩٥٦م نحو ٧٨٠٠ هكتار ، والإنتاج ٢٩ ألف طن ، وفي ١٩٦٣م كانت المساحة ٩٠٠٠ هكتار ، والإنتاج ٥٠ ألف طن ، وفي عام ١٩٧٠م كانت المساحة ١١٧٦٧ هكتارا ، والإنتاج ٢٧١٦٦٨ طنا ، وفي عام ١٩٧٣م كانت المساحة ١١٩٣٩ هكتارا ، والإنتاج ٣٠٦٧٣٥ طنا . ويصدر لبنان نحو نصف إنتاجه من الموالح (برتقال وليمون حامضي ويوسفي) ، يذهب معظمه (خصوصًا البرتقال) إلى البلاد العربية[٤٩] .

وتنتشر مزارع **الموز** في أجزاء كثيرة من السهل الساحلي خاصة في سهول صور وصيدا ، وفي منطقة الحوض الأدنى لنهر بيروت ، وسهل أنطلياس ، وحول منطقتي البترون وجبيل . ورغم أن الموز نبات مداري إلا أن زراعته نجحت في سهول لبنان الساحلية لاشتداد الرطوبة والحرارة صيفا ، وأثناء موجات الخماسين ربيعًا . وشجع على الإكثار من زراعته زوال أشجار التوت التي كانت تنمو في السهل الساحلي ، بسبب

اندثار تربية دودة القز ، وأشجار الموز تتكاثر وتتجدد تلقائيًّا ، إذ ينبت بجوار الشجر القديم نبت جديد ينمو ليحل في الإثمار محل القديم . وتنمو مساحة الموز باطراد ، فبعدما كانت ۲۰۰۰ هكتار عام ١٩٥٦م ، زادت إلى ۳۰۰۰ هكتار سنة ١٩٦٣م ، وإلى نحو ٤٢٠٠ هكتار سنة ١٩٧٣م . وتتراوح غلة الهكتار من الموز سنويا بين ۹ و ۱۰ أطنان . ويصدر لبنان نحو نصف إنتاجه من الموز ، ويستهلك النصف الباقي محليا ، والدول العربية هي سوقه الرئيسة .

ومن الفواكه اللبنانية المشهورة التي زادت مساحتها في الستينات ومستهل السبعينات الكرز ، ويقبل على زراعته أصحاب البساتين لقصر أمد نموه ، وسهولة تسويقه ، والدراق (يسمى في مصر خوخًا) الذي تتركز زراعته في البقاع حيثما تتوفر مياه الري ، لأنه كثير الطلب للماء ، والإجاص (الكمثرى) ، والخوخ (البرقوق) ويكثر الطلب محليا على هذه الأنواع ، ولا يُصدر منها سوى القليل ، خصوصًا أنها سريعة التلف .

المحاصيل الصناعية : وتأتي في مقدمتها **الكروم** . وهي زراعة لبنانية قديمة ، فمناخ لبنان ملائم لنموها وزراعتها تنجح على ماء المطر ، ويتضاعف إنتاجها بسقايتها بماء الري . وفي لبنان تجود أنواع كثيرة منها ما يستخدم للتقطير وصناعة النبيذ ، والعرق والكحول ، ومنها ما يؤكل طازجًا خصوصًا عنب زحلة المشهور . وتشغل مساحة الكروم نحو ٢٥٪ من جملة مساحة الفاكهة . والمساحة في ازدياد مستمر ، فبعدما كانت ٢٢ ألف هكتار سنة ١٩٥٦م ، أصبحت ٢٩ ألف هكتار عام ١٩٧٣م ، أنتجت نحو ١٠٥ ألف طن ، وبلغ إنتاج الهكتار حوالي ٣,٦ طنا ، ويجد العنب اللبناني منافسة شديدة في الأسواق الخارجية من أعناب إيطاليا وفرنسا ودول المغرب العربي . كما أخفق تصديره في شكل نبيذ لنفس السبب . ويقبل الزراع على غرس أنواع الأشجار التي تصلح للتسويق طازجة . ويصدر من الأعناب الطازجة قدر ضئيل من الإنتاج (حوالي ۳۰۰۰ طن سنة ١٩٧٣م) يذهب معظمه للبلاد العربية .

أما الأشجار المثمرة الصناعية **فأهمها الزيتون** ، وهي شجرة من أشجار البحر المتوسط دائمة الخضرة ، وبالتالي فوجودها قديم في لبنان ، وأدغالها الطبيعية كانت منتشرة هنا

وهناك حتى عهد قريب . وفي مستهل هذا القرن بدأ الاعتناء بغرس أشجار الزيتون التي انتشرت وعمت مناطق متعددة ، منها سهل الشويفات في جنوب شرق بيروت ، وسهل الكورة في جنوب شرق طرابلس . وتنتشر بساتينه في الأرض الفقيرة قليلة المطر نوعًا ، والتي لا يزيد ارتفاعها على ٧٠٠ متر . وتبلغ جملة مساحة الزيتون نحو ٣٠ ألف هكتار ، وهي توازي مساحة الكروم تقريبًا . لكن الإنتاج يتذبذب من عام لآخر ، لا بسبب التفاوت في المساحة ، وإنما بسبب إنتاجية الشجرة التي تختلف من سنة إلى أخرى اختلافًا كبيرًا . فبينما كان إنتاج الهكتار ٢,٦ طنا في عام ١٩٥٦م ، هبط إلى ١,١ من الطن سنة ١٩٦٠م ، ثم إلى نحو ٠,٦ من الطن في عام ١٩٦٢م ، ثم عاد فارتفع في عام ١٩٦٣م إلى ٢,٢ من الطن ، وفي عام ١٩٧٣م إلى ٢,٥ من الطن . وترجع هذه الذبذبة الكبيرة إلى طبيعة المناخ ، وتأثر الأشجار بالصقيع ، ثم إلى مدى اعتناء المزارع بالأشجار . وأنواع الزيتون اللبناني بصفة عامة غير جيدة ، ولا تجد إقبالًا في الأسواق الخارجية ، ولا تصمد لمنافسة الأنواع الجيدة التي تنتجها اليونان ودول المغرب العربي ، ولهذا فهو يستهلك محليا ؛ في الطعام ، وفي صناعة الزيت ، الذي يباع في السوق المحلية(٥٠) .

ومن المحاصيل الصناعية الأخرى **الطباق** الذي بدأت زراعته في لبنان في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي . وهو ينمو في التربات الفقيرة في الجنوب في منطقتي حاصبايا ومرجعيون وعلى السفوح الغربية للسلسلة الجبلية الغربية ، وفي السهل الساحلي في البترون وعكار وفي البقاع الشمالي حول الهرمل . وتبلغ مساحة الطباق الإجمالية نحو ٥٠٠٠ هكتار ، ينتج الهكتار الواحد منها نحو ٠,٩ من الطن من التبغ كل سنة .

وقد دخلت زراعة بنجر السكر (شمندر سكري أو شوندر) حديثًا في لبنان ، ونجحت زراعته في سهل البقاع . وزاد الاهتمام بزراعته والتوسع فيها على مستوى الأفراد . والدولة التي خصصت له ألفي هكتار ، بعدما أنشأت مصنعًا لاستخراج السكر منه طاقته السنوية ٢٠ ألف طن . وقد قضت زراعة البنجر على زراعة قصب السكر منذ أواسط الستينات .

ومن المحاصيل الصناعية الأخرى **الفول السوداني** ومساحته نحو ٣٠٠٠ هكتار ، ثم

السمسم واليانسون ، ومساحة كل منهما نحو خمسين هكتارا .

الخضر : يلائم مناخ لبنان زراعة أنواع متعددة من الخضر على مدار السنة . وهي تعتمد أساسًا على الري ، وبعضها على المطر . ومساحة الخضر في زيادة مستمرة لكنها زيادة بطيئة ، فقد بلغت المساحة عام ١٩٦٧م نحو ١٦٥٧٧ هكتارا ، والإنتاج ١٨٨٣٨١ طنا وفي عام ١٩٧٣م حوالي ١٦٨٧٥ هكتارا ، والإنتاج ١٩٧٠٣٨ طنا وتأتي الخضر ذات الأوراق والثمار (وهي الطماطم أو البندورة ، والكوسة والباذنجان) في المقدمة إذ تشغل نحو ٤٥٪ من جملة مساحة الخضر ، تليها مجموعة الدرنيات كالبطاطا (وهي البطاطس في مصر) والبصل والثوم ، وتحتل من مساحة الخضر نحو ٣٥٪ ، ثم مجموعة الخضر ذات الجذور كالجزر والفجل واللفت والقلقاس ، وتزرع في نحو ١٥٪ من المساحة الكلية للخضر ، وأخيرًا البقول كاللوبيا والفول وتحتل القدر الباقي من المساحة (نحو ٥٪) .

وتزرع **الطماطم** زراعة كثيفة في سهل البقاع والسهل الساحلي ، وقد زادت مساحتها كثيرًا ، لكن الإنتاج متذبذب . أما البطاطس فتحتل وحدها نحو ٢١٪ من جملة مساحة الخضر ، وتنتشر زراعتها في البقاع وفي سهل عكار . وهي تزرع في موسمين ، الموسم الأول من نوفمبر إلى مايو ، ويخصص إنتاجه للتصدير ، أما الموسم الثاني فيقع بين يونيو وأكتوبر ، وهو الموسم الصيفي الذي يحتاج فيه المحصول إلى مياه الري ، وإلى الكثير من الجهد والعناية والأيدي العاملة . ويتذبذب إنتاج الهكتار من عام لآخر تبعًا لتفاوت الاعتناء بعمليات زراعته من ري وتسميد . فقد كانت غلة الهكتار حوالي ٨ أطنان سنة ١٩٥٩م ، وهبطت إلى ٦,٢ أطنان سنة ١٩٦٠م ، ثم عادت وارتفعت إلى ١٠,٥ أطنان سنة ١٩٦٣م ، وهبطت إلى ٩,٧ أطنان سنة ١٩٦٧م ، ثم صعدت مرة أخرى في سنة ١٩٧٣م إلى نحو ١٠ أطنان . وتركز زراعة **البصل** في البقاع الأوسط وعكار ، ومساحته ثابتة حول ٢٥٠٠ هكتار سنويا . ومن الخضر الأخرى التي تحتل مساحات مهمة الكرنب (الملفوف) والفاصوليا والباذنجان والجزر والفجل والخس ، وكذلك المقاتى مثل الخيار والبطيخ .

الأقاليم الزراعية : في ضوء الدراسة السابقة يمكن تقسيم لبنان إلى الأقاليم الزراعية الآتية(٥١) :

١ — السهل الساحلي : ويتميز باستواء سطحه نسبيا ، وبمناخه الحار مع ارتفاع الرطوبة النسبية صيفًا ، والمعتدل الكثير المطر شتاء مع كثرة سطوع الشمس . وترباته متنوعة ومتوسطة الخصوبة ، وبإضافة الأسمدة إليها تعطي غلات وفيرة . والسهل غني بموارد المياه سواء عن طريق المطر ، أو ما ينساب إليه من مياه الأنهار ، أو بوسيلة ضخ المياه من الآبار . ويكثر فيه السكان فتتوفر الأيدي العاملة ، كما يحظى في كل المدن الكبيرة بالأسواق الواسعة الغنية ، وبرؤوس الأموال التي يمكن توظيف قسم منها في الزراعة . وبفضل هذه المعطيات أصبح السهل بستانًا عظيمًا ، يزخر بصنوف الفواكه والأشجار المثمرة والخضر . وهذه كلها محاصيل نقدية يصدر جزء كبير منها إلى الخارج .

والموالح أساس اقتصاد السهل ، وتنتشر زراعتها حيثما توفرت وسائل الري فيما بين البترون شمالًا ، والحدود الجنوبية مع فلسطين . وأنواعها عالية الجودة خصوصًا ما يوجد منها جنوبي صيدا ، لذا يصدر معظمها للخارج . أما محاصيل بساتين السهل شمالي البترون فأنواعها قليلة الجودة ، ويتم تسويقها محليا . والقسم الجنوبي من السهل الساحلي شهير بزراعة الموز ، وقد أخذت تنافسه الأنواع المستوردة في أسواق المدن لكبر حجمها واعتدال ثمنها . أما زراعة الخضر في السهل فتتركز حول المدن لسهولة التسويق .

وتسود الزراعة المختلطة في سهل عكار في شمال طرابلس . فما زالت الزراعة في نصف مساحة السهل بعلية تعتمد على المطر ، وبالتالي تنتج محاصيل تقليدية هي : القمح ، والشعير ، والذرة بنوعيها ، والبقوليات . أما الأراضي المروية فتنتج المحاصيل النقدية كالخضر بأنواعها ، والطباق ، والسمسم ، والفول السوداني ، ثم التين ، والكروم ، والزيتون(٥٢) .

٢ — السفوح الجبلية المتوسطة الإرتفاع : ويقصد بها النطاق الجبلي المتاخم للسهل الساحلي حتي ارتفاع ١٠٠٠ متر ، وامتداده جنوبًا في تلال وهضاب جنوب لبنان ، إضافة إلى سفوح جبل الشيخ . ونظرا لتنوع التربة ، وظروف المناخ ، والتفاوت في

موارد المياه وفي كثافة السكان ، فإن استخدام الأرض زراعيا يبدو كثير التنوع والاختلاف ، ففي تلال الجنوب وهضابه (مرجعيون ، حرمون ، النبطية) تزرع الحبوب ، والزيتون والكروم ، والتين ، واللوز ، والطباق الذي يعادل إنتاجه أكثر من ثلثي الإنتاج اللبناني .

مشاريع الري واستصلاح الأراضي :

تهتم حكومة لبنان بتنفيذ عدد من مشاريع الري ، واستصلاح الأراضي لإيجاد نوع من التوازن بين قطاع الزراعة والقطاعات الاقتصادية الأخرى ، ورفع مستوى دخل أهل الريف حتى يتوقف تيار الهجرة منه إلى المدن . ويترتب على توفير المياه إمكان تحويل مساحات شاسعة إلى الري الدائم ، ومن ثم يزداد الإنتاج الزراعي ، ويسهم في زيادة الدخل القومي ، ويكون للبنان مصدر خير ورخاء ، وسندًا له في أوقات الحروب والأزمات .

مشاريع الري : في لبنان عدة مشاريع لخزن مياه الأنهار أمام سدود مقامة على مجاريها ، أضخمها وأهمها **سد القرعون** ، وسعة خزانه ٢٢٠ مليون متر مكعب ، **وسد الخرولة** وسعته ٧٧ مليون م٣ ، **وسد نهر البارد** وسعته ٤٠ مليون م٣ ، وسدود أخرى كثيرة على أنهار عرقا ، وأسطوان ، وإبراهيم ، والدامور ، وبشرى ، وسعة خزاناتها تتراوح بين ٢٠ و ٤٠ مليون م٣ .

وفيما يلي عرض موجز لأهم مشاريع الري :

مشروع الليطاني : يهدف المشروع إلى إنشاء عدة سدود على مجرى النهر ، لتخزين ما يقرب من ٣٤٠ مليون م٣ من المياه لري حوالي ٥٠ ألف هكتار وإنشاء معامل لتوليد الطاقة الكهربائية بقدرة ١٧٢ ألف كيلووات . وقد تم تنفيذ أحد هذه السدود وأكبرها وهو **سد القرعون** ، الذي يبلغ طوله ١٠٩٠ مترا ، وارتفاعه ٦٦٥ مترا ، وسعة خزانه ٢٢٠ مليون م٣ ، ومساحة البحيرة التي تتكون أمامه ١٢,٣ كم٢ .

وتستغل مياه خزان القرعون لتحقيق غرضين : توليد الكهرباء في عدة معامل ، ثم في ري قسم من أراضي النبطية العليا ، تبلغ مساحته ٣٥ ألف دونم ، ومساحة أخرى فيما بين بلدتي الخروب وصيدا ، ومقدارها ٤٠ ألف دونم[٥٣] .

وتزمع المصلحة الوطنية لنهر الليطاني إنشاء سد عند الخردلة ، لتجميع مياه السيول والينابيع المتدفقة إلى مجرى الليطاني ، فيما بين موقعي مركبا ومرجعيون ، وينتظر أن تبلغ سعة الخزان أمام السد نحو ٧٧ مليون م٣[٥٤]. وتستخرج المياه من الخزان بواسطة أنفاق تنتهي بالقرب من بلدة الزرارية ، ويستفاد منها في ري النبطية السفلي ، والأراضي الواقعة بين الزرارية وقناة القاسمية على ارتفاع ٢٠٠ متر فوق سطح البحر . وستبلغ المساحات التي تروى بالجاذبية بنحو ٣٧ ألف دونم . أما القسم المتبقي من المياه فسوف يغذي معملًا لتوليد الطاقة الكهربائية ينشأ في الزرارية قوته ١٢ ألف كيلووات . ثم تحول المياه إلى مشروع القاسمية . وقد حالت الظروف السياسية والعسكرية التي يمر بها لبنان دون إتمام المرحلة الثانية من المشروع ، خاصة أن الكيان الصهيوني في فلسطين يطمع في نهر الليطاني ، فهو يريد الاستفادة من مياهه بتحويل نحو ٤٠٠ مليون م٣ من مجموع مائيته السنوية والبالغ ٧٠٠ مليون م٣ إلى أعالي نهر الأردن ، ولهذا فهو يعرقل إتمام مشروع الليطاني .

ومن المشاريع التي تمت وكانت ذات نتائج طيبة مشروع ري القاسمية من مياه نهر الليطاني ، والذي امتد إلى أراضي سهلي صيدا ، وصور . ويبلغ طول القناة الرئيسة لمشروع القاسمية ٤٧ كم ، وطول قناة رأس العين ١٢ كم . وتتزود قناة القاسمية بمياه الليطاني ، أما قناة رأس العين فتأخذ مياهها من عيون رأس العين . وتشغل الأراضي التي ترويها القناتان أشجار الحمضيات بنسبة الثلثين ، والموز والخضر بنسبة الثلث . وقد أهملت بساتين عديدة منذ عام ١٩٧٥م ، وخاصة أثناء وبعد الاجتياح الصهيوني لجنوب لبنان في شهر مارس ١٩٧٨م .

أما مشروع ري سهل عكار الذي تبلغ مساحته ١٢ ألف هكتار ، فهدفه إنماء المساحة التي تعتمد على الري ، وذلك بتوفير نحو ٩٣ مليون م٣ من المياه ، وذلك عن طريق إقامة السدود على نهر البارد ، وإقامة سد على نهر الكبير الجنوبي بسعة مائية قدرها ٦٠ مليون م٣ ، تقسم مناصفة بين لبنان وسورية ثم التوسع في استخراج المياه الجوفية[٥٥] .

أما مشروع العاصي لري البقاع الشمالي ، فتقف في سبيله عقبات منها أنه نهر دولي

يشترك في ملكيته كل من لبنان وسورية وتركيا . ويهدف المشروع ، لو أمكن الاتفاق على تنفيذه ، إلى ري نحو ٦٠٠٠ هكتار قابلة للزراعة الدائمة في شمال البقاع في منطقتي البقاع والهرمل .

ويهدف مشروع الكورة – زغرتا في شرقي مدينة طرابلس إلى ري حوالي ٧٠٠٠ هكتار من مياه سد ينبغي أن يقام على نهر العصفور بسعة ٤٠ مليون م^3 . وستوزع هذه المياه على مزارع الزيتون ، والحمضيات ، والكروم ، مما يزيد إنتاجها . فقد تبين أن غلة الهكتار تبلغ ٢٢ طنا من الفواكه في البساتين المروية ، بينما لا تزيد على ٥ أطنان في البساتين البعلية . كما اتضح أن إنتاج الهكتار من الخضر والبقول في الأراضي المروية يبلغ ٣٣ طنا ، بينما لا يتعدى ٦ أطنان في الأراضي البعلية التي تعتمد على المطر[٥٦] .

استصلاح الأراضي في إطار المشروع الأخضر :

تقدر مساحة الأراضي القابلة للزراعة حسب ما ورد في آخر مجموعة إحصائية نشرت عام ١٩٧٤م حوالي ١٧٥ ألف هكتار ، وتصنيفها كالآتي[٥٧] :

٧٠ ألف هكتار : أراض سبقت زراعتها ، لكنها مهملة بسبب ارتفاع كلفة الإنتاج ، وعدم توفر المياه وهي تشكل هدف المرحلة الأولى من أعمال استصلاح الأراضي التي يقوم بها المشروع الأخضر .

١٠٥ آلاف هكتار : أراض متوسطة الخصوبة ، قابلة للاستصلاح ، وتشكل هدف المرحلة الثانية للمشروع الأخضر .

ومنذ أن باشر المشروع الأخضر أعمال الاستصلاح في بداية سنة ١٩٦٥م ، وحتى نهاية سنة ١٩٧٤م ، تم استصلاح مساحات كبيرة في مختلف المحافظات ، بلغت ١٥٨٥٨ هكتارا أي بمعدل يصل إلى نحو ١٥٨٦ هكتار في السنة . وفي عام ١٩٧٤م صدر قانون بموجبه تخصص الحكومة مبلغ ستة ملايين ليرة سنويا لاستصلاح أراضي الليطاني ، وستة ملايين أخرى للاستصلاح في كافة المحافظات . وهذا المبلغ كان يكفي لاستصلاح حوالي ٢٤٠٠ هكتار سنويا ، وكان من المتوقع أن تتضاعف المساحات المستصلحة في سنة ١٩٨٠م في حال تنفيذ جميع مشاريع الري في البلاد ، غير أن

الأحداث التي مر بها لبنان ، منذ سنة ١٩٧٥م ، قد عرقلت تنفيذ الخطة على الوجه الأكمل .

وقد أسهم المشروع الأخضر في مجال استصلاح الأراضي وتوفير مياه الري لها ، بحفر ٨٩ بئرًا في مختلف المناطق ، وبإنشاء قنوات للري يبلغ طولها الإجمالي نحو ٩٠ كيلومتر ، وبناء ١٢٨٣ خزانًا صغيرًا للمياه بلغت سعتها الإجمالية ٥٢٣ ألف م^{3} من المياه ، يستغل معظمها لري الأشجار المثمرة . كما عاون المشروع الزراع في المناطق البعيدة عن الطرق العامة بإنشاء طرق مرصوفة تصل بين مزارعهم والطرق الرئيسة ، لكي يتمكنوا من نقل محاصيلهم إلى الأسواق ، وقد بلغت أطوال هذه الطرق حتى عام ١٩٧٤م نحو ٣٦٠ كيلومتر .

ثانيًا : الثروة الحيوانية :

تحتل تربية الحيوانات مركزًا متواضعًا في الدخل الزراعي ، ولكن إسهامها في ارتفاع محسوس . ومن أهداف مكتب الإنتاج الحيواني الذي أنشىء في بداية الستينات تطوير هذا المجال . وتؤلف **الماعز** القطيع الرئيس بعدد مقداره ٤٥٠ ألف رأس . ولكنها تشكل خطرًا كبيرًا على النبات والغابات ، فهي تلتهم أغصان الأشجار ، كما تقتلع الحشائش من جذورها ، فتسبب تعرية التربة ، ومن ثم يسهل انجرافها . ومن الواجب أن يخفض عدد هذا النوع من الحيوان تدريجيا ليحل الضأن والماشية محله . ويتركز نحو ٤٤,٤٪ (نحو ٢٠٠ ألف رأس) من جملة أعداد الماعز في سهل البقاع ، ونحو ٢٥,٥٪ في القسم الجنوبي من لبنان ، والقسم الباقي موزع بين جبل لبنان (نحو ٧٥ ألفا) ، ولبنان الشمالي (نحو ٦٠ ألفا) . وحينما كثر وجود الماعز زاد اعتماد السكان على لحومها وألبانها في غذائهم ، كما يصنعون من شعرها الحبال ، والأكلمة ، والأكياس ، ومن جلدها الأحذية ، والأدوات الجلدية[٥٨] .

ولا يزيد عدد **الأغنام** عن نصف عدد الماعز (نحو ٢٢٥ ألفا) ، ثم إن لحوم الأغنام من اللحوم المفضلة لدى اللبنانيين . وإذا ما أخذنا في الاعتبار حاجات لبنان من لحوم الأغنام ، ومقدار ما يستورد منها سنويًا ، وجدنا أن تربية الأغنام غير كافية ، وتحتاج إلى مزيد من العناية والرعاية ، وإن كان يقف في سبيل إنمائها قلة المراعي الجيدة . ويتجمع ثلثا عدد الأغنام في

البقاع وعكار . وتُستخدم ألبان الأغنام في صناعة الجبن ، والسمن والزبد ، ويصنع من أصوافها نوع من السجاد الخشن (الأكلمة) .

أما تربية الأبقار فمتواضعة ، ومازالت على الطريقة التقليدية ، وهي ذات إنتاج ضعيف ، الأمر الذي يحتم استيراد كميات كبيرة من اللحوم ، ومن منتجات الألبان التي تكلف غاليًا . ومع هذا فإن جهودًا كبيرة تبذل لتحسين السلالات المحلية ، واستيراد سلالات أجنبية ، بحيث بدأت تنتشر في البقاع خاصة مزارع حديثة جدا لتربية الأبقار ، غايتها إنتاج الحليب ومشتقاته ، وإنتاج اللحوم أيضًا . كما أنشئت حول المدن الكبيرة ، خاصة مدينة بيروت ، مزارع نموذجية لتربية الأبقار ، بهدف تزويد المدن باحتياجاتها المتزايدة من اللحوم والألبان ومستخرجاتها . ويوجد في لبنان نحو ١٠٠ ألف رأس من الأبقار .

وفي لبنان أعداد من الحيوانات الأخرى ذات القيمة الاقتصادية المحدودة . وهي تربى من أجل معاونة المزارعين كالحمير (نحو ٣٥ ألفا) والبغال (نحو ٤٤٠٠) ، والجمال (٨٥٠) والخيول (٣٠٠٠) التي تستخدم في السباق والرياضة .

وقد انطلقت تربية الطيور والدواجن انطلاقة مدهشة منذ أواسط الخمسينات بحيث أصبح لبنان مصدرًا للبيض والكتاكيت والدجاج . وتنتشر مزارعها في كل مكان وحول المدن ، وأكثرها في البقاع وجبل لبنان ، يليهما لبنان الشمالي ثم لبنان الجنوبي .

وتربية **دودة القز** في لبنان انعكاس شاحب جدًا لما كانت عليه في الماضي ومنذ عام ١٩١٤م أخذ عدد أشجار التوت يتناقص بشكل كبير . ويحاول مكتب الحرير منذ أواسط الستينات إحياء تربية دودة القز عن طريق شراء الإنتاج بأسعار تشجيعية . وقد أنتج لبنان ٩٣١٠٣ كيلوجرام من الفيالج عام ١٩٦٥م . وهناك مشروع طموح بُدئ فيه منذ عام ١٩٦٥م أريد به أن يصل الإنتاج إلى مليون كيلوجرام في عام ١٩٨٠م .

ثالثًا : التعدين والصناعة :

المعادن : يفتقر لبنان إلى المواد الخام المعدنية . فرغم وجود بعض المعادن إلا أن استغلالها غير اقتصادي ، إما لصغر كميتها وإما لرداءة نوعيتها ، أو لكليهما معًا . فتوجد خامات الحديد مبعثرة بكميات غير اقتصادية في جهات مختلفة ، على امتداد السفوح

الغربية للجبل الغربي . أما خام الفوسفات فتوجد منه رواسب بالبقاع الجنوبي ، وحول صيدا ونسبة الفوسفات في الخام ضئيلة ، ولهذا فهو كالحديد غير مستغل . ومن الخامات المعدنية التي تستغل استغلالًا اقتصاديا محدودًا وغير دائم النحاس والزنك والميكا . ومن الخامات التي تستغل بصفة دائمة رواسب « الترابة » التي تدخل في صناعة الأسمنت ، وتوجد في منطقة شكا ، وبشمزين ، وأميون جنوبي طرابلس . ويحصل على **الملح** من مياه البحر عن طريق التبخر من أحواض اصطناعية على امتداد الساحل ، خاصة فيما بين جبيل وطرابلس .

الطاقة : يفتقر لبنان أيضًا إلى مصادر الطاقة المحركة ، فلم يكتشف فيه البترول ، ولا يوجد بصخوره من **الفحم** سوى رواسب رديئة النوع لا تستغل إلا زمن الأزمات ، كما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية . ويتم توليد الطاقة الكهربائية من مصدرين : الأول من البترول وتبلغ جملة الطاقة الكهربائية المولدة منه نحو ٤٥٪ من جملة الطاقة المحركة في لبنان . والمصدر الثاني يتمثل في مساقط المياه ، ومنه يحصل لبنان على نحو ٣٥٠ مليون كيلووات / ساعة . وتتوزع[٥٩] محطات توليد الكهرباء توزيعًا غير عادل ، فهي مركزة حول مدينتي بيروت وطرابلس وهما أكبر المدن وأكثرها تقدمًا في مجال الصناعة .

الصناعة : يرجع تاريخ الصناعة اللبنانية الحديثة إلى الثلاثينات من هذا القرن الميلادي . وقد سارت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية خطوات ثابتة في طريق التقدم والازدهار ، حتى إن عدد العمال المشتغلين بها زاد من ٣٥ ألفًا عام ١٩٥٥م إلى ٥٠ ألفا عام ١٩٦٠م ، ثم إلى ٦٥ ألفا عام ١٩٦٥م ، ووصل إلى نحو ٩٥ ألفا قبل نشوب الحرب الأهلية عام ١٩٧٥م .

ويتضح من البيانات الرسمية أن محافظتي بيروت وجبل لبنان هما أهم المحافظات في النشاط الصناعي . ففيهما يتمركز أكثر من ٨٥٪ من المؤسسات الصناعية ، وحوالي ٨٠٪ من جملة العاملين في الصناعة . وفي بيروت تتوطن أكبر المؤسسات الصناعية حجمًا . وهي مجمعة الصناعة في لبنان ، ففيها مع الضواحي ٧٠٪ من مجموع المؤسسات الصناعية في

البلاد . وتتركز فيها صناعات النسيج والتبغ . وفيها معامل تصنيع المواد الغذائية ، والأخشاب والفلين ، والمشروبات والجلود ، والحياكة والأحذية ، والطباعة ، ومختلف أنواع الصناعات الكيمائية والهندسية . وتتوزع بقية المؤسسات ونسبتها ٣٠٪ على المحافظات الأخرى ؛ فيخص محافظة جبل لبنان نحو ١٥٪ ، ومحافظة لبنان الشمالي حوالي ١٠٪ (منها ٨,٥٪ لمدينة طرابلس وضواحيها) أما النسبة الباقية وقدرها ٥٪ فموزعة بين لبنان الجنوبي ، والبقاع[٦٠] .

وتأتي **الصناعات الغذائية** في المقدمة . وتضم عددًا من المؤسسات المتفاوتة الأحجام ، يتركز معظمها (نحو ٧٠٪) في محافظتي بيروت وجبل لبنان . وتشمل صناعة تعليب الفواكه والخضر ، وساعد على إزدهارها كثرة ما تنتجه لبنان من فواكه وخضر ، ورخص أثمانها بالنسبة لما يرد من مثلها من الخارج . وصناعة المعجنات ومنها المكرونة والبسكوت ، والشعيرية ، وصناعة النشا ، وصناعة قمر الدين من المشمش . وتتركز هذه الصناعات الثلاث في بيروت وطرابلس . أما صناعة مستخرجات الألبان كالزبد ، والسمن والجبن والقشدة واللّبنة ، فتنتشر معاملها في بيروت وضواحيها وفي خلدة وشتورة . وتشتهر بيروت وطرابلس بمعامل صنع الحلوى والسكاكر والطحينة والحلاوة ، والشيكولاتة والمربات . ويصدر قسم من الإنتاج إلى مختلف البلدان العربية .

وصناعة السكر في لبنان صناعة حديثة ترجع إلى أواخر الخمسينات ، حين أفتتح مصنع حكومي في البقاع لإستخراج السكر من البنجر ، بطاقة إنتاجية قدرها ٦٠٠٠ طن سنويًا . وكان ارتفاع أسعار السكر – وبالتالي ارتفاع أسعار الشمندر – سببًا في تحول كثير من المزارعين – خاصة فيما جاور المصنع – إلى زراعته . كما خصصت الدولة نحو ألفي هكتار لزراعة الشمندر ، وعملت على توسيع المصنع ، وتزويده بالمعدات الحديثة ، بحيث أصبح قادرًا على إنتاج نحو ١٥ ألف طن من السكر كل سنة .

ويبلغ عدد المؤسسات التي تعنى بتصنيع **المواد الكيماوية** نحو ٦٠ مؤسسة يزيد أفراد العاملين في كل منها عن خمسة ، منها ست مؤسسات يزيد أفراد عمالها عن ٥٠ شخصًا .

وتتمركز الصناعات الكيماوية في بيروت وطرابلس ، خاصة صناعة الأدوية وغاز الأوكسيجين ، وحامض الكبريتيك ومعظمها يباع في السوق المحلية ، وجزء يصدر للبلاد العربية .

ويصنع الصابون في لبنان ، ويستخدم في صناعته زيت الزيتون المحلي . وفي جوار بيروت وطرابلس عدد من المصانع التي تنتج أنواعًا رخيصة تجد إقبالًا لدي الشعب . لكنها لا تستطيع منافسة الأنواع الجيدة من الصابون المستورد . وتتركز صناعة أعواد الثقاب في بيروت والدامور ، لسهولة الحصول على المواد التي تدخل في صناعة الثقاب من جهة ، وعلى الأخشاب اللازمة لصنع الأعواد من جهة أخرى .

ويشتغل بصناعة **الغزل والنسيج** عدد كبير من المصانع يبلغ المائتين ، لكنها مصانع فردية صغيرة معظمها يقل عدد العاملين فيها عن ٢٥ فردًا ، باستثناء ثلاثين مصنعًا يزويد عدد العمال في كل منها عن ٥٠ عاملًا . وترجع صناعة القطن إلى أوائل الثلاثينات ، وقد انتعشت منذ بداية الخمسينات ، وتتركز مصانعها في بيروت وطرابلس ويستورد لها القطن من الخارج بعد ما فشلت زراعته في لبنان . وتنتج مصانع القطن المناشف وأغطية الأسرة (الشراشق) ، والمفارش ، والأقمشة القطنية ذات الاستعمالات المتعددة .

أما صناعة **الحرير** فقديمة في لبنان ، وكانت للبنان شهرة عريضة في إنتاج الحرير الطبيعي لكن صناعته تدهورت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، بعدما وقعت البلاد تحت الانتداب الفرنسي، وتعرض حريرها الطبيعي لمنافسة الحرير الفرنسي، فأهمل الأهالي غرس أشجار التوت، وقل الاعتناء بما بقي منها، واضمحلت حرفة تربية دودة القز. ثم ظهرت خيوط الحرير الصناعي فأشتدت المنافشة، وكادت تقضي على الحرير الطبيعي لولا التدخل الحكومي لإحياء هذه الصناعة، والأخذ بيدها من خلال خطة للنهوض بالإنتاج ليصل إلى مليون كيلوجرام في السنة. وتستخدم المصانع خليطًا من الحرير

الصناعي والحرير الطبيعي لإنتاج أنواع من الأقمشة الحريرية تجد رواجا في السوق المحلية وفي أسواق الأقطار العربية .

وفي بيروت عدد من المصانع التي تنتج المنسوجات الصوفية ، والسجاجيد ، والعباءات ، وبعض الأقمشة الكتانية . كما ازدهرت صناعة الملابس الجاهزة للرجال والنساء والأطفال ويصدر قدر كبير منها لمختلف الدول العربية .

وترجع صناعة **الأسمنت** في لبنان لبداية الثلاثينات حينما تأسست شركة الترابة اللبنانية في شكا جنوبي طرابلس لإنتاج الأسمنت . وساعد على استمرارها وجود وفرة من التكوينات الطينية اللازمة لصناعة الأسمنت ، وسهولة الحصول على المواد الجيرية من محاجر الصخور الجيرية القريبة ، إضافة إلى وجود جبس في ظهير المنطقة . وفي بداية الستينات حدثت توسعات كبيرة للمصنع ، وتجديد وتحديث لآلاته ، كما أنشئ مصنع جديد لإنتاج الأسمنت الأبيض . وقد تضافرت عدة عوامل لازدهار هذه الصناعة وتقدمها ، أهمها قيام الحرب العالمية الثانية ، وما ترتب عليها من صعوبة الاستيراد من الخارج ، ثم حركة العمران النشطة في كل أنحاء لبنان ، والبلدان العربية المجاورة منذ الخمسينات ، علاوة على توفر خامات صناعة الأسمنت في منطقة شكا[٦١] .

ومن الصناعات التي نهضت وازدهرت في لبنان صناعة البلاط ، والمزايكو ، وقطع الرخام وغير ذلك من مواد البناء والزخرفة ، وتتركز في بيروت ، وطرابلس ، وشكا ، وجبيل ، وصيدا وهناك صناعة نامية لمواسير المجاري ، والأدوات الصحية . كما انتعشت صناعة الخزف القديمة بإنشاء شركة لإنتاجه برأس مال مشترك لبناني ألماني ، ويقوم المصنع في كفر شيما ، وينتج من صنوف الخزف ما يكفي الاستهلاك المحلي ، والتصدير إلى البلاد العربية .

وينبغي أن نشير إلى صناعة الزجاج والجلود . فأما صناعة الزجاج فتتركز في بيروت وضواحيها . وتنتج ألواح الزجاج بمختلف أنواعها ، كما تنتج القوارير والأواني الزجاجية ، وإنتاجها يكفي الاحتياجات المحلية ، وهناك فائض يصدر كل عام لبعض الدول العربية . وفي ضواحي بيروت عدد من معامل دباغة الجلود وتصنيعها ، وتنتج

كمية متزايدة من الجلود المدبوغة ، وكثيرًا من المصنوعات الجلدية كالحقائب والأحذية والقفازات والسيور .

هذا وتعمل الدولة جاهدة للنهوض بالصناعة ، والتغلب على الصعاب التي تواجهها ، وأخصها النقص في المواد الخام ، ومنافسة المصنوعات الأجنبية في الأسواق اللبنانية ، وذلك عن طريق تطوير المصانع وتحديثها ، والأخذ بأساليب الإدارة والإنتاج الحديثة ، وإدخال صناعات جديدة ، وتوفير الأموال اللازمة للتسليف والتمويل الصناعي ، وإنشاء المدارس الصناعية والفنية لتوفير العمال المهرة . وقد أصدرت الحكومة اللبنانية في أغسطس عام ١٩٦٧م قانون تنظيم الصناعة وتنميتها . ويهدف هذا القانون إلى تنمية الصناعة اللبنانية بغرض تحقيق اقتصاد متوازن ، واستيعاب الأيدي العاملة التي تتزايد سنة بعد أخرى ، والحد من أضرار الاحتكارات ، وتشجيع القطاع الخاص على إنشاء مصانع جديدة ، عن طريق إعفاء آلات المصانع ومستلزمات إنشائها من الضرائب ، إضافة إلى فترة سماح ضريبية حتى تستقر أوضاعها . وقد بلغت قيمة المنتجات الصناعية نحو ٣٠٪ من جملة الدخل القومي اللبناني في عام ١٩٧٣م . ولاشك أن الصناعة قد أصيبت – كغيرها من أوجه النشاط الاقتصادي – بكثير من سلبيات الحرب الأهلية .

رابعًا : طرق النقل والمواصلات

في بلد تجاري سياحي, كلبنان يصبح النقل السريع ذا أهمية بالغة في اقتصاده ويتمثل في لبنان جميع وسائل النقل والمواصلات . لكن السيارة هي أهم وسيلة للنقل ، ويرجع ذلك إلى أسباب تعوق وسائل المواصلات الأخرى . فطبيعة البلاد الجبلية لا تناسب إنشاء الخطوط الحديدية ، وتجعل صيانتها باهظة التكاليف فلابد من إنشاء الكثير من المعابر ، وتسوية المنحدرات ، وملاحظة السفوح التي تتعرض في المناطق الشديدة التضرس لتحرك المواد بالانهيار والانزلاق والزحف . ولا تستطيع السكة الحديدية ولا الطائرة منافسة السيارة في بلد صغير المساحة كلبنان ، كما أن البلد يخلو من القنوات

الملاحية والأنهار الصالحة للملاحة ، ولهذا فقد حرم الاستفادة من الطائرة والسفينة في النقل الداخلي . وساحل لبنان على البحر المتوسط قصير ، وحركة النقل البحري بين موانيه ضئيلة للغاية .

النقل البري (شكل ١٩) :

تتألف شبكة الطرق البرية من نحو ٦٣٠٠ كم ، منها ٥٢٣٠ كم مزفتة . وهذه الطرق موزعة كالآتي :

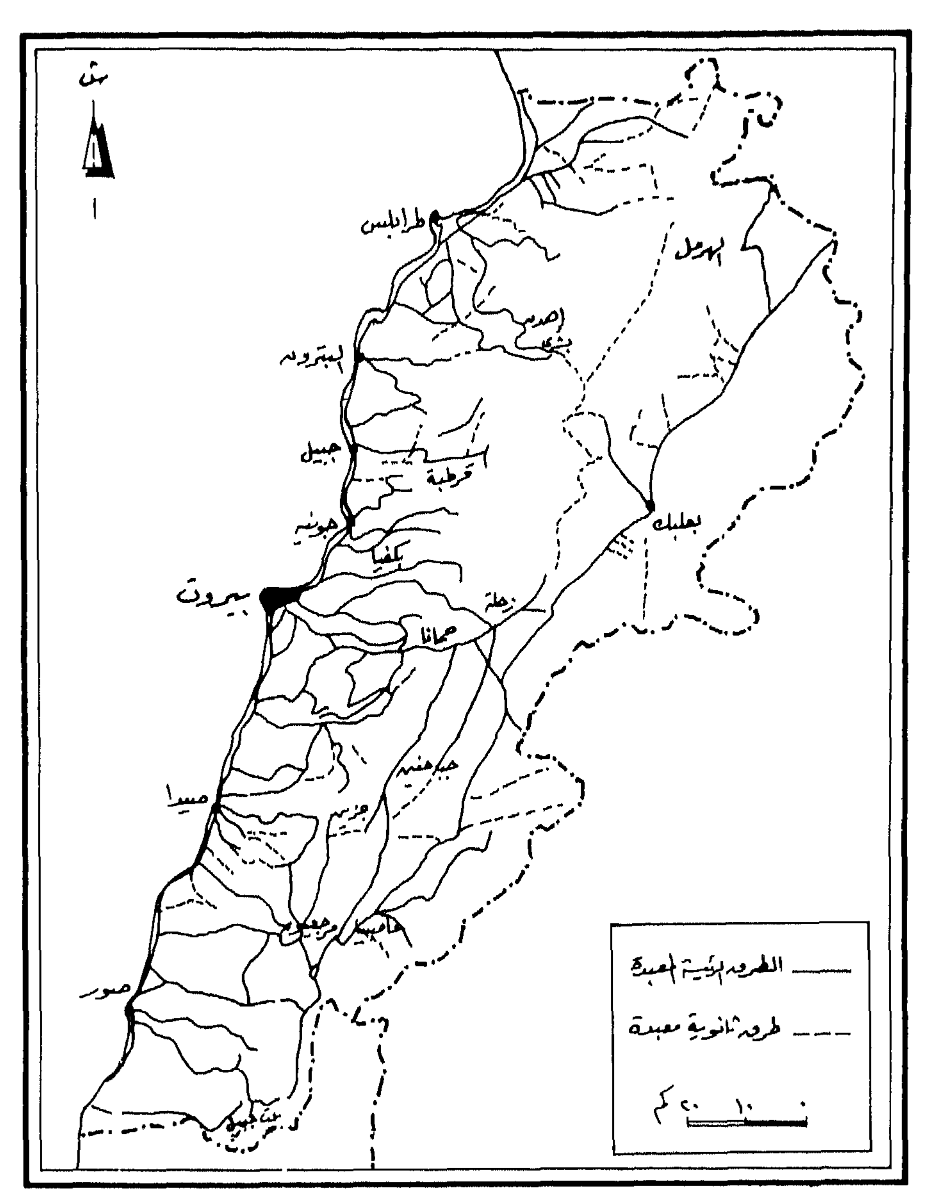
طرق دولية	٥٧٠	كم
طرق رئيسة	١٤٢٠	كم
طرق ثانوية ومحلية	٤٣١٠	كم

أما الطرق الدولية فتشمل الطرق التي تصل لبنان بالخارج ، وهي ثلاثة :

١ - **الطريق الساحلي** : ويصل الشمال بالجنوب مارا بجميع المدن والمحلات العمرانية الواقعة على امتداد الساحل . فهو يبدأ شمالًا بطرابلس ، وينتهي جنوبا برأس الناقورة مارا بالبترون ، وجبيل ، وجونية ، وبيروت ، والدامور ، وصيدا ، وصور . ويمتد الطريق شمالًا من طرابلس ليتصل بالطريق الساحلي السوري إلى طرسوس ، وبانياس . كما كان يمتد جنوبا عبر الحدود إلى فلسطين قبل احتلالهما . ومنذ عام ١٩٧٥م توقفت الحركة على هذا الطريق بين بيروت وطرابلس ، وانقطع الاتصال بواسطته بين شمال البلاد وجنوبها .

٢ - **طريق بيروت - دمشق** : وهو كما يدل اسمه يصل لبنان بسورية قاطعًا سلسلة الجبل الغربي عبر ممر ظهر البيدر . ويمر بمدن عالية وحمدون وصوفر ، وعبر ظهر البيدر إلى بلدة شتورة ، ومنها إلى سهل البقاع ، وعبر وادي الحرير ووادي القرن إلى الديماس وميسلون ، ليتصل بالطريق البري السوري إلى دمشق .

٣ - **طريق البقاع** : ويبدأ من شتورة إلى بلدة معلقة ، ثم يسير شمالًا بشرق إلى رياق وبعلبك ، ويتجه بعدها شمالًا حتى الحدود ليتصل بالطرق البرية السورية . ويخرج من هذا الطريق فرع رئيس عند معلقة يصل إلى مدينة زحلة عاصمة البقاع .



شكل - ١٩ - الطرق البريّة

المصدر: بعثة إرفد (١٩٦٤) أطلس لبنان

وتربط الطرق الرئيسة مدن الساحل بالجبل من أجل السياحة والاصطياف ، وممارسة رياضة التزحلق على الجليد في الشتاء . ومن بينها ما يلي :

(أ) **طريق طرابلس – بعلبك** : ويبدأ من طرابلس عبر الجبل مارا بمراكز السياحة والاصطياف التي من أهمها : زغرتا ، وإهدن ، وبشرى ، ثم يمتا شرقا حتى يصل إلى شوامخ الأرز ، حيث يكون قد قطع مسافة ٦٧ كم . ومن الأرز يتجه الطريق جنوبا بغرب إلى البقاع ، حيث يمر بعدة محلات عمرانية ليصل في النهاية إلى بعلبك .

(ب) **طريق بيروت – زحلة اجبلي** : ويبدأ من بيروت إلى مشارف جونية ، ثم شرقا عبر جبال وعرة ومارا بمحلات عمرانية جبلية مثل عجلتون ، وبسكنتا ، ثم يتجه جنوبا مارا بنبع صنين ، إلى وادي العرايس وزحلة ، ويبلغ طوله ٨٠ كم .

(جـ) **طريق صيدا – صوفر** : ويبدأ من صيدا غربا صاعدا الجبل إلى جزين شرقا . ومن جزين يتجه الطريق شمالًا إلى صوفر مارا بعدة قرى جبلية أهمها : بكاسين ، وبحنن وعماطور ، ومعاصر ، الشوف ، والباروك ، وعين زحلتا ، ومنه يتفرع طريق عند بلدة الباروك غربًا إلى بيت الصين ، ودير القمر إلى بلدة الدامور على الساحل فيما بين صيدا وبيروت .

(د) **طريق صور – بنت جبيل** : ويبدأ من صور مارا بعدة قرى حتى يصل إلى بلدة بنت جبيل قرب الحدود مع فلسطين المحتلة ، ويبلغ طوله ٤٢ كم .

(هـ) **طريق الناقورة – بنت جبيل** : ويبدأ من رأس الناقورة ، وينتهي ببنت جبيل ، ويمر بعدد من القرى . ومن بنت جبيل يمتد طريق نحو الشمال إلى راشيا مارا بمرجعيون . هذا وجميع الطرق الجنوبية مقفلة حاليًا في وجه حركة النقل والمواصلات المدنية ، ذلك أن الشريط الحدودي فيما بين الليطاني وحتى الحدود الجنوبية واقع تحت سيطرت قوات غير شرعية موالية لقوات الاحتلال الصهيوني .

أما عن كثافة الطرق البرية فتقدر بنحو ٦٣٠ كم لكل ١٠٠٠ كم^{٢} ، أو ٢,٤ كم لكل ١٠٠٠ شخص (على اعتبار أن عدد سكان لبنان نحو ٢,٦ مليون نسمة ، ومساحته نحو ١٠٠٠٠ كم^{٢}) ، لذلك فإن شبكة الطرق البرية ليست كثيفة ، بل إنه توجد نحو

٥٠٠ قرية جبلية تعيش في شبه عزلة لعدم وجود طرق معبدة تصلها بالطرق الرئيسة .

وتتفاوت حركة النقل البري فوق الطرق ، لكنها أكثف ما تكون فوق الطريق الساحلي ، لأنه السبيل الوحيد السهل الذي يربط بين أجزاء الشريط الساحلي ، الذي يتركز فيه أكثر السكان وأكبر المدن وأشد الحركة ، وأعظم النشاط الاقتصادي الزراعي ، والصناعي ، والتجاري . يليه طريق بيروت – دمشق وهو همزة الوصل بين ساحل لبنان وداخله ، وبين لبنان وسورية .

وعدد السيارات في لبنان مرتفع بالقياس إلى عددها في البلدان المجاورة ولكنه متوسط بالنسبة لأعدادها في دول أوربا الغربية . ونظرًا لتركز غالب السيارات في بيروت وضواحيها ، وضيق أغلب شوارع المدينة ، وكثرة الحركة والنشاط فيها فإنها تبدو مكتظة بالسيارات . وحسب تقدير عام ١٩٧٥م بلغ عدد سيارات السياحة الخصوصية نحو ١٩٠ ألف سيارة ، والسياحة العمومية (التاكسي) ١٦ ألف سيارة ، والحافلات (أتوبيس) الخصوصية والعمومية ٣٤٠٠ حافلة ، وسيارات الشحن نحو ٢٠ ألف شاحنة . وتقوم سيارات الشحن اللبنانية بنقل البضائع من جهة لأخرى داخل لبنان ، كما تسهم بنقل سلع التجارة العابرة (الترانزيت) إلى سورية والأردن .

النقل بالسكك الحديدية : يبلغ مجموع أطوال السكك الحديدية في لبنان ٤٠٨ كم ، فهي شبكة متواضعة وقديمة ، كما أن حركة النقل عليها ضعيفة وفي تناقص مستمر . وتتصل الخطوط الحديدية التي تبدأ من مرفأ بيروت ، دون ما حاجة إلى تبديل الشاحنات عند تبديل الخطوط بشبكات الخطوط الحديدية السورية والعراقية (حلب – الموصل – بغداد) والتركية (حلب – إستامبول) .

وتتألف شبكة السكك الحديدية اللبنانية من الخطوط التالية :

١ – خط بيروت – دمشق : ويبلغ طوله ٨٨ كم ، ويبدأ من بيروت صاعدا لارتفاع ١٥٠٠ متر فوق السفوح الغربية للجبل الغربي ، وعبر ممر ظهر البيدر يهبط إلى سهل البقاع حيث يصل إلى رياق ، ثم يعبر سلسلة الجبل الشرقي على ارتفاع ١٤٠٠ متر ، إلى سر غايا ، ومنها إلى دمشق .

٢ – **الخط الساحلي** : ويبدأ من الناقورة ، إلى بيروت ثم إلى طرابلس ، ويبلغ طوله ١٩٠كم .

٣ – **خط حلب** : ويضم خطين : الأول من طرابلس إلى عكار ، وطوله ٤٠كم . ومن عكار يتصل بالخطوط الحديدية السورية إلى حلب . والطريق الثاني : بالبقاع من بلدة رياق شمالًا إلى بلدة القاع وطوله ٩٠كم ، ومن القاع شمالًا يتصل بالخطوط السورية إلى حلب .

ويتضح من البيانات الرسمية أن عدد الركاب المسافرين بالسكك الحديدية في تناقص مستمر[٦٢] . وقد تأرجح بين ١٠٢ ألف مسافر في عام ١٩٥٩م ، إلى ٦٤ ألفا في سنة ١٩٦٣م ، ثم عاد إلى الصعود فوصل إلى ٨٠ ألفا في سنة ١٩٦٥م ، وظل يتراوح حول الرقم الأخير حتى قيام الحرب الأهلية عام ١٩٧٥م . ومثل هذا يقال عن نقل البضائع أيضًا ، فقد تراوح بين ٥٣٦ ألف طن (في عام ١٩٥٩م) ونحو ٦٠٠ ألف في عام ١٩٧٤م . وفيما بين الرقمين تأرجح نقل البضائع بين هبوط (٤٤٣ ألف طن سنة ١٩٦٠م) وصعود (٦٦٠ ألف طن في سنة ١٩٦٤م) . وأهم البضائع التي تنقلها السكك الحديدية هي الأسمنت ومواد البناء ، ومنتجات النفط ، والحيوانات الحية ، وخام الفوسفات ، والأدوات المعدنية وخشب البناء ، ومواد التموين الجافة كالدقيق ، والأرز ، والسكر ، والصوف ، والجلود .

النقل البحري :

تبدأ خطوط النقل البحري من بيروت ، أهم موانى لبنان وأبعدها أثرًا في اقتصاده ، يضاف إليها عدد من الموانى ، أهمها على الترتيب : طرابلس وصيدا وصور وجُبيل وشكا . وقد برزت أهمية ميناء بيروت بالنسبة للبنان ولدول الشرق الأوسط على السواء ، نظرًا لافتقار ساحل شرقي البحر المتوسط للموانى الطبيعية الجيدة . وقد كان لاهتمام سورية (بميناء اللاذقية) والأردن (بميناء العقبة) ، منفذين لهما على العالم الخارجي ، أثر ملموس في الحد من نشاط بيروت ميناءً لتجارة العبور ، كما حاولت تركيا جذب أكبر قدر ممكن من تجارة العبور للعراق وإيران عن طريق ميناء الإسكندرونة .

ونجحت في ذلك إلى حد كبير ، وذلك عن طريق تحسين الميناء ، وتزويده بمعدات حديثة ، وتخفيض الرسوم الجمركية ، ورسوم النقل ، ورغم هذا فقد ظل ميناء بيروت هو الأول بين موانى شرقي البحر المتوسط في حجم تجارة العبور ، لأنه أكثر قربًا من مراكز التجمع العمراني في سوريا (المسافة بين بيروت ودمشق ١١٠كم وبينها وبين حمص ١٨٠كم) وفي الأردن ، فالمسافة بين بيروت وعمان لا تزيد على ٣٠٠كم . كما أن بيروت أقرب من غيرها من موانى شرقي البحر المتوسط إلى العراق والمملكة العربية السعودية ودول الخليج[٦٣] .

ويتميز مرفأ بيروت بإمكانات طبيعية استطاعت الدولة الاستفادة منها ، واستغلالها الاستغلال الأمثل ، وأضافت إليها الخدمة البشرية الممتازة ، فأصبح التخليص على البضائع سهلًا ميسرًا ، وحركتها سريعة ، بما زود به الميناء من آلات شحن وتفريغ وجر حديثة .

ويحتوي مرفأ بيروت على حوضين يبلغ اتساع كل منهما ٢٠ هكتارا ، ويحميهما من الموج حاجز طوله ١٣٠٠ متر ، ويغلقهما سد طوله ٣٣٠ مترا . كما يشمل أرصفة للميناء يبلغ طولها الإجمالي ٢٣٠٠ متر ، ومستودعات مساحتها ١٧٣٦٥٠ مترا مربعًا ، منها ١٣٤٦٠٠ متر مربع مخازن مسقوفة . وبالميناء منطقة حرة مساحتها ١٢٣,٤٠٠ متر مربع .

وإذا ما استبعدنا الظروف الاستثنائية التي يمر بها لبنان منذ عام ١٩٧٥م ، والتي أدت إلى تدهور أحوال ميناء بيروت ، وشل حركته وتوقفها تماما في كثير من الأحيان ، فإن حركة الميناء كانت دائبة ، متطورة متزايدة منذ بداية الخمسينات . ففي عام ١٩٤٨م بلغ عدد السفن ١٥١٣ سفينة ، ارتفع في عام ١٩٥٤م إلى ١٨٦٤ سفينة ، وفي عام ١٩٦٤م إلى ٣٠١٩ سفينة ، وفي عام ١٩٦٩م إلى ٣١٢٨ سفينة ، وفي عام ١٩٧٤م إلى ٣٢٢٤ سفنة . وبنفس المعدل ، على وجه التقريب ازدادت الحمولة . ويستقبل الميناء حمولة أكبر بكثير مما يصدر ، ذلك أن حجم الوارد تدخل فيه سلع المرور . وحركات الركاب هي الأخرى كانت في ازدياد مطرد ، فبعد ما كان عدد الركاب

٤٧٦٨٤ راكبًا في عام ١٩٥٩م ، ارتفع إلى ١٠٤٧٦٩ راكبًا سنة ١٩٦٥م ، وناهز المائتي ألف في عام ١٩٧٤م ، رغم أن حركة نقل الركاب بالطائرات ظهرت منافسًا كبيرًا منذ أواسط الستينات .

النقل الجوي :

تعتبر بيروت إحدى الموانى الجوية الرئيسة على خطوط الطيران التي تربط أوربا بالشرق الأوسط والشرق الأقصى وإفريقية . وقد تبوأت هذه المكانة الممتازة بفضل موقعها الجغرافي المتميز ، وبفضل وظيفتها باعتبارها ميناء لعبور التجارة ، ولاهتمام لبنان ، باعتباره بلدًا سياحيا ، بالنقل الجوي ، تيسيرًا لحركة السياح القادمين والمغادرين . وكان اطراد النمو في أعداد السياح عامًا إثر عام ، إضافة إلى تعاظم حركة نقل السلع سريعة التلف كالخضر والفواكه إلى مختلف البلدان العربية ، حافزًا للدولة كي تزيد اهتمامها بمطار بيروت الدولي في خلدة ، فأصبح كامل الاستعداد لاستقبال الطائرات من كل الأنواع والأحجام .

ويشغل مطار بيروت الدولي مساحة ٣,٥ مليون م٢ ، منها ٣٨٥٠٠ متر مربع من الأبنية ٩٠٢,٢٣٠ مترًا مربعًا مفروشة بالباطون . ويبلغ عرض كل من المدْرجين ٦١ مترا وطولهما على التوالي ٣٢٥٠ مترًا و٣١٧٠ مترًا . ومن بين الشركات العالمية المتعددة التي تستخدم المطار ، شركتان وطنيتان لبنانيتان لهما شهرة عالمية عريضة ، إحداهما لنقل الركاب والبريد وهي شركة طيران الشرق الأوسط ، وتربط بيروت بجميع عواصم العالم ومدنه الكبرى ، والثانية متخصصة في نقل البضائع والسلع وتسمى شركة طيران لبنان .

وقد شهدت حركة الركاب نشاطًا مذهلًا منذ عام ١٩٥١م وحتى عام ١٩٧٥م ، ففي عام ١٩٥١م كان عدد الركاب القادمين ٣٠٢٢٠ راكبًا ، والمغادرين ٣٢١٢٤ راكبًا ، ارتفع إلى ١٥٢١٠٣ قادمين و١٦٢٢٩٠ مغادرًا سنة ١٩٥٨م ، ثم إلى ٥٠٣٦٨٠ قادمًا و٥٠٤١٥٢ مغادرًا سنة ١٩٦٥م ، وناهز المليونين ، بين قادم ومغادر عام ١٩٧٤م ، إضافة إلى أعداد أخرى من المسافرين العابرين قاربت نصف المليون(٦٤) .

وقد تأثرت حركة المطار تأثرًا شديدًا بأحداث لبنان . وتحولت عن الهبوط فيه طائرات شركات كثيرة . وحاولت الشركات الوطنية البحث عن خطوط أخرى للعمل عليها ، ووجدت شركة طيران لبنان بغيتها في دول الخليج لنقل المواد اللازمة للبناء والتشييد والتصنيع .

خامسًا : التجارة والميزان التجاري

إن ازدهار الاقتصاد اللبناني يرتكز أساسًا على التجارة الخارجية ، وإعادة التصدير ، وتجارة المرور (الترانزيت) والسياحة ، ثم الخدمات التي يؤديها اللبنانيون في الداخل والخارج . ولبنان يأخذ بمبدأ « التجارة الحرة » فلا توجد قيود عليها من أي نوع ، والباب مفتوح على مصراعيه . وهذا هو السبب الرئيس في عرقلة خطط التنمية الزراعية والصناعية بالبلاد . لكن هذا المبدأ هو الذي جعل من لبنان سوقًا تجاريا عالميا ، والمركز الرئيس لتجارة العبور في الشرق الأوسط وليس أدل على مدى إسهام النشاط التجاري في ازدهار الاقتصاد اللبناني من أن رؤوس الأموال المتحركة في ميادين الاستيراد والتصدير ، وإعادة التصدير ، والترانزيت تزيد على الدخل القومي اللبناني كله .

ومبدأ « التجارة الحرة » لم يكن العامل الوحيد على جعل لبنان مركزًا للتجارة العالمية فهناك عوامل جغرافية أسهمت في هذا السبيل ، وعملت على ازدياد النشاط التجاري وتطويره وتنميته . فالبلد ذو موارد طبيعية محدودة وضعيفة ، والدخل من الزراعة والصناعة قليل ، فكان لزامًا على لبنان أن يستفيد من موانيه الطبيعية الجيدة خاصة ميناء بيروت ، وينشئ فيه منطقة حرة ، وأن يستغل موقعه الجغرافي المتميز على مفترق قارات ثلاث ، في أن يؤسس ويطور اقتصاده على أساس اقتصاد خدمات ينفتح على العالم الخارجي . ومن هنا كان للتجارة الخارجية أهمية كبرى في النشاط الاقتصادي الوطني .

والواقع أن كل من يتعرض بالدراسة لاقتصاد لبنان يؤكد أنه اقتصاد مختل غير متوازن . ومع هذا تبدو عليه مظاهر الصحة ممثلة في ارتفاع مستوى المعيشة خاصة في بيروت ، ذات التجارة المزدهرة ، والمصارف المتعددة . ومن أهم شواهد اختلاله ذلك العجز البين في الميزان التجاري . ذلك أن قيمة الصادرات اللبنانية ، ومعظمها من الإنتاج

الزراعي ، لا تغطي أكثر من ٢٠٪ من قيمة الواردات . لكن لبنان يتمكن من إعادة التعادل إلى ميزانه التجاري بدخول غير منظورة ، قد ترجح كفته في صالح لبنان في كثير من السنين . وتتمثل الدخول غير المنظوره في بنود كثيرة أهمها على الترتيب : أرباح النقل ، والترانزيت ، والسمسرة ، والأرباح الناجمة عن توظيف رؤوس الأموال الأجنبية في لبنان ، خاصة منها الأموال العربية والدخل من السياحة ، والأموال التي يبعثها المهاجرون إلى ذويهم في لبنان ، وعوائد البترول السعودي والعراقي ، والدخل من رؤوس الأموال اللبنانية الموظفة بالخارج ، والأموال التي تدفعها هيئة إغاثة اللاجئين ، ثم المعونات الخارجية . ويدخل في المعونات الخارجية في السنين الأخيرة الأموال السنوية التي تدفعها الدول العربية لقوات الردع العربية ، وللحكومة اللبنانية من أجل إعادة بناء وتعمير ما دمرته الحرب الأهلية ، وما خربته القوات الصهيونية في الجنوب .

إن النظامين الأكثر استعمالًا للتجارة الخارجية في العالم هما : « نظام التجارة الخاصة » ، و « نظام التجارة العامة » . والنظام المتبع في إعداد الإحصاءات الجمركية اللبنانية هو نظام التجارة الخاصة ، وهو النظام الرامي لاحتساب الواردات المعدة للاستهلاك الداخلي من جهة ، والصادرات العائدة للمنتجات الوطنية من جهة ثانية . ويلاحظ أن عناصر التجارة الخارجية عظيمة التنوع ، سواء منها الواردات والصادرات . فما من سلعة مستوردة أو مصدرة تؤلف أكثر من ١٠٪ من القيمة الكلية . فالتفاح مع أهميته الكبرى في تجارة الصادر ، لم تزد قيمته على ١١٪ من جملة قيمة الصادرات .

تجارة الوارد :

تتضمن تجارة الاستيراد الخاصة حسبما تذكر المجموعات الإحصائية اللبنانية الرسمية ما يلي :

١ – البضائع الموضوعة للاستهلاك سواء لدى ورودها من الخارج أو بعد إخراجها من المنطقة الحرة ، أو من المستودعات ، أو من وضعها في نظام الاستيراد المؤقت .

٢ – البضائع الموضوعة في نظام الإدخال المؤقت العادي .

٣ – البضائع المعاد استيرادها من الخارج على أثر تصدير مؤقت ، كانت الغاية منه التصنيع أو التحويل في الخارج .

وتمثل الواردات اللبنانية نسبة ٤٠٪ من الناتج المحلي القائم ، ٤٥٪ من الدخل القومي ، وتتألف في العادة من بنود رئيسة ، وبنسب تقريبية ممثلة للأوضاع العادية فيما قبل عام ١٩٧٥م ، كما يلي[٦٥] :

– المواد الأولية ، والمنتجات نصف المصنوعة المعدة لاستهلاك مؤسسات الإنتاج المحلية .... ٤٨٪
– مواد تامة الصنع معدة للاستهلاك مباشرة .... ٣٧٪
– مواد التجهيز .... ١١٪
– مواد أعيد تصديرها .... ٤٪

١٠٠٪

وأهم الواردات اللبنانية هي الأحجار الكريمة ، والمعادن الثمينة خاصة الذهب ، الذي تبلغ قيمة الوارد منه سنويا ما بين ١٥٪ و ٢٠٪ من جملة قيمة الواردات . واستيراد الذهب مباح لا تحده قيود ، وحين يتم تصنيعه في لبنان يباح تصديره أيضًا بلا قيود . وتوضح الإحصاءات أن ما يتم تصديره رسميا يتراوح بين ٢٪ و٥٪ من قيمة ما يستورد . ويرجع ذلك إلى سببين : الأول : – ولعله الأهم – أن الذهب يصدر إلى بلدان محظور دخول الذهب إليها ، وبالتالي لا ترد بياناتها في الدفاتر الرسمية ، والثاني ، يتمثل في التهريب أو التصدير غير المشروع . ومثل هذا يقال عن بقية الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة التي تشكل قيمة ما يستورد منها نحو ١٠٪ من جملة قيمة الواردات السنوية .

وتأتي المنسوجات بأنواعها المختلفة بعد الذهب في قائمة أهم الواردات وتبلغ قيمة معدلها السنوي حوالي ١١,٥٪ من جملة قيمة الواردات ، تتلوها الأجهزة والآلات بنسبة ٨,٥٪ ، والمعادن والمنتجات المعدنية ٨٪ ؛ ومواد الوقود (المحروقات) ٨٪ ،

والحيوانات ومنتجات الألبان ٧٪ ووسائل ولوازم النقل ٤,٧٪ ، والحبوب وخصوصًا القمح ٤,٥٪ ، والمواد الكيميائية والأدوية ٢,٥٪ .

ويستورد لبنان نحو ٦٧٪ من السلع والبضائع التي يحتاج إليها من مختلف الدول الأوربيـة ، وفي مقدمتها دول السوق الأوربيـة المشتركة المتمثلة في ألمانيا الغربية ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وإيطاليا ، وبلجيكا ، ولوكسمبورج ، وهولندا تليها مجموعة دول منطقة التجارة الحرة الأوربية ، والتي تضم السويد ، والبرتغال ، والدانمرك ، وسويسرا ، والنرويج ، والنمسا . ويدخل ضمن نسبة الوارد من أوربا ما تصدره دول شرقي أوربا وأهمها روسيا وألمانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر ، ويستورد لبنان من مجموعة الدول العربية نحو ١٢٪ من احتياجاته التي أهمها النفط ومشتقاته ، واللحوم والأرز ، والحبوب وبعض الخضراوات ، والقطن والصوف ، والجلود . وتأتي دول أمريكا الشمالية وخاصة الولايات المتحدة وكندا بعد مجموعة الدول العربية في نسبة الوارد اللبناني (نحو ١٢٪ أيضًا) أما النسبة الباقية فيستوردها لبنان من دول آسيا (خاصة الصين ، واليابان والهند وسيلان وهونج كونج) ، ومن أستراليا ، ومختلف دول أمريكا الجنوبية والوسطى .

تجارة الصادر :

وتتضمن تجارة الصادر الخاصة تبعًا لما تذكره المجموعات الإحصائية ما يلي :

١ – جميع البضائع الوطنية المصدرة .

٢ – البضائع ذات المنشأ الأجنبي التي تصدر إلى الخارج بعد أن تكون قد وضعت في الاستهلاك .

٣ – البضائع المصدرة مؤقتًا إلى الخارج بغية تصنيعها أو تحويلها .

٤ – البضائع المعاد تصديرها إلى الخارج بعد أن تكون قد أدخلت إلى لبنان تحت نظام الإدخال المؤقت العادي .

ويأتي في مقدمة الصادرات المنتجات الزراعية وأخصها التفاح والموز (٣٥٪) ، يليها الذهب والمعادن والأحجار الكريمة والحلي (نحو ١٥٪) ، ثم المنسوجات بمختلف

أنواعها (١١٪) والمعدات والأجهزة الكهربائية (٨٪) والمصنوعات الغذائية (٧٪) والمنتجات المعدنية المصنعة (٦٪) ، والمنتجات الخشبية والأثاث (٦٪) ، ومعدات النقل والسيارات (٥٪) والأدوات والأجهزة الكهربائية (٥٪) ثم أخيرًا الأسمنت (٢٪) ويلاحظ أن معظم صادرات لبنان ، باستثناء المنتجات الزراعية ، هي سلع يعاد تصديرها إلى الخارج بحالتها ، أو بعد تصنيعها جزئيا أو كليا في لبنان .

ويذهب معظم الصادر اللبناني إلى الدول العربية بنسبة تزيد على ٦٠٪ سنويا ثم إلى دول السوق الأوربية المشتركة (٩٪) ودول التجارة الحرة الأوربية (٨٪) ، ومجموعة الكوميكون (سابقًا) (٦٪) ، والأقطار الآسيوية (٥٪) والولايات المتحدة وكندا (٤٪) ، ودول أخرى بمختلف القارات (٨٪) .

تجارة إعادة التصدير :

وتتضمن حسبما يرد في المجموعات الإحصائية الرسمية نمطين رئيسين هما :

١ - **تجارة إعادة التصدير العادية** : وتشمل البضائع الأجنبية التي بقيت تحت المراقبة الجمركية ، والتي تكون قد أعيد تصديرها إلى الخارج دون أن تمر بالأراضي اللبنانية ، أي أعيد تصديرها من المرافئ والمكاتب الجمركية رأسًا إلى الخارج .

٢ - **تجارة إعادة التصدير مع رد الرسوم** : وتتضمن البضائع الأجنبية التي تكون قد وضعت للاستهلاك ، أي تم دفع رسومها الجمركية بالفعل ، ثم أعيد تصديرها إلى الخارج بحالتها الأصلية مع طلب استرداد الرسوم .

وتتمثل السلع التي تدخل في تجارة إعادة التصدير في المنتجات المعدنية ومعدات النقل ووسائله والأدوات والأجهزة الكهربائية ، والمواد الأولية التي تدخل في صناعة المنسوجات والمعادن والأحجار الكريمة والحلي وأدوات الزينة وتتصدر البلاد العربية قائمة الدول التي تذهب إليها تجارة إعادة التصدير ، بنسبة تزيد على ٦٠٪ . وتتوزع النسبة الباقية وقدرها حوالي ٤٠٪ على عدد من المجموعات الدولية الاقتصادية هي على الترتيب : مجموعة السوق الأوربية المشتركة ، ومجموعة دول التجارة الحرة ،

والكوميكون (سابقًا) ، والدول الآسيوية ، ودول أمريكا الشمالية .

تجارة العبور :

تشمل التجارة العابرة أو الترانزيت البضائع الأجنبية التي تدخل البلاد ، وتعبر الأراضي اللبنانية دون أن توضع في الاستهلاك أو تحت نظام المستودعات ، أو - الإدخال أو الاستيراد المؤقت . وتزيد التجارة العابرة في الحجم ، وكذلك في القيمة عن تجارة الصادر والوارد . وقد تبوأت التجارة العابرة هذه المكانة السامية نتيجة لعدة عوامل ، أهمها ما يتصل بالموقع بالنسبة للبلاد العربية ، وبالمواني الجيدة خاصة ميناء بيروت ، ويقصر مسافة الطريق بين أوربا والدول العربية الآسيوية وإيران عبر أراضي لبنان ، وخبرة سكان لبنان ومهارتهم في عمليات التجارة والوساطة التجارية وقد كان لإنشاء المنطقة الحرة في مرفأ بيروت أثر كبير في ازدياد تجارة العبور ، ونمو تجارة إعادة التصدير : وتبلغ مساحتها زهاء ١٢٣٤٠٠م٢ . وفيها يتم ترتيب البضائع ونقلها وإعادة تصديرها بحرية مطلقة دون ما تدخل من السلطات الجمركية ، وهي بطبيعة الحال معفاة تمامًا من الضرائب ، ما دامت موجهة إلى خارج لبنان .

وهذا وقد اهتم لبنان بعقد عدد من الاتفاقيات التجارية مع الدول العربية والأوربية لزيادة الروابط التجارية وتوثيق العلاقات الاقتصادية . وقد سبق أن أشرنا إلى العجز الدائم في الميزان التجاري اللبناني ، وقدرة لبنان على تغطيته عن طريق الدخول غير المنظورة من خدمات يؤديها للخارج وحركة رؤوس الأموال الأجنبية وتوظيفها فيه ، وهبات المهاجرين اللبنانيين لذويهم . ولاشك أن الاعتماد الدائم على هذه الدخول فيه قدر كبير من المخاطرة ، وذلك لشدة حساسيتها وسهولة تأثرها بالعوامل والمؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تنتاب منطقة الشرق الأوسط ولبنان من وقت لآخر . وليس من سبيل أمام لبنان لتأمين مستقبله سوى الاعتماد على إمكاناته الذاتية وتنمية اقتصاده الزراعي والصناعي .

سادسًا : السياحة

لقد صارت السياحة من أهم موارد لبنان الاقتصادية . والدخل من السياحة ومن الاصطياف ، ومما يبعث به المهاجرون من مال إلى أسرهم وذويهم وما يدخل لبنان من إعانات مالية يسد العجز في الميزان التجاري . فقد رأينا أن لبنان يستورد أكثر مما يصدر . ولبنان بلد اصطياف . والاصطياف في لبنان قديم العهد نسبيا . ولكن بعد الحرب العالمية الثانية أصبح مشتى أيضًا . فإن هواة التزلج على الثلج يقصدون جباله المغطاه بالثلوج شتاء قادمين من أماكن بعيدة وقد أصبح لبنان مكانا لقضاء العطلات في مختلف الفصول .

ويرجع ازدهار السياحة في لبنان إلى جمال الطبيعة وتنوع مناظرها ، ولطف المناخ في الجبال صيفًا واعتداله ودفئه في السواحل شتاء ، وكثرة الآثار التاريخية وانتشارها في الساحل والداخل ، ونمو الوعي السياحي لدي الشعب اللبناني ونجاح الدعاية التي قام بها لبنان في جذب السياح من مختلف أنحاء المعمورة ، ويباهي أهل لبنان بجمال بلادهم ، فإن الحق سبحانه وتعالى قد أسبغ عليه من النعم الطبيعية الكثير ، ففي لبنان يستطيع المرء أن يسبح في بحره الدافئ ، وبعد ساعة من الزمن يصعد إلى قممه ليتزلج على الثلج . وفي لبنان الآن سبعة مراكز للتزلج أحسنها تجهيزًا بوسائل الراحة جبال الأرز المشهورة التي تبعد عن بيروت بمائة وخمسين كيلومترا . هناك بالقرب من غابة الأرز فنادق جميلة وغير بعيد عنها مصعد كهربائي ينقل الزائر إلى قمة الجبل حيث ينعم بمنظر – إذا كان الجو صافيًا – قل أن يجد لروعته مثيلًا .

وقد تزايد عدد السائحين والمصطافين في لبنان زيادة مطردة فبعدما كان عددهم عام ١٩٥١ م نحو ٩٠ ألفا ، ازداد إلى ١٨٠ ألفا في عام ١٩٥٥ م وإلى ٣٠٠ ألف في عام ١٩٦٥م ثم إلى أكثر من نصف مليون قبل أحداث عام ١٩٧٥[٦٦]م . يضاف إلى ذلك أعداد سياح الترانزيت الذين كانوا يبلغون ضعف السائحين عددًا . ومنذ الخمسينات ازداد عدد المصطافين في لبنان من البلدان العربية .

ومن أشهر المصايف التي يقصدها الأثرياء عين صوفر ، على بعد ٢٤ كيلو متر من بيروت ، وعلى ارتفاع ١٢١٠ أمتار ، وتقع على متن جبل مشرف على وادي حمانا الشهير ، ومنها عالية على بعد ١٤ كيلومتر من بيروت وعلى ارتفاع ٨٥٠ مترا وضهور الشوير على بعد ٢٦ كيلومتر من بيروت وعلى ارتفاع ١٢٥٠ مترا . ومن المصايف المعروفة التي يقصدها عامة المصطافين بحمدون على بعد ٢٢ كيلومتر من بيروت وعلى ارتفاع ١١٥٠ مترا ، وبرمانا على بعد ١٨ كيلومتر من بيروت وعلى ارتفاع ٨٠٠ متر ، وبشرى على بعد ١٤٥ كيلومتر وعلى ارتفاع ١٥٥٠ مترا وحمانا على بعد ٣٠ كيلومتر من بيروت وعلى ارتفاع ١١٥٠ مترا وزحله على بعد ٥٥ كيلومتر من بيروت وعلى ارتفاع ١٥٠ مترا ، ومن المصايف الشهيرة الأخرى عين زحلتا وفالوغا وميروبا وسوق الغرب .

وفي الصيف يؤم كثير من السياح القرى التي أقيمت فيها فنادق كبيرة عصرية ولا عجب في تدفق الناس صيفًا إلى لبنان من البلدان المجاورة له . فإن هواء شواهق لبنان العليل ، ومياهه العذبة الباردة المتفجرة من قلب الجبل بلسم . وإن رؤية الشمس وهي تبرز من وراء القمم فتلفها بالضياء لا تعادلها رؤية ، وإن منظرها وهي تغرب وكأنها تاج متوهج يختفي وراء أفق البحر المتوسط لا يستطيع الزمن أن ينتزعه من مخيلة المرء الذي يزور لبنان .

وفي لبنان أيضًا نواح أخرى تجذب إليه السائحين : فهناك آثار بعلبك ، الرائعة التي تعد من عجائب الدنيا . وهناك آثار تاريخية أخرى ورد ذكرها في كتب التاريخ مثل فينقيا ومدنها جبيل (بيبلوس) ، وصيدا وصور ، والقلاع المنتشرة على سفوح الجبال ، وقصر بيت الدين الذي شيده الأمير بشير الشهابي الكبير .

ولا يقتصر الدخل من السياحة على ما ينفقه السياح من نقود وعملات أجنبية تسهم إسهامًا كبيرًا في سد العجز في ميزان الدولة التجاري ، بل يتعدى ذلك إلى قطاعات لها أهمية خاصة . فقطاعات النقل والمواصلات والفنادق والمطاعم كلها تستفيد من السياحة والسياح . أضف إلى ذلك شراء السياح لكثير من السلع الوطنية مما يشجع على نمو الحرف

والصنائع المرتبطة بها . وبازياد أعداد السياح تكثر العملات الأجنبية وتتنوع مجالات العمل والخدمات وتزداد فرص العمل وتشغيل العمال .

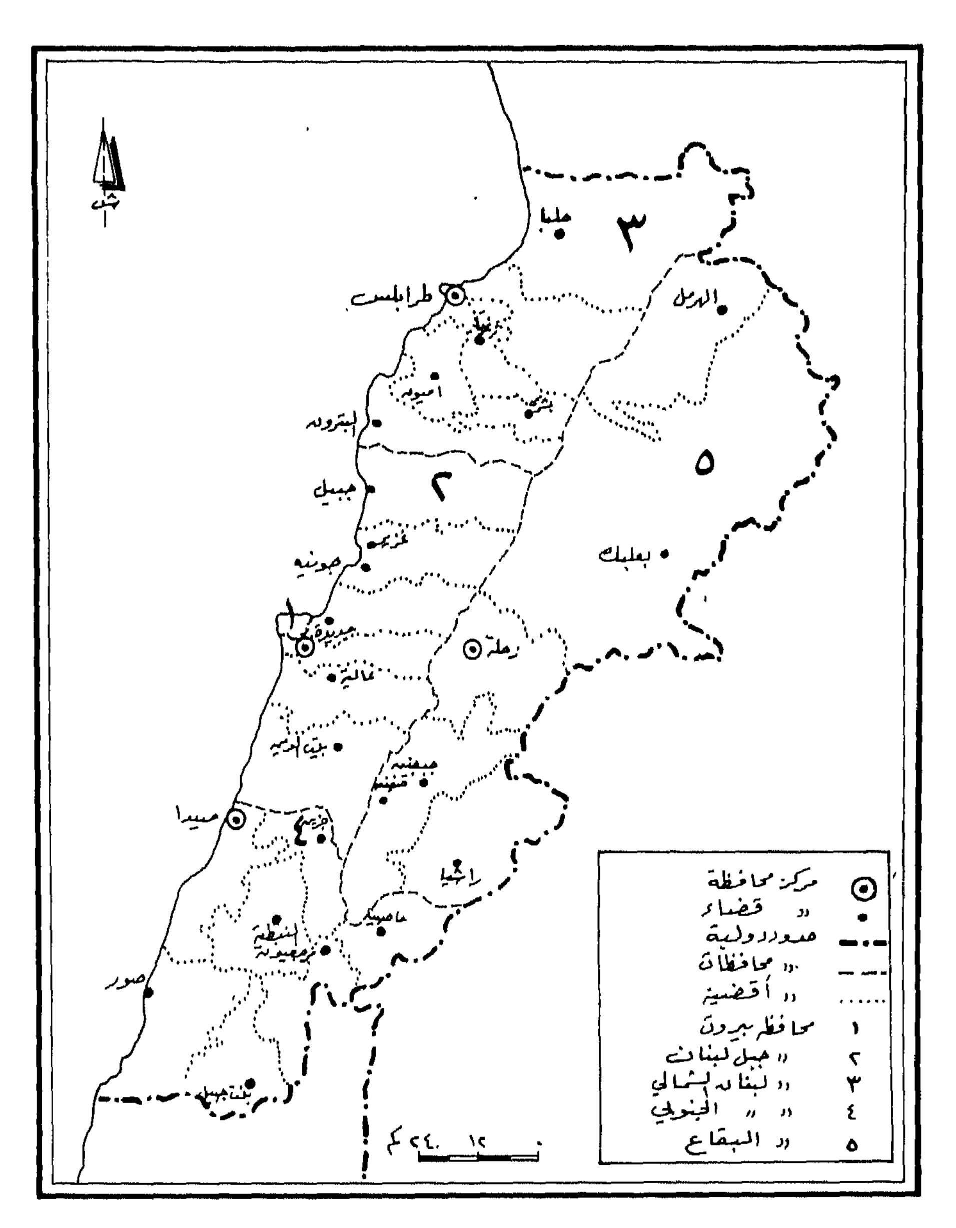
التقسيمات الإدارية ونظام إدارة الأقاليم :

ينقسم لبنان رغم صغر مساحته إلى خمس محافظات . وتنقسم كل محافظة إلى عدد من الوحدات الإدارية أصغر حجمًا ، يسمى كل منها قضاء . ويحتوي الجدول رقم (١٥) على بيان شامل للمحافظات وعواصمها ومساحتها وعدد سكانها ، وكذلك للأقضية ومراكزها وعدد سكانها ، وللقرى التي يتضمنها كل قضاء ، حسب بيانات سنة ١٩٧٠م ، التي لا تختلف كثيرًا عن الوضع السكاني في عام ١٩٧٥م ، حين بلغ تقدير السكان ٢,٩ مليون نسمة ، حسبما ورد في نشرة إحصائية أصدرها المركز الإسلامي للتربية في شباط (فبراير) سنة ١٩٧٧م . (شكل ٢٠) .

جدول رقم (١٥) محافظات وأقضية لبنان

المحافظة	عاصمة المحافظة	سكان المحافظة	القضاء	سكان القضاء	عدد المدن والقرى
بيروت	بيروت	٣٣٠٩٩٥			١
جبل لبنان	بعبدا	٦٧٨٦٨٧	بعبدا	١٢٧٤١٦	٦٨
			المتن	١٦١٨٥٣	١٢٨
			الشوف	١٤٣١٦٨	١٢٠
			عالية	٩٧٠٨٤	٨٦
			كسروان	٨٢٧٧٠	٩٢
			جبيل	٦٦٣٩٦	١١٤
لبنان الشمالي	طرابلس	٥٥١٤٠٩	طرابلس	١٨١٨٠٩	٥٣
			الكورة	٥٥٦٣٥	٤٣
			زغرتا	٦٥٤٧٣	٥٠
			البترون	٥٨٦٥٠	٦٩
			عكار	١٣٩٠٣٣	١٦٩
			بشرى	٥٠٨٠٩	٢٢
لبنان الجنوبي	صيدا	٤٥٨٩٥٨	صيدا	٩٠١٣١	٩٧
			النبطية	٦٨٩٩١	٦١
			صور	٨٣٣٧٤	٦٧
			بنت جبيل	٦٩٩٥٠	٤٠
			مرجعيون	٦١٨٥١	٣١
			حاصبيا	٣٢٢٦٢	١٨
			جزين	٥٢٣٩٩	٩٨
البقاع	زحلة	١١٦٦٤١	زحلة	١١٦٦٤١	٤٥
			البقاع الغربي	٥٧٣١٣	٣٩
			بعلبك	١١٧٣٠٨	٨٠
			الهرمل	٢٣١٨٥	٢٩
			راشيا	٣٢٦٤٥	٢٨
مجموع لبنان		٢١٣٦٦٩٠			١٦٤٨

المصدر : وزارة التصميم العام ، الإحصاء المركزي المجموعة الإحصائية ١٩٧٠ – ١٩٧٥ م .



شكل -٢٠- التقسيمات الإدارية

المصدر: الأطلس الجديد للعالم

خاتمة ونظرة إلى المستقبل

لقد تبين من خلال عرضنا لجغرافية لبنان كيف استطاع هذا العدد الكبير نسبيا من السكان الذي يتوزع توزيعًا غير منتظم فوق أرض متباينة الطبيعة وممزقة السطح ، أن ينهض ويحيا حياة طيبة على مستوى معيشة يفوق مثيله في كثير من أقطار الشرق الأوسط ، فقد بلغ متوسط دخل الفرد بلبنان في عام ١٩٦٩م نحو ٤٨٠ دولارا أمريكيا بينما كان يبلغ في سوريا ١٨٠ دولارا ، وفي الأردن ٢٢٠ دولارا ، وفي تركيا ٢٨٠ دولارا . بل إن الازدهار بلغ شأوه في عام ١٩٧٤م (قبل أحداث ١٩٧٥م) فتضاعف دخل الفرد ووصل إلى نحو ١١٠٠ دولار في السنة ، ووصلت جملة الإنتاج الوطني حوالي ٣٠٠٠ مليون دولار .

وليس بلبنان نفط ، ولا تنتج أرضه خامًا معدنيا ، كما أن صناعاته في نطاق محدود . لكن صادراته من الفواكه مهمة ، خاصة الموالح ، والموز ، والتفاح ، وإن كانت تلقى منافسة من منتوج فلسطين المحتلة . ورغم كثرة سكان الريف ، فإن البلد لا يكتفي ذاتيا في المواد الغذائية الأساسية ، ويستورد القمح .

ويتلقى لبنان مددًا ماليا كبيرًا كل سنة من المهاجرين . وتعتبر حكومة لبنان الدخل الذي يبعث به المهاجرون اللبنانيون إلى أهلهم ، والذى يعادل الدخل الذي يعود به موسم الاصطياف على البلاد ، من الدخول الرئيسة غير المنظورة . ويدخل لبنان الكثير من هبات الدول العربية وغير العربية ، سواء للجهات الرسمية أو للمعاهد الخيرية والدينية والتربوية .

والسياحة في لبنان مصدر دخل على جانب كبير من الأهمية ، خاصة أن كثيرا من الزوار يقضون به فترة طويلة تمتد إلى عدة أسابيع أو شهور . وقد ازداد عدد المصطافين من البلدان العربية المنتجة للنفط ، وهم يقضون الصيف كله في ربوع لبنان .

وتعتبر الجامعات والمعاهد ودور العلم مصدر دخل طيبًا للبنان . أضف إلى هذا الدخل الخارجي من المنظمات الدولية خصوصًا تلك التي تعنى بشؤون اللاجئين الفلسطينيين ، ثم الدخل من شركات البترول نظير مرور النفط العراقي والنفط السعودي في الأنابيب

الذي كان يعبر أراضي لبنان ويستخدم مينائي طرابلس وصيدا .

وتلعب تجارة العبور (الترانسيت) دورًا مهمًا في الاقتصاد القومي اللبناني . وفي خلال الستينات وأوائل السبعينات حتى اندلاع الحرب الأهلية في عام ١٩٧٥م ، كان العائد منها يفوق الدخل الإجمالي من الصادرات عدة مرات . والاتجاهات الرئيسة لهذه التجارة هي إلى الأردن وسوريا والعراق ودول الخليج ، كما توجد علاقات تجارية من هذا النوع مع دول آسيوية أخرى .

وشهرة بيروت التجارية والمالية مصدر دخل مهم للبنان ؛ أسواق مفتوحة وحرية كاملة في التعامل التجاري والمالي من خلال ما يزيد على تسعين مؤسسة مصرفية وميناء حرة .

وابتداء من عام ١٩٦٩م بدأت نذر قلاقل تلوح في الأفق مع ازدياد نشاط عمليات المقاومة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني . ولبنان بما تميز به من شبكة حساسة للاتصالات التجارية والحركة السياحية ، سهل التأثر بالقلاقل والاضطرابات . ومنذ ذلك التاريخ بدأت الثقة العامة في التدهور ، مصحوبة بهروب رؤوس الأموال ، إلى الخارج . وبلغ الوضع الحرج ذروته في عام ١٩٧٥م عقب اندلاع الحرب الأهلية . ولاشك أن لهذه الحرب تأثيراتها السلبية البينة ، مع طول الأمد ، على الوضع الديموجرافي والاقتصادي للبنان .

الهوامـــش

١ - فيليب حتى . لبنان في التاريخ ترجمة أنيس فريحة ، بيروت ، ١٩٥٩م ، ص ص ٣ - ١٣ ، ٧٩ - ١١٠ .

٢ - يوسف مزهر . تاريخ لبنان العام ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ص ٥ - ٢١ .

٣ - فيليب حتى . مرجع سبق ذكره ، ص ص ١٧٢ - ١٨٤ .

4- Nantet, J., Histoire du Liban, Paris, 1963, pp. 19. 37.

٥ - فيليب حتى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٢٨٧ - ٢٩٧ .

٦ - نفس المرجع ، ص ص ٣٤٢ - ٣٧٨ .

Nantet, J., op. cit. pp. 76-83.

٨ - فيليب حتى ، مرجع سبق ذكره ، ص ص ٥٨٨ - ٦٠٦ .

٩ - تعتمد هذه الدراسة على المراجع الآتية :

- Dubertret, L., Apercu de Geographie Physique Sur Le Liban, Beyrouth, Tome IV, 1945. pp. 191-226.

- Valumas. E., Le Liban, Etude de Geographie Physique, I. Texte, Paris, 1954, pp. 17-52.

10- Dubertret, L., op. cit., pp. 7-27.

11- Dubertret, L. & Weulersse, J., Manuel de Geographie de la Syrie et du Prouch Drient, Beyrouth, 1940, pp. 182-186.

- Dubertret, L. op. cit., pp. 191-226.

- Vaumas, E., op. cit., pp 35-39.

12- Dubertret, L., op. cit., pp. 38-40.

13- Sanlaville, p., Etude Geomo phologique De la Region Littorale Du Liban, Beyrouth, 1977, pp. 89-124.

14- Dubertret, L , Sur Lage du volcanisme en Syrie et au Liban. Comp.

15- Caumas, E., op. cit., np. 39-52, Fig. 4,5,6,7,8,9,10.

16- Fisher, W., The Middle East, Seventh Edition, London, 1978, pp 403-415.

17- Valumas, E., op. cit., pp. 108-141.

18- Dubeteret, L., op cit., pp. 105-114.

19- Valumas, E., op. cit., pp 92-98, 194-197.

- Vaumas, E., Sur. La Structure De la Bekea (Liban), camp. Rend. des Sean. d'Acad. de Sciences, Tome 224, 1947, pp. 140-142.

20- Vaumas, E., Le Liban, Etude De Geographie Physique, op. cit. pp. 197-201.

21- Ibid., pp. 217-219.
22- Minister de Travaux Publics et des Transports, Direction de L'aviation Civil, Atlas Climatique Du Liban, Beyrouth, 1967, pp. 9-10.
٢٣ – نسيب محمد خزعل . الجغرافيا المناخية للبنان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٢م .
24- Guy Blanchet, Nouveaux Apercus sur le Climat du Liban, Hannon, Tome I, 1966, pp. 9-13.
25- Combier, Ch., Climatologie de las Syrie et du Liban, Revue de la Geographie Physique, Paris, 1933. Tome VI, Fase 4. pp. 339-346.
26- Baldy, Ch., Contribution a L'etude Climatique de Liban, Rev. 1939, Tome 34. pp. 57-73.
27- Farah,. A., Analys Statislique de precipitations de Pluie au Liban, Dir. Gen. de la Stat. Min. du Plan, Beyrouth, 1969.
28- Valumas, E. op. cit., pp 228-233.
29- Ibid., pp. 234-258.
30- Yaranov, V., Ressourses Hydrliques du Liban par Images: Land and Water Development m Beyrouth, 1973, p. 7.
– الجمهورية اللبنانية ، مديرية الإحصاء المركزي : المجموعة الإحصائية اللبنانية ، العدد السادس لعام ١٩٧٠م .
31- Guerre, A., Etude Hydrologique Preliminaire des Karts Libanais, Hannen, Tome IV, 1969, pp. 63-92.
32- Karkabi, S. Apercu Generale sur la Grotte de Jiita, Hannon, Tome II, 1969, pp. 83-88.
33- Besancon, J., Note sur L8 Hydrologie du Yammoune, Mediterranee, No. 2, Qvril, 1969, pp. 147-163.
34- Kareh, R., Les Sources sous Marine de Chekka, Hannon, Tome II, 1967, pp. 35-59.
٣٥ – ندوة الدراسات الإنمائية ، إنماء محافظة البقاع ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ص ١٣٤ وما بعدها .
– محمد فواز ، سياسة لبنان المائية ، بيروت ، ١٩٦٩م .
36- Geze, B., Carte de Reconnaissance des Sols du Liban au 1:200000 Min, de L'Agr. Byrouth, 1956, p. 27.
37- F.A.O., (U.N.), Enauete pedologiaue et programmes d'irrigation connexes Liban, Tome, II, 1969, pp. 183-186.
38- Valumas, E., op. cit., pp. 258-301.
٣٩ – وزارة التصميم العام ، مديرية الإحصاء المركزي : المجموعة الإحصائية اللبنانية لعام ١٩٧٣م .

40- Baltax, R., Forest Type Map of Libanon, U.N.D.P., F.A.O., Carte a 1:20000
41- Vaumas, E., La Repartision de la population du Liban: Introdution a la Geographie Humaine de la Republique Libanaise, Bull. Soc. Geog. d'Egypte XXVI, 1953. pp. 5-75.

٤٢ – وزارة التصميم العام ، مديرية الإحصاء المركزي : المجموعة الإحصائية اللبنانية لعام ١٩٦٣م ص ٢٣ .

43- I.R.F.D. (1960-1961), Besoins et possibilites du Development, Min. du PI., Beyrouth, pp. 94-96.
- Lebret, R.P., Le Liban: Face d son Development, Beyrouth, Ministere du Plan., 1961, pp. 235-237.

٤٤ – تعتمد هذه الدراسة على مرجعين أساسيين هما :
– فتحي محمد أبو عيانة ، جغرافية مدينة بيروت ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

- Chahab El Dine, S., Geographie Humaine de Beyrouth, 1970.

٤٥ – مكتب الفاكهة اللبناني ، الاقتصاد الزراعي : نشرة اقتصادية شهرية ، سنوات مختلفة .
٤٦ – وزارة التصميم العام ، المجموعة الإحصائية اللبنانية لعام ١٩٧٥م ، صفحات مختلفة .

47- Sanlaville, p., Les Regions Agricoles du Liban, Revue de Gographie de Lyon, Tome 38, No. I, 1963, pp. 47-90.
48- Ibid., pp. 25-31.
49- Ibid.
50- Ibid.
51- Ibid.
52- Ibid.

٥٣ – صلاح حلواني . مشروع استثمار نهر الليطاني ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ص ١٠ – ١٤ .
٥٤ – محمد فواز . سياسة لبنان المائية ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ص ١٧ – ٢٣ .

55- F.A.O., Etude Hydrogelogique de la plaine d'AKKAR, Min. de Ress. Hydr. et Elctr., Byrouth, 1970, pp. 12-15.
56- F.A.O., Project d'Irrigation de Koura-Zgharta. Min. de Ress. Hydro. et. Elect., Beyrouth, 1972, pp. 25-30.

٥٧ – وزارة الزراعة : التقرير السنوي عن أعمال إدارة المشروع الأخضر ، لسنوات ١٩٧٠ – ١٩٧٥م .
٥٨ – وزارة التصميم ، المجموعة الإحصائية اللبنانية لعام ١٩٧٥م .

59- Sanlaville, p., L'Electricite au Liban, Revue Geog. Lyon, Tome 40, 1965, pp 367-369.

٦٠ – مصطفى الفصولي . نحو غد أفضل للصناعة اللبنانية ، وزارة التصميم العام ، بيروت ، ١٩٧٥م ص ص ١٧ – ٢١ .

٦١ – وفيق غندور . الأهداف الرئيسة للتخطيط الصناعي في لبنان ، مجلة الصناعة ، النسخة الأولى ، ١٩٦٧م . ص ٣٠ وما بعدها .

٦٢ – المجموعة الإحصائية اللبنانية لأعوام ١٩٦٢ – ١٩٧٤م .

63- Edde, J., Manuel de Geographie, Liban, Beyrouth, 1968, pp. 125-127.

٦٤ – المجموعة الإحصائية اللبنانية لعام ١٩٧٥م .

٦٥ – وزارة التصميم العام ، إحصاءات التجارة الخارجية في لبنان لأعوام ١٩٧٠ – ١٩٧٥م .

٦٦ – المجموعة الإحصائية اللبنانية لأعوام ١٩٧٠ – ١٩٧٥م .

المراجع والمصادر

أولًا : باللغة العربية :

– إبراهيم عبد العزيز شيحا (١٩٨٢) : النظام الدستوري اللبناني ، بيروت .

– السيد عبد العزيز سالم (١٩٧٠) : دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي جامعة بيروت العربية ، بيروت .

– برهان الدجاني (١٩٦٧) : العلاقات الاقتصادية بين لبنان والبلدان العربية مجلة الصناعة ، السنة الأولى ، العدد تموز ١٩٦٧ ، بيروت .

– جعفر شرف الدين (١٩٧١) : الوضع المائي في لبنان . وزارة الموارد المائية والكهرباء ، بيروت .

– حسن سيد أحمد (١٩٦٧) : الأهداف الرئيسة للتخطيط الصناعي في لبنان . مجلة الصناعة ، السنة الأولى ، العدد ٣ ، ٤ آب ١٩٦٧ م . بيروت .

– رياض طبارة (١٩٧٧) : السكان والتنمية في لبنان . النشرة السكانية للجنة الاقتصادية لغربي آسيا ، العدد ١٢ . بيروت .

– صلاح الدين حلواني (١٩٦٩) : مشروع استثمار الليطاني ، بيروت .

– عبد الأمير قطيش (١٩٧٨) : موارد المياه في لبنان دورها في الإنماء الزراعي . رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب ، جامعة الإسكندرية (غير منشورة) .

– عبد الفتاح محمد وهيبة (١٩٦٦) : مدخل إلى : جغرافية لبنان . منشورات جامعة بيروت العربية ، لبنان .

– عمر عبد العزيز عمر (١٩٨٤) : دراسات في تاريخ العرب المعاصر . تاريخ لبنان الحديث . بيروت .

– فتحي محمد أبو عيانة (١٩٧٨) : جغرافية مدينة بيروت . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة .

– فيليب حتى (١٩٥٦) : لبنان في التاريخ . ترجمة أنيس فريحة . بيروت .

– محمد فواز (١٩٦٨) : نهر الليطاني والخطة اللبنانية لاستثماره . بيروت .
– محمد فواز (١٩٦٩) : سياسة لبنان المائية ، بيروت .
– المركز الإسلامي للتربية (١٩٧٧) : سكان لبنان ١٩٧٥ – ٢٠٠٠ دراسة إحصائية . بيروت .
– مصطفي الفصولي (١٩٧٥ م) : نحو غد أفضل للصناعة اللبنانية . وزارة التصميم العام . بيروت .
– ميشيل غريب (١٩٦٤) : الطائفية والإقطاعية في لبنان . بيروت .
– وزارة التصميم العام (١٩٧٢) : خطة التنمية السداسية ١٩٧٢ – ١٩٧٧ م . بيروت .
– يوسف مزهر (١٩٦٤) : تاريخ لبنان العام . الجزء الثاني . بيروت .

ثانيًا : باللغات الأجنبية :

- Abu-Izzeddin, H. S. (Ed.) (1963): Lebanon and its provinces, Beirut.
- Alem, Jean-Pierre (1963): Le Leban, Que Sais- Je? No. 1081, Paris.
- Asfour, G.Y. (1965): Industrial evelopment in Lebanon. Middle East Economic Papers, American University of Beirut, Beirut, pp. 1-16.
- Asseily. A.E. (1967): Control Banking in Lebanon. Beirut.
- Beaumort, p. and Others. (1977): The Middle East, A Georgraphical Study. London.
- Chehabe- ed- Dine, S. (1960): Geographie humain de Beyrouth, Beirut.
- Clarke, J. I. and Fisher, W.B. (Editors) (1972): Populations of the Middle East and North Africa, A Geographical Aproach, London.
- Courbage, Y. (1973-1974): La Situation demographique au Liban. Tom. 1et2, Universite Libanaise, Beirut.
- Crow, R. E. (1962): Religious sectarianism in the Lebanese political system, Journal of Politics, 24, pp. 489-520.
- Elbadry, M.A. (1965) : Trends inthe Components of Population growth.
in the Arab countries of the Middle East. emography, 2, pp 140-186.
- Fisher, W.B. (1977): The Middle East. Seventh Edition, London.
- Gulick, J. (1967): Tripoli: A Modern Arab City.
Harvard Middle Eastern studies 12, Cambridge, Mass.
- I.R.F.D. (1960-1961): Besoins et Possibilites de Developpment du Liban. Tom I, II, III. Ministere du Plan, Beyrouth.
- Issawi, C. (1964): Economic development and Liberalism in Lebanon, Middle East Journal, 18, pp. 279-292.
- Jones, D.R.W. (1963): Apple production in the Lebanon.....
Econ. Geogr. 39, pp. 245-257.
- Khalaf, S. and Kongstad, p. (1973): Hamra of Beirut. A case of rapid urbanization. Leiden.
- Khuri, F.I. (1969): The changing class structure in Lebanon.
Middle East Journal, 23, pp. 29-44.

- Khuri, F.I. (1975): From Village to suburb: Order and change in greater Beirut. University of Press, Chicago
- Lewis, N.N. (1963): Lebanon: The Mountain and its terraces. Geogrl Rev. 43, pp. 1-14.
- Marthelot p. (1963): L'expansion recente de la ville de Beyrouth, Bull. Ass. Geogr. Fr. pp 74-84.
- Mikesell, M.W. (1969): The deforestation of Mount Lebanon. Geogrl. Rev., 59, pp. 1-28.
- Qwin. R.et al. (1976): Essays on the crisis in Lebanon. Occasional paper Nol 1. Iondon.
- Persen, W. (1968): Lebanese economic development since 1950. Middle East Journal, 12, pp. 277-728.
- Safa, E. (1960): L'Emigration Libanese. Universite Saint-Joseph, Beirut.
- Salem, E.A. (1973): Modernization without revolution: Lebanon's experience. Indiana University Press. Bloomingen.
- Salibi, K.S. (1965): The Modern History of Lebanon New York and London.
- Sanlaville, p. (1963): Les regions agricoles du Liban. Revue Geogr. Lyon. 38, pp. 47-90.
- Sanlaville, p. (1963): L'electricite au Liban. Revue Geogr. Lyon 40. pp 367-369.
- Suleiman, M.W. (1967): The role of political parties in a confessional democracy: The Lebanese case. Western Political Qtly., 20. pp. 682-693.
- Tabbarah, R. (1977): Population and Development in Lebanon. Population Bulltin of ECWA. No. 12. January 1977. Beirut.
- Vaumas, E.de (1948): Les conditions naturelles de L'occupation humaine au Iiban. Annels. Geogr. 57, pp. 40-49.
- Vaumas, E. ed (1953): La repartition de la population au Liban, Bull. Sac. Geogr. Egypte 26. pp. 5-76.

-Vaumas, E. de (1954): Le Liban (Montagne Libanese, Bekaa, Anti-Liban Herman, Haute. Gaililee Libanese). Etude de geographie phisique Paris.
- Vaumas, E. de (1955): Le repartition confessionelle au Liban et L'equilib de L'etat Libanais. Revue Geogr. alp., 43. pp. 511-604.
- Wirth, E. (1966): Damaskus-Aleppo-Beirut: Ein geographischer Vergle Wirtschaftlich..... Erde, 97. pp. 137, 166-202.
- Wofast, R. (1967): Geologie van Syria und der Lebanon. Berlin.

« فهرس الجداول »

فهـــرس الأشكال

ملحـــق إحصـــائي

« الجمهورية اللبنانية »

١ - **المساحة :**	١٠٤٠٠ كلم[٢] .
٢ - **السكان في (١٩٩١) :**	
- حجم السكان .	٣٣٨٤٦٢٦ نسمة .
- معدل نمو السكان .	١,٤٪ .
- معدل المواليد .	٢٨ في الألف .
- معدل الوفيات .	٧ في الألف .
- معدل صافي الهجرة (من لبنان) .	٧ فى الألف .
- معدل وفيات الرضع .	٤٨ في الألف .
- توقع الحياة عند الولادة .	٦٦ عامًا للذكور و ٧١ عامًا للإناث .
- معدل خصوبة الإناث .	٣,٦ أطفال للأنثى خلال حياتها .
- التركيب العرقي .	٩٥٪ عربًا ، ٤٪ أرمن ، و١٪ جنسيات أخرى .
- الوضع التعليمي .	٨٠٪ من السكان يقرؤون ويكتبون .
- اللغة الرسمية	العربية ، الفرنسية .
٣ - **القوة العاملة (١٩٨٥ م) :**	
- إجمالي القوة العاملة .	٦٥٠,٠٠٠ عامل .
- القوة العاملة في قطاع الصناعة والتجارة والخدمات .	٧٩٪
- القوة العاملة في قطاع الزراعة .	١١٪
- القوة العاملة لدى الحكومة .	١٪

٤ - **المدن الرئيسة :**

المدينة	**السكان عام ١٩٨٨ (بالألف نسمة)**
- بيروت (العاصمة) .	١٥٠٠
- طرابلس .	١٦٠

- زحلة . ٤٥
- صيدا . ٣٨
- صور . ١٤

٥ - نسبة سكان الحضر إلى سكان الدولة (١٩٨٩م):

(درجة التحضر) . ٨٢,١٪

٦ - معدل نمو سكان الحضر (١٩٨٩م) : ٤,٨٪ سنويًّا

٧ - الموارد الطبيعية :

خام الحديد ، الملح ، المياه .

٨ - مشكلات البيئة الطبيعية :

السطح المضرس ، انحسار الغابات ، التعرية ، تلوث الهواء والماء ، التصحر .

٩ - استخدامات الأرض (١٩٩١م) :

- الأراضي الصالحة للزراعة . ٢١٪
- الأراضي المزروعة فعلًا . ٩١٪
- الأراضي الخضراء والمراعي . ١٪
- الغابات والأشجار المنتجة للأخشاب . ٨٪
- استخدامات أخرى . ٦١٪
- إجمالي الاستخدامات . ١٠٠٪

١٠ - صافي الناتج المحلي (GDP) في (١٩٩٠م):

- صافي الناتج المحلي . ٣,٣ بليون دولار أمريكي .
- إسهام الزراعة في صافي الناتج المحلي . ٣٣,٣٪
- إسهام الصناعة في صافي الناتج المحلي . (غير مبين)

١١ - متوسط دخل الفرد السنوي (١٩٩٠م) : ١٠٠٠ دولار أمريكي .

١٢ - معدل التضخم السنوي (١٩٩٠م) : ١٠٠٪

١٣ - إنتاج المحصولات الرئيسة : (بآلاف الأطنان المترية) في (١٩٨٨م) :

- القمح . ١٩
- البطاطس . ٢١٠
- البصل . ٢٩

– البرتقال .	٢٤٨
– الموالح الأخرى .	٢٦٥
– الطماطم .	١٣٢

١٤ – الثروة الحيوانية بآلاف الرؤوس في (١٩٨٨ م):

– الماعز .	٤٧٠
– الأغنام .	١٤١
– الأبقار .	٥٢
– الحمير .	١١
– حيوانات أخرى .	٢٢

١٥ – صيد الأسماك بآلاف الأطنان المترية في (١٩٨٧ م) :

– أسماك المياه العذبة .	٠,١
– أسماك بحرية (البحر المتوسط) .	١,٧
– الإجمالي .	١,٨

١٦ – المعادن الرئيسة بآلاف الأطنان المترية في (١٩٨٧م):

– الملح (قبل التكرير) .	٥

١٧ – أهم المنتجات الصناعية بآلاف الأطنان المترية (مالم يذكر غير ذلك) في (١٩٨٧م) :

– الأسمنت .	٩٠٧
– لب الورق (بآلاف الأمتار المكعبة) .	٣٤
– الورق .	٤٢
– الكهرباء (مليون كيلواط ساعة) .	٤٦٠٠
– زيت الوقود .	٧١٠
– الكيروسين .	٣٠
– زيوت العربات .	٣١٠

١٨ – الصادرات الرئيسة (١٩٩٠م) :

– المنتجات الزراعية ، الكيماويات ، المنسوجات ، المعادن .

١٩ – الواردات الرئيسة (١٩٩٠م) :

المنتجات البترولية ، اللحوم ، السيارات والمعدات الصناعية .

٢٠ – النقل والمواصلات (١٩٩٠م) :

– أطوال السكك الحديدية .	٣٧٨ (كلم)
– أطوال الطرق السريعة .	٧٣٧٠ (كلم)
– أطوال أنابيب النفط .	٧٢ (كلم)
– عدد وحدات النقل البحري .	٦٠
– عدد الطائرات المدنية .	١٥
– عدد المطارات المدنية .	٩
– عدد الهواتف .	٣٢٥,٠٠٠

– أهم الموانئ :

بيروت ، وطرابلس ، وجونية ، وصيدا والزهراني .

المراجع والمصادر

١ – الآفاق العالمية المتحدة ، (١٩٩١) المعلومات ، ط ١ . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي .

٢ – صندوق النقد العربي ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، (١٩٩٠) : التقرير الاقتصادي العربي الموحد .

3 - The Middle East and North Africa, (1991): 37 th Edition, London: Europa Publications Ltd.

4- The World Factbook, (1991): Central Intelligence Agency. Washington, DC.

5 - The World Bank, (1990): Social Indicators of Development, London: The John Hopkins University Press.

6 - Department of International Economic and Social Affaurs of the U.N., (1990): World Population Charter, New York.

7 - Brian, Hunter: The Statesman's Year Book- Statistical and Historical Annual of the States of the World for the Year 1992-1993.

الجمهورية العربية السورية

الدكتور محمد عبد الحميد الحمادي

المحتويات

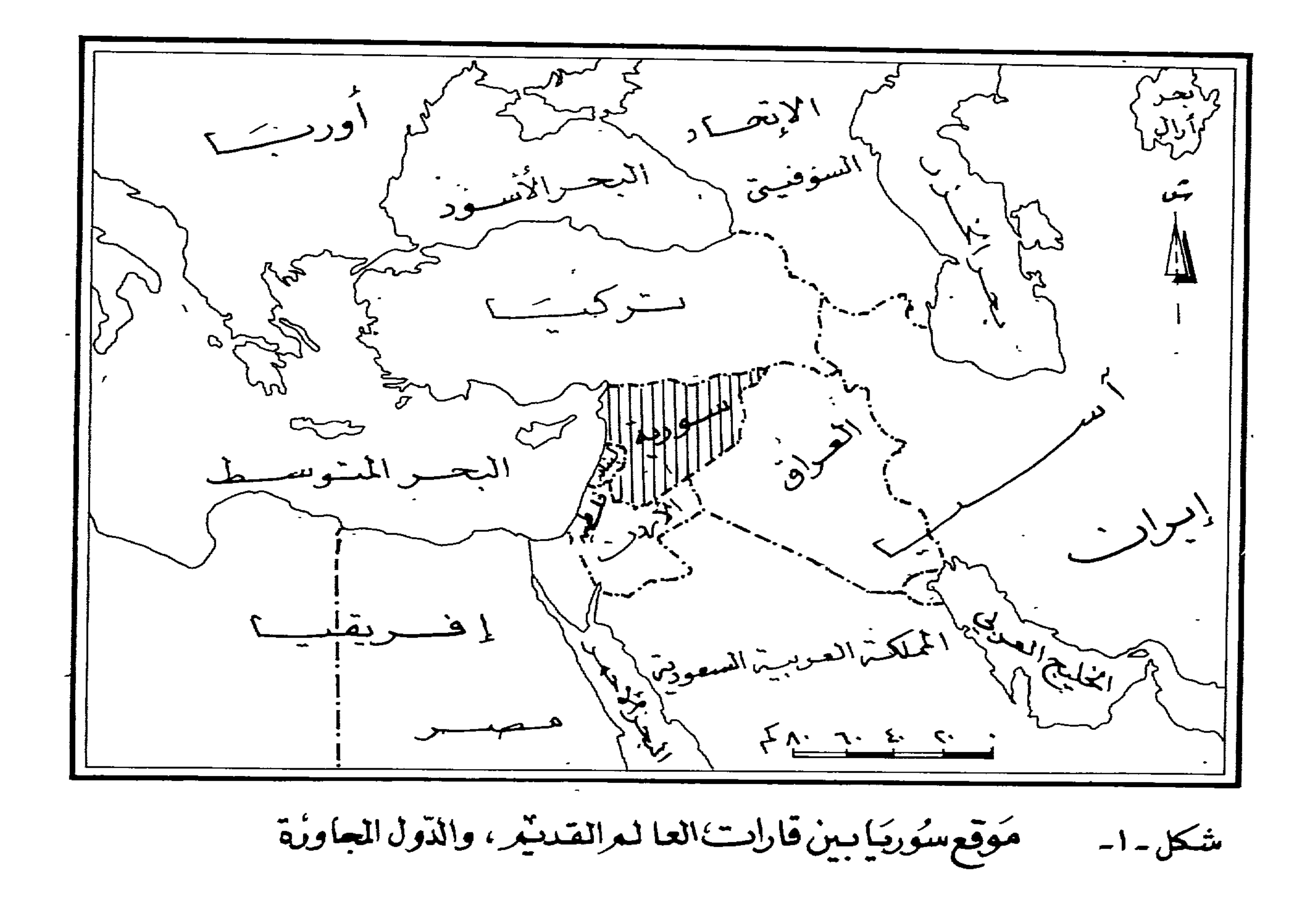
الموقع وأهميته

تقع سوريا في الجزء الجنوبي الغربي من قارة آسيا ، حيث تشرف على الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط محتلة مركزا وسطا عند التقاء قارات العالم القديم . آسيا وإفريقية وأوروبا.وتجاورها تركيا في الشمال والعراق في الشرق والأردن وفلسطين في الجنوب ولبنان في الغرب (شكل ١) .

وهي واقعة في نطاق المنطقة المعتدلة الدافئة من نصف الكرة الشمالي ، إذ تمتد شمالا حتى خط عرض (٢٠َ ٣٧°) ، وجنوبا حتى خط عرض (١٩َ ٣٢°) شمال خط الاستواء . أما امتدادها بين الشرق والغرب فيحده خطا الطول (٤٣َ ٣٥°) و (٢٥ ٤٢°) شرقي خط غرنتش .

ولقد تغيرت أهمية موقع سوريا الجغرافي بين قارات العالم حسب الظروف التاريخية والبشرية والاقتصادية . فسوريا واقعة في قلب بقعة كانت موطن الحضارات الإنسانية الأولى . فهي في منتصف الطريق بين حضارات بلاد الرافدين ووادي النيل واليونان ، وصلة الوصل بين شعوب المناطق السهبية والصحراوية في شبه الجزيرة العربية جنوبا ، وبين شعوب جبال طوروس وأرمينيا وكردستان وهضبة الأناضول في الشمال . ولقد التقت في سوريا حضارات شعوب المنطقة وخيرات الشعوب المختلفة من الشرق والغرب والشمال والجنوب ، مما أغنى الحضارة المحلية وزاد أهميتها .

وتتجلى أهمية موقع سوريا الجغرافي في مجال النقل والمواصلات بين قارات العالم القديم الثلاث ، حيث كانت سوريا جسرا لأهم طرق التجارة وطرق الاتصال بين أوربا والشرق ، ولا زالت تمثل عقدة مواصلات دولية مهمة رغم تطور وسائل النقل والاتصال ؛ ففيها كانت تتقاطع وتلتقي في الماضي والحاضر طرق التجارة والنقل البرية الشمالية – الجنوبية ، مع مثيلاتها طرق النقل والتجارة الشرقية – الغربية .



شكل -١- موقع سوريا بين قارات العالم القديم، والدول المجاورة

وعبر طرق ومسالك القوافل القديمة كانت تنتقل بضائع آسيا الشرقية والوسطى باتجاه الغرب ، لتنتهي في مراكز تجارية أقيمت على طول الطريق التجارية البرية الجنوبية الشمالية ، أو على طول الساحل السوري في الغرب ، كذلك كانت الطريق القادمة من شبه الجزيرة العربية ، ومن شمال شرقي أفريقية ، تخترق السهوب والصحاري حتى تصل إلى سوريا ، أو تتابع سيرها شمالا إلى آسيا الصغرى . كذلك فإن موقع سوريا على الساحل الشرقي لأنشط البحار الداخلية من حيث النقل والتجارة ، بسبب وقوعه بين قارات العالم القديم ، جعل منها بداية ونهاية لطرق بحرية تربط بين مختلف موانى البحر المتوسط .

ولقد استغلت سوريا موقعها الجغرافي أحسن استغلال ، حتى أصبح أهلها تُجارا من الطراز الأول منذ عهد الفينيقيين إلى العهد الإسلامي ، ثم في العهد العثماني وإلى وقتنا الحاضر .

ولكن عرفت سوريا ، خلال تاريخها الطويل ، حدثين مهمين أضعفا أهميتها بوصفها طريقا للنقل والمبادلات التجارية ، وهما اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بين آسيا الجنوبية والجنوبية الشرقية من جهة . أوروبا من جهة أخرى ، وافتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م ، إذ أثر هذان الحدثان بشكل كبير على النشاط التجاري والمواصلات البرية بين الخليج العربي والمحيط الهندي من جهة . والبحر المتوسط من جهة أخرى .

ولكن موقع سوريا استعاد بعض أهميته تدريجيا بعد مد السكة الحديدية الواصلة بين العراق وآسيا الصغرى فأوروبا عن طريق شمالي سوريا . ومما ساعد على استعادة سوريا لأهمية موقعها ، الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، وإغلاق قناة السويس في الفترة بين حربي ١٣٨٧ - ١٣٩٣هـ / ١٩٦٧م و ١٩٧٣م بين مصر وسوريا من ناحية وإسرائيل من ناحية ثانية . كذلك فإن احتلال فلسطين قطع الطريق بين الأردن والبحر المتوسط كما أوقف تدفق النفط العراقي إلى حيفا ، مما اضطر طرق التجارة الأردنية والعراقية إلى التحول إلى سوريا والمرور عبرها .

ومع تطور وسائل النقل البحرية وتزايد أهميتها أصبحت خطوط التجارة الكبرى بين أوروبا وآسيا الجنوبية الشرقية لا تعتمد على النقل البري ، بل أصبحت في معظمها بحرية تستخدم سفن الشحن الضخمة ، مما أفقد سوريا أهميتها بالنسبة للتجارة العالمية وخطوط مواصلاتها الرئيسة الكبرى .

وبالمقابل أخذ موقع سوريا يزداد أهمية على النطاق المحلي ، وخاصة في مجال الاتصال والتجارة بين البحر المتوسط ودول شبه الجزيرة العربية وبعض دول المنطقة الأخرى . فجميع خطوط المواصلات البرية بشتى أنواعها ، القادمة من شبه الجزيرة العربية وإيران والأردن وتركيا تنتهي إلى الموانى والمدن السورية أو تمر عبرها (وخاصة عندما كانت قناة السويس مغلقة) . وقد تزايدت أهمية النقل بالسيارات بين أقطار الخليج العربي والعراق بعد إتمام رصف الطرق الصحراوية الحديثة التي تصل بين بغداد ودمشق في عام ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م ولنفس السبب أعيد تجديد طريق دمشق – حلب ، ثم طريق حمص – طرطوس ليصبحا مزدوجين ، بغرض زيادة كفاءتهما للنقل بين الشمال والجنوب ، والداخل والساحل . مع تطور الجزء الأكبر من الطريق الحيوية بين الأردن ودمشق وجعلها مزدوجة .

و لم يقتصر التطوير على النقل بالسيارات فقط ، بل تعداها إلى تحسين وبناء كل ما يرتبط أو يتمم وظيفة سوريا باعتبارها عقدة مواصلات مهمة في المنطقة ، وكل ما من شأنه أن يزيد أهمية موقعها الجغرافي ، حيث تم توسيع وتحديث ميناء اللاذقية على البحر المتوسط ، وأنشئ على الساحل الجنوبي ميناء طرطوس الجديد ، وكل منهما يتصل بالداخل السوري بطرق السيارات ، كما تم ربطهما بالدول المجاروة والعالم الخارجي بواسطة شبكة من السكك الحديدية العريضة ، إضافة إلى الخط الحديدي الحجازي الذي يصل بين الموانى اللبنانية والأردن مارا بدمشق ومناطق سوريا الجنوبية ويرتبط بالشمال السوري عن طريق اتصاله بخط حديد طرابلس حمص ، الذي يمتد شمالا حتى حلب وتركيا وأوروبا وشرقا حتى العراق .

دخول الإسلام سوريا

دخول الإسلام سوريا :

كانت سوريا وبلاد الرافدين تحت الاحتلال الروماني والفارسي ، حينما بعث الرسول العظيم محمد ﷺ وجاهد في سبيل نشر دعوة الحق لإنقاذ البشرية من الكفر والضلال والفوضى الاجتماعية ، وبعد أن دانت شبه الجزيرة العربية بالإسلام ، وقويت شوكة المسلمين ، بادر الخليفة الأول أبو بكر الصديق بإنفاذ أسامة بن زيد على رأس أول جيش مسلم قاصدا بلاد الشام وناوش جيوش الروم .

ولما فرغ الخليفة أبو بكر الصديق من حروب الردة وجه جيوش الإسلام نحو الشمال . وقد جعل عمرو بن العاص على رأس أحد هذه الجيوش ووجهته فلسطين ، وشرحبيل بن حسنة على رأس جيش آخر ووجهته الأردن ، كما أمر يزيد بن أبي سفيان على جيش ثالث وكانت وجهته دمشق .

وقد اشتبكت الجيوش الإسلامية مع جيوش الروم في معارك متعددة ، اختبر فيها المسلمون قوة عدوهم ، وقد كتب عمرو بن العاص إلى أبي بكر يعلمه بكثرة عدد العدو وعدته وسعة أرضه . فكتب أبو بكر الصديق إلى خالد بن الوليد المخزومي وهو بالعراق ، يحارب الفرس ، يأمره بالسير إلى الشام لنجدة الجيوش الإسلامية فيها .

ومع وصول خالد إلى جبهة القتال في الشام بدأت مرحلة جديدة في تطور الفتح الإسلامي ، فقد وحد جيوش المسلمين تحت إمرته ، وطور نظام التعبئة .

وكانت بداية انتصارات المسلمين في هذه المرحلة هي مصالحة مدينة بصري الشام ، عاصمة الدولة الغسانية ، على الجزية ، فكانت أول ما فتح من مدن سوريا في خلافة أبي بكر ، ثم تقدم المسلمون نحو دمشق وهزموا الروم في طريقهم إليها في معركة مرج الصفر ، على بعد ٣٠ كم جنوب دمشق ، وقد حاصر المسلمون دمشق ستة أشهر ، ثم

استسلمت بعد ذلك في عام ١٤هـ / ٦٣٥م . وفي صيف عام ١٥هـ / ٦٣٦م نشبت المعركة الكبرى بين الروم والمسلمين وهي معركة اليرموك . وعلى الرغم من أن جيش الروم كان ضعف عدد جيش المسلمين فقد استطاع المسلمون أن يحققوا نصرا حاسما على عدوهم وأن يهزموه شر هزيمة[1] .

وكان هذا النصر المؤزر فاتحة لانتصارات عديدة تالية في سوريا ؛ إذ تقدم المسلمون إلى مدينة حمص ثم حماة ، وتم بعد ذلك فتح سائر المدن الأخرى في أواسط سوريا بسهولة ، أما مدينة حلب فقد فتحت عام ١٦هـ / ٦٣٧م ، وتوجهت بعدها الجيوش الإسلامية نحو الشرق لفتح مدن الجزيرة ، وتم للمسلمين ذلك بسهولة ، وقد حقق فتحها الاتصال بين العراق في الشرق وبلاد الشام في الغرب .

وفي عام ٤١هـ / ٦٦١م أصبحت سوريا مركز العالم الإسلامي ومنطلق فتوحاته وقوته ، بعد أن أصبح معاوية بن أبي سفيان خليفة للمسلمين ، ونقل مقر الخلافة من المدينة المنورة إلى دمشق (عاصمة سوريا) . وهكذا أصبحت دمشق عاصمة الدولة الأموية التي استمرت حتى عام ١٣٢هـ / ٧٤٩م .

في عهد الدولة الأموية ، ومن مدينة دمشق عاصمة المسلمين خلال فترة تقارب المائة عام ، انطلقت جحافل الإيمان في كل الاتجاهات لتدك حصون الشرك ، وتزرع رايات الإيمان والتوحيد حتى وصلت حدود الدولة الإسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك ، الصين شرقا وفرنسا غربا .

ولقد عاشت سوريا خلال فترة الخلافة الأموية أزهى عصورها التاريخية وقدمت للإسلام وللبشرية كل أسباب المنعة والنصر والخير والتقدم .

وفي عام ١٣٢هـ / ٧٤٩م ، غُلب آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد في ساحة القتال أمام جيوش الدعوة العباسية بقيادة أبي مسلم الخراساني . وقامت الدولة العباسية ، فجعلت من بغداد (دار السلام) في أواسط العراق عاصمة لها . وهكذا انتقل الثقل

السياسي والعلمي والديني والاقتصادي من دمشق وسوريا إلى بغداد والعراق في الشرق .

وبعد ذلك بوقت طويل حكم سوريا آل زنكي الذين امتد حكمهم على سوريا والعراق ، ثم أعقبهم الأيوبيون في عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م . وقد قامت سوريا بدور عظيم في مجاهدة الصليبيين الذين استطاعوا احتلال سواحلها ، في وقت ضعف فيه المسلمون وكثرت خلافاتهم . وبواسطة حكم الأيوبيين في مصر والشام توحدت الجهود الإسلامية ، وقويت شوكة المسلمين وتم تحقيق الانتصارات العديدة على الصليبيين ، وتحرير الكثير من المدن والثغور الإسلامية . كذلك اتحدت جهود المسلمين في كل من مصر والشام في مواجهة الغزو المغولي ، وتم كسر شوكة التتار في موقعة عين جالوت ، التي كانت الحد الذي تراجع عنده الغزو المغولي ، بل دخل المغول في الإسلام وأسسوا دولة لهم في سوريا كانت عاصمتها دمشق في عهد تيمورلنك . ومنذ عام ٥٦٨هـ / ١١٧٢م أصبحت سوريا جزءا من دولة المماليك التي كان لها شرف الدفاع عن الإسلام ، وإيقاف زحف التتار من الشرق ورد كيد الصليبيين من الغرب وطردهم من بلاد المسلمين نهائيا .

وقد انتهت دولة المماليك الشراكسة عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م بعد أن تغلب العثمانيون على جيشها في موقعه مرج دابق قرب حلب ، ليبدأ تاريخ جديد في سوريا ، بعد أن قامت الدولة العثمانية ، ونقلت مركز الخلافة من مصر إلى إسطنبول .

ولقد استطاع العثمانيون ، في بادئ الأمر ، أن يعيدوا للدولة الإسلامية وحدتها وشبابها ، وحملوا راية الإسلام إلى أواسط أوروبا ، بعد أن فتحوا القسطنطينية ، التي استعصت على الجيوش الإسلامية حقبة طويلة خلال العصور السابقة . وما لبث أن تسرب الوهن إلى جسم الدولة العثمانية وطمع فيها الغرب ، فتتالت حملاته على بلاد المسلمين ، واحتل كثيرا من بقاعها في إفريقيا وأوروبا .

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى وانكسار الجيوش العثمانية يبدأ تاريخ سوريا المعاصر بكل ما فيه من تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية .

نشأة الجمهورية العربية السورية الحديثة

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، انتظر عرب المشرق من الحلفاء المنتصرين تنفيذ وعودهم لهم بالحرية والاستقلال في ظل دولة المشرق العربي .

ولم يف الحلفاء بوعودهم للعرب ، بل انكشف تآمرهم من خلال فضح اتفاقية سرية حيكت خيوطها بين الدول الثلاث : بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية عام ١٣٣٥ هـ - ١٩١٦م اشتهرت باسم معاهدة سايكس - بيكو ، بعد أن انسحبت منها روسيا بعد قيام الثورة الشيوعية .

وملخص الاتفاقية مبني على اقتسام بلاد الشام والعراق بين الإنكليز والفرنسيين والسيطرة عليها تحت مسمى الانتداب والحماية ومساعدة أصحاب البلاد في الإدارة والحكم .

وتشمل حصة فرنسا بموجب نصوص هذه الاتفاقية الجزء الشمالي من بلاد الشام (من جبال طوروس شمالا حتى فلسطين جنوبا) وشمالي العراق . بينما تضم حصة المملكة المتحدة ما تبقى من العراق ثم الجزء الجنوبي من بلاد الشام (فلسطين وشرقي الأردن) .

وردّ أهل الشام على الحلفاء واتفاقيتهم بالاستنكار والرفض ، وتنادوا إلى مؤتمر شعبي انعقد في دمشق في أواخر عام ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م وعرف بالمؤتمر الوطني السوري، وصوتوا بالموافقة على إقامة دولة عربية بقيادة الملك فيصل بن الحسين، تضم مجمل بلاد الشام من جبال طوروس شمالا حتى رفح جنوبا ، رافضين كل أشكال الوصاية والانتداب والتجزئة(٢) .

وحيال موقف أهل الشام الوطني هذا ، بادرت الدول الاستعمارية إلى استعمال قوتها العسكرية واحتلال المناطق المخصصة لها بموجب اتفاقية سايكس - بيكو . فتقدمت الجيوش الفرنسية من لبنان إلى داخل سوريا ، واحتلت دمشق في عام ١٣٣٩ هـ ٢٥ من تموز ١٩٢٠م بعد أن تصدت لها القوات السورية الناشئة في معركة ميسلون ، ثم أكملت القوات الفرنسية استيلاءها على بقية أجزاء البلاد وأخضعتها بقوة السلاح .

ولم يستكن الشعب السوري للاستعمار ، بل هب يدافع عن كرامته ويرفض الاحتلال ، ولا يقبل عن الاستقلال بديلا .

وقد عمت الثورة البلاد السورية كافة مبتدئة في سهل حوران في الجنوب ومنطلقة نحو غوطة دمشق ، وجبل العرب ، ثم امتدت نحو الشمال والغرب لتشمل سهول وروابي منطقة الساحل ، وحلب ، وحمص ، ووادي الفرات . وفي عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥م توحدت فصائل الثورة السورية تحت قيادة واحدة ، فزادت قوتها ونشاطها وحققت انتصارات عسكرية ومعنوية على المستعمر المحتل . واستمرت هذه الثورة المعروفة باسم « الثورة السورية الكبرى » حتى عام ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨م .

وخلال هذه الفترة المليئة بالاضطرابات والانتفاضات المسلحة ، والمناورات السياسية ، عملت سلطات الانتداب على الإمعان في تمزيق الأراضي الشامية . غير عابئة بصكوك الانتداب الصادرة من عصبة الأمم . فقد أوجدت ما يسمى « دولة لبنان الكبير » في أقصى الجنوب الغربي من منطقة انتدابها ، على حدود فلسطين الشمالية . كما تنازلت تباعا عن ولاية الموصل للإنكليز في العراق لقاء حصة فرنسا في شركة نفط العراق وعن كيليكيا وأضنه ومرسين لتركيا .وقسمت ما تبقى من البلاد إلى دويلات ليسهل قمع أهلها والسيطرة على مقدراتها ، عملا بحكمة الاستعمار المشهورة « فرق تسد » .

ثم هدأت الأحوال نسبيا بعد أن عدل المستعمر عن بعض إجراءاته فقد أعيدت الوحدة للبلاد وتم تشكيل حكومة موحدة ، وبذلت الوعود لتحسين أحوال السكان وعقدت معاهدة بين فرنسا وسوريا تسير بالبلاد نحو الاستقلال .

ولكن السلطات الاستعمارية الفرنسية لم تف بوعودها ، وأمعنت في مطاردة الوطنيين ، وتكميم أفواه المطالبين بالحرية والاستقلال ، وهكذا بدأت المقاومة من جديد ، وعلت الأصوات مطالبة بطرد الاستعمار من البلاد .

ومع ظهور نذر الحرب العالمية الثانية ، تنازلت فرنسا عن لواء الإسكندرون السوري وضمته إلى تركيا لضمان حياد الأخيرة في الحرب المقبلة ، وفي نفس الوقت كانت

تعد السكان في الداخل بالإصلاحات الإدارية والاقتصادية بل وعدتهم بالاستقلال ، بعد أن تضع الحرب أوزارها .

وفي عام ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م، بعد أن أسفرت الحرب عن انتصار الحلفاء، عادت القوات الفرنسية المنتصرة إلى سوريا، لتشدد قبضة الاستعمار والاغتصاب، فثار الشعب السوري بكل قوة ، في حين لم تتورع السلطات الاستعمارية عن استعمال كل أسلحتها الفتاكة ، لقتل الناس وحصار القرى والمدن ، بل قصفت بعض المدن السورية بالطائرات ، مما أثار ضجة عالمية ، خاصة أن العالم خرج من الحرب العالمية الثانية ، منهوكا ومكلوما ، ترتفع في سمائه شعارات الحرية وتقرير المصير .

وهكذا أرغمت فرنسا على الرضوخ لمطالب الشعب السوري المتمثلة في جلاء القوات الأجنبية عن البلاد ، وعودة السيادة الفعلية فيها لأبنائها . وتوج نضال الشعب السوري وتضحياته بخروج المستعمر من البلاد ، وحصلت سوريا على استقلالها التام عام ١٣٦٦هـ واحتفل يوم السابع عشر من نيسان (أبريل) ١٩٤٦م بالعيد الوطني الأول للجمهورية العربية السورية .

والخلاصة أن الكيان السياسي الحالي للجمهورية العربية السورية هو الجزء الأكبر مساحة من بلاد الشام ، وقد خططت حدوده ، وفصل عما يجاوره ، حسب المصالح الاستعمارية الأوروبية وتوازناتها في منطقة شرقي البحر المتوسط ، بعيدا عن مراعاة الخصائص الجغرافية والإنسانية لأهل الشام والمنطقة العربية .

وأصبحت الحدود الفاصلة بين سوريا وتركيا في الشمال تبدأ في الغرب من نقطة على البحر المتوسط ، واقعة شمال قرية البدروسية السورية ، وتتجه شرقا متعرجة في منطقة شديدة الوعورة مكونة من جبال ومنحدرات وأودية حتى تلتقي مع نهر العاصي القادم من الجنوب باتجاه لواء إسكندرون حيث تسير الحدود مع النهر شمالا ، ثم تتركه شمال قرية الأشرفية لتسير شرقا ثم تعود للاتجاه شمالا مسايرة – في أقصى الشمال – مجرى النهر الأسود ، أحد روافد نهر العاصي ، حتى تصل إلى بلدة ميدان أكبس السورية لتأخذ بعدها اتجاها عاما نحو الشرق ، محاذية في جزئها الأطول خط السكة الحديدية القادم من

حلب – والذي أعطاه الانتداب الفرنسي لتركيا – حتى مدينة القامشلي السورية في الشرق ، حيث تتجه السكة الحديد نحو الجنوب الشرقي في الأراضي السورية ، بينما يستمر خط الحدود في سيره نحو الشرق والشمال الشرقي حتى نهر دجلة شمال قرية عين ديوار ، ثم تُغير الحدود اتجاهها لتسير نحو الجنوب الشرقي مسايرة الضفة اليمنى لنهر دجلة حتى قرية فش خابور ، حيث تنتهي الحدود السورية – التركية التي يبلغ طولها ٨٤٥ كم وهي أطول حدود للجمهورية العربية السورية مع الدول المجاورة .

وتسير الحدود العراقية السورية بادئ الأمر نحو الجنوب مع نهر دجلة ثم تنحرف نحو الجنوب الغربي بخط مستقيم ، ثم نحوالغرب ،ثم نحو الجنوب ممتدة في بادية الجزيرة العراقية – السورية من تعرجات قليلة حتى تلتقي مع نهر الفرات ، إلى الشرق من مدينة البوكمال السورية ، ثم تسير نحو الجنوب الغربي في خط هندسي مستقيم في بادية الشام الصحراوية حتى نقطة التقاء الحدود السورية العراقية الأردنية إلى الجنوب من جبل التنق ، فيصبح طول الحدود السورية العراقية (٥٩٦)كم .

أما الحدود الأردنية – السورية فتسير هي الأخرى بخط مستقيم نحو الجنوب الغربي إلى أن تخترق كتلة جبل العرب في أقصى جنوب سورية ، وبعد قرية أمتان السورية تأخذ الحدود اتجاها غربيا ثم شماليا غربيًّا حتى نهر اليرموك فتسير مع ضفته اليسرى حتى ينتهي عند قرية الحمة في غور الأردن بعد أن يبلغ طولها ٣٥٦ كم .

أما الحدود السورية – الفلسطينية فتتجه من الحمة في الجنوب حتى قرية بانياس السورية في الشمال موازية تقريبا لبحيرة طبريا ونهر الأردن من الشرق . ثم تتجه نحو الغرب حتى نهر الحاصباني ، ويبلغ طول الحدود مع فلسطين ٧٤ كم ، وهي أقصر الحدود السورية مع الأقطار العربية المجاورة[٣] .

أما الدولة الأخيرة والتي لها حدود مشتركة مع الجمهورية العربية السورية فهي الجمهورية اللبنانية ، ويسير خط الحدود هنا ضمن منطقة جبلية وعرة هي جبال لبنان الشرقية . ويتجه من الجنوب نحو الشمال الشرقي متعرجا حيث ينزل إلى الوديان تارة ويسير مع خط تقسيم المياه بين البلدين تارة أخرى ، وفي أقصى سلسلة جبال لبنان

في الشمال ، يتجه خط الحدود نحو الشمال الغربي ، ويقطع نهر العاصي ثم يتجه بعد بلدة تلكلخ نحو الغرب محاذيا الضفة اليسرى للنهر الكبير الجنوبي حتى ينتهي على البحر المتوسط عند مركز العريضة الحدودي ، ويبلغ طوله ٣٥٩ كم .

وأخيرا تأتي الحدود البحرية السورية على المتوسط ، وهي تمتد من مركز العريضة في الجنوب ، حتى قرية البدروسية في الشمال بطول ١٨٣ كم .

ويتصف الساحل السوري بأنه قليل التعاريج بشكل عام . وإن كان لا يخلو من بعض الرؤوس والخلجان . وخاصة في الشمال ، كخليج إسكندرون ، ورأس الخنزير وخليج السويدية ورأس البسيط .

بذلك يبلغ مجموع أطوال الحدود السورية ٢٤١٣ كم ومعظمها حدود برية يبلغ مجموع أطوالها ٢٢٣٠ كم ، منها ١٣٨٥ كم مع الأقطار العربية الأربعة العراق في الشرق والأردن في الجنوب وفلسطين المحتلة في الجنوب الغربي ولبنان في الغرب . وباقي الحدود البرية وأطولها هو مع الجمهورية التركية في الشمال . أما الحدود البحرية السورية فتمثل نحو ٨٪ من مجمل طول حدود الجمهورية العربية السورية فقط مشرفة على البحر المتوسط في الغرب[٤] .

التركيب الجيولوجي ومظاهر السطح

تتكون قاعدة الأراضي السورية من ركيزة قديمة ذات صخور نارية ومتحولة (تظهر بعض صخور القاعدة في أقصى الشمال الغربي من سورية – الصخور الخضراء) ، وقد غمر هذه الركيزة خلال فترات جيولوجية متقطعة بحر التيثس ، مما أدى إلى تراكم الرواسب البحرية فوق سطح الركيزة القديمة على شكل طبقات من الصخور الرسوبية الأحدث عمرا . وقد تعرضت الأراضي السورية لحركات جانبية ضاغطة أدت إلى حدوث انكسارات طولية في القسم الغربي من البلاد تمتد من الجنوب إلى الشمال ، يسير في قسمها الأكبر نهر العاصي وروافده ، كذلك التوت الرواسب البحرية التي تغطي

القاعدة الصلبة ، وأدت إلى تشكيل الجبال المرتفعة في الغرب والتي أخذت اتجاها جنوبيا شماليا موازيا للبحر ، مع بعض الامتدادات الجبلية الداخلية .

وتعود صخور هذه الجبال في معظمها إلى الحقب الجيولوجي الثاني من العصر الترياس إلى العصر الكرتياس الأعلى .. وهي تتألف في الغالب من الصخور الكلسية والدولوميت والمارن ، وأقل من ذلك الحجر الرملي والصوان والغضار أما صخور الحقب الجيولوجي الثالث فتسود في الأراضي السورية الداخلية في الوسط والشرق ، وتتكون في معظمها من الحجر الكلسي المتنوع والمارن والغضار والحجر الرملي .

أما صخور الحقب الرابع فتنتشر بشكل كبير في المنخفضات والأحواض والأودية مكونة من الحصى والرمال أو من الحصى والغضار ، أو من صخور حصوية يجمعها ملاط كلسي ... إلخ .

وقد تعرضت أجزاء من الأراضي السورية لثورانات بركانية بسبب ضعف القشرة الأرضية في مناطق التصدع وانبثقت عنها مصهورات ومقذوفات خلال عصور جيولوجية مختلفة من الحقب الجيولوجي الأول حتى عصر البلايستوسين في الحقب الجيولوجي الرابع . وتتركز أهم الأغشية والمقذوفات البركانية الأحدث عهدا ، والمكونة من البازلت والطف ، في جنوب سوريا ، وخاصة مناطق جبل العرب وحوران والجولان(٥)

ونتيجة لعمل الحت والتعرية ، وتركز الرواسب المنحدرة من الجبال المجاورة في الحقب الجيولوحي الرابع ، تكونت السهول الساحلية ، والبحيرات والمستنقعات الداخلية ، ورسمت الأنهار والوديان مجاريها ، لتتكامل صورة الأرض التي يعيش في جنباتها الإنسان العربي السوري المعاصر .

ويمكن تقسيم مظاهر السطح في سوريا إلى الأقسام الرئيسة التالية :

١ — السهول الساحلية .

٢ — المرتفعات والجبال الغربية .

٣ — السهول الانهدامية .

٤ – المرتفعات الداخلية .

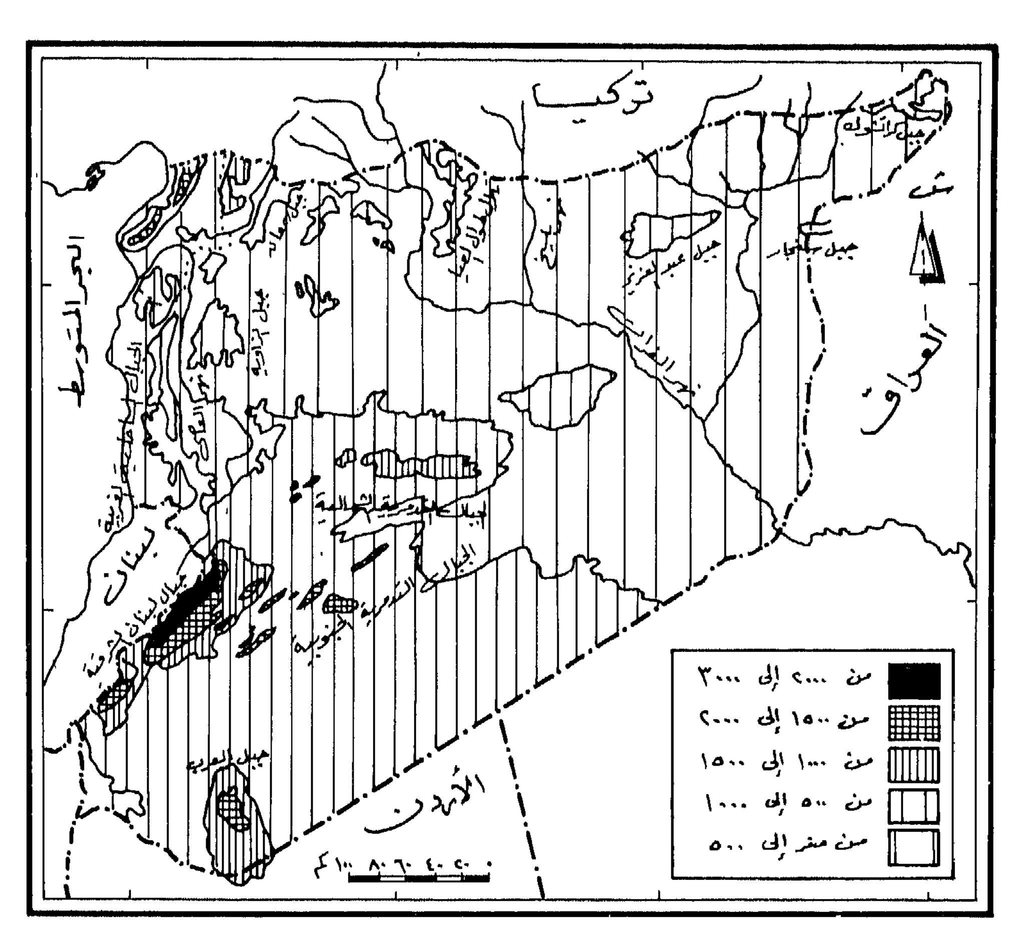
٥ – الهضاب والسهول الداخلية .

١ – **السهول الساحلية** : تمتد هذه السهول في أقصى الغرب من البلاد محصورة بين الجبال الساحلية في الشرق وشاطئ البحر المتوسط من الغرب ، حيث تشكل مجموعة من الجيوب السهلية غير المتصلة بسبب اقتراب الجبال من الشاطئ في أكثر من موقع . وأهم هذه السهول وأكثرها اتساعا هو سهل عكار في أقصى الجنوب ، والذي يزداد اتساعه نحو الشرق على امتداد خط الحدود اللبناني السوري ليصل إلى نحو ٢٤ كم . ويتصل في الشمال بسهل طرطوس الذي يضيق باتجاه الشمال حتى يختفي إلى الشمال من مدينة طرطوس بقليل ، ثم يظهر بعدها سهل بانياس الضيق ، الذي يبدأ في الاتساع في الشمال ليتصل بسهل جبلة . وهذا الأخير يتصل بسهل اللاذقية الأكثر اتساعا في الوسط ، ثم يضيق باتجاه الشمال حتى يختفي بتقدم مرتفعات البسيط والأقرع إلى شاطئ البحر في الشمال . (شكل ٢) .

وتعد السهول الساحلية – على ضيق مساحتها – من أخصب الأراضي السورية ، وأكثرها أمطارا ، إذ يبلغ معدل نصيبها من الأمطار السنوية نحو ٦٠٠مم كما تخترقها كثير من المجاري المائية المنحدرة من الجبال الساحلية شرقا ، والذاهبة إلى البحر المتوسط غربا ، والتي تزيد إمكانات الخصب والزراعة المروية ، ولذلك تجود في المنطقة زراعات كثيرة أهمها الزيتون والحمضيات والخضراوات والتبغ والفول السوداني ، وأخيرا تسهم السياحة والمواني السورية على البحر المتوسط (وخاصة اللاذقية وطرطوس وبانياس) في تطور المنطقة وازدهارها .

٢ – المرتفعات والجبال الغربية :

تتكون من سلسلتين جبليتين متوازيتين تمتدان من الجنوب إلى الشمال بشكل متقطع . وتضم السلسلة الأولى في الغرب الجبال الساحلية التي تتطاول بين جبال لبنان الغربية في الجنوب وجبال اللكام (الأمانوس) في لواء إسكندرون في الشمال ، محصورة بين السهول الساحلية والبحر المتوسط غربا ، والسهول الانهدامية ، ونهر العاصي في



شكل -٢- التضاريس

الشرق ، ويبلغ طولها ١٧٠ كم ، في حين يتراوح عرضها بين ٢٥ و ٣٠ كم . وترتفع هذه الجبال بصورة تدريجية من الجنوب إلى الشمال ، فمن ارتفاع يبلغ نحو ١٠٠٠م في الأجزاء المواجهة لسهول طرطوس ، تصل إلى ارتفاع ١٥٣٩ في جبل (متى) شرقي بلدة صلنفة وهو أعلى ارتفاع في هذه الجبال ، وبعدها تنخفض السلسلة في وادي نهر الكبير الشمالي إلى ٥٠٠م ، ثم تعود إلى النهوض من جديد حتى تصل إلى ارتفاع ١١٤٣م في جبل قرة دوران على الحدود مع لواء إسكندرون شمال غرب بلدة كسب السورية .

أما السلسلة الثانية فتوازي السلسلة الأولى من الشرق وتفصل بينهما السهول الانهدامية . وتتكون هذه السلسلة من مجموعة من الجبال التي تتعاقب من الجنوب نحو الشمال . ففي أقصى الجنوب تمتد أضخم وأعلى جبال سوريا ، وهي جبال لبنان الشرقية التي تفصل سوريا عن سهل البقاع اللبناني في الغرب . ويبلغ امتدادها بين الجنوب الغربي – والشمال الشرقي نحو ١٧٥ كم ، بينما يتراوح عرضها بين ٨و٢٢ كم . والأجزاء الجنوبية من هذه الكتلة الجبلية تضم أكثر القمم الجبلية ارتفاعا في سوريا ، ومن أهمها قمة جبل الشيخ (٢٨١٤م) . وتعرف الأجزاء الشرقية من هذه السلسلة بجبال القلمون وهي مكونة من ثلاث سلاسل جبلية تقترب من بعضها في الجنوب الغربي وتتباعد في الشمال الشرقي ، وهي جبال متوسطة الارتفاع تنخفض كلما اتجهنا نحو الشرق والشمال الشرقي ، ويصل ارتفاعها في جبل يبرود إلى ١٨٨٤م .

وتختفي جبال لبنان الشرقية جنوبي مدينة حمص لتبدأ امتدادات السهول الداخلية ثم هضبة حماة ، ثم تطالعنا من جديد امتدادات السلسلة الثانية من المرتفعات الغربية ، وتتمثل هنا بكتلة جبل الزاوية الذي يمتد من الجنوب إلى الشمال مطلا من الغرب على جزء مهم جدا من السهول الانهدامية وهو سهل الغاب الذي يخترقه نهر العاصي . يبلغ امتداد جبل الزاوية من الجنوب إلى الشمال نحو ٤٥ كم ، بينما يتراوح عرضه بين ٢٥ و ٣٠ كم ، ويبلغ ارتفاعه نحو ٨٧٨م ، وتظهر بعد ذلك إلى الشمال ثلاث كتل جبلية صغيرة ، وقليلة الارتفاع ، وهي جبال الدويلة والأعلى والباريشا ومتوسط ارتفاعها بين ٥٥٠ و ٦٥٠م . أما في أقصى الشمال ، فنجد كتلتين جبليتين يفصل بينهما وادي عفرين ،

وهما جبل سمعان ، ويساير وادي عفرين من اليسار ، ويصل ارتفاعه إلى ٨٧٠م ، وجبل الأكراد ، ويقع إلى الغرب من جبل سمعان ، ويصل ارتفاعه إلى ١٢٠١م .

٣ – السهول الانهدامية :

تتعاقب السهول الانهدامية من الجنوب إلى الشمال بين السلسلتين الجبليتين السابقتين ، منفصلة عن بعضها بواسطة عقبات طبيعية متنوعة ، ويخترق مجرى العاصي وروافده هذه السهول في سيره من الجنوب إلى الشمال . وأول هذه السهول من الجنوب هو سهل العشارنة الذي يتطاول من الجنوب إلى الشمال ، ويخترقه نهر العاصي من الشرق إلى الغرب ، ويفصله عن سهل الغاب في الشمال نجد السقيلبية[٦] أما سهل الغاب فهو أهم وأكبر السهول الانهدامية في سوريا . إذ يبلغ طوله بين الشمال والجنوب ٨٠كم وعرضه نحو ١٢ كم ، وقد كان في بداية الخمسينات من هذا القرن الميلادي مستنقعا كبيرا ، ثم جفف ليصبح من السهول الزراعية الخصبة في سوريا .

ويلحق بالسهول الانهدامية سهل الروج ، وهو عبارة عن حوض منخفض يمتد بين جبل الدويلة في الغرب وجبل الأعلى في الشرق ، ولا يتصل بحوض العاصي ، وكانت المياه التي تنحدر إليه من المرتفعات المجاورة تغمر معظم أراضيه وتجعل منها مستنقعا ، فاستصلح السهل وصرفت المياه الزائدة فيه عبر نفق صناعي لتصب في نهر العاصي . أما السهل الانهدامي المهم الأخير في الشمال فيمثله سهل العمق الواقع ضمن أراضي لواء الإسكندرون السليب ، وهو سهل واسع يبلغ طوله نحو ٨٥كم وعرضه نحو ٢٠كم ، ويشكل نهر العاصي وروافده في هذا السهل بحيرة العمق[٧] .

٤ – المرتفعات الداخلية :

وتتوزع هذه المرتفعات على المناطق الداخلية في سوريا ، وهي إما مرتفعات ذات أصل بركاني ، كما هو الحال في المرتفعات الجنوبية ، وإما امتدادات للسلاسل الجبلية الغربية باتجاه المناطق الوسطى من البلاد في الشرق ، وإما جبال متفرقة ومبعثرة عند أقدام جبال طوروس في أقصى الشمال من البلاد .

ففي أقصى الجنوب من البلاد تتمثل المرتفعات في كتلة جبل العرب والمخروطات البركانية المنتشرة في سهول حوران وهضبة الجولان وأطراف غوطة دمشق من الشرق . ويشكل جبل العرب أهم كتلة جبلية في المنطقة ويمتد من الحدود الأردنية في الجنوب باتجاه الشمال بطول ٧٥ كم وعرض ٥٠ كم وتكثر فيه المخروطات البركانية التي يبلغ أعلى ارتفاع لها ١٨٠٩ أمتار أما في وسط البلاد فتمتد الجبال التدمرية على شكل سلاسل متطاولة من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي ضمن البادية السورية ، بطول يصل إلى ٢٤٠ كم وعرض يتراوح بين ٦و١٥ كم ، ويصل أعلى ارتفاع لها ١٤٠٦ أمتار .

وإلى الشمال من الجبال التدمرية تمتد سلسلة الجبال الوسطى أو الجبال التدمرية الشمالية ، وتمتد من سهول حمص في الشرق نحو الشمال الشرقي بطول ٢٢٠ كم وعرض لا يتجاوز ٢٥ كم ، ويصل أعلى ارتفاع لهذه السلسلة ١٣٨٧ مترا . وأبعد جبال هذه السلسلة نحو الشمال الشرقي بالقرب من وادي الفرات ، هو جبل البشرى الذي يرتفع إلى ٨٦٥ متر[٨] .

وإذا انتقلنا إلى الشرق من وادي الفرات ندخل في منطقة الجزيرة حيث تتناثر في الجزء الشمالي منها ، بعض الجبال قليلة الارتفاع ، وأهمها جبل عبد العزيز ، الذي يفصل بين الجزيرة العليا في الشمال والجزيرة السفلى في الجنوب ، وهو يمتد متطاولا من الغرب إلى الشرق بين نهري البليخ والخابور بطول يصل إلى حوالي ٥٥ كم وعرض ١٥ كم[٩] ويبلغ أعلى ارتفاع له ٩٢٠ مترا . ويمتد جبل سنجار إلى الشرق من جبل عبد العزيز على الحدود العراقية – السورية ، ويصل ارتفاعه في سوريا إلى ٦٤٠ مترا . كما توجد تلال وجبال صغيرة متفرقة في المنطقة كتلال طوال الغبا إلى الغرب من جبل عبد العزيز ، وجبل كراتشوك في أقصى الشمال الشرقي من سوريا ويصل ارتفاعه إلى ٧٠٠ متر .

٥ – الهضاب والسهول الداخلية :

يضم هذا القسم الجزء الأعظم من البلاد والذي يمتد من حواف المرتفعات الغربية ويمتد شرقا حتى الحدود السورية العراقية ، ويضم على الخصوص سهول حوران وغوطة دمشق في الجنوب ، ثم سهول حمص وحماة وحلب في الغرب والشمال ، ثم البادية

السورية في الوسط ، ثم وادي الفرات وسهول الجزيرة في أقصى الشرق ويستثنى من هذا القسم المرتفعات الداخلية التي سبق ذكرها والتي تتخلل هذه المساحة الواسعة من الأراضي السورية .

وتتفاوت هذه السهول والهضاب في انبساطها وتموجها ، كما تتراوح ارتفاعاتها عن سطح البحر بين ٢٠٠ و ٦٠٠ متر[١٠]

المنـــاخ

١ - عناصر المناخ :

قبل أن نحدد الأنواع المناخية الرئيسة التي تسود في سوريا لابد من إلقاء نظرة سريعة على العناصر الأساسية للمناخ :

(أ) الحرارة :

يتأثر هذا العنصر بعوامل متعددة أهمها : عدد ساعات سطوع الشمس وصفاء السماء من الغيوم ، أو الغبار والرطوبة الجوية العالية . لذلك فإن هذه العوامل تتفاوت كثيرا بين الصيف والشتاء ، أو بين هذين الفصلين وفصلي الخريف والربيع . ففي الصيف تكون السماء زرقاء صافية والشمس ساطعة ويكون النهار طويلًا والرطوبة الجوية منخفضة ، لذلك فإن درجات الحرارة في هذا الفصل تكون عالية ، بينما تنخفض في فصل الشتاء ، وهو فصل الغيوم والأمطار والرطوبة والبرد .

ولإيضاح هذا الفارق نستعرض درجات الحرارة المسجلة في بعض مراكز الرصد الجوي في أنحاء متفرقة من البلاد ، في الساحل والداخل .

ففي الصيف ترتفع درجات الحرارة ، وخاصة في شهري تموز وآب (يوليو وأغسطس) وتتفاوت درجات الحرارة بين المناطق الساحلية والداخلية إذ يصل متوسط أشد الأشهر حرارة في اللاذقية وطرطوس إلى حوالي ٢٦° في حين يمكن أن تصل درجة الحرارة العظمى في بعض أيام الصيف إلى ٣٦° درجة مئوية في مدينة اللاذقية . أما في

الداخل فتصل متوسطات درجات حرارة الصيف إلى ٢٨°في حلب و ٢٦°في دمشق ونحو ٢٧°في حماة و ٣٠°في دير الزور و ٢٩ درجة مئوية في تدمر ، في حين ترتفع الحرارة العظمى في هذه المدن الداخلية في شهر تموز (يوليو) . ففي عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٣م) وصلت النهايات العظمى إلى ٣٩,٥ درجة مئوية في دمشق و ٣٩,٧ درجة مئوية في حلب و ٤٠ درجة في حماة ، و ٤١ درجة مئوية في تدمر و ٤٣ درجة مئوية في دير الزور ، ونحو ٤٥ درجة مئوية في مدينة القامشلي في أقصى الشمال الشرقي من سوريا . أما في المناطق الجبلية فإن متوسط درجة حرارة الصيف تصل إلى حوالي ٢٢ درجة مئوية في كسب ، وحوالي ٢٠ درجة مئوية في صلنفة في الجبال الساحلية الغربية ، كما يصل متوسطها إلى حوالي ٢٣ درجة مئوية في مدينة البنك على أطراف جبال لبنان الشرقية ، ومثلها في مدينة السويداء في جبل العرب جنوبي سوريا .

أما في فصل الشتاء ، فتزداد البرودة كلما ابتعدنا عن الساحل وتوغلنا في داخل البلاد نحو الشرق . ويبلغ متوسط درجة الحرارة الصغرى نحو ١٢ درجة مئوية في مدينة اللاذقية ، ونحو ٧,٥ درجات مئوية في دمشق ، و ٧ درجات مئوية في حلب ، و ٨ في تدمر و ٧ في القامشلي و ٨ درجات مئوية في حماة . ويمكن أن تنخفض درجة الحرارة الدنيا في شهر كانون الثاني (يناير) وهو أبرد شهور الشتاء إلى ما دون الصفر في المدن الداخلية ، بينما لا تعرف المدن الساحلية مثل هذا الانخفاض .

(ب) الرياح :

تتعرض سوريا لرياح متعددة الاتجاهات والمصادر ، خلال فصول السنة المختلفة ، بسبب الفروق الحرارية ، والقرب والبعد من البحر ، والارتفاع فوق سطح البحر ، ومجاورة الكتل القارية وغير ذلك من مؤثرات .

ففي الصيف تهب الرياح من الغرب بشكل عام ، بسبب وقوع سوريا تحت تأثير المنخفض الجوي المتمركز في المحيط الهندي والخليج العربي ، والذي تهب نحوه الرياح من الشمال ومن الغرب . ويستمر تأثير الرياح الغربية في المنطقة الساحلية طوال العام . وتهب الرياح في فصل الصيف – بصورة عامة – بشكل متقطع ، وهي قليلة السرعة .

أما في فصل الشتاء ، فإن سوريا تقع تحت تأثير امتداد الضغط الجوي المرتفع السيبيري ، وامتداد الضغط الجوي المرتفع الذي يقع حول جزر أزور في المحيط الأطلسي ، بينما تصل إلى البحر المتوسط من حين إلى آخر المنخفضات الجوية القادمة من الغرب . وتؤدي هذه المنخفضات إلى هبوب الرياح الشمالية الشرقية والشمالية الغربية الباردة التي تهب من الضغوط المرتفعة الآسيوية الأوربية ، أما تأثير المرتفعات المدارية فيتجلى في هبوب الرياح الجنوبية والجنوبية الغربية . وفي بعض الأوقات تهب على الأجزاء الداخلية من سوريا رياح شرقية وجنوبية شرقية مصدرها الضغوط المرتفعة المتمركزة فوق شبه الجزيرة العربية(١١) .

وبصورة عامة ، فإن سوريا تتعرض لهبوب رياح من جهات مختلفة ، وتكون جافة باردة إذا كانت قادمة من الشرق والشمال الشرقي ، بينما تكون معتدلة ممطرة إذا كانت قادمة من الغرب والجنوب الغربي .

أما الفصلان الانتقاليان (الربيع والخريف) فالرياح فيهما انتقالية بين الفصلين الطويلين الصيف والشتاء . وتكون المحصلة النهائية هي سيادة الرياح الغربية . ومع ذلك يزداد نشاط الرياح الجنوبية الشرقية في الجزء الجنوبي من البلاد في الربيع بسبب العواصف الحاملة للغبار والرمال ، بينما تسود الرياح الشمالية الشرقية بشكل واضح في الأجزاء الشمالية الشرقية من البلاد . وفي فصل الخريف تنشط الرياح الشمالية الشرقية في كافة أنحاء البلاد ، على حساب الرياح الغربية التي تضعف في هذا الفصل(١٢) .

(جـ) الأمطار :

تشكل الأمطار عنصرا مهما في الحياة البشرية – الاقتصادية في سوريا ، بسبب اعتماد الزراعة والرعي عليها اعتمادا كبيرا ، خاصة في مناخ تصل فيه فترة الجفاف إلى ستة أشهر أو يزيد . وترتفع درجة الحرارة بشكل يؤدي إلى زيادة معدلات التبخر السنوية عن المعدلات السنوية للأمطار .

والشتاء هو فصل الأمطار في سوريا ، إذ يتوافق هطول الأمطار مع تشكل المنخفضات الجوية فوق البحر المتوسط ، والتي تنتقل من الغرب إلى الشرق عابرة

الأجواء السورية . كما تسقط أمطار قليلة في فصلي الربيع والخريف ، وخاصة في المناطق الغربية والمرتفعات الجبلية .

ويبدأ تساقط الأمطار عادة من النصف الثاني من فصل الخريف ويشتد في شهري كانون أول وكانون الثاني (ديسمبر ويناير) ، ثم يبدأ ينخفض مع اقتراب فصل الربيع إلى أن ينعدم في فصل الصيف(١٣) .

وتتفاوت كمية الأمطار السنوية في توزيعها على مناطق سوريا المختلفة فالسهول الساحلية في الغرب تتلقى سنويا ما بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ مم ، ثم تزداد الكمية مع الارتفاع في الجبال الساحلية المجاورة لتصل إلى أكثر من ١٢٠٠مم . وتتناقص كمية الأمطار كلما اتجهنا نحو الشرق والجنوب الشرقي حتى لا تتجاوز هذه الكمية ٢٠٠مم في دير الزور ، و ١٠٠مم في منطقة الحماد (شكل ٣) .

٢ – أنواع المناخ في سوريا :

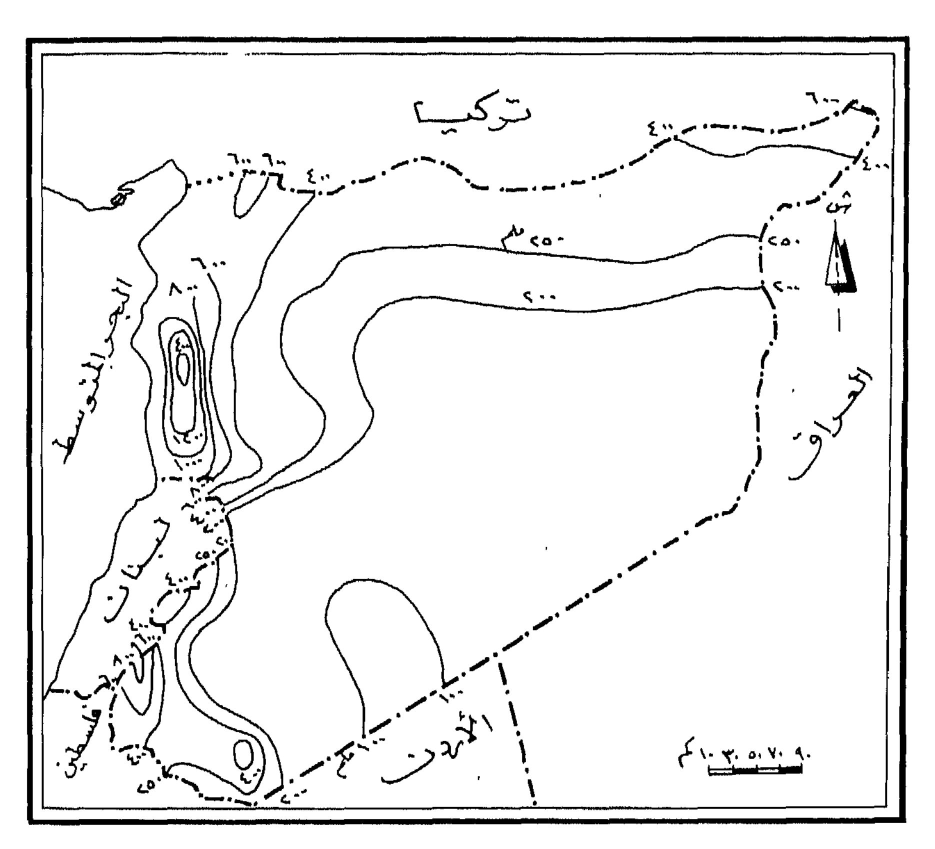
بناء على ما تقدم من دراسة موقع سوريا الجغرافي وموقعها الفلكي ودراسة عناصر المناخ ، يمكننا تقسيم سوريا إلى ثلاثة أنواع هي :

(أ) النوع الساحلي :

يوجد هذا النوع في نطاق السهول والجبال الساحلية الغربية ، ويقع تحت تأثير الرياح الرطبة التي تهب من ناحية البحر المتوسط ، ويتميز هذا النطاق بشتاء دافئ ، وأمطار شتوية وخريفية متوسطها بين ٧٠٠ و ٨٠٠مم . أما الصيف فمعتدل الحرارة ، نادر المطر مع رطوبة نسبية مرتفعة . وتزداد الأمطار ، كما تزداد برودة الشتاء على الجبال ، حتى تصل كمية الأمطار إلى حوالي ١٥٠٠مم ، ويبلغ متوسط حرارة الشتاء ٥ – ١٠ درجة مئوية .

(ب) النوع الداخلي :

ويشمل قسما كبيرا من البلاد ، ممتدا على سهول حمص وحماة وحلب والجزيرة العليا ، وسهول حوران وجبل العرب ، وتتراوح كمية الأمطار هنا بين ٢٥٠ و



شكل -٣- مُعَدّل الأمطار السّنويّة

٥٠٠مم ، تهطل في شتاء قصير لا تتجاوز مدته أربعة أشهر ، وتزداد الفروق الحرارية الفصلية واليومية ، إذ يبلغ متوسط حرارة الصيف ٢٧ – ٢٩ درجة مئوية ، ومتوسط حرارة الشتاء ٥ – ٧ درجات مئوية .

(جـ) النوع الصحراوي :

يغطي هذا النوع بادية الشام والجزيرة السفلى والقسم الأعظم من وادي الفرات ، أي ما يزيد عن نصف مساحة البلاد ، ويتصف هذا المناخ بسيادة الجفاف ، إذ تقل كمية الأمطار السنوية عن ٢٠٠مم ، وتصبح فروق الحرارة كبيرة بين متوسطات الصيف التي تتراوح بين ٢٩ و ٣٣ درجة مئوية ، وبين متوسطات الشتاء التي تتراوح بين ٥ و ٨ درجات مئوية[١٤] .

موارد المياه

١ – المياه الجوفية :

اهتم الإنسان في سوريا منذ القديم ، باستغلال المياه الجوفية للري والشرب ، خاصة في المناطق الجافة ، أو التي لا تتوفر فيها مياه سطحية دائمة الجريان .

ومع ازدياد عدد السكان ، والتوسع الزراعي ، وظهور آلات الحفر العميق الفعالة ، وحصول البلاد على استقلالها السياسي ، اتسع نطاق استغلال المياه الجوفية ، وازداد عدد الآبار بشكل كبير ، وازداد عمقها بعد أن كانت في السابق ضحلة مقتصرة على المياه القريبة من سطح الأرض ، بل بدأت تظهر في الأفق محاذير الإفراط في استثمار المياه الجوفية في الري في بعض المناطق (ازدياد نسبة الأملاح في المياه ، تملح التربة ، غور المياه ..) ، بينما كانت تشكو بعض المناطق من قلة مياه الشرب .

لذلك اهتمت الجهات المسئولة في الدولة بدراسة إمكانات البلاد من المياه الجوفية ، ومصادرها ، وخواصها ... وقسمت هذه الدراسات البلاد إلى خمسة عشر حوضا مائيا متفاوت المساحة . ونشطت أعمال البحث والتنقيب ، والاختبارات ،

ورسم الخرائط لهذه الأحواض للوصول إلى التقويم الصحي لمخزونها من المياه ، وتغذيتها السنوية وتقدير كميات المياه التي يمكن سحبها والاستفادة بها[١٥] ومازالت الأبحاث مستمرة حتى يومنا هذا ، مع توصلها إلى نتائج ومعلومات مهمة عن كثير من المناطق .

وقد دلت الدراسات السابق ذكرها على وجود أكثر من طبقة مائية تحت سطح الأرض ، بعضها قريب إلى السطح ، وبعضها أكثر عمقا ، وأن التكوينات الصخرية الخازنة للمياه متنوعة ، ومن عصور چيولوچية متباينة . ومن أهم التكوينات الصخرية الخازنة للمياه الواسعة الانتشار الصخور الكلسية والدولوميت ، والجص والأنهدريت ، والصخور البركانية والرملية .

وتعود هذه التكوينات إلى الحقب الثاني والثالث والرابع (من الجوراس إلى الرباعي الحديث)[١٦] .

٢ – المياه السطحية :

تشمل المياه السطحية الأنهار الدائمة الجريان طوال العام ، والتي يمكن تصنيفها إلى ثلاث شبكات هي :

(أ) شبكة أنهار البحر المتوسط .

(ب) شبكة الأنهار الداخلية التي تنتهي في أحواض مغلقة .

(جـ) شبكة الأنهار العابرة للأراضي السورية .

(أ) شبكة أنهار البحر المتوسط : (شكل ٤) :

وتتكون من مجموعة من الأنهار الصغيرة التي تنحدر مياهها من الجبال الساحلية الغربية ، متجهة نحو البحر المتوسط غربا . وتتصف هذه الأنهار بقصرها وشدة انحدارها لقرب الجبال من خط الساحل ، كما تتصف بكثرة مياهها في فصل الشتاء حيث تهطل الأمطار بغزارة على المنطقة ، ولكن سرعان ما يتناقص صبيبها في فصل الربيع والصيف ، حتى يكاد بعضها يجف . وأهم أنهار هذه الشبكة من الشمال إلى الجنوب : نهر الكبير الشمالي ، ونهر السن ، ونهر بانياس ، ونهر الصنوبر ، ونهر الكبير الجنوبي . ونهر الكبير

الشمالي هو أطول أنهار هذه الشبكة إذ يصل طوله إلى حوالي (٨٠كم) ويبلغ تصريفه السنوي في وقت الذروة (٦,٤م٣ / ثانية) وينخفض تصريفه في موسم التحاريق إلى ٠,٢م٣ / ثانية) أي أن النهر يكاد يجف في فصل الصيف ، وقد أقيم على مجراه سد تخزيني للاستفادة من مياهه في الزراعة ، وتجنب أضراره في وقت الفيضان . ويأتي نهر الكبير الجنوبي في المرتبة الثانية من حيث طوله الذي يبلغ (٥٠ كم) ، ويسير في جزء من مجراه مع الحدود السورية اللبنانية في أقصى الجنوب الغربي ، وتبلغ غزارته في وقت الذروة (٣٧م٣ / ثانية) ، إذ تندفع مياهه هادرة في مجرى واسع نسبيا ، أما في التحاريق فينخفض صبيبه إلى (٠,٧م٣/ ثانية) مما يدل على الصفة السيلية لهذا النهر . ولعل نهر السن القصير (٦ كم) هو أكثر أنهار الساحل انتظاما في جريانه ، وكثرة مياهه على مدار العام ، إذ يبلغ صبيبه في الذروة (٢١م٣ / ثانية) ، وفي التحاريق (٧م٣ / ثانية) ، وقد أقيم مشروع زراعي للاستفادة من مياه هذا النهر في ري الأراضي المجاورة لمجراه .

(ب) شبكة الأنهار الداخلية التي تنتهي في أحواض مغلقة :

– **نهر بردى** : ينبع من حفرة الزبداني في الجانب الشرقي لسلسلة جبال لبنان الشرقية . ويخرج من منبسط الزبداني ليخترق المنطقة الجبلية ، ثم يتلقى مياه عدة ينابيع أهمها نبع الفيجة الذي تشرب من مياهه مدينة دمشق . وبعد خانق الربوة يسير النهر في غوطة دمشق المنبسطة ، حيث يتفرع إلى أذرع وقنوات كثيرة تروي المنطقة وتحيلها إلى جنات وبساتين تزدهر فيها أصناف الأشجار المثمرة والخضراوات التي تمون المدينة بحاجاتها اليومية . ويبلغ طول النهر ٨٠كم ، ومتوسط تصريفه (٦م٣ / ثانية) ، ولكنه يرتفع في الذروة إلى (٣٨,٧م٣/ ثانية) ، وينخفض في التحاريق إلى (١,١م٣ / ثانية)[١٧] ، وينتهي النهر شرقا في مستنقع العتيبة .

– **نهر الأعوج** : ويجري في غوطة دمشق وينبع من كتلة جبل الشيخ ، ويتجه في البداية نحو الجنوب الشرقي ، ثم يصطدم بعتبة بازلتية ، فيتجه نحو الشمال حتى بلدة الكسوة في جنوب دمشق ، ومنها يستمر النهر في سيره – متعرجا نحو الشرق ، ويستفاد من مياهه في الزراعة ، وما تبقى منها ينتهي في منخفض الهيجانة شرقي دمشق . ويبلغ

طول هذا النهر ٧٠كم وغزارته السنوية المتوسطة (١,٩م٣ / ثانية) .

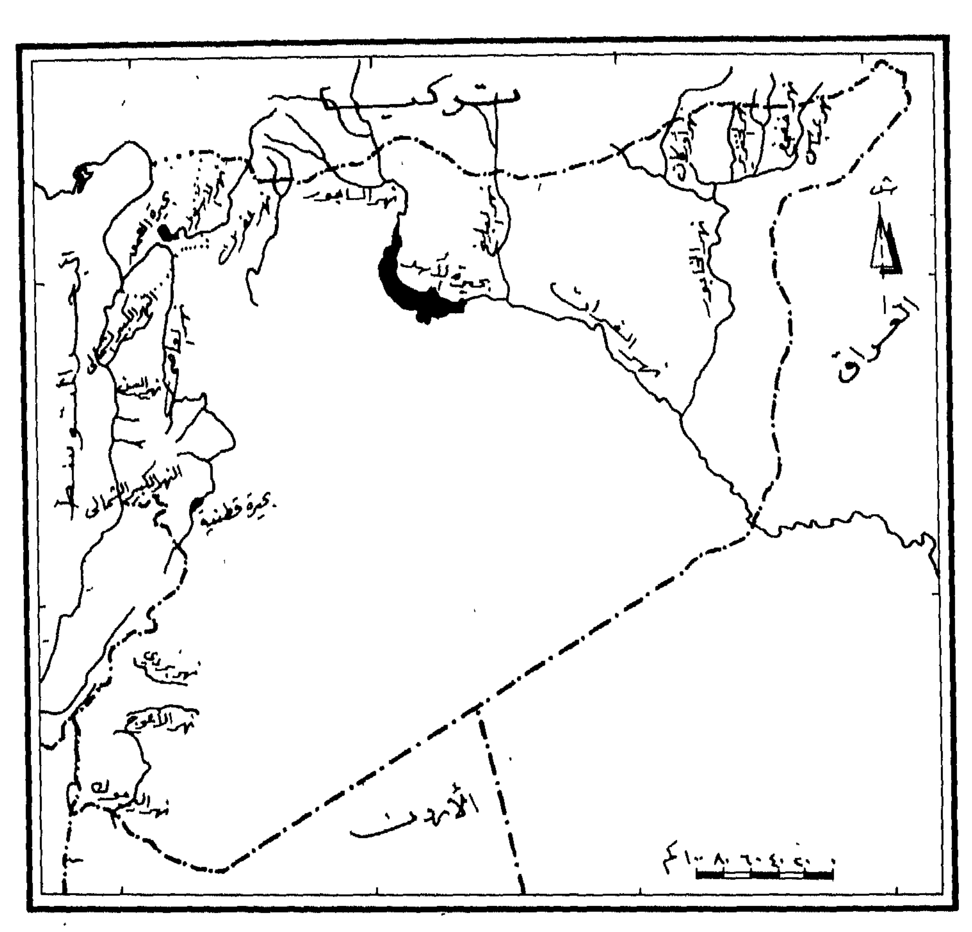
– **نهر اليرموك** : يجري هذا النهر في أقصى جنوبي سوريا من الشرق إلى الغرب ، ليصب في نهر الأردن ، مُشكلا أحد الروافد الأساسية لهذا النهر . لذلك فإن نهر اليرموك يكتسب أهمية خاصة لكل من سوريا والأردن وفلسطين ، مع أن الاستفادة من مياهه مازالت متواضعة .

ويبلغ طول النهر الإجمالي ٤٢كم منها ٣٢كم في سوريا . ويبلغ متوسط تصريفه (٧م٣ / ثانية) ، وفي حالة الفيضان في بعض السنوات يصل إلى (٢٥٠م٣ / ثانية) ويتغذى نهر اليرموك من عدة أودية وينابيع تصرف مياه حوران والسفوح الغربية لجبل العرب ، لكن مياه المزيريب وزيزون ، تشكل أهم روافد النهر ، وهي تنحدر إلى مجرى النهر الانهدامي على شكل شلالات جميلة ، وقد استفادت منطقة حوران من مياه البحيرتين السابقتين في الري . وأخيرا اتفقت سوريا والأردن على بناء «سد الوحدة» على مجرى نهر اليرموك للاستفادة بمياهه في الري وتوليد الكهرباء .

(جـ) شبكة الأنهار العابرة للأراضي السورية :

وتتكون هذه الشبكة من نهر العاصي ، ونهر الفرات وروافده ، ونهر دجلة .

– **نهر العاصي** : ويعد من أهم الأنهار السورية ، بسبب جريانه في مناطق سهلية خصبة مأهولة بالسكان . وهو ينبع من سهل البقاع الشمالي في لبنان ويسير باتجاه الشمال ضمن الأراضي السورية ، مارا بمدينتي حمص وحماة ، ويتابع سيره ضمن الحفرة الأخدودية المتمثلة في سهل العشارنة ، وسهل الغاب ، وسهل العمق . وبعد خروجه من بحيرة العمق يسير نحو الغرب حتى يصب في البحر المتوسط بعد أن يكون قد قطع مسافة ٤٦٤كم منها ٣١٠كم ضمن الأراضي السورية . وفي بحيرة العمق يتلقى النهر أهم روافده ، وهو نهر العاصي الصغير الذي يصرف مياه نهري عِفرين والأسود القادمين من الشمال نحو الجنوب . ويبلغ متوسط تصريف نهر العاصي (١٠م٣ / ثانية) ويصل في وقت الفيضان إلى (١٢م٣ / ثانية) ، وتنخفض في موسم الجفاف إلى (٧م٣ / ثانية)[١٨] . وقد أقيمت عـدة سدود على مجرى النهر واستغلت مياهه بصورة جيدة



شكل ٤ - أهم الأنهار

لإرواء الأراضي الزراعية ، وإنتاج الكهرباء .

- **نهر الفرات** : هو أهم الأنهار السورية من حيث طوله ووفرة مياهه . وينبع هذا النهر من هضبة أرمينيا شمال شرقي تركيا . ويدخل الفرات الأراضي السورية من الشمال عند بلدة جرابلس ، ويخرج منها بعد مدينة البوكمال في الجنوب الشرقي من البلاد . ويبلغ طول النهر الإجمالي ٢٣٣٠كم ، منها ٦٠٠كم ضمن الأراضي السورية . ويقدر متوسط تصريفه بحوالي (٦٩٨م^{٣} / ثانية) بينما يصل في وقت الذروة إلى (١٩٧٣م^{٣} / ثانية) وينخفض في موسم التحاريق إلى (١٥٥م^{٣} / ثانية) . ويتلقى نهر الفرات ضمن الأراضي السورية ثلاثة روافد هي : الساجور ، والبليخ ، والخابور . وهذا الأخير هو الأهم إذ يبلغ متوسط تصريفه (٤٧م^{٣} / ثانية) .

من أجل ضبط فيضانات النهر المدمرة ، والاستفادة من مياهه الكثيرة في تطور الزراعة - أقيم على الفرات أكبر سد في سوريا يقع إلى الغرب من مدينة الرقة . وقد تكونت أمام السد بحيرة ضخمة هي أكبر بحيرة في البلاد . وتبلغ مساحتها ٦٣٠كم^{٢} ، وتبلغ طاقتها التخزينية من المياه ١١٦٣٠ مليون م^{٣} .

- **نهر دجلة** : لا يخترق نهر دجلة الأراضي السورية ، وإنما هو يجاري الحدود السورية - التركية - العراقية ، في أقصى الشمال الشرقي من سوريا ، ولمسافة ٤٢كم وتعمل الدولة على الاستفادة بمياه النهر بتركيب مضخات مائية على ضفته اليمنى تضخ المياه إلى الأراضي السورية المجاورة مما يساعد على زيادة الرقعة الزراعية المروية .

التربـــة

يمكن تقسيم التربة في سوريا من حيث مصدرها وظروف تكوينها إلى تربة محلية وأخرى منقولة . والتربة المحلية مشتقة من القاعدة الصخرية التي ترتكز عليها ، أما التربة المنقولة فهي التي أرسبت بأحد عوامل الإرساب كالمياه الجارية والرياح ، ومن أمثلة التربة المنقولة التربة الفيضية التي تنقلها مياه الأنهار وترسبها حول مجاريها ، فيما يعرف

بالوادي أو السهل الفيضي .

وتختلف التربة من منطقة إلى أخرى حسب اللون ، فمنها ما يميل إلى السواد ، ومنها ما يميل إلى الاصفرار ، ومنها ما يميل لونه إلى الاحمرار ويلاحظ أنه ليس هناك حدود فاصلة بين الألوان المختلفة ، ولكنها تتدرج حتى تتداخل في بعضها . وتلون التربة ينجم في الغالب عن اختلاف الظروف المناخية والصخر الأم ، وتخلف البقايا النباتية ...

– ونقسم الترب الموجودة في سوريا إلى الأنواع التالية[١٩] : (شكل ٥) .

١ – تربة البحر المتوسط الحمراء :

وتوجد هذه التربة في مناطق الجبال والسهول الساحلية على شكل نطاق يمتد من الشمال إلى الجنوب متفقا مع نطاق سقوط الأمطار الغزيرة التي تتجاوز ٦٠٠م سنويا ، ويتفاوت سمك التربة وجودتها حسب الارتفاع فهي سميكة ناعمة خصبة في السهول وخشنة رقيقة مع وجود الأحجار في المناطق الجبلية المرتفعة . وتعد هذه التربة من أخصب أنواع التربة في سوريا ، وتجود فيها محاصيل عديدة كالخضراوات والحبوب والأشجار المثمرة .

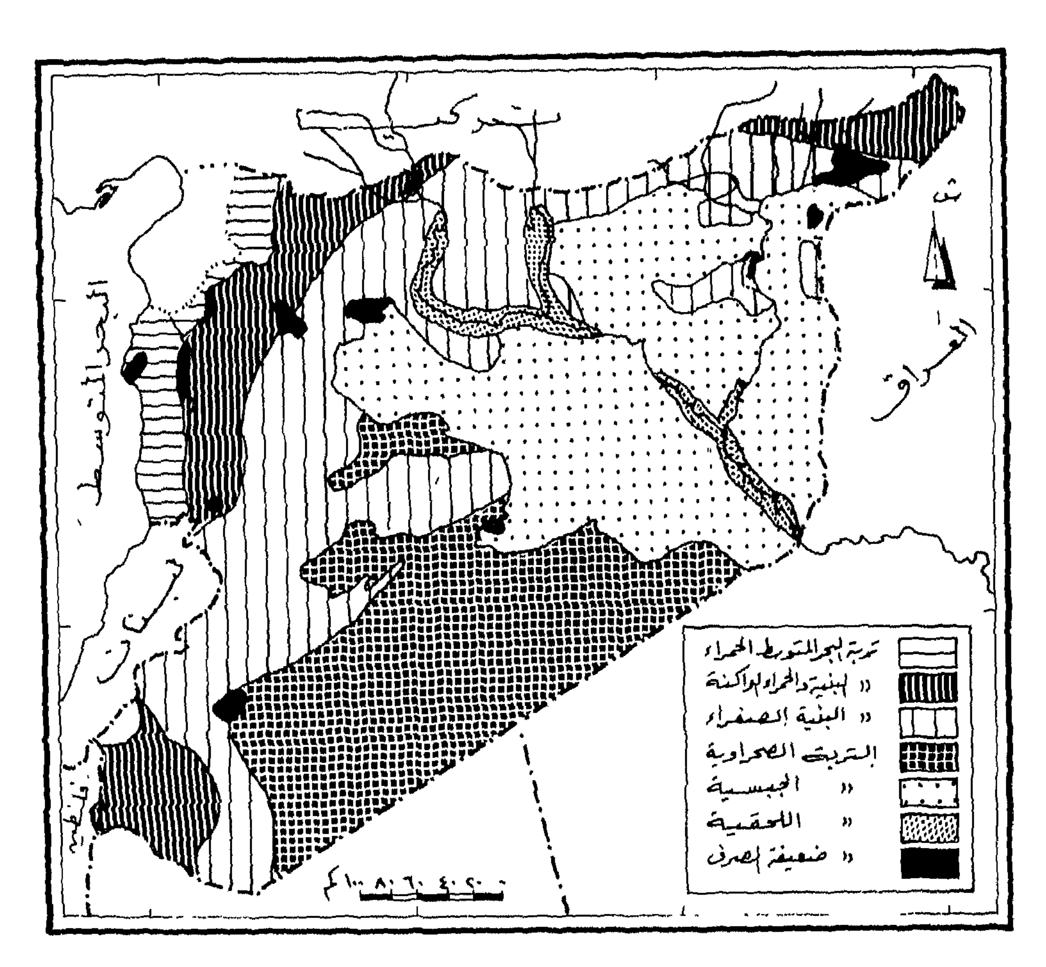
٢ – التربة البنية والحمراء الداكنة (كروموزل) :

تسود هذه التربة في مناطق السهول المهمة في سورية ، ممتدة على شكل نطاق يقع إلى الشرق من تربة البحر المتوسط الحمراء ، ويتلقى كمية من الأمطار تتراوح بين ٣٠٠ و ٦٠٠م سنويا . وهكذا فإن هذه التربة توجد في سهول الجزيرة السورية الشمالية وسهول حلب وحماة وحمص ، وأقدام جبال لبنان الشرقية ، وجنوب غربي سورية في سهول حوران وهضبة الجولان .

وتتصف التربة في هذا النطاق بأنها سميكة وثقيلة وعرضة للتشقق ، وتجود في هذه التربة زراعة الحبوب والقطن .

٣ – التربة البنية الصفراء (سيناموينك) :

توجد هذه التربة على شكل نطاق يمتد على حافة البادية ، حيث تبلغ كمية الأمطار



شكل - ٥ - أنواع الترب

التي يتلقاها هذا النطاق بين ١٥٠ و ٣٠٠م سنويا ، وهي تربة لومية – طينية يغلب عليها اللون البني المائل للاصفرار ، وهي تحتوي على كميات عالية من الكلس ، وهي رقيقة السمك وفقيرة وتكثر فيها الحجارة وتمتد هذه التربة على مساحات واسعة من جبل العرب ، وجبال القلمون ، وجبال سوريا الوسطى والجبال التدمرية ، وهضبة السلمية وأطراف سهول حلب الشرقية والجنوبية وبعض مناطق الجزيرة العليا والسفلى ، وتسود فيها زراعة الشعير .

٤ – التربة الصحراوية :

تسود هذه التربة في المناطق التي لا تزيد أمطارها السنوية عن ١٥٠م . ويغلب عليها اللون البني الرمادي أو الرمادي ، وهي فقيرة ورقيقة السمك ، وتحتوي على نسبة عالية من الكلس ، وتسود في أقصى الجنوب الشرقي من سوريا في الشامية والحماد . وهي تمثل إحدى مناطق الرعي التقليدية في البلاد .

٥ – التربة الجبسية :

يغلب على هذه التربة اللون البني المائل للاصفرار أو الأبيض ، وهي إما تربة جبسية متحجرة وإما تربة جبسية مفككة عرضة للانجراف بواسطة الرياح . وتسود هذه التربة في منطقة الجزيرة الوسطى والجنوبية وفي الشامية على يمين نهر الفرات وهذه المناطق قليلة الأمطار ، إذ غالبا ما تقل كمية الأمطار عن ٢٠٠م سنويا ، ويمثل الرعي النشاط الرئيس في هذه المناطق علما بأن هذه التربة يمكن أن تصلح للإنتاج الزراعي إذا توفرت لها مياه الري الدائمة .

٦ – التربة اللحقية الحديثة :

وهي تربة لومية رملية وطينية رملية تتفاوت في سُمكها واتساعها ، وتوجد بصورة رئيسة مسايرة لنهر الفرات ورافديه : البليخ والخابور في شرقي البلاد . ونظرا لتوفر مياه الري من الأنهار ، تجود في هذه التربة زراعات متنوعة ولاسيما زراعة القطن .

٧ – تربة المستنقعات وأراضي الغمر الشتوي :

هذا النوع من التربة لا يحتل نطاقا مميزا ، أو مساحة واسعة في البلاد ، وإنما يوجد

على شكل مساحات صغيرة منخفضة في مناطق متباعدة في شتى أنحاء البلاد ، والتربة هنا تأخذ لونا رماديا أو بنيا ، وتحتوي على نسبة عالية من الكلس ، كما تحتوي في بعض المناطق الداخلية على نسبة عالية من الملوحة . وأهم مناطق تواجد هذا النوع من التربة سهل الغاب والروج والعشارنة في المنطقة الانهدامية في الغرب ، والمرج شرقي دمشق ، والجبول والمطخ جنوب حلب ، والخاتونية والرد في منطقة الجزيرة في شرقي البلاد . وبعض هذه المناطق جفت مياه الغمر فيها وأصبحت صالحة للزراعات المتنوعة وبعضها ترتفع فيه نسبة الملوحة ولا يستغل في الزراعة[٢٠] .

النبات الطبيعي

يتصف الغطاء النباتي الطبيعي في سوريا بفقر ملحوظ ، وخاصة في المناطق الداخلية والصحراوية . ويتطابق توزع الأنواع النباتية في سوريا مع خطوط النطاقات العامة للمناخ والتربة . ففي المناطق الغربية الرطبة الممطرة تنتشر الغابة المتوسطية المتراجعة ، التي لم يبق منها سوى أحراج قليلة الكثافة ، فقيرة بالأنواع النباتية .

أما في داخل البلاد ، خاصة على امتداد السهوب والبادية فيمتد بساط هزيل من الأعشاب الصغيرة والنباتات الشوكية ، إلى جانب بقاع واسعة جرداء خالية من كل نبات .

وتؤكد الأبحاث الحديثة أن القسم الأكبر من سوريا كانت تغطيه الأشجار والأحراش . وقد تراجع الغطاء النباتي لأسباب عديدة أهمها : جفاف المناخ ، ثم تخريب الإنسان والحيوان . وقطع الأخشاب من قِبل السكان في المناطق الجبلية الساحلية والداخلية من أجل الاستعمالات المنزلية والتدفئة وصنع الفحم ، وكذلك ترك قطعان الحيوانات – وخاصة الماعز – ترعى في الأحراج الجبلية ، إلى جانب قطع الأخشاب الجيدة في العصور التاريخية المتعاقبة ، واستخدامها في صناعة السفن والمراكب ، ثم تزويد القطارات بالوقود فيما بعد ، فكلها أمور تضافرت وأدت إلى تخريب الغطاء الشجري

في مناطق الجبال الساحلية والجبال الوسطى ، وجبل العرب وغيرها من الجبال الداخلية . أما السهوب والهضاب ذات الغطاء العشبي ، فبالإضافة إلى تأثير الظروف المناخية ، فإن الرعي الجائر وحرث بعض المناطق وزراعتها أدى إلى تدهور الثروة النباتية العشبية وانجراف التربة ، وفقر الأنواع النباتية .

ويرجع علماء النبات الأصناف النباتية في سوريا إلى أصول مختلفة ، ولكنهم يعتبرون أن حوالي ٦٠٪ من الأنواع النباتية هي نباتات محلية مستوطنة . والباقي يعود إلى أصول خارجية وافدة .

أما من حيث التوزيع الجغرافي للغطاء النباتي ، فيمكن أن نلاحظ بوضوح أثر المناخ عليه ، فالأشجار تنتشر في الأقسام المطيرة والرطبة من البلاد ، أي في الأجزاء الغربية ، والشمالية الغربية وفي المرتفعات الجبلية التي تتلقى كمية كبيرة من الأمطار ، أما الأعشاب والحشائش فإنها تغطي السهول والمنخفضات الداخلية حيث تقل كمية الأمطار وتشتد حرارة الصيف . وباتجاه الجنوب الشرقي والشرق من البلاد يبدأ الغطاء العشبي يضمحل ويتباعد وتحل محله نباتات صحراوية وأشواك تكاد تنعدم في منطقة الحماد حيث تقل كمية الأمطار السنوية عن ١٠٠مم .

وتتركز الغابات الحقيقية في منطقتي البسيط والباير بالقرب من لواء إسكندرون ، وفي أقصى الشمال الغربي من سوريا ، وباتجاه الجنوب في الجبال الساحلية ، وتقدر مساحة الأراضي الغابية والحراجية في سوريا بحوالي ٢,٥٪ من مساحة البلاد .

أما الأشجار السائدة في هذه الغابات فأهمها أشجار الصنوبر ، والبلوط ، والسنديان ، ثم أشجار البطم ، والزعرور ، والسرو .

أما خارج المناطق السابقة فيمكن أن نجد بعض المساحات الحرجية في الجبال الداخلية كما في جبال لبنان الشرقية ، وجبل العرب وهضبة الجولان والجبال الوسطى ، وجبل عبد العزيز .

وتسود في هذه المناطق الجبلية أشجار السنديان ، والبلوط ، والدلب والبطم ، والزيتون البري ، والزعرور ، واللوز البري ، وغيرها .

أما بالنسبة للغطاء النباتي العشبي السائد في السهول والمناطق الأقل رطوبة فنجد أنه ينتشر بأنواع وأصناف عديدة ، والنباتات العشبية على أنواع منها ما هو شوكي ومنها ما هو صالح لرعي الأغنام والجمال . ولما كانت المراعي السورية منتشرة في الصحراء والبادية ، فإن نباتاتها أهم من الأصناف الأخرى من الناحية الاقتصادية ، ويعد نبات القبا من أكثر أعشاب البادية السورية انتشارا وأهمية للرعي . ومن النباتات المهمة الأخرى التي تأخذ أسماء محلية نذكر منها : الشيح والحرمل والشنان والعاقول والعيصلان[٢١] .

الحيوانات البرية

توجد في سوريا أنواع متعددة من الحيوانات ، وإن كانت ظروف الجفاف والتصحر والصيد الجائر ، باستعمال الأسلحة النارية ، قد أثرت سلبيا على مجمل الثروة الحيوانية الطبيعية في البلاد .

ويمكن تقسيم الثروة الحيوانية البرية في سوريا إلى ثلاث مجموعات هي : الثدييات والطيور والحشرات[٢٢] .

ومن أهم حيوانات المجموعة الأولى اللواحم ، ومنها ابن آوى ، الذي يعيش في الأحراج قريبا من التجمعات البشرية الريفية ، والثعلب وهو أقل انتشارا من سابقه ، ويعيش في المناطق الريفية والأحراج . أما الذئب فلا زالت توجد منه أعداد كبيرة على الرغم من مطاردته بالأسلحة النارية ، وقتل أعداد كبيرة منه . وهو يعيش في البادية وعلى أطراف المناطق المعمورة ، وبعض المناطق الجبلية . كذلك يوجد الضبع في المناطق الوعرة والجبلية بأعداد قليلة . كما توجد حيوانات أخرى منتشرة في المناطق الجبلية والحرجية كالنمس والغريراء .

ويعد الأرنب من أهم الحيوانات الثديية في سوريا ، إذ ينتشر في مناطق متعددة ويتكاثر بسرعة ، ولذلك فقد حافظ على وجوده في البلاد رغم كثرة الصيادين .

ومن الحيوانات الثديية التي كانت تعيش في سوريا بأعداد وفيرة نسبيا ثم تناقصت

بشكل سريع نذكر الغزال ، وهو حيوان عشبي جميل ، يعيش في السهوب والبوادي الداخلية ، وقد انقرض هذا الحيوان أو كاد بفعل الصيد الجائر .

أما مجموعات الطيور فتعيش منها في سوريا أصناف وأنواع كثيرة . كما توجد طيور أخرى تزور البلاد أو تعبرها في فترات وفصول معينة من السنة ومن أهم الطيور المستوطنة في سوريا نذكر العصافير بأنواعها المختلفة كالعصفور الدوري ، وعصفور البيادر ، وعصفور التين .

وتعيش العصافير في المنازل والأرياف والمزارع . أما الطائر الثاني الواسع الانتشار في سوريا فهو الحجل ، ويعيش في المناطق الوعرة في سوريا وخاصة في هضبة الجولان وسهول حوران وجبل العرب والمناطق الوعرة من حوض العاصي الأعلى في سوريا (طريق حمص – طرطوس) وهو طير مرغوب من قِبَل الصيادين .

ومن الطيور الزائرة نذكر طائر القطا الذي يأتي البلاد في الربيع ، ولحمه مرغوب ، وتصطاد منه كميات متفاوتة حسب أعداد الطيور الزائرة ، ومدة إقامتها في البلاد . كما يزور البلاد في الشتاء طائر البط والزرزور وهما مرغوبان من قبل الصيادين . كما تزور البلاد طيور أخرى تلاحقها أسلحة الصيادين نذكر منها الحمام البري والطرغل والمطواق . ومن الطيور العابرة للأراضي السورية والتي لا يستفاد منها في الصيد نذكر طائر اللقلق والسنونو والخطاف .

وتعيش في سوريا بعض الطيور الجارحة ، ومن أهمها الشاهين والباشق والحدأة والصقر والعقاب والنسر والبوم . وتعشش الطيور الجوارح في الأماكن الجبلية العالية والوعرة وتعيش على ما تصطاده من طيور وأرانب وفئران وزواحف أو جثث الحيوانات الميتة .

أما بالنسبة للحشرات فمنها أنواع متعددة الأشكال والأصناف ، وتكثر الأصناف الطيارة منها في المستنقعات والمياه الضحلة والواحات ، وكذلك توجد أنواع أخرى من الحيوانات الزاحفة والحرشفيات كالثعابين والضب والحرذون ، وتعيش في السهوب والبادية . كما تعيش في سوريا أنواع من العناكب والعقارب السامة ، وخاصة في المناطق السهبية الجافة .

السكان

تزايد السكان وتوزيعهم الجغرافي :

تزايد عدد سكان سوريا بسرعة خلال السنوات التي أعقبت الاستقلال ، حيث نعمت البلاد بالأمن والاستقرار ، وشهدت تطورا اجتماعيًا واقتصاديًا مهمًا . ويوضح الجدول رقم (١) تطور السكان في سوريا . ومنه يتبين أن الكثافة السكانية في سوريا بلغت في عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) نحو ٤٩ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد . وتختلف الكثافة السكانية من منطقة إلى أخرى ، وهي تتناقص بشكل عام من الغرب إلى الشرق ففي بعض جهات المنطقة الساحلية الغربية ترتفع الكثافة إلى حوالي ٢٤١ شخصا / كم٢ ، بينما تنخفض في إقليم البادية إلى أقل من شخصين (قدر عدد السكان عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م بنحو ١٠٦١٢ ألف نسمة فكانت الكثافة ٥٧ نسمة / كم٢ .

جدول (١) تطور سكان سوريا

السنة	السكان (بالألف نسمة)
١٩٣٠م (١٣٥٠هـ)	١٢٧٧
١٩٤٠م (١٣٦٠هـ)	٢٦٩٦
١٩٥٠م (١٣٧٠هـ)	٣٣٣٠
١٩٦٠م (١٣٨٠هـ)	٤٥٣١
١٩٧٠م (١٣٩٠هـ)	٦٢٥١
١٩٨١م (١٤٠١هـ)	٩٠٥٣

المصدر : المكتب المركزي للإحصاء في دمشق .

إن الظروف المناخية وخاصة الأمطار هي أحد العوامل الرئيسة التي تؤثر في الكثافة

السكانية والتوزيع الجغرافي للسكان ، أما العامل الثاني فيتمثل في مجاري الأنهار ، التي تعوض نقص كمية الأمطار في بعض المناطق ، كذلك تؤثر التربة والتضاريس والظروف التاريخية في توزيع السكان .

وهكذا فإن مساحة المناطق الرطبة في سوريا ، التي تتلقى كميات من الأمطار تسمح بالزراعة والحياة المستقرة ، لا تزيد مساحتها عن ٧٦ ألف كم² بينما تبلغ مساحة المنطقة الجافة في أواسط وشرقي سوريا حوالي ١٠٩ ألف كم² .

إن منطقة البادية والقسم الجنوبي من إقليم الجزيرة ، الذي تزيد مساحته عن نصف مساحة سوريا ، يكاد يكون شبه خال من السكان ، إذ لا يزيد عدد سكانه عن ٤٥٠ ألف نسمة ، يسكن القسم الأعظم منهم في الواحات كما في تدمر والسخنة والقريتين . أما الباقي فهم عبارة عن بدو رحل ينتقلون مع حيواناتهم عبر إقليم البادية الفسيح .

وتوجد أعظم الكثافات البشرية في سوريا في المنطقة الساحلية ، وتليها مناطق حوض العاصي ، وسهول حلب ، وحوران ، وغوطة دمشق ، ووادي نهر الفرات ، والجزيرة العليا .

وحسب التعداد العام للسكان عام (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) فقد توزع السكان والكثافة في المحافظات السورية كما هو موضح في الجدول رقم (٢) .

ونلاحظ من هذا الجدول أن المحافظات الشرقية قليلة الكثافة ، فهي لا تتجاز ٢٩ نسمة / كم² ، بينما تكون عالية في المحافظات الغربية ، وتصل إلى ٢٤١ نسمة / كم² في اللاذقية و ٢٣٤ نسمة / كم² في طرطوس . ولكن مدينة دمشق ومحافظتها تستأثر بأكبر عدد من سكان سوريا ٢٢٪ ، وتليها محافظة حلب التي تستأثر بنحو ٢٠٪ من سكان سوريا ، ثم تأتي محافظة حمص ٩٪، فمحافظة حماة ٨٪ من السكان ، وتليها محافظات الحسكة فاللاذقية فأدلب فدير الزور فالرقة ثم المحافظات الجنوبية درعا والسويداء والقنيطرة.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار مساحة كل محافظة نجد أن غالبية المحافظات ذات المساحة الواسعة قليلة السكان ، وهي محافظات حمص ودير الزور والحسكة ، والرقة ، وهي محافظات تدخل أراضيها ضمن إقليم البادية الصحراوي .

وقد شهدت سوريا ، خلال السنوات الماضية ، تطورا سريعا في عدد السكان متفقة في ذلك مع بقية أقطار العالم النامي ، حيث تشهد كلها ارتفاعا في معدل المواليد مقابل انخفاض ملحوظ في معدل الوفيات .

وقد بلغ معدل المواليد في سوريا عام (١٩٤٥م/١٣٦٥هـ) ٣٨,٧ بالألف ثم

جدول (٢) توزيع السكان على المحافظات السورية

عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١م) (٢٣)

المحافظة	عدد السكان (ألف نسمة)	الكثافة نسمة/ كم٢
دمشق مع المدينة	٢٠٢٩	١١١
حلب	١٨٧٩	١٠٢
حمص	٨١٥	١٩
حماة	٧٣٧	٨٣
الحسكة	٦٧٠	٢٩
اللاذقية	٥٥٥	٢٤١
أدلب	٨٥٠	٩٥
طرطوس	٤٤٣	٢٣٤
دير الزور	٤٠٩	١٢
الرقة	٣٤٨	١٨
درعا	٣٦٣	٩٧
السويداء	١٩٩	٣٦
القنيطرة	٢٦	١٤

أصبح ٤٠,٥ بالألف عام (١٣٧٠ هـ/ ١٩٥٠م) وارتفع إلى ٤١,٦ بالألف عام (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) وإلى ٤٣ بالألف عام (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) و ٤٣ بالألف عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

ويساعد على تزايد معدل المواليد في سوريا عدة أسباب أهمها الزواج المبكر وتشجيع الإنجاب ، فغالبية سكان سوريا من المسلمين الذين يحبذون الزواج المبكر والإنجاب ، كذلك فإن العامل الاقتصادي له دوره في تشجيع الإنجاب وخاصةً في أوساط المزارعين ، فالولد بالنسبة للفلاح السوري يشكل يدا عاملة زراعية غير مأجورة تساعد في مختلف الأعمال الزراعية .

أما الوفيات فإن نقص معدلها يؤدي إلى ارتفاع نسبة تزايد السكان ، ويدل على شروط حياتية وصحية حسنة . ويتراوح معدل الوفيات بين ١٢ و ١٥ بالألف ، وبذلك يبلغ معدل التزايد الطبيعي للسكان بين ٢٣ و ٣١ بالألف وتختلف نسبة الوفيات حسب المناطق والمهن . فالبادية والأرياف تسجل أرقاما مرتفعة للمواليد وتليها المدن . إلّا أن المستوى المعيشي والمستوى الصحي وانخفاض الوعي يجعل معدل الوفيات مرتفعا في البادية والأرياف بحيث تتجاوز ١٥ بالألف بينما تنخفض في المدن .

الهجرة :

لابد من الإشارة هنا إلى سبب مهم من أسباب التغيرات السكانية في سوريا ، وهو الهجرة وخاصة الداخلية منها . فسكان البادية يتناقصون تدريجيا بسبب إقامتهم بشكل نهائيٍّ في مناطق الاستقرار الريفي وفي المدن . كذلك توجد هجرة مستمرة من الأرياف إلى المدن بحثا عن العمل بسبب ضيق الأراضي الزراعية ، ودخول الآلات الزراعية الحديثة وتأثرًا بإغراءات المدينة الحضارية وطلب العلم ، وغير ذلك من الأسباب . ولذلك نلاحظ ظاهرة تضخم المدن على حساب الأرياف . وللدلالة على ذلك نجد أن نسبة عدد سكان الأرياف قد تناقصت بالمقارنة مع نسبة عدد سكان المدن . ففي عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) بلغ مجموع سكان الأرياف في سوريا ٢٨٨٠ ألف نسمة ، بينما بلغ مجموع سكان الحضر ١٦٨٥ ألف نسمة ، أي أن العدد الإجمالي لسكان الريف كان

حوالي ضعف سكان الحضر في سوريا في ذلك العام ، وفي عام ١٤٠١هـ تغير الحال ، بصورة واضحة ، إذ بلغ العدد الإجمالي لسكان الأرياف ٤٦٢٥ ألفا بينما بلغ العدد الإجمالي لسكان الحضر ٤٤٥٣ ألفا ، مما يدل على التزايد السريع لسكان الحضر على حساب سكان الأرياف النازحين إلى المدن ، إذ أصبح هناك تعادل تقريبي بين سكان الريف وسكان المدن ٥٢٪ من السكان يقطنون الأرياف و ٤٨٪ يقطنون المدن .

ويمكن التمييز بين الهجرة الداخلية الدائمة والهجرة الداخلية المؤقتة ، فهذه الأخيرة قد تستمر لعدة سنوات أو تكون موسمية لبضعة أشهر ثم يعود المهاجرون إلى مواطنهم وقراهم . ويضم هذا النوع من الهجرة الموظفين والطلاب والعمال الموسميين والرعاة والبدو ، والهجرة المؤقتة هذه ظاهرة صحية لا خطر منها على التركيب السكاني على عكس الهجرة الدائمة[٢٤] التي تسبب نقص الأيدي العاملة والخبرات في الأرياف ، وتزيد من البطالة والمشاكل الاجتماعية في المدن ، فالرعاة ينتقلون من مكان إلى آخر حسب الفصول . ويسهم الريفيون في جني المحاصيل في مناطق غير مناطقهم وقد يذهبون إلى المدينة للعمل بصورة مؤقتة بعد أن يفرغوا من أعمالهم الزراعية ، كذلك فإن الطلاب يعودون إلى قراهم بعد انتهاء دراستهم ، أو في أوقات العطلة الصيفية .

أما الهجرة الخارجية فهي نوعان أيضًا : هجرة مؤقتة ، يعود أصحابها إلى الوطن بعد كسب المال ، كهجرة السوريين إلى أقطار الخليج العربي والأقطار العربية الأخرى . والثانية هجرة دائمة حيث يقيم المهاجرون في البلدان التي وصلوا إليها بحثا عن العمل ، أو من أجل الدراسة ، أو هربا من ظروف اجتماعية أو سياسية معينة . وفي هذا النوع من الهجرة خطر على البلاد ، خاصة أن المهاجرين يكونون ممن هم في سن العمل والإنتاج ، أو من أصحاب الإمكانات العلمية أو أصحاب رؤوس الأموال . وتوجد جاليات سورية في الأمريكتين وأقطار متعددة من إفريقيا وقد هاجرت هذه الجاليات خلال القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين ، بسبب ما كان يسود بلاد الشام من ركود الاقتصاد واضطراب الأمن ، وتفشي الفساد والرشوة[٢٥] .

ومن جهة أخرى استقبلت سوريا خلال تاريخها الحديث جماعات مهاجرة بأعداد

صغيرة وكبيرة ، من عناصر وبلدان مختلفة . فقد وصل إليها مهاجرون أتراك ويونان وألبان وأكراد ويوغسلاف وشراكس وأرمن ، استقروا في مناطق سوريا الشمالية ، والمدن الكبرى ، ومناطق الجنوب ، كما استقبلت أعدادا من المهاجرين العرب من السودان والجزائر والمغرب[٢٦] ، ولكن أكبر الجماعات البشرية المهاجرة التي استقبلتها سوريا في تاريخها الحديث تتمثل فى أبناء لواء الإسكندرون من العرب والأرمن عام (١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م)[٢٧] واللاجئين الفلسطينيين عام (١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م) بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، وأخيرا أبناء لبنان الذين هربوا من ويلات الحرب الأهلية التي اشتعلت عام (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) .

التركيب العمري والنوعي للسكان :

من خلال الأرقام المبينة في الجدول رقم (٣) ، نستطيع أن نتبين الخصائص الأساسية

جدول (٣) تقدير عدد سكان سوريا حسب فئات السن والجنس في منتصف عام (١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م) (بالألف نسمة)

فئات السن	ذكور	النسبة المئوية	إناث	النسبة المئوية	المجموع	النسبة المئوية
أقل من سنة	٢٠٠	١,٨٨	١٨٨	١,٧٧	٣٨٨	٣,٦٥
١ – ٤	٨٢٩	٧,٨١	٧٨٥	٧,٤٠	١١١٤	١٥,٢١
٥ – ٩	٩٣٧	٨,٨٣	٨٧٤	٨,٢٣	١٨١١	١٧,٠٦
١٠ – ١٤	٧٤٣	٧,٠٠	٦٧٣	٦,٣٤	١٤١٦	١٣,٣٤
١٥ – ١٩	٥١٥	٤,٨٥	٤٩٩	٤,٧٠	١٠١٤	٩,٥٥
٢٠ – ٢٤	٤٠١	٣,٧٨	٣٧٥	٣,٥٣	٧٧٦	٧,٣١
٢٥ – ٢٩	٢٨٢	٢,٦٦	٣١٠	٢,٩٢	٥٩٢	٥,٥٨
٣٠ – ٣٤	٢٦١	٢,٤٦	٢٨٢	٢,٦٦	٥٤٣	٥,١٢
٣٥ – ٣٩	٢٦٦	٢,٥١	٢٦٨	٢,٥٣	٥٣٤	٥,٠٤
٤٠ – ٤٤	٢٣٢	٢,١٩	٢١٢	٢,٠٠	٤٤٤	٤,١٩
٤٥ – ٤٩	١٨٠	١,٧	١٦٣	١,٥٤	٣٤٣	٣,٢٤
٥٠ – ٥٤	١٣٢	١,٢٤	١٢٦	١,١٩	٢٥٨	٢,٤٣
٥٥ – ٥٩	١٠٣	٠,٩٧	٩٥	٠,٨٩	١٩٨	١,٨٦
٦٠ – ٦٤	١٠٦	٠,٩٩	١١٢	١,٠٦	٢١٨	٢,٠٥
٦٥ – ٦٩	٧٢	٠,٦٨	٧١	٠,٦٧	١٤٣	١,٣٥
٧٠ – ٧٤	٧٢	٠,٦٨	٧٢	٠,٦٨	١٤٤	١,٣٦
٧٥ فأكثر	٨٩	٠,٨٤	٨٧	٠,٨٢	١٧٦	١,٦٦
المجموع	٥٤٢٠	٥١,٠٧	٥١٩٢	٤٨,٩٣	١٠٦١٢	١٠٠

المصدر : المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م ، مرجع سابق ص ٦٨ – ٦٩ والنسب من عمل الباحث .

للتركيب العمري والنوعي للسكان في سوريا[٢٨] . فمن هذا الجدول نلاحظ ارتفاعًا كبيرًا في عدد الأطفال دون سن ١٥ سنة إذ يصل عددهم إلى ٥٢٢٩ ألف طفل أي ما يعادل ٥٢,٩٧٪ من مجموع سكان البلاد . وهذا يعني أن القسم الأعظم من سكان البلاد مازال قاصرا عن كسب قوته ، ومازال يحتاج إلى نفقات كبيرة في مجال التعليم والإعداد الفني والمهني ، وإذا أضفنا إلى هذا الكم الكبير من الصغار ما نسبته ٤,٤٪ تقريبا من الشيوخ الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ عاما ، تبين لنا مقدار العبء الذي يقع على كاهل المنتج السوري ، وذلك إذا افترضنا أن بقية فئات السن تدخل في مجال العمل ، علما بأن الواقع ينافي هذا الافتراض إذ إن أعدادا كبيرة من النساء لا تعمل ، كما أن الدراسة الجامعية والفنية تستوعب أعدادا كبيرة من فئات السن بين ١٥ و ٢٥ عامًا .

أما من حيث التركيب النوعي للسكان فالجدول السابق يرينا أنه بالنسبة للمواليد (أقل من سنة) فإن كل ١٠٠ أنثى يقابلها ١٠٦ ذكور ، وتتناقص نسبة الذكور في المجموع لتصبح نحو ١٠٤,٤ لكل ١٠٠ أنثى ، وحسب تعداد السكان لعام ١٩٨١م وجدت نفس النسبة السابقة أي ١٠٠ أنثى لكل ١٠٤,٤ من الذكور ، مع تفاوت هذه النسبة بين المحافظات المختلفة ، إذ تتفاوت من ٩٩,٥ في محافظة السويداء إلى ١٠٣,٣ في محافظة الرقة و١٠٧,٣ في مدينة دمشق .

وتلعب الهجرة الدور الرئيس في هذه الاختلافات إلى جانب العوامل الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية .

التركيب المهني للسكان :

حسب الدراسات التي أجراها المكتب المركزي للإحصاء في سوريا عام

(١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م) ، بلغ عدد الذين هم داخل قوة العمل نحو ٢,٣٢ مليون شخص ، أي ما يعادل ٣٦,٦٪ من القوة البشرية ، وحوالي ٢٤,١٪ من مجموع السكان البالغ عددهم ٩,٦٣ مليون شخص ، وهذا يعني أن كل فرد من قوة العمل يعول نفسه وثلاثة أفراد آخرين ، دون الأخذ بعين الاعتبار عدد العاطلين عن العمل .

أما من حيث توزيع قوة العمل على أقسام النشاط الاقتصادي المختلفة ، فإن المجموعات الإحصائية الحديثة لا تشير إلى هذا الأمر ، وبالرجوع إلى المجموعة الإحصائية لعام ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م نجدها تتضمن مثل هذا التوزيع ولكن عن عام (١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م)[٢٩] وتستوعب الزراعة والغابات والصيد نحو ٥٠٪ من قوة العمل البالغة ١,٥٠ مليون شخص ، تليها الخدمات المتنوعة وتضم نحو ١٤٪ ، ثم الصناعات التحويلية ١٤٪ ، فقطاع التجارة ٩٪ ، فقطاع البناء والتشييد ٨٪ ثم بقية النشاطات الأخرى .

كذلك يمكن تقسيم سكان سوريا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية إلى ثلاث فئات :

١ – البدو :

يشكلون مجموعة سكانية صغيرة العدد تعيش على الرعي المترحل سعيا وراء الكلأ والماء لتأمين حياتهم وحياة قطعانهم من الأغنام والماعز والإبل وينتشر البدو في البادية السورية حيث تقل كمية الأمطار ولا تساعد على قيام الزراعة وحياة الاستقرار الدائم . ولا توجد بين أيدينا إحصاءات حديثة عن عدد البدو ، وإن كانت بعض التقديرات تشير إلى أن عددهم يصل إلى حوالي ٢٠٠ ألف نسمة[٣٠] . ويتناقص عدد البدو بصورة تدريجية بسبب تحول العديد منهم من حالة الترحال إلى حالة الاستقرار من جراء التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد خلال العشرين سنة الماضية .

٢ - الريفيون :

وهم السكان الذين يعيشون خارج المدن في تجمعات بشرية ثابتة هي القرى والمزارع والواحات ، وهم مرتبطون بالأرض ، ويعملون بالزراعة والصيد البحري وقطع الغابات .

وقد بلغت نسبة الريفيين في سوريا (١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م) حوالي ٦٣٪ من مجموع السكان ، ثم انخفضت إلى حوالي ٥٠,٩٪ عام (١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م) ويعود انخفاض هذه النسبة إلى هجرة الريفيين إلى المدن ثم إلى ازدياد نسبة التحضر في البلاد .

٣ - الحضريون :

وهم الذين يقطنون المراكز البشرية الكبيرة التي يزيد عدد سكان كل منها عن ٢٠ ألف نسمة ، وتتميز هذه الفئة من السكان عن البدو والريفيين بأساليب حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية .

وقد بلغت نسبة السكان الحضريين في سوريا عام (١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م) حوالي ٣٧٪ ثم ارتفعت إلى حوالي ٤٣٪ في عام (١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م) وإلى حوالي ٤٩,١٪ عام (١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م) . ويعود هذا الارتفاع إلى ازدياد نسبة التحضر وهجرة البدو وسكان الأرياف إلى المدن .

وقد بلغ عدد المدن السورية عام (١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م) ٦١ مدينة تضم حوالي ٤٢٥١ ألف شخص . وأكبر هذه المدن هي دمشق ، وتليها حلب ثم حمص فاللاذقية فحماة .

الديانات وأصول السكان :

تعود آخر الإحصاءات التي ذكرت شيئا عن أتباع الديانات المختلفة في سوريا إلى عام (١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م) . وبينت هذه الإحصاءات أن الغالبية العظمى من السكان مسلمون (٩٢٪) ، ثم يليهم النصارى واليهود ونسبتهما ٨٪

أما من حيث أصول السكان الأثنولوجية – السلالية في سوريا ، فيمكن القول إن سوريا كانت منذ القدم بوتقة عربية انصهرت فيها أقليات وافدة كثيرة . وتكوين البوتقة العربية السورية يعود في أساسه إلى الهجرات العربية القديمة من شبه الجزيرة العربية والتي دعاها المؤرخون الهجرات السامية ، ومن أهم هذه الهجرات هجرة الأراميين والفينيقيين والكنعانيين وأخيرا الغساسنة وبكر وتغلب . وفي نفس الوقت جاءت أقوام أخرى إلى سوريا على شكل غزاة ومحاربين احتلوا البلاد فترة ، ثم انسحبوا كالإغريق والرومان .

ومن شبه الجزيرة العربية ، مرة أخرى جاءت جحافل العرب المسلمين لتكمل بصورة نهائية عملية التعريب السلالي واللغوي والحضاري لبلاد الشام وتطرد الغزاة البيزنطيين منها .

وبعد بناء الدولة الإسلامية المترامية الأطراف صار المسلمون يتنقلون بين مختلف الولايات والأمصار الإسلامية ويقيمون في أي مدينة أو بقعة يشاؤون ، فالبلاد بلادهم من حدود الصين شرقا إلى حدود فرنسا غربا . لذلك وفد إلى سوريا مسلمون من غير العرب كالأكراد والشركس والداغستان والتركمان والأتراك وغيرهم ، واندمج غالبية هؤلاء المسلمين بالسكان حضاريا ولغويا ، ويصعب تمييزهم عن غيرهم إلا في بعض المواقع والقرى في مناطق الحدود الشمالية أو بعض المناطق الجبلية المعزولة .

كما وفد حديثًا بعض المجموعات العرقية غير العربية ، وأهمها الأرمن الذين جاؤوا إلى سوريا خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها ، مهاجرين من هضبة أرمينيا في شمالي تركيا وهم أقلية عرقية – نصرانية مغلقة على نفسها أكثر من غيرها وغالبيتهم توجد في مدينة حلب والباقون ينتشرون في محافظة اللاذقية ودمشق وحمص ودرعا ..

المدن السورية

تشترك سوريا مع غيرها من بلدان العالم الثالث في ظاهرة نمو المدن وتضخم عدد سكانها . وإذا كان النزوح من الأرياف إلى المدن هو العامل المشترك في هذه البلدان ، فإن لكل بلد عوامله وظروفه الخاصة التي تؤدي إلى سرعة أو بطء تطور الحياة الحضرية وتكدس السكان في المدن . ومن أهم العوامل التي أدت إلى النمو السريع للمدن السورية توفير الخدمات الأساسية في وقت مبكر للمدن السورية الكبرى ومراكز المحافظات ثم مراكز المناطق والنواحي . فكثير من المدن السورية معروفة منذ القدم بأنها مراكز تجارية وإدارية خلال عهود تاريخية قديمة ، وقد امتدت إليها يد التنظيم والعناية منذ وقت مبكر . فتوفرت لها الكهرباء ومدت إلى أحيائها وبيوتها المياه النقية ، وشيدت فيها المدارس ودخلتها وسائل النقل الحديثة وشقت فيها الطرق المعبدة .

كذلك اتصلت هذه المدن قبل غيرها بطرق النقل كالسكك الحديدية والطرق المعبدة ، وشبكة الاتصالات السلكية واللاسلكية ، كما أن بناء المرافئ الحديثة على البحر المتوسط شجع على اضطراد نمو الحياة المدنية في السهل الساحلي على حساب الظهير الريفي في الجبال الساحلية . كما أن تسمية بعض القرى الكبيرة مراكز للمحافظات والمناطق ، عجلت بنموها واتساعها . وتعد هذه القرى ضمن المدن السورية وإن لم يصل عدد سكانها إلى ٢٠ ألف نسمة .

وقد تطور عدد سكان أهم المدن السورية بين إحصاء (١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م) وإحصاء (١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م) على النحو (المبين في الجدول[٣٢] رقم (٤)) .

جدول (٤) تطور أعداد سكان المدن السورية بين سنتي (١٣٨٠ - ١٤٠١ هـ)/ ١٩٦٠ - ١٩٨١ م

المدينة	عدد السكان (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) (ألف نسمة)	عدد السكان (١٤٠١هـ/١٩٨١م) (ألف نسمة)
دمشق	٥٢٩	١١١٢
حلب	٤٢٥	٩٨٥
حمص	١٣٧	٣٤٦
اللاذقية	٦٧	١٩٦
حماة	٩٧	١٧٧
دير الزور	٤٢	٩٢
القامشلي	٣٤	٩٢
الرقة	١٤	٨٧
الحسكة	١٨	٧٣
جرمانا	—	٦٤
طرطوس	١٥	٥٢
أدلب	٢٣	٥١
دوما	٢٢	٥١
درعا	١٧	٤٩
السويداء	١٨	٤٣
القنيطرة	١٧	

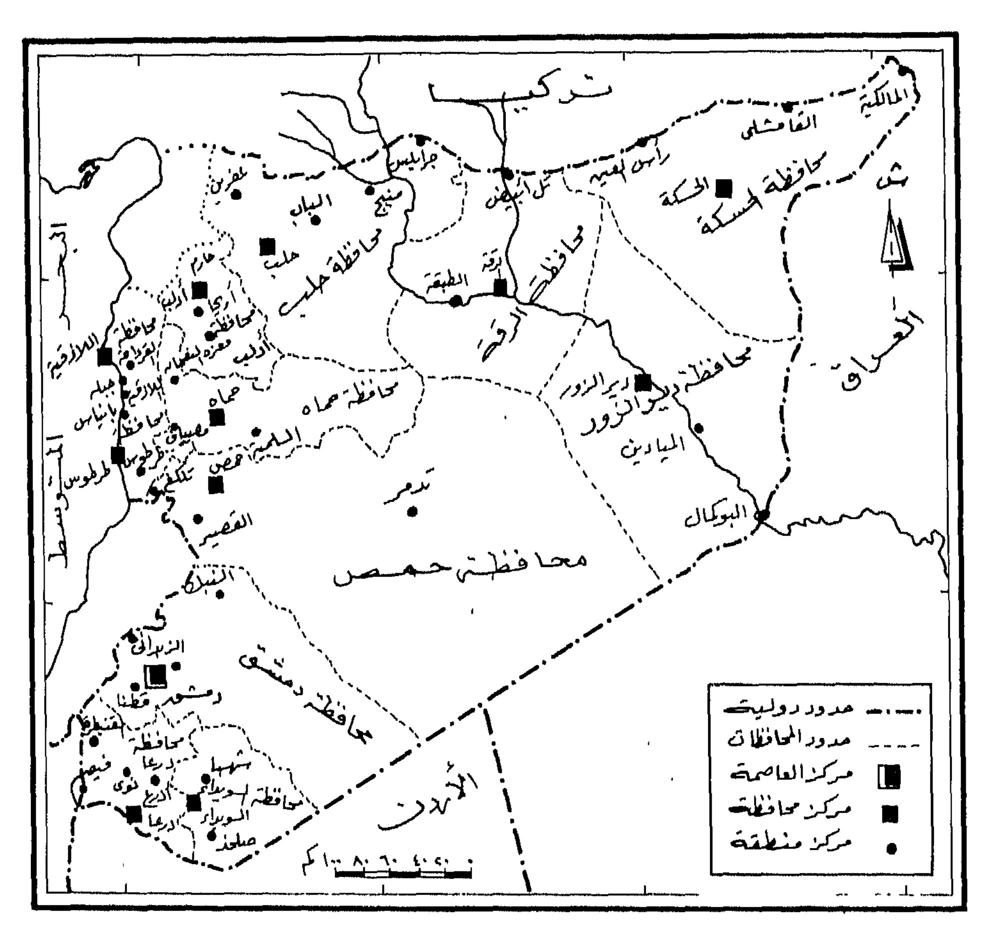
من خلال هذا الجدول نلاحظ تضاعف عدد سكان بعض المدن مثل دمشق وحلب وحماة ، بينما زاد عدد سكان بعض المدن بصورة أسرع ، وخاصة تلك المدن الصغيرة عام ١٣٨٠هـ مثل القامشلي والرقة والحسكة وطرطوس ، فقد ازداد عدد سكان كل منها بنسبة ٤٠٠٪ خلال عشرين عاما . والحقيقة أن ١٣ من هذه المدن هي مراكز المحافظات السورية ، والمدن الثلاثة الأخرى وهي القامشلي وجرمانا ودوما عبارة عن مراكز إدارية للمناطق في محافظات الحسكة ودمشق [شكل ٦] .

ولابد من الإشارة إلى أن مدن دمشق وحلب وحمص وحماة ، بشكل خاص هي أسماء ساطعة في سماء التاريخ الإسلامي العريق ، منذ الفتح الإسلامي لبلاد الشام ، ومهما تقادم الزمن وتتالت الأجيال ، ستظل تذكر مدينة دمشق عاصمة الدولة الإسلامية خلال أقوى حقبة في تاريخها ، حيث امتد الإسلام من أواسط فرنسا إلى مشارف الصين .

وتبقى مدن دمشق وحلب وحمص وحماة واللاذقية هي أهم المدن السورية في الوقت الحاضر من حيث عدد السكان والنمو الاقتصادي والحضاري .

مدينة دمشق :

هي أقدم مدينة مزدهرة في التاريخ . وصل عدد سكانها في ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م إلى حوالي ٢ مليون نسمة إذا أضيف إليها سكان مخيم اليرموك وقبرالست والحجر الأسود والقدم وكفر سوسة .. وهي تقع في جنوب سوريا ، ويرويها نهر بردي ، وتحيط بها غوطة غناء جميلة تضم مختلف أنواع الأشجار المثمرة والخضراوات وخاصة أشجار المشمش والجوز والعنب . وتضم مدينة دمشق آثارا كثيرة تعود إلى مختلف عصور التاريخ منذ الأراميين والإغريق والرومان والغساسنة والدولة الأموية والمملوكية والأيوبية والتركية . ولعل من أهم هذه الآثار سورها القديم ، والمسجد الأموي الكبير ، والتكية السليمانية وقلعة دمشق وقصر العظم ، إضافة إلى الحمامات القديمة والأسواق المسقوفة . كما تعد دمشق أهم مركز صناعي في سوريا إذ تضم أعدادًا كبيرة من كبريات مؤسسات صناعة الغزل والنسيج والصناعات الغذائية وصناعة الأسمنت والزجاج والأخشاب والجلود . وتتصل دمشق بمختلف المدن السورية بواسطة السكك الحديدية والطرق



شكل - ٦ - التقسيمات الإدارية والمدن

المصدر: المجموعة الإحصائية. (١٤٠٥هـ /١٩٨٥م)

المعبدة ، وهي أعظم مركز ثقافي في البلاد ، إذ تضم أقدم الجامعات السورية وأكبرها (جامعة دمشق) إضافة إلى المعاهد الفنية العليا والمتوسطة والثانوية .

مدينة حلب :

هي المدينة الثانية في سوريا من حيث أهميتها السكانية والاقتصادية والحضارية ؛ فهي عاصمة الشمال الزراعي إذ تستقطب الخيرات الزراعية لمناطق الفرات والجزيرة ، إضافة لمنطقتها ، فكثرت فيها الخيرات ، ونشطت حركتها التجارية وأقبلت على إنشاء الصناعات الحديثة في وقت مبكر . فقامت فيها الصناعات النسيجية المختلفة والصناعات الغذائية ثم الصناعات المعدنية . ومما ساعد في تطور المدينة اقتصاديا كونها عقدة للمواصلات البرية من سكك حديدية وطرق للسيارات ، إذ تربطها هذه الطرق بتركيا شمالا ، وسهول الفرات والجزيرة شرقا وبمينائي اللاذقية وطرطوس غربا ، وبمدن حماة وحمص ودمشق جنوبا ، بل إن السكة الحديدية تربطها بميناء طرابلس اللبناني جنوبا . كما تشتهر مدينة حلب بآثارها القديمة والإسلامية وخاصة قلعتها الشامخة . كما تضم الجامعة السورية الثانية والتي تحمل اسم المدينة ذاتها .

مدينة حمص :

تقع في وسط سوريا ، وتحيط بها سهول خصبة ترويها مياه نهر العاصي ، كما تجتذب خيرات البادية في الشرق إذ إن محافظة حمص تضم جزءا كبيرا من منطقة البادية ، لذلك تباع في أسواقها الحيوانات ومنتجاتها المختلفة وترتبط مع أهم المدن والموانئ السورية بواسطة السكة الحديدية وطرق السيارات كما ترتبط مع مناجم الفوسفات في الشرق بسكة حديدية وطرق للسيارات . وتعد حمص المدينة الثالثة في سوريا من حيث أهميتها الصناعية إذ أقيمت فيها أول مصفاة للنفط في سوريا ، كما تشتهر بصناعاتها الغذائية والنسيجية والكيماوية ومواد البناء ، كما أقيمت فيها الجامعة السورية الرابعة . وتضم مدينة حمص العديد من الآثار وأهمها مسجد الصحابي خالد بن الوليد ، رضي الله عنه .

مدينة حماة :

مدينة أبي الفداء ، تقع على نهر العاصي إلى الشمال من مدينة حمص وسط منطقة

زراعية خصبة ، حيث ترويها مياه نهر العاصي ، وما زالت نواعير حماة تشهد على حضارة زراعية عريقة في المنطقة . تتصل مدينة حماة من الشرق ببادية الشام ، لذلك فإن أسواقها غنية بالمنتجات اليدوية والريفية . وترتبط حماة مع غيرها من المدن السورية بواسطة السكك الحديدية والطرق المعبدة كما تضم العديد من الآثار وخاصة الآثار الإسلامية . وشهدت هذه المدينة نهضة صناعية حديثة فأقيمت فيها صناعات غذائية ومعدنية وصناعة مواد البناء .

مدينة اللاذقية :

هي ميناء سوريا الأول على البحر المتوسط ، لذلك قامت فيها حركة اقتصادية نشيطة ، جذبت إليها سكان المناطق الريفية والجبلية المجاورة فازداد سكانها بسرعة . وهي مدينة جميلة بسبب موقعها البحري ، وإحاطة الجبال بها من ثلاث جهات ، حيث الغابات والمياه والمصايف ذات الأجواء اللطيفة الهادئة . ويربطها بداخل البلاد طرق برية سهلة وميسورة ، ويصدر عن طريق مينائها معظم المنتجات الزراعية والصناعية السورية ، كما يستورد عن طريقها معظم احتياجات البلاد من المواد المصنعة والمنتجات الغذائية والمشتقات النفطية . وفي المدينة « جامعة تشرين » وهي الجامعة السورية الثالثة من حيث القدم والأهمية . كما شهدت المدينة خلال السنوات الأخيرة نهضة صناعية واضحة ، ونشاطا سياحيا ملحوظا .

الاقتصاد الوطني

١ – الزراعة

يستند الاقتصاد الوطني في سوريا على الزراعة وتربية الحيوان ، سواء كان ذلك من حيث عدد العاملين أو السكان الذين يقطنون الأرياف ، ومن يعتمدون في معيشتهم على الزراعة . أو من حيث الصناعات التي تعتمد على المواد الخام الزراعية والحيوانية ، أو من حيث الصادرات الزراعية التي كانت تصل نسبة إسهاماتها إلى ٩٠٪ من مجمل الصادرات

السورية ، وذلك قبل إنتاج النفط والفوسفات ودخولهما قائمة الصادرات .

وخلال العشرين سنة الأخيرة طرأ تغير كبير على الوضع الاقتصادي في سوريا ، فأخذت نسبة العاملين في الزراعة تتراجع أمام تزايد نسبة العاملين في القطاعات الاقتصادية الأخرى ، مع محافظة نسبة العاملين في الزراعة على المرتبة الأولى (٥٠٪ من قوة العمل)، أي أن الزراعة تبقى المهنة الرئيسة للأيدي العاملة في سوريا رغم أن إسهامها في الناتج المحلي الإجمالي تتراوح بين ٢٠ و ٢١٪ اعتبارا من عام ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠م وحتى اليوم. وقد يصل الدخل الناتج عن الزراعة في بعض السنوات إلى نسبة ٣٠٪ من مجموع الدخل الوطني، كما يعتمد حوالي ٧٠٪ من السكان في معاشهم على الزراعة. وقد ظلت الزراعة تحت سيطرة القطاع الخاص الذي تصل نسبة إسهامه في الإنتاج الزراعي إلى أكثر من ٩٩,٥٪ بينما لا تتجاوز نسبة القطاع العام ٠,٥٪ وهي النسبة المتمثلة في إنتاج مزارع الدولة .

وقد قدرت الأراضي القابلة للزراعة في سوريا عام ١٤٠٤ هـ(١٩٨٤ م) بحوالي ٣٠,٥٪ من مساحة البلاد ، إذ بلغت ٥٦٥٥ ألف هكتار ، منها ٣١١٧ ألف هكتار مزروعة زراعة بعلية و ٦١٨ ألف هكتار مزروعة على الري ، والباقي وقدره ١٩٢٠ ألف هكتار هي الأرض المتروكة للراحة للعام التالي .

وتختلف أشكال الملكية الزراعية في سوريا . ويمكن تقسيمها إلى قسمين رئيسين هما : الملكية الفردية ، وملكية الدولة . والنوع الأول هو الشائع والمنتشر أكثر من النوع الثاني . فلقد زادت مساحة أراضي الملكية الفردية وتجاوزت ٩٩٪ من مساحة الأراضي المزروعة ، بينما تقلصت أملاك الدولة ولم تعد تتجاوز ٥٣ ألف هكتار من الأرض المزروعة ، موزعة على ما تبقى من أراضي مزارع الدولة (حسب الإحصاءات الرسمية لعام (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م) .

ولقد كانت الملكية الفردية في سوريا قبل تطبيق قانون الإصلاح الزراعي ومصادرة أراضي الإقطاعيين وكبار الملاك مقسمة إلى ملكية كبرى ، وهي التي تزيد مساحتها عن ١٠٠ هكتار ، وملكية متوسطة تتراوح مساحتها بين ١٠ و ١٠٠ هكتار ، وملكية صغيرة تقل

عن ١٠ هكتارات .

وفي الأشكال المختلفة للملكية الفردية يمارس الفلاح أو المزارع المالك الأعمال الزراعية بنفسه ، أو بالمشاركة أو المغارسة أو بالإيجار بنسب مختلفة حسبما يتم الاتفاق عليه بين المالك والعامل في الأرض ، وحسب ما يقدمه كل منهما من تسهيلات ومساعدات تتمثل في الأرض نفسها ، والماء للري والبذور والدواب أو الآلة وبالسماد واليد العاملة ، وغير ذلك من مستلزمات الزراعة وجني المحصول .

وقد زالت الملكية الكبيرة في سوريا بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي عام (١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م) والتعديلات التي طرأت عليه فيما بعد ، وانقلبت الملكية الكبيرة إلى ملكية متوسطة وصغيرة وزعت فيها الأراضي على الفلاحين ضمن حدود الشروط المنصوص عليها في القانون المذكور . كذلك تقلصت أراضي الدولة التي كانت تشكل ٣٣٪ من مجموع الأراضي القابلة للزراعة عشية استقلال البلاد .

كذلك شهدت البلاد تغيرا ملحوظا في مجال تطور الزراعة وإدخال الأساليب الزراعية فيها . إذ أعدت الدولة ، خلال خططها الخمسية المتعاقبة ، برنامجا طموحا لبناء السدود وتوفير مياه الري بدل الاعتماد على مياه الأمطار المتذبذبة ، كما أقامت معامل كبيرة لإنتاج الأسمدة والمبيدات الحشرية ، ومعامل أخرى لإنتاج الآلات الزراعية ، وطورت ونشطت المختبرات والأبحاث العلمية ، وسمحت باستيراد المستلزمات الزراعية غير المتوفرة في البلاد .

ونستطيع أن نتبين ملامح التغيير والتحديث التي طرأت في المجال الزراعي من مقارنة بعض الأرقام والاطلاع على بعض مشاريع الري والتصنيع الزراعي التي تم تنفيذها خلال الفترة السابقة .

فقد ارتفع عدد الجرارات الحديثة المستعملة في الزراعة من ٥٣١ جرارا عام (١٣٧٥ هـ/١٩٥٥م) إلى نحو ٣٧٨٩٠ جرارا عام (١٤٠٤ هـ-١٩٨٤ م) .

كذلك ارتفع عدد المضخات المائية المستخدمة لأغراض الري في نفس الفترة من ٢٤٦٨ مضخة إلى حوالي ٦٦٢٠٥ مضخة .

كما نلاحظ تطورا واضحا في استخدام المخصبات ، إذ بلغت كميات الأسمدة المستخدمة في الزراعة ٦١٩٠٠ طن عام (١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م) ، ثم ارتفعت إلى ٤٨٧٣٨٦ طن عام (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م) ، أي أن استهلاك الأسمدة تضاعف أكثر من سبع مرات خلال عشرين عاما .

واستجابة لمتطلبات التحديث الزراعي قامت الدولة ببناء ثلاثة مصانع كبيرة تخدم القطاع الزراعي : اثنان منها في مدينة حمص لإنتاج السماد الآزوتي وسماد السوبر فوسفات ، والثالث في حلب لإنتاج الجرارات والآلات الزراعية الأخرى .

ومن أجل تطوير الإنتاج الزراعي والتقليل من أهمية التأثيرات المناخية والاستفادة من المياه السطحية ، التي تذهب هدرا دون الاستفادة منها في أودية الأنهار والوديان أقيمت مشاريع زراعية مروية متنوعة في سوريا نشير فيمايلي إلى أهمها :

١ - مشروع سد الفرات :

وهو أضخم مشروع اقتصادي في تاريخ سوريا الحديثة . بدأ الإعداد له عام (١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م) ، وانتهى تنفيذ السد عام (١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م) . ويشكل السد خزانا ضخما للمياه تصل سعته الكلية إلى ١١,٩ مليار متر مكعب ، إذ يشكل بحيرة مساحتها ٦٣٠ كم٢ . وتروي مياه السد مساحة من أراضي وادي الفرات والجزيرة تصل إلى ٦٤٠ ألف هكتار . كما تبلغ قدرة المحطة الكهربائية المقامة على السد ١١٠٠ ميغا واط عند ارتفاع منسوب المياه إلى ٣٢٠م إلى جانب استغلال مياه السّد في ري الأراضي وتوليد الكهرباء ، فإنه قد أزال الخطر والخسائر الكبيرة التي كانت تسببها فيضانات النهر المفاجئة . هذا إلى جانب استغلال بحيرة السد في تربية الأسماك وتلطيف المناخ ، وإيجاد مورد سياحي للمنطقة .

٢ - مشروع الغاب والعشارنة :

وهو أقدم المشاريع الزراعية المهمة التي قامت الدولة بتنفيذها بعد الاستقلال ، ويقع المشروع في وادي نهر العاصي الأوسط ، ويعتمد على مياه نهر العاصي . والغاب والعشارنة عبارة عن سهلين تغمرهما مياه نهر العاصي والمياه المنحدرة من الجبال المجاورة

لذلك جرى تصريف المياه الزائدة من خلال تنظيم مجرى نهر العاصي ، وتجفيف المستنقعين ، فكسب المشروع مساحة من الأرض تقدر بحوالي ٧٢ ألف هكتار في سهل الغاب ، تزرع الآن على مدار السنة بعد توفير مياه الري من خلال السدود التي أقيمت على مجرى نهر العاصي . كذلك تم تجفيف مستنقع العشارنة الذي تبلغ مساحته خمسة آلاف هكتار ، بعد تصريف مياهه نحو نهر العاصي ، ونظمت فيه شبكة للري ، وأحواض لتربية الأسماك وهكذا أسهم هذا المشروع الكبير في زيادة المساحات الزراعية المروية في سوريا وتحسين المستوى المعاشي للسكان بالمنطقة .

٣ - مشروع حمص - حماة :

ويقوم هذا المشروع على استغلال مياه بحيرة قطينة الواقعة على مجرى نهر العاصي جنوبي حمص ، من أجل ري السهول الواقعة على جانبي النهر في محافظتي حمص وحماة . وبالفعل فقد بنيت قناة أسمنتية حملت المياه من البحيرة حتى مدينة حماة وتفرعت منها قنوات فرعية في سهول حمص وحماة ، وأمنت مياه الري الدائم لسهول المنطقة الخصيبة .

٤ - مشروع السن :

ويقع هذا المشروع على نهر السن الساحلي شمال مدينة بانياس . ويتألف المشروع من بناء سد لرفع مستوى المياه إلى حوالي ١١,٧٥م ثم ركبت عليه مضخات لترفع المياه إلى الأراضي المرتفعة . كما مدت قنوات الري باتجاه الأراضي الزراعية المجاورة ، إضافة إلى قناة مدت إلى مدينة اللاذقية لتحمل إليها مياه الشرب وانتهى العمل بهذا المشروع عام (١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م) .

٥ - مشروع المزيريب :

أقيم هذا المشروع للاستفادة من مياه بحيرة المزيريب الواقعة في سهول حوران في أقصى جنوب سوريا . وبما أن المنطقة ذات أمطار متذبذبة ، وتربة بركانية خصبة فقد استغلت مياه هذه البحيرة لري نحو ٢٢٠٤ هكتار . وقد أقيم سد غرب البحيرة على الوادي الذي يرفد نهر اليرموك ، ثم حفرت قناتان ترويان المنطقة وتحولان أراضيها من بعلية تعتمد على مياه الأمطار إلى أراض تروى بالراحة ، فتنوعت فيها الزراعات وزاد الإنتاج .

المحاصيل الزراعية

تتنوع المحاصيل الزراعية في سوريا ويمكن إجمالها في أربع مجموعات هي : الحبوب ، والمحاصيل الصناعية ، والأشجار المثمرة ، والخضراوات .

١ - الحبوب :

وتضم محاصيل عديدة أهمها القمح والشعير .

القمح : أهم محصول غذائي في سوريا إذ يستخدم في صناعة الخبز والبرغل والمكرونة والمعجنات وغيرها ، وهو يزرع في جميع المحافظات السورية ، ويتفاوت إنتاجه بشكل كبير من سنة إلى أخرى ، بسبب اعتماد زراعته على مياه الأمطار ومزاحمة بعض المحاصيل الأخرى له . لذلك فإن إنتاج القمح في بعض السنوات لا يكفي حاجة الاستهلاك المحلي . ويوضح الجدول رقم (٥) تذبذب إنتاج القمح في سوريا :

جدول (٥) : تطور إنتاج القمح في سوريا فى الفترة من ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م - ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م

السنة	الإنتاج (ألف طن)
١٣٦٦ هـ (١٩٤٦ م)	٥٧٨
١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)	١١٩٠
١٣٩٠هـ (١٩٧٠م)	٦٢٥
١٣٩٧هـ (١٩٧٧م)	١٢١٧
١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)	٢٢٢٦[٣٣]
١٤٠١هـ (١٩٨١م)	٢٠٨٧
١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)	١٥٥٦
١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)	١٦١٢
١٤٠٤هـ (١٩٨٤م)	١٠٦٧[٣٤]

وقد بلغت نسبة إنتاج القمح بالنسبة لمجمل إنتاج الحبوب في سوريا نحو ٥٤٪ عام (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) ، وحوالي ١٢٢,٥٪ عام (١٤٠٠٠ هـ/ ٩٨٠م) ، وحوالي ٢٨٠٪ عام (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م) . وهذا التفاوت ناجم عن تذبذب إنتاج الحبوب الأخرى أكثر من إنتاج القمح . أما بالنسبة للمساحة المزروعة بالقمح فقد كانت حوالي ٨١٠ ألف هكتار عشية الاستقلال عام (١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م) ، وأصبحت ١٣٤١ ألف هكتار عام (١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م) ، ولم تزد عن ١١٠٦ ألف هكتار عام (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م) . ويأتي معظم إنتاج القمح من سهول الجزيرة والفرات وسهول حلب في الشمال والشمال الشرقي من البلاد ، ثم تأتي بعد ذلك سهول حمص وحماة وسهول حوران وبقية المناطق السورية الأخرى .

الشعير : ويزرع هذا المحصول زراعة بعلية في الترب الفقيرة التي لا يزرع فيها القمح . ويأتي الشعير في المرتبة الثانية بعد القمح من حيث المساحة المزروعة وكمية الإنتاج . وإنتاجه متذبذب من سنة إلى أخرى ، ويستخدم علفا رئيسا للحيوانات ، وتعد محافظات حلب والحسكة وحماة وحمص أهم المحافظات إنتاجا للشعير ، ويبين الجدول رقم (٦) تذبذب إنتاج الشعير في سوريا .

جدول (٦) تطور إنتاج الشعير في سوريا في الفترة من ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م – ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م

السنة	المساحة (ألف هكتار)	الإنتاج (ألف طن)
١٣٦٦ هـ (١٩٤٦ م)	٣٧١	٢٨٤
١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م)	٨٠٤	٧٨٤
١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)	١١٢٦	٢٣٥
١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)	١٠٢١	٣٣٧
١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)	١٢١٠	١٥٨٧[٣٥]
١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)	١٣٤٧	١٤٠٥
١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)	١٥٨٨	٦٦١
١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)	١٥٢٠	١٠٤٣
١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)	١٢٨٩	٣٠٣[٣٦]

ويلاحظ من الأرقام السابقة اتساع الأراضي المخصصة لزراعة الشعير ، وإن كانت مساحتها متفاوتة تفاوتا كبيرا من سنة إلى أخرى ، ويرجع هذا التفاوت الكبير إلى زراعة الشعير على هامش المنطقة المطيرة .

٢ - المحاصيل الصناعية :

القطن : من أهم المحاصيل الصناعية في سوريا ، بل إن محصول القطن يتصدر بقية المحاصيل الزراعية من حيث قيمة الإنتاج وأهميته الصناعية والتجارية . وقد توسعت زراعة هذا المحصول بعد الاستقلال ، وخصصت له أفضل الأراضي وشجعت الأبحاث من أجل انتخاب الأصناف الملائمة ، ومكافحة الحشرات ، وتحسين المردود ، إلى أن غدت زراعة القطن تعتمد على أفضل الوسائل العلمية في الزراعة والقطاف والتصنيع والتصدير . وقد تطور إنتاج القطن حتى أصبح يتراوح بين ٣٠٠ و ٥٢٦ ألف طن سنويا ، كما يتضح من الجدول رقم (٧) :

جدول (٧) : تطور زراعة القطن في سوريا في الفترة من ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م - ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م

السنة	المساحة (ألف هكتار)	الإنتاج (ألف طن)
١٣٦٦ هـ (١٩٤٦ م)	٢٠	١٤
١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م)	٢٩٢	٤١٠
١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)	٢٤٩	٣٨٣
١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)	١٨٧	٣٩٥
١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)	١٣٩	٣٢٣ [٣٧]
١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)	١٤٣	٣٥٥
١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)	١٥٨	٤٢٢
١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)	١٧٥	٥٢٦
١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)	١٧٨	٤٥٠ [٣٨]

وتعد محافظات الحسكة والرقة ودير الزور وحلب أهم المحافظات التي يزرع فيها القطن ، نظرا لاتساع مساحة الأراضي الجيدة وتوفر مياه الري ، من نهر الفرات وروافده ومياه الآبار .

الشوندر السكري : وهو محصول صناعي غذائي مهم ، وقد تطورت زراعته بعد الاستقلال لتزايد الطلب على مادة السكر . وقد بذلت جهود كبيرة لزراعة هذا المحصول واستخدام الأساليب الحديثة في كل مراحل الإنتاج ، مما كان له أثر إيجابي على زيادة المساحة المزروعة وزيادة الإنتاج كما يتضح من الجدول رقم (٨) .

جدول (٨) : تطور زراعة الشوندر السكري في سوريا في الفترة من ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م – ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م

السنة	المساحة (ألف هكتار)	الإنتاج (ألف طن)
١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ م)	٤	٨٧
١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)	٩	٢٢٨
١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)	٢٢	٥٠٥ (٣٩)
١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)	٢٢	٥٦٤
١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)	٢٨	٨٦٠
١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)	٢٩	١١٥٧
١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)	٣٥	١٢٦٨ (٤٠)

وأهم مناطق زراعة وإنتاج الشوندر السكري هي : سهل الغاب وسهول حمص وغوطة دمشق ، حيث توجد معامل السكر .

٣ – الأشجار المثمرة :

أصنافها كثيرة وسنقتصر على دراسة الزيتون والكروم :

الزيتون :

وهي الشجرة المثمرة الأولى في سوريا ، تعود زراعتها إلى آلاف السنين . ويعتمد

غذاء السكان اعتمادا أساسيا على ثمرة الزيتون والزيت المستخرج منها . ويوجد الزيتون بالدرجة الأولى في محافظات حلب وطرطوس وأدلب واللاذقية ، ثم تأتي بعدها محافظات حمص ودمشق ودرعا . وقد كان عدد أشجار الزيتون في (١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م) السنة الأولى لاستقلال سوريا نحو ٨٨٤٥ ألف شجرة ، وزاد عددها حتى بلغ ٣١٠٣٠ ألف شجرة عام (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، أي أن عدد الأشجار تضاعف أربع مرات تقريبا خلال ثلاثين عاما . ويتفاوت محصول الزيتون من سنة إلى أخرى بسبب الآفات الزراعية والأحوال المناخية التي تقلل من المحصول في بعض السنوات وقد بلغ إنتاج الزيتون عام (١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م) حوالي ٨٥ ألف طن من ثمار الزيتون ، ثم ارتفع إلى ٣٠٥ آلاف طن عام (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) ، ثم هبط في السنة التالية إلى ١٩٦ ألف طن ، ثم عاد فارتفع إلى ٣٩٢ ألف طن عام (١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، ثم هبط إلى ٢٠٧ ألف طن عام (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)ثم ارتفع في السنة التالية إلى ٤٧١ ألف طن ، ولم يزد الإنتاج عام (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) عن ٣١٠ ألف طن .

الكروم :

وهي من الأشجار المتأصلة المهمة في سوريا ، ويستهلك القسم الأعظم من العنب طازجا أو مجففا ، بينما يخصص القسم المتبقي للأغراض الصناعية وتنتشر زراعة الكروم في محافظات السويداء ودمشق وحمص وحماة وأدلب ثم المحافظات الساحلية ودرعا .

وقد ارتفع عدد أشجار الكروم من ٥٩٤٨١ شجرة في السنة الأولى للاستقلال (١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) إلى ٧٧٩٨٧ شجرة عام (١٤٠٤ هـ / ٩٨٤ م) . أما إنتاج العنب فقد تطور خلال الفترة المذكورة من ١٧١ ألف طن إلى ٤٠٠ ألف .

٤ – الخضراوات :

وهي من المحاصيل الغذائية والصناعية المهمة في سوريا فهي تدخل في غذاء السكان بشكل كبير ، كما أنها تقدم مادة أولية لبعض الصناعات الغذائية .

وأهم الخضراوات التي تزرع في سوريا البندورة ، وهي محصول صيفي احتل مساحة قدرها ٣٧,٨ آلاف هكتار ، أعطت ٧٢٧ ألف طن في عام (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) .

أما البطاطا فقد كانت مساحتها المزروعة في نفس السنة ١٨٠,٤ ألف هكتار أنتجت ٣٢١ ألف طن ، كما بلغت المساحة المزروعة بأنواع البطيخ الأحمر والأصفر ٨٧ ألف هكتار أنتجت ٤٠٧,٤ ألف طن ، كذلك بلغت المساحة المزروعة بالبصل ٧,٢ آلاف هكتار أنتجت ١٣٦ ألف طن من البصل الجاف . وتجود زراعة الخضراوات حول المدن الكبرى ومراكز المحافظات وفي المناطق الريفية ذات السهول الواسعة ، وأحواض الأنهار ، كما هو الحال في غوطة دمشق ، ووادي العاصي والفرات ، والمنطقة الساحلية وسهول حوران .

٢ – الثورة الحيوانية

يعتمد سكان الريف والبادية في سوريا على تربية الحيوانات من أجل استخدامها في الأعمال الزراعية والنقل والركوب ، واستغلال الحليب ومشتقاته في الغذاء اليومي . أما سكان المدن فيربون الحيوانات في مزارع حديثة بغرض تأمين المواد الغذائية الأساسية كاللحوم والألبان ومشتقاتها .

وعلى العموم فإن تربية الحيوانات مهنة ثانوية متخلفة ذات إنتاج متواضع ، ولم تدخلها الوسائل والطرق العلمية إلا بشكل جزئي وخاصة في الريف والبادية ويبين الجدول رقم (٩) أهم الحيوانات الموجودة في سوريا وأعدادها .

جدول (٩) : تطور أعداد الثروة الحيوانية في سوريا (بالآلاف) في الفترة من ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م – ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م

السنة	الأغنام	الماعز	الابقار
١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م)	٦٠٤٦	٧٧٤	٥٢٨
١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)	٧٠٧٠	١٠١٠	٦٣٩
١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م)	٩٣٠١	١٠٢٥	٨٦٨[٤١]
١٤٠١ هـ (١٩٨١ م)	١٠٥٠٤	١٠٦٠	٨٠٧
١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م)	١١٤٠٣	١١٥٠	٧٩١
١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)	١٣٣٦٠	١١٥٧	٧٦٧
١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م)	١٢٦٩٣	١٠٦٠	٧٣٦[٤٢]

ويتضح لنا من هذا الجدول تطور أعداد الحيوانات الرئيسة في سوريا بصورة إيجابية بشكل عام . مع تزايد أكبر في أعداد الأغنام بصورة ملحوظة .

وتربية الأبقار لها الأهمية الأولى في المزارع الحديثة حيث تقدم لها الأعلاف والماء والعناية الطبية ، وذلك من أجل زيادة إنتاج الحليب ومشتقاته والتي يزداد استهلاكها في البلاد باطراد .

٣ – الصناعة

تشكل الصناعة أحد الأعمدة الرئيسة للاقتصاد الوطني في سوريا ، فمنذ الاستقلال أخذ دور الصناعة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية يعظم سنة بعد سنة ، وتنوعت فروعها ، وزادت إسهاماتها في الدخل الوطني وتضاعف عدد العاملين فيها عدة مرات .

منذ عام (١٣٥٠ هـ / ١٩٣٠ م) بدأت حركة التصنيع الحديثة في سوريا تتجلى بتجديد الحرف والمشاغل القديمة من جهة ، وإقامة المعامل والصناعات الحديثة التي لم يكن لها وجود من قبل في سوريا ، خاصة مع دخول الكهرباء إلى مدن دمشق وحلب وحمص وحماة .

واطرد التقدم الصناعي بعد الاستقلال ، وخاصة في مجال الصناعات النسيجية والغذائية . وكان القطاع الخاص هو الذي قاد حملة التصنيع في البلاد ، وأسس الصناعات الاستهلاكية الرئيسة ، مثل الغزل والنسيج أو صناعة الكونسروة (المعلبات) ، وصناعة السكر ، وصناعة الأسمنت . واستمر الوضع على هذا الحال إلى أن قامت الوحدة بين سوريا ومصر ، فظهر قطاع عام منافس للقطاع الخاص ، اضطلع في البداية بالبحث عن الموارد الطبيعية في البلاد ومحاولة استثمارها . وفي السنة الأخيرة من الوحدة أممت أكبر الشركات الصناعية في البلاد في مجال الصناعات النسيجية والغذائية والكيمائية والمعدنية ووضعت تحت إشراف القطاع العام . ولم يبق للقطاع الخاص إلا المشاغل والمصانع الصغيرة ، بل لقد أصبحت صناعات تكرير البترول والسكر والأسمنت واستثمار

الثروات الطبيعية حكرا على القطاع العام[٤٣] .

ويبين الجدول رقم (١٠) التطور الذي حققه الإنتاج الصناعي في البلاد

جدول (١٠) : تطور الإنتاج الصناعي في سوريا بين سنتي (١٤٠١ هـ - ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨١ و ١٩٨٤م)

[الأرقام القياسية للإنتاج الصناعي في السنوات الأخيرة (١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م = ١٠٠)]

	١٩٨١م	١٩٨٢م	١٩٨٣م	١٩٨٤م
١ - الرقم القياسي العام .	١١٣	١٢٥	١٣٢	١٣٩
٢ - الصناعات الاستخراجية .	١٠٣	٩٨	١٠٢	١٠٣
٣ - الصناعات التحويلية .	١١٧	١٣٨	١٥١	١٦٣
(أ) المواد الغذائية والمشروبات والتبغ .	١٠٥	١٥٤	١٨٠	١٨٤
(ب) الغزل والنسيج والحلج والجلود	١٠١	١١٠	١٣٤	١٥١
(جـ) الخشب والموبيليا والأثاث .	١١٨	١٢٠	١١٧	٩٦
(د) الصناعات الكيماوية ومنتجاتها .	١٣٧	١٥٣	١٥٣	١٧٠
(هـ) الورق والطباعة والتجليد .	١١٨	١٩٣	٣٢٠	٣٢٩
(و) منتجات غير معدنية (عدا الفحم والنفط) .	١١٤	١٣٧	١٦٥	١٩٤
(ز) الصناعات المعدنية الأساسية .	١٣٣	١٠٥	١٢٧	١٢٣
(ح) المنتجات المعدنية المصنعة والمعدات .	١٠٥	١١٧	١٠٨	٨٧
٤ - صناعة الكهرباء والماء .	١١٦	١٣٩	٢٠٦	٢٢٦
(أ) إنتاج الطاقة الكهربائية .	١١٧	١٤١	٢٢٧	٢٤٨
(ب) شبكات المياه وتوزيعها .	١١٥	١١٤	١١٩	١٣٣[٤٤]

من الجدول السابق نلاحظ التطور الكبير الذي شهده الإنتاج الصناعي بشكل عام ، وخاصة الصناعات التحويلية ، بكل فروعها باستثناء بعض الصناعات المعدنية التي تضاءل إنتاجها في السنوات الأخيرة .

ولا تشير المجموعات الإحصائية الحديثة إلى عدد العاملين في القطاع الصناعي بكامله ، بل تكتفي بالإشارة إلى العاملين في القطاع العام الصناعي . والحقيقة أن القطاع العام الصناعي يمثل التطور الفعلي للصناعة في سوريا حيث إنه يسيطر على معظم المؤسسات الصناعية الكبرى في البلاد ، بل تناط بالقطاع العام الصناعة الاستخراجية والنفطية وصناعة الكهرباء وكثير من الصناعات التحويلية . وقد بلغ مجموع عدد العاملين في هذا القطاع عام (١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م) نحو ٥٦٥٩٧ عاملا ثم ارتفع في عام (١٩٨٤م / ١٤٠٤هـ) إلى ١٣٧٥٧٠ عاملا أي أن عدد العمال ازداد بنسبة ٢٥٠٪ خلال ١٤ عامًا ، ويعمل منهم في مجال الصناعات التحويلية بكامل فروعها نحو ١٠٢٨٨٨ عاملا أي الغالبية العظمى من الأيدي العاملة في هذا القطاع لعام (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م) . بينما يعمل ١٣٠٤٨ عاملا في مجال الصناعات الاستخراجية و ٢١٦٣٤ عاملا في صناعة الماء والكهرباء .

وسنحاول في الفقرات التالية التعرف على أهم الصناعات السورية :

١ - الصناعات الاستخراجية والنفطية :

البحث عن الثروة المعدنية ، في سوريا ، قديم نسبيا ، إلا أن النتائج المجدية والاستثمار الفعلي لهذه الثروة بدأ منذ سنوات قريبة . فقد بدأت أعمال التنقيب عن النفط في سوريا عام (١٢١٩ هـ/١٨٨٢م) في ظل قانون المناجم العثماني على يد شركة ألمانية ، دون العثور على شيء[٤٥] كما نشطت أعمال التنقيب في ظل الانتداب الفرنسي خلال الفترة الممتدة من عام (١٣٤٣ هـ/١٩٢٤م) حتى عام (١٣٤٦ هـ/١٩٢٧م) . وفي عام (١٣٥٣ هـ/١٩٣٤م) ، حصلت شركة نفط العراق على رخص للتنقيب عن النفط في سوريا ، وقامت بأبحاث ودراسات وأعمال حفر ثم توقفت عام (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١ م) ، بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية . ثم عاودت نشاطها من جديد

عام (١٣٦٧ هـ/١٩٤٧م) بعد أن سميت « شركة نفط سوريا المحدودة » ثم تنازلت عن امتيازها عام (١٣٧١ هـ/١٩٥١م) ، وخلال نفس الفترة ، قامت دراسات استكشافية للبحث عن خامات معدنية أخرى ، وقد أشير إلى مواضع لخامات الحديد والكروم والمنغنيز دون أن تتم أعمال التحري والتنقيب والحفر لمعرفة أهميتها اقتصاديا[٤٦] باستثناء مكمن للأسفلت الطبيعي وضع موضع الاستثمار ، وهو يقع في الغرب من سوريا ، قرب مدينة اللاذقية .

وبعد الاستقلال، تعاقدت سوريا مع شركات غربية للتنقيب عن النفط وتم العثور على النفط بعد سنوات قليلة من التنقيب في أقصى الشمال الشرقي من سوريا في حقلي السويدية وكراتشوك ، ثم تم الاستغناء عن خدمات تلك الشركات وأممت صناعة النفط في سوريا . وفي نفس الوقت تم إبرام اتفاقية بين الاتحاد السوفيتي السابق وسوريا للقيام بمسح البلاد مسحا شاملًا ، وكانت النتيجة أن وضع مصور جيولوجي للموارد المعدنية في سوريا ، وقدمت دراسات مفصلة عن احتياطيات كل منها ونوعية وتركيب الخامات ، وغير ذلك من أمور فنية ساعدت على استمرار أعمال التنقيب والاستكشاف فيما بعد .

ومن أهم المعادن التي أشير إلى وجودها في سوريا الحديد ، وقد أشارت الدراسات إلى وجوده في عدة مواضع أهمها منطقة كرد - داغ في شمال البلاد ومنطقة القدموس ومصياف في غربي البلاد ، وتدمر والقريتين في البادية السورية ، والزبداني غربي دمشق . كما أشير إلى وجود بعض خامات الكروم مرافقة للصخور النارية الخضراء في أقصى الشمال الغربي من سوريا في منطقة الباير والبسيط . ولكن حتى الآن لم يتم استثمار أي من المعدنين السابقين بسبب قلة كميات الاحتياطي منهما والصعوبات الطبيعية المتعلقة باستغلالهما .

أما الخامات التي عثر عليها ووضعت موضع الاستثمار فأهمها : الفوسفات والملح الصخري ، والأسفلت الطبيعي ، والنفط الخام .

الفوسفات :

وقد عثر على خامات الفوسفات في البادية السورية وخاصة في الجبال الوسطى والجبال

التدمرية ومنطقة الحماد السورية وقد قدر احتياطي الفوسفات في تلك المناطق بحوالي مليار طن ، تتراوح نسبة أكسيد الفوسفور فيها بين ٢٢٪ و ٣٤٪ وقد بدئ باستثمار الفوسفات عام (١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م) ، وخصص جميع الإنتاج في البداية للتصدير بشكله الخام ، ثم أنشئ مصنع لإنتاج سماد السوبر فوسفات يعتمد على تصنيع جزء من خامات الفوسفات المستخرجة محليا . وقد تطور إنتاج الفوسفات الخام كما هو موضح في الجدول رقم (١١) .

جدول (١١) تطور إنتاج الفوسفات الخام في سوريا في الفترة من ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م — ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م

السنة	الإنتاج (ألف طن)	السنة	الإنتاج (ألف طن)
(١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م)	٨٥٧	(١٤٠١هـ/١٩٨١م)	١٣١٩
(١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م)	٤٢٥	(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)	١٤٦١
(١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م)	٤٢٥	(١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)	١٢٣١
(١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م)	١١٧٠[٤٧]	(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)	١٥١٥[٤٨]
(١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م)	١٣١٩		

ويطحن الفوسفات السوري ، ويغربل قرب المناجم في منطقة البادية ثم ينقل إلى ميناء طرطوس لتصديره إلى الخارج . وفي البداية كان الإنتاج ينقل بواسطة السيارات الشاحنة ، ثم مد خط للسكة الحديدية بين حمص ومناجم الفوسفات ، ويتصل بعد ذلك بسكة حديد حمص — طرطوس وبذلك توفر السكة الحديدية من نفقات النقل . كما أقيم مصنع للسماد الفوسفاتي في جنوبي مدينة حمص لتصنيع قسم من إنتاج الفوسفات الخام ، وتصدير الباقي إلى العالم الخارجي . وقد بلغ إنتاج مصنع السماد الفوسفاتي في بداية تشغيله عام (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) حوالي ٦٨,٣ ألف طن من سماد سوبر فوسفات، وقد ارتفع هذا الإنتاج حتى بلغ ١٩١,١ ألف طن عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الملح الصخري :

تم اكتشاف الملح الصخري في حوض الفرات ، حيث تتراوح نسبة الملح بين ٩٦ و ٩٩٪ . وقد قدر الاحتياطي المؤكد في المنطقة المكتشفة بأكثر من ٩٥ مليون طن . وتعد منطقة الهرموشية ثم منطقة التبني من أهم مواقع الملح الصخري في سوريا . وقد أقيم مصنع لاستخراج وإعداد الملح الصخري في موقع التبني في عام (١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م) . وتبلغ الطاقة الإنتاجية لهذا المصنع ٣٦ ألف طن تزداد تدريجيا على مراحل . ويستخدم الملح المستخرج في مجال الصناعة بالدرجة الأولى ، وفي الطعام في المرتبة الثانية . كما يستخرج الملح بطرق بدائية قديمة من مناطق متفرقة في سوريا تقع على أطراف البادية كمملحة جيرود والجبول .

وقد تطور إنتاج الملح في سوريا كما هو موضح في الجدول رقم (١٢) .

جدول (١٢) : تطور إنتاج الملح في سوريا في الفترة من ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م – ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م

السنة	الإنتاج (ألف طن)
(١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م)	٤٦
(١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م)	٤٨
(١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م)	٦٢
(١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م)	٦٨
(١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م)	٩٠[٤٩]
(١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م)	٨٥
(١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م)	١٠٢
(١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م)	٨٨
(١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م)	٣٨[٥٠]

الأسفلت :

عثر على الأسفلت الطبيعي في موقع كفرية بالقرب من مدينة اللاذقية منذ الانتداب الفرنسي ووضع موضع الاستثمار في عام (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) وقد قدر احتياطي الأسفلت في هذا الموقع بحوالي ٢٠٠ مليون طن . وخلال البحث عن الثروات المعدنية في سوريا بعد الاستقلال عثر على موقع آخر للأسفلت الطبيعي في جبل البشري ، ونسبة الأسفلت في الصخور عالية تبلغ نحو ٣٠٪[٥١] . ويستغل الأسفلت في هذين الموقعين في رصف الطرق ، وعمل ألواح لتغطية أسقف المنازل لمنع تسرب مياه الأمطار ، كما يدخل في أعراض صناعية أخرى ، ويصدر قسم من معجونة الأسفلت إلى عدة دول عربية وأجنبية ويبين الجدول رقم (١٣) تطور إنتاج الأسفلت الطبيعي خلال الفترة من ١٩٧٠م إلى ١٩٨٤م .

جدول (١٣) : تطور إنتاج الأسفلت الطبيعي في سوريا في الفترة من ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م — ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م

السنة	الإنتاج (ألف طن)
(١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م)	٢٤
(١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م)	٩٩
(١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)	٩٥
(١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)	٨٣[٥٢]
(١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)	٨٩
(١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)	٧٦
(١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)	٧١
(١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)	٧٥
(١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)	٥٢[٥٣]

النفط الخام :

اكتشف النفط الخام في سوريا عام (١٣٧٦ هـ/١٩٥٦م) في حقل كراتشوك في منطقة الجزيرة العليا في أقصى الشمال الشرقي من البلاد من قبل شركة « منهل » الأمريكية . وقد ألغي امتياز هذه الشركة فيما بعد . كما ألغي امتياز الشركة الألمانية « كونكورديا» التي اكتشفت حقل السويدية ، إلى الجنوب من الحقل السابق ، وتولت الهيئة العامة للنفط في سوريا أعمال البحث والتنقيب واستثمار النفط السوري .

وقد تم اكتشاف حقول بترولية أخرى أهمها حقل الرميلان إلى الغرب من حقل السويدية وحقل جبسة إلى الجنوب من مدينة الحسكة ، كما اكتشفت حقول أخرى أقل أهمية من السابقة هي حقول حمزة ، وديريك وخربة ، كما وجد الغاز الطبيعي في حقل جبسة والحقول الأخرى ، ثم اكتشفت فيما بعد حقول أخرى بعيدا عن الحقول السابقة نحو الجنوب الغربي وبالقرب من مدينة دير الزور ضاعفت احتياطي النفط الخام في سوريا .

ولقد مُد أنبوب من الفولاذ لنقل النفط الخام السوري من أقصى الشمال الشرقي من البلاد نحو الغرب ، مخترقا منطقة الجزيرة ، فالبادية حتى يصل إلى مدينة حمص ، حيث يغذي مصفاة النفط هناك ، ويتجه الباقي من النفط ضمن أنبوب فولاذي إلى ميناء طرطوس حيث يصدر .

كما أنشئ في السنوات الأخيرة أنبوب فولاذي آخر يصل إلى مصفاة بانياس لإمدادها بالنفط الخام .

وقد بلغ مجمل احتياطي النفط الخام في جميع حقول النفط القديمة والحديثة في عام (١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م) نحو ١٤٠٠ مليون برميل .

وقد بدأت سوريا تستخرج النفط الخام عام (١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م) وقد تطور الإنتاج حسب ما هو مبين في الجدول رقم (١٤) .

جدول (١٤) : تطور إنتاج االنفط الخام في سوريا في الفترة من ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م - ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م

السنة	الإنتاج (ألف طن)
(١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م)	٤,٧
(١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م)	١٠,١
(١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)	٩,٩
(١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م)	٩,٦
(١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)	٩,٢ [٥٤]
(١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)	٩,٤
(١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)	٩,٠١
(١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)	٩,٣
(١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)	٩,٤ [٥٥]

٢ - الصناعات التحويلية :

أهم هذه الصناعات هي الصناعات النسيجية ، والصناعات الغذائية والصناعات الكيمائية ، والصناعات المعدنية .

الصناعات النسيجية :

ويضم هذا القطاع الصناعي مجموعة مترابطة من عمليات التصنيع ، يخدم بعضها بعضا . فهي تشمل صناعة حلج الأقطان ، وغزل الخيوط القطنية والصوفية والحريرية والتركيبية ، وإنتاج الأنسجة المختلفة ، وتبييضها وصياغتها ، وأخيرا صناعة الألبسة الجاهزة . وتعد هذه الصناعة من أقدم فروع الصناعة الحديثة في سوريا ، وقد اعتمدت في تطورها على وجود بعض المواد الخام المحلية ، وخاصة القطن ثم الصوف والكتان

والحرير الطبيعي والقنب . إضافة إلى استيراد بعض المواد الخام من الخارج كالحرير الصناعي والنايلون .

وتضم هذه الصناعة عشرات المصانع الصغيرة والكبيرة التي تتوزع على المدن السورية الكبرى ، وخاصة دمشق وحلب وحمص وحماة . ولكن أهم مصانع الغزل والنسيج وحلج الأقطان يمتلكها القطاع العام الصناعي ، حيث تتبع هيئة مستقلة هي « المؤسسة العامة للصناعات النسيجية » .

وتوجد في المحافظات التي تزدهر فيها زراعة القطن في الجزيرة ووادي الفرات ومحافظة حلب .

وقد أنتجت الصناعات النسيجية الرئيسة في البلاد حوالي ٣٣,٦ ألف طن من الغزول القطنية ، و ٥,٥ ألف طن من الغزول التركيبية والصوفية وحوالي ١٧,٦ ألف طن من المنسوجات القطنية وحوالي ١,٥ ألف طن من المنسوجات الصوفية ، و ٧٧٢ ألف م^{٢} من السجاد الصوفي والحريري عام ١٤٠٤هـ ، إضافة إلى ١٩٦ ألف طن من القطن المحلوج . وإن إنتاج هذه الصناعة يكفي حاجة الاستهلاك المحلي وتصدر كميات مهمة من المنسوجات والسجاد والألبسة الجاهزة .

الصناعات الغذائية :

وتضم مجموعة كبيرة من الصناعات أهمها صناعة الكونسروة (المعلبات) وصناعة السكر ، وصناعة المشروبات ، وصناعة المعجنات ، وصناعة الألبان ، والحلويات والتبغ .. وتعد صناعة الكونسروة من أهم وأقدم الصناعات الغذائية في سوريا . وهي تعمل على تصنيع المواد الأولية الزراعية من خضراوات وفواكه فتحولها إلى عصير مكثف (بندورة) ، أو تجففها (بصل) ، أو تحولها إلى مربى ومرملاد (مشمش ، وكمثرى) أو تطبخها وتعدها في العلب (فول ، وبازلاء ، وفاصولياء ، وباذنجان ...) .

وتأتي صناعة السكر في المرتبة الثانية حيث تضم عدة مصانع ضخمة وحديثة في دمشق وحمص وجسر الشغور وحوض الفرات . وتعمل هذه المعامل على تصنيع الشوندر السكري ، لاستخراج السكر كما تستورد السكر الأحمر وتكرره ، لسد حاجة الاستهلاك المحلي .

وتعمل الصناعات الغذائية على سد حاجة السوق المحلية ، وتصدير ما يزيد عن حاجه هذه السوق ، كالمعلبات ، والمعجنات .

الصناعات الكيميائية :

وتضم صناعات الأسمنت ، والأسمدة ، والدهانات ، وتكرير النفط ، والصناعات البلاستيكية ، والثقاب ، والصابون ، وأهم الصناعات في هذا المجال هي صناعة تكرير النفط ، حيث توجد مصفاة في حمص ، وأخرى في بانياس وتبلغ طاقة التكرير فيهما حوالي ١١ مليون طن سنويا .

كما تضم صناعة الأسمنت ٩ معامل حديثة ضخمة تنتج نحو مليوني طن من الأسمنت . أما الصناعات الأخرى فهي أقل أهمية وتطورا .

الصناعات المعدنية :

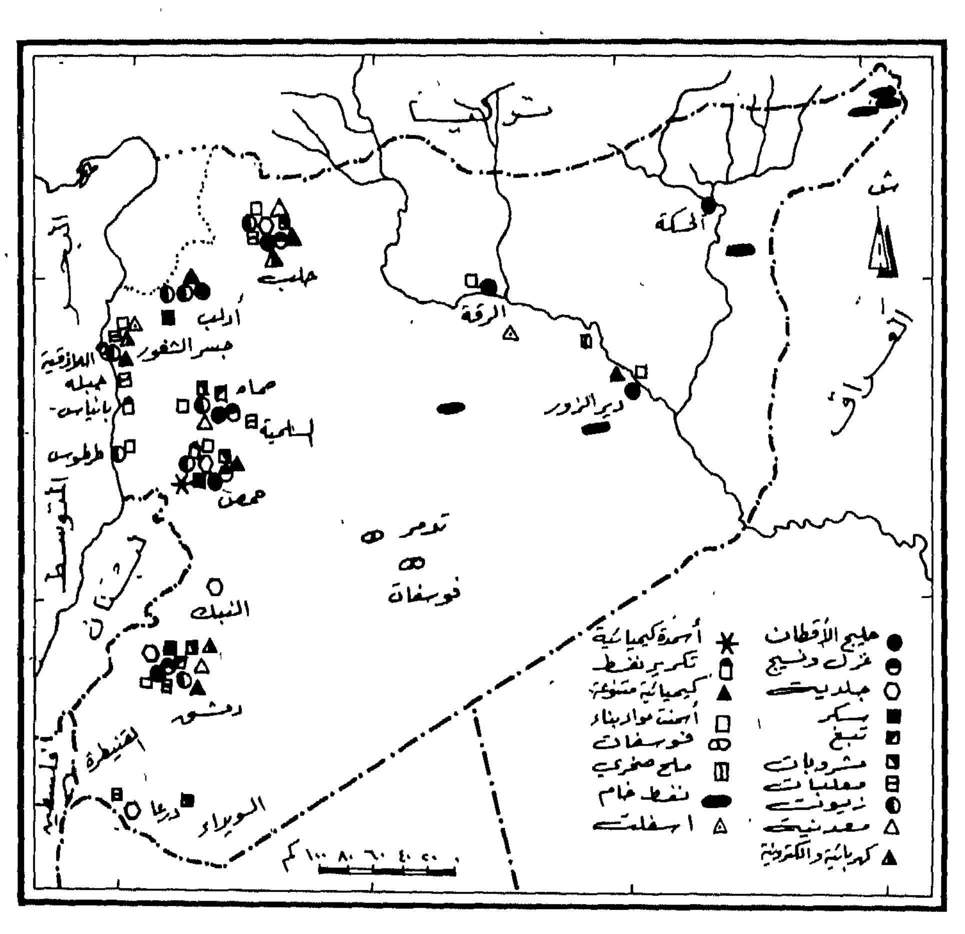
وتضم بعض الصناعات الأساسية كصهر الخردة ، وتصنيع كتل الحديد المستوردة ، وتوجد هذه الصناعة في مدينة حماة ، كما توجد معامل لصناعة الكابلات النحاسية الكهربائية في دمشق وحلب ، ومصانع لإنتاج الأدوات الكهربائية المنزلية كالثلاجات والغسالات في دمشق وحلب ، كما تكثر المعامل التي تصنع الأدوات المنزلية من الألمونيوم والنحاس .

لكن الصناعات المعدنية مازالت قاصرة عن كفاية السوق المحلية ، و لم تتجاوز مرحلة الصناعة الخفيفة الاستهلاكية .

الصناعات الأخرى :

وتأتي في المرتبة الأخيرة من حيث الأهمية ، وتشمل صناعة الأخشاب والأثاث والورق والطباعة ، وتنتشر معاملها في مدن دمشق ، وحلب وحمص ودير الزور .

وتتمركز الصناعة في سوريا بشكل رئيس في مدينتي دمشق ، وحلب حيث توجد غالبية صناعة الغزل والنسيج والصناعات الغذائية والمعدنية والكيمائية . وتأتي مدينتا حماة وحمص في المرتبة الثانية ، حيث توجد فيهما بعض المصانع الحديثة في مجال الصناعة



شكل - ٧ - الصّناعات الأساسيّة

النسيجية والغذائية والمعدنية والكيميائية .. أما بقية المدن السورية فتضم بعض المصانع التي عملت الدولة على إقامتها من أجل تخفيف الضغط البشري على مدينتي دمشق وحلب ، ومن أجل استغلال بعض المواد الأولية (كالبندورة والبصل والعنب ...) أو من أجل تطوير الريف وإيجاد مجالات عمل للمتعطلين ، وللتخفيف من هجرتهم إلى المدن الكبرى . (شكل ٧) .

٤ – التجارة :

لقد استغل السوريون موقع بلادهم الجغرافي المهم على الطرف الشرقي للبحر المتوسط باعتباره عقدة التقاء بين مواصلات الشمال الآسيوي وشبه الجزيرة العربية في الجنوب وبين أواسط آسيا في الشرق وأوربا وإفريقية في الغرب والجنوب الغربي – فاشتهروا بنشاطهم التجاري منذ العهود الفينيقية والآرامية حتى الوقت الحاضر .

فبالنسبة للتجارة الخارجية عملت سوريا بعد الاستقلال على تطوير وتحسين علاقاتها التجارية مع جميع دول العالم وخاصة الدول العربية .

ولقد تطورت التجارة الخارجية السورية في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ لم تعرفه سوريا من قبل كما هو مبين في الجدول رقم (١٥)[٥٦] .

جدول (١٥) : التجارة السورية الخارجية في الفترة من ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م – ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م

السنوات	قيمة الصادرات (مل . ل . س)(*)	قيمة الواردات (مل. ل . س)	الميزان التجاري
(١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م)	٧٢١	٨٩٦	١٧٥ –
(١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م)	٦٤٤	٨١٢	١٦٨ –
(١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م)	٧٩٠	١٤١١	٦٢١ –
(١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م)	٧٧٥	١٣٧٥	٦٠٠ –
(١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م)	٤١٩٩	١٠٤٩٧	٦٢٩٨ –
(١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)	٨٢٧٣	١٦١٨٨	٧٩١٥ –
(١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)	٧٢٧٥	١٦١٥٥	٨٨٨٠ –

(*) (مل .ل . س) = مليون ليرة سورية .

وفي هذا الجدول نلاحظ تزايد قيمة الواردات والصادرات بشكل واضح وإن كانت نسبة تزايد قيمة الواردات هي الأكبر ، مما أوقع الميزان التجاري السوري في عجز مستمر يتضخم سنة بعد سنة ، حتى بلغ مقدار العجز عام (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م) أكثر من قيمة الصادرات السورية .

وتعوض سوريا خسارة ميزانها التجاري من مصادر متعددة من أهمها الدخل من السياحة ، وتجارة الترانزيت ، وعائدات مرور أنابيب النفط العربية في أراضيها ، ومن بعض المساعدات الخارجية .

وتشتمل قائمة الصادرات السورية على بضائع وسلع مختلفة أهمها الحيوانات الحية وبعض الحبوب والقطن ، والنفط والفوسفات ، وبعض المنسوجات ، والمنتجات الصناعية الأخرى .

أما الورادات فتشمل قائمة طويلة من السلع المختلفة التي تشتريها سوريا من شتى دول العالم . وتحتل الواردات من سلع الاستهلاك الوسيط (مواد خام وسلع نصف مصنعة) المرتبة الأولى (ما يزيد عن ٦٠٪) وتليها واردات السلع المخصصة للاستهلاك النهائي (حوالي ٢٠٪) أما الباقي (حوالي ٢٠٪) فيشمل واردات السلع الإنتاجية كالآلات والأدوات المنتجة .

ويقوم القطاع العام بالدور الرئيس في مجال الاستيراد والتصدير ، إذ توجد مؤسسات متخصصة نذكر منها : إدارة حصر التبغ والتنباك ، والشركة السورية للنفط ، والشركة العامة للفوسفات والمناجم ، والمؤسسة العامة لتجارة المعادن ومواد البناء ، والمؤسسة العامة لتجارة المواد النسيجية ، والمؤسسة العامة لتجارة الآليات والتجهيزات ، ومؤسسات أخرى لبقية المواد .

أما التجارة الداخلية فقد كانت تقتصر في السابق على التبادل بين الحضر والبدو . أما اليوم فإن تزايد عدد سكان المدن وازدياد متطلباتهم من المواد الضرورية الغذائية والمواد الأولية ، وتوفر وتحسين طرق المواصلات بين الريف والمدن دفعت إلى تنشيط حركة التبادل التجاري الداخلي بين القرية والمدينة . حيث يجلب الريفيون منتجاتهم النباتية

والحيوانية إلى أسواق المدينة ، ويبيعونها ويشترون ما ينقصهم من مواد مختلفة ، خاصة المنتوجات الصناعية من المنسوجات وأدوات الزراعة والمواد الغذائية المصنعة وغير ذلك .

وفي التجارة الداخلية يتولى القطاع العام تجارة الجملة فيبيع بالجملة ويشتري كثيرا من المحاصيل والمنتجات ويقوم بتصديرها . أما تجارة المفرق فما زال القطاع الخاص هو المسيطر عليها ، إلى جانب بعض مؤسسات القطاع العام والقطاع التعاوني .

٥ – السياحة

تشكل السياحة في سوريا مصدرا من مصادر الثروة الوطنية ، لذلك فلابد من تكاتف الجهات المسئولة في الدولة لتوفير المناخ الملائم ، الذي يجذب السائح الأجنبي والعربي ، بل المصطاف المحلي للمجيء إلى سوريا والترحال في جنباتها ، والإقامة فيها أطول فترة ممكنة .

إن هذا الأمر مرتبط بجوانب داخلية وخارجية عديدة ، أهمها توفير الخدمات المريحة ، ونشر الوعي بين المواطنين لمعاملة السائح بود وإكرام ، كذلك توفير النشرات والدعاية – محليا وخارجيا – عن الأماكن السياحية وتنوعها .

وواقع الحال في سوريا يدل على الغنى السياحي . فسوريا من أشهر بلدان العالم بثروتها الأثرية والتاريخية ، فتاريخها قديم وعريق ، ومرت عليها أشهر حضارات العالم من بابلية وآشورية ويونانية ورومانية وإسلامية .

كذلك تتميز سوريا بتنوع المناظر الطبيعية وجمالها ، من السواحل في الغرب إلى الجبال العالية التي تغطيها الثلوج ، إلى المصايف الجميلة في الصيف إلى السهول الواسعة والشمس الساطعة ، إلى الغابات الجميلة في جبالها وهضابها ، إلى الأنهار والينابيع المنسابة والشلالات المتدفقة .. كل ذلك يمنح سوريا إمكانات سياحية كبيرة يجدر الاهتمام بها وتسهيل الوصول إليها .

إن الحركة السياحية في سوريا لم تنشط إلا خلال العشرين سنة الأخيرة بعد تحسن شبكة المواصلات البرية والجوية ، وبناء الفنادق السياحية وإحداث وزارة خاصة

للسياحة في عام (١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م) ، وفتح سوق حرة في دمشق .

وهكذا ففي حين بلغ عدد القادمين إلى سوريا من خارج البلاد ٣٧٨١٠٦ أشخاص عرب ، ونحو ١٥٨٧٦٨ شخصا أجنبيا في عام (١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م) ، ارتفع هذا العدد ليبلغ ٩٧١٢٠٧ أشخاص عرب و ٢٦٥٨٦٧ شخصا أجنبيا في عام (١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م) ، أي أن العدد الإجمالي للقادمين إلى سوريا من خارج الحدود ازداد أكثر من الضعف خلال الفترة المذكورة ، ثم تناقص إلى ٥٥٩١٤١ شخصا عربيا عام (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م) ، وازداد عدد الأجانب ليصل في نفس العام إلى ٤١٦٨٨٩ شخصا .

٦ - إدارة الاقتصاد

القطاع العام والقطاع الخاص :

ظل القطاع الخاص مهيمنًا على النشاطات الاقتصادية في البلاد ، سواء كان ذلك في الزراعة أو في الصناعة أو في التجارة إلى عام ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م ، أما القطاع العام فقد لعب دوراثانويا خلال تلك الحقبة ، تجلى في الإشراف على بعض المؤسسات التي أممت من الشركات الأجنبية ، كمؤسسة التبغ والتنباك ، والمؤسسات الكهربائية الكبرى الأخرى ، كذلك امتلاك وإدارة خطوط السكك الحديدية المؤممة ، وامتلاك نصف الأسهم في شركة ميناء اللاذقية ، وكذلك بناء مصفاة لتكرير النفط في مدينة حمص .

وفي كلمة موجزة نقول : كان دور الدولة يتجلى في الاهتمام بالخدمات العامة التي تخدم القطاع الخاص ، وتقيم بعض المشاريع التي لا يرغب القطاع الخاص فيها .

أما الفترة اللاحقة لعام ١٣٧٨ هـ/١٩٥٨م ، فقد شهدت تكوين النواة الحقيقية للقطاع العام في شتى نواحي الحياة الاقتصادية .

ففي مجال المصارف والتأمين آلت ملكية جميع المصارف الخاصة للقطاع العام ، وأنشئت مصارف متخصصة تابعة للقطاع العام . فالتأمين أصبح بيد شركة حكومية واحدة هي « شركة التأمين السورية » كما أنشئ مصرف خاص لتمويل الصناعات سمي « المصرف

الصناعي » وقام آخر لتمويل الفلاحين « المصرف الزراعي » وآخر لتسليف ذوي الدخل المحدود « مصرف التسليف الشعبي » وآخر لتمويل العمليات التجاية والتوفير .. وغير ذلك .

وفي مجال الصناعة أسست أكبر شركات الصناعة في البلاد ، وشك فيما بعد ما سمي بالقطاع العام الصناعي الذي قد قسم بين المؤسسات التالية :

١ - المؤسسة العامة للصناعات الغذائية .

٢ - المؤسسة العامة للسكر .

٣ - المؤسسة العامة للصناعات النسيجية .

٤ - المؤسسة العامة للصناعات الهندسية .

٥ - المؤسسة العامة للصناعات الكيميائية .

٦ - المؤسسة العامة لصناعة الأسمنت .

٧ - المؤسسة العامة لصناعة التبغ .

٨ - المؤسسة العامة لصناعات حلج وتسويق الأقطان .

٩ - المؤسسة العامة لكهرباء سوريا .

١٠ - الشركة العامة للأسفلت والزيوت .

١١ - المؤسسة العامة لتجارة وتصنيع الحبوب .

١٢ - الشركة العامة للفوسفات والمناجم .

١٣ - مؤسسات استخراج وتكرير وتسويق النفط ومشتقاته .

ويحتكر القطاع العام استخراج وتصنيع الثروات الباطنية في سوريا ، وتوليد الكهرباء للإنارة ، وصناعة الأسمنت والسكر وحلج القطن والتبغ . وينتج القسم الأعظم من المنسوجات والغزل والزيوت النباتية والكونسروة (المعلبات) ، والصناعات

الكهربائية . وتصنيع الحبوب وطحنها .

أما القطاع الخاص الصناعي ، فيسهم في صناعة الألبسة الجاهزة والصناعات الغذائية (الحلويات ، والمعجنات ، والمشروبات الغازية) ، وصناعة مواد البناء ، والصناعات الميكانيكية البسيطة .

لذلك فإن التطور الصناعي في سوريا يقوم على عاتق القطاع العام الذي تخصص له مبالغ ضخمة في الخطط الخمسية من أجل الاسراع في تصنيع البلاد واستثمار ثرواتها ، والوصول إلى الاكتفاء الذاتي ، وإيجاد الفائض للتصدير .

أما في مجال الزراعة فالأمر مختلف ، فالقطاع الخاص هو السائد ، إذ إن الملكية الفردية هي السائدة في البلاد . بل إن الإصلاح الزراعي في سوريا قد كرس الملكية الفردية ، وقد وزعت الأراضي المصادرة من كبار الملاك على الفلاحين غير المالكين .

كذلك فإن الدولة قامت بتوزيع قسم كبير من أراضيها على الفلاحين ، كما تؤجر القسم الآخر لمن ليس لديه أرض .

ودور الدولة في الزراعة يقتصر على مساعدة أصحاب الأرض بتقديم القروض لهم من المصرف الزراعي ، وشراء محاصيلهم بأسعار تحددها الدولة . كذلك تمت إقامة مصانع للأسمدة ، ومصنع للجرارات ، والأدوات الزراعية ، هدفها تحديث الزراعة وتطويرها .

وفي مجال التجارة فإن للقطاع العام دورًا يتعاظم سنة بعد سنة . فبالنسبة للتجارة الخارجية فإن دور القطاع العام هو الأهم في عمليات الاستيراد والتصدير . فالقطاع العام يتحكم في تصدير واستيراد موارد الطاقة ومواد البناء والأدوية والأسمدة الكيميائية والحبوب ، وأكثر المواد الغذائية ، وكثير من الآلات والمواد المعدنية . ويبلغ إسهام القطاع العام في الاستيراد والتصدير نسبة تتراوح بين ٨٠٪ و ٩٥٪ من المجموع الكلي للاستيراد والتصدير والنسبة الباقية هي من نصيب القطاع الخاص .

أما التجارة الداخلية فالقطاع العام يسيطر على تجارة الجملة للحبوب والتبغ ومواد

البناء والسكر وبعض المواد الغذائية والمنسوجات ، بينما يضعف دوره في تجارة التجزئة ، ومع ذلك توجد جمعيات تعاونية استهلاكية تابعة للقطاع العام تنتشر في المدن الكبرى وبعض القرى ، ولكن دورها مازال محدودًا .

٧ – الدخل الوطني والميزان المالي

يعتمد الدخل الوطني في سوريا على فعاليات اقتصادية متعددة أهمها الزراعة والصناعة والتعدين والبناء والتشييد ، ثم قطاع التجارة والنقل والمواصلات ، ثم الخدمات المختلفة .

لقد أصاب التطور كل قطاع من القطاعات السابقة بشكل عام ، لكن بعضها قفز قفزات كبيرة للأمام ، وبعضها كان تقدمه بطيئا ، وبعضها الآخر متذبذبا ، كما تغيرت أهمية القطاعات الاقتصادية مع الزمن ، فقطاع الصناعة والتعدين على سبيل المثال ، كان قبل عشرين سنة في المرتبة الثالثة أو الرابعة بعد قطاعات الزراعة والتجارة والنقل من حيث إسهامه في الدخل الوطني ، بينما أصبح بعد ذلك يزاحم الزراعة في احتلال المرتبة الأولى أو الثانية . احتل المرتبة الأولى عام (١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م) .

ويلاحظ أن قطاع التجارة أصبح في الطليعة منذ عام (١٣٩٧ هـ/١٩٧٧م) واستمر متقدما على كل القطاعات الاقتصادية حتى الوقت الحاضر . أما المرتبة الثانية فلم تعد من نصيب الزراعة ، ولا من نصيب الصناعة ، بل أصبحت من نصيب القطاع الحكومي . إذ إنه احتل المرتبة الثانية في إسهامه في الناتج المحلي منذ عام (١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م) .

أما قطاع الزراعة فهو يتأرجح في إسهامه حسب تذبذب الإنتاج الزراعي الذي يخضع بدوره للعوامل الطبيعية . ففي عام (١٣٨٣ هـ/١٩٦٣م) كانت الزراعة هي القطاع الاقتصادي الأول من حيث إسهامه في الناتج المحلي ، ثم تراجع إلى المرتبة الثالثة في عام (١٣٩٠ هـ/١٩٧٠م) بعد الصناعة والتجارة . ثم ارتفعت قيمة إسهامه بشكل كبير في عام (١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م) ولكنه لم يحتل المرتبة الأولى ، بل أصبحت المرتبة الثانية من نصيبه بعد التجارة . وفي عام (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م) تراجع قطاع الزراعة ليحتل المرتبة الثالثة بعد التجارة والخدمات الحكومية .

جدول (١٦) الناتج المحلي الإجمالي بسعر السوق حسب القطاعات من (١٣٨٣ هـ - ١٤٠٤ هـ) ١٩٦٣م - ١٩٨٤م. بأسعار ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م الثابتة، وملايين الليرات السورية[٥٧]

القطاعات	١٩٦٣ ١٣٨٣ هـ/	١٩٧٠ ١٣٩٠ هـ/	١٩٨٠ ١٤٠٠ هـ/	١٩٨٤ ١٤٠٤ هـ/
الزراعة .	٤٩٠٨	٣٨٤٢	١٠٣٨٣	٩٤٨٠
الصناعة والتعدين .	٢٨٠٤	٥١٢٧	٩٠٠٦	٨٦٩٩
البناء والتشييد .	٧٣٨	٩١٠	٣٥٥٥	٤٤٤٧
تجارة الجملة والمفرق .	٤١٠٨	٤٧٩٦	١٢٧٠٠	١٣٩٦٣
النقل والمواصلات .	١٩٣٣	١٧٤٢	٣٥٥٧	٤٦٣٨
المال والتأمين والعقارات .	١٢١٤	١٤٣٥	٣٢٦٧	٣٤١٨
خدمات المجتمع والخدمات الشخصية.	١٧٤	٣٤٤	٩٢٦	١٤٧٦
الخدمات الحكومية.	٨٣٨	٢٣٥٠	٨٣٦٩	١١٢٧٨
الهيئات التي لا تهدف إلى الربح.	٢٠	٣٢	٣٤	٤٨
المجموع	١٦٧٣٧	٢٠٥٧٨	٥١٧٩٧	٥٧٤٤٧

أما الدخل الفردي السنوي في سوريا خلال الفترة الماضية فقد تطور كما موضح في الجدول رقم (١٧) .

جدول (١٧) الدخل الفردي السنوي في سوريا في الفترة ١٣٨٣ هـ - ١٤٠٤ هـ/ (١٩٦٣ - ١٩٨٤م)

أسعار ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م الثابتة

السنة	نصيب الفرد من الناتج المحلي
(١٣٨٣ هـ / ٩٦٣ م)	٣٣٥٣ ل . س(*)
(١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م)	٣٢٨٩ ل . س
(١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م)	٥٤٢٠ ل . س
(١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م)	٥٩٥١ ل . س
(١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)	٦٣٤٨ ل . س
(١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)	٦٣٤١ ل . س
(١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م)	٦١٠٨ ل . س
(١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)	٥٧٨٣(٥٨) ل . س

* ل. س = ليرة سورية .

إن هذا الدخل ليس كبيرا بمقارنته بالدخول الفردية في الدول المتقدمة أو بعض الدول الغنية بثروتها النفطية . وضعف الدخل الفردي يؤثر بصورة مباشرة على التوفير الفردي ، فيكون ضئيلا أو معدوما ، كما أن ضعف الادخار هو أحد الأسباب الرئيسة التي تؤخر عملية التنمية في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . فميزانية النفقات السنوية للدولة أكبر من ميزانية الواردات ، لذلك تلجأ الحكومات السورية في أحيان كثيرة إلى الاقتراض لتمويل مشاريعها ، كما تتلقى البلاد أحيانا بعض المساعدات من الدول العربية والصديقة لسد العجز المالي في بعض الإنشاءات والخطط .

وتشكل الضرائب موردا رئيسا في ميزانية الدولة وعائداتها ، والضرائب في سوريا

أنواع كثيرة أهمها : الضرائب المباشرة ، والضرائب غير المباشرة . فمن الضرائب المباشرة ضريبة الرواتب والأجور ، وضريبة المهن والحرف الصناعية ، وضريبة المواشي ، وضريبة الإنتاج الزراعي . وهناك نوع آخر من الضرائب المباشرة ، يستهدف الثروة ورأس المال مثل ضريبة العرصات ، وضريبة التركات ، والوصايا ورسوم الانتقال والتسجيل العقاري . أما الضرائب غير المباشرة فهي الأموال التي تفرضها الدولة على جميع المنتجات المتداولة في الأسواق سواء كانت ذات منشأ محلي أو مستوردة ، مثل رسوم السيارات ، وضريبة الأسمنت والسكر والملح والتبغ والكهرباء ... كذلك تتقاضى الدولة رسوما على أنابيب النفط التي تمر في الأراضي السورية ، كما تتقاضى رسوما مدرسية وجامعية ورسوما على زيارة المتاحف ورسوما على الإعلانات ورسوما لأغراض إدارية وقضائية ، وعلى كل المعاملات الجارية في دوائر الدولة(٥٩) .

وقد بلغ مجموع إيرادات الدولة من الضرائب والرسوم لعام (١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م) ١٠٤٠٧ مليون ليرة سورية ، وهو ما يعادل ٢٤٪ من المجموع الكلي لإيرادات الدولة التي شكلت ميزانيتها للعام المذكور بينما لم تزد هذه النسبة عن ١٤,٥٪ من إيرادات الدولة لعام (١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م)(٦٠) .

النقل والمواصلات

يعد مرفق المواصلات من أهم المرافق الحيوية اللازمة لتطور البلاد من الناحية الزراعية والصناعية والاجتماعية . وهو يمثل حلقة كبيرة وصلبة من ضمن الحلقات التي تخدم التنمية والحضارة بصفة عامة ، وإن كل تطوير له سيؤثر بلا شك على بقية الحلقات(٦١) .

١ – شبكة الطرق :

بلغت أطوال الطرق البرية المفروشة بالأسفلت ٤٠٠ كم قبل الحرب العالمية الثانية في مختلف أنحاء سوريا ، وكانت هذه الطرق تربط بين مدن سوريا الرئيسة في الوسط

والغرب ، أو تربط البلاد بكل من لبنان والأردن . وبعد الاستقلال تطورت شبكة الطرق سنة بعد أخرى وتحسنت مواصفاتها فأصبحت أكثر عرضا ، وأقل تعرجا . كما بدئ في الخطة الخمسية الثالثة (١٣٩١ هـ - ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧١م - ١٩٧٥م) في بناء الطرق السريعة ذات الاتجاه الواحد (أتوستراد) بين حلب ودمشق ، ثم بين حمص وطرطوس ، ودمشق ودرعا ، وذلك من أجل مواجهة وتدعيم النمو الاقتصادي ، وحركة النقل الداخلي ، والتبادل التجاري مع الدول المجاورة . وبذلك قفزت أطوال الطرق البرية في عام (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) إلى ١٦٣٣٨ كم من الطرق المزفتة ، و ٤٦٨٢ كم من الطرق المعبدة و ١٦١٢ كم من الطرق الممهدة[٦٢] [شكل ٨] .

٢ - السكك الحديدية :

أنشئ أول خط للسكة الحديدية في سوريا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، أثناء الحكم العثماني ، وعلى أساس امتياز لشركة فرنسية ، ثم تلا ذلك مد خطوط أخرى في مطلع القرن العشرين ، ثم في عهد الانتداب الفرنسي ، وكانت عملية توفير انتقال القوات المسلحة ومهماتها هي الهدف الأول من إنشاء هذه الخطوط[٦٣] وقد تم إنشاء أول خط حديدي بين دمشق وحوران في جنوب سوريا عام (١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) وهو من النوع الضيق ثم ربط في عام (١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ م) بخط ضيق آخر يصل بين دمشق وبيروت وفيما بين عامي (١٣٢١ - ١٣٣١ هـ / ١٩٠٣ - ١٩١٢م) تم إنشاء خط حديدي يربط بين دمشق ، وفلسطين ، وعمان (الخط الحديدي الحجازي) وآخر يربط بين طرابلس في لبنان ومدن حمص وحماة وحلب في سوريا . متصلا بخطوط السكة الحديدية في تركيا والعراق . وفي عام (١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م) أنشئت أطول شبكة سكة حديدية عريضة في سوريا . وكان الهدف من إنشائها أن تربط المدن السورية الكبرى ببعضها ، وتربط في نفس الوقت مناطق الإنتاج الزراعي والمعدني في وسط وشرق البلاد بالموانى السورية على البحر المتوسط ، (اللاذقية وطرطوس خاصة) . وبذلك أصبحت شبكة السكك الحديدية في سوريا على النحو التالي :

خط ضيق : وطوله ٣٤١ كم يقع كله جنوب دمشق ، باستثناء الخط الواصل

تركيا
البحر المتوسط
العراق
ش
القامشلي
الحسكة
الرقة
دير الزور
حلب
ادلب
اللاذقية
حماة
بانياس
طرطوس
حمص
طرابلس
تدمر
مناجم الفوسفات
بيروت
صيدا
دمشق
القنيطرة
السويداء
درعا
٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ ١٠٠كم

حدود سياسية
طريق سريع
طريق عادي
طريق ترابي
خط حديدي عادي
خط حديدي ضيق
أنبوب نفط خام
مركز محافظة

شكل - ٨ - شبكة الطرق البرية ونقل النفط الخام

بين دمشق وسرغايا وطوله ٦٠ كم .

خط عريض (أو عادي) : وطوله ١٦٨٦ كم يمتد من ميناء طرطوس على البحر المتوسط نحو الداخل ليصل إلى مدينة حمص ، ومنها إلى مدينة حماة ثم مدينة حلب ، ومن هناك يتجه شرقا إلى وادي الفرات فيصل مدينة دير الزور ، ثم يتجه شمالا حتى مدينة القامشلي ثم الحدود العراقية . كما يمتد خط بين حلب وميناء اللاذقية ، وآخر يربط مدينة حمص بمدينة دمشق ، وآخر يصل مدينة حمص بحقول الفوسفات في البادية شرقا .

٣ – الطيران :

دخل النقل الجوي سوريا في عهد الاحتلال الفرنسي ، وكانت طائرات الشركة الفرنسية للطيران تربط بين دمشق وحلب وبيروت وفرنسا والهند الصينية . وقد أنشأت فرنسا عدة مطارات عسكرية بالإضافة إلى مطار مدني في دمشق وفي السنة الأولى للاستقلال تأسست شركة الطيران السورية التي تملك عددا من الطائرات تقوم برحلات أسبوعية داخلية بين مدن دمشق وحلب ودير الزور والقامشلي وتدمر واللاذقية حيث توجد مطارات مدنية . وقد نشطت حركة النقل الجوي مع العالم الخارجي بعد تحسين المطارات السورية وخاصة بناء مطار جديد شرقي دمشق . ويبلغ عدد الركاب القادمين والمغادرين بواسطة النقل الجوي سنويا نحو ١,٥ مليون شخص .

٤ – الملاحة البحرية :

ليس في سوريا شركة للملاحة البحرية تمتلك سفنا وبواخر حتى الآن ، رغم اعتمادها في التجارة الخارجية تصديرا واستيرادا على النقل البحري بالدرجة الأولى .

وتستقبل سوريا سفن الشركات العالمية في ميناء اللاذقية القديم ، وميناء طرطوس الحديث الذي أنشئ عام (١٣٨٨ هـ/١٩٦٨م) . أما بقية موانى السواحل فهي قليلة الأهمية كميناء جبلة وأرواد اللذين يستقبلان المراكب الصغيرة ، أما بانياس ففيها ميناء مهم لتصدير واستيراد النفط الخام . ولقد زاد نشاط الموانئ السورية بشكل واضح فارتفع عدد البواخر القادمة من ٢١٦٥ باخرة عام(١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) إلى ٢٤٤٧ باخرة عام (١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م) ، وازداد وزن البضائع القادمة من ٩٧٧ ألف طن إلى

١١١٨٠ ألف طن . أما بالنسبة للبواخر المغادرة فقد كان عددها ٢١٧٨ باخرة ثم ارتفع إلى ٤٢٣٢ باخرة ، وارتفع وزن البضائع المصدرة من ٥٨٧ ألف طن إلى ١٣٢٦ ألف طن عدا النفط الخام .

٥ - خطوط نقل النفط :

أصبحت سوريا ، بحكم موقعها على الساحل الشرقي للبحر المتوسط منفذا لخطوط نقل النفط الخام القادم من العراق والمملكة العربية السعودية فأنابيب النفط الخام القادمة من حقول نفط كركوك في العراق تخترق الأراضي السورية من الشرق إلى الغرب ، وينتهي قسم منها في ميناء بانياس السوري ، والقسم الثاني ينتهي في ميناء طرابلس اللبناني . أما خط الأنابيب القادم من المملكة العربية السعودية (التابلاين) فيدخل الأراضي السورية من الجنوب حتى لبنان حيث ينتهي الأنبوب في ميناء صيدا .

وتستفيد سوريا من مرور الأنابيب عبر أراضيها بتحصيل رسوم وعائدات مقابل مرور نحو ٦٥ مليون طن من النفط بواسطة هذه الأنابيب . وقد أممت سوريا أنابيب النفط القادمة من العراق والمارة عبر أراضيها عام (١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م) .

أما بالنسبة لنقل النفط الخام المنتج محليا ، فقد أقامت سوريا عام (١٩٥٨م/١٣٧٨هـ) خط أنابيب من الفولاذ بطول ٦٥٠ كم يمتد بين حقل كراتشوك في أقصى الشمال الشرقي من سهول الجزيرة حتى ميناء طرطوس على ساحل البحر المتوسط مرورا بحمص ، من أجل تغذية معمل التكرير فيها بالنفط الخام ، كما ربط هذه الخط حديثا بمعمل التكرير الثاني في سوريا في ميناء بانياس شمالي طرطوس .

كما مدت في سوريا ثلاثة خطوط من الأنابيب لنقل المشتقات النفطية من حمص إلى مدن دمشق وحلب واللاذقية .

الأحوال الاجتماعية

الأجور ومستوى المعيشة :

رأينا من خلال حديثنا عن الدخل الوطني أن دخل الفرد السوري قد تضاعف خلال

فترة تقارب العشرين عامًا . والأرقام التي أوردناها أرقام عامة تشمل العاملين وغير العاملين ، الصغار والكبار ، النساء والرجال . أما الدخل الفعلي للعاملين في سوريا فقد ارتفع بشكل كبير خلال السنوات الأخيرة على كل المستويات وكل القطاعات الاقتصادية .

وقد تراوح الأجر الشهري للعاملين في القطاع العام الصناعي بين ١٩١ و ٣٦٤ ليرة سورية في عام (١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م)، ثم ارتفع هذا الأجر فأصبح يتراوح بين ٣٤٩ و ٦٧١ ليرة سورية في عام (١٣٩٧هـ / [١٩٧٧م]) ، أي أن الأجر الشهري تضاعف تقريبا خلال سبع سنوات ، ثم تضاعف مرة أخرى خلال السنوات التالية ، أما الأجور لدى القطاع الخاص والأعمال الحرة ، وفي الزراعة فقد ارتفعت أكثر من ارتفاعها في قطاعات الدولة الإنتاجية . وهذا الارتفاع في الأجور هو مؤشر إيجابي يدل على تحسن مستوى المعيشة في سوريا ، من حيث المأكل والملبس والمسكن والتعليم والنواحي الصحية والاجتماعية الأخرى .

لكن يحد من الاستفادة من ارتفاع الأجور ارتفاع أسعار المواد الغذائية والمنتجات الصناعية والمحروقات وأجور البيوت والنقل وغير ذلك فالأرقام القياسية السنوية لأسعار الجملة قد ارتفعت بين عام (١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ) ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، كما هو مبين في الجدول رقم (١٨) . (١٣٨٢هـ = ١٠٠)[٦٤] .

جدول (١٨) تطور أسعار المواد الاستهلاكية في سوريا فيما بين عامي (١٣٩٦ هـ/ ١٤٠٠ هـ) (١٩٧٦ و ١٩٨٠) (١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م = ١٠٠)[٦٤]

المادة	١٣٩٦هـ ١٩٧٦م	١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
الرقم القياسي العام	٢٣٥	٣٦١
المواد الغذائية	٢٥٤	٣٦٤
المواد الأولية الزراعية الصناعية	٢٠٢	٢٨٠
المنتجات الصناعية	٢٦٦	٢٩٥
مواد البناء	٣٠٧	٦٢٠
المحروقات	١٢٠	٣٥٣

ومن هذا الجدول يتضح لنا الارتفاع الكبير في أسعار المواد اللازمة لحياة الناس وخاصة المواد الغذائية ومواد البناء .

التعـليم

إدراكًا من المسئولين لحقيقة أن التقدم الاجتماعي والاقتصادي لا يمكن أن يتم بصورة مرضية إلا بالقضاء على الأمية المتفشية في البلاد ، وتغطية احتياجات البلاد من المتخصصين في الطب والهندسة والتعليم والصناعة والتجارة .. لذلك فقد وجهوا عناية خاصة للتعليم والمؤسسات العلمية .

وقد تم تعريب التعليم بجميع مراحله (بعد أن كان باللغة الفرنسية) وأنشئت مئات المدارس الابتدائية ، والإعدادية ، والثانوية ، وشيدت المعاهد العليا والجامعات وأقيمت مدارس محو الأمية ، والمدارس المهنية .

وهكذا ارتفع عدد المدارس الابتدائية من ١٠٨٠ مدرسة عام ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م إلى ٨٤٨٩ مدرسة عام (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، وارتفع تبعا لذلك ، عدد تلاميذ هذه المدارس من ١٥٠١٣٤ تلميذا عام ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م إلى ١٨٢٣٦٨٤ تلميذا عام (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)، أي أن حوالي ١٨٪ من سكان سوريا هم عبارة عن تلاميذ تضمهم المدارس الابتدائية . وهذه نسبة مرتفعة جدا تدل على الإقبال الكبير للسكان للنهل من موارد العلم ، والارتقاء في مدارج الحضارة ، كذلك فقد ارتفع عدد المدارس الإعدادية والثانوية من ٧٣ مدرسة عام ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م إلى ١٥٩٨ مدرسة عام (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) وارتفع عدد الطلاب الدارسين في المرحلتين المذكورتين من ٢٨٥٠٥ طلاب إلى ٧٠١٣٣٠ طالبا . وهذا رقم مرتفع يدل دلالة كبيرة على مدى التقدم العلمي في البلاد . وإلى جانب هؤلاء الطلاب والمدارس توجد المدارس الإعدادية والثانوية المهنية والفنية التي بلغ عددها ١٢٨ مدرسة استوعبت ٥٣٧٤٥ طالبا وطالبة عام (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)[٦٥] .

أما التعليم الجامعي فقد تطور هو الآخر تطورا كبيرا ، فقد كانت في سوريا عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م جامعة واحدة (الجامعة السورية) تضم كليتين فقط تستوعبان ٧٣٦ طالبا وطالبة . أما في عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) فقد أصبح في البلاد أربع جامعات : واحدة في دمشق ، والثانية في حلب ، والثالثة في اللاذقية ، والرابعة في حمص ، تضم هذه الجامعات ٤١ كلية يتعلم فيها ١١٦٠٧٧ طالبا وطالبة . أضف إلى ذلك المعاهد العليا والمتوسطة ، ورياض الأطفال ، ومدارس الأميين ومعاهد التدريب المهني ، ووسائل الإعلام والمدارس العسكرية ، مما يشكل رصيدًا من الوسائل المعدة للتخلص من الأمية والجهل ، وتشير بعض التقديرات إلى أن نسبة الأمية في سوريا قد انخفضت إلى ما دون ٥٠٪ من مجموع السكان ، وهذا إنجاز كبير ستتلوه خطوات أسرع لتخليص العقول من ظلمات الأمية والتخلف . .

الأقاليم الجغرافية

اعتمادا على العوامل الطبيعية بالدرجة الأولى ، وعلى العوامل الاقتصادية والبشرية بالدرجة الثانية ، يمكن تقسيم سوريا إلى الأقاليم الجغرافية الرئيسة التالية :

١ – إقليم الساحل والجبال الساحلية .

٢ – إقليم الجنوب الغربي .

٣ – إقليم حوض العاصي .

٤ – إقليم الشمال .

٥ – إقليم الجزيرة ووادي الفرات .

٦ – إقليم البادية .

« أ » **إقليم الساحل والجبال الساحلية .**

يشمل هذا الإقليم السهول الساحلية الممتدة من لواء إسكندرون في الشمال إلى الأراضي اللبنانية في الجنوب ، وكذلك سلاسل الجبال الساحلية إلى الشرق من

السهول . ويمتاز هذا الإقليم باعتدال المناخ وكثرة الأمطار . ولذلك فهو يضم الغابات الرئيسة في البلاد ، كما تزدهر فيه أشهر زراعات البحر المتوسط ، خاصة الزيتون والحمضيات .

وتبتدئ السهول الساحلية في الشمال بسهل اللاذقية المتسع نسبيا بالتحامه مع فتحة النهر الكبير الشمالي ، ثم تتدرج السهول بالضيق نحو الجنوب حيث نجد سهل جبلة الذي يزداد ضيقا في الجنوب ، ثم تقتحم الجبال شاطئ البحر، فتختفي السهول بالقرب من مدينة بانياس ثم تعود للظهور شمال مدينة طرطوس ، وتتسع تدريجيا جنوب هذه المدينة إلى ما يزيد عن ٢٠ كليو متر .

وتتدرج هذه السهول في الارتفاع من خط الساحل في الغرب إلى أقدام الجبال الساحلية في الشرق ، ولا تزيد ارتفاعاتها عن ٣٠٠م .

وتتمتع السهول الساحلية بشروط طبيعية ملائمة لازدهار الحياة البشرية والاقتصادية ، فالحرارة معتدلة ، ويندر أن تتجاوز متوسطاتها السنوية ٢٠° مئوية . أما الأمطار فغزيرة بصورة عامة وتهطل في الشتاء بشكل خاص ، إضافة إلى بعض الأمطار التي تسقط في فصلي الخريف والربيع . وتتراوح كمية الأمطار السنوية بين ٨٠٠ و ١٠٠٠مم ، مما يساعد على ازدهار الحياة النباتية الطبيعية ووفرة الإنتاج الزراعي ، كما تساعد الأمطار الغزيرة التي تسقط على الجبال الساحلية على فيضان الأنهار التي تنحدر نحو السهول الساحلية ، حاملة إليها اللحقيات ، وتكون بمثابة احتياطي مائي يستعمل عند الحاجة .

وتتصف الأنهار الساحلية بقصرها ، وقلة انتظام جريانها ، وفيضانها الشتوي القوي ، وقلة غزارتها في غير موسم الأمطار ، بل إن بعضها يجف في فصل الصيف . وأهم هذه الأنهار النهر الكبير الشمالي ، ونهر السن ، والنهر الكبير الجنوبي .

أما الجزء الشرقي من هذا الإقليم فهو جبلي ، ويتكون من سلسلة الجبال الغربية الساحلية ، التي تسير من الجنوب إلى الشمال بطول يصل إلى ١٣٥ كم ، وارتفاع يصل إلى ١٥٣٩م ، وهي جبال التوائية مصدعة . وتتألف هذه الجبال من الصخور الكلسية

والمارنية والحوارية والرملية التي تعود إلى الزمن الجيولوجي الثاني والثالث .

وتتميز جبال الساحل هذه بأنها غير متناظرة السفوح ، حيث تنحدر السفوح الشرقية بشدة وعلى شكل جدار واضح نحو سهل الغاب الانهدامي ، بينما تنحدر بشكل متدرج نحو السهول الساحلية في الغرب .

أما من الناحية المناخية فالجبال الساحلية أقل حرارة من السهول الساحلية حيث تبلغ في متوسطها ١٥°م . أما الأمطار فتسقط على الجبال بغزارة شديدة حيث تتراوح كميتها السنوية بين ١٠٠٠ و ١٦٠٠مم وهي أكثر بقاع سوريا أمطارا ، وهذا يساعد على نمو وتنوع الحياة النباتية المتوسطية وخاصة الغابات والأحراش .

أما من الناحية البشرية فإن إقليم الساحل هو من أكثر أقاليم سوريا سكانا وأعظمها كثافة ، بسبب الظروف الطبيعية الملائمة لسكنى الإنسان ونشاطه . وقد قدر عدد سكان هذا الإقليم بنحو ١,١ مليون نسمة في عام (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، وتبلغ الكثافة نحو ٢٧٦ نسمة / كم٢ في هذا الإقليم الذي يضم أراضي منطقتين إداريتين هما محافظتا اللاذقية في الشمال وطرطوس في الجنوب ، بالإضافة إلى بعض الأجزاء الصغيرة الهامشية في الشرق والتي تتبع إداريا محافظات أدلب ، وحماة ، وحمص ، ويتميز إقليم الساحل بكثرة التجمعات البشرية الصغيرة والمتوسطة وقلة التجمعات السكانية الكبيرة .

ولا يوجد في هذا الإقليم سوى خمس مدن يزيد عدد سكان كل منها على عشرة آلاف نسمة ، وكلها واقعة في الجزء السهلي ، بينما تكثر التجمعات الصغيرة (أقل من ١٠,٠٠٠ نسمة) في القسم الجبلي .

وحسب تعداد السكان لعام (١٤٠١ هـ/١٩٨١م) فإن أكبر مدن الإقليم هي مدينة اللاذقية ، حيث بلغ عدد سكانها ١٩٦ ألف نسمة ، وتليها مدينة طرطوس وعدد سكانها ٥٢ ألف نسمة ، ثم تأتي مدن جبلة ٢٤ ألف نسمة ، وبانياس ١٩ ألف نسمة ، وصافيتا ١٠ آلاف نسمة .

أما من حيث النشاط الاقتصادي فيشتهر هذا الإقليم بزراعة الزيتون والتبغ والحمضيات والخضار والفول السوداني .

وهذا الإقليم هو نافذة سوريا البحرية على العالم ، إذ أقيم في مدينتي اللاذقية وطرطوس ميناءان حديثان يستقبلان واردات سوريا من الخارج كما يصدر عن طريقهما حاصلات سوريا الزراعية والمعدنية (نفط وفوسفات) . ويصدر عن طريق ميناء بانياس النفط العراقي القادم إلى سوريا عبر الأنابيب الواصلة بين حقول نفط كركوك والبحر المتوسط . وقد بنيت في ميناء بانياس أكبر مصفاة للنفط الخام في سوريا ، وتبلغ طاقتها التكريرية السنوية ٦ ملايين طن من النفط الخام .

أما أهم الصناعات الموجودة في هذا الإقليم ، إلى جانب مصفاة تكرير النفط في بانياس ، فهي الصناعات القائمة على الإنتاج الزراعي في المنطقة كصناعة عصر الزيوت والصابون ، وصناعة التبغ ، وتحضير وتعبئة الفول السوداني ثم صناعة الأسمنت ، واستخراج وتحضير الأسفلت ثم الصناعات المعدنية والكهربائية ، وصناعة الأثاث وصناعة الحلويات والمشروبات الغازية ، وتتركز هذه الصناعات في مدينتي اللاذقية وطرطوس .

كذلك فإن هذا الإقليم يتمتع بإمكانات سياحية ممتازة ، بسبب اعتدال المناخ ووجود الشواطئ البحرية الملائمة ، والمناظر الطبيعية المتنوعة ، وكثرة الغابات ، والآثار التاريخية وسهولة المواصلات .

« ب » إقليم الجنوب الغربي :

يقع هذا الإقليم بين سلسلة جبال لبنان الشرقية ، وغور الأردن ومجرى نهر اليرموك ، وبادية الشام والجبال التدمرية .

وقد تأثر هذا الإقليم بحركات القشرة الأرضية التي سبقت والتي رافقت حدوث الصدع السوري الإفريقي الكبير ، فكثرت فيها الصدوع والشقوق والبراكين مما ساعد على تشكل السلاسل الجبلية في الغرب والشمال وكثرة الانسيابات البازلتية والمقذوفات البركانية ، وانتشار المخاريط البركانية في الجنوب ، في الجولان وحوران وجبل العرب .

وترتفع أراضي الإقليم في جبال القلمون وسلسلة لبنان الشرقية حيث تشرف على غوطة دمشق وهضبة الجولان وأعلى ارتفاع لهذه الجبال هو قمة جبل حرمون (الشيخ)

التي تصل إلى ٢٨١٤م .

ويتألف باقي الإقليم من سهول وهضاب يتراوح ارتفاعها بين ٦٥٠ و ٨٥٠م مع وجود بعض القمم البركانية الخامدة التي يتجاوز ارتفاعها ١٠٠٠م وخاصة في جبل العرب وهضبة الجولان .

ويتأثر هذا الإقليم بالرياح الجنوبية الغربية القادمة من البحر المتوسط محملة بالرطوبة في الشتاء فتهطل أمطارها على هضبة الجولان ، وسلاسل جبال لبنان الشرقية . وكلما اتجهت الرياح الممطرة نحو الشرق فقدت جزءا من فعاليتها ، إلى أن تصطدم بجبل العرب في الشرق فتبرد أكثر وتتكاثف الغيوم وتهطل كمية لا بأس بها من الأمطار . وهكذا نجد أن كمية الأمطار في الغرب تتراوح في هضبة الجولان بين ٦٠٠ و ١٠٠٠م سنويا ، بينما تتناقص في ظل جبال لبنان الشرقية وهضبة الجولان لتصل إلى ما بين ٢٥٠ و ٣٥٠م سنويا في سهل حوران و ٢٠٠ و ٢٥٠م سنويا في غوطة دمشق وصحراء الديماس . وإلى جانب الأمطار تسقط الثلوج سنويا في المستويات التي يزيد ارتفاعها عن ١٠٠٠م في جبال لبنان الشرقية ، وجبل العرب ، والجولان .

أما درجات الحرارة فإنها تتأثر بعوامل متعددة أهمها الارتفاع عن سطح البحر ، وطبيعة الرياح التي تهب على الإقليم ، وخاصة الرياح الغربية البحرية ، والرياح الشرقية القارية . وبشكل عام فإن أقل درجات حرارية في الشتاء تسجل في المناطق الجبلية كالزبداني ومضايا والنبك ويبرود ، والقنيطرة في الغرب والشمال الغربي من الإقليم ، أو في السويداء في الشرق في جبل العرب ، أما درجات الحرارة المرتفعة في فصل الصيف فتسجل في غوطة دمشق وسهل حوران ، ومنخفض غور الأردن في منطقة الحولة وطبرية والحمة .

أما عن المياه في هذا الإقليم ، فإن الثلوج والأمطار الغزيرة التي تسقط على سلسلة جبال لبنان الشرقية وهضبة الجولان ساعدت على تشكل بعض الأنهار وظهور الينابيع في الإقليم . ومن أهم الأنهار نهر بردى ونهر الأعوج اللذان يسيران في غوطة دمشق من الغرب إلى الشرق ، حيث تستغل مياههما في الشرب والزراعة .

كذلك يجري في جنوبي الإقليم نهر اليرموك الذي تتشكل مصادر مياهه من ينابيع وسيول منطقة حوران وجبل العرب والجولان ، نحو الغرب ليرفد نهر الأردن في منطقة الحمة . وكلما اتجهنا نحو الشرق والشمال قلت المياه في الإقليم ، وأصبحت الزراعة تعتمد على المياه الجوفية .

ويضم إقليم الجنوب الغربي من الناحية الإدارية محافظة القنيطرة ومحافظة درعا ، ومحافظة السويداء ، والقسم الأعظم من محافظة دمشق .

يبلغ عدد سكان هذا الإقليم نحو ٢,٦ مليون نسمة حسب تعداد عام (١٤٠١هـ / ١٩٨١م)[٦٦] ، وهو ما يعادل ٢٨,٩٪ من سكان سوريا .

أما عن التوزيع الجغرافي للسكان في هذا الإقليم فإننا نلاحظ التركز الواضح لهم في مدينة دمشق ومحافظتها ، فمدينة دمشق وحدها تضم نحو ١,١ مليون نسمة ، أي ما يعادل ٤٢٪ من سكان الإقليم، كما تضم باقي محافظة دمشق ٩١٧ ألف نسمة، بما في ذلك سكان منطقة الجولان الذين أخرجوا من ديارهم عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م أما سهول حوران فلا تضم سوى ٣٦٣ ألف نسمة وجبل العرب ١٩٩ ألف نسمة، بينما لا يزيد عدد سكان الجولان الحاليين في الأراضي غير المحتلة من محافظة القنيطرة عن ٢٦ ألف نسمة.

وتتمثل المدن الكبرى من حيث عدد السكان في الإقليم بمدينة دمشق والمدن التي حولها وخاصة مدينة جرمانا (٦٤ ألف نسمة) ، ودوما (٥١ ألف نسمة) وداريا (٣٤ ألف نسمة). أما بقية الإقليم فيغلب عليه الطابع الريفي ولذلك فإن التجمعات البشرية تكون صغيرة قليلة السكان . فأكبر المدن في سهل حوران هي مدينة درعا وعدد سكانها ٤٩ ألف نسمة ، وتليها مدينة نوى وعدد سكانها ٢٠ ألف نسمة ، أما في جبل العرب ، فلا نجد سوى مدينة واحدة يزيد عدد سكانها على عشرة آلاف نسمة وهي مدينة السويداء (مركز المحافظة) التي بلغ تعداد سكانها نحو ٤٣ ألف نسمة .

ويشكل هذا الإقليم من الناحية الاقتصادية ما يسمى بظهير مدينة دمشق حيث ازدهرت هذه المدينة من خلال زراعة غوطتها ، واستغلال مياه بردى والأعوج ، ثم من

تجارة المحاصيل الزراعية والحيوانية المنتجة في حوران والجولان وجبل العرب . فسهول حوران ذات تربة بركانية خصبة ، تعطي إنتاجا وفيرا من القمح والشعير والبقوليات في السنوات التي تهطل فيها أمطار كافية في الأوقات المناسبة للزراعات البعلية الشتوية . كذلك تنقل إلى دمشق خيرات جبل العرب من العنب ، وفائض الحبوب في السنوات المطيرة . وقبل الاحتلال الصهيوني لهضبة الجولان ، كانت هذه الهضبة من أكثر مناطق سوريا غنى بالثروة الحيوانية ، حيث يقوم البدو والسكان شبه المستقرين بتربية الماشية لحساب سكان منطقة دمشق وحوران ويبيعون إنتاجها في سوق دمشق الواسع .

وتربط مدينة دمشق بشتى نواحي الإقليم بطرق برية حديدية أو معبدة تكفي لجلب خيرات هذا الإقليم وتكديسها في دمشق ، وإلى جانب ذلك فإن دمشق هي أكبر مدينة صناعية في سوريا ، وتشتهر بصناعاتها النسيجية والغذائية والمعدنية إلى جانب صناعة الأثاث المتنوع وصناعة مواد البناء والصناعات الكيماوية وغيرها ، مما جعلها قبلة الهجرات السكانية المستمرة التي تنساب نحوها من بقية مناطق الإقليم ، خاصة في سنوات القحط والجفاف بحثا عن العمل ومصادر الرزق .

« جـ» إقليم حوض العاصي :

ويشمل المنطقة المحصورة بين الجبال الساحلية غربا ، وحدود لواء إسكندرون شمالا ، وجبل الزاوية وبادية الشام شرقا ، ثم سلاسل الجبال الوسطى والسلاسل التدمرية جنوبا ، ويبدأ هذا الحوض في الشمال بالسهل الانهدامي الكبير وهو سهل الغاب ، وسهل الروج امتداد الغاب نحو الشمال الشرقي . ويبلغ طول سهل الغاب ٨٠ كم وعرضه ١٢ كم ، ويرتفع سطحه بمقدار يتراوح بين ١٧٠ و ٢٠٠م فوق سطح البحر . وقد كانت أرض هذا السهل حتى عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م مستنقعية تشكل موطنا للأوبئة والأمراض ولا يستفاد منها . لكنه وبعد تجفيفه أصبح منطقة زراعية مهمة في سوريا تنتج الحبوب والشوندر السكري والقطن والخضار .

وإلى الجنوب الشرقي من سهل الغاب يمتد سهل العشارنة على جانبي نهر العاصي بشكل متطاول من الشمال إلى الجنوب ، ويرتفع عن سطح البحر بمقدار يتراوح بين

٢٠٠ و ٢٢٠م ثم تتطاول بعد ذلك سهول حماة وحمص وتحف بنهر العاصي حتى دخوله الأراضي السورية قادما من لبنان .

وهذه السهول ليست مستوية ، وإنما هي متفاوتة الارتفاع ، إذ يتراوح ارتفاعها بين ٤٠٠ و ٥٢٥م في سهول حمص في الجنوب ، لتنخفض إلى ارتفاع بين ٢٥٠ و ٣٥٠م في سهول حماة في الشمال ، ويشكل نهر العاصي في الجزء الجنوبي من سهول حمص بحيرة قطينة ، وهي ثاني أكبر بحيرة في سوريا (٦١ كم٢) بعد بحيرة الأسد على نهر الفرات .

فسهول حوض العاصي تتكون من مجموعة من السهول الممتدة من الشمال نحو الجنوب ، ويخترقها نهر العاصي في وسطها فيزيد أهميتها في مجال الإعمار البشري ، والإنتاج الزراعي .

ويشكل إقليم حوض العاصي الامتداد الطبيعي للانهدام السوري الإفريقي نحو الشمال ، وتحده السلاسل الجبلية من جهة الغرب فتحجب عنه التأثيرات البحرية القادمة من الغرب . أما من جهة الشرق فالقسم الأكبر الجنوبي المكون من سهول حمص وحماة ينفتح نحو الصحراء السورية ويتلقى التأثيرات الصحراوية القادمة من الشرق ، والجنوب الشرقي . أما الجزء الشمالي فمحاط بجبال قليلة الارتفاع (جبل الزاوية ، باريشا ، الأعلى ، الدويلة) لا تمنع التأثيرات المناخية القارية القادمة من الشمال والشمال الشرقي .

وإن الوضع الطبوغرافي ، والجغرافي لهذا الإقليم يجعل مناخه وسطا بين المناخ الساحلي المعتدل الرطب غربا ، والمناخ الجاف القاري في الشرق . وإن جدار الجبال الساحلية في الغرب يقلل من كمية الأمطار التي تسقط على سهول الغاب والروج والعشارنة وحماة ، بينما تسمح الفتحة بين جبال الساحل السورية ، وسلسلة جبال لبنان الغربية بتوغل الرياح الغربية الرطبة إلى سهول حمص في الجنوب .

لذلك تختلف كمية الأمطار بين الشرق والغرب . فهي تبلغ ٢٥٠م على حدود إقليم البادية ، و ٤٠٠م في مدينة حماة و ٥٥٠م في سهل الغاب و ٥٣٠م في حمص .

أما درجات الحرارة فتتراوح بين ١٦,٥° و ١٨,٥° مئوية في المتوسط سنويا . وتنخفض الحرارة في فصل الشتاء إلى ما بين ٧° و ٩° مئوية في المتوسط ، بينما

ترتفع في الصيف إلى مابين ٢٧° و ٢٩,٥° م في المتوسط .

وتعد أراضي إقليم حوض العاصي من أهم الأراضي السورية من حيث الكثافة البشرية ، ومن حيث الإنتاج الزراعي وتنوعه .

ويحتل إقليم حوض العاصي من الناحية الإدارية الجزء الخصب من محافظتي حمص وحماة ، كما يضم الجزء الغربي من محافظة أدلب .

ويضم هذا الإقليم أكبر مدينتين في سوريا بعد دمشق وحلب ، فمدينة حمص تأتي في المرتبة الثالثة من حيث عدد السكان ، إذ تضم نحو ٣٤٧ ألف نسمة حسب تعداد عام ١٤٠١ هـ/١٩٨١م، كما تعد مدينة حمص ثالث مركز صناعي في سوريا، إذ تضم مصفاة للنفط، وأكبر مصنع للسكر ومصانع متعددة للصناعات الغذائية، كما تضم مصانع مهمة للصناعات النسيجية والأسمنت وطحن الحبوب والصناعات المعدنية والكيماوية ، كذلك أنشئت في مدينة حمص الجامعة السورية الرابعة ، وتضم كليات في العلوم والطب والآداب .

أما مدينة حماة الواقعة إلى الشمال من مدينة حمص على بعد ٤٥ كم فتضم نحو ١٧٧ ألف نسمة يقسمها نهر العاصي إلى قمسين ، وفيها نواعير حماة التي ترمز إلى عهد زراعي مزدهر في عصور سابقة ، وقد انتعشت مدينة حماة اقتصاديا بعد تنظيم مجرى نهر العاصي ، واستغلال مياه بحيرة قطينة ، وسد الرستن ، وسد مجردة ، وتجفيف سهل الغاب ، فازدهرت الزراعة ، كما أقيمت في مدينة حماة وما جاورها مصانع ضخمة لصناعة الأسمنت والنسيج ، والصناعات الحديدية ، والكونسروة ، والزيوت ، والصابون ، وطحن الحبوب .

« د » **إقليم الشمال** :

يمتد هذا الإقليم فى أقصى الشمال الغربي من البلاد ، وتحده من الغرب حدود لواء إسكندرون ، والجبال الواقعة إلى الشرق من سهل الغاب ، ويمتد هذا الإقليم شرقا حتى وادي الفرات ، كما ينفتح في الجنوب على البادية السورية . ويتكون من هضبة ترتفع من

الجنوب نحو الشمال والشمال الغربي ، ويتراوح الارتفاع المتوسط لهذه الهضبة بين ٤٠٠ و ٥٠٠م فوق سطح البحر . وترتفع إلى ما يزيد عن ٦٠٠م في جبال سمعان (٨٧٠م) وكرد – داغ (١٢٠٠م) .

وتمتد أراضي هذا الإقليم لتشمل الجزء الأعظم من محافظة حلب والجزء الشمالي من محافظة أدلب . كما يعد هذا الإقليم من الأقاليم الغنية بثروتها الزراعية ، وترتفع فيه الكثافة البشرية ، وتكثر فيه المدن .

ويتميز مناخ هذا الإقليم بأنه متوسط الأمطار ، وتزداد فيه الفروق الحرارية بين الصيف والشتاء ، ويتأثر بالكتل الهوائية القارية القادمة من الشمال ، بينما تحجز الجبال الساحلية التأثيرات البحرية الغربية من التوغل في أراضي الإقليم نسبيا . كذلك يتأثر الإقليم بصورة واضحة بكتل الهواء القارية القادمة من الجنوب ، والجنوب الشرقي ، وخاصة في الربيع والصيف ، وهي رياح جافة وحارة .

وإن الاختلاف التضاريسي بين القسم الشرقي السهلي المنبسط والمنخفض والقسم الغربي الجبلي المرتفع يجعل كمية الأمطار تتناقص من الغرب نحو الشرق ومن الشمال نحو الجنوب .

وهكذا نجد أن متوسط كمية الأمطار في أعزاز في الشمال الغربي يبلغ نحو ٥٠٠م سنويا ونحو ذلك في مدينة أدلب في الجنوب الغربي في حين يهبط هذا المتوسط إلى ٤٠٠م في حلب في الوسط ، ونحو ٢٥٠م في أقصى الجنوب الشرقي من الإقليم (سبخة الجبول ، وقرب نهر الفرات في الشرق) ، أما درجات الحرارة المتوسطة السنوية فتتراوح بين ١٦° و ١٨° مئوية . وتزداد الفروق الحرارية بين الصيف والشتاء والليل والنهار فكثيرا ما تنخفض درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر، خاصة عند هبوب رياح الشمال الباردة.

لكن متوسط الحرارة الدنيا في مدينة حلب يبلغ ٦° مئوية أما في الصيف فترتفع درجات الحرارة إلى حوالي ٣٨° – ٤٠° مئوية ، لكن متوسط الحرارة لا يتجاوز في مدينة حلب ٢٨,٥° مئوية وذلك لأكثر شهور السنة حرارة وهو شهر آب (أغسطس) .

أما من الناحية الاقتصادية فتسود في الإقليم زراعة المحاصيل البعلية كالقمح والشعير .

كما يعد هذا الإقليم من أشهر مناطق سوريا في زراعة أشجار الزيتون ، والفستق الحلبي والكرز والقطن .

أما من الناحية البشرية فيضم هذا الإقليم نحو ٢,٣ مليون نسمة أو ما يعادل ٢٠٪ من سكان سوريا لعام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . وتعد مدينة حلب أهم مراكز التجمع السكاني في هذا الإقليم ، إذ تضم نحو ٩٨٥ ألف شخص . ثم تأتي مدينة أدلب وهي مركز محافظة أدلب ويبلغ عدد سكانها نحو ٥١ ألف شخص ، ومن المدن الأخرى في هذا الإقليم الباب ، ومنبج ، ومعرة النعمان ، وأريحا ، وأعزاز . ويتراوح سكان كل مدينة بين ١٦ و ٣٠ ألف شخص .

ومدينة حلب هي أهم مدن الإقليم على الإطلاق ، وهي ثاني مدينة في سوريا من حيث عدد السكان ، ومن حيث الأهمية الصناعية والتجارية والثقافية ، وتقوم فيها أهم الصناعات النسيجية في سوريا ، كما تقوم فيها صناعات غذائية مهمة.، وكذلك الصناعات المعدنية والصناعات الكيميائية .

وتضم المدينة جامعة حلب التي أسست منذ حوالي ٢٧ عامًا .

وترتبط مدينة حلب بواسطة السكة الحديدية بميناء اللاذقية ، وحوض الفرات ، وسهول الجزيرة الخصبة ، كما ترتبط بخط للسكة الحديدية بتركيا ، ومدن سوريا الوسطى ، وحماة ، وحمص ثم مينائي اللاذقية وطرطوس .

« هـ» إقليم الجزيرة ووادي الفرات :

ويضم هذا الإقليم السهول الممتدة على جانبي نهر الفرات ، والسهول الممتدة إلى الشرق من النهر حتى الحدود العراقية السورية ، أو ما يطلق عليه اسم سهول الجزيرة . ويمتد هذا الإقليم على مساحة تعادل ربع مساحة الأراضي السورية . وهي أراضٍ واسعة منبسطة يبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٣٥٠م ولا يوجد فيها من الجبال إلا النادر القليل الارتفاع وأهمها : جبل سنجار على الحدود السورية العراقية ، وإلى الغرب منه يقع جبل عبد العزيز ، ثم تلال طوال العبا في أقصى الغرب ، ولا يتجاوز ارتفاع هذه الجبال ٩٠٠م وهي تمتد متتابعة من الشرق نحو الغرب فاصلة بين ما يسمى بالجزيرة العليا في

الشمال ، والجزيرة السفلى في الجنوب ويجري في سهول الجزيرة رافدا الفرات الأساسيان وهما البليخ والخابور اللذان ينبعان من مناطق الحدود السورية التركية ، ويسيران نحو الجنوب إلى أن يلتقيا بنهر الفرات .

ويسود في هذا الإقليم مناخ قاري شديد الحرارة في الصيف ، بارد في الشتاء ، وتزداد الفروق الحرارية في الأجزاء الشرقية من الإقليم .

تزداد الحرارة في الصيف حتى تتجاوز ٤٠°م في بعض الأيام من شهر آب (أغسطس) في مدن دير الزور والبوكمال . وبصورة عامة يبلغ متوسط حرارة الصيف في مدن هذا الإقليم الرئيسة كمايلي بالدرجات المئوية : دير الزور ٣٢° الرقة ٢٩,٥° القامشلي ٣١° الحسكة ٣١° . أما في فصل الشتاء فكثيرا ما تنخفض الحرارة إلى درجات متدنية قد تصل إلى ما دون الصفر المئوي .

أما متوسط درجات حرارة الشتاء فتبلغ نحو ٧° في دير الزور ، و ٦,٩° في الرقة ، ٦,٥° في القامشلي ، و ٦° في الحسكة ، من الدرجات المئوية .

أما عن الأمطار فيمكن القول إن الجفاف يسود الإقليم باستثناء الشريط الشمالي ، أو ما يسمى بالجزيرة العليا . فمتوسط الأمطار في المدن الرئيسة الواقعة على نهر الفرات يبلغ ٢٥٠مم في الرقة و ١٥٠مم في دير الزور وحوالي ١١٥مم في البوكمال . أما في الجزيرة العليا فإن متوسط الأمطار في مدينة الحسكة يبلغ ٣٠٠مم ويزداد في القامشلي حتى يبلغ ٤٨٠مم ولذلك فإن مياه الفرات وروافده تكتسب أهمية عظمى في إنعاش المنطقة واستغلال إمكاناتها الزراعية الضخمة .

ويدخل ضمن هذا الإقليم من الناحية الإدارية أراضي محافظات الحسكة والرقة ودير الزور والجزء الشمالي الشرقي في محافظة حلب .

ويعد هذا الإقليم قليل السكان بالمقارنة مع مساحته الواسعة ، وحسب تقديرات عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م فإن عدد سكان هذا الإقليم يقارب ١,٥ مليون نسمة فقط وهو إقليم يغلب عليه الطابع الريفي ، ويقطنه أعداد كبيرة من البدو وتتركز الكثافة البشرية

في هذا الإقليم حول نهر الفرات بالدرجة الأولى ، ثم في الجزيرة العليا ، وخاصة الجزء الشمالي الشرقي ، وأخيرا حول نهري الخابور والبليخ .. وتوجد مساحات كبيرة شبه خالية من السكان تنتقل فيها بعض القبائل البدوية المترحلة خاصة في وسط الجزيرة بين نهري الخابور وبليخ ، وكذلك بين الخابور والحدود العراقية .

وأهم التجمعات البشرية هي مراكز المحافظات ، وتأتي مدينة دير الزور في المقدمة إذ يبلغ عدد سكانها نحو ٩١ ألف نسمة ، وتشذ عن القاعدة مدينة القامشلي في أقصى الشمال على الحدود السورية التركية ، إذ يبلغ عدد سكانها نحو ٩٣ ألف نسمة ، وهي أهم مدينة في محافظة الحسكة بل وفي الإقليم كله رغم أنها ليست مركزا للمحافظة ، ثم تأتي مدن الرقة ٨٧ ألف نسمة وهي مركز محافظة الرقة ، والحسكة ٧٣ ألف نسمة وهي مركز محافظة الحسكة ، ثم مدينة الثورة على سد الفرات ٤٥ ألف نسمة . والبوكمال ١٧ ألف نسمة ، والميادين ١٥ ألف نسمة .

أما من الناحية الاقتصادية ، فالزراعة هي السائدة في الإقليم ، وإنتاج الحبوب كبير ، وخاصة القمح والشعير لاسيما في منطقة الجزيرة العليا في محافظة الحسكة ، كذلك يعتبر هذا الإقليم المنتج الأول للقطن الذي يزرع بَعْليا وعلى الري ، وخاصة في الجزيرة العليا وعلى ضفاف الفرات وروافده .

أما المهنة الثانية في الإقليم فهي تربية الحيوانات وخاصة الأغنام التي يعتني بها البدو والمتنقلون ، إلى جانب الحيوانات التي يربيها الريفيون من أغنام وأبقار وماعز .

ولقد عملت الدولة على تطوير هذا الإقليم من الناحية الزراعية وخاصة تأمين المياه للري في منطقة يسودها المناخ شبه الجاف . وقد تم بناء أكبر سد في البلاد على نهر الفرات إلى الغرب من مدينة الرقة ، وقد ذكرنا ذلك في صدد الحديث عن المياه ومشاريع الري في سوريا .

كذلك أقيم سد على نهر الخابور للاستفادة من مياه النهر في الري ، هذا بالإضافة إلى آلاف المضخات التي تقوم على ضفاف الأنهار لتضخ المياه لري المزروعات في السهول الممتدة على ضفاف الفرات وروافده .

وهذا الإقليم يتمتع بطاقات زراعية واسعة ولكنه لا يزال محتاجا إلى الكثير من الجهود من أجل الوصول إلى الاستغلال الكامل للسهول الواسعة . وللاستفادة من كل المياه الجارية في المنطقة .

أما الثروة الأخرى المهمة التي يحظى بها هذا الإقليم ، فتتمثل في حقول النفط المكتشفة في المنطقة الشمالية الشرقية والغربية من الجزيرة . وقد تم استثمار النفط في عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ويبلغ إنتاج سوريا السنوي منه نحو ١٠ ملايين طن .

« و » **إقليم البادية :**

يحتل هذا الإقليم وسط الأراضي السورية وجنوبها الشرقي ، وهو أكبر الأقاليم مساحة ، إذ تتجاوز مساحته ٣٥٪ من مساحة الأراضي السورية ويتوغل هذا الإقليم في داخل الأراضي السورية على شكل إسفين يحيط به من الشرق إقليم الجزيرة ووادي الفرات ، ومن الشمال إقليم الشمال ، ومن الغرب والجنوب الغربي إقليم حوض العاصي ، وإقليم الجنوب الغربي ، وينقسم هذا الإقليم إلى قسمين ، شمالي ويسمى بالشامية الشمالية وجنوبي ويسمى الشامية الجنوبية أو أرض الفيضات والحماد ، ويفصل بينهما الجبال التدمرية والجبال الوسطى التي تمتد من سلسلة لبنان الشرقية حتى وادي الفرات .

وتسود في هذا الإقليم التضاريس الصحراوية وشبه الصحراوية . وأكثر المظاهر التضاريسية انتشارا هي السطوح المنبسطة ، أو القليلة الانحدار المغطاة بالحجارة والرمال والترب الملحية بالإضافة إلى الأحواض والمنخفضات عند أقدام الجبال التدمرية ، وبين السلاسل الجبلية .

ويسود المناخ القاري الجاف هذا الإقليم ، حيث تقل الأمطار وتزداد الفروق الحرارية بين الصيف والشتاء وبين الليل والنهار . وبُعد هذا الإقليم عن سواحل البحر المتوسط ، ووجود السلاسل الجبلية المحيطة به من الغرب والشمال ، واتصال الإقليم بصحراء شبه الجزيرة العربية في الجنوب – يجعل التأثير القاري يغلب على التأثير البحري في إقليم البادية .

فمن حيث الأمطار ، لا يكاد يسقط في أي جزء من أجزاء الإقليم أكثر من ٢٥٠مم سنويا ، بل إن الجزء الأكبر من الإقليم ، والذي يقع إلى الجنوب من السلاسل الجبلية التدمرية ، تقل فيه كمية الأمطار السنوية عن ١٠٠مم أي أن هذا الجزء من الإقليم شديد الجفاف ، خاصة إذا عرفنا أن كمية الأمطار قد لا تتجاوز في بعض السنين ٤٠مم .

أما الحرارة السنوية المتوسطة في إقليم البادية فتتراوح بين ١٨ و ٢٠°م ولكن هذا المتوسط لا يعبر عن واقع الاختلافات الحرارية الكبيرة بين فصل الصيف ، حيث تتجاوز درجة الحرارة ٤٠° في كثير من أيام تموز وآب (يوليو وأغسطس) وفصل الشتاء حيث تهبط درجة الحرارة إلى ما دون الصفر خاصة في شهري كانون الثاني وشباط (يناير ، فبراير) .

أما من الناحية البشرية فالقسم الأعظم من هذا الإقليم ، وهو الحماد خال من المراكز البشرية المستقرة ، وترتاده أحيانا بعض القبائل البدوية المترحلة .

أما المراكز البشرية الثابتة فنجد القليل منها على هامش الجبال التدمرية وفي سهل الدو ، وأكبرها مدينة تدمر التي يبلغ عدد سكانها نحو ١٨ ألف نسمة ، وهي واقعة في واحة عند الأقدام الجنوبية للسلاسل التدمرية، وكان لهذه المدينة ماض تاريخي عريق حينما كانت واحتها محطة للقوافل التجارية بين الشرق والغرب، فقامت فيها دولة عربية قارعت روما، وسيطرت على بلاد الشام، ووصلت جيوشها مصر في عهد ملكتها الزباء، أما الآن فهي عبارة عن مدينة صغيرة يعيش سكانها على الزراعة البعلية، وتربية الماشية والسياحة، حيث توجد آثار تدمر العظيمة، التي تصور الماضي التليد لتلك الواحة النائية.

ومن الجدير بالذكر أن الثروة الفوسفاتية التي اكتشفت في إقليم البادية ، بالقرب من تدمر قد وضعت الاستثمار عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م مما سيساعد على الإعمار البشري ، وتحسين شبكة المواصلات ، وتحسين الخدمات في بعض مناطق الإقليم .

وتبقى البادية السورية المرتع الرئيس لحياة الرعي البدوية المتنقلة . والحيوان الرئيس الذي يربيه البدوي – معتمدا على المرعى الطبيعي – يتمثل في الأغنام ، فالأغنام حيوانات قنوعة ، تستطيع العيش في المراعي الفقيرة – وتمتلك سوريا نحو ١٢,٦ مليون رأس[٦٧] من الأغنام معظمها يعيش في إقليم البادية ، ثم إقليم الجزيرة ووادي الفرات .

الهوامش

١ – السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ الدولة العربية الجزء الثاني – مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية ص ١٩٩ – ٢١٢ .
٢ – صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر . مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩م – ص ٢٥ – ٦٥ .
٣ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م – صادرة عن المكتب المركزي للإحصاء التابع لمجلس الوزراء في سوريا – السنة الثامنة والثلاثون دمشق حزيران ١٩٨٥م ص ٣٧ .
٤ – عادل عبد السلام : جغرافية سورية الإقليمية ، القسم الأول – مطبعة الروضة – دمشق (١٤٠١ / ١٤٠٢هـ – ١٩٨١ / ١٩٨٢م) ١١ – ٢٤ .
٥ – لويس دوبر تريه : جيولوجية سورية ولبنان . نقله إلى العربية د . ميخائيل معطي . مطبعة طربيل – دمشق ١٩٧٠م ص ١٠ – ١١ و ٣٦ – ٣٨ – ٥٨ – ١٤٩ .
٦ – عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ٨٩ .
٧ – عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ٨٨ .
٨ – عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ٦٨ – ٧٢ .
٩ – عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ٧٩ .
١٠ – عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ٨٠ .
١١ – على موسى : مناخ سوريا . دمشق مطبعة الحجاز – بدون تاريخ ص ٧٢ – ٧٣ .
١٢ – على موسى : المرجع السابق ص ٨١ – ٨٢ .
١٣ – على موسى : مرجع سابق ص ١٠٧ – ١٠٨ .
١٤ – عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ١٥٧ .
١٥ – محمد شقيق الصفدي : مصادر المياه الجوفية في الجمهورية العربية السورية – جامعة الدول العربية . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – دمشق آيار (مايو) ١٩٧٢م . ص ٢٧ – ٣٢ .
١٦ – محمد شفيق الصفدي : مرجع سابق ص ١١ – ٢٠ .
١٧ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٤٠ .
١٨ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٤٠ .

١٩ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٢٣ - ٢٤ .
٢٠ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٢٣ - ٢٤ .
٢١ - عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ١٩٤ - ١٩٨ .
٢٢ - عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ١١٩ - ٢٠٥ .
٢٣ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٥٥ - ٦٠ .
٢٤ - عادل عبد السلام : مرجع سابق ص ٢٧٢ ..
٢٥ - عبد الرحمن حميدة : جغرافية سورية البشرية - معهد البحوث والدراسات العربية - مطبعة الجبلاوي - ١٩٧١م - ص ٩٣ - ٩٧ .
٢٦ - نعمان صيام : سكان سوريا - دراسة كارتوغرافية - بحث مقدم إلى قسم الجغرافيا - شعبة الخرائط - لنيل درجة الدكتوراه - جامعة القاهرة عام ١٩٨٥م ص ٤١٣ - ٤١٤ .
٢٧ - عبد الرحمن حميده : مرجع سابق ص ١٠٤ .
٢٨ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٦٨ - ٩٩ - والنسب من عمل الباحث .
٢٩ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م . السنة الرابعة والثلاثون - المكتب المركزي للإحصاء التابع لمجلس الوزراء - سوريا - دمشق ص ١٣٠ - ١٣١ .
٣٠ - عبد الرحمن حميدة : مرجع سابق ص ١٥٣ .
٣١ - نعمان صيام : مرجع سابق ص ٤١٣ - ٤١٤ .
٣٢ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق . ص ٥٦ - ٥٧ .
٣٣ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ١٨٠ .
٣٤ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٣١ - ١٣٢ .
٣٥ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ١٨٠ .
٣٦ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٣١ - ١٣٢ .
٣٧ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ١٨٧ - ١٨٨ .
٣٨ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٣٧- ١٣٨ .
٣٩ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ١٨٨ .
٤٠ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٣٧ - ١٣٨ .
٤١ - المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ٢٠١ .

٤٢ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٥٤ .
٤٣ – عبد المهيمن الخطيب : الصناعة وتطورها في سوريا دمشق ١٩٧٩م ص ١٢ – ١٥ .
٤٤ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٧٣ .
٤٥ – حسن النائب : النفط في القطر العربي السوري – المكتب المركزي للإحصاء – دمشق ١٩٧٧م ص ٢ .
٤٦ – سيف الدين عطفة : تقرير موجز حول مسح الثروة المعدنية في القطر السوري . وزارة النفط والكهرباء والثروة المعدنية دمشق ١٩٧٠م ص ٤ – ١٢ .
٤٧ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ٢٢٠ .
٤٨ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٨٠ .
٤٩ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ٢٢٠ .
٥٠ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٨٠ .
٥١ – عثمان محرم محجوب وشفيق الصفدي : الثروات المعدنية الدفينة في الإقليم الشمالي ، بيروت ١٩٥٩م ص ١٣ – ١٤ .
٥٢ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ٢٢٠ .
٥٣ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٨٠ .
٥٤ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ٢٢٠ .
٥٥ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٨٠ .
٥٦ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٢٠٧٤ .
٥٧ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٥١٦ – ٥١٧ .
٥٨ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٥٢٨ – ٥٢٩ .
٥٩ – يحيى عرودكي : الاقتصاد السوري الحديث . الجزء الثاني منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٧٤م – ص ١٨٦ – ١٨٨ .
٦٠ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٤٧٤ – ٤٧٧ .
٦١ – أحمد عزب كريم : النقل في الجمهورية العربية السورية – دار مطابع الشعب بالقاهرة ١٩٧٣م ص ١٣ – ١٤ .
٦٢ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص٢٥٠٠ .
٦٣ – يحيى عرودكي : مرجع سابق ص ٤٥١ .

٦٤ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : مرجع سابق ص ٣٤٠ .

٦٥ – جميع الأرقام الخاصة بالتعليم مأخوذة عن المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨١م : ص ٣٦٦ – ٣٨٣ ، والمجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م ص ٣٤٣ – ٣٦٥ ، مرجعين سابقين .

٦٦ – جميع الأرقام الخاصة بالسكان في سوريا ومدنها مصدرها المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ٥٤ – ٥٧ .

٦٧ – المجموعة الإحصائية لعام ١٩٨٥م : مرجع سابق ص ١٥٤ .

– أطلس سوريا والعالم – مكتبة أطلس – دمشق ١٩٧٣م .

– الأطلس الجديد للعالم – دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

« فهرس الجداول »

رقم الجدول		الصفحة

فهـــرس الأشكال

ملحــق إحصــائي

« الجمهورية العربية السورية »

١ – **المساحة :** ١٨٥١٨٠كم٢ .

٢ – **السكان : (١٩٩١ م) :**

– حجم السكان .	١٢٩٦٥٩٩٦ نسمة .
– معدل نمو السكان .	٣,٨٪ .
– معدل المواليد .	٤٣ في الألف .
– معدل الوفيات .	٥ في الألف .
– معدل صافي الهجرة .	أقل من واحد في الألف .
– معدل وفيات الرضع .	٣٧ في الألف .
– توقع الحياة عند الولادة .	٦٨ عامًا للذكور و٧١ عامًا للإناث .
– معدل خصوبة الإناث .	٦,٧ طفلًا للأنثى خلال حياتها .
– التركيب السكاني .	٩٠,٣٪ عربًا ، ٩,٧٪ أكراد وأرمن وجنسيات أخرى .
– الوضع التعليمي .	٦٤٪ من السكان يقرؤون ويكتبون .
– اللغة الرسمية	العربية .

٣ – **القوة العاملة (١٩٨٥م) :**

– إجمالي القوة العاملة .	٢,٤٠٠,٠٠٠ عامل .
– القوة العاملة في قطاع الخدمات .	٣٦٪
– القوة العاملة في قطاع الزراعة .	٣٢٪
– القوة العاملة في الصناعة والبناء .	٣٢٪
	١٠٠٪

٤ – **المدن الرئيسة : (ألف نسمة)**

	١٩٨١م	١٩٩١م
– دمشق (العاصمة)	١١١٢	١٣٦٧
– حلب .	٩٨٥	١٣٢٧

– حمص .	٣٤٦	٤٧٥
– اللاذقية .	١٩٧	٢٨٣
– حماة .	١٧٧	١٨٩
– دير الزور .	٩٢	١٠٧
– درعا .	٥٠	٧٣
– الحسكة .	٧٣	١١٨
– طرطوس .	٥٣	٧٤
– أدلب .	٥٢	٥٥

٥ – نسبة سكان الحضر (درجة التحضر) :

[من جملة سكان الدولة (١٩٨٩)] : ٥٠,٧٪

٦ – معدل نمو سكان الحضر (١٩٨٩) : ٤,٨٪ سنويا

٧ – الموارد الطبيعية

النفط ، الفوسفات ، الكروم ، خام الماغنسيوم ، الأسفلت ، خام الحديد ، الملح ، المرمر ، الجبس .

٨ – مشكلات البيئة الطبيعية : (١٩٩١) :

الرعي الجائر ، انحسار الغابات والغطاء الشجري ، التعرية ، التصحر .

٩ – استخدامات الأرض (١٩٩١):

– الأراضي الصالحة للزراعة .	٢٨٪
– المراعي والأراضي الخضراء .	٤٦٪
– الغابات والغطاء الشجري .	٣٪
– استخدامات أخرى .	٢٠٪
– الأراضي المروية .	٣٪
إجمالي الاستخدامات	١٠٠٪

١٠ – صافي الناتج المحلي (GDP) في (١٩٩٠) :

– صافي الناتج المحلي . ٢٠ بليون دولار .

– إسهام الزراعة في صافي الناتج المحلي .	٢٧٪
– إسهام الصناعة في صافي الناتج المحلي .	١٩٪
١١ – متوسط دخل الفرد السنوي (١٩٩٠) :	١٦٠٠ دولار أمريكي
١٢ – معدل التضخم السنوي (١٩٩٠) :	٥٠٪
١٣ – إنتاج المحاصيل الرئيسة : (بآلاف الأطنان المترية في ١٩٨٨م) .	
– القمح	٢٠٦٧
– الشعير .	٢٨٣٦
– بذرة القطن .	٠٤٤٦
– زيت الزيتون .	٠٤٣٩
– اليوسفي (Grapes)	٠٥١٥
– المشمش .	٠٢١٥
– القرع .	٠٢٤٣
– قصب السكر .	٠٣٨٦
– الطماطم .	٥١٧
– البطاطس .	٣٥٣
١٤ – الثروة الحيوانية (بآلاف الرؤوس) في ١٩٨٨م :	
– الأبقار .	٧٢٣
– الخيول .	٠٤٣
– الجمال .	٥
– الحمير .	٢٠٠
– البغال .	٠٣٠
– الأغنام .	١٣٣٠٤
– الماعز .	١٠٧٨
١٥ – صيد الأسماك (بآلاف الأطنان المترية) في ١٩٨٧م :	
– أسماك المياه العذبة .	٤,٣

– أسماك المياه المالحة أو (الأسماك البحرية) . ٠,٧

الإجمالي ٥

١٦ – استخراج المعادن الرئيسة (بآلاف الأطنان المترية) في ١٩٨٧م :

– النفط الخام . ١٢١٦٢
– الفوسفات . ١٩٨٥
– الملح (غير المكرر) . ٠٠٨١

١٧ – أهم المنتجات الصناعية بآلاف الأطنان المترية (مالم يذكر غير ذلك) في ١٩٨٦م :

– منتجات قطنية وحريرية . ٠٠٧٩
– منسوجات صوفية . ١٤٠٥
– الأسمنت . ٤٣١٦
– الزجاح والفخار . ٠٥٧
– الصابون . ٠٠٤٣
– السكر . ٠٠٥٧
– زيت الزيتون . ٠٠٧٢
– الزيوت النباتية والحيوانية . ٠٠٣٣
– منتجات التبغ . ٠٠١٢
– الكهرباء . ٧٠٣٢ (كيلو واط ساعة) .

١٨ – الصادرات الرئيسة : (١٩٩٠) :

– النفط . ٪٤٠
– المنسوجات . ٪٣٠
– المنتجات الزراعية . ٪١٣
– الفوسفات وصادرات أخرى . ٪١٧

الإجمالي ٪١٠٠

١٩ – الواردات الرئيسة (١٩٩٠) :

– الاغذية والمنبهات . ٪٢١

- المعادن والمنتجات المعدنية . ١٦٪
- الآلات والأجهزة . ١٤٪
- واردات أخرى . ٤٩٪
الإجمالي ١٠٠٪

٢٠ - النقل والمواصلات : (١٩٩٠) :

- أطوال السكك الحديدية . ٢٢٤١ (كلم) .
- أطوال الطرق السريعة . ٢٧٠٠ (كلم) .
- أطوال الطرق النهرية . ٦٧٢ (كلم) .
- أطوال أنابيب النفط . ١٣٠٤ (كلم) .
- عدد وحدات النقل البحري . ٢٢
- عدد الطائرات المدنية . ٣٥
- عدد المطارات المدنية . ٩٩
- عدد وحدات الهواتف . ٥١٢٦٠٠
- أهم الموانئ :

طرطوس ، اللاذقية وبانياس .

المراجع والمصادر

١ – الآفاق العالمية المتحدة ، (١٩٩١) المعلومات ، ط ١ . القاهرة : الزهراء للإعلام العربي .

٢ – صندوق النقد العربي ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، (١٩٩٠) : التقرير الاقتصادي العربي الموحد .

3 - The Middle East and North Africa, (1991): 37 th Edition, London: Europa Publications Ltd.

4- The World Factbook, (1991): Central Intelligence Agency. Washington, DC.

5 - The World Bank, (1990): Social Indicators of Development, London: The John Hopkins University Press.

6 - Department of International Economic and Social Affaurs of the U.N., (1990): World Population Charter, New York.

7 - Brian, Hunter: The Statesman's Year Book- Statistical and Historical Annual of the States of the World for the Year 1992-1993.

رقم الإيداع ٩٩٩٠/١٩٩٤ م
I.S.B.N : 977 – 256 – 105 – 0

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان
المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

The national Library: 9990/1994
I.S.B.N : 977 – 256 – 105 – 0

Hajar
For Print., Publish., Dist. & Adv.
Office: 4 Teraat El Zomor St., Mohandiseen, Giza.
Tel : 3452579, Fax. : 3451756
Press : 2,6 Abdel Fattah El Tawil St., Ard El Lewa,
Tel. : 3452963. P.O.Box : 63 Embaba

Editorial Board

Forward all Correspondence to :

The Deanery of Academic Research .
P . O . Box 18011 .
Riyadh 11415 .
Fax. (01) 2590261.
Kingdom of Saudi Arabia .

Advisory Board

Contents

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL - IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY





The Geographical Encyclopedia of the Muslim World

Volume 4

THE FERTILE CRESCENT

PRINTING IS FINANCED
BY
SHEIKH SULAIMAN BIN ABDULAZIZ AL - RAJHI

The Geographical Encyclopedia
of the Islamic World
The Fertile Crescent